السيرة النبوية

في ضوء المصادر الأصيلة

دراسة توثيقية تحليلية في فقه السيرة

بقلم

الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله أحمد

الأستاذ (سابقا) بقسم الثقافة والدراسات الإسلامية كلية التربية - جامعة الملك سعود السعودية - الرياض

مكتبة الرشد ناشرون

قراءات
من السطور إلى الأذهان

المجموعة
t.me/Qraatgroup

القناة
t.me/Qraatkotob

السيرة النبوية

في ضوء المصادر الأصيلة

ح مكتبة الرشد، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
أحمد، مهدي رزق الله
السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية: دراسة توثيقية تحليلية، مهدي رزق الله أحمد، ١٤٣٣هـ
-ص-سم
ردمك ٤-٩٦٥٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- السيرة النبوية ٢- الشمائل المحمدية
أ. العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٤٣/٣٠٥٣

ردمك : ٤-٩٦٥٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٠٥٣

جميع حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الرشد ناشرون

الطبعة السادسة تاريخ : ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

المملكة العربية السعودية - الرياض
الإدارة : العليا فيو - طريق الملك فهد
ص.ب: ١١٧٥٢ الرياض ١١٤٩٤ ☎: ٠١١٤٦٠٤٨١٨ - فاكس: ٠١١٤٦٠٣٤٩٧
Twitter: @ALRUSHDBOOKSTORE
Email: info@rushd.com.sa
Website : www.rushd.com.sa

فروعنا داخل المملكة

المركز الرئيسي بالرياض: الدائري الغربي	☎: ٤٣٢٩٣٣٣	فاكس: ٤٣٢٩٣٣٣
[redacted]	[redacted]	[redacted]
فرع مكة المكرمة :	☎: ٥٥٨٥٤٠١	فاكس: ٥٥٨٢٥٠٦
[redacted]	[redacted]	[redacted]
فرع جدة :	☎: ٦٣٣١١٨٣	فاكس: ٦٣٣٠٣١٥
[redacted]	[redacted]	[redacted]
فرع خميس مشيط :	☎: ٢٣٢٨١٢٩	فاكس: ٢٢١٧٩١٢
[redacted]	[redacted]	[redacted]
فرع حائل :	☎: ٥٣٢٣٢٤٦	فاكس: ٥٦٦٣٢٤٦
[redacted]	[redacted]	[redacted]
فرع تبوك:	☎: ٤٢٤١٦٤٠	فاكس: ٤٢٢٨٩٢٧
[redacted]	[redacted]	[redacted]
فرع عرعر:	☎: ٤٦٦١٢١٠٠	
فرع الطائف:	☎: ٠٥٠٠١٥٩٧٢٥	
فروعنا في الخارج		
القاهرة	☎: ٢٢٧٢٨٩١١/٢٧٤٤٦٠٥	فاكس: ٢٢٧١٣٦٢٥

السيرة النبوية

في ضوء المصادر الأصيلة

دراسة توثيقية تحليلية
في فقه السيرة

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

بقلم

الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله أحمد

الأستاذ (سابقا) بقسم الثقافة والدراسات
الإسلامية كلية التربية - جامعة الملك سعود
السعودية - الرياض

الجزء الأول
العهد المكي

مكتبة الرشد
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله ﷻ أولاً الذي وفقني لتأليف هذا الكتاب في طبعته الأولى والثانية، ثم أشكر القائمين على أمر جامعة الملك سعود، وكل من كان سبباً في منحي إجازة تفرغ علمي لمدة عام دراسي كامل، أتاحت لي فرصة إكمال جمع مادة هذا الكتاب، ثم إخراجه إلى النور في طبعته الأولى.

وأشكر كل من كان سبباً في جعل هذا الكتاب مقرراً دراسياً في الجامعات والمعاهد العليا، خاصة بالمملكة العربية السعودية، أو جعله مرجعاً معرفياً لحلقاته الإذاعية أو المسجدية في دراسة السيرة النبوية، أو منحه جائزة الشهيد الزبير محمد صالح للإبداع والتميز العلمي لعام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

وأشكر كل من أشاد بهذا العمل ووصفه بأكثر مما يستحق، وذلك عبر الفضائيات أو مجالس العلم أو الأشرطة التسجيلية وغيرها من الوسائل.

وأشكر القائمين على أمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مكتب الدمام، خاصة الأستاذ الدكتور محمد الجار الله، الذين بادروا إلى ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، ونشر في مجلدين بوساطة مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر، والتي أيضًا على حق ترجمته إلى اللغات الآسيوية الكبرى. كما وأشكر الذين اتصلوا بي لترجمته إلى لغات عالمية حية أخرى كالفرنسية والإسبانية وبعض لغات شرقي أوربة.

وأشكر كل من أعانني بنصيحة أو بمشورة أو بتشجيع معنوي، أو بإعارته إياي بعض المصادر والمراجع؛ وذلك عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[1].

---

(١) رواه الترمذي: السنن (٣/ ٢٢٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٠٢، ح٤١٦).

الإهـداء

أهدي هذا الكتاب إلى أساتذة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بصفة خاصة بالمؤسسات التعليمية المختلفة، وإلى الدعاة إلى الله وطلبة العلم الباحثين عن الحقيقة، وإلى عامة المسلمين وغير المسلمين الذين يرغبون في معرفة سيرة وسنّة الرسول ﷺ في ضوء الروايات الموثقة، ووفق مناهج المحدثين رواية ودراية بصفة عامة. سائلاً الله ﷻ أن ينفع به ويتقبله.

ونهديه بصفة أخص إلى القائمين على أمر التربية والتعليم بالمعاهد العليا والجامعات، وعلى رأسهم رؤساء الدول والوزراء، آملين أن يجعلوا سيرة الرسول ﷺ متطلباً دراسياً إجبارياً على كل طلاب المؤسسات التعليمية، نصرة لنبي الرحمة.

وأسأل الله العلي القدير أن يوفّقهم في هذا الاتجاه، وهذا ما نملكه.

ونهديه إلى كل من أشاد بهذا العمل ودعمنا دعماً معنوياً شجعنا على مواصلة التنقيح والزيادة.

ونهديه إلى أفراد أسرتي وعلى رأسهم الزوجة أم تماضر، لصبرها على ضوئها - مكتبتي - التي تأخذ معظم وقتي وتترك لهم فضول الوقت، وليس أدل على صبرها من أن زوجها لم يعرف في حياته ما يسمونه الإجازات أو العطل، حتى الجمعة.

ونهديه إلى أهلنا ببلدة الجابرية بمحافظة الدبة بشمالي السودان، الذين تعلمنا منهم أهمية العمل الدؤوب، وغرست حلق ذكرهم لقراءة البرزنجي في السيرة النبوية ومدح الرسول ﷺ خاصة سيرته في المعجزات والشمائل، غرست فينا حب الرسول ﷺ منذ نعومة الأظفار.

ونهديه إلى كل أهل السودان الذين اشتهروا بحب سيرة خير الأنام، وأسهموا في ميلاد هذا العمل الذي بين أيديهم الآن.

تقديم الطبعة الأولى

شُغل المسلمون منذ الأيام الأولى للإسلام بسيرة الرسول محمد ﷺ، فاعتنوا بتسجيل وقائعها، وحرصوا على نقلها دقيقة موثقة، سواء في كتب الحديث النبوي أو في كتب السيرة أو كتب التاريخ العامة. وقد اختلفت مناهج العلماء باختلاف عصورهم وتخصصهم؛ فللمحدِّثين منهج يتسم بالضبط الشديد والتحري الدقيق لكل ما نسب إلى الرسول ﷺ من قول أو عمل. وللمؤرخين وكتّاب السيرة النبوية مناهج مستقاة من مناهج المحدثين؛ ولا غرابة في هذا؛ فإن دراسة التاريخ قد نشأت في بيئة أهل العلم التي كان قوام اهتمامها الحرص على جمع الحديث النبوي والسيرة العطرة. ولذا احتكم الأخباريون والمؤرخون إلى مناهج المحدِّثين وأساليبهم في نقل الوقائع والأحداث التاريخية، معتمدين على الأسانيد والروايات، ولكن على نحو يختلف في تفاصيله وظروف تطبيقه ودوافعه عن مناهج أهل الحديث.

ولا شك أن السيرة النبوية من أهم مجالات الدراسة التي عني بها المسلمون قديماً وحديثاً، وستظل موضع عناية المسلمين بإذن الله، لأن سيرته عليه الصلاة والسلام تنفيذ عملي للتشريع الرباني وبيان لأحكامه. ومن هنا تعددت المصادر التي نقلت السيرة النبوية وتنوعت مناهجها. وظهرت في كل عصر دراسات في السيرة النبوية تتخذ طوابع مختلفة؛ فمنها ما يحرص على اختصار السيرة، ومنها ما يعنى بالدروس الدينية والتربوية المستقاة منها، ومنها ما يطمح إلى التحقق من بعض الوقائع والأقوال.. إلى غير ذلك.

إن غنى السيرة التي تسجل حياة خير البشرية عليه الصلاة والسلام ذو أثر واضح في تنوع النظرات والمناهج والاستنباطات؛ فكل قارئ للسيرة يجد فيها من جوانب الإعجاز النبوي ما يروقه. ولذا فسوف تظل السيرة معيناً لا ينضب مهما كثر عليه الواردون، ونهل من نبعه الناهلون.

وهذا الكتاب الذي يقدمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،

وهو السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد، يرتبط بسلسلة المؤلفات التي تتخذ من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام مجالاً للدراسة والاستنباط. وهدف المؤلف في هذا العمل أن يكتب السيرة النبوية معتمداً على مصادرها الأصيلة المتنوعة، مختاراً ما كان من الروايات قوياً، ومناقشاً ما كان محل نقاش وإن كان مشهوراً بين الناس. وقد حوى الكتاب مادة علمية غزيرة استطاع المؤلف من خلال منهجه المتميز أن يجمع شتاتها ويدققها، خصوصاً ما تناثر منها في المصادر المتعددة ككتب التفسير والحديث والسير والمغازي والتاريخ والطبقات والتراجم والفقه. وربما لا يجد القارئ ذكراً لبعض كتب السيرة القديمة شيئاً ما أو الحديثة، وهذا الأمر مرده إلى منهج المؤلف الذي التزم فيه بالاعتماد على الكتب الأصلية التي عنيت بنقل السيرة عن الرواة الأولين.

ولم يخلُ هذا الكتاب من إشارات تربوية مفيدة، أو لمسات إيمانية معبرة، كما لم يقف عند حدود سرد النصوص بلا تمعن أو إشارة إلى فقهها ودروسها خصوصاً وهي محل الأسوة والاقتداء.

وقد قام مركز الملك فيصل بإعداد فهارس للكتاب كفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية القولية، والأعلام، والأماكن، والغزوات والسرايا والحروب، والأشعار، والحِكَم والأمثال من أجل تيسير الوصول إلى موضوعاته وتحقيق مزيداً من النفع به. وقد بات ذلك ضرورياً في النشر العلمي اليوم خصوصاً في مصادر العلوم النقلية ذات الصبغة المرجعية.

نرجو أن ينفع الله بهذا الكتاب، وأن يسد به ثغرة في المكتبة الإسلامية، وأن يثيب مؤلفه. ولله الحمد أولاً وآخراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمين العام
لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

د. زيد بن عبد المحسن آل حسين

تقديم الطبعة الثانية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبلِّغ عن ربه بلسانه وسنانه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد نفدت الكمية التي أُعدَّت للطبعة الأولى من هذا الكتاب في فترة وجيزة، ودل هذا بوضوح على اهتمام القراء بصفة عامة وبمختلف تخصصاتهم واهتماماتهم بموضوع الكتاب ومنهجه ومادته وفائدته على الرغم من كبر حجمه نسبياً. ولذا رأيت أن من تمام الفائدة إخراج الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة بقدر المستطاع؛ لأن سيرة الرسول ﷺ جديرة بأن يتعب لخدمتها طلاب العلم، لتكون مورداً صافياً ينهل منه أبناء الأمة الإسلامية وغيرهم من أبناء الأمم الأخرى الذين يرغبون في معرفة الموثوق به من سيرة نبينا محمد ﷺ، وجديرة بأن نهتم بها كما اهتم بها سلفنا الصالح، أمثال زين العابدين علي بن الحسين بن علي ﷺ، الذي قال فيما رواه عنه الخطيب البغدادي[1]: «كنا نُعَلَّمُ مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن»، والإمام الزهري - أحد أبرز رجال الكتب الستة وغيرها - الذي قال فيما رواه عنه الخطيب البغدادي[2]: «في علم السيرة علم الدنيا والآخرة»، وإسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، الذي قال فيما رواه عنه الخطيب البغدادي[3]: «كان أبي يعلمنا المغازي

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٨٨ برقم ١٦٤٩)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢، ١٤١٤هـ.

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ٢٨٧ رقم ١٦٤٧).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٨٧ رقم ١٦٤٨) وكلها من حديث الواقدي. وقد نقل «ه» الأقوال عن البغدادي علماء أمثال ابن عساكر في تاريخه، والقسطلاني في مواهبه وللخطيب البغدادي هنا باب خاص بعنوان: «كتب أحاديث المغازي»، قال فيه: «تتعلق بمغازي رسول الله ﷺ أحكام كثيرة، فيجب كتبها والحفظ لها».

والسرايا ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها». وجديرة بأن نهتم بها، لأنها السنّة بعينها، وليست جزئية مكملة لمفردات تعريف السنة عند من يقول: إن السنة كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة. وليست فقط ما دوّنه أهل المغازي والسير، أمثال: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد ومن سلك طريقهم، بل هي كل ما يمكن استنباطه من دروس وعظات وعبر وحكم وأحكام فقهية، تدل على ما دعا إليه الرسول ﷺ من أخلاق سامية تمثّلها في حياته وتشرّبها منه أصحابه ﷺ، دوّنها أهل التفسير بالمأثور وأهل الحديث وشُرّاحه ومن نهج نهجهم.

وانطلاقاً من هذا المفهوم وتعميقاً له وسّعنا فصل الشمائل، مستقين مادته من دواوين السنّة المختلفة، وأضفنا فصلاً في هذه الطبعة الثانية عن معجزاته، وفصلاً ثانياً عن خصائصه، لأن ما ذكرناه عن المعجزات والخصائص من خلال أحداث الغزوات والسرايا لا يستوعب كل ما صح من معجزات وخصائص في حياة الرسول ﷺ. ومع هذا فإن ما جاء في هذا الكتاب عن سيرة النبي ﷺ ما هو إلا مختصر لسيرته، والمطول من سيرته لن يقل عن خمسة أضعاف ما كتبنا.

وحرصنا أن تكون السيرة النبوية الرد العملي والعلمي على الطاعنين في سيرة النبي ﷺ من المستشرقين ومن سلك مسلكهم من أصحاب الدوافع المغرضة. ويمثل هؤلاء: هنري لامانس، الذي رددنا على مطاعنه في بحث منشور، بعنوان: «افتراءات المستشرق الفرنسي لامنس على السيرة النبوية»؛ وبودلي، الذي رددنا على مطاعنه في بحث منشور، بعنوان: «مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات المستشرق البريطاني ر.ف.بودلي في كتابه: الرسول – حياة محمد»؛ وهو متوفر بالمكتبات العامة. وسيجد القارئ هذين المؤلفين على «النت».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين على توفيقه لإنجاز هذا الذي بين الأيدي، ونسأله التوفيق لتطويله واختصاره، ليتناسب مع رغبة جميع فئات القراء.

تقدم الطبعة الثالثة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الحمد لله تعالى كثيرًا على ما كتب لهذا المؤلف من القبول عند قرائه ودارسيه ومدرسيه، الذين يزدادون يومًا بعد يوم، وذلك بدليل: الأعداد الكبيرة التي طبعت منه في الآونة الأخيرة، لتبلغ طبعاته حقيقة العشرين، والأعداد الكبيرة [التي تجاوزت المئة] من مواقع ومنتديات الشبكة العنكبوتية، التي أثنى مرتادوها عليه كثيرًا، والجامعات والمعاهد العليا الكثيرة التي جعلته مقررًا دراسيًا ومرجعًا رئيسًا، خاصة بالمملكة العربية السعودية.

وقد حفزنا هذا القبول على إجراء إضافات بالفصل الثلاثين متعلقة بـ«المعجزات العلمية الحديثة، خاصة الطبية»، ومن باب الاختصار: جعلنا مصادرها بالمتن، ورمزنا لها بالحروف، ومكتفين بأرقام الأحاديث والآثار في الغالب.

وجعلنا منه ما هو في جزءين لتلبية رغبة بعض أساتذة الجامعات الذين يدرسونه في مقررين دراسيين، الأول: عن الفترة المكية (يدرس في الفصل الدراسي الأول)، والثاني: عن الفترة المدنية (يدرس في الفصل الدراسي الثاني).

نرجو من الله تعالى لمكتبة الرشد - السعودية - التوفيق في توفير هذا الكتاب في كل مكتبة توزيع داخل وخارج السعودية حتى يعم خير السيرة العطرة.

مقدمة

منهج البحث:

إن مرويات سيرة الرسول ﷺ كثيرة جداً، ولذا فقد يلحظ القارئ أن الباحث قد أهمل طائفة من الروايات الضعيفة جداً التي يكثر من روايتها بعض أهل المغازي والسير والتاريخ، لأن هدف البحث ليس استقصاء جميع مرويات السيرة، بل الهدف رسم هيكل للسيرة يستوعب معظم الصحيح من مرويات السيرة، وإذا لم أجد الصحيح ذكرت مرويات ضعيفة، فيما لا يتعلق بالعقيدة والأحكام في الحلال والحرام، ونبهت على ذلك في السيرة المطولة من جانب الحواشي، وسكت عنها في هذا المختصر من باب الاختصار؛ لأن بعض العلماء يجوز رواية الحديث الضعيف فيما دون المسائل العقدية والأحكام الفقهية. أما في هذا المختصر فلم أذكر الحكم على الإسناد إذا كان ضعيفاً ويستأنس به في غير مسائل العقيدة والأحكام. وأصل الاختصار في الحواشي، وأبقيت على أصل مادة المطول؛ لأهميتها لمعظم المستويات، وأحياناً أعتمد أقل عدد من المصادر في الإحالات، واختصر اسم المصدر، فمثلاً: إذا قلتُ: أحمد، فيعني في المسند، وإذا قلتُ: ابن إسحاق، فيعني عند ابن هشام في السيرة، وإذا قلت ابن اسحاق، : يعني في السير والمغازي. وعلى القارئ إذا أراد - أن يرجع إلى ثبت المصادر والمراجع ليقف على كامل العنوان.

إن من الأهداف الرئيسة لهذا البحث الاعتماد على المرويات الصحيحة، وإذا أخفق الباحث في شيء من هذا فمرده إلى نقص فيه، ويرجو من أهل العلم والصنعة الحديثية أن يصحّحوه ويقوّموه.

إذا ورد الخبر في «الصحيحين» أو أحدهما اكتفيت بهذا في الغالب، ولم أذكر روايات أهل الحديث الآخرين إذا لم يكن بها زيادات مفيدة، ولكني كثيراً مما أذكر روايات ضعيفة أو ضعيفة جداً لأهل المغازي والسير، إما لأن كثيراً ما يوجد بها

زيادات تتقوى بالشواهد والمتابعات، أو على أقل تقدير يعرف أن للكثير منها أصلاً.

لقد حرصت أن تكون كل معلوماتي موثقة ليتيسر للقارئ التأكد من صحة النقل أو الاستزادة من المعلومات التي وردت مختصرة.

رأيت أن يعتمد هذا الكتاب في معلوماته على أوثق المصادر وعلى رأسها كتاب الله تعالى، ثم كتب التفسير والحديث والمغازي والسير، وأن أذكر درجة الخبر في مسائل العقيدة والأحكام، ليعرف إن كان مما يُحتج به أم لا، وذلك في ضوء آراء أهل الحديث ونقاده ومحققيه.

لقد أعطيت الأولوية في الاستشهاد للآيات القرآنية، ثم روايات «الصحيحين»، ثم الصحيح من الروايات المبثوثة في كتب التفسير والحديث والخصائص والدلائل والمغازي والسير والتاريخ العام. وتجنبت الاعتماد على كتب الأدب وغيرها من المصادر الثانوية التي للعلماء فيها مقال.

ورأيت أن أستنبط من كثير من أحداث السيرة بعض رؤوس المسائل الفقهية والحِكَم والعبر حتى لا يتضخم الكتاب ويستثقله بعض القراء.

أهداف دراسة السيرة النبوية:

١- إن الدارس لسيرة الرسول ﷺ يقف على التطبيق العملي للرسول ﷺ وأصحابه لأحكام الإسلام التي تضمنتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في مجالات الحياة المختلفة.

٢- إن الاقتداء برسول الله ﷺ يقتضي معرفة شمائله وأحواله ودلائل نبوته وخصائصه ﷺ في المجالات المختلفة، ومن عرف شمائله وأحواله المذكورة وأحبه واقتدى به، فسينال ما يدَّخره الله له على ذلك، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣- إن الاقتداء برسول الله ﷺ واتباعه دليل على محبة العبد ربه، وسينال العبد محبة الله له، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

٤- إن معرفة ما حفلت به السيرة من مواقف إيمانية عقدية، وقفها الرسول ﷺ

وأصحابه لإعلاء كلمة الله، تقوي من عزائم المؤمنين السائرين على درب الرسول ﷺ، وتثبتهم للدفاع عن الدين والحق، وتقذف في قلوبهم الطمأنينة.

٥- في السيرة كثير من العظات والعبر والحكم التي يتعظ ويعتبر بها كل ذي لب من الحكام والمحكومين، فيعرف من تحدثه نفسه بالجبروت والكبرياء مآل من اتصف بهذه الصفات ومثلها.

٦- في سيرته ﷺ دروس كثيرة لجميع فئات الناس، ومواساة لهم في كافة أنواع الابتلاءات التي يتعرضون لها؛ لا سيما الدعاة.

٧- إن سيرة الرسول ﷺ هي المثل الأعلى للإنسان الكامل في جميع الجوانب.

٨- يجد المرء في سيرته ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

٩- يحصل دارس السيرة على قدر كبير من المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، من عقيدة وشريعة وأخلاق وتفسير وحديث وسياسة ودعوة وتربية واجتماع... إلخ.

١٠- يتعرف الدارس لسيرته ﷺ على تطور الدعوة الإسلامية، وما كابده الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، وما واجهه هو وأصحابه من مشكلات، وكيفية التصرف في تذليل تلك العقبات، وحل تلك المشكلات.

١١- إن معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية ومناسبات أقوال كثيرة للنبي ﷺ وأصحابه لا تعرف إلا بمعرفة السيرة النبوية.

١٢- إن علم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم والسنة، لا يتأتى فهمه ومعرفته إلا في ضوء وقائع السيرة.

١٣- إن المعجزات التي أجراها الله تعالى على يدي نبيه محمد ﷺ لا تفهم جيداً إلا في ضوء معرفة وقائع السيرة التي حدثت خلالها تلك المعجزات، وفهمها مما يقوي ويزيد إيمان المسلم.

١٤- إن خصائص النبي ﷺ لا تعرف إلا في ضوء معرفة سيرته.

١٥- يقف الدارس المحقق على الروايات الصحيحة التي يمكن الاحتجاج بها في مجالات السيرة المختلفة، وهو مطلب مُلِحٌّ.

مصادر السيرة النبوية:

١- القرآن الكريم:

لقد تناولت كثير من الآيات القرآنية حياة الرسول ﷺ في أطوارها المختلفة، قبل البعثة وبعدها، وهو ما ستلتحظه عند قراءتك هذا الكتاب، أو عند إلقاء نظرة سريعة على حواشيه في الصفحات المختلفة. وقد ألّف الأستاذ محمد عزة دروزة كتابًا في مجلدين تحت عنوان: (سيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن الكريم)، وإن هذا وذاك يدل عليأن المصدر الرئيس لسيرة الرسول ﷺ ينبغي أن يكون القرآن الكريم، لأنه نص قطعي الثبوت، بل هو أصح نص عرفته البشرية في تاريخها، وليس من الإيمان أو من أبجديات المنهج العلمي التغاضي عن هذه الحقيقة التي لا تحتاج مني إلى كثير كلام لإثبات ذلك.

وتناول القرآن في حديثه أمورًا كثيرة عن العرب قبل الإسلام، وذلك في جميع مجالات حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. كما حدثنا القرآن عن الحضارات القديمة التي كانت في الجزيرة العربية وما جاورها، مما يلقي الضوء على أحوال المجتمعات الإنسانية، قبل وحين ظهور الإسلام.

وحتى تكتمل الاستفادة من القرآن الكريم لمعرفة سيرة الرسول ﷺ، لا بد من الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور، التي ساقت الأحاديث المسندة لتفسير الآيات المختلفة، وبينت الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، مع مراعاة أن الأحاديث التي يستشهد بها المفسرون ليست كلها على درجة واحدة من حيث القبول؛ فمنها الصحيح والحسن والضعيف والواهي والموضوع. فإذن لا بد أن تُقوّم مروياتها ويختار منها ما تثبت صحته، أو يكون صالحاً للاحتجاج به، وفقًا لمعايير أئمة أهل الجرح والتعديل ورجال الحديث.

ومن أشهر وأوثق كتب التفسير بالمأثور تفسير الإمام الطبري (ت٣١٠هـ)، والإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) وقد لخّص الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) هذه التفاسير في كتابه: «الدرر المنثور في التفسير بالمأثور»، وحفظ لنا نصوص ما فقد أو أهمل من هذه التفاسير[1].

---

(١) انظر: د. فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ص ٣٤-٣٥.

٢- الحديث النبوي الشريف:

عنيت كتب الحديث بجمع مرويات أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخُلقية، ومعجزاته وخصائصه وتناول بعضها طرفًا من سيرته في مغازيه وسراياه وبعوثه، سواء كانت أبوابًا ضمن كتبهم أو روايات مبثوثة في ثنايا كل أبواب كتبهم. وتتفاوت درجة الاهتمام بأبحاث السيرة بين كتاب وآخر. فنجد البخاري - مثلاً - يهتم بسيرة الرسول ﷺ فيفرد كتبًا وأبوابا من جامعه الصحيح لسيرته ﷺ قبل مبعثه وبعده، ومغازيه وسراياه وبعوثه، ومكاتباته، وفضائل أصحابه، وزوجاته، إضافة إلى ما هو مبثوث من أحداث السيرة ضمن مرويات كتب وأبواب جامعه الصحيح.

والمتأمل في حواشي هذا الكتاب يقف على حقيقة هامة حول هذا الكتاب، وهي أن البخاري كاد أن يغطي أبرز أحداث سيرة الرسول ﷺ في جميع المجالات.

وكذلك الإمام المسلم، فقد أفرد كتبًا وأبوابًا من صحيحه للحديث عن سيرته ﷺ، خاصة في مجال الغزوات والسرايا، أو ما اصطلح عليه بـ«المغازي والسير»، ومثال ذلك كتب: الجهاد والسير، فضائل النبي ﷺ، فضائل الصحابة ﷺ، الإمارة. إضافة إلى المرويات الكثيرة المبثوثة في ثنايا الأبواب الأخرى من صحيحه، وهو ما ستلحظه عند قراءة هذا الكتاب، أو إذا ألقيت نظرة عاجلة على حواشيه، وقد استدرك الإمام الحاكم النيسابوري أحاديث لم يذكرها البخاري ومسلم، وهي حسب معياره على شروطهما أو على شروط أحدهما، وقد تتبعه الإمام الذهبي فوافقه في كثير منها ولم يوافقه في بعضها وسكت عن بعضها، وجاء من بعدهما من تتبعهما ولم يوافقهما في بعض الأحاديث. وفي هذا المستدرك قسم خاص بالمغازي والسير، إضافة إلى الأحاديث الأخرى المبثوثة في ثناياه ذات العلاقة المباشرة بأحداث كثيرة من السيرة، في مجال الغزوات والسرايا وغيرها.

أما كتب السنن الأربعة فأكثرها ذكرًا للسيرة جامع الإمام الترمذي، خاصة في أبواب المناقب. ويليه كتاب سنن أبي داود، ثم كتاب سنن ابن ماجه، خاصة كتاب الجهاد، ثم سنن النسائي.

ويضاف إلى ما سبق، فقد حفل كتاب السنن الكبرى للبيهقي بمادة معتبرة في السيرة.

أما كتب المسانيد، فيتربع على قمتها مسند الإمام أحمد، ويبدو لك جليًا غزارة مادة السيرة فيه - أي الغزوات والسرايا - إذا نظرت في كتاب الجهاد منه بالمجلد رقم ١٣، وكتاب السيرة النبوية بالمجلدات: ٢٠، ٢١، ٢٢ وكتاب المناقب بالمجلد رقم ٢٢، بترتيب البنا الساعاتي، المعروف بـ«الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني». وحسب علمي، فإنها أغزر مادة في السيرة وجدت في كتاب حديث. والمتأمل في المجلدات المذكورة وفي كتابنا هذا: سوف يقف على هذه الحقيقة، وليس هذا بغريب في كتاب ضخم قيل: إنه ضم بين دفتيه نحو ثلاثين أو أربعين ألف حديث، قيل: مع المكرر، وقيل: من دون المكرر[1]. وزاد من فائدته تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، بإشراف الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، في خمسين مجلدًا.

ليست كل كتب الحديث على درجة واحدة من الالتزام برواية الصحيح. فكما هو معروف كان على رأس من التزم الصحة في مروياته الإمامان الشيخان البخاري ومسلم. ولذا يتعين على المرء أن ينظر في أسانيد كتب السنن والمسانيد والمستدركات وغيرها من كتب الحديث التي التزمت الإسناد، فيقبل ما هو صحيح أو حسن، فيحتج به، وإذا استأنس بالضعيف فيما دون ذلك، فعليه أن يكون عالمًا بذلك منبهاً عليه.

ومن نعم الله على عباده أن قيض لهذه الكتب من يقوم بخدمتها - قديمًا وحديثًا - ولذا ترى أن معظم الأحاديث في السيرة وغيرها قد حكم عليه الأئمة وبينوا مرتبته، وهو ما ستلمسه عند مطالعتك في هذا الكتاب.

وقد ألفت كتب خاصة تخدم كتب الحديث، وهي كتب التراجم والطبقات والمعاجم؛ والمتتبع لكتب الطبقات التي تناولت تراجم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ورواة الأحاديث، سيجد فيها كثيراً من الأحاديث التي تتعلق بالسيرة، في جانب الغزوات والسرايا، والتي يمكن تقويمها للاحتجاج بالصحيح والحسن منها، مثل: طبقات ابن سعد، والإصابة لابن حجر، والاستيعاب لابن عبدالبر، وأسد الغابة لابن الأثير، ومعاجم الطبراني، وهو ما ستراه واضحاً عند قراءتك في هذا الكتاب.

---

(١) انظر: المسند (١/ ٣٢-٣٣)، شرح أحمد محمد شاكر، تحت عنوان «طلائع الكتاب»، المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد، للحافظ شمس الدين ابن الجزري.

٣- كتب الشمائل:

على الرغم من أن معظم الأحاديث المتعلقة بشمائل الرسول ﷺ مبثوثة في ثنايا كتب الحديث؛ فقد أفرد لها بعض أهل الحديث كتبا وأبواباً في مصنفاتهم. ومثال ذلك أنك تجد في «صحيح البخاري» ما يسمى بكتاب الأدب، وكتاب الاستئذان، وكتاب اللباس، وتجد في «صحيح مسلم» كتاب: البر والصلة والاداب، وكتاب فضائل النبي ﷺ وكتاب اللباس والزينة وكتاب الزهد والرقائق، وتجد في سنن الترمذي أبواب البر والصلة وأبواب الاستئذان، وتجد في سنن ابن ماجه كتاب الأدب وكتاب الزهد.

ومن أهل الحديث من أفرد شمائل الرسول ﷺ بالتصنيف مثل ما فعل الإمام الترمذي، حيث ألف كتاب الشمائل، الذي اختصره وحققه الشيخ ناصر الدين الألباني، وحققه من قبله الأستاذ الدعاس، ومثل كتاب أخلاق النبي ﷺ وآدابه لأبي الشيخ، والأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي، وغيرهم.

وأفرد الإمام البخاري كتاب «الأدب المفرد» للحديث عن شمائل النبي ﷺ.

وجمعت هذه الكتب الصحيح والسقيم، فعلينا أن نأخذ منها ما ثبت صحته.

٤- كتب دلائل النبوة المعجزات:

لقد تناثرت أحاديث الدلائل والمعجزات في بطون وثنايا كتب الحديث، ولكن أراد بعض العلماء أن يفردوها بالتأليف، وضاع معظمها، ولم يسلم من ذلك سوى النزر اليسير، وأشهرها: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي؛ وعلى الرغم من أن عنوان كتاب البيهقي يشير إلى أن مضمون الكتاب في الدلائل، إلا أن الحقيقة غير ذلك، إذ إن الكتاب فيه كل شيء استطاع أن يجمعه مؤلفه عن سيرة الرسول ﷺ، وقد طبع في سبعة مجلدات، بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلعه جي. وهو من أنفس الكتب في السيرة عامة والدلائل خاصة. فقد استفاد مؤلفه من مؤلفات سابقيه في الحديث، فجاء مصدرًا ومرجعا لا يستغني عنه أي باحث في السيرة، خاصة في مجال الغزوات والسرايا.

وقد جمع السيوطي في كتابه «الخصائص الكبرى» طائفة كبيرة من الدلائل التي ذكرت في كتب سابقيه من رجال الحديث بصفة خاصة.

وتحتاج هذه الكتب إلى مزيد عناية ودراسة وتمحيص لتمييز الصحيح من السقيم، فيستفيد منها من يريد الاستزادة في ضوء صحيح السيرة.

٥- كتب الخصائص:

وأبرز من اهتم بهذا الجانب الإمام السيوطي في كتابه: «الخصائص الكبرى»، والإمام الشامي في كتابه الموسوعة: «سبل الهدى والرشاد . . .».

٦- كتب المغازي والسير:

مما لا شك فيه أن معظم أصل مادة كتب المغازي والسير، هي مرويات مبثوثة في كتب السنة، حتى إن المحدثين عندما عرّفوا السنة، جعلوا السيرة جزءًا منها، فقالوا: «إنها كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة».

وكما ذكرنا عند الكلام عن كتب الحديث باعتبارها من مصادر السيرة، لمسنا ما تكوّنه مادة السيرة من أجزاء في كتب الحديث. وكشأن العلوم الإسلامية المختلفة التي أخذت تنفرد بالتخصص في جوانب معينة، فقد أخذ بعض العلماء - وهم أصلاً محدّثون - في إفراد السيرة باهتمام خاص وكتب خاصة.

ولعل أبرز من اهتموا بالكتابة في السيرة عموماً - بمفهومها الضيق: الغزوات والسرايا - في القرن الأول الهجري: عبد الله بن عباس ﷺ (المتوفى سنة ٦٨هـ)، وسعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي، المولود في حياة الرسول ﷺ، وهو والد شرحبيل بن سعيد، وسهل بن أبي حَثْمَة المدني الأنصاري، المولود سنة ثلاث من الهجرة، والمتوفى في عهد معاوية ﷺ، وعروة بن الزبير بن العوام (ت٩٣ أو ٩٤هـ)، وسعيد بن المسيب المخزومي (ت٩٤هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت ما بين ٨٦ و١٠٥هـ)، وأبو فضالة عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري (ت٩٧هـ).

وفي القرن الثاني الهجري، برز: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٧هـ)، ووهب بن منبه (ت١١٤هـ)، وشرحبيل بن سعيد (ت١٢٣هـ)، وأبو روح يزيد بن رومان الأسدي (١٣٠هـ)، وأبو الأسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل الأسدي، يتيم عروة (ت١٣١هـ)، وعبدالله بن أبي بكر بن حزم (ت١٣٠ - ١٣٥هـ)، وموسى بن عقبة (ت١٤١هـ)، ومحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني

(ت١٥١هـ)، ويونس بن يزيد الأيلي (ت١٥٢هـ)، ومعمر بن راشد البصري (ت١٥٤هـ) وأبو معشر السندي (ت بعد سنة ١٧٠هـ)، وأبو إسحاق الفزاري (ت١٨٦هـ)، والوليد بن مسلم الدمشقي (ت١٩٥هـ).

وبرز في القرن الثالث الهجري: محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ) وعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، وسعيد بن المغيرة بن الصياد المصيصي (ت٢٢٠هـ)، وأحمد بن محمد الوراق (ت٢٢٨هـ)، ومحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)، ومحمد بن عائذ القرشي (ت٢٢٤هـ)، وسليمان طرخان التيمي (ت٢٤٥هـ)، وهشام بن عمار (ت٢٤٥هـ) وسعيد بن يحيى الأموي (ت٢٤٩هـ)، وعمر بن شبة بن عبيد (ت٢٦٢هـ).

لقد قسم بعض المؤرخين هؤلاء المؤلفين في السيرة إلى طبقات: أولى وثانية وثالثة ورابعة. فأشهر رجال الطبقة الأولى، أبان وعروة وشرحبيل وابن منبه، ولم تصلنا كتبهم، بل وصلنا كثير من مروياتهم في السيرة مبثوثة في بطون كتب اللاحقين من أهل المصنفات الكبيرة في الحديث والتفسير والسيرة. وعثر المستشرق بيكر على قطعة من كتاب المغازي لوهب، بين أوراق بردي شتارينهارت المحفوظة الآن بمدينة هيدلبرج الألمانية، برواية عبدالمنعم ابن بنت وهب، وهو عند المحدثين من الكذابين، وقام الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، بجمع مرويات عروة في السيرة، برواية أبي الأسود، ونشرها في كتاب بعنوان: (مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير - برواية أبي الأسود يتيم عروة).

ومن أشهر رجال الطبقة الثانية: عبدالله بن أبي بكر وعاصم والزهري، وكذلك لم تصلنا كتبهم، بل وصلتنا كثير من مروياتهم في كتب اللاحقين، وقد قام الدكتور سهيل زكار بجمع كثير من مرويات الزهري من بطون الكتب، ونشرها في كتاب تحت عنوان: (المغازي النبوية ...)، ومن بعده من زاد في هذا ... بعنوان:

ومن أشهر رجال الطبقة الثالثة: ابن عقبة وابن راشد وابن إسحاق، وثلاثتهم من تلاميذ الزهري، والفزاري والوليد والواقدي وعبد الرزاق والمصيصي وابن سعد والوراق وابن عائذ وابن أبي شيبة وابن طرخان وابن عمار والأموي، وقد وصلتنا أجزاء من كتب معظم رجال هذه الطبقة، لقد وصلتنا أجزاء من مغازي ابن عقبة، وهو القطعة التي وجدها إدوارد سخاو، ونشرها مع ترجمة ألمانية له سنة ١٩٠٤م،

وأجزاء من سيرة ابن إسحاق، أهمها الجزء المشهور بسيرة ابن هشام، ثم الجزء المسمى (السير والمغازي)، وقد صدرت طبعة منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي، وأخرى بتحقيق الدكتور سهيل زكار، وسيرة الرسول ﷺ للفزاري، حيث وجد منها جزءان بمكتبة جامعة القرويين بالمغرب، وسينشرها - إن شاء الله - الدكتور فاروق حمادة، ومغازي الواقدي، وهو كتاب مطبوع في ثلاث مجلدات، بتحقيق المستشرق مارسدن جونز، ووصلنا كتاب السيرة لعبدالرزاق ضمن مؤلفه المشهور (المصنف)، وهو مطبوع متداول. ووصلنا كتاب ابن سعد المعروف بـ(الطبقات الكبرى)، وطبع في سبعة مجلدات، المجلد الأول والثاني في السيرة النبوية، ومعظم مروياته في السيرة من طريق شيخه الواقدي، فقد نقل عنه في ثلاثة وأربعين ومائة موضع[1]. ووصلنا كتاب ابن عائذ، ولكنه ما زال مخطوطًا بالمتحف البريطاني بلندن. ووصلنا كتاب ابن أبي شيبة، المعروف بـ(تاريخ ابن أبي شيبة) وهو مخطوط، ومنه نسخة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ويلحظ أن من قسم مؤرخي السيرة إلى هذه الطبقات، أهمل ذكر أسماء كثيرة ممن ذكرنا، ولم يضعها في مكانها المناسب من الطبقات.

يتفاوت حجم المادة في السيرة بين مؤلف وآخر كما ستراه واضحا من خلال المستشهد به في هذا الكتاب، ومن خلال نظرتك للمطبوع والمخطوط والمتناثر في بطون الكتب، فنجد - مثلاً - مادة غزيرة في السيرة عند ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والفزاري وعروة بن الزبير والزهري وابن أبي شيبة وابن عقبة، والأموي، بينما نجد مادة أقل نسبيًا عند الوليد وابن طرخان وابن عائذ وابن عمار .. ولم يكن كل هؤلاء المصنفين في السيرة على درجة واحدة من حيث توثيق علماء الجرح والتعديل. فبينما نجدهم يعدلون بعضهم ويضعونهم في طبقات الثقات، نجدهم يجرحون بعضهم ويضعونهم في طبقات المدلسين أو الضعفاء أو المتروكين.

على الرغم من شهرة هؤلاء الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم عند المحدثين، وتوثيقهم لمعظمهم، إلا أنه لم يشتهر منهم عند بعض المؤرخين سوى العدد القليل،

---

(١) انظر: زياد محمد منصور، مقدمة تحقيقه لكتاب الطبقات لابن سعد، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ص٥١. فقد أحصى الأستاذ زياد عدد الروايات التي نقلها ابن سعد عن كل شيخ من شيوخه.

وهم: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، وخاصة ابن إسحاق الذي تميز على غيره بأن اشتهرت سيرته بين عامة الناس وخاصتهم، وستعلم حكم علماء الرجال فيهم من حيث الحديث، أما من حيث معرفتهم بالمغازي والسير، فلم تنكر إمامتهم في هذا الميدان. وحتى ما لحق بعضهم من تجريح في ميدان الحديث لم يكن مجمعًا عليه بين علماء الرجال، كما سترى بعد قليل.

ويرجع السبب في شهرة سيرة ابن إسحاق بين العامة إلى عدة أمور منها:

١- اتباعه أسلوب التسلسل الزمني في إيراد الأحداث، وقد استفاد في هذا من شيخه الزهري الذي صنف سيرته على الحوليات والأبواب. وكان هذا التسلسل المنهجي مبتكرًا في عصره.

٢- كان يجمع كل ما يصله من مرويات عن الواقعة الواحدة ويسوقها مساقاً واحداً دون الالتزام الصارم بتمييز رواية كل شخص على حدة، وهو ما عابه عليه أهل الحديث، وبذلك جعل السيرة قصة متكاملة شاملة، فأضحت قريبة إلى قلب المستمع، وأيسر للفهم والتلقين والحفظ، لا سيما لدى طلاب العلم المبتدئين.

٣- سعة علم ابن إسحاق ومكانته العلمية في عصره، وفصاحته في الإيراد.

٤- أعطاها تهذيب ابن هشام بهاء وجلاء، وفتح للعلماء باب الاهتمام بها، فتناولوها بالدراسة والشرح والتعليق، ووصل رواياتها المنقطعة ... وغير ذلك[1].

أما شهرة الواقدي وتلميذه ابن سعد[2] عند المؤرخين المحدثين فيرجع إلى ذات الأسباب: ١، ٢، ٣، التي أدت إلى شهرة سيرة ابن إسحاق، مع مراعاة تفوق ابن إسحاق في الفصاحة، وقبول لدى بعض المحدثين.

ولأهمية هؤلاء الأعلام الثلاثة في ميدان السيرة، سوف نلقي بعض الضوء على مكانتهم العلمية، ليقف بعض زملائنا المؤرخين والقراء على ذلك.

ابن إسحاق (ت١٥٠ أو ١٥١هـ):

هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي. كان ولاؤه لقيس بن مخرمة بن

---

(١) انظر في هذه النقاط: الدكتور فاروق حمادة: مصادر السيرة، ص ٧١-٧٢.

(٢) مع ملاحظة أن معظم علم ابن سعد هو علم الواقدي.

المطلب بن عبد مناف القرشي، سبي خالد بن الوليد جده يسار من بلده عين التمر، قرب الأنبار العراقية، سنة اثنتي عشرة هجرية[١].

نشأ في المدينة المنورة، واهتم بالجلوس إلى العلماء لحفظ الحديث. فقد تتلمذ على القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبان بن عثمان، وأبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، ونافع مولى عبدالله بن عمر، وابن شهاب الزهري. ورأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وتنقل بين كثير من الأمصار الإسلامية المشرقية، ولذا تفرد بأحاديث عن شيوخ من تلك الأمصار.

واختلف أهل الحديث في عدالته، فقد وصفه الإمام مالك بن أنس بأنه دجال من الدجاجلة، واتهمه هشام بن عروة بن الزبير بالكذب لأنه كان يروي عن زوجته فاطمة بنت المنذر بن الزبير، وكان هشام ينكر سماع ابن إسحاق عنها، ويقول: هو كان يدخل على امرأتي؟. ورمي بالقدر[٢] والتشيّع ولم يرو له الإمام مسلم في صحيحه إلا مقرونًا بآخر، أي روى له في المتابعات. وكذلك لم يرو له الإمام البخاري في صحيحه إلا المعلقات[٣].

ووثقه جماعة منهم شعبة بن الحجاج - إمام علم الرجال في عصره - حيث قال عنه: «محمد بن إسحاق أمير المؤمنين - يعني في الحديث»، وقال: «لو كان لي سلطان لأمّرت ابن إسحاق على المحدثين». وكان أصحاب الزهري يلجأون إليه فيما شكّوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه، ووثقه يحيى بن معين، إذ قال عنه: «ابن إسحاق ثبت في الحديث». وسئل عنه فقال: «قال عاصم بن عمر ابن قتادة: لا

---

(١) ابن سعد: الطبقات (٧/ ٣٢١)، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (١/ ٢١٤)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(٢) القدرية هم الذين يقولون: إن العباد يفعلون ما لا يريده الله عز وجل، ولم يقدره من أفعال الشر، مثل القتل والزنا وغير ذلك.

انظر: عبدالله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٢.

(٣) والمراد بالمعلق: ما حذف من مبدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد، وتارة يجزم به كما في التصدير بكلمة «قال»، وتارة لا يجزم به كما في التصدير بكلمة «يذكر».

انظر: ابن حجر: هدي الساري، الفصل الرابع، ص١٥ وما بعدها. ومثالاً للمعلق انظر: البخاري، الفتح (١٥/ ١٤١، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة).

يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق». ووثقه يحيى بن سعيد القطان وابن حنبل واحتج هؤلاء الأئمة بحديثه، وروى له أصحاب السنن والمسانيد والمستدركات وغيرهم. وروى عنه الأئمة الكبار، أمثال: يحيى بن سعيد الأنصاري - شيخ الإمام مالك - والسفيانان. ومما قاله عنه سفيان بن عيينة: «ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحاق في حديثه». وروى عنه الحمادان «حماد بن سلمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم» والثوري، وشعبة وابن جريج. وقال أبو زرعة: «قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه». وقال عنه الذهبي: «حسن الحديث، صالح صدوق، وما انفرد به ففيه نكارة، وقد احتج به أئمة ...». وذكره البخاري في تاريخه ووثقه ولم يذكره في كتاب الضعفاء. وقال ابن عدي: «فتشت أحاديثه الكثيرة، فلم أجد ما تهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتُّهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره».

وقال من وثقه من العلماء: إن جرح من جرحه لم تتوافر فيه شروط الجرح المقبول، ولذا ردوا ذلك التجريح، واعترفوا بمنزلة ابن إسحاق.

وساق ابن سيد الناس[1] والخطيب البغدادي[2] جميع الأقوال فيه -تقريبًا - جرحًا وتعديلاً، ثم فنّداها، وجنحا إلى توثيقه.

ومن أبرز العلماء المعاصرين الذين تناولوا أقوال العلماء القدماء في ابن إسحاق، جرحًا وتعديلاً، الدكتور سليمان بن حمد العودة، في مقدمة رسالته للدكتوراه: «السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ...»، والدكتور سفر ابن سعيد بن دماس الغامدي في بحثه المنشور بمجلة البحوث الإسلامية، العدد رقم (٥٤)، سنة ١٤١٩هـ، بعنوان: «إمام المغازي محمد بن إسحاق».

أما إمامته في المغازي والسير فقد اتفق عليها الجميع، وخاصة رأي المحدّثين في حديثه، أنه في مرتبة الحسن لذاته، إذا صرح بالتحديث، وروى بإسناد متصل رجاله ثقات، وذلك لأنه من المدلسين.

ووصلت تحقيقات حديثة عند ابن هشام إلى الخمسة إلى الآن.

---

(١) عيون الأثر في فنون المغازي والسير، ص٨-١٧.

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢١٤-٢١٥).

أثر ابن هشام في سيرة ابن إسحاق:

جمع ابن هشام سيرة ابن إسحاق برواية البكائي[١]، ثم تعقب ابن إسحاق في بعض ما أورده بالتحرير والاختصار والنقد، أو بذكر رواية أخرى فات ابن إسحاق ذكرها. ويبدو لنا أثر ابن هشام جليًا في سيرة ابن إسحاق عندما نقف على منهجه في نقلها إلينا، إذ يقول: «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ، وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن من شيء وليس سببًا من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهدًا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارًا ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء يشنع الحديث بها، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك بمبلغ الرواية له، والعلم به»[٢].

ولهذا العمل الذي قام به ابن هشام كاد الناس ينسون مؤلفها الأول: ابن إسحاق.

الواقدي (ت٢٠٧هـ):

هو محمد بن عمر بن واقد أبو عبدالله الواقدي المديني، نزيل بغداد، مولى عبدالله بن بريدة الأسلمي.

ضعفه في الحديث أكثر النقاد من المحدثين الأوائل. فقد قال عنه البخاري والرازي والنسائي والدارقطني: إنه متروك الحديث. ووثقه الدراوردي، ويزيد بن هارون، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر الصنعاني، ومصعب الزبيري،

---

(١) هو زياد بن عبدالله بن الطفيل البكائي العامري (ت١٨٣هـ)، قال عنه ابن حجر في التقريب، ص٢٣٠: «صدوق ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين...»، وله في البخاري موضع واحد متابعة. قلت: قال السهيلي (١/١): والبكائي هذا ثقة خرّج عنه البخاري في كتاب الجهاد، وخرج عنه مسلم في مواضع من كتابه، وحسبك بهذا تزكية. وقد روى زياد عن حميد الطويل، وذكر البخاري في التاريخ عن وكيع قال: زياد أشرف أن يكذب في الحديث.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (١/٣٦).

ومجاهد بن موسى، والسبيب، وإبراهيم الحربي[١]، وأصبح المعول على رأي البخاري وجماعته، ولذا قال ابن حجر في التقريب: «متروك مع سعة علمه». ولم يخرج له من الجماعة سوى ابن ماجه.

وقد ساق ابن سيد الناس[٢] جميع الأقوال فيه - تقريباً - جرحًا وتعديلاً، ودافع عنه، وقوى من أمره.

ومع أن أغلب العلماء يضعفونه في الحديث، إلا أن إمامته في المغازي والسير لا تنكر[٣].

إن من أهم السمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصة بين أصحاب السير والمغازي، تطبيقه المنهج العلمي الفني، فقد كان يرتب التفاصيل المختلفة للحوادث بأسلوب منطقي لا يتبدل، فهو مثلاً يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار، ثم يذكر المغازي واحدة واحدة، مع تحديد لتاريخ الغزوة، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة أو السرية، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي ﷺ وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيراً يذكر شعار[٤] المسلمين في القتال.

وإذا كان قد نزل كثير من الآيات القرآنية بمناسبة الغزوة أو السرية المعينة فإنه يفردها بمبحث خاص في نهاية الحادثة، ويفسرها.

ابن سعد: (ت٢٣٠هـ):

هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، مولاهم، أبو عبدالله البصري، المعروف بابن سعد، وبكاتب الواقدي، لكونه لازم شيخه الواقدي زماناً طويلاً، وكتب له.

وكاد ابن سعد يسلم من جرح النقاد لولا أن ابن معين كذبه[٥].

وقد ذكر زياد منصور[٦] أقوال النقاد فيه، وناقشها، ومما قاله في مناقشته:

---

(١) انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٥-٣٦٥).

(٢) عيون الأثر، ص١٧-٢١.

(٣) انظر: طوهوني، مرجع سبق ذكره (١/ ٢٤-٢٩).

(٤) مثلاً كان شعار النبي ﷺ في إحدى غزواته: أمت. أخرجه أبو داود في الجهاد، باب ٧١، ٩٣.

(٥) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (٥/ ٣٢١).

(٦) مقدمة تحقيقه الطبقات الكبرى...، ص٤٢-٤٦، والنص المذكور في ص٤٥.

«يتضح انفراد يحيى بن معين في تكذيب ابن سعد، ودفاع الخطيب البغدادي والسمعاني وابن تغري بردي، يبعد عنه ذلك، إلا أن الحافظ عدوا ابن معين في طبقة المتشددين من بين طبقات النقاد. فلا يقبل قوله إذا انفرد بالجرح وخالفه بقية النقاد ...».

وقال: «ويظهر من أقوال النقاد أنهم لم يلمزوه في عدالته، بل عاب بعضهم عليه روايته عن الضعفاء. ويتضح ذلك في قول ابن الصلاح (ت٢١٣هـ): «هو ثقة غير أنه كثير الرواية في الطبقات عن الضعفاء ومنهم الواقدي محمد بن عمر»[1]. وممن وثقه أبو حاتم الرازي، وهو من المتشددين أيضًا، والذهبي، وابن حجر، اللذان عليهما التعويل في الموازنة والترجيح بين أقوال قدامى النقاد، والوصول إلى الأحكام المتزنة والأقوال المعتدلة».

«كما لا تعتبر رواية ابن سعد عن الواقدي وغيره من الضعفاء سببًا في الطعن عليه، فقد شاركه في هذا كبار الحفاظ، ومن أسند فقد أحال، وابن سعد يسوق الروايات عن الضعفاء والثقات بالأسانيد، ويبرأ من العهدة، ولم يقل إن شرطه ذكر الروايات الصحيحة، فلا حجة عليه في ذلك»[2].

٧- المؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين:

أفرد بعض العلماء كتبا خاصة في تاريخ مكة والمدينة وما يتعلق بهما من أخبار وآثار قبل الإسلام وبعده. ومن أهم الكتب المطبوعة في هذا: «أخبار مكة ...»، لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي (ت٢٥٠هـ). وقد قام بتحقيقه الشيخ رشدي الصالح ملحس. أما الكتب غير المطبوعة في تاريخ الحرمين، فمثل كتاب ابن النجار أبي عبدالله البغدادي محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله: «تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار»، أما كتابه: «الدرة الثمينة في أخبار المدينة»، فقد نشره محققا صالح محمد جمال بمكة عام ١٩٦٦م بعنوان: «أخبار مدينة الرسول ﷺ»، و«أخبار مكة» للفاكهي (ت٢٨٠هـ)، وقد طبع وستنفيلد زياداته على الأزرقي. وله مخطوطات في بعض الخزائن. طبع مصوراً في بيروت سنة ١٩٦٤م. وقد حققه عبدالملك بن دهيش

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٣، وانظر: كلام ابن الصلاح في مقدمة ابن الصلاح، ص٥٩٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٦.

عام ١٤٠٧هـ و«تاريخ المدينة»، لابن زبالة (ت قبل سنة ٢٠٠هـ)، و«تاريخ المدينة»، لابن بكار (ت٢٥٦هـ)، و«تاريخ المدينة»، لعمر بن شبة (ت٢٦٢هـ). وقد طبعه الشيخ السيد حبيب محمود أحمد - ناظر أوقاف المدينة المنورة - بتحقيق فهيم شلتوت سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، وحققه تحقيقًا علميًا حديثًا، الشيخ: عبدالله الدويش في أربعة أجزاء [المجلد السادس: ج: ١-٤] ضمن موسوعته العلمية التي من ٦ مجلدات، وفيه مادة غزيرة في السيرة النبوية. و«شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام»، لمحمد بن أحمد الفاسي (ت٨٣٢هـ)، نزيل مكة، وقد حققه في مجلدين الدكتور عمر عبدالسلام تدمري سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وله أيضًا: «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»[1]، «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، للسمهودي (ت٩٢٢هـ). وقد طبع أخيراً في ثلاث مجلدات، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

وتتم الاستفادة من هذه المؤلفات بعد النظر في أسانيدها، وتمييز صحيحها من سقيمها، فيعتمد الصحيح ويحتج به في مسائل العقيدة والأحكام، وما سوى ذلك، مثل الخطط والأوصاف والآثار، فلا ضير من الاستئناس به على ضعفه، مع التنبيه إلى هذا.

٨- كتب التاريخ العام:

إن هذا الصنف من المؤلفات يتناول تاريخ الأمم والدول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام وبعده إلى زمان المؤلف. وكثيراً ما تبدأ من بدء الخلق، وهي كثيرة، وأهمها:

أ- تاريخ الأمم والرسل والملوك:

لابن جرير الطبري، المشهور بتاريخ الطبري. والطبري محدث واسع الرواية، وقد ضمّن تاريخه قسمًا كبيراً من السيرة؛ ولكنه يروي الصحيح والضعيف والواهي، ولذا كان مرتعًا خصبًا لكثير من أهل الأهواء لتشويه الإسلام وتاريخه، إذ يأخذون الواهي فيحتجون به، ويحيلون القارئ إلى الطبري. ولذا لا بد من النظر في أسانيده في ضوء منهج النقد الحديثي، لأن جل الحفاظ الأقدمين، ومنهم الطبري، يروون في مصنفاتهم الروايات الضعيفة والواهية مع سكوتهم عليها في الغالب، لأنهم يرون أنه

(١) انظر: الدكتور فاروق حمادة، مصادر السيرة، ص٧٨-٧٩.

متى ما أبرزوا الإسناد فقد برئوا من العهدة، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده؛ أي العهدة على الراوي. والطبري نفسه يقول في مقدمة تاريخه: «... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنًى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنَّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»[1]. والطبري إمام ثقة.

ب- تاريخ خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ):

رتب ابن خياط كتابه على الحوليات سنة فسنة، وبدأه بالكلام على كيفية بدء التاريخ الهجري، ثم كتب عن السيرة فصلاً قصيراً في نحو الخمسين صفحة، اعتمد فيه بالدرجة الأولى على محمد بن إسحاق من رواية بكر بن سليمان[2] ووهب بن جرير بن حازم[3]. وشملت مادة ابن إسحاق عنده سائر الأحداث الهامة المتعلقة بالسيرة بإيجاز، إذ اختصر روايات ابن إسحاق، فأعطى هيكل السيرة دون تفصيل.

وبما أن العصفري كان من المحدثين الثقات الذين أخرج لهم البخاري في الصحيح وغيره، فقد ظهر أثر ذلك في تاريخه، وفي قسم السيرة منه كان يروي بأسانيد عن شيوخه، وفيهم طائفة كبيرة من ثقات المحدثين وأئمتهم، كابن عيينة، ويزيد بن زريع وغندر وإسماعيل بن علية، وفيه أسانيد في غاية الصحة والثقة[4]. قال عنه ابن حجر في التهذيب: «... صدوق ربما أخطأ. إخباري».

ج- كتب أخرى:

ومن كتب التاريخ العام الأخرى الهامة: كتاب «البدء والتاريخ» لابن طاهر المقدسي (ت٣٥٥هـ)، وكتاب «فتوح البلدان» لأحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ)، وله كثير من الأسانيد الصحيحة، وتميز بنقل عدد من نصوص العهود والمعاهدات

---

(١) تاريخ الطبري (١/٨).

(٢) سكت عنه البخاري، وقال أبو حاتم: هو مجهول. انظر: البخاري: التاريخ الكبير (م١/٢/٩٠)، وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (م٦/١/٣٨٧).

(٣) وهب: من ثقات المحدثين (ت٢٠٦هـ). انظر: تقريب التهذيب، ص٥٨٥: وجرير ثقة، في حديثه عن قتادة ضعف، له أوهام إذا حدث من حفظه. التقريب، ص١٣٨.

(٤) الدكتور حماقة: مصادر السيرة، ص٨١، د. العمري: مقدمة تحقيقه لتاريخ ابن خياط، ص٥-١٨.

التي كان النبي ﷺ يكتبها للمعاهدين، وكتاب «تاريخ اليعقوبي»، لأحمد بن جعفر بن وهب (ت٢٩٢هـ)، وقد أهمل الإسناد واهتم بإيراد نماذج من خطب الرسول ﷺ، وكتب أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ)، مثل: «مروج الذهب» و«التنبيه والإشراف».

وفيها يسوق الأحداث مختصرة، وبدون إسناد، وربما يعزو إلى من نقل عنهم، أمثال الواقدي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي عبيد القاسم بن سلام.

وكتاب «تاريخ دمشق الكبير» لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت٥٧١هـ)، حافظ عصره، وفي قسم لسيرة منه: ينقل رواياته بالأسانيد، وفي أحايين كثيرة يُقَوِّمُ أسانيده، وكتاب «المحبَّر» لابن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، ولكنه لم يهتم بالإسناد، و«المعرفة والتاريخ» للفسوي، أبي يوسف يعقوب بن سفيان (ت٢٢٧هـ)، و«التاريخ الكبير»، لابن أبي خَيْثَمَةَ، أبي بكر أحمد بن زهير بن حرب (ت٢٧٩هـ)، و«عيون الأخبار» و«المعارف» لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٠هـ)، و«الأخبار الطوال»، للدينوري: أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ)، و«تاريخ الإسلام» للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، و«البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ).

وهذه الكتب تروي الصحيح والحسن والضعيف بأنواعه، فلا تعتمد رواياتها إلا بعد النظر في أسانيدها[1].

٩- **كتب الأدب:**

اهتم المؤلفون الأقدمون بالشعر المتعلق بالأحداث، على رأسهم ابن إسحاق وابن هشام، وتابعهم في هذا الأئمة بمن فيهم أمثال البخاري ومسلم. إلا أنهم ساقوا الشعر للاستشهاد، وينبغي الاستيثاق من نسبته إلى قائليه.

ومن بين أهم كتب النثر التي تضمنت نصوصًا نبوية، كتب الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، مثل: «البيان والتبيين»، و«الحيوان»، وبعض هذه النصوص صحيح وبعضها مكذوب. وكتب عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، مثل: «المعارف»، و«الشعر والشعراء»، وقد كان محدثاً كبيرًا، ومن علماء القرآن والتفسير، وأديباً عظيمًا، وقد عاصر أصحاب الكتب الستة، واشترك معهم في عديد من الشيوخ. وكتاب: «الكامل في

(١) الدكتور حماد: المرجع نفسه، ص٨٢-٨٨.

اللغة والأدب»، لمحمد بن يزيد، المعروف بالمبرد، وكتب أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت٣١٧هـ). مثل كتابه: «الوقف والابتداء»، و«الأضداد».

وأهم كتب الأدب: «الأغاني»، لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، و«العقد الفريد» لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي (ت٣٢٧هـ).

وفي كتاب «الأغاني»، يسوق أبو الفرج الأخبار بالإسناد في غالب الأحوال، فاطمأن كثير من الباحثين إلى رواياته دون النظر في تقويمها، ولذا كان مرتعًا خصبًا لأهل الأهواء من المستشرقين ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، أو من جهل المنهج العلمي لتقويم المصادر.

لقد أعدت دراسات معتبرة حول كتاب الأغاني ومؤلفه، نبهت إلى خطورة الثقة بهما، ومن أبرز هذه الدراسات:

١- جولة في آفاق الأغاني، بقلم الأستاذ نذير محمد مكتبي - البصائر، ١٠، ص٧-١٠٩.

٢- دراسة الدكتور داود سلوم في شخصية أبي الفرج الأدبية والفكرية من خلال كتابه. وفيه دراسة لمصادره وأسانيده ونصوص رواياته وأخباره..

٣- دراسة شوقي أبي خليل في كتابه: «هارون الرشيد ...» الفصل الذي عنوانه: «من شوه سيرة الرشيد؟»، ص ١٢٣-١٣٣.

٤- الدكتور زكي مبارك: «النثر الفني في القرن الرابع الهجري»، ص٢٨٨-٢٩٠.

فقد تناول جانبًا من شخصية أبي الفرج، وأبدى رأيه في خلقه الشخصي وفي كتابه من حيث هدف مؤلفه. ونبه إلى فكرة خاطئة، وهي اقتران العبقرية بالنزق والطيش والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرف والدين. ونبه إلى أن الخطر كل الخطر، أن يطمئن الباحثون إلى أن لرواية الأغاني قيمة تاريخية، وأن يبنوا على أساسها ما يشاؤون من حقائق التاريخ.

لقد نقل ابن كثير[1] رأي ابن الجوزي فيه، وهو: «ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٩٤).

تأمل كتابه رأى فيه كل قبيح ومنكر، وقد روى الحديث عن محمد بن عبدالله بن بطيت وخلق، وروى عنه الدارقطني وغيره ...».

أما «العقد الفريد»، ففيه فوائد عن السيرة، ينبغي أن تمحَّص كسائر كتب الأدب التي تجري على منواله.

ولم يحتجّ المؤلف برواية من روايات هؤلاء الأدباء، لأن كنوز السنة الملقاة عن الثقات من أهل العلم أغنت عن روايات أمثالهم.

كلمة أخيرة عن المصادر:

إن من ألف في السيرة النبوية بعد هؤلاء الذين ذكرنا، قد اعتمد عليهم اعتماداً كبيراً في تأليفه، وعلى الباحث والمؤلف الحديث أن ينظر في أسانيدهم ويمحصها، ليحتج بالصحيح منها ويستأنس بالضعيف فيما لا يتعلق بالعقيدة والأحكام، ويدع الواهي، وينبه إلى كل ذلك، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حي عن بينة.

إن رواية الضعيف أو الاستئناس به منهج اعتمده ونبّه إليه بعض أئمة الحديث، على رأسهم الإمام أحمد، فقد قال بهذا الشأن: «إذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكمًا ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد»[1].

وقال الذهبي[2]: «أكثر الأئمة على التشديد في أحاديث الأحكام، والترخيص قليلاً لا كل الترخيص، في الفضائل والرقائق، فيقبلون في ذلك ما ضعف إسناده، لا ما أُتُّهم رواته، فإن الأحاديث الموضوعة والأحاديث الشديدة الوهن لا يلتفتون إليها».

وقال ابن رجب الحنبلي[3]: «فقد رخص كثير من الأئمة في رواية الأحاديث الرقاق ونحوها عن الضعفاء، منهم ابن مهدي وأحمد بن حنبل».

---

(١) الخطيب البغدادي - أبو بكر أحمد بن علي: الكفاية في علم الرواية. تحقيق د. أحمد عمر هاشم، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٦٣، يسنده إلى الإمام أحمد. وانظر نصوصًا أخرى لأئمة آخرين بالمصدر نفسه، ص١٦٢-١٦٣، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٣/ ١٦١)، ط١، تحقيق عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٠م.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٢٠).

(٣) شرح العلل للترمذي (١/ ٧٣)، طبعة نور الدين عتر.

وتقويمنا لكل ما ألف في عصرنا هذا والعصور التي سبقته، يعتمد على النظر في أسانيدهم، ومن ثم تقويمها، فالمؤلفات التي تبين درجة مروياتها، وتعتمد الصحيح وتحتج به، فهي الجديرة عندنا بالاهتمام.

وما دامت مادة السيرة النبوية الموجودة في المصادر المحترمة التي أشرنا إليها غزيرة جدًا ومعظمها صحيحة؛ فينبغي الاعتماد عليها، إذ لا توجد ضرورة للاعتماد على الروايات الضعيفة، مع وجود الروايات الصحيحة.

وكما قيل: «وبضدها تتميز الأشياء»، فإذا أردنا أن نقف على فضل وآثار القيم الحضارية الإنسانية التي دعا إليها الرسول محمد ﷺ انطلاقًا من بيئة جزيرة العرب، كان علينا أن نتعرف على هذه البيئة، وباختصار شديد.

الجزيرة العربية قبل الإسلام

نشأة مكة:

هاجر إبراهيم ﷺ من العراق إلى الشام، ثم من الشام إلى مصر. وكان يحمل معه في ترحاله هذا رسالة التوحيد[١]، وكانت ترافقه زوجته سارة. وكانت امرأة جميلة، وكان من عادة ملك مصر آنذاك أن يستأثر لنفسه بكل امرأة جميلة. وشاء الله أن يصرفه عن سارة. وتنقلب منه بجارية لتخدمها، وهي هاجر أم إسماعيل ﷺ[٢].

ولما كانت سارة عقيماً، وطعن إبراهيم ﷺ في السن، وابيض شعره، رأت أن تهب له الجارية هاجر ليتزوجها، لعل الله يرزقه منها ذرية صالحة. وشاء الله أن تلد له هاجر ابنها الأول، فسماه إسماعيل[٣].

واشتدت الغيرة بسارة عندما ولدت هاجر إسماعيل، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء[٤]. فاتخذت هاجر منطقاً له ذيل. فشدت به وسطها، وهربت مع زوجها، وهي تجر ذيلها لتخفي أثرها عن سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند مكان البيت الحرام، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد[٥]، وليس بها ماء. ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفل راجعاً: فتبعته هاجر، فقالت: «يا إبراهيم: أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟» فقالت له ذلك مراراً، وهو لا يلتفت إليها، فقالت له أخيراً: «آلله الذي أمرك بهذا؟»، قال: «نعم»، قالت: «إذن لا يضيعنا». ثم رجعت. فانطلق إبراهيم ﷺ حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرى،

---

(١) انظر: الآية (١٢٠) من سورة النحل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝﴾

(٢) انظر: البخاري، الفتح (١٣/ ١٣٤-١٣٥، ح٣٣٥٨).

(٣) انظر: الخبر من رواية ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص١٣، بإسناد ضعيف، والأزرقي: أخبار مكة (١/ ٥٤)، وإسناد الأزرقي ضعيف.

(٤) ابن حجر: الفتح (١٣/ ١٤١، شرح الحديث ٣٣٦٤).

(٥) روى الأزرقي: أخبار مكة (١/ ٥٤) بإسناد ضعيف: أن العماليق كانت تسكن خارجها.

استقبل بوجهه مكان البيت، ثم دعا قائلاً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾، حتى بلغ ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

لم يلبث أن نفد ما عند هاجر من ماء، فعطشت هي وابنها، فكرهت أن تنظر إلى ابنها وهو يتلوى من العطش، فانطلقت حتى قامت على أقرب جبل منها، وهو الصفا، ثم استقبلت الوادي لتنظر، هل ترى أحداً. فلما لم تر أحداً هبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً. فلم تر أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات - وذلك سعي الناس بينهما كما قال الرسول ﷺ - وفي نهاية المرة السابعة جاءها الملك جبريل وأخذ يبحث بعقبه أو بجناحه عن موضع زمزم، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، ثم تغرف منه في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف منه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم»، أو قال: «لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم اليوم عيناً معيناً»[1]. فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: «لا تخافوا الضيعة، فإن هذا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله».

وبينما هي على هذه الحال، مر بهم أهل بيت من قبيلة جرهم اليمانية القحطانية، وعندما وجدوا الماء، استأذنوها في النزول عندها: فأذنت لهم بشرط أن لا يكون لهم حق في الماء، فوافقوا، وأرسلوا إلى بقية أهليهم فنزلوا معهم، وشب الغلام بينهم، تعلم اللغة العربية منهم، وأعجبهم حين شب، فلما كبر زوجوه امرأة منهم[2].

وعندما ماتت هاجر جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يجد حينها ولده إسماعيل بالبيت، فأخبرته زوجه أنه خرج في حاجتهم، وعندما سألها عن عيشهم، شكت إليه مر الشكوى مما يلاقيانه من شدة، فأوصاها أن تقرئه السلام وتقول له: بأن يغير عتبة بيته، فعندما عاد إسماعيل أخبرته زوجته بالذي حدث، فعرف من وصفها أنه أبوه، وفهم الوصية، وفهم أن العتبة تعني زوجته، فطلقها: وتزوج امرأة أخرى. وبعد

---

(١) وفي رواية البخاري أنه قال: «يرحم الله أم إسماعيل: لولا أنها عجلت لكان زمزم عيناً معيناً».
انظر: الفتح (١٣/ ١٤٠، ح٣٣٦٢).

(٢) وقيل: إن زوجته الأولى كانت من العماليق. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (١/ ٢٠٩).

فترة من الزمان عاد إبراهيم عليه الصلاة السلام مرة أخرى فلم يجد إسماعيل بالمنزل؛ وسأل زوجه عن عيشهم، فحمدت الله وأثنت عليه بما وسع عليهم في الرزق، فأوصاها بأن تقرئه السلام وتقول له أن يثبت عتبة بيته. فعندما عاد إسماعيل وأخبر بما حدث؛ عرف أباه وفهم وصيته، فأمسك عليه زوجه.

ثم غاب إبراهيم ما شاء الله، ثم عاد، ووجد ابنه من وراء زمزم يصلح نبلاً له؛ تحت دوحة عظيمة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد مع الولد. فطلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام من ابنه أن يعينه بما أمره الله به، وهو بناء الكعبة على مكان مرتفع قرب زمزم. فكان إبراهيم يبني ويأتيه إسماعيل بالحجارة، حتى ارتفع البناء، فجاءه بحجر المقام فوضعه له فقام عليه. وكانا يقولان وهما يبنيان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧][1].

ليست هذه هي المرة الأولى التي يعين فيها إسماعيل أباه على طاعة الله وتنفيذ أمره، فقد ثبت أن إبراهيم عاد إلى مكة عندما شب إسماعيل، وقد أوحى الله إليه منامًا أن يذبحه قربانًا لله تعالى. فاستشار إبراهيم ابنه إسماعيل في ذلك قائلاً: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢] فأجاب إسماعيل قائلاً: ﴿...يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٣][2].

وخرج به إلى منى لتنفيذ أمر ربه. ولما تله للجبين والسكين بيده، ناداه ربه: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥] وفداه الله بذبح عظيم ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٧][3]، أي بكبش أملح كبير، فترك الولد وذبح الكبش. وفاز الوالد والولد برضا الله تعالى[4].

وعندما فرغ إسماعيل وإبراهيم من بناء البيت، أمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧]، فقيل: صعد ﷺ جبل أبي قبيس أو الحجر أو الصفا، ونادى باسم الله تعالى قائلاً: «أيها الناس! إن ربكم بنى لكم بيتاً فحجوه». فأسمع الله نداءه كل مخلوق،

---

(١) روى هذه القصة البخاري، الفتح (١٣/ ١٤١-١٥٢، ح٣٣٦٤، ٣٣٦٥).

(٢) انظر هذه الآيات في: قصة الذبح والفداء في سورة الصافات: الآيات ١٠٢-١٠٧.

(٣) انظر هذه الآيات في: قصة الذبح والفداء في سورة الصافات: الآيات ١٠٢-١٠٧.

(٤) وانظر تفسير الآيات في: كتب التفسير، مثل: زاد المسير لابن الجوزي (٧/ ٧١-٧٨).

ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، فلبى قائلاً: «لبيك اللهم لبيك»[١].

ودعا إبراهيم وإسماعيل ربهما بما حكاه عنهما القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩][٢]. قال الطبري[٣]: «وهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد ﷺ خاصة، وهي الدعوة التي كان نبينا محمد ﷺ يقول عنها: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى...».

وعاش إسماعيل بجوار البيت الحرام مع أصهاره جرهم إلى أن بعثه الله رسولاً إليهم وإلى كافة من بالحجاز من قبيلة العماليق وأهل اليمن[٤]. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤].

وأنجب اثني عشر ولداً ذكراً. وقد سماهم محمد بن إسحاق، ونقل ذلك عنه ابن كثير[٥]، وأولهما نابت وقيذار. ونابت هو الذي اختير لأن يكون من آباء دعوة إبراهيم وإسماعيل. واختفت حلقات السلسلة الذهبية فيما بين نابت وعدنان لظروف غامضة غير معروفة. وكان عدد الآباء ما بين نابت وعدنان يقدر بستة آباء، وقد عاشوا جميعاً بالحرم المكي، ومع هذا لم تضبط أسماء هؤلاء الآباء الستة. وقد جزم الرسول ﷺ بنسبه إلى عدنان، أما أجداده ما بين عدنان وإسماعيل فمختلف فيهم[٦].

وعندما مات إسماعيل دفن مع أمه في الحجر، وكان عمره مائة وسبعاً وثلاثين سنة. وينتسب كل عرب الحجاز إلى ولديه نابت وقيذار[٧].

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن عهد إبراهيم ﷺ كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد[٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٠).

(٢) انظر تفسيرها عند: الطبري (٣/ ٨٢-٨٨، شاكر).

(٣) التفسير (٣/ ٨٢، شاكر) وقد رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٧-١٢٨)، وإسناده حسن.

(٤) ابن كثير: البداية (١/ ٢٠٩)، بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٥) البداية (١/ ٢٠٨)، بدون إسناد، فهو إذن خبر ضعيف.

(٦) انظر الأقوال في هذا عند: ابن عساكر: تاريخ دمشق، قسم السيرة، ص٣٦-٥٣.

(٧) ابن كثير: البداية (١/ ٢١٠).

(٨) انظر: أحمد سومة: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٣٢.

تعدد بناء الكعبة:

المرة الأولى: عمارة الملائكة، كما روى الأزرقي[١].

المرة الثانية: عمارة آدم ﷺ، كما روى البيهقي[٢] وغيره[٣].

المرة الثالثة: عمارة أولاد آدم ﷺ، كما روى الأزرقي[٤] وغيره[٥]، عن وهب بن منبه. وذكر السهيلي[٦]، أن الذي بناها شيث بن آدم ﷺ.

المرة الرابعة: عمارة إبراهيم وإسماعيل ﷺ التي ذكرناها، وجزم ابن كثير[٧] بأن هذا كان أول بناء. قال: «ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل ﷺ، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿...مَكَانَ ٱلْبَيْتِ...﴾ [الحج: ٢٦] فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم إلى زمان إبراهيم». وقال الشامي[٨] معلقاً على كلام ابن كثير هذا: «.. وفيه نظر لما ذكر من الآثار السابقة واللاحقة».

المرة الخامسة والسادسة: عمارة العماليق ثم جرهم، كما نقل الشامي[٩] من رواية ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسنده، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن علي ﷺ. قال السهيلي[١٠]: «وقد قيل: إنه بني في أيام جرهم مرة أو مرتين؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه، ولم يكن ذلك بنياناً على نحو ما قدمنا، إنما كان إصلاحاً لما وهى منه، وجداراً بني بينه وبين السيل، بناه عامر

---

(١) أخبار مكة (١/ ٢).

(٢) دلائل النبوة (٢/ ٤٥). وانظر: ابن حجر: الفتح (١٣/ ١٤٤).

(٣) انظر في هذا: السيرة الشامية (١/ ١٧١).

(٤) أخبار مكة (١/ ٨).

(٥) انظر: السيرة الشامية (١/ ١٧٣) حيث ذكر أن ممن رواه ابن المنذر.

(٦) الروض الأنف (١/ ٢٢١) وعنده أنها المرة الأولى.

(٧) البداية والنهاية (١/ ١٧٨).

(٨) سبل الهدى والرشاد (١/ ١٧٢).

(٩) المرجع نفسه (١/ ١٩٢).

(١٠) الروض الأنف (١/ ٢٢٢).

الجارود، وقد تقدم هذا الخبر».

المرة السابعة: عمارة قصي بن كلاب - جد النبي ﷺ - قال الشامي[١]: «نقله الزبير بن بكار في كتاب النسب، وجزم به الإمام أبو إسحاق الماوردي في الأحكام السلطانية»[٢].

المرة الثامنة: عمارة قريش، حين كان للرسول ﷺ خمسة وثلاثون عاماً، كما سيأتي ذكره هنا في المبحث الخاص بمشاركة الرسول ﷺ في بناء الكعبة.

المرة التاسعة: عمارة عبد الله بن الزبير، كما روى الشيخان[٣] وغيرهما.

المرة العاشرة: عمارة الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، كما روى الإمام مسلم[٤]. وعندما شكك عبد الملك في سماع ابن الزبير من خالته عائشة رضي الله عنها حديث الرسول ﷺ: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال: بكفر - لهدمتها وجعلت لها خلفاً وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر»، أكد له الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة - المعروف بالقباع، وأخو عمر بن أبي ربيعة، الشاعر المشهور - أنه سمعه منها، فندم على نقضه وإعادته[٥].

وروي أن الرشيد العباسي عزم على نقضها وإعادتها كما بناها ابن الزبير، فقال له مالك بن أنس: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس. فصرفه عن رأيه فيه[٦].

---

(١) سبل الهدى والرشاد (١/ ١٩٢).

(٢) ص ١٤٣، طبعة دار السعادة، ١٣٢٧هـ.

(٣) انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (١/ ١٩٢-١٩٦).

(٤) صحيحه (٢/ ٩٧١، ح١٣٣٣/ ٤٠٢).

(٥) مسلم (٢/ ٩٧٢، ح١٣٣٣/ ٤٠٣)، السهيلي (١/ ٢٢٢)، الشامي (١/ ١٩٦).

(٦) قال ابن كثير: إن الذي نقضها هو المهدي بن منصور. انظر: البداية والنهاية (١/ ١٨٠) وقال السهيلي (١/ ٢٢٤): إن أبا جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زادا في إتقان المسجد وتحسين هيئته. وقال الدكتور البوطي: «هذا وفي شرح النووي على مسلم والفتح على البخاري، أن الذي هم بنقض الكعبة هو الرشيد، وذكر في عيون الأثر (١/ ٥٣) وإعلام الساجد: أنه أبو جعفر المنصور، ومعلوم أن ملكا - يرحمه الله - عاصر كلا من المنصور وهارون الرشيد، فالاحتمال قائم».

المرة الحادية عشر: بناء السلطان مراد خان العثماني، سنة ١٠٤٠هـ - ١٦٣٠م، ذكره محمد علي بن علان[١] في رسالته التي بهذا الشأن، وسببه ما فعله السيل بالكعبة، حيث أسقط منها بعض الأجزاء[٢].

دلت الآيات القرآنية التي نزلت في شأن بناء الكعبة والأحاديث الصحيحة التي رواها البخاري وغيره على أن أول من بنى الكعبة هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام. وقد كان مكان البيت ربوة عالية مشرفة على ما حولها، معروفة للملائكة، ولمن سبق من الأنبياء، وبقعة مشرفة معظمة من قديم الزمان حتى جاء الخليل فأسس قواعده وبناه.

أما الروايات التي تقول ببناء الكعبة قبل هذا فأغلبها موقوفة على بعض الصحابة أو التابعين، ورواها أهل التاريخ والسير كالأزرقي والفاكهي وبعض المفسرين والمحدثين الذين لا يلتزمون إخراج الروايات الصحيحة أو الحسنة. وقد مر بك قول ابن كثير: «ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل ﷺ».

ويقول أبو شهبة[٣] بعد ترجيحه كلام ابن كثير -: «ولا ينافي ما رجحناه وذهبنا إليه ما روي: أنه ما من نبي إلا وقد حج البيت»، ما رواه أبو يعلى في مسنده بسنده عن ابن عباس قال: حج رسول الله ﷺ، فلما أتى وادي «عُسْفَان» قال: «يا أبا بكر، أي وادٍ هذا؟»، قال: هذا وادي عُسْفَان، قال: «لقد مرَّ بهذا نوح وهود وإبراهيم على بَكَرَاتٍ[٤] لهم حُمْر، خُطُمُهُمْ[٥] اللِّيفُ، وأُزُرُهم[٦] العَبَاء، وأَرْدِيَتُهُم النِّمار[٧]،

---

(١) نقلاً عن: «إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام»، للشيخ أحمد بن محمد المكي، تحقيق الحافظ غلام مصطفى، غلام ١٤٨-١٥٧ .

(٢) وانظر في هذا: «عمارة الكعبة عبر التاريخ»، بحث للدكتور مهدي رزق الله أحمد، نشر بمجلة الدارة، العدد الأول، السنة ٢٤، ١٤١٩هـ ص٩٤-٩٥ .

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/١٢٦).

(٤) بكرات: جمع بكرة، وهي الناقة الفتية القوية.

(٥) خطم: جمع خطام. وهو الزمام الذي تشد به الناقة.

(٦) أزر: جمع إزار، وهو ما يستر به أسفل الجسم من الوسط.

(٧) أردية: جمع رداء، وهو ما يوضع على الكتفين ويستر به النصف الأعلى. والنمار جمع نمرة، وهو الكساء المخطط.

يحجون البيت العتيق»، وما رواه الإمام أحمد[١] في مسنده بسنده عن ابن عباس، قال: لما مر النبي ﷺ بوادي عُسْفَان حين حج قال: «يا أبا بكر، أي وادٍ هذا؟»، قال: وادي عُسْفَان، قال: «لقد مَرَّ به هود وصالح ﷺ على بَكَرَاتٍ لهم حُمْرٍ، خُطُمُهَا اللِّيف، وأُزُرُهم العَبَاء، وأَرْوِيَتُهُم النِّمَار، يلبون يحجون البيت العتيق»، إسناده حسن. وقد تقدم في قصة نوح (١/ ٢٧٨) ﷺ، . . . ، وفيه نوح وهود وإبراهيم». وقال أبو شهبة[٢]: لأن المقصود الحج إلى محله، وبقصته المعروفة، وإن لم يكن ثم بناء.

عمل ابن الزبير ﷺ وغيره في عمارة الكعبة:

عندما قرر ابن الزبير تجديد الكعبة، باشر المسلمون نقضها حتى بلغوا بها الأرض، فأقاموا أعمدة من حولها وأرخوا عليها الستور، ثم باشروا في رفع بنائها، وزادوا عليها الأذرع الستة التي أنقصتها منه قريش، وزادوا في طولها إلى السماء عشرة أذرع، وجعلوا لها بابين من الشرق والغرب، أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه. وذلك استناداً إلى قول الرسول ﷺ الذي رواه الشيخان[٣]: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم»، أو لي معنى هذا.

وذكر الأزرقي[٤]، أن إبراهيم ﷺ جعل طول بناء الكعبة في السماء تسعة أذرع، وطولها في الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعاً، وكانت بغير سقف. وحكى السهيلي[٥] أن طولها في السماء كان تسع أذرع من عهد إسماعيل، فلما بنتها قريش قبل الإسلام، زادوا فيه تسع أذرع، فكانت ثمانية

---

(١) ابن كثير: بداية والنهاية (١/ ٣٢٠)، تحقيق د. التركي. وهو في المسند (١/ ٢٣٢)، وضعف محققو الحديثية (٣/ ١٩٥/ح٢٠٦٧) إسناده لضعف زمعة، وسلمة بن وهرام مختلف فيه، وكذلك ضعف الشيخ شاكر (٣/ ٣٤٠/ح٢٠٦٧)، لضعف زمعة بن صالح.

(٢) السيرة (١/ ١٢٧).

(٣) البخاري: الفتح (ح١٥٨٦)؛ مسلم (٢/ ٩٦٨-٩٧٣/ح١٣٣٣).

(٤) أخبار مكة (١/ ٦٤).

(٥) الروض الأنف (١/ ٢٢١).

عشر ذراعاً، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يُصعد إليها إلا في دَرَج أو سُلَّم، وقد ذكرنا أن أول من عمل لها غَنَفاً هو تُبَّع، ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع، فكانت سبعاً وعشرين ذراعاً، وعلى ذلك هي الآن.

لم يكن للمسجد الحرام سور، وكانت تحيط به الدور من كل الجهات، وعندما رأى ابن الخطاب أن المسجد قد ضاق بالحجاج والزوار، اشترى الدور التي حوله من أهلها فوسَّعه وجعل له سوراً على قامة الرجل، وأناره[1]. وعندما رأى عثمان ﷺ أن المسجد أيضاً قد ضاق بالحجاج والمعتمرين، اشترى دوراً أخرى فوسع بها الحرم[2] الأزرقي[3]، وكذلك فعل ابن الزبير[3].

ولم يزل الخلفاء والأمراء من ذلك الزمان يتعهدون الحرم بالتوسعة[4] إلى زماننا هذا الذي يشهد فيه أضخم توسعة على يد الحكومة السعودية، فجزاهم الله خيراً.

وانظر في هذا بحثنا المشار إليه قبل صفحتين.

مقام إبراهيم ﷺ:

المقام: هو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم ﷺ لما ارتفع البناء عن قامته كما ذكرنا، وقد تركت قدماه أثراً فيه، وظل هذا الأثر إلى أول الإسلام، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم، وفي هذا يقول أبو طالب:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافياً غير ناعل[5]

وقد روي أن المقام كان ملصقاً بحائط الكعبة، على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب ﷺ، فأخره عن البيت قليلاً، توسعة على الطائفين والمصلين عند المقام، ووافق الصحابة على عمل الفاروق[6].

---

(١) الأزرقي (٢/ ٦٨-٦٩)، السهيلي: الروض (١/ ٢٢٤).

(٢) الأزرقي (٢/ ٦٩)، السهيلي (١/ ٢٢٤).

(٣) الأزرقي (٢/ ٦٩-٧٠).

(٤) انظر: الأزرقي (٢/ ٧٩ وما بعدها)، فقد ذكر أولئك الذين وسعوا الحرم إلى زمانه.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (١/ ١٧٨-١٧٩)، والتفسير (١/ ٢٤٦).

(٦) أحمد: فضائل الصحابة (١/ ٣٢٤)، من طريق عبدالرزاق، بإسناد صحيح إلى عطاء، انظر: المصنف (٥/ ٤٨) مثله، وله شاهد صحيح من مجاهد، أخرجه عبدالرزاق، الأزرقي: أخبار مكة (٢/ ٧٣)، =

وقد سبق وأن وافق الله تعالى على قوله لرسول الله ﷺ: «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥][1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إبراهيم عليه السلام بنى أيضاً المسجد الأقصى، وقيل: إن يعقوب عليه السلام هو الذي أسسه. وقد كان بين البناءين أربعون عاماً، كما قال الرسول ﷺ[2].

أما الحديث الذي رواه النسائي[3]، وفيه أن سليمان بن داود عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى، فالمقصود بالبناء هنا هو التجديد كما ذكر السيوطي[4] وابن القيم[5] وابن حجر[6]، واستعمال البناء بمعنى التجديد وارد في اللغة العربية، كما قال الدكتور أبو شهبة[7].

---

* قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٦٩) ط. السلفية بالقاهرة: «... وأخرج الفاكهي عن عائشة بسند قوي، ولفظه: أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر ملاصقاً بالبيت ثم أخره عمر ... وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال: كان المقام في سقع البيت في عهد رسول الله ﷺ فحوله عمر فجاء سيل فذهب به فرده عمر إليه. قال سفيان: لا أدري كان لاصقاً بالبيت أم لا». وانظر: أخبار: الفاكهي (٢/ ٣٢٦) حديث (١٠٠٠). وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٢٤٦) بعد إيراد أثري عطاء ومجاهد عند عبدالرزاق وأثر عائشة عند البيهقي: «وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم». وقال بعد أن ذكر أثر سفيان عند ابن أبي حاتم: «فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرته».

(١) البخاري (١/ ٥٠٤)، وأحمد: المسند (١/ ٢٣)، بإسناد صحيح.

(٢) البخاري: الفتح (١٢/ ٢١٨-٢١٩، ح ٣٤٢٥)، مسلم (٦/ ٣٧٠: ح ٥٢١).

(٣) السنن (٣/ ٣٤) بإسناد صحيح كما ذكر الشارح - السيوطي (٣/ ٢٣).

(٤) المصدر بالمكان تشبيهاً.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٩-٥٠).

(٦) الفتح (١٢/ ١٥٢) وصحح إسناد النسائي.

(٧) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/ ١٣٤).

حالة الجزيرة العربية حين بعث محمد ﷺ

لقد عاشت البشرية في ظلام من الجاهلية في القرنين السادس والسابع الميلاديين، إذ سادت الوثنيات والخرافات والعصبيات والقبليات والطبقيات والمفاسد الاجتماعية والسياسية، وحرفت معظم الأفكار الإصلاحية السليمة، سواء التي جاء بها أنبياء الله المرسلون، أو الحكماء الذين استقامت فطرهم على الحق. وقد عبر الرسول ﷺ عن هذه الحقيقة في قوله: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب»[1].

وفي الصفحات القليلة التالية، نذكر باختصار، ما كانت عليه الجزيرة العربية في تلك الفترة، لبيان ضرورة رسالة النبي ﷺ وما تضمنته من أسس ومعايير، كانت وما زالت وستظل، عوامل رئيسة في بناء الحضارة الإنسانية.

١- في الجزيرة العربية

أولاً: الحالة السياسية:

أ - الملك باليمن:

إن من أقدم الشعوب التي عرفت باليمن من العرب العاربة قوم سبأ، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم بأحد عشر قرناً. وفي سنة ثلاثمئة الميلادية غلبت على ملكهم قبيلة حمير، ثم بدأت اليمن في دور الانحطاط، وأخذت القبائل القحطانية في الهجرة إلى البلاد المختلفة.

وتوالت عليهم الاضطرابات والحروب الأهلية في المئتين والسبعين سنة التي سبقت دخول الإسلام اليمن، مما أتاح للأجانب القضاء على استقلالهم، فدخلت الرومان عدن، وبمعونتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة، سنة ٣٤٠م، مستغلين

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢١٩٧، ح٢٨٦٥ ضمن حديث طويل. والمراد بأهل الكتاب هنا: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تحريف.

التنافس بين قبيلتي همدان وحمير، واستمر احتلالهم إلى سنة ٣٧٨م. ثم نالت اليمن استقلالها، ولكن سلط الله عليهم سيل العرم سنة ٤٥٠م أو ٤٥١م فهدم سد مأرب الذي جعله الله مصدر نعمة ورخاء لهم[1]. وكل ذلك بسبب جحودهم وعنادهم وانحرافهم. وهذه سنة الله في ذلك.

وفي سنة ٥٢٣م قام ملكهم ذو نواس بحملة ضد المسيحيين نصرانيهم عن دينهم، فلما أبوا، حفر لهم أخدوداً، وأوقد فيه ناراً، فقذفهم فيها، وهم الذين حكى الله تعالى خبرهم في الآيات: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝﴾ [البروج: ٤، ٥] وكان سبباً في تحريض الروم الأحباش ليحتلوا اليمن للمرة الثانية بقيادة أرياط سنة ٥٢٥م، وظل حاكماً على اليمن إلى أن اغتاله أبرهة - أحد قواد جيشه - وحكم مكانه بعد أن نال رضى ملك الحبشة. وقام أبرهة بمحاولة هدم الكعبة بمكة، ولكن الله رده بقوته، كما حكى ذلك القرآن الكريم في سورة الفيل.

واستنجد اليمانيون بالفرس فأعانوهم على إجلاء الأحباش سنة ٥٧٥م، بقيادة معد يكرب بن سيف بن ذي يزن الحميري، وملكوه عليهم. وكان قد أبقى جمعاً من الحبشة لخدمته، فاغتالوه، وبموته انقطع الملك عن بيته، وولى كسرى عاملاً فارسياً على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية. وكان آخر ولاتهم باذان، الذي اعتنق الإسلام، وبإسلامه انتهى نفوذ الفرس في بلاد اليمن[2]، وكان إسلام باذان في جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة - ٦٢٨م[3].

ب - الملك بالحيرة:

حكمت الفرس العراق وما جاورها منذ أن جمع شملهم قوروش الكبير (٥٥٧ - ٥٢٩ق.م) ثم فرق شملهم الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٦ق.م عندما هزم ملكهم دارا الأول، ودخلت البلاد في حكم الطوائف إلى سنة ٢٢٠م. وفي عهد هؤلاء تملك مناجر اللخميون وسكنوا جزءاً من ريف العراق، ثم لحقهم من هاجر من الغسانيين، فزاحموهم حتى سكنوا جزءاً من الجزيرة الفراتية.

وجمع أردشير الفارسي - مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة ٢٢٦م - شمل

---

(١) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: المسعودي: التاريخ (١/ ٢٦٠).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى (١/ ٢٦٠)، من طريق شيخه الواقدي.

الفرس، وسيطر على العرب المقيمين على تخوم مملكته، وكان ذلك سبباً في رحيل قضاعة إلى الشام، وكان له أهل الحيرة والأنبار، ولصعوبة حكم المناطق البعيدة رأى أن ينصب عليهم ملكاً منهم، اسمه جذيمة الوضاح، ويعينه بكتيبة من الفرس، ليقفوا جميعاً في وجه مطامع الروم وعرب الشام، الذين اصطنعهم الروم، واشتهر من ملوك الحيرة النعمان بن المنذر، وهو الذي خاض حرباً ضد ملك الفرس، وهزم جيش الفرس في موقعة ذي قار، بعد ميلاد الرسول ﷺ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم[1]، وقيل: إن الرسول ﷺ قال عنه: «هذا أول يوم انتصف العرب فيه من العجم، وبي نصروا»[2].

جـ - الملك بالشام:

في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل صارت بطون من قضاعة إلى مشارف الشام وسكنت بها، وكانوا من بني سليح بن حلوان، الذين منهم بنو ضجعم بن سليح، المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، «وولوا منهم ملكاً، ثم تعاقب الملك فيهم زماناً إلى أن غلبهم عليه الغساسنة. وظل الغساسنة في الملك من قبل الروم إلى أن كانت وقعة اليرموك سنة ١٣هـ - ٦٣٤م، ودخل في الإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم، في عهد عمر ﷺ»[3].

د - مكة:

إن مكة من بلدان الحجاز، ولم يقم بالحجاز كيان سياسي موحد يمكن أن يسمى بالدولة، وإنما قامت بها مدن، لكل منها نظامها السياسي الذي هو أقرب إلى المشيخة منه إلى نظام الملك. ومن أشهر المدن: مكة ويثرب والطائف.

تناولت فيما سبق طرفاً من تاريخ نشأة مكة، وذكرنا أصل سكانها، وهم جرهم، وقيل: كان قبلهم العماليق، الذين كانوا يسكنون خارجها، أي من حولها[4].

---

(١) ابن الأثير: الكامل (١/ ١٧١-١٧٤)، واليعقوبي: التاريخ (١/ ٢١٤-٢١٥) والأسانيد ضعيفة.

(٢) الطبري: التاريخ (٢/ ١٩٣) بدون إسناد.

(٣) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٦-٢٠٧)، وسنده ضعيف.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة، مرجع سبق ذكره (١/ ٥٤) إسناده ضعيف.

لم تحافظ جرهم على حرمة الحرم بعد إسماعيل، فكثر في أيامهم البغي والفساد. واغتصب كثير منهم مال الكعبة الذي كان يهدى إليها. ويقال: إن ماء زمزم غضب في عهدهم، كما أن البئر نفسها زالت معالمها، وعندما تفرق بعض عرب اليمن بعد سيل العرم، هاجر ثعلبة بن عمرو بن عامر مع قومه إلى مكة، ولم تغلبهم جرهم، ودارت بينهم حرب انتهت بهزيمة جرهم.

وعندما مرض ثعلبة، رحل إلى الشام، وولي أمر مكة وحجابة الكعبة ابن أخيه وسعة بن حارثة بن عمرو، وهو لحي، وعرف قومه بخزاعة. وقد انحاز إليهم بنو إسماعيل بن إبراهيم. وكانوا قد اعتزلوا الحرب التي دارت بين جرهم وثعلبة[1].

ظلت خزاعة تلي أمر البيت الحرام نحواً من ثلاثمئة سنة، وقيل: خمسمئة سنة وكانت قريش إذ ذاك متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قُصَيُّ بن كِلاب، ووحَّد بطونها، وخاض حرباً ضد خزاعة حول ولاية البيت. وأعانته قضاعة في حربه، وتنحنحت قبائل العرب، وانتهت الحرب بالتحكيم الذي نتج عنه أحقية قصي بولاية الكعبة. ومنذ ذلك اليوم ارتفعت مكانة قريش بين العرب[2].

قام قصي بتقطيع مكة وبناءً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، وكانت له جميع الرئاسات من حجابة وسقاية ورفادة ولواء. وبنى داراً لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات، سماها دار النَّدْوة، وكان يرأس اجتماعاتها ويدير شؤونها. وفرض على قريش خرجاً سنوياً يؤدونه إليه ينفق منه على إطعام فقراء الحجاج.

وعندما كبر قصي فرض أمر هذه الوظائف والرئاسات إلى أكبر أبنائه عبد الدار، ولما مات عبد الدار وإخوته: عبد مَناف وعبد شمس، وعبد العُزى، اختلف أبناؤهم في هذه الرئاسات، وافترقوا إلى فرقتين، ففرقة بايعت بني عبد الدار، وفرقة بايعت

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة (١/ ٩٠-٩٦)؛ وابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (١/ ١٦٠-١٦٦)، فالأسانيد ضعيفة.

(٢) الأزرقي: (١/ ١١٤-١٠٧) بإسناد ضعيف، وابن إسحاق - بدون إسناد (ابن هشام ١/ ١٦٤-١٦٥).

بني عبد مناف، ووضع حلف بني عبد مناف أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة، فسموا حلف المُطَيَّبين. أما بنو عبد الدار ومن حالفهم، فقد أخرجوا جفنة مملوءة دماً، وتعاقدوا ما فعله بنو عبد مناف عند الكعبة، وسموا الأحلاف.

ثم أخيراً اصطلح الفريقان على أن تكون الرِّفادة والسقاية لبني عبد مناف، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار[1] وقسمت الرئاسات التي نالها بنو عبد مناف بين هاشم وأخيه عبد شمس: فكانت السقاية والرفادة لهاشم، والقيادة لعبد شمس[2].

وعندما علت مكانة هاشم بين قومه حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس، وحاول أن ينافسه في إطعام الحجاج فعجز، فشمت به بعض قومه فزاد حسده وحقده على عمه.

وولي السقاية والرِّفادة المطلب بعد وفاة أخيه هاشم، ثم عندما مات المطلب خلفه ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم، ثم عندما مات خلفه ابنه العباس بن عبد المطلب، وقد أبقاهما الرسول ﷺ في يده بعد فتح مكة.

أما بنو عبد الدار فقد توارثوا الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة. وقد أبقى الرسول ﷺ الحجابة بأيديهم عندما فتح مكة ودفع بمفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة. وفي ذلك يوم الفتح، وقيل: إن الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] قد نزلت بهذا الخصوص[3]، ولم يستبعد الطبري[4] ذلك، وساق أقوالاً أخرى في ذلك.

---

(١) ابن إسحاق، بدون إسناد: (ابن هشام ١/ ١٧٢-١٨١)، ولم يروه غيره بإسناد صحيح.

(٢) الأزرقي: (١/ ١١٠-١١١: ١١٥)، بأسانيد ضعيفة.

(٣) الطبري: التفسير (٨/ ٤٩١-٤٩٣)، موقوفاً على ابن جريج، وفي إسناده ضعف.

(٤) التفسير (٨/ ٤٩٣) تحقيق أحمد شاكر) وسيأتي الكلام على إسناد ذلك في فتح مكة.

هـ - يثرب:

كان أول من سكنها العمالقة، ثم تغلبت عليهم بعض القبائل اليهودية، فأقاموا بها، خاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، إثر الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود بسورية، فتفرقوا في البلاد، فلجأت قبائلهم وعلى رأسهم بنو النضير وبنو قريظة إلى يثرب. وأقاموا بها حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج عندما تهدم سد مأرب[1].

عاش اليهود والأوس والخزرج في وئام فترة من الزمان، وتحالفوا ليأمن بعضهم بعضاً، وعندما قويت شوكة الأوس والخزرج تنمَّر اليهود عليهم ونقضوا الحلف الذي بينهم، فاستنجد العرب ببني عمومتهم الغساسنة، فأنجدوهم أنفة من تسلط اليهود عليهم[2].

وكذلك عاش الأوس والخزرج في وئام في بداية أمرهم، ثم وقعت بينهما حروب طويلة، كان النصر في أغلب الأحيان للخزرج، ولهذا حاولت الأوس محالفة قريش ضد الخزرج، فلم تفلح، فلجؤوا إلى الحلف مع بني قريظة وبني النضير. وسمعت الخزرج بهذا فأرسلت تستوضح الموقف، فأفادتهم يهود بأنها لا ترغب في الحرب، فأرادت الخزرج أن تتأكد من هذا، فطلبت منهم أربعين غلاماً، ليتخذوهم رهائن لديهم، وعندما استجابوا لهم، خيروهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان، فآثروا الخروج من ديارهم، غير أن كعب بن أسد القرظي أقنعهم بالبقاء والتضحية بالرهائن، فقتل الخزرج الغلمان، فغضب يهود وجاهروا بحلفهم مع الأوس، ووقفوا معهم في موقعة بُعَاث، فانتصر الأوس، بعد أن أوقعوا في الخزرج مقتلة عظيمة، ثم تصالح الفريقان، واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور بيثرب، برئاسة عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول الخزرجي[3]، وبينما كانوا يستعدون لذلك قدم الرسول ﷺ المدينة مهاجراً، فدان الجميع لسلطان الإسلام. ولم يجد ابن أبي بداً من الدخول في الإسلام ظاهراً بعد موقعة بدر، ودلت مواقفه بعد ذلك على نفاقه كما سيأتي بيانه. وهو ممن اتفق على نفاقه بين أهل الحديث والتفسير والمغازي والسير. أما

---

(١) انظر: المقريزي: إمتاع الأسماع (١/ ١٠٥)، الأصبهاني: الأغاني (١٩/ ٩٤).

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى (٤/ ٢٩٤).

(٣) السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٢١٥-٢١٩).

زعيم الأوس: أبو عامر بن صيفي بن النعمان، والد أبي حنظلة الغسيل، فقد أبى إلا الكفر فخرج إلى مكة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الروم بالشام، محاولاً في كل أطوار حياته القضاء على الإسلام، وكان قد ترهب في الجاهلية، فسموه الراهب، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق»[١]. وله قصة في أحداث غزوة أحد، سيأتي ذكرها في مكانها.

و - الطائف:

كانت الطائف تعرف باسم «وَجّ»، نسبة إلى وَجّ بن عبد الحي، أحد العمالقة الذين سكنوها. رحلت إليها قبيلة هوازن من وادي القُرَى، وتزوج زعيمها قسب بن منبه بن بكر بن هوازن بابنة زعيم وج عامر العدواني، واشتهر قسب باسم ثقيف فيما بعد. . . ، وعندما تكاثروا بنوا سوراً ليكون حصناً، وأطلقوا عليه الطائف، لإطافته بهم، ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف بدلاً من وج[٢].

وعندما ظهر الإسلام كانت ثقيف مقسمة إلى فرقتين: الفرقة الأولى: هم بنو مالك والثانية الأحلاف. وكانت بينهم شحناء أدت إلى حرب بينهما، انتصر فيها الأحلاف وأخرجوا بني مالك إلى واد وراء الطائف. ثم رأى بنو مالك أن يعززوا موقفهم العسكري بالتحالف مع بعض القبائل، فحالفوا دوساً وخثعماً وغيرهما على الأحلاف. ولكن لم تقع بينهم بعد ذلك حروب ذات بال[٣].

ثانياً: الحالة الدينية عند العرب في الجزيرة العربية:

استمرت خزاعة على ولاية الكعبة نحواً من ثلاثمئة سنة، وقيل: خمسمئة سنة. وكانوا قوم سوء في ولايتهم، وذلك لأنه كان في زمانهم أول عبادة الأوثان بالحجاز، بسبب رئيسهم عمرو بن لحي[٤]، الذي زار الشام ووجد العماليق بمؤاب من أرض البلقاء (مكان بالأردن الآن) يعبدون الأصنام، وقالوا له إنهم يعبدونها

---

(١) انظر: ابن إسحاق، بإسناد مرسل: (ابن هشام ٣/ ٩٧-٩٨). ورواه غيره بدون إسناد.

(٢) البكري: معجم ما استعجم (١/ ٧٦-٧٧)، ياقوت الحموي: معجم البلدان (٦/ ١٢-١٣)، والأسانيد ضعيفة.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/ ٢٥٣-٢٥٤)، بإسناد ضعيف.

(٤) يأتي خبره كما في الصحيحين.

لأنهم يستمطرونها فتمطرهم ويستنصرونها فتنصرهم، فطلب صنماً فأعطوه صنم هُبَل، فجاء به مكة ونصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، لأن كان سيداً مطاعاً فيهم. وعندما بدأ بنو إسماعيل يتفرقون في البلاد أخذوا يحملون معهم من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالبيت، حتى مسخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، وخفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين إبراهيم[1]، وكثرت فيهم الأصنام، فكان «وَدٌّ» لبني كَلْب بن وَبَرَة بدُومَة الجَنْدَل، و«سُوَاع» لبني هُذَيل بمكان تسمى رُهَاط، على ثلاث ليال من مكة، و«يَغُوث» لبني أَنْعُم من طيء، وأهل جُرَش من مَذْحِج اليمنية، وكان منسوباً بجرش، و«يَعُوق» لبني خَيْوان الهمدانيين، و«نَسْر» لقبيلة ذي الكُلاع الحِمْيَرية[2].

وهذه الأصنام هي التي عبدها قوم نوح، وحكى خبرها القرآن الكريم، قائلاً: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤]، فعندما فارق ولد إسماعيل وغيرهم دين إبراهيم عبدوا هذه الأصنام[3].

وكان لخولان صنم يدعى «ثُمَامَة أنس» وقيل: «عُمْيَانِس»، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله - فيما يزعمون - وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]. وكان لبني مُلْكَان بن كِنَانَة صنم يقال له: «سَعْد». وكان لدَوْس صنم لعمرو بن حُمَمَة الدَّوْسِيّ. وكان لقريش مع هبل صنمان «إساف» و«نائلة»، على موضع زمزم، ينحرون عندهما، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما زلنا نسمع أن إساف ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم أحدثا في

---

(١) ابن هشام (١/ ١٦٦) قال: «حدثني بعض أهل العلم»، وسياق الخبر فهو إذن بدون إسناد، وعنه ابن كثير: البداية (٢/ ٢٠٥)، ورواه غيره بأسانيد ضعيفة.

(٢) ابن إسحاق: بدون سند، ابن هشام (١/ ١٢٣-١٢٤)، وإسناده ضعيف.

(٣) وخلاصة القول - كما روى البخاري، الفتح (١٨/ ٣١٣، ح٤٩٢٠) وغيره - في أصنام قوم نوح أنها كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت، فلما كان أيام الطوفان دينها الذي وارثي والأمم، فلم تزل معروفة حتى أخرجها الشيطان إلى مشركي العرب.

انظر: ابن حجر: الفتح (١٨/ ٣١٦).

الكعبة فمسحوه، الخ ﷺ حجرين»[1].

واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، وكان آخر ما يفعلونه عند الشروع في السفر وأول ما يفعلونه حين العودة منه، التمسح بالصنم، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد، عابوا عليه ذلك وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [ص: ٥].

وفي الصحيح عن أبي الرجاء العطاردي، قال: «كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا جُثْوَةً من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا بها»[2].

وروى ابن كثير[3] عدة أحاديث صحيحة تدل على ما ابتدعه عمرو بن لحي في الدين واتبعه العرب في ذلك، فضلُّوا ضلالاً بعيداً، من ذلك رواية الشيخين:[4] قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي [أي عمرو بن لحي] يجر قُصْبَهُ أي أمعاءه] في النار، كان أول من سيّب السوائب...»، ورواية ابن إسحاق[5] الأكثر تفصيلاً وبإسناد صحيح، ولفظها: «... إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي». وقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك في أكثر من آية، فقد قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

قال ابن عباس[6]: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام...» ففيها خلاصة عبادة العرب وما نتج عن ذلك من محرمات اجتماعية ضارة.

ولم يبق من دين إبراهيم إلا القليل، مثل تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة، والوقوف بعرفات والمزدلفة وإهداء البدن مع إدخالهم في هذا ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا بالحج أو العمرة قالوا: «لبيك اللهم لبيك لا شريك

---

(١) رواه ابن إسحاق - بإسناد حسن -: (ابن هشام ١/١٢٧).

(٢) البخاري الفتح (١٦/ ٦١٤، ح٤٣٧٦). والجُثوة: القطعة.

(٣) البداية (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٤) البخاري، الفتح (١٧/ ١٥٦-١٥٨، ح٤٥٢٣، ٤٦٢٤)، مسلم (٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٥٦).

(٥) بإسناد حسن: (هشام ١/ ١٢٦).

(٦) الطبري: تفسير (١٢/ ١٥٥، شاكر، ح ١٢٩٥٣) والآية هي الأنعام: ١٤٠.

لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»، فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده»[1]. وكانوا يطوفون بالبيت عراة وهم يصرخون.

واتخذت العرب طواغيت مع الكعبة، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويهدى لها، ويطاف بها، وينحر عندها. فكانت لقريش وبني كنانة «العُزَّى» بنخلة، وكان سدنتها وحجابها من بني شَيْبان، من سُلَيْم، حلفاء بني هاشم، وكانت «اللاتُ» لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها من بني مُعَتِّب، من ثقيف. وكانت «مَنَاةُ» للأوس والخزرج ومن دان بدينهم، بناحية المُشَلَّل بقُدَيْد. وهذه الطواغيت هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩-٢٠]. وكان ذو الخَلَصَة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، وكان يقال له: «الكعبة اليمانية»، ويُقال لبيت مكة: «الكعبة الشامية». وكان «فَلْسٌ» لطيء ومن يليها بجبلَي طيء، يعني أجا وسلمى. وكان لإياد بيتٌ لحمير وأهل اليمن. وكانت «رُضَاء» بيتاً لبني ربيعة بن كعب. وكان «ذو الكَفَّيْن» لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسَنَداد[2].

وكان للعرب أصنام أخرى غير التي ذكرنا، حفلت بذكرها المصادر المختلفة[3].

وهناك روايات طريفة عن موقف بعض العرب من أصنامهم. من ذلك ما روي من أن السائب بن عبد الله كان له حجر تحته بيد ليعبده، فيجيء بالبن الحائر الذي يضعه على نفسه فيصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يَنْخر فيرفع إحدى رجليه فيبول... الأثر[4]. وما يروى من أن بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس

---

(١) ابن إسحاق، بدون إسناد. انظر: ابن هشام (١/ ١٢٩)، وخبر إدخال الشرك في التلبية ورد البزار بإسناد حسن، ولفظه: وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء، يريد أن يرجعهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك... لبيك لا شريك لك: إلا شريك هو لك: تملكه وما ملك. قد رأى حتى أخرجهم من الإسلام إلى الشرك. انظر: كشف الأستار (١/ ١٤٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٧٣) رجاله رجال الصحيح. ويقول الشيخ طرهوني (١/ ٣١٥، حاشية ١٩٤): وإسناده رباعي وفيه هيئة دقاقة ولكن يتساهل فيها؛ تعضيدًا لوجود ما يشهد له؛ وتنظر بقية الفرق المختلفة عند: اليعقوبي: التاريخ (١/ ١٥٥-١٥٦).

(٢) سيأتي ذكر بعض هذه البيوت عند الكلام عن تكسيرها بعد فتح مكة.

(٣) انظر في ذلك مثلاً: اليعقوبي في تاريخه (١/ ٢٥٥ وما بعدها).

(٤) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٠)، وإسناده صحيح.

[الأقط - اللبن المجفف يخلط بالتمر والسمن]، فعبثوه دهراً طويلاً، ثم أصابتهم مجاعة، فأكلوه، فقال رجل من بني تميم يعيرهم بذلك:

أكلت ربها حنيفة من جو ... ع فديم سهلها ومن إعواز

وقال فيهم آخر:

أكلت حنيفة ربها ... زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم ... سوء العواقب والتباعة[1]

وهناك قصة الرجل [راشد بن عبد ربه] الذي قال شعراً في صنمهم عندما رأى ثعلبين يبولان عليه[2]، وقصة عمرو بن الخطاب الذي أكل صنمه من العجوة عندما جاع... إلخ، وهي قصص وإن لم يثبت بعضها حديثياً إلا أنها تصور الحالة التي كان عليها العرب في جاهليتهم.

ظهرت في بلاد العرب إلى جانب عبادة الأصنام، عبادة النجوم والكواكب، خاصة في حران والبحرين والبادية. ويقال: إن كان بمكة رجل يدعى أبو كبشة، عبد نجماً اسمه «الشعرى»، ردها قريش إلى عبادته. وانتشرت هذه العبادة بين بعض قبائل لخم وخزاعة وقريش. وعندما دعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده سموه ابن أبي كبشة لمخالفته إياهم في العبادة كما خالفهم في عبادتهم من قبله ابن أبي كبشة[3].

وعبدت الشمس في بلاد اليمن، وفي ذلك قال تعالى في قصة ملكة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٣-٢٤].

وتسربت بعض فرق المجوسية الفارسية إلى بلاد العرب. وفي ذلك يقول ابن قتيبة[4]: «وكانت المجوسية في تميم منهم زرارة وحاجب بن زرارة ... وكانت

---

(١) انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص٦٢١؛ وإسناده ضعيف.

(٢) ابن سعد (١/٣٠٧-٣١٩)، وتمام بيت شعره:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(٣) الألوسي: بلوغ الأرب في أحوال العرب (٢/٢٣٩).

(٤) المعارف: ص ٦١١

الزندقة في قريش، أخذوه من الحيرة». وكان الأقرع بن حابس وأبو سوده - جد وكيع بن حسان - ممن دان بالمجوسية[١]، وتسربت إلى هجر[٢] من البحرين. وكانوا يقولون: إن قتل عدوهم على أرضهم ينجسها عليهم[٣].

ودخلت اليهودية بلاد العرب بصفة عامة والمدينة وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء[٤] بصفة خاصة حتى إنها نزح إليها اليهود. ووصلت إلى اليمن، وكان بها ذو نواس الملك الحميري، وحاول حمل النصارى على اعتناقها كما ذكرنا سابقاً. وانتشرت في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، وربما وصلتهم من يهود يثرب وخيبر[٥].

وتسربت المسيحية إلى الغساسنة والمناذرة، ومن أشهر الأديرة في الحيرة: «دير هند الأقدم» و«دير اللج» و«دير حارة مريم»[٦]. وتسربت إلى جنوبي الجزيرة العربية، وأنشئت كنيسة بظفار وأخرى بعدن[٧]. ولنصارى نجران قصة مع الرسول ﷺ في مكة وأخرى بالمدينة. سيأتي ذكرها.

ودانت بعض قبائل قريش بالمسيحية، منها: بنو أسد بن عبد العزى، كما اعتنقها بنو امرئ القيس بن تميم، وبنو تغلب بن وبرة، وبعض قبائل قضاعة، وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم[٨]. وممن تنصر بنصرانية محرفة من العرب: عدي بن حاتم الطائي[٩].

لم تنتشر اليهودية والنصرانية انتشاراً واسعاً في بلاد العرب كما هو واضح من تاريخهما وسيرتهما وسط القبائل والأفراد. ولم تندثر تماماً ديانة إبراهيم ﷺ، بل تمسك بها نفر قليل جداً وسط دياجير ظلام الجاهلية وعبادة الأوثان. وعرف هؤلاء

---

(١) المصدر والمكان نفسهما.

(٢) انظر: البخاري (٦/ ٢٥٧)، عيشة الشعب.

(٣) الحاكم: المستدرك (٣/ ٤٥١) بإسناد صحيح.

(٤) تأتي أدلة ذلك بالتفصيل في غزوات الرسول ﷺ ومواقفه المختلفة من اليهود في هذه المناطق.

(٥) انظر: الألوسي: بلوغ الأرب (٢/ ٢٤١).

(٦) انظر: البكري: معجم ما استعجم (٢/ ٦٠٦، ٥٩٥/ ٦، ٦١٤/ ٦)، ومسمى الحيرة دير هند الأقدم، دير هند الكبرى، معجم البلدان (٢/ ٧٠٩).

(٧) الألوسي: بلوغ الأرب، ص٢٤١، ٢٤٤.

(٨) المقريزي (٦/ ٢١٤)، الألوسي: (٢/ ٢٤١)، ابن قتيبة، ص٦٦٦، رغلها ضعيفة.

(٩) انظر: البخاري (٦/ ٥٣٣)، أحمد (٤/ ٣٧٧، ٣٧٨: حـ١٩٣٧٨)، وإسناده حسن.

النفر بالحنفيين أو الحنفاء، فقد كانوا يؤمنون بالله ويوحدونه، توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية، وينتظرون النبوة[١].

وكان من هؤلاء الحنفاء: قس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو بن نُفَيل، وأُمَيَّة بن أبي الصَّلْت، أبو قيس بن أبي أنس، وخالد بن سنان، والنابغة الذبياني، وزُهَير بن أبي سُلْمَى، وكعب بن لؤي بن غالب - أحد أجداد النبي ﷺ[٢].

وقد سمرا بالحنفاء نسبة إلى ما وصف به دين إبراهيم في القرآن الكريم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥].

ولنقف وقفة قصيرة مع أشهر هؤلاء الحنفاء، لإلقاء بعض الضوء على سيرهم ومعتقداتهم:

١ - محمد ﷺ

من المعلوم بداهة أن الرسول ﷺ كان على رأس أشهر الحنفاء.

٢ - زيد بن عمرو بن نفيل:

روى ابن إسحاق[٣]، بإسناده إلى أسماء بنت أبي بكر، قالت: «لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة، يقول: «يا معشر قريش، والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري». ثم يقول: «اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم». ثم يسجد على راحلته، وكان يصلي إلى الكعبة ويقول: «إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم». وكان يحيي الموؤودة، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: «لا تقتلها، ادفعها إليّ أكفلها، فإذا ترعرت فخذها،

---

(١) الألوسي: ص٢٨٧-٢٤٩، وهي ضعيفة.

(٢) انظر أخبارهم عند ابن كثير: البداية (٢/ ٢٣٠-٢٦٦).

(٣) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥٨)، وإسناده حسن، والشطر الأول من الرواية عند ابن هشام (١/ ٢٨٧) إلى قوله: «ثم يسجد على راحلته»، وإسناده حسن.

وإن شئت فادفنها».

وروى البخاري[١] عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن دين صحيح يتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم، لعله يتبعه. فقال له اليهودي: «إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله». قال زيد: «وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا أستطيع، فهل تدلني على غيره؟» قال: «ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً». قال زيد: «وما الحنيف؟» قال: «دين إبراهيم ﷺ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله». فخرج زيد، فلقي عالماً نصرانياً، فدار بينهما مثل ما دار بينه وبين اليهودي. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم، خرج. فلما برز رفع يديه فقال: «اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم».

وكان زيد يرفض الأكل من ذبائح قريش، ويقول: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»، ويعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟!»، إنكاراً لذلك وإعظاماً له[٢].

وروت أحاديث أخرى من طرق ضعيفة، لكنها تعتضد وتتقوى بعضها ببعض وبأحاديث البخاري، فترتفع إلى درجة الحسن لغيره، دلت على أن زيداً كان يبحث عن الدين الصحيح، وأخيراً استقر على دين إبراهيم ﷺ[٣].

وبهذا قال عنه الرسول ﷺ: «يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى بن مريم»[٤]. وقال: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو دوحتين»[٥].

لقد لقي زيد بن نفيل الرسول ﷺ ومات قبل أن يبعث الرسول ﷺ[٦].

---

(١) الفتح (٧/٢٩٩، ٣٠١، ح٣٨٢٧).

(٢) البخاري، الفتح (٧/٢٩٨، ٢٩٩، ح٣٨٢٦).

(٣) ابن كثير: البداية (٢/١٦٠-١٦٥)، وابن سعد (١/١٦١-١٦٦).

(٤) نقله ابن كثير في البداية (٢/١٦٢)، وقال: «إسناده جيد حسن».

(٥) نقله ابن كثير في البداية (٢/١٦٣) من رواية الباغندي، وقال ابن كثير: «وهذا إسناده جيد».

(٦) البخاري، الفتح (٧/٢٩٨، ح٣٨٢٦).

٣ - ورقة بن نوفل:

روي أنه خرج مع زيد بن نفيل يبحث عن دين صحيح يتبعه، وبعد البحث تنصّر ورقة، ولم يرتض زيد سوى دين إبراهيم عليه السلام[1].

قال النبي ﷺ يوماً لخديجة رضي الله عنها إنه يرى ضوءاً ويخشى أن يكون به جنون، فطمأنته، ثم أتت به ورقة، وذكرت له ما يقع له، فقال ورقة: «إن يك صادقاً فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأؤمن به»[2].

وسيأتي خبره والآثار الواردة في إسلامه عند الكلام عن بداية نزول الوحي على الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل، وله أبيات شعرية رائعة في التوحيد والبعث[3].

٤ - قُسّ بن ساعدة الإيادي:

روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وغيره أنه عندما قدم وفد إياد على الرسول ﷺ سألهم عن قس بن ساعدة، فذكروا له أنه هلك. فقال النبي ﷺ: «لقد شهدته يوماً بعكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام مُعْجِب مُؤْنِق لا أجدني أحفظه. فذكر أحد أفراد الوفد أنه يحفظه، فهو: «يا معشر الناس اجتمعوا، فكل من مات مات، وكل شيء آت آت، ليلٌ داجٍ وسماءٌ ذاتُ أبراج، وبحرٌ عجاجٌ، نجومٌ تزهر، وجبالٌ مرسيةٌ، وأنهارٌ مجريةٌ، إن في السماء لخبراً، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تُرِكوا فناموا، أقسم قُسٌّ بالله قَسَماً لا ريب فيه، إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا»، وأنشد في ذلك شعراً[4].

وروى ابن عباس أنه عندما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ سألهم عن قس، فقالوا: «هلك». قال: «...» فذكر كلاماً بنحو ما جاء في رواية ابن الصامت[5].

---

(١) من رواية الطيالسي، ونزيد أيضاً (٣/ ١٦١) بإسناد ضعيف، ولها شواهد تقويه.

(٢) أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٧)، بإسناد حسن، مرة مرسلاً ومرة متصلاً.

(٣) ابن هشام (١/ ٢٩٤-٢٩٥)، من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد. فهي ضعيفة.

(٤) ذكره ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥٠-٢٥١) من رواية الخرائطي، بإسناد ضعيف، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٠١) من حديث أنس بن مالك بنحوه.

(٥) ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥٦)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٠٤)، وإسنادهما ضعيف جداً.

وروى ابن كثير[١] والبيهقي[٢] أحاديث أخرى بهذا المعنى في قصة قس وتعبده بالحنيفية وأقواله، وأشعاره في ذلك، دلت على أن لقصته أصلاً تاريخياً، كما ذكر ابن كثير والبيهقي.

٥ - أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت:

هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[٣]. وفي رواية: «فلقد كاد أن يسلم في شعره»[٤]. ويقال إنه ممن دخل في النصرانية وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة[٥]، فقد كان من فحول الشعراء[٦]، عاش إلى زمان البعثة ولم يؤمن تكبراً على أن يكون تابعاً للرسول ﷺ[٧]، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥][٨].

قيل إنه مات سنة تسع، وقيل سنة اثنتين[٩]، وله شعر في رثاء قتلى قريش يوم بدر الكبرى[١٠].

٦ - لبيد بن ربيعة العامري ثم الكلابي ثم الجعفري

كان من فحول شعراء الجاهلية، ومن شعراء المعلقات. قال الرسول ﷺ عنه:

---

(١) البداية (٢/ ٢٥١-٢٥٨)، وقال ص٢٥٧: «... وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة ...» وذكر كلام البيهقي عن هذه الطرق ص٢٥٨.

(٢) دلائل النبوة (٢/ ١٠٢-١١٣)، وقال بعد سياقه هذه الطرق: «... وإن كان بعضها ضعيفًا دل على أن للحديث أصلاً، والله أعلم».

(٣) البخاري، الفتح (١٤/ ٣١٠، ح٣٨٤١)، مسلم (٤/ ١٧٦٨، ح٢٢٥٦).

(٤) مسلم (٤/ ١٧٦٨، ح٢٢٥٥).

(٥) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٣١٠، شرح الحديث رقم ٣٨٤١)، وانظر مثاله عند ابن إسحاق (ابن هشام ١/ ٢٨٩).

(٦) انظر: شعره عند ابن إسحاق، مثلاً: ابن هشام (١/ ٨٦)، وقد أنشد الشَّريد بن سُوَيد الرسول ﷺ مائة بيت من شعره، كما روى مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٧، ح٢٢٥٥).

(٧) من رواية الطبري كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠)، ولم يتكلم على إسناده.

(٨) من رواية ابن مردويه بإسناد قوي، كما نقله ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠)، ثم قال: «وروي من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي، وهو المشهور».

(٩) ذكره ابن سبط الجوزي كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠).

(١٠) ابن إسحاق: (ابن هشام ٣/ ٤٢-٤٨).

«أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[1]. وله قصة مع عثمان بن مظعون، وسنذكرها في الكلام عن أساليب حرب المشركين للدعوة - الأسلوب العاشر.

وقد أسلم لبيد، ومات في خلافة عثمان ﷺ، بعد أن عاش مائة وخمسين عاماً، وقيل أكثر[2].

وممن ذكر من مشاهير الحنفاء غير هؤلاء: أرباب بن رئاب، والشاعر سويد بن عامر المصطلقي، وأسعد أبو كرب الحميري، ووكيع بن سلمة بن زهير الإيادي، وعمير بن حيدب الجهني، وعدي بن زيد العبادي - نصر -، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس البخاري، وسيف بن ذي يزن الحميري، وعامر بن الظرب العدواني، والشاعر عبد الطانجة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة، وعلاف بن شهاب التميمي، والملتمس بن أمية الكناني، والشاعر زهير بن أبي سلمى، وخالد بن سنان بن غيث العبسي، وعبد الله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي، وكعب بن لؤي بن غالب القرشي - أحد أجداد النبي ﷺ[3]، وعثمان بن الحويرث، الذي رحل في طلب الدين، فاستقر به المقام عند قيصر، فنصر وأقام عنده بأحسن مقام[4]، وعمرو بن عبسة السلمي، الذي أكرمه الله بالإسلام[5]، وأكثم بن صيفي بن رياح[6]، وعبد المطلب - جد النبي ﷺ[7]-.

ثالثاً: الحياة الاجتماعية عند العرب في الجزيرة العربية:

إن الحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات لا تكاد تنفصل عن الحياة

---

(١) البخاري: الفتح (١٤/٣٠٩، ح٣٨٤١)، مسلم (٤/١٧٦٨-١٧٦٩، ح٢٢٥٦).

(٢) انظر: ابن حجر: الفتح (١٤/٣١٠).

(٣) انظر: ميرهم عند الآلوسي: ص٢٥٨-٢٨٢، وابن قتيبة: ص٥٨، ٦٢.

(٤) ابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ١/٢٨٦) فهو ضعيف.

(٥) انظر أخباره في ترجمته في الإصابة (٣/٤-٦) وعند الطبري: التاريخ (٢/٣١٥)، بإسناد صحيح.

(٦) انظر خبره عند الآلوسي: بلوغ الأرب (١/٣٠٨-٣٠٩).

(٧) انظر: المسعودي: مروج الذهب (١/٢٣٩-٢٤٨)، الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٢٥٨). إن من ذكرناهم هنا على سبيل المثال وليس الحصر.

الدينية والاقتصادية، ولأن الوثنية التي سادت بين العرب كانت ضد الفطرة والمنطق، فقد نتج عن ذلك مظاهر اجتماعية ضد الفطرة والمنطق.

ومن بين تلك المظاهر: الانحطاط الأخلاقي، الذي تمثل في ممارسة كثير من الرذائل، مثل شرب الخمر ولعب الميسر، والزواج بغير عدد، وقتل بعضهم الأولاد خشية الفقر أو بسبب الفقر، وقتل بعضهم الإناث بالذات خوف العار، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب، وأخذ الثأر، وقد حكى عنهم الله تلك هذه الرذائل في القرآن الكريم، وعلى لسان رسوله، وعابها عليهم، وظل الرسول ﷺ يحاربها طوال حياته كما هو معروف، ومثال ذلك: ما قاله ابن عباس: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة من سورة الأنعام» وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝﴾ [التكوير: ٨-٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝﴾ [النحل: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝﴾ [الزخرف: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾ [النحل: ٥٨-٥٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

وسادت في بعض أوساط غير الأشراف أنواع من الأنكحة التي لا تختلف عن الدعارة. فقد روى البخاري[1] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فكان منها نكاح الناس اليوم... ونكاح الاستبضاع، وهو أن يصيب الرجل الأجنبي امرأة غيره في طهر لم يجامعها فيه زوجها ولا يغيرها زوجها حتى يتبين حملها: ونكاح الرهط، وهو أن يجتمع الرهط دون العشرة، فيصيب كل منهم امرأة غيره، فعندما تضع حملها ترسل إليهم فيجتمعون عندها، فتلحق المولود بمن تريد منهم، ونكاح رابع، وهو أن يجتمع الرجال الكثير على المرأة التي تنصب راية في بيتها، فإذا حملت فوضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا

(١) الفتح (١٩/ ٢٢٠-٢٢٢، ح٤١٢٧).

ولدها باللتي يرونه أكثر شبهاً به. وقد أبطل الإسلام كل هذه الأنكحة ما عدا نكاح الناس اليوم، ولم يكن يحس بعضهم بعار هذه الممارسات. فقد روى الشيخان[1] أن رجلاً قام فقال: «يا رسول الله: إن فلاناً ابني، عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «لا دعوة في الإسلام. ذهب أمر الجاهلية. للولد الفراش وللعاهر الحجر».

وسيأتي ذكر قصة اختصام سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن أمة زمعة - وهو عبد الرحمن بن زمعة - في فقه عمرة القضاء.

وكانوا يجمعون بين الأختين، ويتزوجون بزوجات آبائهم إذا طلقت أو ماتوا عنهن. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]، ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ...﴾ [النساء: ٢٢].

ولم يكن للطلاق عدد معين[2]، فحدده الإسلام بثلاث، كما في قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وعلى الرغم من وجود هذه الأمراض الخلقية عند عرب الجاهلية إلا أن هناك جوانب مضيئة في حياتهم السياسية والاجتماعية لا يمكن إنكارها، ولعلها كانت سبباً في اختيار الله لهم لحمل رسالته إلى العالمين، ومثال ذلك أن جاهليتهم لم تكن مركبة تقوم على فلسفة معقدة يصعب إزالتها، كما كان الحال في المجتمعات الأخرى المجاورة، وكانوا أصحاب عزيمة قوية يصدقون عندما يؤمنون، وقد وصفهم القرآن بهذا في قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وكان كثير منهم يتمسك بالفضائل ويقدرون من يتصف بمكارم الأخلاق، كما كان موقفهم من الرسول ﷺ في هذا الجانب بالذات، وهو موقف عبر عنه أبو سفيان في حديثه المشهور لهرقل، كما سيأتي.

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/١٣٨، ح٢٠٥٣)، ومسلم (٢/١٠٨٠، ح١٤٥٧).

(٢) أبو داود: السنن (٢/٦٤٤-٦٤٥، ك. الطلاق، ح ٢١٩٥) وإسناده صحيح.

وانظر: شرح الآية عند ابن كثير (١/٣٩٢-٤٠١)، وقول العلماء بأن التسريح بإحسان هو التطليقة الثالثة والأخيرة.

وكانوا من أصفى الناس ذهناً، وتحكي في ذلك الحقائق والغرائب، فقد ذكر ابن عبد البر[1]، أن ابن شهاب الزهري كان يقول: «إني لأمر بالبقيع فأسد أذني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته»، وقال ابن عبد البر[2] أيضاً: «كان أحدهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة. وقد جاء أن ابن عباس ﷺ حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر

في سمعة واحدة على ما ذكروه، وليس أحد اليوم على هذا، ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم...».

ونبين بعد هذا بمعرفة عدد الأحاديث التي رواها ابن عباس وأبو هريرة، وابن مسعود، وعائشة ﷺ. فقد روى أبو هريرة خمسة آلاف حديث وثلاثمئة وأربعة وستين حديثاً، وروى عبد الله بن عمر ألفي حديث وستمئة وثلاثين حديثاً... الخ[3].

وكانوا يعشقون الحرية، ولم يعرفوا الخضوع إلا لذوي الأسنان منهم، ممن تتوافر فيهم شروط السيادة، والبسالة، والرجولة، والصبر، والحلم، والأناة، وكل خصال الخير.

وعلى الرغم من عبادتهم الأوثان، إلا أنهم كانوا لا ينكرون وجود الله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

ويعرف هذا بتوحيد الربوبية، وهو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء وخالقه ومليكه.

وكانوا أصحاب لغة واحدة، ذات سحر وبيان، عبرت عن الإسلام أحسن تعبير.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/٦٩)، وإسناده صحيح.

(٢) المرجع نفسه، ص٦٩-٧٠.

(٣) انظر: ابن حزم: جوامع السيرة، ص٢٧٥-٢٧٦.

أ - في خارج الجزيرة العربية

أ - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل اليهودية:

أولاً: جوانب من الحياة الدينية:

لقد تعرضت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل[1]، ومن ثم فقدتا الروح، ولم تعودا تمثلان دورهما الأساسي في إصلاح الناس الذين جاءتا من أجلهم.

فاليهودية، بالإضافة إلى التحريف الذي حدث في أصولها، كانت ديانة أراد الله أن تكون لبني إسرائيل خاصة، غير أنها أصيبت في عقيدة التوحيد التي فضل الله بها بني إسرائيل على أهل زمانهم، إذ اقتبس اليهود كثيراً من العقائد والتقاليد الوثنية الجاهلية للأمم التي جاورها أو سيطروا عليها أو عاشوا وسطها. وقد اعترف بهذه الحقيقة مؤرخو اليهود المنصفون. ومثال ذلك ما جاء في دائرة المعارف اليهودية[2]

---

(١) لقد ذكر القرآن الكريم في عدة آيات مجالات تحريفهم وافترائهم، وأثر عن هذا التحريف والتبديل في كل الكتب أو الأبحاث الآتية:

أ - «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة»، للدكتور موريس بوكاي.

ب - «الصراع بين الدين والعلم»، للكاتب الأمريكي الشهير دوبر.

ج - «التوراة»، للدكتور مصطفى محمود، دار العودة، بيروت ١٩٧٣م.

د - «أسطورة تجسد الإله في المسيح»، تحرير سبعة من أساتذة اللاهوت البريطانيين، على رأسهم الأستاذ الدكتور جون هك، أستاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام. والكتاب من مائتي صفحة من القطع المتوسط، مقسمة على عشر فصول: صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٧م بلندن.

هـ - «مجلة كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية»، العدد الأول ١٣٩٧ - ١٣٩٨هـ، ص٣٧ - ٦٦، بحث بعنوان «تحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها»، بقلم الدكتور محمد أبو الليث الخيرآبادي.

و - «الرد الصحيح على من بدل دين المسيح»، لابن تيمية.

ز - «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم، خاصة الجزء الأول والثاني.

ح - «إظهار الحق»، لرحمة الله الهندي.

ط - «العقائد الوثنية في الديانة المسيحية»، أحمد شلبي.

(٢) نقلاً عن الدكتور المغربي في بحثه المشار إليه قبل قليل.

ما معناه:

«إن سخط الأنبياء وغضبهم على عبادة الأوثان يدل على أن عبادة الأوثان والآلهة كانت قد تسربت إلى نفوس الإسرائيليين، ولم تستأصل شأفتها إلى أيام رجوعهم من الجلاء والنفي في بابل، وقد قبلوا معتقدات خرافية ومشركة، وإن التلمود[1] أيضاً يشهد بأن الوثنية كانت فيها جانبية خاصة لليهود...».

هذا بالإضافة إلى أن توراتهم وتلموديهم قد طفحا بأوصاف ونعوت لا تليق بذات الله ووحيه وأنبيائه ورسالاتهم.

فتراهم في توراتهم المحرفة وعهدهم القديم[2] - مثلاً - يذكرون أن الله قد تعب في اليوم السادس وهو يخلق الكون، واستراح في اليوم السابع، وبارك اليوم السابع وقدسه لأنه استراح فيه من جميع أعماله[3]. ولذلك كان تحريم اليهود للعمل يوم السبت.

وجاء في عهدهم القديم في قصة آدم وزوجه حواء عليهما السلام: «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟...».

وهكذا يصور الله وكأنه بشر لا يعرف ما يحدث في حديقة منزله[4].

وقد أعقب هذا قولهم: إن آدم عندما أكل من شجرة المعرفة ارتفع بهذا العصيان إلى مراتب الآلهة، وأدرك الخير والشر، على الرغم من أن الرب عندما خلقه كان

---

(١) هو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم، وهو تجميع حواشي وشروح كتاب العهد القديم «التوراة» لعلماء اليهود في عصور مختلفة. انظر في ذلك: «التلمود، تاريخه وتعاليمه»، مظهر الإسلام خان.

(٢) فيما سبق من معلومات توراتية. انظر: «التوراة السامرية» ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصيرفي، نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا، نشر دار الأنصار المصرية.

(٣) انظر: سفر التكوين: الإصحاح الثاني.

(٤) سفر التكوين: الإصحاح الثالث. وقارن هذا بتصور الإسلام لله تعالى في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

حريصاً على بقائه جاهلاً بهما. وعندما خشي الرب من ازدياد تمرد آدم واستفحال أمره، أخرجه وزوجه من الجنة حتى لا تمتد أيديهما إلى شجرة الحياة فيكتب لهما الخلود[1]. ولم ترضه أيضاً سيرة آدم وأبنائه في الأرض، لأنه فوجئ بهم يملؤونها بالشرور والآثام، فحزن وتأسف على خلقهم[2].

والله في كتابهم المقدس يندم على إغراق الأرض بالطوفان[3]. ويقبل ضيافة نبيه إبراهيم، ويأتي إلى منزله بصحبة اثنين من ملائكته ويأكلون من مائدة إبراهيم الدسمة[4].

والله في توراتهم المحرفة يسخر في عراك ومصارعة مع عبده ونبيه يعقوب، دامت ليلة كاملة. وعندما أوشك يعقوب أن ينتصر عليه، لجأ إلى خدعة مكّنته من كسب الجولة والغلبة، وهي أنه ضرب حق فخذ يعقوب حتى انخلع. وعلى الرغم من ذلك لم يتركه يعقوب إلا بعد أن بارك ونال منه لقب إسرائيل[5].

والله في توراتهم إله خاص بهم: لا يحب غيرهم، لأنهم شعبه المختار. وأمّا الأمم الأخرى فهي كالأغنام لا يأبه بها الإله[6]. ويبنون كراهيتهم للأجناس الأخرى، وعلى رأسهم العرب، على أساس من دينهم المحرف. فتراهم يذكرون في توراتهم قصة يزعمون فيها أن نوحاً - نبي الله - سكر حتى استلقى وانكشفت سوأته، ولما رآه ابنه حام - أبو كنعان - ضحك منه وفضحه عند أخويه سام ويافث، اللذين ستراه دون النظر إلى عورته. وعندما أفاق نوح من سكرته، وعلم بما حدث من ابنه الأصغر حام، استنزل عليه لعنة الله قائلاً:

«ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته. مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم...»[7].

---

(١) سفر التكوين: الإصحاح الثالث.
(٢) سفر التكوين: الإصحاح السادس.
(٣) سفر التكوين: الإصحاح التاسع.
(٤) سفر التكوين: الإصحاح الثامن.
(٥) سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثين.
(٦) الإصحاح السابع والإصحاح السادس.
(٧) سفر التكوين: الإصحاح التاسع. وانظر: الملل والنحل لابن حزم (١/١٣٣).

وظاهر في هذه القصة إرادة اليهود استعباد الكنعانيين أبناء حام - زعم لا سبب لهم - وتزكية الإسرائيليين أبناء سام.

وكما صور اليهود نوحاً سكيراً ليصلوا إلى أهداف معينة، تراهم أيضاً يصورون لوطاً سكيراً وعاهراً يزني بابنتيه في حالة سكره، وتحيلان منه وتلدان. ويزعموا أن ابن البنت البكر عرف بـ(موآب)، أبو الموآبيين إلى اليوم[1]؛ ليصلوا بذلك إلى هدف واضح أيضاً وهو تجريح أعدائهم الموآبيين، وكل ذلك باسم الوحي.

وصدق الله العظيم الذي قال في القرآن الكريم:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨]. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

وتدعي توراتهم أن كل النساء غير اليهوديات مرمسات. ويستحق القتل كل الجوييم[2] - غير اليهود - أو العبيد أو الحمير حتى ذوو الفضل منهم. وأن من يقتل غير اليهودي يقدم قرباناً للرب[3].

هل يمكن أن يكون هذا كتاباً إلهياً مقدساً لتعريف البشر بالله وهدايتهم إلى طريقه؟!

إن هذا الاعتقاد الباطل هو الذي جعلهم لا يبالون بكل القيم في سبيل الوصول إلى أهدافهم كما هو واضح من بروتوكولات حكماء صهيون. ولا يبالون في وصف أنبياء الله بأوصاف لا تليق بهم كما قلنا. فها هم مثلاً - يصورون إبراهيم ﷺ ديوثاً في سبيل حرصه على الحياة والمنافع الدنيوية. فيذكرون في توراتهم أنه أغرى زوجته سارة بالذهاب إلى بيت فرعون بصفتها أخت إبراهيم من أجل الحصول على حظيرة

---

(١) سفر التكوين: الإصحاح التاسع عشر.

(٢) ومعناها حرفياً: العبيد أو الحمير.

(٣) انظر: تفاؤل المسلم في وجه التيارات المعاصرة، الدكتور عبدالحليم عويس، طبعة النادي الأدبي بالرياض ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ١٢١ - ١٢٢.

من الغنم والحمير، قال لها: «قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك..»[١].

ويصورون يعقوب عليه السلام بأنه محتال، سرق النبوة من أخيه البكر بأسلوب غادر[٢].

ويصورون ابنة يعقوب المسماة «دينة» بأنها زانية، زنا بها ابن رئيس المدينة المجاورة[٣].

ويقولون في تلموذهم بأن عيسى بن مريم عليه السلام ابن غير شرعي، حملته أمه سفاحاً وهي حائض، من العسكري (بانتيرا)، وإنه كذاب ومجنون ومضلل ومسحور ومشعوذ ووثني. ووصف تلموذهم المسيحيين بأنهم ليسوا أكثر من خرق حيض المرأة التي تُرمى في القاذورات، وأنهم وثنيون وقتلة وفسقة وحيوانات قذرة وخنازير وكلاب[٤].

ويصورون نبيهم داود يزني بامرأة أحد ضباطه، وتحبل منه، وذلك عندما رآها على السطوح فأعجبه جمالها، وأرسل زوجها الضابط إلى ميادين القتال ليهلك، ومن ثم يتزوج هو زوجته[٥].

أي بشاعة هذه؟ إن هذا الكلام لا يمكن أو يعقل أن يكون من عند الله، وبالتالي لا يمكن أن يكون صالحاً لهداية البشرية.

لقد حكى القرآن الكريم من جوانب كثيرة من تفكير اليهود الديني وموقفهم من كتابهم ورسلهم. ومن ذلك ما حكاه عن:

ميلهم إلى الوثنية على الرغم من وجود نبيهم موسى عليه السلام بينهم، فقد قالوا له: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨). وعندما عاد إليهم موسى بعد ملاقاة ربه، وجدهم عاكفين على عبادة عجل، قائلين: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (طه: ٩١)[٦].

---

(١) سفر التكوين: الإصحاح الحادي والعشرون.

(٢) انظر: سفر التكوين: الإصحاح الرابع والعشرون.

(٣) انظر: القصة كاملة في سفر التكوين: الإصحاح الرابع والثلاثين.

(٤) انظر: التوراة للدكتور مصطفى محمود، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧-٧٠.

(٥) انظر: إفلاس الإسلام في وجه التحديات المعاصرة للدكتور عبدالحليم عويس، مرجع سابق.

(٦) انظر: القصة في سورة طه: ٨٣-٩٧.

وعدم تخليهم عن شغفهم بالوثنية بعد موسى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٢-٩٣]

وذكر القرآن نوعاً من تعنتهم مع موسى، ويتمثل ذلك في قولهم له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وذكر نوعاً من سوء أدبهم مع الله، فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤].

ونسبهم بنوة البشر لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وألهوا أحبارهم، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وعدم تورعهم في تحريف كلام الله كما حكى عنهم القرآن في الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]، وفي الآية: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

ومما حكاه القرآن عن موقفهم من رسلهم قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]، وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

ويتضح لك مما سقناه من أدلة من كتب اليهود ومن كتاب الله ﷻ إلى أي درك وصلت هذه الديانة على أيدي هؤلاء البشر.

ثانياً: جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات اليهودية:

إن الله تعالى لا يرضى لدينه أن يكون عنصرياً بعيداً عن الإنسانية، ولكن اليهود بدلوا دين الله وجعلوه عنصرياً لا يحمل للإنسانية رحمة، وافتروا على أنبياء الله تعالى ووصفوهم بكل النقائص والرذائل البشرية كما رأينا. ولهذا فلا غرابة أن يعيشوا في صراع وفتن مع الشعوب غير اليهودية إلى يومنا هذا.

ففي القرن السابع الميلادي بالذات، أوقعوا بين المسيحيين في أنطاكية والقائد الفارسي فوكاس، مما ترتب عليه وقوع مذابح فظيعة في نصارى أنطاكية. وساعدوا جيوش الفرس في محاربة نصارى الشام، وقتلوا بأنفسهم النصارى في الشام مثلما حدث في صور. وكان جزاؤهم أن عاقبهم هرقل ملك الروم عقوبة قاسية عندما علم بما ارتكبوه من مآسٍ في حق النصارى بالشام[1].

لقد وصفهم القرآن الكريم وصفاً دقيقاً، يصور ما كانوا عليه في القرنين السادس والسابع الميلاديين من تدهور خلقي وانحطاط نفسي وفساد اجتماعي، جعلهم غير أهل لإمامة الأمم وقيادتها. ومن ذلك قول الله تعالى فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وقد ذاق العرب في يثرب الويلات نتيجة لحرص اليهود على إثارة الفرقة والحروب بين الأوس والخزرج، واحتكارهم التجارة، وتسخير العرب في مصالحهم الاقتصادية وعادوا الرسول ﷺ وكادوا له كيداً عظيماً، ومكروا به كثيراً، ولكن الله مكر بهم، وكانت مشيئة الله أن أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة، وأجلاهم عمر ﷺ عن الجزيرة العربية تنظيفاً للمجتمع الإسلامي من شرورهم وآثامهم[2].

---

(١) المقريزي، الخطط المقريزية (٤: ٣٩٢ وما بعدها).

(٢) انظر: تفاصيل مواقفهم من الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث وكتب السيرة القديمة والحديثة، مثل: سيرة ابن إسحاق، وعيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس، وفقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ... إلخ.

وسيأتي بيان ذلك في مكانه من الكتاب، واقرأ الآيات: ٤٠-٤٤ وما بعدها من سورة البقرة.

* إضافة إلى ما ذكره القرآن الكريم ومن جاء في كتب السنة والمغازي والتاريخ القديمة من إشارة إلى هذا التحريف.

ب - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المسيحية:

أولاً: الحياة الدينية:

وكذلك المسيحية، فبالإضافة إلى ما لحق بها من تحريف[1]، فقد شابتها ألوان

---

(١) قال الدكتور محمد أبو الغيط في بحثه الذي سبق الإشارة إليه بتحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين (وهي: إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا) ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها، وخرج بنتيجة هامة يقول فيها:

«عرضنا فيما تقدم حديثًا عن تاريخ الأناجيل المعتمدة عند النصارى ومقدار صلتها بأصحابها، وتبين أن (متى) الحواري تكاد الصلة أن تنقطع بينه وبين الإنجيل الحالي، حيث دخلته شخصية مترجمة من العبرية إلى اليونانية، ولم نتحقق بالضبط كما لم يتحقق الناقدون المدققون: هل المترجم أضاف جديداً إلى ترجمته وأدخل فيها من الحواشي والتفسيرات ما أدخل، أم أنه كان أمينًا بصيرًا في قيامه بالترجمة؟

ثم إن فقدان الأصل العبري قبل ظهور الترجمة، وإخفاء اسم ذلك المترجم ينقص كثيرًا من وزن ذلك الإنجيل، مع الترجيح بأنه من عمل أحد أتباع (متى) العشار، كما سبق تحقيق ذلك.

كما تقرر أيضًا (مرقس) لم يكن من الحواريين، وأنه كتب إنجيله عن معلمه (بطرس). وأن إنجيل (لوقا) لم يتعد أن يكون رسالة أخذ يسرد فيها وقائع الأحداث التي علمها ممن سبقه مستخلصة من حقائق مخلوطة بالتزييف مشوبة بالهوى تحتاج في استخلاصها إلى ضابط يقود زمام الفكر ودقة البحث مع فقدان الضابط فضلاً عن كون (لوقا) ليس من الحواريين والتلاميذ، مع كونه في الوقت نفسه تلميذًا لبولس المتهم بتحريف الديانة النصرانية.

كما تبين لنا أيضًا حال (يوحنا)، والشك في كون الإنجيل من وضعه، مؤكدًا ذلك بالشواهد المذكورة عند الكلام عنه، مع ميلنا إلى أنه من وضعه في أخريات حياته المشبعة بالفلسفة والفكر الهلينى.

وأضيف إلى ذلك أن حواري المسيح كانوا لا يفهمون في كثير من الأحيان إلا بالأمثال، لما كان يصطبغ به في كلامه بالرمزية في كثير من مخاطباته. فإذا أخذنا كل ذلك وغيره في اعتبارنا علمنا علم اليقين أن هذه الأناجيل بعيدة كل البعد عن الإلهام، وليس بينها وبين السماء أدنى صلة، ويحق لنا بعد ذلك أن نقول: إن هذه الأناجيل لا تتصل بإنجيل المسيح إلا بخيط أوهى من خيط العنكبوت، وإنها لذلك ليست على شيء، باستثناء فقرات مقتبسة من تعاليم المسيح أودعت هذه الأناجيل من ذكريات مؤلفيها، لتكون شاهد حق ومعالم صدق للنبي الخاتم محمد ﷺ ولكتابه الكامل كتاب الله العزيز.

وعقد ابن حزم الظاهري في كتابه: الملل والنحل (١/١١٦) فصلاً عن المتناقضات الظاهرة والأكاذيب الواضحة في التوراة والأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى. فانظره.

وعن التجاذب بين الوثنية والمسيحية انظر مثلاً: تاريخ ابن بطريق، وأنوار الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسرائيل لرفاعة الطهطاوي، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، وقصة الحضارة لديورانت .... إلخ.

شتى من الوثنية والخرافات اليونانية والرومانية، اضمحلت في جانبها تعاليم المسيح الميسرة، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية تحول بين الإنسان والعلم والفكر والمنطق. ومن الأدلة الواضحة على ذلك ما ذكره باكستر الأوروبي[1]، والذي ترجمته:

فلقد انتهت الوثنية، ولكنها لم تلق إبادة كاملة، بل إنها تغلغلت في النفوس واستمر كل شيء فيها باسم المسيحية وفي صدرها. فالذين تجردوا عن آلهتهم وأبطالهم وتخلوا عنهم أخذوا شهيداً من شهدائهم ونقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تمثالاً. وهكذا انتقل هذا الشرك وعبادة الأوثان إلى هؤلاء الشهداء المحليين، ولم ينته هذا القرن حتى حمت فيه عبادة الشهداء والأولياء، وتكونت عقيدة جديدة وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وصار هؤلاء الأولياء والقديسون خلقاً وسطاً بين الله والإنسان، ويحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين، وأصبحوا رمزاً لقداسة القرون الوسطى ووعيها وطهرها. وغيرت أسماء الأعياد الوثنية بأسماء جديدة، حتى تحول في عام ٤٠٠ ميلادي عيد الشمس القديم إلى عيد ميلاد المسيح».

وما ذكره الدكتور أبو الغيط[2] في كلامه عن الوثنية في المسيحية ختمه بقوله:

«... وهكذا كانت عبادة الأوثان في مصر، لاضطهاد هذه يرتفع سوقها وينخفض تبعاً لتأييد النصارى للحكام الرومانيين وإقبالهم على تلبية رغباتهم في الولاء لتمثال القيصر، ومن يتباطأ عن ذلك كان مصيره الحرق والهدم والتدمير كما يقول بذلك التاريخ المسيحي كله، حتى طائفات المسيحية رأسها أخيراً للوثنية وغطرستها بعد طول التجاذب والصراع بينهما. فحينما دخلت المسيحية بلداً ووجدت أهله مقيمين على الوثنية أقروهم على عبادتهم بالإضافة إلى المعتقدات المسيحية».

وابتدع النصارى الرهبانية، وأدخلوا في أناجيلهم ما لا تستسيغه الأفهام. فابن حزم - أحد رواد علم مقارنة الأديان - انتهى إلى نتائج خطيرة عندما درس المصادر

---

(1) Rev.James Houston Baxter: History of Christianity in the Light of Modern Knowledge, Glasgo, 1926, P.407

نقلاً عن د. الغرت في سبق المشار إليه.

(2) مرجع سبق ذكره، ص٨٢

الأصيلة للمسيحية. ومن مناقشته للنصارى في عقيدتهم قوله:

«... وقالت (اليعقوبية): إن المسيح هو الله تعالى نفسه، وإن الله - تعالى عن كفرهم - مات وصلب وقتل، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان. وإن الله تعالى عاد محدثاً وإن المحدث عاد قديماً وإنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به...».

«ولولا أن الله تعالى وصف قولهم في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] وإذ يقول الله تعالى حاكياً عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وإذ يقول تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، لولا ذلك لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف. وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان...».

ويقول في دحض هذا القول:

«... ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من غير السماوات والأرض، وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التي كان فيها ميتاً ... ثم يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس. أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلها وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أباً والثاني ابناً وأنتم تقولون إن الثلاثة واحد وإن كان منها هو الآخر فالأب هو الابن والابن هو الأب وهذا هو عين التخليط. وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه: «سأقعد من يمين أبي»، وبقولهم: إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده وإن الابن لا يعلمها، فهذا يوجب أن الابن ليس هو الأب... وإن كانت الثلاثة متغايرة - وهم لا يقولون بهذا - فيلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو من الحدوث أو من النقص به وجب أن ينحط عن درجة الأب. والنقص ليس من صفة الذي لم يزل...»[1].

وخلاصة قول ابن حزم[2] في عقيدتهم التي جاءت في أناجيلهم: «فهذه سبعون فصلاً من أناجيلهم من قلبه بحت ومناقضة لا حيلة فيه، ومنها فصول يجمع النقص

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٤٩) وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه (٢/٦٩).

من ثلاث كذبات فأقل على قلة مقدار أناجيلهم.

وجملة أمرهم في المسيح ﷺ أنه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف وابن داود وابن الإنسان، ومرة هو إله يخلق ويرزق، ومرة هو خروف الله، ومرة هو في الله والله فيه، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه، ومرة هو علم الله وقدرته، ومرة لا يحتكم على أحد ولا ينفذ إرادته، ومرة هو نبي وغلام الله، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولاه هو وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ويعطش ويشرب ويهرب من الخوف ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تيناً يأكله، ويفشل فيركب حماره ويأخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة، ويبزق في وجهه ويضرب ظهره بالسياط ويمينه الشرط، ويتهكمون به ويسقى الخل في الحنظل ويصلب بين سارقين ويسمر يداه ومات الساعة ودفن ثم يحيا بعد الموت ولم يكن له هم إذا حيي بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه الخبز والحوت المشوي، وسقوه العسل، ثم انطلق إلى شغله...».

ثم أخذ ابن حزم في بيان الكذب والكفر والهوس الذي جاء في كتبهم غير الأناجيل[1].

إن هذا المآل الذي آلت إليه المسيحية واليهودية: اقتضى أن يرسل الله رسولاً آخر، هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، لإنقاذ البشرية من هذا الضلال، ويكون الدين الخاتم لكل البشرية بعد أن أعدت لتلقيه.

ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات النصرانية:

حل القرن السادس الميلادي والحرب قائمة بين نصارى الشام والدولة الرومانية وبين نصارى مصر، أو بين الملكانية - التي يمثلها حزب الدولة - والمنوفيسية - التي يمثلها حزب القبط - بعبارة أخرى. وذلك لاختلافهم حول حقيقة وطبيعة المسيح ﷺ، إذ يعتقد الملكانية في ازدواج طبيعة المسيح بينما يعتقد المنوفيسيون أن لسيد المسيح طبيعة واحدة. وأصبح العالم المسيحي في شغل بنفسه عن محاربة

---

(١) انظر ذلك في: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٦٩) وما بعدها.

الفساد والإصلاح ودعوة الأمم إلى الخير. وابتلي القبط بمصر لاعتناقهم المخالف لاعتقاد الدولة[١].

وفي الدولة الرومانية الشرقية - بالذات - ساءت أحوال الناس حتى فضلوا الحكومات الأجنبية على حكوماتهم. وقامت فتن وثورات. وقد هلك في عام ٥٣٢م - مثلاً - في اضطراب واحد ثلاثون ألف شخص في القسطنطينية[٢]. وأمعنوا في أساليب التسلية التي وصلت إلى حد الوحشية[٣].

وفي مصر البيزنطية ساد الاضطهاد الديني والاستبداد السياسي والبؤس والفقر، إذ كانت شاتهم الحلوب التي يحسنون حلبها ويسيئون علفها. ولم ينقذ المصريين من هذا الحال إلا المسلمون، كما يعترف بذلك من ينتسبون إلى النصرانية، أمثال توستاف لوبون[٤].

وفي سورية البيزنطية سادت المظالم إلى الحد الذي اضطر كثيراً من السوريين بيع أبنائهم ليوفوا ديونهم[٥].

أما الأمم الأوروبية في الغرب والشمال فكانت تعيش حروباً دامية وجهلاً مطبقاً وغلواً في الدين. وكانوا يبحثون في قضايا مثل: هل المرأة حيوان أم إنسان؟ وهل لها روح خالدة أم لا؟ وهل لها حق الملكية والبيع والشراء؟.. إلخ[٦].

جـ - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:

أولاً: الحياة الدينية:

لقد شاع في إيران قبل ظهور زرادشت[٧]، الاعتقاد بألوهية أهيرمن وإيهاء

---

(١) انظر: بلر: فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد أبو حديد، ص٣٧، ٤٨، ٤٧.

(٢) انظر: دائرة المعارف البريطانية، مادة: جستنيان.

(٣) انظر: إدوارد جيبون: انحطاط الدولة الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي أبو درة، ص٣-٥.

(٤) حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ص٢٥٨.

(٥) انظر: محمد كرد علي: خطط الشام (١/١٠١).

(٦) السيرة النبوية، ص١٨، ١٩، وبان خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٤٤.

(٧) هو نبي قديم، لإيرانيين، انظر سيرته في كتاب: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٧٧-٨١)، -

وأشاعه، وظل ذلك حتى بعد ظهور الزرادشتية، التي تأثرت بهذه الديانة الوثنية القديمة، التي تقدس بعض عناصر الطبيعة، مثل: النار والكواكب، ويعبد فيها آلهة متعددة.

أما الزرادشتية في أصلها فقد كانت حرباً على عقيدة ميثرا وبيعا وأشاعه تلك العقيدة الوثنية[1]، إذ كان من أبرز مبادئ الزرادشتية دعوة الناس إلى عبادة إله واحد وهجر الوثنية والصابئية التي كانت تتمثل في عبادة بعض الكواكب وغيرها من القوى الطبيعية[2]، والدعوة إلى تقديس عنصري الشمس والنار على أنهما رمزان لتلك القوة الواحدة التي لا تفتأ تفيض رحمة ونوراً وعطفاً وطهوراً، وتعمل على إنقاذ الإنسان من البلاء[3]، وتقديس التراب والماء والهواء لأهميتها في حياة الإنسان.

وبعد موت زرادشت، ظهرت فرقة المجوس[4] الذين يعبدون النار ويرونها إلهاً ويستعملونها في شعائرهم الدينية، متذرعين أنها كانت فقط رمزاً للضعفاء، حتى أصبحوا يعرفون بأنهم عبدة النار، وأحياناً كهنة المجوسية. ومن الطقوس التي كانت موجودة من قبل زرادشت: عبادة الأصنام وتقديم القرابين، وبخاصة للإله (ميثرا) الذي أصبح أبرز الآلهة[5].

ولما غزا الإسكندر المقدوني بلاد إيران في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد،

= وكتاب: زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، حياته وفلسفته لحامد عبدالقادر، الكتاب رقم (١) من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م. وخلاصة القول فيه عنده: أن الزرادشتية لم تكن في الأصل وثنية، بل كانت توحيدية تؤمن بإله واحد وتكفر بالشيطان وتؤمن بالثواب والعقاب وتدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (انظر بالذات الفصل الثالث عشر، ص٧٩-١٠٢ الديانة الزرادشتية) وانظر كذلك: الطبري: التاريخ (١/٦٩٦-٥٤٠).

(١) انظر: الشهرستاني (٢/٧٧) وانظر: زرادشت الحكيم: المرجع نفسه، ص٨٠

(٢) المرجع والمكان نفساهما.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٦.

(٤) يفرق حامد عبدالقادر بين الزرادشتية والمجوسية تفريقاً واضحاً نعبر به عن كثير غيره ممن كتب عن الديانات الإيرانية القديمة (انظره في ص١١٥-١١٨).

(٥) انظر: آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، ص١٩-٢٩، والدكتور أحمد شلبي: الإسلام، سلسلة مقارنة الأديان رقم (٣)، ص٤١.

اختفت الزرادشتية ولم تظهر إلا بعد خمسة قرون عندما قامت الدولة الساسانية التي حاولت العودة إلى الزرادشتية باعتبارها جزءاً من تراث إيران، ولكن الزرادشتية الساسانية كانت بعيدة كل البعد عن اتجاهات زرادشت، وكانت تحقق أهداف الملوك وطبقة الكهنة[1].

وفي القرن الثالث بعد الميلاد ظهر «ماني» بمذهبه الذي كان مزيجاً من الزرادشتية والمسيحية والنصرانية[2]، وهذه الزرادشتيون ملحداً خارجاً عن الزرادشتية الدين الحق – أي عدوه ذليلاً – لأن عقائده ثنوية صريحة، إذ تقول بوجود كائن ثنائي الطبيعة، وبوجود مبدأ أو كائنين يسيطران على العالم، هما: مبدأ النور ومبدأ الظلام. الأول مصدر الخير والثاني مصدر الشر، ولكل منهما قدرة على الإدراك[3] وعند امتزاج هذين الكائنين نشأ الكون بما فيه من ظواهر وحوادث وأجسام كثيفة وكائنات حية[4]. ويرون أن كل من يساعد على إطالة أمد امتزاج النور بالظلام هو شر كله، وفي مقدمة ذلك: الزواج والتناسل، ولذلك رأوا أن من الواجب أن يسلك الإنسان مسالك العزلة والرهبنة وأن يقطع دابر التناسل حتى يفنى العالم المادي ويتخلص النور من الظلام.

وفي سنة ٢٧٦م، قتله الملك الإيراني (بهرام بن هرمز بن شابور)، وقال عنه: «إن هذا الرجل قد جاء يدعو الناس إلى تدمير الكون، فالواجب أن يبدأ بتدمير نفسه»[5].

وعلى الرغم من هذا الاضطهاد، استمرت المانوية وتحولت إلى حركة سرية،

---

(١) المرجع نفسه، ص٤١-٤٢.

(٢) نسبة إلى واضع اسمها ابن ديصان – مبأتي تكرف –.

(٣) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨١) وما بعدها، وانظر: زرادشت، المرجع السابق، ص١٢٥، «الفرق والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية»، للدكتور عبدالله سليم السامرائي، رسالة ماجستير مطبوعة، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، ص٦٤.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٤)، زرادشت: المرجع السابق، ص١٢٥-١٢٦.

(٥) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦)، وزرادشت: المرجع السابق، ص١٣٠-١٣٢، «الإسلام» لأحمد شلبي، مرجع سبق ذكره، ص٤٢، وآرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص١٦٩-١٩٥ الفصل الذي بعنوان: «النبي ماني ومذهبه»، وهو الفصل الرابع

وبقيت كذلك في الفترة الإسلامية[١].

وظهر مَزْدَكُ في أواخر القرن الخامس الميلادي (٤٧٨م)، وسار على تعاليم مَاني، معلناً شيوعية المال والنساء[٢].

وأخذ الملك الإيراني قباذ بآراء مزدك وطبقها في المجتمع في السنوات العشر الأولى من حكمه، وعندما وقف على بطلانها وحقيقتها تحول عنها وقتل مزدكاً وأوقع بأنصارها سنة ٥٢٩م، فتحولوا إلى العمل السري أيام الدولة الساسانية، ثم عادت إلى الظهور من جديد في العصور الإسلامية[٣].

وظهرت في إيران كذلك الديانة المرقونية - نسبة إلى واضع أسسها «مرقيون»[٤] وعقيدتها ثنوية، لزعمهم أن النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر[٥]. وتأثرت بالزرادشتية والمسيحية.

وكذلك ظهرت في إيران الديانة الديصانية. وهي من الديانات الثنوية. وذهبت إلى ما ذهبت إليه المرقونية من وجود عالم ثالث إضافة إلى النور والظلمة، مهمته أن يفصل بين عالم النور وعالم الظلمة، ولم توضح كيفية وجود هذا العالم الثالث[٦]. وابن ديصان الذي تنسب إليه هذه النحلة أول من مهد لفكرة الحلول، حيث زعم أن نور الله قد حل قلبه[٧].

ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:

لقد شاع الفساد في إيران في ظل دياناتها الوثنية القديمة التي سبقت الزرادشتية، خاصة سكان البادية، فقد كان بعضهم يعتدي على بعض بالسلب والنهب وإزهاق

---

(١) انظر طرفاً من سيرتها في هذه الفترة في كتاب: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص٢٤-٢٥ وانظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٨٦).

(٢) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٨٦)، والغلو والفرق الغالية، ص٢٥، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٤٨-٤٩، الدكتور شلبي: الإسلام، ص٤٢-٤٣.

(٣) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٨٦)، والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص٢٦.

(٤) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٨٦)، والغلو والفرق الغالية، المرجع نفسه، ص٢٢.

(٥) الشهرستاني: المرجع والمكان نفسهما، الغلو والفرق الغالية، المرجع والمكان نفسهما.

(٦) انظر: الشهرستاني: المرجع نفسه (٢/٨٨)، والغلو والفرق الغالية، ص٢٢-٢٣.

(٧) انظر: الشهرستاني: المرجع نفسه (٢/٨٨-٨٩)، والغلو والفرق الغالية، ص٢٣.

الأرواح[١].

وعندما جاءت الزرادشتية حاولت القضاء على هذه المفاسد، ولكن إلى حين، وذلك لظهور عقائد أخرى مثل المانوية، والمزدكية.

وفي ظل المجوسية المنبثقة عن الزرادشتية، وفي ظل بقايا المانوية والمزدكية والديانات الإيرانية القديمة عاشت إيران في فوضى أخلاقية ونشأت عقدي وحروب دامية داخلية، وخارجية. فكثيراً ما كان مقدسو النار يهزمون عبدة المسيح وينهبون أموالهم ويأسرون منهم. وأحياناً كانت الدائرة تدور على الفرس - الإيرانيين - فيغلبهم الروم[٢].

وكان المجوس من الفرس لا يعبدون الإله الحق، ولم تتمكن الأخلاق الفاضلة في نفوسهم. وكان الأكاسرة يضطهدون الفرق الدينية المخالفة لهم في العقيدة.

ومن الممارسات الاجتماعية البارزة استحلال الزرادشتيين زواج المحارم، وقالوا: «الابن أحرى بتسكين شهوة أمه، وإن مات الزوج فابنه أولى بالمرأة»[٣]. ولذلك تزوج ملكهم يزدجرد الثاني - حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي - ابنته، ثم قتلها. وبهرام جوبين - الذي ملك في القرن السادس الميلادي - كان متزوجاً بأخته[٤].

وحظيت الدعوة المزدكية بتأييد الشباب والأغنياء والمترفين والطبقة العامة لما صادفته من هوى في نفوسهم، وحظيت بتأييد الحاكم كما قلنا لفترة، مما كان له أكبر الأثر في نشاطها. وانغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية[٥].

وكان للإيرانيين اعتقاد في البريئات الروحية والأشراف من قومهم، إذ يرونهم

---

(١) انظر: حامد عبدالقادر: زرادشت الحكيم، ص٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير: التفسير (٦/ ٣٠٥ وما بعدها) في تفسير الآيات ١-٧ من سورة الروم. زرادشت الحكيم: المرجع نفسه، ص١٣٨.

(٣) انظر: الفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ترجمة مبين ذكرى، ص٣١.

(٤) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٢/ ٦٧٨)، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٤٧؛ آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين: ص٣٠٩-٣١١.

(٥) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦)، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٤٩، وانظر: الدكتور شبي: الإسلام، ص٤٣، آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص٣٤٨-٣٥٠.

فوق العامة في طبقتهم، وفوق مستوى الناس في عقولهم ونفوسهم، ويمنحونهم سلطة روحية لا حد لها، ويخضعون لها خضوعاً كاملاً.

وكان للعامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تمييزاً واضحاً. وكان لكل طبقة مركز محدد في المجتمع[1].

وكانوا يبالغون في تمجيد القومية الفارسية، ويرون أن لها فضلاً على سائر الأجناس والأمم، وأن الله قد خصها بمواهب ومنح لم يشرك فيها أحداً. وكانوا ينظرون إلى الأمم من حولهم نظرة ازدراء وامتهان، ويلقبونها بألقاب تدل على هذه النظرة[2].

ولما كانت النار لا توحي إلى عبادها بشريعة، ولا ترسل رسلاً، ولا تتدخل في شؤون حياتهم، ولا تعاقب العصاة المجرمين، فقد أصبحت الديانة عند المجوس - الذين حرفوا الزرادشتية الأصلية - عبارة عن طقوس وتقاليد تؤدى في أمكنة خاصة وفي ساعات خاصة. أما خارج المعابد، وفي دورهم وأماكن أعمالهم وفي الشارع وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك، فقد كانوا أحراراً، يسيرون على هواهم شأن المشركين في كل عصر[3].

وهكذا حرمت الأمة الفارسية في حياتها - في ظل المجوسية - حباً عميقاً جامعاً يكون مربياً وسهيباً وحاثاً على عمل الخيرات، ويكون نظاماً لكل أنشطة الإنسان والمجتمع والدولة، وحائلاً بين الناس وعقيان الأحكام[4]. وهو ما وجدوه في ظل الإسلام.

وحرمت حكماً رشيداً لقمع الفساد، بل كان ملوكها عنصراً أساسياً من عناصر الإفساد، لأنهم تألهوا عندما لم يعبد الناس الإله الحق. وتنافسوا على العرش حتى بلغ ستة منهم تولوا العرش في أشهر قليلة، وبذلك تدهورت حتى قيمة العرش وأصبحت كل موارد البلاد ملكاً لملوكها الذين وصل بهم الترف والبذخ إلى حد خرافي، ومثال ذلك أن يزدجرد، آخر ملوكهم، عندما فر أمام الفتح الإسلامي، كان

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٠-٥١، وانظر: المرجع السابق، ص٣٠٢-٣٠٧.

(٢) انظر: الطبري: التاريخ (٣/٥٢٠-٥٢٢)، الندوي: ماذا خسر العالم، ص٥٢.

(٣) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٩٣-٩٤)، وماذا خسر العالم: المرجع نفسه، ص٥٣-٥٤.

(٤) انظر: ماذا خسر العالم، المرجع نفسه، ص٥٣.

معه ألف طاه وألف مغن وألف قيم على النمور وألف قيم على البزاة، وحاشية أخرى، ومع ذلك كان يعتبر نفسه لاجئاً حقيراً في حالة يرثى لها من قلة الحاشية وفقدان أسباب التسلية[١]. وعاش الشعب في بؤس وشقاء تثقل كاهله الضرائب والحروب[٢].

د - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الصينية:

أولاً: الحياة الدينية:

كانت تسود الصين في القرن السادس الميلادي ثلاث ديانات: ديانة لاتسو[٣] وديانة كونفوشيوس والبوذية. أما الأولى فقد كانت وثنية، تعنى بالنظريات أكثر منها بالعمليات. وعاش أتباعها زاهدين رهباناً، فانفض عنها إلى غيرها الذين جاءوا بعد مؤسسها[٤].

وأما كونفوشيوس فقد كان يعنى بالأمور العملية أكثر من النظريات، ولكن انحصرت تعاليمه في شؤون الدنيا. وكان أتباعه لا يعتقدون - في بعض الأزمنة - بعبادة إله معين: ويعبدون ما يشاؤون من الأشجار والأنهار[٥]. واتجهوا إلى كونفوشيوس يبنون له الهياكل ويعبدونه، ويقدمون أمام تماثيله الذبائح والقرابين ويركعون لها.

وشاعت في الصين قبيل الإسلام عبادة الأرواح، وبخاصة عبادة أرواح الآباء والأجداد، إذ كانوا يعتقدون أن هذه الأرواح تعيش معهم بعد وفاة أصحابها[٦].

وأما البوذية الصينية فقد فقدت حتى القدر القليل جداً من بساطتها، وابتلعتها البرهمية الثائرة الموتورة، فتحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سادت، وتبني

---

(١) الندوي: السيرة النبوية، ص١٤، آثر كرستنسن: إيران في عهد الساسانيين.

(٢) انظر: الطبري: التاريخ (٢/ ١٥٠)، وآرثر، المرجع نفسه، ص١٩ وما بعدها، الفصل الخامس.

(٣) ويرسمها بعضهم (لاوتسي) و«لوتس». انظر في هذا: الإسلام للدكتور شلبي، مرجع سبق ذكره، ص٤٣، ولاوتسو أسن من كونفوشيوس بنحو خمسين سنة. وقد تقابلا وتداولا بعض مشكلات (انظر المرجع والمكان نفساهما).

(٤) انظر: الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٣.

(٥) المرجع والمكان نفساهما.

(٦) الدكتور شلبي: الإسلام، ص٤١.

الهياكل وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت، وضمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية التي ظهرت في عهد ازدهار البوذية[1]. وتسربت إلى مناهج الحياة وانعدمت السحر والأوهام، وبدأت تتقهقر وتنحط بعد أن سادت ألف سنة[2].

ثانياً: الحياة الاجتماعية:

ليس في الديانات الهندية، الكونفوشيوسية أو التي سبقتها نور من يقين ولا باعث من إيمان ولا شرع سماوي يحلون به مشاكل العالم، وإنما هي حكم حكماء وتجارب خبراء، يستفيد بها الإنسان إذا شاء، ويرفضها إذا شاء[3]. ونتج عن ذلك - مثلاً - تمجيد الذكور كما كان يفعل العرب في جاهليتهم، فعندما يبشر الصيني بالذكر يعلق القوس والنشاب على الباب، دليل مولد الذكر الذي يحمي العشيرة، أما إذا بشر بالأنثى علق على بابه مغزلاً، دليل الخنوع والضعف[4].

وفي ظل البوذية الصينية قامت دول تعنى بمظاهر الألهة وعبادة التماثيل. وتغير محيط الروابط الأخوية البوذية وظهرت البدع والخرافات ولم تمنع الفلسفة الكونفوشيوسية وجود نظام طبقي اجتماعي، وإن كان أقل حدة من النظام الطبقي البوذي الذي ساد في الهند كما سنرى في الصفحات التالية[5].

هـ - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الهندية:

أولاً: الحياة الدينية:

سادت في الهند الديانة البرهمية التي عبد أتباعها القوى المؤثرة في الكون، والتي جسدوها ثم اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولها بها. وتعددت آلهتهم ثم حل بعقائدهم التغيير والتبديل حتى انحصرت الألهة في الثلاثة

---

(١) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٣-٥٤، الدكتور شلبي: الإسلام، ص٤١.

(٢) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٤-٥٥.

(٣) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٣-٥٥، الدكتور شلبي: الإسلام، ص٤٤.

(٤) الدكتور شلبي، الإسلام، ص٤٤-٤٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٥، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٤، ومرجع الندوي هذا هو كتاب الهند القديمة - بالألمانية - للأستاذ إيشو أتوبا، وعن النظام الطبقي في الفلسفة الكونفوشيوسية، انظر كتاب: كونفوشيوس للدكتور حسن شحاتة سعفان، سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب رقم (٣)، ص٧٦-٨٢.

أقانيم: برهما، وميف أو سيوا، وبشنو[١].

ومن بعد البرهمية سادت البوذية في الهند. والبوذية لم تعن بالبحث عما وراء الطبيعة، بل كانت عنايتها تتجه إلى الإصلاح الاجتماعي عن طريق رياضة الإرادة على الحرمان، وتعويدها السيطرة والرغبة في الملاذ لكيلا تشقى بطلبها ويحز فيها الحرمان[٢].

وعلى الرغم من ذلك، وبمرور الزمن، ظلت الأفكار العليا ثمانيم بوذا الخالقة، حتى توارت وراء التخيلات المقيدة بسبب الترقيعات الكلامية والتنطعات. وانحطت البوذية كما انحطت البرهمية ودخلت فيها العادات السافلة، وأصبح من العسير التمييز بينهما. لقد اندمجت البوذية في البرهمية وذابت فيها[٣].

وسادت الوثنية المجتمع الهندي بأسره حتى وصل عدد الآلهة حداً خرافياً، ووجدت في كل مرفق من كل نوع. فمنها أشخاص تاريخية وأبطال تمثل فيهم الله - حسب زعمهم - وجبال تجلس عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج وآلات الحرب والكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة، والأجرام الفلكية[٤].

ثانياً: الحياة الاجتماعية:

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانة وخلقاً واجتماعاً ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادي. إذ انتشرت فيه المفاسد حتى في المعابد الدينية. وعبد بعض رجال الفرق الدينية النساء العاريات، وعبدت النساء الرجال العراة[٥]. ولم تعد للمرأة قيمة أو كرامة، حتى أن الرجل ليحرق امرأته في الشعار، ولا تتزوج بعد وفاة زوجها. وانتشرت عادة إحراق الأرامل نفوسهن على

---

(١) انظر: محمد أبو زهرة: الديانات القديمة، ص٢٧-٢٨.

(٢) انظر المرجع نفسه، ص٧٧-٧٨؛ وعن البوذية راجع المرجع نفسه ص٥٣ وما بعدها، الندوي: السيرة النبوية، ص٦، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٤-٥٥.

(٣) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٤-٥٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٦-٥٧.

(٥) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٨-٥٩.

وذا أزواجهن، خاصة في الطبقات العليا[1]، وأنزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء[2].

وقامت فلسفتهم الدينية على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات، وهي:

١ - البراهمة - الكهنة ورجال الدين.

٢ - شترى - رجال الحرب.

٣ - ويش - رجال الزراعة والتجارة.

٤ - شودر - رجال الخدمة - خدمة الطبقات الثلاث السابقة.

وهذه الطبقة الأخيرة تعد نجسة، لا تخالط ولا تتعلم حتى الكتب المقدسة[3]، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والغراب والبومة ورجل الطبقة المنبوذة سواء[4].

أما البراهمة فهم فوق القانون ويحل لهم إبادة الآخرين[5]. هذا الفساد والضياع الذي عاشه العالم في الجزيرة العربية وخارجها كان يقتضي إرسال رسول، فأرسل الله سبحانه محمداً ﷺ للناس كافة عربهم وعجمهم لينقذهم من هذا الضياع والانحراف، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٩-٦٠؛ السيرة النبوية، ص١٥؛ الديانات الأخرى، ص٤٥-٤٦.

(٢) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٦٠-٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٢ ومصدره في هذا منو شاستر أي قانون منو، مؤلف هذا القانون.

(٤) انظر تفاصيل أكثر عن الشقاء الذي كان يرسف في أغلاله هؤلاء المنبوذون في كتاب الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، وعن امتيازات طبقة البراهمة انظر: المرجع نفسه: ص٥٩ ومصدره منو شاستر.

(٥) المرجع نفسه: ص٥٨، ٥٩، ٦٠.

الفصل الأول

من المولد إلى المبعث

المبحث الأول: نسب الرسول ﷺ

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان.

أخرج هذا القدر من نسبه البخاري في صحيحه[1]، وهو المجمع عليه بين العلماء، أما ما بعده إلى آدم عليه السلام فمختلف فيه كثيراً، وليس فيه ما يعتمد عليه. ولكن مما لا خلاف فيه أن عدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[2].

وأخواله من بني زهرة[3]، لأن أمه آمنة بنت وهب كانت منهم[4]. ويلتقي نسبه بنسبه في كلاب بن مرة[5].

وشاء الله أن يكون من أعلى وأطهر أهل الأرض نسباً وأشرفهم قوماً وقبيلةً وبيتاً. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم[6]». ويقول: «إن الله ﷻ

---

(١) الفتح (١٤/ ٣٠٣، ك. المبعث).

(٢) يستفاد ذلك من قول الرسول ﷺ: «إن الله عز وجل اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل ...» الحديث، مسلم (٤/ ١٧٨٢، ح٢٢٧٦)، وغيره.

(٣) انظر: البخاري، الفتح (١٤/ ٢٢٣، ك. المناقب).

(٤) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٣٠).

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن حبان، ص٤٤، وعقد ابن عساكر بابًا خاصًا عنوانه: «معرفة أمه وجداته [من جهة الأم والأب] وعمرته وصدقته»، انظر: تاريخ مدينة دمشق، السيرة النبوية، القسم الأول، تحقيق شاكر عزاوي، ص٨٠-٢٢٠.

(٦) مسلم (٤/ ١٧٨٢، ح٢٢٧٦).

يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نسباً، وخيرهم بيتاً»[١].

ولم يستطع أبو سفيان أن ينكر علو وسمو نسب الرسول ﷺ، على الرغم مما كان له من عداء للرسول ﷺ قبل إسلامه، فقال لهرقل - ملك الروم بالشام -: «هو فينا ذو نسب»[٢].

ذلكم هو نسب محمد ﷺ، الذي سماه جده عبد المطلب وأمه آمنة بهذا الاسم رغبة منهما عن أسماء أهل بيته، وأرادا أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض[٣].

حكم وفوائد من هذا الاصطفاء:

١ - ما دامت العرب لا تسمع إلا لذوي الأنساب العالية فيهم، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون نبيه محمد ﷺ من أعلاهم نسباً، حتى لا يكون لأعداء الإسلام سلاح في أيديهم للصد عن سبيل الله، وحتى لا يتوهم متوهم أن رسالته ما هي إلا وسيلة لغاية، وهي تغيير وضعه الاجتماعي.

٢ - إن اختيار الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من العرب يقتضي من المسلم أن يحبهم من حيث الجنس، لا من حيث الأفراد، لأن الأفراد قد ينحرفون عن الإسلام، فينبغي هنا كره أفعالهم المنحرفة لا كره جنسهم العربي.

□ المبحث الثاني: الختان والتسمية □

اختلف العلماء في أمر ختانه، فمنهم من قال إنه ولد مختوناً، ومنهم من قال: «ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة، وسمّاه محمداً»[٤]، والذي

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٦٥٣، ح٣٧٥٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) البخاري، الفتح (١٢/ ٧٠، ح٢٩٤١).

(٣) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣)، من رواية البيهقي في الدلائل (١/ ١٦١)، بإسناد مرسل، كما قال ابن حجر.

(٤) قاله الوليد بن مسلم بسنده إلى ابن عباس كما نقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام، السيرة ص٢٧، وقال الذهبي: إن هذا أصح مما رواه ابن سعد (١/ ١٠٣) بإسناد إلى العباس ﷺ، من أنه ولد مختوناً مسروراً ...

وجوه بعض كبار العلماء القدماء أنه ولد مختوناً[٢].

وعندما سألته قومه عن سبب رغبته عن أسماء أهل بيته، أجابهم بأنه يريد أن يحمده الله في السماء ويحمده خلقه في الأرض[٣].

وعرف الرسول ﷺ بأسماء أخرى، فقد قال: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». وقال الراوي - الزهري: «والعاقب الذي ليس بعده نبي»[٣]. وزاد ابن سعد[٤]: «... والخاتم...»، وزاد مسلم[٥] أسماء أخرى: وهي المقفى ونبي الرحمة، وزاد الترمذي[٦]... نبي الملاحم...»[٧]. وقد وردت أخبار بأن أمه سمته أحمد، فقد روى ابن سعد[٨] بإسناد حسن عن علي ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: سميت أحمد». وثبت الاسم أحمد ومحمد بنصوص القرآن[٩].

ولما كان والده قد توفي وهو في بطن أمه، فينصرف القائم بالتسمية إلى الأم. ويشهد لذلك ما رواه ابن سعد[١٠] من طريق الواقدي بسنده إلى أبي جعفر محمد بن علي، قال: «أمرت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد»، ويشهد له أيضاً

---

(١) روى أبو نعيم في دلائله (١/ ١٥٤) موقوفاً إلى النبي ﷺ قوله: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً، ولم ير أحد سوءتي»، وقال المحققان: «أخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس وصححه الضياء في المختارة...»، قال الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٢): «وتواترت الأحاديث أنه ﷺ ولد مختوناً»، وانظر: السيرة النبوية لابن حبان، ص٥٨، والسيرة الشامية (١/ ٤٢٠-٤٢١)، وبه نوى الشيخ طرهوني: «صحيح السيرة النبوية» حاشية رقم ١٤١، أحاديث حسان جداً له.

(٢) ابن حجر: الفتح (١٠/ ٣٥٠)، من رواية البيهقي بإسناد مرسل، ثم قال ابن حجر

(٣) البخاري: الفتح (١٨/ ٣٨٠، ح٤٤٨٩٦)، مسلم (٤/ ١٨٢٨، ح٢٣٥٤)، وغيرهما.

(٤) الطبقات (١/ ١٠٤)، بإسناد فيه حسن، كما قال اللاحم في سيرته، ص٣١.

(٥) الصحيح (٤/ ١٨٢٨، ح٢٣٥٥).

(٦) الشمائل (٣٦٠)، وإسناده حسن كما قال محقق تاريخ الإسلام للذهبي، السيرة ص٣١، حاشية ٥.

(٧) وعدم التصريحات عن أسماء النبي ﷺ - سواء ذكرها أو لم يذكر - انظر دلائل البيهقي: (٢/ ١٥٩-١٦١)، والسيرة الشامية (٢/ ٥١٢-٥١٣) فقد عدها الشامي مرتبة على الحروف الأبجدية.

(٨) الطبقات (١/ ١٠٤).

(٩) الصف: ٦، آل عمران: ١٤٤، الأحزاب: ٤٠، محمد: ٢، الفتح: ٢٩.

(١٠) الطبقات (١/ ١٠٤).

ما رواه أبو نعيم[١] عن بريدة وابن عباس قالا: «رأت آمنة في منامها فقيل لها: إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدته فسميه أحمد ومحمداً... إلخ». ويشهد له ما رواه ابن إسحاق[٢] ومن طريقه البيهقي في الدلائل[٣]، وقال: «وكانت آمنة تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها: فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمد. فسمته بذلك. وفي آخر الرواية أنها أخبرت عبد المطلب بما أمرت أن تسميه. فقال شعراً وفي آخره: أحمد مكتوب على اللسان». وقد رواه ابن عساكر[٤] أيضاً.

وكني بأبي القاسم[٥]، وأمر أن نسمي باسمه ولا نكني بكنيته[٦]. وكناه جبريل ﷺ بأبي إبراهيم، ولكنه كره أن يحول كنيته التي عرف بها[٧]. واختلف العلماء في أمر التكني بكنيته، وفي أمر الجمع بين اسمه وكنيته، فقيل إنما نهى عن التكني بكنيته في حال حياته، وقيل إنما نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته فقط[٨].

ولم يعرف اسم: أحمد قبله، وسمت بعض العرب باسم محمد لما شاع قبيل وجوده أن نبياً سيبعث اسمه محمد[٩].

◻ المبحث الثالث: اليتم ورعاية الجد ثم العم ◻

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ وفاة والده. والذي قاله ابن إسحاق[١٠]،

---

(١) دلائل النبوة (١/ ٣٦-٣٧).

(٢) ابن هشام (١/ ٢١٠) بلفظ قريب من لفظ أبي نعيم، وبدون إسناد، فهو ضعيف.

(٣) دلائل النبوة (١/ ١١١-١١٢).

(٤) تاريخ دمشق، السيرة (١/ ٤٠٤).

(٥) انظر: مسلم (٣/ ١٦٨٢، ح٢١٣٣)، أحمد: المسند (٢/ ٤٣٣ و٣/ ٢٠١)، ابن سعد (١/ ١٠٧).

(٦) البخاري، الفتح (٢٢/ ٣٨٢-٣٨٤، ح٦١٨٧ - ٦١٩٠)، مسلم (٣/ ١٦٨٤، ح٢١٣٤)، وعن المرويات الأخرى عن كنيته، انظر دلائل البيهقي (١/ ١٦٢-١٦٤).

(٧) ابن عساكر: تاريخ دمشق، قسم السيرة، ص٢٧-٣٦، بإسناد حسن.

(٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق، قسم السيرة، ص٣٦-٣٤؛ وابن الجوزي، الوفا، ص١٠٢، ١٠٣.

(٩) انظر: السيرة الشامية (١/ ٥٠٣)، وما بعدها.

(١٠) ابن هشام (١/ ٢١٠)، بدون إسناد، فهو يكون بذلك ضعيفاً.

ورجحه ابن سعد، إن ذلك كان وهو في بطن أمه، وهو المشهور، الذي رجحه كثير من العلماء[1]، ورجحته الآية القرآنية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ (الضحى: ٦)، بأنه كان يتيماً.

وقال السهيلي في الروض عن تحديد تاريخ وفاة والده: «وذكر أنه مات أبوه وهو حمل، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد، ذكره الدوالبي وغيره، وقيل: ابن شهرين، ذكره ابن أبي خيثمة، وقيل: أكثر من ذلك، ... وقيل: مات أبوه وهو ابن ثمان وعشرين شهراً، وأنشدوا رجزاً لعبد المطلب يقول لابنه أبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بمؤتم بعد أبيه فرد
فرقه وهو ضجيع المهد

وكان بينه وبين أبيه في السن ثمانية عشر عاماً». وهذا يعارض رواية ابن سعد الآتية التي تقول إنه توفي عن خمس وعشرين سنة. وكلا القولين ضعيف.

وقال الشامي في السبل عند تعليقه على كلام السهيلي عن الدوالبي: [وأكثر العلماء...] قال، قلت: والحق أنه قول كثيرين لا أكثرين.

والمشهور أنه ولد بمكة يتيم الأب، في يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول، في العام المشهور بعام الفيل ويوم الفيل بالذات[2].

وعندما مات والده كفله جده عبد المطلب، وهو تحت رعاية أمه آمنة بنت وهب[3].

وكانت وفاة والده بالمدينة، عند أخواله - أي أخوال أبيه عبد المطلب - بني عدي بن النجار، عندما أرسله والده عبد المطلب إليها ليشتري منها تمراً[4]. ودفن في دار النابغة، تحت عتبة البيت الثاني على يسار من يدخل دار النابغة. وكانت وفاته عن خمس وعشرين سنة[5].

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٩٩-١٠٠) بإسناد ضعيف.

(٢) انظر في هذا تحقيق طرهوني، صحيح السيرة، ص(٢٧١-٢٧٦).

(٣) وقد ثبت كفالة جده له من طرق عدة تتقوى إلى درجة الحسن لغيره. انظر في ذلك الحاشية رقم: ١٣٣، ١٤١، ١١١، ١٦٧، من كتاب صحيح السيرة للطرهوني.

(٤) قاله ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ١٤٤)، مرسلاً عن الزهري، وقيل: بل أرسله إلى الشام في تجارة فعاد من غزة مريضاً فتوفي بالمدينة. انظر: ابن سعد (١/ ٩٩) من رواية شيخه الواقدي.

(٥) انظر: ابن سعد (١/ ٩٩) وعمر بن شبة: تاريخ المدينة (١/ ١١٦-١١٧).

ظل الرسول ﷺ في رعاية أمه آمنة وكفالة جده عبد المطلب بعد أوبته من بادية بني سعد.

وعندما بلغ من العمر ست سنين توفيت والدته آمنة بالأبواء[١]، وهي راجعة به إلى مكة من زيارة قامت بها معه إلى أخوال جده عبد المطلب بني عدي بن النجار[٢] بالمدينة المنورة[٣].

وحملته مولاته وحاضنته أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة، فأخذ يحوطه بعنايته إلى أن توفي وللنبي ﷺ ثمان سنوات من العمر[٤]، فأوصى به إلى عمه أبي طالب[٥].

وقد رويت أخبار في مدى عناية جده عبد المطلب به. من ذلك ما رواه أبو يعلى[٦]، أن عبد المطلب أرسل محمداً ذات مرة في إثر إبل له ضلّت، فاحتبس عليه حتى حزن حزناً شديداً، وأخذ يطوف بالبيت وهو يقول مرتجزاً:

رَبِّ رُدَّ إلـيَّ راكـبـي مـحـمـداً ... يـا ربِّ رده واصـنـع عـنـدي يـداً

---

(١) قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، معجم البلدان (١/ ٧٩)، وقالوا: واد من أودية الحجاز التهامية يلتقي فيه واديا الفرع والفاحة، فيتكون منهما وينحدر إلى البحر ماراً ببلدة مستورة، ثم يبحر، عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة.

(٢) لأن هاشماً بن عبد مناف تزوج بالمدينة سلمى بنت عمرو النجارية، فولدت له عبد المطلب (شيبة). انظر: ابن إسحاق: (ابن هشام ١/ ٢٢٣)، ودلائل البيهقي (١/ ١٨٨).

(٣) ابن سعد (١/ ١١٦) من طريق الواقدي، ابن إسحاق بإسناد موصل: (ابن هشام ١/ ٢٢٢-٢٢٣)، عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣١٨) بإسناد مرسل ومرسل ابن إسحاق ومرسل عبدالرزاق صحيحان، وخبر وفاة أمه وهو غلام صغير ووفاتها بالأبواء ورد بطرق تتقوى وترتفع إلى درجة الحسن لغيره. انظر تفاصيل ذلك عند الشيخ طرهوني: صحيح السيرة، حاشية رقم ١٦٥ ورقم ١٦٦ .

(٤) انظر: ابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام ١/ ٢٢٣)، الأزرقي تاريخ مكة (١/ ٣١٤، ٣١٥)، وبإسناد حسن، الذهبي: السيرة، ص٢٥، بإسناد معلق وللقصة شواهد، منها ما رواه البيهقي في الدلائل بإسناد صحيح (٢/ ٢٢)، وعبدالرزاق بإسناد مرسل صحيح (٥/ ٣١٨).

(٥) ابن هشام، بدون إسناد: (١/ ٢٣٥)، ابن سعد (١/ ١٨٨) من طريق الواقدي، الذهبي، السيرة، ص٥٠ . ومما يدل على أن لهذا أصلاً ما جاء في قصة الراهب بحيرا مع الرسول ﷺ في رحلته إلى الشام وهو صغير وسيأتي ذكرها، وهي صحيحة كما ستعلم.

(٦) الهيثمي، مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٤)، وحسن الهيثمي إسناده، الحاكم: المستدرك (٢/ ٦٠٣، ٦٠٤)، وصححه ووافقه الذهبي: والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٠-٢١)، من طريقين، أحدهما طريق الحاكم.

وعندما عاد محمد بالإبل أقسم ألا يبعثه في حاجة له أبداً، ولا يفارقه بعد هذا أبداً.

وكان يقربه ويدنيه منه، ولا يدع أحداً يدخل عليه وهو نائم. وكان له مجلس لا يجلس عليه غيره. وكان له فراش في ظل الكعبة، يجلس حوله بنوه ويجلس النبي ﷺ عليه مع جده[1].

وتروي كتب السير أن أبا طالب كان شديد الاعتناء أيضاً بابن أخيه محمد ﷺ. فكان لا ينام إلا ومحمد إلى جنبه، ولا يخرج إلا معه، ويخصه بالطعام، ولا يأكل إلا عندما يحضر محمد[2]. وظل يحوطه بعنايته إلى أن توفي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين.

حكمة يتم الرسول ﷺ:

١ - لقد شاء الله ﷻ أن ينشأ الرسول ﷺ يتيماً بعيداً عن تربية أبيه وأمه وجده، إذ إن والده قد توفي وهو في بطن أمه، وقضى معظم فترة طفولته الأولى ببادية بني سعد، بعيداً عن أسرته كلها، ثم ما لبث أن توفيت أمه، ولم يمكث معها سوى مدة يسيرة، وبعدها بمدة يسيرة توفي جده عبد المطلب. كل ذلك لحكم، لعل من أبرزها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في القلوب، أو إيهام الناس بأن محمداً إنما رضع لبان دعوته ورسالته منذ صباه بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده ليصل إلى جاه الدنيا باصطناع النبوة. فقد كان لجده مكانة مرموقة في قومه، فلقد كانت إليه الرفادة والسقاية، أي إطعام الحجاج وسقايتهم[3].

٢ - ولعل في يتمه أسوة للأيتام في كل زمان ومكان، ليعرفوا أن اليتم ليس نقمة، وإنه لا يجب أن يقعد بصاحبه عن بلوغ أسمى المراتب.

---

(١) الأزرقي: تاريخ مكة (١/ ٣١٤-٣١٥)، وإسناده حسن، ولروايته هذه القصة شواهد ذكرناها في الحاشية رقم (١) هنا، وابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ١/ ٢٢٣).

(٢) الطبقات (١/ ١٩٩-١٢٠) من طريق الواقدي، والواقدي متروك، ولذا فالإسناد ضعيف جداً، ومما يشهد بأن لرواية الواقدي أصلاً من المرويات الصحيحة قصة النبي ﷺ مع الراهب بحيرا في خبر سفره إلى الشام وهو صغير، كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه من هذا الكتاب.

(٣) ومن روى خبر أيلولة الرفادة والسقاية إلى عبدالمطلب: ابن إسحاق، بدون إسناد، انظر: ابن هشام (١/ ١٩٢)، وانظر: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة ص٥٠-٥١.

المبحث الرابع: من إرهاصات[1] النبوة عند ميلاده:

وصاحبت ولادته بعض الإرهاصات الدالة على نبوته، ومما ثبت منها بطرق صحيحة، قوله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، وأن أمي حين حملت بي كأن نوراً خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام»[2].

وجاء في رواية مرضعته حليمة السعدية عند ابن إسحاق[3] وابن سعد[4] وأحمد[5]، والحاكم[6]، أن والدته آمنة قالت: «ووقع حين ولدته، وإنه لواضع يديه بالأرض، رافعٌ رأسه إلى السماء». وفي رواية: أنه أمه عندما ولدته وضع تحت بُرْمة، كعادة أهل الجاهلية، فلما أصبحت نظرت إليه فإذا البرمة قد انفلقت نصفين، وإذا هو قد شخص بصره، ينظر إلى السماء[7].

وقد لم يثبت بطرق صحيحة، ولكنه اشتهر، مثل قولهم: إنه حين ولد سقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي كان يعبدها المجوس، وغاضت بحيرة ساوة، وانهدمت المعابد التي كانت حولها[8].

المبحث الخامس: رضاعة الرسول ﷺ:

اشتهر عند أهل المغازي والسير أن ممن أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، حين أخذته معها إلى بادية قومها، فأقام معها نحو أربع سنين، ثم ردته إلى أمه.

---

(١) الإرهاص: المقدمة للشيء والإيذان به، كالبرق مثلاً مقدمة وبيان بنزول المطر، انظر: مادة رهص في لسان العرب.

(٢) أحمد: المسند (٤/ ١٢٧ و٥/ ١٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٢): «إسناد أحمد حسن» ابن إسحاق بإسناد حسن كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢١٩-٢٢٠).

(٣) ابن هشام (١/ ٢١٩) من حديث ابن إسحاق بإسناد منقطع، وفيه فضالة وهو ضعيف.

(٤) الطبقات (١/ ١٠٢)، بإسناد مرسل.

(٥) المسند (٤/ ١٨٤)، بإسناد حسن.

(٦) المستدرك (٢/ ١١٦)، وصححه، وقال: على شرط مسلم، ووافق الذهبي.

(٧) ابن سعد (١/ ١٠٢)، مرسلاً، أبو نعيم: الدلائل (١/ ٢٨-٤)، البيهقي: الدلائل (١/ ١١٣) بسند مرسل لا بأس به كما ذكر طرفي في صحيح السيرة (٤/ ٢٨٦).

(٨) دلائل النبوة البيهقي (١/ ١٢٦-١٢٩)، قال المحقق: «وهذا حديث ليس بصحيح ...».

لقد تفرد ابن إسحاق[١] برواية خبر إرضاع حليمة الرسول ﷺ وإقامته معها بمكة بني سعد. وحكم محققا سيرة ابن هشام[٢] والشيخ الألباني[٣] بضعف إسناد هذا الخبر، ونص رواية ابن إسحاق[٤]:

«كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، أم رسول الله ﷺ التي أرضعته، تحدث: أنها خرجت به من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء. قالت: وذلك في سنة شهباء[٥] لم تبق لنا شيئا. فخرجت على أتان[٦] لي قمراء[٧]، معنا شارف[٨] لنا، والله ما تَبِضُّ[٩] بقطرة. وما ننام ليلنا أجمع من صبيٍّ الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكنا كنا نرجوا الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أذمّتْ[١٠] بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً[١١]، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنّا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده! فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة تصحب معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه! قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره. قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فما

---

(١) ابن هشام (١/ ١١٤)، وانظر حاشية المحققين حيث خرّجا هذا الخبر. وخرّجه كذلك الدكتور سليمان العودة في رسالته للدكتوراه: «السيرة في الصحيحين وابن إسحاق» ص١٨ (ه ١١٩).

(٢) ابن هشام (١/ ١١٤) حاشية (ج).

(٣) «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» ص٣٨ وما بعدها.

(٤) ابن هشام (١/ ١١٤-١١٧).

(٥) سنة شهباء: أي سنة قحط، كانت الأرض فيها بيضاء.

(٦) الأتان: الأنثى من الحمير.

(٧) القمراء: أي لي لونها بياض.

(٨) شارف: الناقة المسنة.

(٩) تَبِضّ: أي تسيل.

(١٠) أذمت: أطلت عليهم المسافة فأخرمت بسيرها. ويقال أيضا: أذمّت بالركب: حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها.

(١١) عجفاً: هزالاً.

وضعته في حجري أقبل عليه ثدايَ بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل[1]، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نَسَمةً مباركة. قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني، وحملت عليها معي. فوالله لقطعتْ بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم. حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا بنت أبي ذؤيب، ويحك! اربعي علينا[2]، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي! فيقلن: والله إن لها لشأناً. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شِباعاً لُبَّناً[3]، فنحلب ونشرب، وما يحلُب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون[4] من قومنا يقولون لرُعيانهم: ويلكم اسْرَحُوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته[5]، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفْراً[6]. قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرصُ على مكثه فينا، لِما كنا نرى من بركته. فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركتِ بُنَيَّ عندي حتى يغلُظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا».

ثم ذكرت حليمة قصة شق صدره وما فيها من معجزة.

وعلى الرغم مما قيل في إسناد هذا الخبر إلا أن مما لا شك فيه ثبوت استرضاع الرسول ﷺ في بادية بني سعد، وذلك لأن رواية الصحيح[7] تتفق مع رواية ابن إسحاق في أن حادثة شق الصدر قد وقعت للرسول ﷺ وهو صغير مسترضع في

---

(١) حافل: ممتلئة لبنًا.

(٢) اربعي علينا: أي انتظرينا.

(٣) شِباعًا لُبَّنًا: أي غزيرات اللبن.

(٤) الحاضرون: جماعة القوم المجتمعون على الماء.

(٥) فصلته: فطمته.

(٦) جَفْرًا: أي غليظًا شديدًا، ويقال: هو الصبي ابن أربعة أعوام أو نحوها.

(٧) مسلم (١/١٤٧، ح٢٦١).

بادية بني سعد، وكذلك رواية الحاكم[١]، وأحمد[٢] وابن إسحاق[٣] في حديث: «أنا دعوة أبي إبراهيم. . . واسترضعت في بني سعد بن بكر. . . .»، وفي الحديث الذي رواه ابن إسحاق[٤] بإسناد حسن، قال وقد هوازن للرسول ﷺ وهو بالجعرانة حين منصرفه من حنين: «إنما في الحظائر - أي الأسر - عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك. . . .»، في هذا الخبر إشارة إلى رضاعة النبي ﷺ في أهل مناطق الطائف، أي في هوازن، التي منها بنو سعد، قوم حليمة بنت أبي ذؤيب[٥].

وروى ابن سعد[٦] أن النبي ﷺ كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر. وفي رواية أخرى لابن سعد[٧]: أن أم النبي ﷺ دفعته إلى السعدية التي أرضعته. . . .

ويضاف إلى هذه الآثار التي تدل على مجيء أبوي الرسول ﷺ من الرضاعة إليه وتعرفه على الشيماء - أخته من الرضاعة - التي جيء بها ضمن أسرى غزوة حنين[٨].

وخلال حياته في رعاية حليمة السعدية وقعت للنبي ﷺ إرهاصات دلت على بركته وعناية الله به، وحفظه له. وأشهر ما روي في ذلك حديث حليمة السعدية الطويل المشهور، الذي فيه أنه بحلول محمد ﷺ عليها، در لبنها، فارتوى منه محمد

---

(١) المستدرك (٢/ ٦٠٠)، وصحح إسناده، وأقره الذهبي.

(٢) المسند (٤/ ١٢٧-١٢٨)، من غير طريق ابن إسحاق، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٢): «وإسناده حسن وله شواهد تقويه».

(٣) ابن هشام (١/ ٢١٩-٢٢٠) بإسناده مرسل وسوره ابن كثير في البداية (٢/ ٢٩٩) إسناده.

(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ١٨٣-١٨٥).

(٥) انظر نسبها في: السيرة النبوية لابن حبان، ص٥٣-٥٤، بدون إسناد. وفي سيرة ابن هشام (١/ ٢١٣)، بلون إسناد.

(٦) الطبقات (١/ ١١٢)، بإسناد ضعيف لعلة الإرسال، يوجد ثقات.

(٧) الطبقات (١/ ١٠٣) بإسناد ضعيف للإرسال، ولأن فيه عمرو بن عاصم الكلابي وهو صدوق في حفظه شيء.

(٨) سيأتي ذكره في مكانه من الكتاب - أحداث غزوة حنين -، وانظر ابن كثير: البداية (٢/ ٣٤١)، وجملة من قبل إنها أرضعته كما ذكر محققو دلائل البيهقي (١/ ١٣٦) عشر سنوات، وذكر المصادر ومصادره في ذلك، وأشهر من أرضعته مع أمه بمكة ثويبة مولاة عمه أبي لهب، وأرضعت معه أبا سلمة، انظر: البخاري، الصحيح (١٩/ ١٧١-١٧٣، ح٥١٠٠، ٥١٠١)، ومسلم (٢/ ١٠٧٦، ح١٤٤٩)، وغيرهما.

وابنها الذي كانت تحمله بعد أن كان يبكي من الجوع لجفاف ثدي أمه، ولا ينام هو وأهله، وامتلأ ضرع راحلتها باللبن بعد أن كان يابساً، فشبعت منها مع زوجها وأضحت الرحلة مغبطة قوية، تسير في مقدمة الركب، بعد أن كانت عاجزة تسير في مؤخرة الركبان. وحينما حلت أغنام حليمة، تجد مرعى خصباً، فتشبع ولا تجد أغنام غيرها شيئاً، وكان ينمو نمواً سريعاً، لا يشبه نمو الغلمان[1].

حكمة الرضاعة في البادية:

كانت عادة الحضر من العرب أن يسترضعوا أبناءهم في البدو، ابتعاداً بهم عن أمراض المدن، ورغبة في تقوية أجسامهم، وتعويداً وتربية لهم على الاعتماد على النفس منذ الصغر، بعيداً عن تدليل الأمهات والجدات وبغية الأقارب، وتقويماً لألسنتهم من اللحن وغيره من مفسدات اللغة[2].

◻ المبحث السادس: الرضاعة في بادية بني سعد وحادثة شق الصدر: ◻

وقعت للرسول ﷺ وهو في باديه بني سعد حادثة شق الصدر، كما جاء ذلك صريحاً في رواية أبي نعيم عند ابن كثير[3]، ونصها: قال رسول الله ﷺ: «... كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم[4] لنا، ولم نأخذ معنا زاداً، فقلت: يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فبطحاني للقفا، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة فاذرها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه، وختم على قلبي بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة، فإذا أنا أنظر إلى

---

(١) سبق الكلام على إسناده في هامش ١/ ٢١٤-٢٢٠، وقلنا إنه ضعيف.

(٢) [انظر: عبد الله السهيلي: الروض الأنف (١/ ١٨٧-١٨٨)].

(٣) البداية والنهاية (٢/ ٢٩٩)، وقال الذهبي في سيرته، ص٤٨ عن إسناده: «وهو صحيح».

(٤) البهم: صغار الغنم.

الألف فوقي أشفق أن يخر عليّ بعضهم، فقال: لو أن أمه وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا فتركاني وفرقت فرقاً شديداً، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد لبس بي، فقالت: أعيذك بالله، فرحّلت بعيراً لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت: أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها، وقالت: إني رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام».

وروى قصة هذا الشق مسلم[1]، باختصار، ولم يصرح بمكان وقوعها، ونصه عن أنس ﷺ: «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه. فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره - مرضعته) فقالوا: إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره».

لقد سكتت بعض المصادر - منها مسلم - عن تحديد سنه ﷺ حين وقعت له هذه الحادثة لأول مرة[2]. أما البعض الذين حددوا سنه، فلم يتفقوا على سن محددة. فيفهم من رواية ابن إسحاق[3] أن ذلك كان وعمره ﷺ نحو السنتين إذ تقول حليمة: «فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفرا... فوالله إنه يعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا...» وفي رواية ابن سعد[4] أن القصة وقعت وللرسول ﷺ أربع سنين، وقال بهذا أبو نعيم[5] من طريق ضعيفة أيضاً. ويذكر آخرون أنه كان في الخامسة[6] أو بعدها[7].

---

(١) صحيحه (١/١٤٧، ٢٦١).

(٢) منهم مسلم في روايته عن أنس (١/١٤٧، ح٢٦١). ويفهم من هذا أنه كان مسترضعًا.

(٣) ابن هشام (١/٢١٤)، وهي ضعيفة، كما سبق ذكره.

(٤) الطبقات (١/١١٢) من طريق شيخه الواقدي، فالرواية ضعيفة جدًا.

(٥) دلائل النبوة (١/١٥٩، ١٦١).

(٦) انظر: دلائل أبي نعيم (١/١٦١)، ونسب ذلك لابن عباس ولم يسق الإسناد، وذكر أن غير ابن عباس كان يقول إن إرجاع حليمة النبي ﷺ إلى أمه بعد الحادثة كان وعمره أربع سنوات.

(٧) انظر: المواهب اللدنية بشرح الزرقاني (١/١٤٩-١٥٠) والبداية (٢/٣٠٠-٣٠١) حيث ذكر =

ونحن نميل مع الزرقاني[١] ونرجح رواية ابن سعد في أنه كان في الرابعة، لأنها السن التي يمكن أن يمارس فيها رعي البهم، ويفهم شيئاً مما يدور حوله.

ولقد تكرر حادث شق صدر الرسول ﷺ مرات أخرى غير هذه التي في بادية بني سعد. فقد روى أحمد[٢] وغيره أن شق الصدر قد وقع له وهو ابن عشر سنين وأشهر. وروى البخاري[٣] ومسلم[٤] وغيرهما أن شقًّا لصدره قد وقع له وقد تجاوز الخمسين من العمر، حين أسري به إلى بيت المقدس. وذكر الذهبي[٥]، الروايات الدالة على أن شق صدره كان مرتين: في صغره ووقت الإسراء به. وهناك من ذكر وقوعها مرة رابعة[٦].

لقد ذهب بعض أصحاب المدرسة العقلية من المستشرقين والمتأثرين بهم من المسلمين إلى تأويل حادث شق الصدر. فمنهم من قال إنها أسطورة، ومنهم من قال إنها أمر معنوي، و..... و..... إلخ[٧].

ومن أوجز ما قيل في حادثة شق الصدر قول ابن حجر[٨]: «إن جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك.».

وينبغي على المسلم أن يعلم بأن ميزان قبول الخبر إنما هو صحة الرواية، فإذا صحت فلا يجدي البحث بعد هذا عن صرف الكلام إلى غير حقيقته أو تأويله تأويلاً

رواية للأموي موسلة موقوفة على ابن المسيب، وضعيفة لأن فيها عثمان الوقاصي، وهو ضعيف كما قال ابن كثير، وذكر الأموي أن عمره كان ست سنوات.

(١) شرحه على المواهب اللدنية (١/ ١٥٠).

(٢) الفتح الرباني (٢٠/ ١٩٥)، وقال الساعاتي: «رجاله ثقات»، وقال محققو الموسوعة الحديثية (٣٥/ ١٨٢، ح٢١٢٦١): «إسناده ضعيف».

(٣) الفتح (١٣/ ٢٤، ح٣٢٠٧).

(٤) (١/ ١٤٧، ح٢٦١، ٢٦٢).

(٥) السيرة النبوية، ص٤٩.

(٦) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٦)، الحاشية، والفتح الرباني (٢٠/ ١٩٥-١٩٦).

(٧) انظر: محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٩٩-٢٠٣).

(٨) الفتح (١٥/ ٥٢، شرح الحديث رقم ٣٨٨٧).

عقلياً ممجوجاً كما يفعل أصحاب المدرسة العقلية.

حكمة شق الصدر:

١ - يبدو أن هذه الحادثة كانت إعلاناً لأمر الرسول ﷺ والتهيئة للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذاً عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أبصار الناس وأسماعهم[1].

٢ - فيها بيان إعداد الله تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ لتلقي الوحي عنه.

٣ - تشير الحادثة إلى تعهد الله ﷻ نبيه عن مزالق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان، وهي حصانة أضفاها الله ﷻ على نبيه محمداً ﷺ.

□ المبحث السابع: رحلته إلى الشام: □

روى الترمذي[2] بسنده إلى أبي موسى الأشعري، أنه قال: «خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش. فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرىٰ - هبطوا، فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم، قال: فنزل وهم يحلون رحالهم، فجعل يتخلَّلهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، بعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدون إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الإبل - قال: أرسلوا إليه، فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء - ظل - شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، التفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا:

---

(١) انظر: البوطي، فقه السيرة ص٥٣.

(٢) انظر: صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني (٣/ ١٩١)، وقال عنه: «صحيح»، ثم قال: «لكن ذكر بلال فيه منكر كما قيل».

جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وإنا أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا، إنما أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ فقالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه عنده. قال: فقال الراهب: أنشدكم الله! أيكم وليُّه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبا بكر وبلالاً، وزوده الراهب من الكعك والزيت».

اختلف العلماء في هذا الأثر، فقد حسنه الترمذي وصححه الحاكم[1]، والألباني[2]، وابن حجر. وقال ابن حجر[3]: «رجاله ثقات، وليس فيه سوى هذه النقطة - أي ذكر أبي بكر وبلال - فيحتمل أن تكون مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته». وقال ابن القيم[4]: إن هذه النقطة من الغلط الواضح.

وأنكره الذهبي[5] وقال: «وهو حديث منكر جداً، وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف، وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد، وأيضاً، فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظل الغمامة يعدم في فيء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نر النبي ﷺ ذَكَرَ أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، وليقي عنده حس من النبوة ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولاً بغار حراء وأتى خديجة خائفاً على عقله... وأيضاً فلو أثر هذا الخوف في أبي طالب ورده، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجراً لخديجة؟». وفي الحديث ألفاظ منكرة، تشبه ألفاظ الطُّرُقِيَّة [الصوفية]؛ مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبا بكر وبلالاً».

---

(١) المستدرك (٢/٦١٦)، وقال: إنه على شرط الشيخين.

(٢) دفاع، ص٦٢-٧٢، قال: «وإسناده صحيح كما قال الجزري». قال: «وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ»، ثم قال: وقد رواه البزار، فقال: «أرسل معه عبد رجلاً».

(٣) نقلاً عن شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١/١٩٦).

(٤) زاد المعاد (١/٧٦).

(٥) تاريخ الإسلام، السيرة، ص٥٧.

وذكر ابن إسحاق[١] القصة بنحو سياق الترمذي، وليس فيه ذكر أبي بكر وبلال، ولكنها بدون إسناد، فيستأنس بروايته لإمامته في المغازي، ويكاد يكون لكل رواياته غير المسندة أصل[٢].

وروى الأموي[٣] أن الرسول ﷺ سافر مع عمه الزبير في تجارته إلى اليمن، عندما كان له من العمر بضع عشرة سنة. وذكروا أنهم رأوا منه آيات في تلك الرحلة. من ذلك: إذ فَحْلاً من الإبل كان يقطع الطريق في واد يمرون عليه، فلما رأى الفحل رسول الله ﷺ برك حتى حك بكَلْكَلِهِ الأرض، فركبه رسول الله. وأنه اعترضهم سبل عرم فأيبسه الله تعالى حتى جَاوَزُوا الوادي.

الحكمة من أقوال أهل الكتاب في صفة محمد ﷺ:

إن في قصة الراهب بَحِيرَى مع الرسول ﷺ دليل على معرفة أهل الكتاب صفة رسول الله ﷺ وزمانه كما هي عندهم في كتبهم، وهي تفسر لنا قوله تعالى في اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩][٤].

روى البخاري[٥] من حديث عطاء بن يسار، أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يقول إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، هي في التوراة: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك: المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً).

ولقد كان سبب إسلام سلمان الفارسي وغيره رضي الله عنهم، تتبع خبر النبي ﷺ وصفاته من أحبار اليهود ورهبان النصارى.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢٣٦، ٢٤٠).

(٢) انظر: الدراسات التي تناولت أقوال النقاد عن ابن إسحاق في كتاب الكتاب: مبحث مصادر السيرة.

(٣) المغازي، كما نقله عنه ابن كثير في البداية (٢/ ٣٠٠-٣٠١). وإسناده ضعيف لأن فيه عثمان الوقاصي وهو ضعيف، ولأنه مرسل، موقوف على ابن المسيب. والكلكل: الصدر، أو ما بين الثَّرْقُوَتَين.

(٤) انظر: الآثار الواردة في تفسير هذه الآية عند الطبري (٢/ ٣٣٢-٣٦ شاكر) وهي آثار يتقوى ضعفها ببعضه ليرتفع إلى مرتبة الحسن لغيره.

(٥) الفتح (١٨/ ٢١٣-٢١٤: ح٤٨٣٨).

ومن المعلوم أن أهل الكتاب حاولوا طمس هذه الحقيقة فيما بعد، كما حكى ذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة: ٧٩) وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ (الصف: ٦)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (المائدة: ١٥)، ولم يوفقوا في طمس كل الحقيقة كما هو واضح من عبارات وردت في بعض أناجيل النصارى - مثل إنجيل برنابا - خاصة ببيان اسم النبي ﷺ المنتظر وصفته وزمانه ومكانه[1].

ومن كتب مباشرة في موضوع بشارات التوراة والإنجيل بنبوة ورسالة محمد ﷺ:

(١) الأستاذ إبراهيم خليل أحمد، القس المصري - سابقاً - إبراهيم خليل فيليبس، الذي هداه الله إلى الإسلام منذ أكثر من أربعين سنة، بعد أن قام بدراسة مقارنة لما في الإسلام، وما في الديانات السماوية السابقة عليه، ونشرها في كتاب عنوانه: «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن». وقد مكنته معرفته العميقة بالعهد القديم (التوراة) والجديد (الإنجيل) من إجراء الدراسة الجادة التي قادته في النهاية إلى أن الإسلام هو الحق، فاعتنقه، وأصبح من دعاته.

ومما قاله في دراسته القيمة المذكورة: «نستطيع بعد هذه الدراسة التحليلية أن نضع الصورة الكاملة التي تضمنها من نصوص الكتاب المقدس، والتي لم يطرأ عليها تغيير ولا تبديل ولا تحريف، لأن الله شاء فحفظها حرفاً عن نبيه محمد ﷺ، ومن ثم إننا نحصل على تصور معين لصورة الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل: هذا الرسول بدا شامخاً بشيمه النبلاء، وهي من شقين:

(أ) أنه الرسول النبي الخاتم، ولا نبي بعده.

---

(١) انظر: إنجيل برنابا، فصل ٤٢/ ٣ فما بعدها، وفصل ٤٣/ ٢٥ فما بعدها، وفصل ٤٠/ ٢٧ فما بعدها. وانظر: إنجيل متى ٤/ ١٧، ٢٤/ ٦١، ٢١/ ٤٢-٤٤، وانظر: العهد القديم، التوراة: سفر دانيال ٢/ ٣١-٤٥، إنه يعني الزمن الذي يظهر فيه النبي محمد ﷺ، فضلاً عن الدكتور محمد بهاء قنيبي: قراءة جديدة لسيرة النبوة، ص ٣٩.

(ب) أنه رسول الله للعالمين كافة للأسباب التالية:

١ - لأنه متمكن ورحيم.

٢ - لأنه مؤسس لأمة على الحق والبر.

٣ - لأنه بفضل الله نور للأمم.

٤ - لأنه وثيق الصلة بسلالة قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم ﷺ.

وهذه الحقائق مؤسسة على سفر أشعياء ٤٢: ١ - ١١:

٥ - لأنه سليل إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحاق، فهو عم العبرانيين كافة.

٦ - لأن فيه يتحقق وعد الله لإبراهيم وإسماعيل ﷺ.

٧ - لأن فيه تتبارك كل شعوب الأرض.

٨ - لأنه الوارث الحقيقي لإسماعيل، وإسماعيل هو بكر إبراهيم، فله النصيب المضاعف.

٩ - لأنه يتلقى الوحي مباشرة من الله.

وهذه الحقائق مؤسسة على سفر التكوين ١٧: ٢٠ - ٢٢: ١٦ - ١٨: وسفر التثنية ٢١: ١٥ - ١٧ - ١٨: ١٥ - ١٩:

- لأنه يأتي على أثر اختتام رسالة المسيح عيسى بن مريم.
- لأنه يعزي ويرشد جماعة المؤمنين من أتباع المسيح (الباراقليط) Paraclete.
- لأن أفعاله وأقواله وخصاله تنبئ أنه المحمد (Pericyte) The Praised one.
- لأنه الصادق الأمين، وشهرته ذائعة في العالمين بالصدق والأمانة.
- لأنه يتلقى الوحي مباشرة من الله.
- لأن رسالته خالدة أبدية.
- لأنه يرشد إلى الحق... إلى جميع الحق.
- لأنه يدافع عن المسيح عيسى بن مريم وأمه (ذاك يمجدني) ويدفع عنهما الشبهات.

هذه الحقائق مؤسسة على إنجيل يوحنا ١٤: ١٦، ١٧ - ١٤: ٤٥: ٢٦ إنجيل يوحنا ١٥: ٢٦، ٢٧ - إنجيل يوحنا ١٦: ١٣، ١٤.

ولتصفية هذه الشواهد في تركيز وإيجاز أوضح فإن هذا النبي الخاتم يختلف عن الآخرين من أنبياء العبرانيين في ثلاثة وجوه حيوية ورئيسة على الأقل:

١ - أنه سيكون صاحب رسالة عالمية.

٢ - أنه سيصبح خاتم النبيين ولا نبي بعده ولا نبوة بعده.

٣ - أنه من ذرية إسماعيل ﷺ، الذي خلعت عليه بنو إسرائيل (العرب)، وأنه سليل قيدار بن إسماعيل.

هذه الحقائق مؤسسة على إنجيل يوحنا ١٦ : ١٢ - ١٤، وسفر إشعياء ٦٠ : ١ - ٧»[١].

وذكر الأستاذ إبراهيم في كتابه هذا أمثلة كثيرة لبشارات من التوراة والإنجيل بنبوة ورسالة محمد ﷺ[٢].

والكتاب جدير بالقراءة لأهميته في إجلاء الحقائق الغائبة عن الناس.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦]، والقائل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

(٢) الدكتور الشفيع الماحي أحمد، وعنوان كتابه: «محمد ﷺ في بشارات التوراة والإنجيل»، نشر مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١٧٠ صفحة. هدف ببحثه إلى عرض بشارات أنبياء بني إسرائيل بمقدمه ﷺ، وكما وردت في التوراة والإنجيل، وذلك من حيث الزمن الذي سيظهر فيه، والأرض التي يبعث منها، واسمه، وصفاته وأحواله، ومنهج رسالته الخاتمة، وأمته، وأخيراً دوام دولته.

(٣) أحمد ديدات: «ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ»، ترجمة إبراهيم خليل أحمد، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٩م.

(٤) محمود الشرقاوي: «محمد ﷺ في بشارات الأنبياء»، القاهرة، مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٧م.

(٥) رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي: «إظهار الحق»، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م في ٤ مجلدات. تناول المسلك السادس من الباب السادس، الجزء الرابع «إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته ﷺ»، ص١١١٦ - ١١٩٨، وعد من البشارات ثمانية عشر بشارة، معتمداً على نصوص من التوراة والإنجيل. وكان تحقيق الدكتور الملكاوي رسالة علمية حصل بها على الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

---

(١) إبراهيم خليل أحمد: محمد في التوراة والإنجيل، ص٦١-٦٢، نشر دار المنار، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) ص: ٦٥-٦٧.

الرياض، السعودية، وعمل معنا بقسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود.

لم يكن أهل الكتاب وحدهم الذين كانوا يعرفون اسم وصفة النبي العربي الخاتم، بل شاركهم وسبقهم في هذا غير أهل الكتاب. فقد اطلعت على بحث موثق، باللغة الإنجليزية، ومن مصادر هندية أصيلة، للأستاذين: أنور حسين ووفاء عظيم الندوي، بعنوان: «محمد ﷺ في الكتب الهندية المقدسة» [Mohammad (P.B.U.H.) in Hindu's Sacred Books] وخلاصته:

أولاً: إن الاسم «محمد»، ومعانيه وأشكال رسمه ونطقه المختلفة في اللغة السنسكريتية، ذكر في كتب هندية مقدسة، هي:

(A) Riga Veda, Kand 5, mandal 27, mantra 1.

(B) Atharva Veda, Kand 20, Sukt 127, mantra 3.

(C) Bhavishya Purana, Kand 3, Surg 3/3, mantra 5 and 12.

(D) Sirred Bhagawat, mahatmyamam, chapter 2, Sloka 76.

(E) Tulsi's Ramacharitamanas, deriving from Sangramantana, Kand 12, chapter 6.

ثانياً: ذكر الاسم «أحمد» ومعانيه وأشكال رسمه ونطقه المختلفة في اللغة السنسكريتية، في كتب هندية مقدسة، هي:

(A) Riga Veda, madal 8, mantra 10.

(B) Sama Veda, prapathak 2, dashti 6, mantra 8.

(C) Athara Veda, Kand 20, Sukt 126, mantra 14.

(D) Yajur Veda, Sukt 31, mantra 18.

ثالثاً: ذكرت هذه الكتب الهندية المقدسة السابقة للكتب السماوية أوصافاً لنبي محمد ﷺ وأحداثاً، طابقت سيرة النبي ﷺ، وهي:

(أ) إنه سيركب الجمل. (ب) إنه سيتزوج اثنا عشرة امرأة، ذكرهن الباحثان وهن: خديجة وسودة وعائشة وحفصة وزينب بنت خزيمة وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وصفية وجويرية وريحانة وميمونة. (ج) سيكون مختوناً وملتحياً. (د) سيلتقي بعدو تعداده الكلي في المواقع الكبرى ٩٠، ٦٠، ذكر المؤلفان تفاصيل ذلك. (هـ) سيصعد إلى السماء بسرعة خيالية ويعود إلى الأرض.

رابعاً: ذكرت هذه الكتب بعض فضائل أصحاب النبي ﷺ والعدد الحقيقي لبعض قاتلهم أو أسمائهم.

خامساً: ذكرت هذه الكتب معاني اسم والد ووالدة النبي محمد ﷺ.

وفي ختام البحث ذكر المؤلفان خمسة مراجع باللغة الأردية لمزيد من القراءة في هذا الموضوع، وهي:

(1) Dr. Kumalakant Tiwari, Kali Yuga Ke Antima Rishi
(2) Pundit Dharam Vedo Upadhyay, Antim I Shwer Doot.
(3) Veda Prakash Upadhyay, Kalki Avatara.
(4) Ibn Akhar Azmi, Mohammad Hindo Kitabon mea.
(5) Shams Navaid Usmani, Ab Bhi Na Taga Io.

ونبّه الباحثان إلى أن المعلومات الأساسية لهذا البحث مأخوذة من كتاب ابن أكبر الأعظمي - رقم ٤ - «محمد ﷺ في الكتب الهندية المقدسة»، وهو من منشورات دار الصفة، برائي رابطة، رابطة دوكان رقم ١٤، الطابق الأول، مؤسسة بلازا، ٤٠، لاهور.

إن ما ذكره الباحثان في الكتب الأساسية، وغيرها كتب كثيرة، يقال لبعضها: "فوران"، ولبعضها: "أبنشد"، ولبعضها: "سامنر"، ولبعضها: "براهمن". وجاء ذكر محمد ﷺ في هذه الكتب بلفظ: "تراشنش"، ومحمد وأحمد والرسول وكلكي أوتار وجفت بني.

ولفظ "تراشنش" مركب من "تر" و"اشنش"، "تر" بمعنى الإنسان، و"اشنش" بمعنى الذي يحمد حمداً كثيراً، فمعنى تراشنش إذاً هو: "محمد"[1].

وجاء في بعض الأنباء أن النبي الخاتم يبعث هادياً لجميع العالم، ورحمة للعالمين[2].

وجاء في: "أتهار ويدا" أنه يبعث الأمن والسلام. وفي "رغ ويدا" أنه حقاني، رباني: عاقل، حازم، مدبر، قوي، جاد، جواد، كريم، مكرم بالوحي الإلهي، قادر، لا يبلغ شأوه، حامل لجميع صفات الكمال ومكارم الأخلاق، ورحمة للعالمين، مؤيد، منصور بعشرة آلاف من الأعوان والأنصار، مشهور، يحق صيته الآفاق[3].

---

(1) انظر كتاب: ذكر محمد ﷺ في الأنباء، ص ٣٠، لمؤلفه: محمد سرور الفاروقي السندي، وأصل الكتاب باللغة الأردية وعرب، ولم ينشر بعد.
(2) انظر: محمد في الكتب الهندية المقدسة، للدكتور الهندكي: إبو أي ذري وإمدر، ص ١٨.
(3) انظر الفاروقي، ص ١٨.

وفي: "ستغرام فورن": يكون معه أربعة آخران بوجه خاص، بهم يزيد عدد من يؤمن به، فلا نحصل النجاة إلا بالكلام الأحسن وبصاحبه محمد ما دام القرآن باقيا على وجه الأرض، وينقذ له كل من الناس والدواب وحشرات الأرض، وهو خاتم النبيين وآخر الرسل، لا يأتي نبي بعده[١].

وجاء ذكر محمد ﷺ كذلك في الكتب البوذية: بصفته المتعددة، منها: أنه سيكون "رحمة للعالمين".

والكلمة التي عبرت عن هذا المعنى، "مترايا" بمعنى: "رحيم صاحب رحمة".

ومنها أنه سيكون آخر الأنبياء والرسل، جاء ذلك في وصية بودا لأخص أصحابه وأحب تلاميذه إليه "آنند" عندما حضره الموت، قائلاً له: يا آنند: لست بأول الأنبياء ولا آخرهم، وسوف يأتي نبي بعدي، جاء موعده، ليعلم الناس الحق والإحسان، مصفي الروح، طاهر النفس، مزكي الفؤاد، صاحب حكمة، عالم بأسرار الكون، هادي الخلق، إمام الناس، خاتم الأنبياء، آخر الرسل، ... يا آنند: يقال له: "رحمة للعالمين"[٢].

وجاء ذكر محمد ﷺ في كتب الزرادشتية، التي منها: "الدساتير"، و: "أوستا". ففي "الدساتير" أنه إذا عم الفساد وانغمس الناس في المعاصي والآثام، وغرقوا في الفواحش والشهوات، ولد في العرب بطل، ثم ذكر صفاته بشيء من التفصيل، منها أنه سيكون: "رحمة للعالمين"[٣].

وجاء في "أوستا" أن زرادشت قال: ما أكملت الدين، وسيكون بعدي نبي يتم لكم هذا الدين، ويكون: "رحمة للعالمين"[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٢) انظر: Gospel of Buddha، أي إنجيل بوذا، مؤلفه كارس (Carus)، آخر كتاب: دار شوي وامتره، سبق ذكرها.

(٣) انظر: Moharmmad in World Scriptures, by Abdul Hague Vidyarthi, P. 45. نقلاً عن مجلة المنيرة، نصف سنوية، ص ١٩، العدد ١١، رمضان ١٤٢٦هـ/ أكتوبر ٢٠٠٥م.

(٤) انظر: خطابات بهاوا، مورد، ص ٢٠-٢١، للدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي - نقلاً عن: مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، للكاتب الهندي نبيل أحمد الندوي، بحث أعد للمشاركة في مسابقة جائزة الشريطي العالمية للتعريف بنبي الرحمة لرابطة العالم الإسلامي.

◻ المبحث الثامن: ◻

أ - رعيه الغنم في صباه، والحكم والعبر من ذلك:

أخرج البخاري[١] بسنده إلى أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قَرَاريط[٢] لأهل مكة».

وأخرج البخاري[٣] ومسلم[٤] من حديث جابر أن الرسول ﷺ رعى الغنم.

ومن أبرز الحكم والعبر في هذا الرعي:

١ - قال ابن حجر[٥]: «قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة...» ثم قال:

«وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله، ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء».

٢ - يتجلى لنا في رعيه الغنم الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمل الله بهما نبيه محمداً ﷺ. إذ إن الرسول ﷺ ما أن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤنة الإنفاق على عمه الذي وفر له وسائل العيش الكريم، على الرغم من أنه كان ذو عيال كثيرين

---

(١) الفتح (١٠/٥، ح٢٢٦٢).

(٢) ذكر ابن حجر أن للعلماء قولين في معنى قراريط، أولهما: القيراط جزء من الدينار أو الدرهم، وثانيهما: أن قراريط اسم موضع بمكة، الفتح (١٠/٥).

(٣) الفتح (٢٠/٢٧٨، ح٥٤٥٣).

(٤) صحيحه (٣/١٦٢١، ح٢٠٥٠).

(٥) الفتح (١٠/٦: شرح الحديث رقم ٥٤٥٣).

٣ - إن الله ﷻ لا يعجزه أن يهيئ لمحمد ﷺ كل وسائل الرفاهية ويغنيه عن الكدح سعياً وراء القوت، ولكن اقتضت حكمة الله أن تعلمنا أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بجهده، وأن قيمة الإنسان هي فيما يقدمه لمجتمعه من خدمات قدر طاقته.

٤ - لن تكون لأصحاب الدعوات قيمة معتبرة عند الناس إذا كان كسبهم من عطايا الناس وصدقاتهم، ولذا فإن صاحب الدعوة أحرى الناس بالاعتماد على نفسه وجهده الشخصي في معيشته، والابتعاد عن الاستجداء، حتى لا يكون لأحد عليه منة أو فضل في دنياه، فيعيقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه[١].

◻ المبحث التاسع: عناية الله له وحفظه من بعض أمور الجاهلية والحكم والعبر من ذلك: ◻

لقد شارك الرسول ﷺ في إعادة بناء الكعبة عندما تهدمت. فكان ينقل معهم الحجارة للبناء وعليه إزاره. فاقترح عليه عمه العباس أن يجعل إزاره على منكبيه ليقيه الحجارة. وعندما فعل ذلك، سقط مغشياً عليه، فما رئي بعد ذلك عرياناً[٢].

وكان يوماً ينقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، وذلك عندما كان صغيراً يلعب مع أترابه غلمان قريش، فأخذ إزاره فجعله على رقبته ليحمل عليه الحجارة، فتعرى، وحينها لكمه من لم يره لكمة موجعة، وقال له: «شد عليك إزارك»، فشده عليه، وذلك دون غيره من الغلمان الذين كانوا معه[٣].

وروي أن الله عصمه مرتين عندما حاول أن يسمر كما يسمر الشباب. ولكن اختلف العلماء في تصحيح هذا الخبر. فبينما صححه الحاكم والذهبي[٤] وغيرهما، ضعفه ابن كثير[٥] والألباني[٦]، لعلل ذكروها، وحججهما قوية.

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة ص٥٤، ٥٥.

(٢) البخاري، الفتح (٣/ ٢١، ح٣٦٤)، مسلم (١/ ٢٦٨، ح٣٤٠)، وغيرهما.

(٣) ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٢٤١).

(٤) المستدرك (٤/ ٢٥٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسّنه التلبني: تهذيب الخصائص الكبرى للسيوطي، ص٦٩، ٧٠، وقال: (وقال الحافظ: إسناده حسن).

(٥) البداية والنهاية (٢/ ٣١٢).

(٦) دفاع، ص١٢.

وخالف الرسول ﷺ قومه من أهل الحرم الذين عرفوا بـ «الحُمْس»[1]، إذ كان يفيض مع الناس من عرفات حيث كانت الحمس تفيض من مزدلفة (جَمْع). وقد تعجب جُبَيْر بن مُطْعِم من الرسول ﷺ لهذا الفعل[2]، كما روى الشيخان، وكان ذلك توفيقاً من الله تعالى له، كما قال جبير بن مطعم بعد إسلامه[3].

وجاء الإسلام، فرفع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قد ابتدعته قريش، قال تعالى ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة: ١٩٩)[4].

وروى البيهقي[5] أن الرسول ﷺ ما استلم صنماً قط، وكان ينهى عن ذلك في الجاهلية، ورفض أن يمس صنم إساف أو نائلة عند طوافه، كما كانت عادة أهل الجاهلية.

وروى ابن إسحاق[6] أن بُحَيْرَى الراهب عندما حلف باللات والعزى، متابعة لقريش في طريقة حلفهم، قال له النبي ﷺ: «لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئاً قط».

وحفظه الله ﷻ من كيد الشياطين[7]، في الجاهلية والإسلام[8].

---

(١) والحُمْس: هم أهل الحرم ومن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم ومن دخل معهم من العرب مثل كنانة وخزاعة، وأبوا أن لهم منزلة فوق منزلة بقية العرب ولذلك ميزوا أنفسهم عنهم بأن تركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، انظر: البخاري: الفتح (٧/ ٣٢٠، ح١٦٦٥)، ومسلم (٢/ ٨٩٣-٨٩٤، ح١٢١٩)، وابن هشام (١/ ٢٥٦)، وابن كثير (٢/ ٢٤٥)، وقيل: سموا حمساً لأنهم اشتدوا في دينهم على زعمهم، مأخوذ من الحماسة، وهي الشدة.

(٢) البخاري: الفتح (٧/ ٣٢٠، ح١٦٦٤)، مسلم (٢/ ٨٩٤، ح١٢٢٠).

(٣) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (١/ ١٦١-١٦٢).

(٤) في سبب نزولها انظر: مسلم (٢/ ٨٩٤، ح١٢١٩).

(٥) دلائل النبوة (٢/ ٣٤)، البداية (٢/ ٣١٢)، سيرة الذهبي، ص٨١، وحسنه الذهبي.

(٦) ابن هشام (١/ ٢٣٨) بإسناد صحيح، وانظر البداية والنهاية (٢/ ٣١٢-٣١٣)، ودلائل السهيلي (١/ ٢٨-٢٩)، وكتبا أسانيد ضعيفة. أما عدم حلفه باللات والعزى وبغضه لهما فقد ثبت بأسانيد صحيحة، وفي ذلك انظر أحمد: المسند (٤/ ١٣٦) بإسناد صحيح، ورواه الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٥)، وقال: عنه: رجاله رجال الصحيح.

(٧) دلائل أبي نعيم (١/ ١٩١)، الإصابة (٢/ ٣٨٩)، أسد الغابة (٢/ ٤١٩). وغيرها، ورجاله ثقات، كما ذكر محققا دلائل النبوة لأبي نعيم، وضعفه محققو الموسوعة الحديثية (٢٤/ ٣٠١ ح١٤٤٦٠).

(٨) تمام دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٩٢-٢١٢)، وإسناده في الصحيحين بنحوه بضعف الحسين بن عبد الله، ولكن تشهد له الأخبار الصحيحة والصحيفة التي جاءت عن بعض الأصنام، فيقوى.

ورفض الرسول ﷺ أن يعتكف عند صنم بوانة - حيث كان لقريش عيد عنده مرة كل عام - فغضب منه عمه أبو طالب وعماته غضباً شديداً، فعندما هم بمطاوعتهم عصمه الله من مس الأصنام، حيث تمثل له رجل أبيض طويل منعه من مسها، فلم يشارك في عيد لهم في حياته[1].

وروى البيهقي[2]، أن ملكين منعاه أن يشهد مع المشركين مشاهدهم، فانتهى عن ذلك.

ومن أبرز الحكم والعبر من أخبار عناية الله وحفظه من أمور الجاهلية:

١ - أن في هذه الأخبار دليلاً على أن الرسول ﷺ كان معصوماً عما يستقبح من أمور الجاهلية قبل البعثة وبعدها، وذلك من حماية الله تعالى له عما يسيء إلى شخصه ودعوته.

٢ - إن من الأمور المستقبحة عند الله تعالى التعري بحضرة الناس، وقد حرم الإسلام ذلك إلا للضرورة، مثل العلاج ونحوه[3].

٣ - إن عصمة الله تعالى له من ممارسة أفعال الجاهلية لدليل عن تهيئة الله تعالى له لأمر جليل.

◻ المبحث العاشر: حرب الفجار ◻

سميت الحرب التي دارت بين كنانة وقريش من جهة، وقيس عيلان من جهة

---

(١) ابن سعد: الطبقات (١/١٥٨) من طريق الواقدي، والإسناد صعيف، والمتن صحيح.

(٢) انظر الحديث كاملاً عنه في الدلائل (٢/٣٥) والبداية والنهاية (٢/٣١٢) من حديث عثمان بن أبي شيبة. قال ابن كثير عن الحديث: «أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة . . . وقد حكى البيهقي في الدلائل (٢/٣٦) عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يعظم الأصنام، وظن قبل أن يوحى إليه، والله أعلم».

وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/٣٥) أن عثمان بن أبي شيبة ممن اعتمده الشيخان في صحيحيهما. ورد قول العقيلي والأزدي اللذان ضعفا الحديث. وقال محقق دلائل البيهقي - الدكتور عبدالمعطي قلعه جي، الذي يميل إلى تصحيح الخبر - في تخريج الحديث: «رواه أبو يعلى وابن عدي وابن عساكر عن جابر بن عبدالله . . . .».

وحسّن الشيخ طرهوني إسناده كما في صحيح السيرة النبوية، حاشية (رقم ١٢٠٩).

(٣) انظر: ابن حجر: الفتح (٣/٢٤).

أخرى بحرب الفِجَار لأنهم استحلوا المحارم بينهم[١]. وكان سببها تافهاً، لم يَعْدُ قتل رجل من قريش، تداعى بعده الأحلاف للقتال[٢].

ذكر ابن إسحاق[٣] أن هذه الحرب عندما هاجت كان لرسول الله ﷺ عشرون سنة. وقال ابن هشام[٤] إنها هاجت ولرسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، وأن رسول الله ﷺ شهد بعض أيامهم مع أعمامه، وقال: «كنت أنبل على أعمامي» - أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

ولما كانت حرب الفجار قد استمرت زمناً طويلاً فيمكن الجمع بين قولي ابن إسحاق وابن هشام بأن عمر الرسول ﷺ كان في مبتدئها نحو خمس عشرة سنة، ولذا كان ينبل على أعمامه. وعند انتهائها كان عمره عشرين سنة.

ومما يلفت النظر أنه لم يرد ذكر لاشتراك الرسول ﷺ مباشرة في هذه الحرب وقد كان بلغ سن القتال، كما في رواية ابن إسحاق المذكورة. وعلل السهيلي[٥] ذلك لأنها كانت حرب فجار بين كفار، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله تعالى هي العليا.

قلت: لو صح حديث نبله على أعمامه، فهو دليل على اشتراكه في الحرب اشتراكاً رمزياً غير مباشر، ويمكن تفسيره بأن الرسول ﷺ اشترك بهذه الكيفية في الدفاع عن المقدسات والمحارم، وخاصة أن قيس عيلان هي المعتدية، وهذا من القيم العليا التي اهتم بها الرسل والمصلحون، أي نصرة المظلوم.

□ المبحث الحادي عشر: شهوده حلف الفضول أو المطيبين والحكم والعبر من ذلك: □

روى أحمد[٦] أن الرسول ﷺ قال: «شهدت حلف المُطَيَّبين[٧] مع عمومتي وأنا

---

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (٣/ ٢٤).

(٢) ابن هشام (١/ ٢٤١-٢٤٣) بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٣) ابن هشام (١/ ٢٤٣) بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٤) (١/ ٢٤١)، والحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ إسناده منقطع، فهو ضعيف.

(٥) الروض الأنف (١/ ٢٠٩).

(٦) المسند (٣/ ١٢١، شاكر). وصحح شاكر إسناده.

(٧) المطيبون: هاشم وزهرة ومخزوم. قاله بعض رواة حديث أبي هريرة عند البيهقي في الدلائل =

غلام، وما أحب أنّ لي حمر النعم وأني أنكثه». وقال في رواية البيهقي[١]: «ما شهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقضته».

قال البيهقي[٢] معلقاً على هذا الحديث: «زعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول، فإن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيبين». والراجح عندي قول أهل السير.

والبيهقي نفسه يقول في السنن الكبرى[٣] إن الرسول ﷺ لم يدرك حلف المطيبين.

ويمكن الجمع بين رواية أحمد والبيهقي ورواية أهل السير أن حلف المطيبين قد تجدد في حياة الرسول ﷺ وعرف باسم آخر هو «حلف الفضول»[٤]، والله أعلم.

وروى الحميدي[٥]، أن رسول الله ﷺ قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان[٦] حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلوماً». وروى ابن إسحاق[٧]، أن الرسول ﷺ قال: «لقد

= (٢/ ٣٨). وقال البيهقي: «كذا روي هذا التفسير من رجال الحديث ولا أدري قائله...».
وقد سبق القول إن ابن إسحاق (ابن هشام ١/ ١٧٩ ـ ١٨١)، أشار إلى حلف المطيبين، وهو اختلاف قريش بعد قصي: بني عبد مناف ومن حالفهم، وبني عبد الدار ومن حالفهم... فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً عند الكعبة... ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسموا بالمطيبين. وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً لعدو، فسموا الأحلاف... وقد ذكر ذلك.

(١) دلائل النبوة (٢/ ٣٧-٣٨)، ابن كثير: البداية (٢/ ٣١٥) من رواية البيهقي، ومن عدة طرق، وإسناده قوي.

(٢) الدلائل (٢/ ٣٨).

(٣) (٦/ ٣٦٧).

(٤) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٤٥٦، مادة الفاء مع القاف)، وأحمد شاكر: حاشيته على مسند أحمد (٣/ ١٢٢)، والشامي: سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٠٩).

(٥) نقله عنه ابن كثير في البداية (٢/ ٣١٥) وإسناده صحيح. قال الشامي في سيرته والدكتور قلعه جي محقق دلائل البيهقي (١/ ٤٠) إن قوله: تحالفو... إلى آخره، مدرج من بعض رواته، وليس بمرفوع، فلا دلالة حينئذ فيه.

(٦) تيمي من قرابة عائشة رضي الله عنها، يكنى بأبي زهير.

(٧) ابن هشام (١/ ١٨٢-١٨٣)، وإسناده صحيح مرسل، ويشهد له حديث الحميدي، فيقوى.

شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت».

لقد عقد هذا الحلف بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم، على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم[1] وكان ذلك في ذي القعدة قبل البعثة بعشرين سنة، منصرف قريش من حرب الفجار، ولرسول الله ﷺ يومئذ عشرون سنة، وكان أول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ.

وكان سببه، أن رجلاً من زبيد، قدم مكة ببضاعة له، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وكان ذو شرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزوماً وجمحاً وسهماً، فأبوا أن يعينوه على العاص، وزجروه، فلما رأى الزبيدي الشر، رقى على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فقال بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته	ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته	يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه	ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: «ألهذا مترك؟» فاجتمعت قريش وزهرة وتيم، في دار عبد الله بن جدعان، فتحالفوا وتعاهدوا في ذي القعدة الحرام ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة[2]، وما رسا ثبير وحراء مكانهما، وعلى التآسي في المعاش. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضول من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه[3].

ومن أبرز الحكم والعبر من خبر شهوده حلف الفضول:

١ - إذ كان أهل الجاهلية يرفضون الظلم بدوافع فطرية فأولى بأهل الإسلام رفضه

---

(١) ابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ١/ ١٨٢).

(٢) ما بل بحر صوفة. يعني إلى الأبد، أي ما قام في البحر ماء ولم تطره.

(٣) ابن كثير: البداية (٢/ ٣١٥-٣١٦)، ولم يسنده. ورواه ابن سعد (١/ ١٢٨-١٢٩) مختصراً، من طريق الواقدي.

بدوافع عقدية، لأن الإسلام، جاء حاثًا على عدم الظلم ومتمشياً مع الفطرة ومقوماً لها من أي انحراف. ولا غرابة أن يؤكد الرسول ﷺ على أهمية ذلك الحلف لأن مضمونه هو مضمون ما دعا إليه الإسلام في أمر إحقاق الحق وإبطال الظلم.

٢ - إن الدور الذي قام به الزبير في هذا الحلف لدليل على مروءة رجال البيت الهاشمي، وبيان فضلهم على غيرهم في مثل هذه المواطن، وحسبهم فضلاً وشرفاً أن الرسول ﷺ كان منهم.

□ المبحث الثاني عشر: □

أ - زواجه من خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّىٰ بن قصي بن كلاب امرأة حازمة شريفة لبيبة، من أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكان رجال قومها يحرصون على الزواج منها. وكانت تستأجر الرجال من مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فوافق، وخرج مع غلام لها يدعى مَيْسَرَة. ومن خلال معاشرة ميسرة للرسول ﷺ رأى من الآيات والمعجزات ما حكاه لسيدته خديجة، فرغبت في الزواج منه[1].

ومن تلك الآيات أن الرسول ﷺ عندما قدم بُصرى من أرض الشام، نزل في ظل شجرة، فقال نسطوراً الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم، لا تفارقه، قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء.

وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه إذا اشتدت الهاجرة. وتقول الرواية إن خديجة رأت ذلك عندما دخل محمد ﷺ مكة في ساعة الظهيرة. وفي القصة أنه وقع بين الرسول ﷺ ورجل تلاح في البيع، فقال الرجل للنبي ﷺ: احلف باللات والعزى، فقال النبي ﷺ: ما حلفت بهما قط، وإني لأَمُرُّ فأعرض عنهما.

---

(١) ابن إسحاق، دون إسناد، ابن هشام (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

وقال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم، وفي القصة أيضاً أن تجارة الرسول ﷺ ربحت ضعف ما كانوا يربحون، وأضعفت خديجة للنبي ﷺ ضعف ما سمَّت له من قبل، وهو أصلاً ضعف ما كانت تعطي لغيره من قريش.

وذكرت خديجة لابن عمها ورقة بن نوفل قول الراهب نسطوراً الذي سمعه منه ميسرة، وهو: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي»، وما كان يرى ميسرة من إظلال الملكين له، فقال ورقة: «لئن كان هذا حقاً يا خديجة، إن محمداً لنبي هذه الأمة، وقد عرفت إنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه»[1].

كان هذا الذي سمعته خديجة من ميسرة وورقة تأكيداً لما كانت تعرفه من أخلاقه وعلو شأنه، لذا رغبت في الزواج منه، فأرسلت صديقتها نفيسة بنت منية تعرض عليه ذلك، فوافق ﷺ على ذلك، فتم الزواج[2].

وقد أخرج البزار[3] والطبراني[4] عن جابر، بسند حسن، أن أختاً لخديجة استكرت رسول الله ﷺ وشريكاً له. فلما قضيا السفر بقي لهما عليها شيء، فحبس شريكه بأتيهم وبقاصاهم، وعندما يطلب من محمد ﷺ أن يفعل مثله يعتذر بحجة أنه يستحي من ذلك. فذكرت ذلك لخديجة فأعجبت به وطلبت منه أن يخطبها إلى أبيها، فقال: أبوك رجل كثير المال وهو لا يفعل. قالت: انطلق فاخطبه وكلمه، ثم أنا أكفيك، وأنا عند سكره.

روى ابن إسحاق في السير والمغازي، أن خديجة تزوجت قبل الرسول ﷺ، عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له امرأة، ومن بعده تزوجت أبا هالة بن النبيش التميمي، وولدت منه ابنها هنداً وامرأة، ومات أبو هالة في الجاهلية[5].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٥٦): «إسناده حسن».

(٢) رواه الصاحلي كما ذكر النهبي في السيرة، ص٦٤، من حديث نفيسة بنت منية، وذكر الذهبي أن جاء في قصة خروجه ﷺ إلى الشام تاجراً من حديث نفيسة بنت منية. الذي فيه خبر إرسال خديجة نفيسة تعرض على الرسول ﷺ رغبتها الزواج منه، وهو عند خبر ضعيف.

(٣) انظر: كشف الأستار (٣/٢٢٧).

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي (٩/٢٢٢)، وإسناده حسن على الأقل.

(٥) قاله ابن حجر في الفتح (١٤/٢٨٧)، انظر: ابن عساكر، ص١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، وهو من رواية ابن إسحاق في السير والمغازي، ص٢٤٥، وعند ابن سعد (٨/١٥) ابن عابد، وفي الإكمال (٢/٦) ابن عائذ.

وذكر ابن سعد[١] أن أول من تزوجها هو أبو هالة، واسمه هند بن النباش بن زرارة، فولدت له رجلاً يقال له هند ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله المخزومي، فولدت له جارية يقال لها هند، فتزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن عبد الله. قلت: ولمحمد بن صيفي ترجمة في الإصابة والاستيعاب. أما الرسول ﷺ فكان أول من تزوجها هي خديجة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت[٢]، وكان ذلك سنة خمس وعشرين من مولده ﷺ في قول الجمهور[٣].

واختلف العلماء في الذي تولى أمر زواجها. فقد ذكر البيهقي[٤] أن الذي زوجه إياها هو أبوها خويلد، وهو سكران، وفي نهاية الخبر يقول الراوي - المؤملي - عمر بن أبي بكر: «والمجتمع أن عمها عمرو بن أسد الذي زوّجها». وقد ضعف الهيثمي[٥] هذا الخبر لأن فيه عمر بن أبي بكر - المؤملي - وهو متروك. وذكر ابن إسحاق[٦] أن الذي زوّجها هو أبوها خويلد، وقال السهيلي[٧] وابن كثير[٨] والشامي[٩]: إن ابن إسحاق ذكر في السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها، ولكن لم نجد ذلك في المطبوع من سيرة ابن إسحاق. وذكر الواقدي[١٠] أن عمها عمرو بن أسد هو الذي ولي نكاحها، وخطأ من قال بغير هذا، لأن والدها - كما ذكر - مات قبل حرب الفجار، ووافقه على هذا السهيلي[١١]، وابن سيد

---

(١) الطبقات (٨/ ١٤-١٥).

(٢) مسلم (٣/ ١٨٨٩، ح٢٤٣٥).

(٣) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٨٦-٢٩٥).

(٤) دلائل النبوة (٢/ ٧٦-٧٦). وإسناده ضعيف جداً. وقاله ابن إسحاق، انظر: ابن هشام (١/ ٢٤٦)، وله شواهد تقويه.

(٥) مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٠-٢٢٦)، وروى البيهقي في غير طريق المؤملي أن أبا ما زوجها وهو سكران، وقال المحقق: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣١٢) مطولاً بإسناد ضعيف، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٠) عنه وعن الطبراني، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح».

(٦) ابن هشام (١/ ٢٤٦).

(٧) الروض الأنف (١/ ٢٦٤).

(٨) البداية والنهاية (٢/ ٣٢٠).

(٩) سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٢٠).

(١٠) ابن سعد (١/ ١٣٢-١٣٣)، الطبري (٢/ ١٢٨٣).

(١١) الروض الأنف (١/ ٢٦٣).

الناس[١] وابن عبد البر[٢]، والشامي[٣].

قال طرهوني إنه إذا ثبت هلاك والدها قبل الفجار فيلزم أن يكون الذي تولى نكاحها هو عمها. والظاهر أن أحاديث ولاية أبيها لنكاحها أقوى، لأنها جاءت من عدة طرق تعتضد لترتقي إلى درجة الحسن لغيره، وعلى أقل تقدير تدل على أن للقصة أصلاً، والله أعلم[٤].

وكان الذي ذهب مع الرسول ﷺ لخطبة خديجة، عمه حمزة. لقد كان لخديجة ﵂ مكانة عظيمة عند الرسول ﷺ. ورويت في الصحيحين[٥] وغيرهما عدة أحاديث في مناقبها الكثيرة، ولا غرابة في ذلك، فهي ذات الخصال الحميدة التي ذكرنا طرفاً منها وفوق ذلك فهي التي عرفت بين قومها بـ«الطاهرة العفيفة»[٦]. وهي التي رزق منها الرسول ﷺ جميع أبنائه[٧] ما عدا إبراهيم، فهو من مارية القبطية[٨]، كما ذكر ابن إسحاق وغيره. والمتفق عليه من أولاده منها: القاسم - وبه كان يكنى - ومات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة - وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة - ثم ولده عبد الله، الذي ولد بعد المبعث، وكان يقال له الطاهر والطيب[٩]، ويقال هما أخوان له[١٠]. ومات الأبناء

---

(١) عيون الأثر (١/ ٥٠).

(٢) الاستيعاب (٤/ ٢٨٠).

(٣) سبل الهدى والرشاد (٢/ ٢٢٤)، ويقول الشامي هنا: ... مما تقدم من أن عمها هو الذي زوجها رسول الله ﷺ ذكره أكثر علماء أهل السير. قال السهيلي: وهو الصحيح.

(٤) وقد حسن الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني إسناد قصة ولاية أبيها لنكاحها وهو سكران: صحيح السيرة النبوية (١/ ٢١٥-٢١٦).

(٥) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٨٦-٢٩٥، ح٣٨١٨-٣٨٢٤)، مسلم (٤/ ١٨٨٦-١٨٨٩، ح٢٤٣٠-٢٤٣٧).

(٦) انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص١٥٩، ١٥٩.

(٧) انظر: الفتح (١٤/ ٢٩١، ح٣٨٢١)، سيرة الذهبي، ص٦٥، ٦٦، ابن هشام (١/ ٢٤٦)، وذكر ابن إسحاق - بدون إسناد - أن أولاده المذكور هم: القاسم والطيب والطاهر.

(٨) انظر ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٩١)، ابن إسحاق، بدون إسناد لابن هشام (١/ ٢٤٧)، ابن سعد (١/ ١٣٤-١٣٥)، بأسانيد مختلفة في بعضها الواقدي، وعمومًا فالخبر مشهور، لا خلاف فيه يذكر.

(٩) انظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: السيرة النبوية، القسم الأول، ص١٠٨ و١١٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٠٨، ١١٧، ١١٨.

الذكور صغاراً باتفاق[١]. أما البنات فأدركن البعثة ودخلن في الإسلام، وهاجرن معه ﷺ[٢].

وماتت خديجة عن خمس وستين سنة[٣] كما روى الواقدي، كما هو المشهور. وكان عمرها عندما تزوجها الرسول ﷺ أربعين سنة، كما هو المشهور[٤].

ب - حكم وفوائد من هذا المقطع:

١ - إن في إظلال الملكين له وشهادة الراهب له بالنبوة دليلاً على النبوة.

٢ - إن في رغبة خديجة الزواج منه دليلاً على ما كان يتميز به الرسول ﷺ من أخلاق عالية.

٣ - إن الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل خديجة دليل على شرفها وعلو مكانتها عند الله ورسوله والناس.

٤ - لا غضاضة في أن تبدي المرأة الصالحة رغبة الزواج من الرجل الصالح كما فعلت خديجة عندما خطبت محمداً إلى نفسها، رغبة فيه لصلاحه.

٥ - إن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول ﷺ بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك كبقية أقرانه من الشبان لطمع بمن هي أقل منه سناً أو بمن ليست أكبر منه على أقل تقدير، أو بمن ليست ثيباً. ويتجلى لنا أنه ﷺ إنما رغب فيها لشرفها ونبلها حتى إنها كانت تلقب بالعفيفة الطاهرة. ولقد ظل هذا الزواج قائماً حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاماً. وقد ناهز هو الخمسين من العمر، وفي تلك الفترة - من فترة الشباب إلى الخمسين - تكون رغبة الرجال في النساء والميل إلى التعدد لدوافع الشهوة. ولكن الرسول ﷺ لم يفكر في ذلك، ولو شاء لوجد الكثير من

---

(١) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٩١)، البداية والنهاية (٢/ ٣١٨-٣١٩)، البيهقي: الدلائل (٢/ ٧٠)، من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جداً لأن فيه إبراهيم بن عثمان متروك، ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٣١٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٦٩).

(٣) ابن سعد (٨/ ٦، ١٨)، من طريق الواقدي وهو متروك.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات (٨/ ١٧)، من طريق الواقدي، والواقدي متروك.

النساء الراغبات أو الإماء، دون أن يخرج عن مألوف.

٦ - إن في النقاء العفيفة الطاهرة بالصادق الأمين، وإنجاب الذرية الصالحة من هذا الزواج، لمكرمة أكرم الله نبيه ﷺ بها، تبقى في مكانة اجتماعية مرموقة لا مطعن فيها.

❑ المبحث الثالث عشر: ❑

أ - مشاركته في بناء الكعبة ووضعه الحجر الأسود في مكانه:

روى البيهقي[1]: أن الله أوحى إلى إبراهيم ﷺ أن ابن لي بيتاً في الأرض، فضاق به ذرعاً، فأرسل الله ﷻ إليه السكينة، وهي ريح [شديدة خجوج] لها رأس، فتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت، ثم تطوقت إلى موضع البيت تطوق الحية، فبنى إبراهيم، فكان يبني شيئاً كل يوم، حتى إذا بلغ مكان الحجر، قال لابنه: ابغني حجراً، فالتمس حجراً حتى أتاه به، فوجد الحجر الأسود قد ركب، فقال له ابنه: من أين لك هذا؟ قال جاء به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبريل ﷺ من السماء فأتمه.

وروى البيهقي[2] من طريق آخر بمعناه، وزاد فيه: أنه عندما انهدم بنته العمالقة، وعندما انهدم للمرة الثانية بنته جرهم وعندما انهدم للمرة الثالثة بنته قريش ورسول الله ﷺ يومئذ رجل شاب وروى عبد الرزاق والذهبي بسند صحيح أنه عندما أرادوا هدمه إذ هو بحية عند سور البيت فروعتهم، فلم يقدروا على هدمه. فاجتمعت قريش عند البيت، وتضرعوا إلى الله ليزيل عنهم هذا البلاء، فأرسل الله طائراً فغرز مخالبه في ذنب الحية، ثم انطلق بها يجرها حتى انتهى بها نحو أجياد، فتمكنت قريش من هدم الكعبة لإعادة البناء[3]. فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود إلى مكانه،

---

(١) دلائل النبوة (٢/ ٥٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٩-٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٢-٢٩٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) دلائل النبوة (٢/ ٥٦-٥٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) طرف من حديث وراه عبدالرزاق في مصنفه (٥/ ٣٠٢، ح٩٦١٠)، ورواه المعبي بنحوه في السيرة، ص٧٧، بإسناد صحيح.

اختصموا فيه. فقالوا تحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السِّكَّة، فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم. فقضى بينهم أن يجعلوه في مِرْط، ثم ترفعه جميع القبائل[١].

وروى الإمام أحمد[٢]، وأهل السير[٣] أن قريشاً عندما اختلفت في وضع الحجر الأسود في مكانه، قالوا: اجعلوا بينكم حكماً، فقالوا أول رجل يطلع من الفج، فجاء رسول الله ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فرفعوا نواحيه، فوضعه النبي ﷺ في مكانه المطلوب.

ولولا حكمة الله وهداية رسوله ﷺ إلى هذا الحل، لسفكت الدماء؛ فقد روى ابن إسحاق أن الخلاف في وضع الحجر الأسود قد وصل إلى أن قرّبت بنو عبد الدار جَفْنَة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، دون أن يردها إلى الوفاق أي رأي أو تدبير، حتى كان خمود نار الفتنة على يد رسول الله ﷺ[٤].

وعندما أكملوا البناء ساق الله إليهم سفينة من أرض الروم، فانكسرت قريباً من جدة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا رومياً نجاراً عندها، فأخذوا الخشب بإذنه، وقدموا بالخشب والنجار الرومي، ليبني لهم به عرش الكعبة[٥].

وقد جزم عبد الرزاق[٦] وابن إسحاق[٧]، أن عمر النبي ﷺ إذ ذاك كان خمسة وثلاثين عاماً، وهو المشهور[٨].

---

(١) هو تكملة حديث البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٦، ٥٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٨)، وصححه وأقره الذهبي.

(٢) المسند (٣/ ٤٢٥)، وحسن الألباني إسناده: حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ٨٤ .

(٣) ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٢٥٤-٢٥٥)، ويشهد له حديث أحمد والحاكم والذهبي وغيرهم.

(٤) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (١/ ٢٥٤).

(٥) طرف من حديث رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ١٠٢، ح٩١٠٦)، وقد سبق تصحيحه.

(٦) المصنف (٥/ ١٠٢) بإسناد صحيح.

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٩) بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٨) انظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٢٤)، والسيرة النبوية للذهبي، ص٧٧ من حديث عبدالرزاق الذي صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو في المصنف (٥/ ١٠٢-١٠٣)، برقم ٩١٠٦ .

ب – حكم وعبر من هذا المقطع:

١ - إن قبول قريش تحكيم الرسول ﷺ في أمر وضع الحجر الأسود في مكانه من البيت الحرام، ووصفهم له بالأمين، دليل على تربية الله سبحانه لنبيه على مكارم الأخلاق التي كان من بينها الصدق والأمانة.

٢ - إن الاقتراح الذي توصل إليه الرسول ﷺ لحل هذه الأزمة كان بتوفيق من الله تعالى ليلفت أنظار الناس إلى ما سيختاره له الله من القيام بأمر أكبر من هذا لتوحيد الناس... وهو الإسلام.

٣ - جاء إسهام الرسول ﷺ في القضايا الكبرى التي عاشتها مكة آنذاك، متنوعاً شاملاً مغطياً شتى مساحات العمل البشري الجماعي، وكأنه أريد له أن يجرب كل شيء، أن يسهم عاملاً في كل اتجاه، وأن يبني عبر نشاطاته المتنوعة جميعاً شخصية قادرة على التصدي لكل مشكلة، والإسهام الإيجابي الفعال في كل ما من شأنه أن يعيد حقاً أو يقيم عدلاً... وكان إسهامه في بناء الكعبة، وحل مشكلة وضع الحجر الأسود التي كادت تؤدي إلى فتنة، اثنين من بين عدة أنشطة متنوعة قام بها الرسول ﷺ فأكسبته خبرة في مجال التعامل مع الأحداث[1]

المبحث الرابع عشر:

أ – من إرهاصات النبوة عند أهل الكتاب وكهان العرب عندما قارب زمن بعثة الرسول ﷺ:

عقد ابن إسحاق[2] فصلاً عن أخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى بقرب مبعث النبي ﷺ.

ومما روي في أمر كهان العرب بطرق صحيحة حديث ابن عباس عند مسلم في رمي الجن بالنجوم قطعاً لمصدر كهنة العرب في الجاهلية[3]. وخبر سَوَّد بن

---

(١) نظر: الدكتور عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص٤٨، ٤٩.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٦).

(٣) مسلم (٤/ ١٧٥١، ح٢٢٢٩).

قَارِب الأزدي السدوسي الكاهن مع عمر بن الخطاب ﷺ، حيث كان سواد يقول: «إن الشياطين قد سكنت ذليلة مغلوبة قبيل مبعث النبي ﷺ»[١]، وكان سبب إسلامه هو ما رواه من إرهاصات عن طريق ممارسته الكهانة والاستعانة بالجن في ذلك، كما جاء ذلك في خبره. وفي القصة، أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يحدث الناس: «والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذَبَحَ له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر نسمه ليقسم لنا منه إذ سَمِعْتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قَطُّ أَنْفَذَ منه، وذلك قُبَيلَ الإسلام بشهر أو شَيْءٍ، يقول: يا ذُرَيْحُ، أَمْرٌ نَجِيحٌ، رجل يَصِيحُ، يقول: لا إله إلا الله»[٢].

روى ابن إسحاق[٣]، في إخبار يهود برسول الله ﷺ أن يهودياً كان من جيران بني عبد الأشهل، حدثهم عن البعث والجزاء فاستنكروا ذلك وطالبوه بآية ذلك، فقال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده جهة مكة واليمن.

وروى ابن إسحاق[٤] أن من أسباب إسلام ثَعْلَبة بن سَعْيَة وأُسَيْد بن سَعْية وأسد بن عُبَيْد من يهود بني هدل، إخوة بني قريظة، ما أخبرهم به يهودي يقال له ابن الهَيْبَان، قدم من الشام إلى المدينة قبيل البعثة بسنين. قال لهم إن سبب قدومه المدينة توقع خروج نبي فيتبعه، ودعا اليهود إلى اتباعه: وألا يسبقهم إليه أحد، وذكر لهم بعض صفاته. فعندما تأكدوا منها يوم حصار قريظة أسلموا.

وفي قصة سلمان الفارسي وخروجه من بلاده بحثاً عن الدين الحق وتقلبه في

---

(١) انظر: كاملاً في سيرة بن هشام (١/ ٢٦٨) بسند منقطع، وروى قصته مع عمر: البخاري، الفتح (١٥/ ٢١-٢٥، ح٢٨٦٦)، ولم يصرح البخاري أن الكاهن هو سواد، ولكن بن حجر هو الذي صرح بذلك من طرق يقوي بعضها بعضًا، الفتح (١٥/ ٢٢).

(٢) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٢٥)، دلائل البيهقي (٢/ ٢٤٩-٢٥١)، وانظر طرقه وألفاظه الأخرى في الموسوعة الحديثية: المسند (٢٤/ ٢٠٤/ أثر ١٥٤٦٦).

(٣) ابن هشام (١/ ٢٧٠)، وسنده حسن.

(٤) بسند منقطع (ابن هشام (١/ ٢٧٢)، ويتقوى هذا الأثر بالمتابعة وقابل للاحتجاج به لأن البخاري ومسلم قد أشاروا في صحيحهما إلى أ بعض بني قريظة قد لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا. انظر: البخاري، الفتح (١٥/ ٢٠٣، ح٤٠٢٨)، ومسلم (٣/ ١٣٨٨، ح١٧٦٦)، وانظر تخريج الخبر عند المستدي في رسالته: مرويات تاريخ يهود المدينة (ص٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٢).

الرق إلى أن جاء إلى المدينة[1]، وقصة ورقة بن نوفل - عند البخاري وأحمد في المسند والحاكم - وزيد بن عمرو بن نفيل وخروجهما من مكة بحثاً عن الدين الحق حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، قال الراهب لزيد إن الذي تلتمس يوشك أن يظهر في أرضهما[2]. في هذه القصص وغيرها دليل على ما كان سائداً عند اليهود والنصارى في ذلك الوقت، من اعتقاد بقرب ظهور النبي ﷺ. وللصفات التي عرفت من الأحبار والرهبان عن الرسول ﷺ أسلم سلمان الفارسي.

وجاء في صحيح الأخبار أن الله تعالى لما أراد هدي زيد بن سعنة - الحبر اليهودي - قال: «إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً»، فخالط الرسول ﷺ حتى تأكد من هاتين الخصلتين[3].

وجاء في الأخبار أن سبب إسلام عامر بن ربيعة العدوي هو ما كان يقوله زيد بن عمرو بن نفيل من أنه ينتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب اسمه أحمد، ولا يرى أن يدركه، وكان يدعو لنا، لما عرفه عنه من أهل الكتاب[4].

وكان قس بن ساعدة الإيادي يقول: «أقسم قس قسماً براً لا إثم فيه، ما لله على الأرض دين هو أحب إليه من دين أظلكم إتيانه وأدرككم أوانه، طوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن أدركه ففارقه...»[5].

---

(١) انظر قصته بطولها عند ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ١/٢٧٣-١٨٢). أما البخاري فقد ذكر توجه الرسول ﷺ لسلمان بأن يعقد نفسه بالمكاتبة: البخاري، الفتح (٩/ ٢٨١).

(٢) الخبر بتمامه أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٣٩) وصححه، وأبو داود الطيالسي، ترتيب المنة (٢/ ١٦) بإسناد حسن لغيره، وفي خروج زيد إلى الشام نظر البخاري، الفتح (٦٤/ ٣٠٠، ح٣٨٢٧)

(٣) انظر: الخبر بتمامه في سيرة النبي ﷺ ص٩١-٩٣، وقال المحققان في تخريجه: أخرجه ابن حبان في صحيحه، (والإحسان ص٥١٦) والطبراني والحاكم (٣/ ١٠٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من غرر الحديث.

(٤) انظر القصة في: الفتح (١٤/ ٢٩٧، ح٣٨٢٦)، وابن سعد (١/ ١٦٦)، وقال محقق دلائل أبي نعيم (١/ ١٠٠) عن إسناد ابن سعد: «ويظهر أن إسناده عنده مقبول لأنه اشترط في مقدمة الفتح أن لا يذكر من الحديث إلا ما توفر فيه شرط الصحة أو الحسن (هدي الساري ١/ ٦٦)». والسيوطي: الخصائص (١/ ١٦).

(٥) انظر قصته في: دلائل أبي نعيم (١/ ١٠٤ - ١٠٥)، ويفهم من تخريج المحققين للخبر أنه حسن.

وقال المفسرون وأهل السير إن الآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ[1] عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩] نزلت في اليهود الذين كانوا في صراع مع الأوس والخزرج. وإذا نال الأوس والخزرج منهم قالوا لهم إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما ظهر اتبعه الأوس والخزرج وكفرت به اليهود[2].

وقصة هرقل مع أبي سفيان تدل على ذلك، خاصة قول هرقل لأبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين»[3].

وجاءت الأحاديث مصرحة بأن محمداً ﷺ قد كتب نبياً منذ القدم. فقد روى الإمام أحمد[4]، والترمذي[5]، قول الرسول ﷺ: إنه كان نبياً «وآدم بين الروح والجسد». وعند أحمد[6] من حديث العرباض بن سارية: «وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ في طينته». وعند أبي نعيم[7]، قال: قال الرسول ﷺ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث».

ب - حكم وعبر من هذا المبحث:

١ - وخلاصة القول إن علماء اليهود والنصارى كانوا يعرفون الرسول ﷺ قبل مبعثه مما يجدونه من أوصافه وزمان خروجه في التوراة والإنجيل. وقد أشار القرآن إلى ذلك في عدة آيات[8]. ولذلك أسلم بعض اليهود وفي مقدمتهم عبد الله بن سلام

---

(١) يستنصرون الله به على مشركي العرب.

(٢) ابن إسحاق، بإسناد فيه جهالة: (ابن هشام ١/ ٧٠) ولكنه يتقوى مع المتابعة، انظر: مرويات يهود المدينة، ص٤٩، وتفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (٢/ ٣٣٣).

(٣) البخاري، الفتح (١٢/ ٧١، ح٢٩٤١)، مسلم (٣/ ١٣٩٥، ح١٧٧٣).

(٤) أحمد (٤/ ٥٩، ٦٦، ٥/ ٣٧٩)، وانظر طرقه المختلفة.

(٥) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ١٨٩، ح١٨٧٠).

(٦) المسند (٤/ ١٢٨)، سبق تخريجه عند الكلام عن زهاصات النبوة التي صاحبت ميلاده.

(٧) دلائل النبوة (١/ ٤٢)، وقد رمز السيوطي في الجامع الصغير إلى صحته ولم يوافقه المناوي.

(٨) مثل الآية ١٤٦ من سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

وبعض النصارى وفي مقدمتهم النجاشي ملك الحبشة. وإن ممن امتنع عن الدخول في الإسلام لأسباب مادية أو سياسية كما هو الحال في قصة حيي بن أخطب وهرقل ومقوقس مصر.

٢ - ويضاف إلى هذا ما سبق أن قلناه عند الكلام عن رحلته ﷺ إلى الشام والحكم المستفادة من ذلك.

❑ المبحث الخامس عشر: التحنث في غار حراء: ❑

كان رسول الله ﷺ ينفرد إلى نفسه متقرباً إلى الله ﷻ في غار معروف بغار حراء. وقد حبب الله إليه ذلك، لم يأمره بذلك أحد. فكان يبقى في هذا الغار الأيام والليالي إلى أن أتاه الوحي فيه[١]، وكانت سنه آنذاك أربعين سنة[٢].

وكان يمكث في حراء شهراً من كل سنة، وكان ذلك مما تحنث[٣] به قريش في الجاهلية، كما ذكر ابن إسحاق[٤]، ويطعم من جاءه من المساكين. وإذا قضى جواره من شهره هذا، كان أول ما يبدأ به الطواف بالكعبة[٥].

وقد اختلف العلماء في تعبده ﷺ قبل البعثة، هل كان على شرع أم لا؟ وما ذلك الشرع؟ فقيل شرع نوح، وقيل شرع إبراهيم، وهو الأشبه الأقوى، وقيل موسى، وقيل عيسى، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به. ولبسط هذه الأقوال ومناسبتها مواضع أخرى[٦].

❑ المبحث السادس عشر: ❑

أ - من إرهاصات النبوة قبيل البعثة:

قالت عائشة رضي الله عنها: «إن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان

---

(١) انظر مثلاً: البخاري، الفتح (٢٦/ ٢٠٤، ح٦٩٨٢).

(٢) من حديث أخرجه البخاري، الفتح (١٥/ ٨٣، ح٣٩٠٢).

(٤) انظر الخبر عند ابن هشام (١/ ٢٩٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٥) جاء ذلك في حديث ابن إسحاق المذكور آنفًا بإسناد حسن.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ٧).

يخلو بغار حراء يتحنث - يتعبد - فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء...»[١].

وأخرج مسلم والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن»[٢].

وأخرج ابن عساكر أن ملكين أتياه وهو ببعض بطحاء مكة، فقال أحدهما للآخر: زنه برجل، فوزنه، فرجح به محمد ﷺ إلى أن وزنه بألف من أمته فرجحهم، ثم قال له: لو وزنته بأمته لرجحها. ثم قال أحدهما للآخر: شق بطنه، فشقه، ثم أخرج منه فَعْمَ - حظ - الشيطان، وعَلَقَ الدم، فطرحها، فقال أحدهما للآخر: اغسل بطنه غسل الإناء، ففعل، ثم دعا بالسكينة فأدخلت قلبه، ثم قال أحدهما للآخر: خط بطنه، ففعل، وجعلا الخاتم بين كتفيه، ثم وليا عنه، وكأنما يعاين الأمر معاينة[٣].

وروي أنه خرج من عند خديجة، ثم عاد فأخبرها أنه رأى بطنه قد شق، ثم طهر وغسل، ثم أعيد كما كان، فقالت: «هذا والله خير فأبشر»[٤].

وقال النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها: «إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً وإني أخشى أن يكون بي جنون». قالت: «لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله»، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له فقال: «إن يك صادقاً فإن هذا ناموس مثل ناموس

---

(١) البخاري، الفتح (١٦/ ١٩٧-٢٠٠، ح٦٩٨٢)، مسلم (١/ ١٣٩-١٤٠)، ح٢٨٦٥).

(٢) مسلم (٤/ ١٧٨٢، ح٢٢٧٧)، الترمذي: صحيح الترمذي للألباني (٣/ ١٩١، ح٢٨٦٥).

(٣) من رواية ابن عساكر، نقلها عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٩)، وفي اللسان أن معنى «فعم»: الفائض امتلاء.

رواه البزار كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٢٥٥)، وإسناده ضعيف، ويتقوى بحديث الزهري بالحاشية التالية.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٤٢، ١٤٥ - ١٤٦)، من طريقين، الأول من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب، مرسلا، والثاني من طريق أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة مرسلاً، والطريقان ضعيفان، ولكنهما شاهدان يتقوى بهما حديث ابن عساكر والبزار، انظر: محمد الصويلحي: القصيمية، دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية، ص ١٨٧-١٨٩.

موسى: فإن بعث وأنا حي فسأعزره، وأنصره، وأومن به»[1].

ب - العبر والعظات:

١ - إن الآيات والمعجزات التي وقعت للرسول ﷺ من قبيل الإرهاصات الدالة على تميزه عن غيره من الحنفيين الذين عاصروه، وأن الله ﷻ سيختاره هو بالذات لأمر عظيم.

٢ - تقرير أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، إذ إن فترة الوحي كانت ثلاثاً وعشرين سنة منها ستة أشهر كانت مناماً.

٣ - استحباب العزلة لفترات تعين المسلم على التفكير في أحوال المجتمع إذا سادت فيه الجاهلية والفساد. أما الاعتزال الدائم للمجتمع والذي ابتدعته جماعة من الجماعات الدينية في زماننا هذا فهو مخالف لسنته ﷺ العملية والقولية. فلم يعرف عن الرسول ﷺ أنه اعتزل المجتمع، وقال في نبذ مثل هذه الجماعات:

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»[2].

«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»[3].

◻ المبحث السابع عشر: ◻

أ - نزول الوحي:

روى الشيخان أن أمين الوحي فجأ الرسول ﷺ لأول مرة في يوم الاثنين، الحادي والعشرين من شهر رمضان، من العام الأربعين لميلاده ﷺ، بينما كان تحنث بغار حراء. وقال له: اقرأ، قال في الحديث: «فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني

---

(١) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠٧٢٠)، بإسناد حسن.

(٢) أحمد: المسند (٧/ ٩٤ ط. شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح ورجاله ثقات».

(٣) السيوطي: الجامع الصغير (٢/ ١٨٤)، وقال: «رواه الدارقطني، وهو صحيح».

فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ [العلق: ١] حتى بلغ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]. قالت عائشة ﷺ - راوية الحديث -: فرجع بها تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ[1] حتى دخل على خديجة، فقال: زَمِّلُونِي، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال: يا خديجة، ما لي! وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا فوالله لا يُخْزِيكَ الله، إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ وتَصْدُقُ الحديث وتَحْمِلُ الكَلَّ [الذي لا يستقل بأمره] وتَكْسِبُ المعدوم، وتَقْرِي الضَّيْفَ وتُعِينُ على نَوَائِبِ الحَقِّ. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت: اسمع من ابن أخيك، فقال: يا أخي ما ترى؟ فأخبره. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً أكون حياً حين يخرجك قومك، قال: أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم لم يأتِ أحد بما جئت به إلا عُوِدِيَ وأوذي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي»[2].

أما الخبر الذي أورده ابن إسحاق[3] عن كيفية بدء الوحي، والذي قال فيه: «فجاءني جبريل وأنا نائم بِنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ...» فهو يخالف في الظاهر حديث عائشة ﷺ عند البخاري ومسلم الذي فيه التصريح بأن مجيء الوحي كان في حالة اليقظة، وأن الرؤيا الصادقة كانت قبل نزول الوحي، ولذا قال السهيلي[4]: «وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة، توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف».

---

(١) البوادر: جمع بادرة وهي اللحمة التي ما بين المنكب والعنق.

(٢) البخاري: الفتح (٦/٢٠٤، ح٤٩٨٢)، مسلم (١/١٣٩-١٤٠، ح١٦٠).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/٦٤٩-٦٥٠)؛ بإسناد حسن.

(٤) الروض الأنف (١/٢٦٩).

وقال ابن كثير[1] بما قاله السهيلي، ثم زاد: «... وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري، بأنه رأى ذلك في المنام، ثم جاءه الملك في اليقظة». وقال في مكان آخر[2]: «ويحتمل أن هذا المنام كان بعدما رآه في اليقظة صبيحة ليلته، ويحتمل أنه كان بعده بمدة، والله أعلم».

ب - العبر والعظات والدلائل:

١ - دل تصرف خديجة إزاء ما وقع للرسول ﷺ في الغار على رجاحة عقلها، وحسن تصرفها، وفضلها، وسلامة فطرتها.

٢ - دل تحليل ورقة لظاهرة ما حدث للرسول ﷺ بالغار على صحة علمه وفضله.

٣ - يتبين من رؤية الرسول ﷺ جبريل بعينيه، يقظة، أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مرده إلى حديث النفس المجرد أو ما شابه ذلك من التمحلات، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاثة مرات، قائلاً في كل مرة: «اقرأ...» يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفي ما قد يتصور من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً داخلياً فقط.

٤ - أ - يدل خوفه مما حدث له مع جبريل على أنه ﷺ لم يكن متوقعاً الرسالة التي سيدعى إلى حملها وبثها في العالم. وبذلك يتضح لكل عاقل مفكر أن ظاهرة الوحي هذه لم تأت منسجمة أو متممة لشيء مما قد يتصوره أن يختمر في باله، وإنما طرأت طروءاً على حياته وفوجئ بها دون أي توقع سابق. ولا شك أن هذا ليس شأن من يتدرج في التأمل والتفكير إلى أن تتكون في نفسه - بطريقة الكشف التدريجي المستمر - عقيدة يؤمن بالدعوة إليها، كما يدعي بعض المستشرقين[3].

ب - الله ﷻ قادر على أن يربط على قلب رسول الله ﷺ ويطمئن نفسه بأن هذا الذي كلمه ليس إلا جبريل - ملك من ملائكة الله جاء ليخبره أنه رسول الله

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٥٠٤)، بروايته عن عقبة أوردها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٤-١٥).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ١٤).

(٣) أمثال كولدوفو الفرنسي. انظر: حاضر العالم الإسلامي (١/ ٣٩).

إلى الناس. ولكن الحكمة الإلهية الباهرة تريد إظهار الانفصال التام بين شخصية محمد ﷺ قبل البعثة وشخصيته بعدها، ويبدو أن شيئاً من أركان العقيدة الإسلامية أو التشريع الإسلامي لم يكن في ذهن الرسول ﷺ مسبقاً ولم يتصور الدعوة إليه سلفاً.

جـ - إن فيما ألهم الله به خديجة من التثبت به ﷺ إلى ورقة، تأكيداً من جانب آخر بأن هذا الذي فوجئ به ﷺ إنما هو الوحي الإلهي الذي كان قد أنزل على الأنبياء من قبله، وإزالة لغاشية اللبس التي كانت تحوم حول نفسه بالخوف والتصورات المختلفة عن تفسير ما رآه وسمعه[1].

د - لو كان الوحي أمراً ذاتياً لما جاءت آيات في القرآن تعتب عليه أو تلومه لبعض التصرفات. مثل عتابه له حين أعرض عن صاحبه عبد الله بن أم مكتوم، حين حضر إليه ليعلمه مما علمه الله، وفي حضرته بعض كبار كفار قريش. وسميت سورة في القرآن بمضمون هذا الموقف، وهي سورة «عبس». وعتابه له في أسرى بدر كما سيأتي ذكره، وفي زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها كما سيأتي ذكره، وعتابه له حين أذن لمن طلب منه التخلف عن غزوة تبوك: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣]، وعتابه حين أراد أن يعطي كفار قريش ما أرادوا، حين طلبوا عدم الجلوس مع الموالي، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

هـ - لو كان الوحي أمراً ذاتياً لما خاطب الله تعالى نبيه بقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

و - لو كان الوحي أمراً ذاتياً لما كان الرسول ﷺ يسكت عن إجابات السائلين لفترة زمنية قد تطول وقد تقصر، ولما عانى من نتائج بعض الأحداث، مثل حادث الإفك الذي استمرت محنته لشهر... إلخ.

٥ اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الرسول ﷺ أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وفي ذلك إبعاد لشبهة الشك في مصدر القرآن، وفي ذلك يقول

---

(١) انظر البوطي: فقه السيرة ص٦٨-٧٠.

الرسول ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

المبحث الثامن عشر: فترة انقطاع الوحي ثم تتابعه:

انقطع جبريل عليه السلام عن النبي ﷺ بعد هذا فترة من الزمان، اختلف العلماء في مدتها. قال البوطي[1]: «والراجح ما رواه البيهقي من أنها كانت ستة أشهر». وقيل إن الأقرب إلى الصواب هو ما روي عن ابن عباس أن فترة انقطاع الوحي كانت أربعين يوماً[2]، وقيل إنها كانت أياماً[3]. وحزن الرسول ﷺ من هذا الانقطاع.

لقد جزع رسول الله ﷺ من هذا الانقطاع، حتى قيل إنه كان يحاول أن يتردى من شواهق الجبال[4]. وقد ضعف الشيخ الألباني[5] هذه الجزئية من الحديث لكونها من بلاغات الزهري، وأنها تتنافى مع عصمة الأنبياء من الانتحار.

بعد فترة الفتور أو الانقطاع المذكورة، نزل عليه الوحي مرة أخرى. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١-٥]، فحمي الوحي وتتابع»[6].

ب - الحكمة من هذا الانقطاع:

١ - ليحصل للرسول ﷺ التشوق إلى العود بعد أن ثبت لديه الحقيقة أنه

---

(١) فقه السيرة، ص٦٧، ولم يذكر مكانه من مؤلفي البيهقي: الدلائل والسنن الكبرى، أو غيرهما، والذي وقفنا عليه في السنن الكبرى (٩/٦) أن الوحي انقطع، ولم يذكر أنها مدة أشهر.

(٢) انظر: شرح المواهب اللدنية للزرقاني (١/٣٣٢)، وذكر فيه الأقوال الواردة بهذا الصدد، ولم يستند أصحاب هذه الأقوال إلى دليل صالح للاحتجاج به، وانظر الشامي: من معين السيرة، ص ٦٩.

(٣) ابن حجر: فتح الباري (٢٦/٢٠٥، ح٦٩٨٢).

(٤) البخاري: الفتح (٣٦/٢٠٤-٢٠٥، ح٦٩٨٢).

(٥) ذكر من الحديث النبوي والسيرة، ص٤٠، وذكر أن ابن حجر أول من نبه إلى ضعف بلاغات الزهري، والبلاغ من أقسام المرسل - أي قول: «بلغني ...».

(٦) البخاري: الفتح (١/٣٢٥، ح٤٩٢٥)، مسلم (١/١٤٣، ١٦٢).

أضحى نبياً[١].

٢ - إن في انقطاع الوحي ثم استمراره تأكيداً للحقيقة التي ذكرناها، وهي أن الوحي ظاهرة منفصلة عن ذات الرسول ﷺ.

□ المبحث التاسع عشر: مراتب الوحي: □

قال ابن القيم[٢]: إن الله تعالى قد كمل لنبيه من مراتب الوحي مراتب عديدة:

أحدها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحي الله إليه، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...»[٣].

الثانية: ما كان يلقيه الملك في رُوعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في رُوعي إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب...» الحديث[٤].

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً[٥].

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشد عليه فيتفصم به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض...»[٦].

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم[٧].

---

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (٢٤/ ٢٠٥-٢٠٦، ح٦٩٨٢).

(٢) زاد المعاد (١/ ٧٨-٨٠)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١٣/ ٣٢١).

(٣) البخاري: الفتح (٢٦/ ٢٠٤، ح٦٩٨٢)، مسلم (١/ ١٣٩، ح١٦٠).

(٤) حديث يتقوى مع المتابعة والشواهد، وقد خرجه الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص٩٦، وقال: عنه «حديث صحيح».

(٥) انظر: مسلم (١/ ٣٦-٣٧/ ح٨).

(٦) ممن أخرجه: البخاري: الفتح (١٣/ ٣١، ح٣٢١٥)، ومسلم (٤/ ١٨١٦، ح٢٣٣٣) وغيرهما.

(٧) انظر: مسلم (١/ ١٥٤، ح١٧٧).

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك. كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وثبوتها لنبينا ﷺ وهو في حديث الإسراء والمعراج: الذي فيه قول الرسول ﷺ: «... ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»[1]، ويفهم من حديث مراجعة محمد ﷺ ﷺ في أمر تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس، أنه كان يكلمه بلا واسطة.

☐ المبحث العشرون: مراتب الدعوة ومراحلها: ☐

أ - مراتب الدعوة:

ذكر لها ابن القيم[2] خمس مراتب.

الأولى: النبوة. الثانية: إنذار عشيرته الأقربين. الثالثة: إنذار قومه. الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله، وهم العرب قاطبة. الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر.

ب - مراحل الدعوة خلال حياة الرسول ﷺ[3]:

المرحلة الأولى: الدعوة سراً، واستمرت ثلاث سنين.

المرحلة الثانية: الدعوة جهراً والكف عن القتال، واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: الدعوة جهراً مع قدرة المسلمين بالقدرة، واستمرت إلى صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدعوة جهراً، مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة.

(١) مسلم (١/١٤٩، ح١٦٣).
(٢) زاد المعاد (١/٨٢).
(٣) انظر البوطي: فقه السيرة، ص٥٢، المباركفوري: الرحيق المختوم، ص ٨٤.

وقفة عند فقه هذه المراحل:

ربما يتبادر سؤال إلى الذهن، وهو: هل يجب على دعاة قيام الدولة الإسلامية - خاصة في العصر الحديث - التقيد بهذه المراحل بمداها الزمني كما رسمت للرسول ﷺ؟ والجواب عن هذا السؤال، هو أنه ليس عليهم التقيد بهذه المراحل[1] ولا بالمدى الزمني الذي مرت به في حياة الرسول ﷺ. وذلك لأن المدى الزمني لتلك المراحل تقدير رباني وليس جهداً بشرياً فقط[2]. فالتقيد بهذه السيرة من لا يتمشى مع مرونة الإسلام في معالجة الأمور ومواجهة الأحداث. والسيرة النبوية التي تمثل حركة الإسلام تفتح أمام الدعاة نماذج للخيارات المتعددة التي يقدمها المنهج الإسلامي بحركته المتنوعة الفريدة... وما السرية، أو طلب النصرة، أو الهجرة إلا وسائل اتخذها رسول الله ﷺ لنشر دعوته، ضمن ظروف ومواصفات معينة... فمثلاً نجد في زماننا هذا أن الدول الغربية الديمقراطية لا تحجر أي نشاط لرجال الأديان المختلفة، فلا ضرورة هنا للتقيد بمرحلة السرية في الدعوة، بينما نجد [كثيرًا من] الدول الشيوعية لا تسمح للمسلم بممارسة أي نشاط دعوي أو سياسي، فيضطر أن يستخفي بدينه حتى يتمكن، وعند تصبح السرية ضرورة اقتضتها ظروف معينة. وإذا اقتضت حكمة الدعوة أن يكون هناك عمل سري وآخر علني فلا بأس، وذلك في مثل البلاد التي تسمح بنشاط المسلمين في حدود ضيقة جداً.

وخلاصة القول: إن السرية تقدر بقدرها، حسب ظروف البيئة التي يعيشها المسلم[3].

❐ المبحث الحادي والعشرون: ❐

أ - المرحلة الأولى: الدعوة السرية:

استجاب الرسول ﷺ للأوامر الإلهية التي صدرت له بالتبليغ، وقد جاءت هذه الأوامر واضحة في الآيات التي نزلت بعد آيات سورة العلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ

---

(١) انظر: زهير سالم: خطرات وسعادات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية ص٢٩، وما بعدها.

(٢) انظر: القطب: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٩.

(٣) انظر: زهير سالم: المرجع السابق، ص٢٨-٣٥، ومن هنا يناقش الشيخ الخطيبات في قرب بالزامية المرحلة السرية، ويبدو أن الخطيبات قد انصب كلامه على بعض الأنظمة الاستبدادية، وكأنه ما هو واقع في كثير من البلاد العربية، والذي لم يوفق عندنا عمم القاعدة، وانظر: الدكتور البوطي: فقه السيرة، ص٧٦، ٧٧.

فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ١-٧].

لقد لخصت هذه الآيات الكريمات مضمون الدعوة التي أنيط به تبليغها إلى الناس. ولا تكاد الآيات القرآنية التي نزلت في مكة تخرج عن إطارها العام.

ففي قوله تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾، إشارة إلى أن زمان التدثر والخلود إلى الراحة في المضجع بين الزوجة والأبناء قد ولى، وجاء زمان المجاهدة بكل أبعادها، المادية والمعنوية.

وفي قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾، إشارة إلى تكليفه بأمر دعوة كل الناس إلى الإسلام. وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾، إشارة إلى أن ليس في الوجود أكبر من الله تعالى خالق الوجود. ولذا عليه أن يُعلم الناس بهذه الحقيقة ليتواضع الناس كلهم لله الكبير المتعال. وهذا هو التوحيد المطلق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، إشارة إلى أن الداعية إلى الله لا بد أن يبدأ بتطهير نفسه ظاهراً وباطناً حتى يكون المثل الأعلى لمن يدعوهم إلى الطهارة بكل معانيها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾، إشارة إلى أن التوحيد الخالص يقتضي عدم تعظيم أو تقديس أي شيء سوى الله الخالق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾، إشارة إلى أن ما خص به من منع إعطاء الشيء ابتغاء شيء أكثر منه هو أنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب ليكون مثلاً أعلى للبشرية وهو يدعوها إلى مكارم الأخلاق.

وللقيام بهذه الأمور كان لا بد من ختمها بحقيقة هامة للوصول إلى الأهداف المرجوة من هذه الأوامر، هذه الحقيقة هي أن تَحَمُّلَ أمانة الدعوة في عناصرها المذكورة لا بد له من الصبر على كل أصناف أذى المعارضين، والصبر على تربية الأتباع والصبر على الإبتلاء. فقال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

نهض الرسول ﷺ من فراشه وأخذ يدعو إلى ما أمر به سراً لمدة ثلاث سنين كما ذكر ابن إسحاق[1]، ولفظه: «وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به

(١) ابن هشام (١/ ٣٢٥)، بدون إسناد.

إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه». ومما يدل على السرية في الدعوة ما جاء في خبر إسلام عمرو بن عَبَسَة ﷺ عند مسلم، حيث قال: «أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذٍ مُسْتَخْفٍ...»[١]. بدأ بالدعوة إلى التوحيد ونبذ كل مظاهر الشرك.

وكان تحركه في هذه الفترة وسط الذين تربطهم به صلات، مثل زوجته وبناته ومولاه زيد بن حارثة وربيبه علي بن أبي طالب وأصدقائه وكل من يطمئن إلى أنه يكتم السر[٢]. ولهذا يلحظ أن من أوائل الذين دخلوا في الإسلام:

١ - زوجة خديجة ﵂ التي كانت أول من آمن بالله وبرسوله - كما هو مشهور - وهوّنت عليه أمر الناس، وكانت بذلك أول مَنْ أُمِر الرسول ﷺ بتبشيره بالجنة، قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[٣]. وقد جاءت الأحاديث الصحيحة كثيرة في فضائلها وأخبارها[٤].

٢ - ابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان في حجره، وهو يومئذٍ ابن عشر سنين على أصح الأقوال[٥].

٣ - مولاه زيد بن حارثة، الذي قال له الرسول ﷺ عندما جاء أبوه يطلبه: «إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك»[٦]، فأقام عنده وعرف بـ«زيد بن محمد» حتى نزلت آية: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥][٧]، وبذلك أبطلت عادة التبني.

٤ - أبو بكر الصديق ﵁، وهو أول من صدق من الرجال، وفيه قال الرسول ﷺ لعمر: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر:

---

(١) مسلم (١/ ٥٦٩، ح٨٣٢).

(٢) نظر: ابن هشام (١/ ٣٠٩)، خبر إسلام علي.

(٣) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٨٦، وما بعدها، ح٣٨٢٢)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦، ح٢٤٣٣، ٢٤٣٥)، ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، واللفظ له.

(٤) نظرها في أماكنها عند البخاري ومسلم وغيرهما في أبواب الفضائل والمناقب.

(٥) ابن إسحاق في السيرة، ص١٣٧، بإسناد حسن.

(٦) نظر: صحيح الترمذي للألباني (٣/ ٢٣١، ح٤٠٨٥).

(٧) والخبر في صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٣١).

صدق. . .»[١]. وقال: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر، ما عَتَمَ حين ذكرته وما تردد فيه»[٢]. وقال هو عن نفسه عندما اختير خليفة للمسلمين: «أَلَسْتُ أحق الناس بها؟ ألست أول من أسلم؟. . .»[٣].

وفي إطار هذه السرية تحرك أبو بكر وسط أقاربه ومواليه وأصدقائه ومن يثق به من قومه. فاستجاب له نفر كريم، منهم: عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف[٤]، وعثمان بن مظعون وأبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم[٥].

ومن خلال علاقات هؤلاء وغيرهم أخذ الإسلام ينتشر في مكة وخارجها[٦]، ودخل فيه أناس من بطون قريش ومواليها كافة. وممن اشتهروا بين السابقين إلى الإسلام من الموالي: بلال بن رباح وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر ووالده وأمه سمية بنت خياط[٧].

وفي فترة وجيزة وصل عدد الذين سبقوا إلى الإسلام من بطون قريش إلى أكثر من أربعين نفراً، كما عدهم ابن هشام[٨]، وأكثر من خمسين كما عدهم اليعمري[٩].

---

(١) من حديث رواه البخاري: الفتح (١٤/ ١٥٧، ح٣٦٦١).

(٢) رواه ابن إسحاق: السير والمغازي، ص١٣٩، بإسناد منقطع، والمنقطع ضعيف كما علمت.

(٣) صحيح الترمذي (٣/ ٢٠١) والأحاديث الصحيحة في كون أبي بكر أول من أسلم من الرجال كثيرة، انظرها في: البداية (٣/ ٣٠-٣٢).
عَتَمَ أو عَتَّمَ: أبطأ، انظر: لسان العرب، مادة عتم.

(٤) إلى هنا ذكرهم ابن إسحاق في السيرة، ص١٤٠، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٣١٧-٣١٨)، دون إسناد.

(٥) ومن ابن مظعون إلى الأرقم صرح ابن كثير في البداية (٣/ ٣٣) بأنهم أسلموا من طريق أبي بكر، زيادة على الآخرين.

(٦) في خبر إسلام عمرو بن عبسة عند مسلم - كما سبق الإشارة إليه - دليل على وصول خبر الإسلام إلى خارج مكة، حيث قال له الرسول ﷺ: «. . . ولكن الحق بقومك فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني».

(٧) ورد ذكرهم في خبر موقوف على مجاهد، وإسناده صحيح، وابن حنبل في: فضائل الصحابة (١/ ١٨٢)، بإسناد متصل حسن، وغيرهما.

(٨) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٨-٣٢٤).

(٩) عيون الأثر (١/ ٩٣-٩٨)، وانظر: جوامع السيرة لابن حزم، ص٤٤-٥١.

٥ - وثبت أن ورقة بن نوفل كان من المسلمين الأوائل، وذلك بدليل قول الرسول ﷺ: «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض»[١]. وقال ﷺ في رواية أخرى: «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة، وعليه السندس»[٢]. وقال ﷺ: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين»[٣]، وقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده»[٤].

ويتضح من سجل أسماء السابقين الأولين إلى الإسلام أنهم كانوا من خيرة أقوامهم، ولم يكونوا كما يذكر بعض الكتاب المسلمين وغيرهم أنهم كانوا في معظمهم خليطاً من الفقراء والضعفاء والأرقاء الذين أرادوا استعادة حريتهم أو كرامتهم.

والقول السديد في هذا هو أن الذين تحملوا القسط الأكبر من التعذيب هم الأرقاء والموالي، وكانت فتنتهم على ملأ من الناس، ولذا انتشر أمرهم، بينما امتنع الآخرون بأقوامهم، ومن عذب منهم عذب ضمن قبيلته. ولذا لم ينتشر أمرهم، ولم يذكروا كثيراً[٥].

وفي هذه المعاني رويت عدة أحاديث، منها ما رواه أحمد[٦] عن ابن مسعود، قال: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد[٧]، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس...».

وذكر ابن إسحاق[٨] إن قريشاً عَذَبَتْ على من أسلم ووثبت كل قبيلة على من

---

(١) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ١٧٤)، وحسن الساعاتي إسناده.

(٢) رواه ابن كثير في البداية (٣/ ١٠)، عن أبي يعلى، وحسنه.

(٣) رواه البزار كما ذكر ابن كثير في البداية (٣/ ١٠)، وقال: «وهذا إسناد جيد». وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٩)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٩/ ٤١٦)، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

(٥) انظر: الشامي: من معين السيرة، ص٣٥، ٣٦.

(٦) سبق الإشارة إليه، وقلنا إن وصي الله قد حسن إسناده - فضائل الصحابة (١/ ١٨٢).

(٧) ابن سعد (٣/ ٢٣٣)، عن مجاهد مرسلاً، وذكر «خباب» بدلاً من «المقداد» الذي في حديث أحمد.

(٨) السيرة: ص١٤٨، وابن هشام من رواية ابن إسحاق بدون إسناد (١/ ٣٩٢).

فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم. وذكر[١] أن رجالاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد يستأذنونه في اتخاذ ما يرونه من وسائل لصده عن الدين هو ومن أسلم معه من فتية بني مخزوم، الذين كان منهم سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة. فسمح لهم بما يريدون وحذرهم من قتله.

وروى ابن إسحاق[٢] في قصة هجرة عمر وقصة عياش معه أن قريشاً منعت هشام بن العاص بن وائل السهمي من الهجرة مع عمر وعياش وفتنته فافتتن، واحتالوا على عياش فردوه من المدينة إلى مكة مقيداً.

وكان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم يوثق سعيد بن زيد، ابن عمه، ويكرهه ليرجع عن الإسلام[٣]. ولم يستطع الرسول ﷺ أن يفعل لهم شيئاً. وحتى عندما استقر بالمدينة لم يملك لهؤلاء غير الدعاء، حيث كان يقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[٤].

وقد أوضح ابن حجر[٥] معنى كلمتي «الضعفاء» و«الشرفاء» اللتين وردتا في حديث هرقل مع أبي سفيان. فمعنى الأولى عنده أن أتباع الرسل في الغالب أهل الاستكانة لا أهل الاستكبار الذين أصروا على الشقاق بغياً وحسداً، كأبي جهل وأتباعه. وفي معنى الثانية أن الشرف يقصد به ما يرادف التكبر. وهذا هو التفسير الذي ينبغي أن نفهم في ضوئه ما يرد من عبارات تتعلق بالشرفاء أو المستضعفين.

هذا ويلحظ أن من مجموع السبعة والستين الذين سبقوا إلى الإسلام ثلاثة عشر فقط ممن هم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء والأخلاط من مختلف الأعاجم. فهم إذن الخمس من المجموع. وما كان كذلك لا يقال عنه «أكثرهم» ولا

---

(١) ابن هشام (١/ ٣٩٦)، من رواية ابن إسحاق بإسناد منقطع.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ١٢٩)، عن ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٣) البخاري، الفتح (١٥/ ١٩، ح٣٨٦٢).

(٤) أحمد: المسند (١٢/ ٢٥٠، ح٧٢٥٩)، وقال شاكر: «إسناده صحيح»، ورواه مسلم (١/ ٤٦٧، ح٦٧٥)، والبخاري من أوجه كثيرة، منها: (٢/ ٢٤٢)، و(٨/ ١٧٠).

(٥) فتح الباري (١/ ٣٥-٣٦، ح٦)، ط. دار القلم، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.

«معظمهم» ولا «عامتهم»[١].

ب - العبر والعظات في هذا المقطع:

١ - إن في إلهام الله تعالى لرسول الله ﷺ بأن يبدأ الدعوة سراً، تعليماً للدعاة في كل زمان ومكان، وإرشاداً لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة، وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التي ينبغي أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها. على أن لا يتغلب ذلك كله على الاعتماد والاتكال على الله وحده، وعلى أن لا يذهب الإنسان في التمسك بهذه الأسباب مذهباً يعطيها معنى التأثير والفعالية في تصوره وتفكيره. فهذا يخدش أصل الإيمان بالله تعالى، فضلاً عن أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام.

ومن هنا تدرك، أن أسلوب دعوته ﷺ في هذه الفترة كان من قبيل السياسة الشرعية بوصف كونه إماماً، وليس من أعماله التبليغية عن الله تعالى بوصف كونه نبياً[٢].

٢ - أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب على الظن أنهم سيقتلون من غير أي نكاية في أعدائهم إذا ما أجمعوا على حربهم، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس، لأن المصلحة المقابلة، وهي مصلحة حفظ الدين، موهومة أو منفية الوقوع، وهذا ما يقرره العز بن عبد السلام[٣]. ويقول الدكتور البوطي[٤] في تعليقه على هذا القول إنه من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد، فإنها في الواقع مصلحة دين، إذ المصلحة الدينية تقتضي - في مثل هذه الحال - أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى. وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضراراً بالدين ذاته، وفسحاً للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل.

---

(١) انظر: الشامي: من معين السيرة، ص٣٧، ٣٩، وأضواء على السيرة، ص ٧٤، فكلامه في هذه الناحية من أروع ما كتب.

(٢) انظر: الدكتور البوطي: فقه السيرة، ص ٧٦.

(٣) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١١١-١١٢)، وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور البوطي، ص٢٦١، فقه السيرة للبوطي، ص٧٧.

(٤) فقه السيرة، ص٧٧.

وهو بهذا يعني أن عدم القتال تقديم لمصلحة الدين المتيقنة على مصلحة الدين المرجوحة.

◻ المبحث الثاني والعشرون: ◻

أ - الجهر بالدعوة:

روى أحمد[١] عن علي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: جمع النبي ﷺ أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم: «من يَضْمَنُ عني دَيْني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟»، فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحراً، من يقوم بهذا؟... فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي: أنا.

وفي رواية ابن إسحاق[٢]: أن الرسول ﷺ قال لهم في ذلك اللقاء: «يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة».

ثم خطا الرسول ﷺ خطوة أخرى لتنفيذ أمر الله تعالى. فقد روى البخاري[٣] ومسلم[٤] عن ابن عباس، قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ورهطك منهم المخلصين[٥]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم. قال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام،

---

(١) المسند (٢/ ١٦٥-١٦٦، تحقيق أحمد شاكر)، وقال أحمد شاكر: «إسناده حسن». وضعفه محققو الموسوعة (ح٨٨٣).

(٢) السير والمغازي، ص١٤٥ - ١٤٦، ووصله الطبري في التفسير (١٩/ ٧٥)، وإسناده في المكانين ضعيف، ولكنه يتقوى بالشواهد. ومن شواهده: حديث أحمد المذكور بطريقيه، وحديث من رواية ابن أبي حاتم بسنده إلى علي، كما نقله عنه ابن كثير في التفسير (٦/ ١٨٠-١٨١).

(٣) الفتح (١٨/ ٣٩٧، ح٤٩٧١-٤٩٧٢)، واللفظ له.

(٤) (١/ ١٩٤، ح٢٠٨).

(٥) قال النووي: «الظاهر أن هذا كان قرآناً أنزل لم نسخت تلاوته»، مسلم (٣/ ٨٢ - ٨٣).

فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١].

وروى الشيخان[١] عن أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً. فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هشام!... يا بني عبد المطلب!... يا فاطمة!... فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا».

كانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ. فقد فاصل الرسول ﷺ قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله[٢].

ب - دروس وعبر من هذا المقطع:

١ - إن الموقف السلبي لعشيرة الرسول ﷺ بصفة خاصة والعرب القرشيين بصفة عامة من الدعوة في هذه الفترة، فيه الرد القاطع على من يحاولون تصوير هذا الدين بأنه ثمرة من ثمار القومية، ويدعون أن محمداً ﷺ إنما كان يمثل بدعوته التي دعا إليها، آمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين.

٢ - إن في تباطؤ الناس عن الدخول في الإسلام، لدليلاً على مدى قوة وتغلغل العادات والتقاليد في المجتمعات التي تعيش ردحاً من الزمان في الجاهلية وفساد الفطرة. وهو وضع يواجهه الدعاة في كثير من المجتمعات قديماً وحديثاً، حتى المجتمعات الإسلامية، عندما يخبو فيها صوت الدعوة المهتدية بسنة الرسول ﷺ تجد أثراً كبيراً للعادات والتقاليد في تسيير حركة المجتمع في المجالات المختلفة، وتجد استنكاراً ممن وقعوا في أسر هذه العادات والتقاليد، لصوت العقل المهتدي بسنة الرسول ﷺ والسلف الصالح، في فهم الإسلام.

٣ - إن في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة، إشارة إلى درجات المسؤولية التي

---

(١) الفتح (١٨/١١٥، ح٤٧٧١)، مسلم (١/١٩٢، ح٢٠٤)، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: فقه السيرة للغزالي، ص ١٠١.

تتعلق بكل مسلم عموماً والدعاة منهم خصوصاً. فقد كان الرسول ﷺ يتحمل المسؤولية تجاه نفسه، بوصف كونه مكلفاً. ويتحملها تجاه أسرته وأهله، بوصف كونه رب أسرة وذا أصرة قربى، ثم كان يتحمل المسؤولية تجاه الناس كلهم بوصف كونه نبياً ورسولاً من الله ﷻ.

ويشترك مع النبي ﷺ في الأولى، كل مكلف، وفي الثانية كل صاحب أسرة، أو كل فرد له عشيرة، وفي الثالثة العلماء والحكام[1].

المبحث الثالث والعشرون:

أ - أساليب المشركين في محاربة الدعوة الإسلامية:

لم تزل أصداء تلك الصيحة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ مدوية في جنبات أم القرى، حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤] فقام الرسول ﷺ مشمراً عن ساعد الجد، صادعاً بالحق، داعياً إلى هجر الأوثان، مسفهاً عقول المؤمنين بها، مبيناً حقائق الإسلام، داحضاً الأباطيل العقدية التي تعشعش في عقول أهل الجاهلية.

عندما رأت قريش أن أثر هذه الدعوة لم يكن محدوداً كما كان الحال مع من دعا إلى نبذ الأصنام قبل محمد ﷺ، أمثال زيد بن نفيل وورقة وابن صيفي، قامت في وجه محمد ﷺ ومن تبعه، وأخذت تمارس شتى أساليب ووسائل الترغيب والترهيب، لصدهم عن هذا الطريق الذي هدد مصالحهم، التي يجنونها من وجود الحرم في أرضهم، وحط من تكبرهم على غيرهم، ووقف أمام شهواتهم في السيطرة واقتراف السيئات والموبقات. وقد كان أكثر هؤلاء من أصحاب النفوذ والمصالح.

ومن أبرز تلك الأساليب:

الأسلوب الأول: كان أول أسلوب لجأوا إليه هو محاولة التأثير على عمه أبي طالب حتى يكفه عن الدعوة أو تجريده من جواره - أي حمايته - فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمه أبي طالب وقالوا له: إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا

---

(١) انظر: الدكتور البوطي: فقه السيرة، ص ٨١، ٨٢.

وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه[١].

الأسلوب الثاني: التهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمه أبي طالب.

ولما مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهر دين الله ويدعو إليه، غضبت منه قريش وعدوه وحقدوا عليه وأكثروا من ذكره وحض بعضهم بعضاً، ومشوا إلى عمه مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وأقسموا بأنهم لن يصبروا على أفعاله حتى يكفه عنهم أو ينازلوه وإياه في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. عند هذا عظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه[٢]. ولذا أبلغ الرسول ﷺ بالذي قالوه، وطلب منه أن يبقي عليه وعلى نفسه ولا يحمله من الأمر ما لا يطيق[٣].

وفي رواية لابن إسحاق[٤] أن الرسول ﷺ ظن أن عمه قد ضعف عن نصرته، ولذا قال له: «يا عَمِّ، والله لو وضعوا الشمسَ في يميني والقَمرَ في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهِرَهُ الله أو أَهْلِكَ فيه، ما تَرَكْتُهُ»، ثم بكى رسول الله ﷺ وقام من عند عمه، فلما ولَّى ناداه عمه، فقال: «أقبل يا ابن أخي»، فلما أقبل قال له: «اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُكَ لشيء أبداً». وفي رواية أخرى لابن إسحاق[٥] من حديث عقيل بن أبي طالب: أن أبا طالب أرسل عَقِيلاً إلى النبي ﷺ، فلما حضر الرسول ﷺ قال له عمه: «إنَّ بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم»، فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: أتَرَوْنَ هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة، فقال أبو طالب: والله ما كَذَبَنا ابن أخي

---

(١) ابن هشام (١/ ٣٢٨) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد.

(٢) المصدر والمكان نفسهما، وسيرة ابن إسحاق، ص١٤٥، وإسناد ابن إسحاق في المصدرين معلق.

(٣) ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ابن هشام (١/ ٣٦٩).

(٤) ابن هشام (١/ ٣٢٩-٣٣٠)، وسيرة ابن إسحاق، ص١٥٤ . وإسناد ابن إسحاق هنا معضل.

(٥) سيرة ابن إسحاق، ص ١٥٥، بإسناد حسن. ولمزيد من التحقيق والتخريج، انظر: سيرة مهدي رزق الله، ط١، ص ١٦٧ .

فارجعوا». وهذه الرواية هي الصحيحة. أما الأولى فلا تقبل عند علماء الحديث.

ومن أبرز الحكم والعبر في هذين الأسلوبين، أن هذا الموقف القوي للرسول ﷺ من قومه ينسجم مع ما أمر به من البلاغ، أما موقف أبي طالب فعجيب حقاً، ولم يجد ابن كثير[1] تفسيراً له سوى قوله: «إن الله تعالى قد امتحن قلبه بحب محمد ﷺ حباً طبيعياً لا شرعياً. وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه. ولتجرؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً، فهذان العمان كافران: أبو طالب وأبو لهب. ولكن هذا يكون يوم القيامة في ضحضاح من نار[2]، وذلك في الدرك الأسفل من النار، وأنزل فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر وتقرأ في المواعظ والخطب تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب»[3].

وظل أبو طالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول ﷺ ويحميه وينأى عن الدخول في الإسلام. وقد روي أن الآية: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] قد نزلت فيه[4].

الأسلوب الثالث: الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه.

من تلك الاتهامات:

أ - اتهموه بالجنون. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝﴾ [الحجر: ٦]. وقد أجابهم الله في آية سورة القلم: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٤٥-٤٦).

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه عن العباس ﷺ أنه قال: «يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». انظر: البخاري: الفتح (١٥، ٤٠، ح٣٨٨٣)، مسلم (١/ ١٩٤-١٩٥، ح٢٠٩)، والتخفيف عنه بسببه، والضحضاح: ما رق من الماء على وجه الأرض، ما يبلغ الكعبين.

(٣) سبق الإشارة إلى أن سورة «المسد» قد نزلت في أبي لهب، وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما.

(٤) ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٧)، تفسير الطبري (١١/ ٣١١-٣١٥).

رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ٢]، وحكى عنهم في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

ب - اتهموه بالسحر. وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص: ٤]، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

وقد تحيّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن. فعندما أوشك دخول موسم الحج جمع فريقه من عتاة المعاندين، فقال لهم: «يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً...» وعلى الرغم من استبعادهم أنه كاهن أو شاعر أو ساحر إلا أنهم اتفقوا على أن يقولوا للناس إنه ساحر، لأنه يفرق بين الأقارب، فأنزل الله في الوليد: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١] ثم أخذوا يتلقون الناس يحذرونهم من أمر محمد. وشاء الله أن تصدر العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها[1].

وكان مثل هذه المواقف سبباً في إسلام الناس في المواسم. وما روي في قصة إسلام طفيل بن عمرو الدوسي دليل على ذلك[2].

وخلاصة قصته أنه عندما قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، مشى إليه رجال من كفار قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل [اشتد أمره، ومنه الداء المعضل أو العضال والمعضلة] بنا، وفرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً. فما زالوا به حتى وضع كُرْسُفاً [قطناً] في أذنيه، ولكن أراد الله أن يسمع من النبي عندما كان

---

(١) الطبري في تفسيره (١٤/ ١٥٧)، من طريق ابن إسحاق، موقوفًا عن ابن عباس، وقد صرح عنده بالسماع.

(٢) ابن هشام: السيرة (٢/ ٢٥)، بدون إسناد، قال في الخصائص (١/ ٣٣٧): «ووصله ابن إسحاق في بعض نسخ المغازي من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو، وعوفي سائر النسخ بغير إسناد...».

يصلي عند الكعبة، فيسلم، ويسلم قومه. إلخ.

جـ - واتهموه بالكذب، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤][1].

د - واتهموه بالإتيان بالأساطير. قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥][2].

هـ - وقالوا إن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو من عند البشر ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣].

و - واتهموا المؤمنين بالضلالة... ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢﴾ [المطففين: ٣٢][3].

الأسلوب الرابع: السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي على المؤمنين:

يقول الله تعالى عن سخريتهم من الذين آمنوا: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣]. وروى البخاري[4]: أن امرأة قالت للرسول ﷺ ساخرة مستهزئة: «إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً!»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١-٣].

وروى البخاري[5] أن أبا جهل قال مستهزئاً: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»، فنزلت: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ

---

(١) انظر تفسيرها في مثل: زاد المسير (٦/ ٧٢ - ٧٣). قال مجاهد في قوله وأعانه... آخرون: يعنون اليهود. وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس، مولى حويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضاً، وثلاثتهم من أهل الكتاب.

(٢) قال المفسرون: إن الذي قال هذا هو النضر بن الحارث، انظر: زاد المسير (٦/ ٦٣).

(٣) من هؤلاء المؤمنين: عمار وبلال وخباب، كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٠).

(٤) الفتح (١٨/ ٣٦٤، ح٤٩٥٠).

(٥) الفتح (١٧/ ١٨٥، ح٤٦٤٨).

إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٢-٣٤].

وذكر ابن إسحاق[1] حديث الإراشي الذي اشترى منه أبو جهل الإبل، ومطله بأثمانها، ودلالة قريش إياه على رسول الله ﷺ لينصفه من أبي جهل، استهزاء لما يعلمون من العداوة بينهما. وعندما جاء الإراشي إلى الرسول ﷺ شاكياً، مشى معه إلى أبي جهل، وأخذ له بحقه. وعندما سألت قريش عن صنيعه هذا، قال: (ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي، وسمعت صوته، ملئت رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لَفَحْلاً من الإبل، ما رأيت مثل هَامَتِهِ [رأسه] ولا قَصْرَتِهِ [أصل عنقه] ولا أنيابه لفَحْلٍ قَطُّ، والله لو أبيت لأكلني).

وقال الله تعالى عن ضحكهم وغمزهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣١].

وثبت من طرق صحيحة أن أشراف قريش اجتمعوا يوماً في الحجر يتذاكرون أمر الرسول ﷺ وما جاء به. وبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ليطوف بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول ثلاث مرات، فقال لهم: «يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح...»، وقد نزعوا من هذا الموقف[2].

ومن منطلق الاستعلاء والسخرية، قال المشركون للنبي ﷺ: «لا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون صهيباً وبلالاً وخباباً - فاطردهم عنك»، فهمَّ النبي ﷺ بذلك طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢][3].

---

(١) السير والمغازي ص١٩٥-١٩٦، بإسناد منقطع.

(٢) أحمد: المسند، طبعة أحمد شاكر (١١/ ٢٢٧، ح٧٠٣٦)، وصحح شاكر إسناده، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٤/ ٢٩٧)، وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (١/ ٣٥٨).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٣٧٤-٣٨٨)، وقد جمع الآثار الواردة في ذلك وخرَّجها وحققها الشيخ شاكر، وما أثبتنا معناه هنا في المتن هو مضمون الأثر رقم (١٣٢٥٨) بإسناد صحيح.

ومر الرسول ﷺ يوماً بجماعة من زعماء قريش فهمزوه واستهزؤوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠][1].

ومن كبار المستهزئين والساخرين: الأسود بن عبد المطلب بن أسد[2]، الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري، الوليد بن المغيرة المخزومي، العاص بن وائل السهمي[3]، الحارث بن الطلاطلة الخزاعي[4]. وروى أبو نعيم[5]، من حديث ابن إسحاق، أن الله تعالى أنزل فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥][6]. وروي أن جبريل ﷺ رمى في وجه الأسود بن عبد المطلب ورقة خضراء فعمي. ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات من ذلك[7]. ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح بأسفل كعب رجله، وكان أصابه قبل ذلك بسنين، فانتقض به فقتله. ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به حماره على نبات خفيف فدخلت في أخمص رجله منها شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فتحرك القيح فيه فقتله[8].

---

(١) ذكر ذلك ابن إسحاق بلاغًا - ابن هشام (٢/ ٤٢)، ولم يذكر المفسرون سببًا معينًا لهذه الآية.

(٢) أبو نعيم: الدلائل (١/ ٢٦٨)، (٢/ ٥٧)، من حديث ابن إسحاق (٢/ ٥٧) بإسناد حسن مرسل.

(٣) ابن هشام (١/ ٤٣٨).

(٤) أبو نعيم: الدلائل (١/ ٢٦٨)، من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل.

(٥) دلائل النبوة (١/ ٢٦٨)، من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل.

(٦) السير والمغازي، ص١٩٥-١٩٦، بإسناد منقطع.

(٧) ذكر الشامي في السبل (٢/ ٦٠٦) في قصة هلاك الأسود بن عبد يغوث، ابن خال رسول الله ﷺ أن هذا من رواية الطبراني والبيهقي والضياء بسند صحيح. وقال: وروى ابن أبي حاتم والبلاذري بسند صحيح عن عكرمة أن جبريل حتى ظهر الأسود حتى احقوقف صدره، فقال رسول الله ﷺ: خالي خالي، فقال: دعه عنك يا محمد، فقد كفيته. انظر: أنساب الأشراف (١/ ١٣٢).

(٨) ابن إسحاق، ابن هشام (٢/ ٥٨-٥٩)، ورجاله ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ولكنه مرسل، وصحح الذهبي في السيرة، ص٢٢٤، حديث الثوري عن ابن عباس من غير طريق ابن إسحاق، ورواه البيهقي في السنن (٩/ ٨) بإسناد رجاله ثقات ما عدا ابن رزين، فهو صدوق، فالإسناد يحتج به.
قال الشامي في السبل (٢/ ٦٠٦): «الحارث بن قيس السهمي وهو ابن الغيطلة، ينسب إلى أمه ...».

والوليد بن المغيرة هو القائل: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها؟ ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] وللمفسرين أقوال أخرى في الرجلين المعنيين في الآية. [انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٢ - ٢١٣)].

ومن كبار المستهزئين الساخرين - أيضاً -: أبو جهل[1] وأمية بن خلف[2] والنضر بن الحارث[3] والأخنس بن شريق[4] وأبي بن خلف[5].

الأسلوب الخامس: التشويش:

كان المشركون يتواصون بينهم بإحداث ضجة عالية وصياح منكر عندما يقرأ القرآن، حتى لا يسمع فيقوم فيترك أثراً في عقل نفي وقلب طيب. وفي ذلك قال المولى ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦].

الأسلوب السادس: طلبهم أن تكون للرسول ﷺ معجزات أو مزايا ليست عند البشر العاديين:

من ذلك قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧-٨].

وقولهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ

---

(١) ابن هشام (١/ ٤٤٧)، البيهقي: الدلائل (٢/ ٣١٦، ٣١٨)، من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٢): «رواه الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند حسن، والضياء في المختارة»، وروى ابن جرير (١٤/ ٧) عن سعيد بن جبير مرسلاً، وقال الهيثمي (٧/ ٤٧)، في حديث ابن عباس: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن عبدالحكيم النيسابوري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات». الألباني، صحيح السيرة، ص٢٢٦.

(٢) ابن هشام (١/ ٤٣٧).

(٣) ابن هشام (١/ ٤٣٩).

(٤) ابن هشام (١/ ٤٤٣).

(٥) ابن هشام (١/ ٤٤٥).

غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]. ورد عليهم الله تعالى في الآية نفسها: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

وقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]، ولذا قال لهم الرسول ﷺ كما جاء في الآية نفسها: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٣-٩٤].

وسألوه أن يسيِّر لهم جبال مكة، ويقطع لهم الأرض ليزرعوها، ويبعث لهم من مضى من الآباء الموتى، أمثال قصي، ليسألوه عن صدق محمد. ورد الله عليهم في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١][1]، أي لا أصنع من ذلك إلا ما شاء الله.

لقد كان طلبهم على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد. فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ...﴾ [الإسراء: ٥٩][2].

وروى أحمد[3]، من حديث ابن عباس قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن

---

(١) الطبري (١٦/ ٤٤٦-٤٥١، شاكر) متصلاً إلى ابن عباس ومرسلاً إلى مجاهد والضحاك.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ٥٥).

(٣) الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٢-٢٢٣)، رواه من طريقين، نقلهما عنه ابن كثير في البداية (٣/ ٥٧)، وقال: «وهذان إسنادان جيدان».

يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا - أي يزرعوا مكانها - فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم، قال: «لا، بل أستأني بهم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وروي أنهم طلبوا منه أن يجعل صخرة معينة ذهباً ليتحتوا منها وتغنيهم عن رحلتي الشتاء والصيف[١]. وطلبوا أن يريهم آية، فأراهم القمر قد انشق[٢].

الأسلوب السابع: المساومات:

لقد حاولت قريش من خلال هذا الأسلوب أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، وذلك بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي ﷺ بعض ما هو عليه. قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩].

وعندما قالوا له اعبُد آلهتنا يوماً ونعبد إلهك يوماً، أنزل الله تعالى سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١-٦]، وحسم هذه المساومة الهزلية.

لقد ساومرا عمَّه فيه، حين اقترحوا على عمه بأن يعطوه عمارة بن الوليد بن المغيرة بدلاً عن محمد ﷺ فيأخذوه ويقتلوه[٣].

وعندما اشتكى أبو طالب وبلغ قريش ثقله قال بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها. فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا. وعندما جاء وفدهم إلى أبي طالب، قال لمحمد ﷺ: «يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا

- وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وذكر الشامي في سبله (٢/ ٤٥٨) أن ممن رواه أيضًا الضياء في صحيحه عن ابن عباس.

(١) من رواية أبي يعلى وأبي نعيم عن الزبير بن العوام، كذا قال الشامي في السبل (٢/ ٤٥٧).

(٢) مسلم (١/ ٢٧٩، ح٢٠٨). وقد أثبت العلم الحديث صحة هذه المعجزة.

(٣) ابن هشام (٢/ ٣٣٠) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد.

إليك ليعطوك وليأخذوا منك. فقال رسول الله ﷺ: نعم كلمة واحدة يعطونيها يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم. وفي رواية: تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية. ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ قال: نعم. فقال أبو جهل: نعم وأبيك عشر كلمات، قال: تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه. فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك لعجب.

ثم قال بعضهم لبعض: ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه. ثم تفرقوا، فأنزل الله فيهم أول سورة «ص»...[1].

الأسلوب الثامن: سب القرآن ومنزله ومن جاء به:

روى البخاري[2] ومسلم[3] وغيرهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] أن ابن عباس قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]».

وروى ابن إسحاق[4]، أن رسول الله ﷺ كان إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي، يسترق السمع دونهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته، فظن الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته، وسمع هو شيئًا دونهم أصاخ له - أي التفت له

---

(١) أحمد: المسند (٣/ ٣١٤-٣١٥، تحقيق شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح».

(٢) الفتح (١٧/ ٢٩٩-٣٠٠، ح٤٧٢٢).

(٣) مسلم (١/ ٣٢٩، ح١٤٥).

(٤) البخاري (١/ ٤٠٤-٤٠٥)؛ مسلم (١/ ٣٢٩)، النسائي (٢/ ١٧٧)؛ الطبراني: الكبير (١٢/ ٥٥)؛ السير والمغازي، ص٢٠٦، بإسناد ضعيف، لضعف داود بن الحصين في روايته عن عكرمة؛ ابن إسحاق: ابن هشام (١/ ٣٨٦)، معلقًا.

يستمع منه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيتفرقوا عنك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فيقتنع به ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وعندما كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، أخذ المشركون يسبون الله عدواً بغير علم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨][1].

وهذا النهي عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين[2].

ومن هذا القبيل - وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها - ما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتمُ الرجل والديه»، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتمُ الرجلُ والديه؟ قال: «نعم يَسُبُّ أبا الرجل فَيَسُبُّ أباه، وَيَسُبُّ أمَّهُ، فَيَسُبُّ أمه»[3]. وقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم...»[4]. وكان هذا الحديث سنداً لابن الزبير في بناء الكعبة على قواعد إبراهيم [متفق عليه].

الأسلوب ...: المجادلة: الذي كان من موضوعاته: القدر والبعث وتحريم ما أحل الله [الأنعام: ١٤٨ - ١٥٠؛ النحل: ١٣٥؛ الزخرف: ٢٠؛ الإسراء: ٩٨؛

---

(١) أورد الطبري في التفسير (١٢/ ٣٣-٣٥، تحقيق شاكر) عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، منها أثر مرفوع إلى ابن عباس بإسناده، ومنها أثران مرسلان من حديث قتادة من طريقين مختلفين، وأثر مرسل من حديث السدي، أما مراسيل قتادة فهي ضعيفة، لأنه لم يسمع من صحابي غير أنس. وأثر السدي ضعيف لأنه متكلم فيه مع أنه لا يروي إلا عن صغار الصحابة كابن عباس وأنس، فهو من صغار التابعين. أما طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فهي أجود الطرق، اعتمد عليها البخاري ومسلم في صحيحيهما وأصحاب السنن. وانظر التفاصيل عند ابن هشام (١/ ٣٨٩). وانظر: الذهبي: التفسير والمفسرون (١/ ٧٧-٧٨).

(٢) ابن كثير: التفسير (٣/ ٣٠٦).

(٣) مسلم (١/ ٩٢، ح٩٠).

وانظر: ابن كثير: التفسير (٣/ ٣٠٨).

(٤) البخاري: الفتح (٧/ ٢٣٢-٢٣٥، ح١٥٨٦)، ومسلم: (٢/ ٩٦٨-٩٧٣، ح١٣٣٣).

المؤمنون: ٨١-٨٣؛ الأنعام: ٢٩؛ يس: ٧٨].

الأسلوب التاسع: الاتصال باليهود للإتيان منهم بأسئلة تعجيزية للرسول ﷺ:

أوفدت قريش نفراً منهم إلى المدينة، على رأسهم: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيْط، ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية فيطرحونها على الرسول ﷺ. فقالت لهم يهود: سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين والروح. ولكن الله أبطل كيدهم عندما أنزل الله قرآناً في شأن الإجابة عن أسئلتهم[1].

الأسلوب العاشر: الترغيب:

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب، فأرسلت عتبة بن ربيعة، الذي قال للرسول ﷺ: «يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ».

فلما فرغ من قوله تلا صدر سورة «فصلت» إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]. وعندها وضع عتبة يده على جنبه وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش مخبراً إياهم بأن ما سمع ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة، واقترح على قريش أن تدع محمداً وشأنه[2]. وفي رواية

---

(١) أحمد: الفتح الرباني (١٨/ ١٩٦-١٩٧)، وسنده صحيح، والألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٦٩، ح٣٣٦١ ٣٣٦٢). وفيها السؤال عن الروح فقط.
وروى الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود حديثاً يفيد أن اليهود سألوا الرسول ﷺ عن الروح وهو بالمدينة، وفي ذلك نزلت الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وجمع بين حديث ابن عباس عند الترمذي وابن مسعود بتعدد أسباب النزول.

(٢) ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١/ ٣٦٢ ٣٦٣)، وعبد بن حميد، انظر: المنتخب من مسند عبد ابن حميد بتحقيق السامرائي والصعيدي: ص٣٣٧، ح١١٢٣، وحسن الألباني إسناده، انظر: فقه السيرة للغزالي، ص١١٣، الحاشية. وقال الألباني عن إسناد ابن إسحاق إنه حسن مرسل.

البيهقي، وابن أبي شيبة وابن حميد من حديث جابر، زادوا: «وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت»[١].

وفي رواية، إن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: «يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً»، قال: «لم؟»، قال: «ليعطوك، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قِبَلَهُ...»، ثم قال عن القرآن الذي سمعه من محمد ﷺ: «ووالله إن لقوله الذي يقولُ حلاوةٌ، وإن عليه لطلاوةٌ، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته...»[٢].

الأسلوب الحادي عشر: الترهيب:

كان أبو جهل، إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنّبه وأخزاه، وقال له: «تركت دين أبيك وهو خير منك! لَتُسَفِّهَنَّ حُلْمَكَ ولَتُضَعِّفَنَّ رأيك ولنضعن شرفك»، وإن كان تاجراً قال له: «لَنُكْسِدَنَّ تجارتك، ولنهلكن مالك»، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به[٣].

الأسلوب الثاني عشر: الاعتداء الجسدي:

أ - الاعتداء الجسدي على الرسول ﷺ:

عندما لم تثمر كل الأساليب السابقة في صد الرسول ﷺ وأصحابه عن دينهم، لجأت قريش إلى أسلوب الاعتداء الجسدي والتصفية الجسدية.

لقد استفحل إيذاؤهم للرسول ﷺ في الفترة العلنية لغضبهم منه حين أضحى يظهر شعائر دينه مثل الصلاة عند الكعبة. فقد روى مسلم[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: «هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال:

---

(١) في الأماكن المذكورة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك موصولاً (٢/ ٥٠٦-٥٠٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، على شرط البخاري ولم يخرجاه»، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٩٨-١٩٩) من هذا الطريق، ومن طرق أخرى مرسلاً، ثم قال بعد إيراد جميع الطرق: «وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً».

(٣) بن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (١/ ٣٩٥).

(٤) (٤/ ٢١٤٥-٢١٥٥، ح٢٧٩٧)، ومختصراً عند البخاري: الفتح (١٨/ ٣٨٠، ح٤٩٥٨).

واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرنَّ وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي - زعم ليطأ على رقبته - قال: فما فجأهم منه إلا وهو يَنْكُصُ على عَقِبَيْه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لَخَنْدَقاً من نار وهَوْلاً وأجنحة». فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق: ٦-١٩].

وروى البخاري[1] بسنده إلى عروة بن الزبير، قال: «سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ، وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ، فقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟».

وروى البخاري[2] ومسلم[3] من حديث ابن مسعود، قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحِرَتْ جَزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلا جَزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم[4] فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فَاسْتَضْحَكُوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر. لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جُوَيْرِيَةٌ، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم. فلما

---

(١) الفتح (١٤/ ١٧٩، ح٣٦٧٨)، و(١٥/ ٩-١١، ح٣٨٥٦)، و(١٨/ ١٧٧، ح٤٨١٥). وقال الشامي في السبل (١٠/ ٧٤٠): «وفي رواية أن سبب دعاء الرسول ﷺ عليه هو قوله ﷺ إنه يكفر بالذي دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى، كذا في حديث هبار. وفي حديث طاؤوس وأبي الضحى فيما رواه أبو نعيم عنه، «ويكفر برب النجم»».

(٢) الفتح (١٢/ ٦٦، ح٢٩٣٤).

(٣) (٣/ ١٤١٨-١٤١٩، ح١٧٩٤).

(٤) هو عقبة بن أبي معيط كما صرح في الرواية الثانية عند مسلم (٣/ ١٤١٩، ح١٧٩٤).

قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم.. فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر».

قال ابن حجر[1]: «وقد أخرج أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس، قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى أغشي عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر...».

وتسلط عليه عتبة بن أبي لهب بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه ﷺ إلا أن البزاق لم يقع عليه، وحينئذٍ دعا عليه النبي ﷺ، وقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك». واستجيب دعاؤه، فذبحه السبع وهو بالزرقاء بالشام. وحاولت أم جميل أروى أو العوراء بنت حرب، أخت أبي سفيان - زوجة أبي لهب - أن تعتدي عليه بحجر، فحماه الله منها - كما روى البيهقي[2]. وكانت تحمل الحطب لتضعه في طريقه - كما حكاه القرآن الكريم [المسد: ٤].

وروى أحمد[3]، أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله... وأخبرته ابنته فاطمة بالذي قالوا، فجاءهم وحصبهم بقبضة من تراب، من أصابته منهم قتل يوم بدر كافراً.

وروى الإمام أحمد[4] من حديث أنس، أن جبريل ﷺ جاء ذات يوم إلى النبي ﷺ وهو جالس حزيناً قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، فقال له مالك؟ قال: «فعل بي هؤلاء وفعلوا، فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم. فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع بتلك الشجرة، فدعاها، فجاءت حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع، فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله ﷺ: حسبي».

---

(١) الفتح (١٥/ ١١، ح٣٨٥٦)، وفي مسند أبي يعلى برقم ٣٦٩١.
البيهقي: الدلائل (٢/ ٣٣٨)، وقال عن إسناده: «كذا قال عباس بن الفضل، وليس بالقوي».

(٢) الدلائل (٢/ ١٩٦)، بإسناد حسن لغيره، لأنه تقوى بآخر.

(٣) المسند (٤/ ٢٦٩، ح٢٧٦٢)، قال شاكر: «إسناده صحيح».

(٤) الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٠)، وقال الساعاتي: «لم أقف عليه لغير الإمام أحمد ورجاله من رجال الصحيحين». قلت: سنده صحيح من حديث أنس ﷺ.

يرى ابن كثير[١]: أن غالب ما وقع للرسول ﷺ من اعتداء جسدي وما يشبه ذلك، كان بعد وفاة عمه أبي طالب.

ب - الاعتداء الجسدي على الصحابة من قريش بمكة:

ونال أبو بكر ﷺ نصيبه من الأذى، حتى فكر في الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينه[٢].

وذات يوم قام أبو بكر خطيباً في المسجد الحرام، فضربه المشركون ضرباً شديداً، وممن ضربه عتبة بن ربيعة، حيث جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوفتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تيم - قومه - يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب إلى منزله، ولا يشكون في موته، وأقسموا لئن مات أبو بكر ليقتلن عتبة بن ربيعة[٣].

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود، على الرغم من تحذير المسلمين له من عدوان المشركين وخشيتهم عليه. فعندما فعل ذلك، ضربوه على وجهه حتى أثروا فيه. وعندما قال له الصحابة: «هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غداً. قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون»[٤].

وكان عمُّ عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل، ثم يدخنه من تحته[٥]. وروي أنه عندما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وأقسم ألا يحله إلا إذا ترك الإسلام، فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام، فلما رأى عمه صلابته في دينه تركه[٦].

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته. وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده تخشف الحية، حتى حمله أصحابه على قسيّهم؛

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٤٨).

(٢) انظر: الحديث بتمامه من رواية البخاري: الفتح (١٠/ ٤٣-٤٤، ح٢٢٩٧).

(٣) انظر: القصة في البداية (٣/ ٣٣-٣٤).

(٤) ابن إسحاق بسند حسن مرسل موقوف على عروة بن الزبير: ابن هشام (١/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٥) المنصورفوري: رحمة للعالمين (١/ ٥٢) ولم نقف على مصدر المنصورفوري.

(٦) ابن سعد (٣/ ٥٥)، من رواية الواقدي.

لشدة ما به من الجهد[١].

واعتدوا على عمر بن الخطاب عندما أسلم، وحاولوا قتله لولا أن أنقذه الله بالعاص بن وائل[٢].

وممن آوذي عثمان بن مظعون. فقد روي أنه عندما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة، دخل في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن، رد جوار الوليد. وعندما قدم لبيد بن ربيعة إلى مكة، وكان في مجلس لقريش ينشدهم شعره، قال لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»، قال عثمان بن مظعون: «صدقت»، وعندما قال: وكل نعيم لا محالة زائل. قال له عثمان: «كذبت. نعيم الجنة لا يزول»، قال لبيد: «يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟»، فقال رجل من القوم: «إن هذا أيضاً في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله»، فرد عليه عثمان حتى تفاقم أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل، فلطم عينه فخضّرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: «أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابت لغنيّة، لقد كنت في ذمة منيعة»، قال عثمان: «بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس»، فقال له الوليد: «هلم يا ابن أخي، إن شئت فعد إلى جوارك»، فقال: «لا»[٣].

وكان عم الزبير بن العوام يعلقه في حصير، ويدخن عليه النار، ويقول: «ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً»[٤].

وكان أبو جهل قد حبس أخاه سلمة بن هشام بن المغيرة عندما عاد من الحبشة،

---

(١) ابن إسحاق: السيرة، ص١٩٣، بسند معضل، فهو ضعيف.

(٢) يأتي ذكره في إسلام عمر ﷺ بإسناد حسن من رواية ابن إسحاق.

(٣) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ١٠-١٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٩٢-١٩٣)، من طريق موسى بن عقبة، ولم يسم ابن عقبة من حدثه، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١-٢٤)، موسلاً عن عروة، وفيه ابن لهيعة، ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢-٣٤)، وكل هذه الطرق ضعيفة، ولكنها تدل على أن للقصة أصلاً، أو قرينة للتحسين.

(٤) الحاكم: المستدرك (٣/ ٣٦٠)، وسكت عنه الحاكم والذهبي. فيه أبو الأسود وقد عنعن، وهو من مرسل عروة، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٨٩) بإسناد مرسل رجاله ثقات.

وأجاعه، ولكن تمكن من الانفلات واللحاق بالرسول ﷺ بالمدينة بعد غزوة الخندق[١]. وكان ممن يدعو الرسول ربه في القنوت لينجيه الله من أعدائه[٢].

جـ - الاعتداء الجسدي على المسلمين العرب من خارج مكة:

ولم يقتصر التعذيب الجسدي على المسلمين بمكة، بل امتد إلى بعض الأفراد الذين أسلموا من القبائل البعيدة عن مكة. فقد روى ابن سعد[٣] أن أم شَرِيك غُزَيَّة بنت جابر بن حَكِيم عندما أسلمت هي وزوجها، وهاجر زوجها مع أبي هريرة وجماعة من قومها، جاءها أهل زوجها أبي العِكْرِ فسألوها إن كانت على دينه، فأقرت بإسلامها، فأقسموا على تعذيبها. فعندما ارتحلوا من مكان إلى آخر، حملوها على شر ركابهم وأغلظه، ثم أطعموها خبزاً وعسلاً ومنعوا عنها الماء، وتركوها في الشمس حتى ذهب عقلها وسمعها وبصرها، وكرروا ذلك لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث، طلبوا منها ترك دينها، فلم تفعل غير الإشارة بأصبعها إلى السماء بالتوحيد ولا تعي ما يقولون من شدة الإعياء والإغماء، وأكرمها الله بدلو من ماء شربت منه، فكان ذلك سبباً في إسلام أهل زوجها وهجرتهم إلى النبي ﷺ.

وعندما سمع أبو ذر الغفاري بخبر النبي ﷺ جاء ودخل مكة، وأخذ يسأل عن الرسول ﷺ، فضربه أهل مكة حتى أغشي عليه[٤]، وكاد أن يموت، فخلصه العباس ﷺ منهم[٥].

وروى قصة إسلامه مطولة: مسلم[٦]، وأحمد[٧]، وأبو نعيم[٨] والحاكم[٩].

---

(١) ابن سعد (٤/ ١٣٠) من حديث ابن إسحاق والواقدي، ولم يسنده.

(٢) البخاري: الفتح (١٧-٨٧-٨٨، ح٤٥٦٠). ابن سعد (٤/ ١٣٠)، بأسانيد صحيحة.

(٣) الطبقات من رواية الواقدي، وهو متروك فالإسناد ضعيف جدًا.

(٤) طرف من حديث في قصة إسلام أبي ذر، متفق عليه: البخاري: الفتح (١٤/ ٣٣، ح٣٥٢٢)، مسلم (٤/ ١٩٢٠، ح٢٤٧٣)، و(٤/ ١٩٢٣-٢٤، ح٢٤٧٤).

(٥) مصلو نفسه.

(٦) صحيح (٤/ح٢٤٧٣). ولفظه: «وعليك السلام».

(٧) المسند (٥/ ١٧٤-١٧٥/ ح٢١٥٢٥)، وإسناده صحيح على شرط مسلم كما قال محققو الموسوعة الحديثية - المسند (٣٥/ ٤١٣-٤١٧/ ح٢١٥٢٥).

(٨) الدلائل (١/ ٢٥٣-٢٥٦/ ح١٩٧). ولفظه: «وعليك ورحمة الله».

(٩) المستدرك (٣/ ٣٣٩-٣٥١)، وصححه ووافقه الذهبي.

وفيها أن أبا ذر أول من حيَّا رسول الله ﷺ بتحية أهل الإسلام، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال الرسول ﷺ في رده عليه: «وعليك السلام ورحمة الله..»[١].

د - الاعتداء الجسدي على الموالي:

لقد نفَّس الكفار كل أحقادهم على الإسلام ومعتنقيه في أشخاص الموالي، لأنه لم تكن لهم منعة. فكان العذاب أقسى وأفظع.

وقد عذر الله المعذبين فيما يقولون حينما يبلغ الجهد منهم مبلغه. قال سعيد بن جبير لابن عباس: «أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟»، قال: «نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولون له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده»[٢]. قال ابن كثير[٣]: «وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦]».

قال ابن مسعود: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد»[٤].

---

(١) أحمد: المسند (٥/ ١٧٥/ ح٢١٥٢٥)، ولفظ أحمد: «عليك ورحمة الله».

(٢) ابن إسحاق: ابن هشام (١/ ٣٩٦)، وقد صرح بالسماع وفي سنده حكيم بن جبير، وهو ضعيف كما قال ابن حجر في التقريب، ص١٧٦.

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٦٥).

البخاري: الفتح (١٥/ شرح الحديث رقم ٣٨٦١). مسلم (٤/ ح١٤٧٣).

(٤) أحمد: المسند (٥/ ٣١٩، ح٣٨٣٢، شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح».

ومن أبرز من نالهم الاعتداء الجسدي من الموالي بمكة:

أ - آل ياسر:

كانت هذه الأسرة ممن يضرب بها المثل فيما لاقاه المستضعفون من الابتلاءات في تاريخ الإسلام. فقد كان بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حميت الظهيرة فيعذبونهم برمضاء مكة[١].

ومرَّ بهم الرسول ﷺ ذات مرة وهم يعذبون، فقال لهم: «أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة»[٢].

وكان أول من استشهد في سبيل الله من هذه الأسرة خاصة، وفي الإسلام عامة: أم عمار - سمية بنت خياط - فقد طعنها أبو جهل بحربة في قبلها فماتت من جراء هذا الاعتداء الآثم[٣].

ومات ياسر في العذاب، ورمي ابنه عبد الله فسقط[٤]. وتفننوا في إيذاء عمار، حتى أجبروه على أن يتلفظ بكلمة الكفر بلسانه. وذكر جمهور المفسرين[٥] أن من أسباب نزول الآية الكريمة: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ...﴾ [النحل: ١٠٦] هو موقف عمار بن ياسر[٦] هذا.

---

(١) ابن هشام (١/ ٣٩٥)، من رواية ابن إسحاق بدون إسناد، وعن قصة إغراقه في الماء، انظر: سيرة ابن إسحاق، ص١٩٢ من حديث ابن سيرين.

(٢) الحاكم: المستدرك (٣/ ٣٨٨)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٣) أحمد: المسند (١/ ٤٠٤)، من مرسل مجاهد.

(٤) قاله ابن حجر في الإصابة (٣/ ٦٤٨)، وعزاه إلى ابن الكلبي.

(٥) ذكر ابن الجوزي في الزاد (٤/ ٤٩٥) أربعة أقوال فيمن نزلت فيه هذه الآية، أحدها: إنها نزلت في عمار بن ياسر، أما رواية ابن جرير التي فيها قول الرسول ﷺ: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان. قال النبي ﷺ: «إن عادوا فعد». لقد ضعف هذه الرواية الألباني لعله الإرسال، وصحح سبب نزول الآية في عمار لمجيء ذلك من طرق ساقها ابن جرير. انظر: حاشية فقه السيرة للغزالي، ص١٠٨.

(٦) قال ابن حجر في الفتح (٩/ ٢٨١): «وكان عمار عربياً عنسياً، ما وقع عليه سبي، وإنما سكن أبوه ياسر مكة وحالف بني مخزوم فزوجوه سمية وهي من مواليهم، فولدت له عماراً، فيحتمل أن يكون المشركون عاملوا عماراً معاملة السبي لكون أمه من مواليهم». =

ب - بلال:

كان بلال مولى لبعض بني جُمَح. وهو بلال بن رَبَاح، وأمه حَمَامَة. ذكر أنه كان حبشياً، وهو المشهور، وقيل: كان نوبياً[١].

كان طاهر القلب صادق الإسلام. وكان مولاه أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: «لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى»، فيقول وهو في ذلك البلاء: «أحد أحد»[٢].

وروى البلاذري[٣]، عن عمرو بن العاص قال: «مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء، ولو أن بضعة لحم وضعت عليه لنضجت، وهو يقول: أنا كافر باللات والعزى، وأمية مغتاظ عليه، فيزيده عذاباً، فيقبل عليه فيدغت في حلقه، فيغشى عليه ثم يفيق».

وروى البلاذري[٤] عن مجاهد، قال: «جعلوا في عنق بلال حبلاً، وأمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة - يعني جبليها - ففعلوا ذلك وهو يقول: أحد أحد».

وقال البلاذري[٥]: «وروي أن بلالاً قال: أعطشوني يوماً وليلة، ثم أخرجوني فعذبوني في الرمضاء في يوم حار».

---

* وقال ابن إسحاق في السيرة، ص١٩٢: «إن ياسراً كان عبداً لبني بكر من بني الأشجع، فاشتروه منهم فزوّجوه سمية أم عمار، فولدت عماراً، وكانت سمية أمة لهم، فأعتقوا سمية وعماراً».

(١) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٤٨)، ك. فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب بلال. وعن كونه من سبي الجاهلية، انظر: رواية البخاري (٩/ ١٨١، ح٢٢١٩).

(٢) ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٣٩٢)، ولهذا الحديث شاهد، وهو حديث ابن مسعود الذي سبق ذكره، في آخر الفقرة (ب: تعذيب الموالي)، وهو حديث صحيح.
أما ما روي من أن ورقة بن نوفل كان يمر ببلال وهو يضرب، وقوله: «لئن قتلوه على هذا لأتخذنه حناناً»، فقد رواه ابن إسحاق موقوفاً على عروة، فهو مرسل - ابن هشام (١/ ٣٩٢-٣٩٣)، ومخالف لما في الصحيحين.

(٣) أنساب الأشراف (١/ ١٨٥).

(٤) المصدر والمكان نفساهما.

(٥) المصدر نفسه (١/ ١٨٦).

وعندما رآه أبو بكر ﷺ في هذه الحالة، ساوم سادته على شرائه، فاشتراه وأعتقه. فقد روى ابن أبي شيبة[١] بإسناد صحيح، والبلاذري[٢] بإسناد جيد، أن أبا بكر اشترى بلالاً بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة. وروى البخاري أن بلالاً قال لأبي بكر: «إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت اشتريتني لله فدعني وعمل الله»[٣].

جـ - خباب بن الأرت[٤]:

هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة ... بن تميم التميمي، ويقال الخزاعي[٥] ... سُبي في الجاهلية، فبيع بمكة. وكان مولى لأم أنمار الخزاعية، وقيل غير ذلك، ثم حالف بني زهرة. كان يعمل قيناً - حداداً - في صناعة الأسنة، وبخاصة السيوف[٦]. وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

وعندما أظهر إسلامه لاقى صنوفاً شتى من العذاب في المال والنفس، ضمن سائر المستضعفين[٧]. ومما روي في ذلك أنهم كانوا يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه بعنف، وأضجعوه مرات عديدة على صخور ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجراً حتى لا يستطيع أن يقوم[٨]. وأوقدوا له ناراً ووضعوه عليها، فما أطفأها إلا ودك ظهره، كما ذكر خباب نفسه، وقد كشف عن ظهره وأرى أثر ذلك عمر بن الخطاب ﷺ[٩]، وذكر أيضاً أنهم كانوا يضجعونه على

---

(١) قاله ابن حجر في الفتح (٤/ ٢٤٨)، ورواه ابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/ ٣٤) بإسناد قوي كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٣)، وانظر تخريجه في: القصيمية، ص٣٦٧ .

(٢) أنساب الأشراف (١/ ١٨٦).

(٣) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٤٩، ح٥٥٣٧)، وروى ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل أنه استبدله من سيده بغلام أسود، ابن هشام (١/ ٣٩٣).

(٤) وسمي الأرت للكنة في لسانه إذا تكلم بالعربية، كما قال البلاذري (١/ ١٧٥ ـ ١٧٩).

(٥) قاله ابن هشام بدون إسناد، (١/ ٣١٩)، وانظر ترجمته في: الإصابة (١/ ٤١٦).

(٦) جاء ذلك في قصته مع العاصي بن وائل عند البخاري ومسلم وغيرهما، كما سيأتي ذكره.

(٧) أحمد: فضائل الصحابة (١/ ١٨٢) من حديث ابن مسعود الذي سبق ذكره، وذكر ذلك أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٣) بإسناد صحيح كما خرجه صاحب القصيمية: ص ٣٧٥ .

(٨) ابن الجوزي: تلقيح فهوم الأثر، ص ٦٠ .

(٩) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٤) بإسناد مرسل عن الشعبي، وإذا ثبت سماع الشعبي من =

الرَّضْف[١]، ومع ذلك لم يدلوا منه ما أرادوا[٢].

وله قصة مشهورة مع العاص بن وائل، رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] وغيرهما، من حديث خباب نفسه قال: «كنت قيناً بمكة فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك، قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فسأقضيك، فأنزل الله. ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٧-٧٨].

وعندما اشتد البلاء بخباب وإخوانه المسلمين المستضعفين، شكوا إلى الرسول ﷺ حالهم. فقد روى البخاري[٥] عن خباب قوله: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

د - عامة الموالي المستضعفين:

منهم حمامة، والدة بلال، وعامر بن فُهَيْرة، وأم عُبَيْس، وزِنِّيرَة، والنَّهْدِيَّة، وابنتها، وجارية بني عَدِي، التي كان يعذبها عمر بن الخطاب قبل أن يسلم[٦]،

- خباب فيكون الحديث متصلاً صحيحًا، ولكن الحديث حسن بالشواهد التي ذكرناها في أمر تعذيبه. وذكر ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٦٥) من حديث أبي ليلى الكندي، رؤية خباب عمر آثاراً في ظهره مما عذبه به المشركون، وإسناده حسن، ورواه ابن ماجه: السنن، المقدمة (١٥٣)، وإسناده صحيح، كما قال البوصيري في «الزوائد»: (١٢)، وصححه الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣١، ح١٥٣).

(١) الرَّضْفُ: الحجارة المحماة.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٤)، بإسناد صحيح.

(٣) الفتح (١٨/ ٣١، ح٤٧٣٣)، وانظر أحاديث الباب، واللفظ للبخاري.

(٤) (٤/ ٢١٥٣، ح٢٧٩٥)، وللبخاري عدة روايات بهذا المعنى.

(٥) الفتح (١٤/ ١١٣-١١٤، ح٣٦١٢).

(٦) انظر: ابن كثير: الفصول، ص ٨٧.

وجارية بني مُؤَمِّل، وقد أعتقهم أبو بكر جميعاً[١].

وعندما رأى أبو قحافة ابنه أبا بكر يعتق هؤلاء المستضعفين، قال له: «يا بني، إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر: «يا أبت، إني إنما أريد ما أريد لله ﷻ». فأنزلت فيه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥-٢١]»[٢].

وقد أصيب بصر زنيرة حين أعتقها أبو بكر، فقالت قريش: «ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى» فقالت: «كذبوا وبيت الله، ما تضران اللات والعزى وما تنفعان». فرد الله بصرها[٣].

وكان أَفْلَح - أبو فُكَيْهَة - مولى لبني عبد الدار - كانوا يشدونه بالحبل من رجله ثم يجرونه على الأرض، ليفتنوه عن دينه[٤].

العبر والعظات:

١ - ربما يتساءل المرء: فيم هذا العذاب الذي لقيه الرسول ﷺ وأصحابه وهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله تعالى منه وهم جنوده وفيهم رسوله؟ والجواب: أن أول صفة للإنسان في الدنيا، أنه مكلف، وأمر بالدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، والتكليف من أهم لوازم العبودية لله تعالى. وعبودية الإنسان لله ﷻ ضرورة من ضرورات ألوهيته ﷻ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦].

فقد استلزمت العبودية - إذاً - التكليف، واستلزم التكليف تحميل المشاق

---

(١) انظر: ابن هشام (١/ ٣٩٤)، من رواية ابن إسحاق بدون إسناد، وسيرة ابن إسحاق، ص١٩١، بدون إسناد أيضًا، والبلاذري: أنساب الأشراف (١/ ١٥٨، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦).

(٢) المستدرك (١/ ١٥٢٥) من حديث ابن إسحاق. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وسكت عليه الذهبي.

(٣) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل، ابن هشام (١/ ٣٩٢-٣٩٣).

(٤) ابن حجر: الإصابة (٤/ ١٥٦)، ترجمة أبي فكيهة، رقم ٩٠٧)، بدون إسناد.

ومجاهدة النفس والأهواء، والصمود في وجه الفتن والابتلاءات.

والفتنة والابتلاء هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب، وفي ذلك يقول المولى ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، ويقول: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وما دام الأمر كذلك فلا ينبغي للمسلم أن يتوهم اليأس إذا ما عانى شيئاً من المشقة والمحنة. بل العكس هو المنسجم مع طبيعة هذا الدين، أي إن على المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما رأوا أنهم يتحملون مزيداً من الضر والنكبات سعياً إلى تحقيق أمر ربهم ﷻ، ويتجلى برهان ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ۝٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤][1].

٢ - المقرر عند علماء المسلمين أن الأخذ بالعزيمة في ميدان الإكراه أولى من الرخصة، وأن أخذ الأئمة والقادة بالعزيمة هو الأولى والأجمل. ويعتبر الفقهاء الإكراه بمدى قدرة المكره على إيقاع ما هدد به[2].

وإن أخذ عامة المسلمين بالرخصة ليس دليلاً على فساد في العقيدة، بدليل قول الرسول ﷺ لعمار بن ياسر: «إن عادوا فعد»، أي إذا عادوا وطلبوا منك ذكر آلهتهم بخير، فاذكرها، ما دام قلبك مطمئناً بالإيمان[3].

يقول ابن كثير[4]، في تعليقه على موقف عمار بن ياسر من التعذيب: «ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالي المكره على الكفر، إبقاء لمهجته، ويجوز له أن يستقتل كما كان بلال ﷺ يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، . . . وكذلك

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص٨٥-٨٧ .

(٢) انظر: الموصلي: «الاختيار لتعليل المختار»، في الفقه الحنفي، طبعة دار المعرفة، بيروت (٢/ ١٠٤)، نقلاً عن الشيخ زهير سالم: «عثرات وسقطات»، ص ٤٣٨ .

(٣) انظر: الشيخ زهير سالم: عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة، ص ٣٩، ٤٠ .

(٤) تفسيره (٤/ ٥٢٥-٥٢٦).

حبيب بن زيد الأنصاري، لما قال له مسيلمة الكذاب: «أتشهد أن محمداً رسول؟» فيقول: «نعم» فيقول: «أتشهد أني رسول الله؟» فيقول: «لا أسمع». فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك... والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله، كما قال الحافظ ابن عساكر، في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي...».

وفي تعليقه على الموقف ذاته قال ابن الجوزي[1]: «الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان إحداهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به. والثانية أن التخويف لا يكون إكراهاً حتى ينال بعذاب. وإذا ثبت جواز «التقية»، فالأفضل ألا يفعل...».

ويرى بعض السلف أمثال معاذ بن جبل ﷺ ومجاهد يرحمه الله أن مثل هذه التقية كانت في بدء الإسلام، قبل استحكام الدين وقوة المسلمين، وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام، فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم[2].

إن في مواقف المؤمنين - بمختلف قبائلهم - وثباتهم على دينهم ورضاهم بجوار ربهم، مثلاً عالياً في التوكل على الله تعالى، ولن ينسى التاريخ تلك المواقف الإيمانية البطولية لهؤلاء المسلمين الأوائل، الذين كانوا قدوة لأصحاب المبادئ في كل زمان ومكان.

إن أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، لم يكفوا ولن يكفوا عن استخدام كافة الوسائل والأساليب لإطفاء نور الإسلام ومحاربة دعاته، وربما تتجدد الأساليب والوسائل، ولكنها لا تخرج في مضمونها عن تلك الأساليب التي مارسها كفار قريش ضد المسلمين المستضعفين بمكة. وسيطول بنا الشرح إذا وقفنا عند كل أسلوب، وذكرنا له أمثلة من واقع حركة الإسلام وسط المجتمعات والشراذم الرافضة لتحكيم شرع الله.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٩٦).

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٢٦).

كان من جليل حكمة الله تعالى أن يقوم مشركو قريش بسلسلة من المساومات مع الرسول ﷺ بعد أن صوّروا في أنفسهم كل ما يمكن أن يظنوه سبباً أو هدفاً وراء دعوته، ورفض الرسول ﷺ قبول كل العروض التي قدموها له مقابل أن يتخلى عن دعوته ليثبت للتاريخ أن هدفه شيء واحد، وهو الإسلام، وليقطع الطريق أمام المتشككين في أهداف دعوته ﷺ، أو فهموا فهماً مغايراً لما كشفت عنه تلك اللقاءات بين الرسول ﷺ وبين مساوميه من الكفار، وكانت سيرته ﷺ فيما بعد تأكيداً ودليلاً على أنه لم يكن يطلب شيئاً غير الإسلام[1].

الأسلوب الثالث عشر: ملاحقة المسلمين خارج مكة والتحريض عليهم:

عندما هاجر بعض المسلمين إلى النجاشي، أرسلوا خلفهم من حاول اللحاق بهم قبل العبور إلى الحبشة، وعندما استقروا بالحبشة وكثر عددهم، أرسلوا في طلبهم، واستخدموا في ذلك الرشوة والحيلة للوقيعة بين المسلمين والنجاشي، ولكنهم فشلوا في ذلك.

وسيأتي بيان ذلك في هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة وهجرة المدينة.

الأسلوب الرابع عشر: المقاطعة العامة: سيأتي ذكرها في مكانها من هذا الكتاب (مبحث ٢٨).

الأسلوب الخامس عشر: محاولة قتل الرسول ﷺ، والأسلوب السادس عشر: ثم شن الحرب عليه: سيأتي ذكر ذلك من خلال أبحاث وفصول الكتاب.

---

(١) نظر: البوطي: فقه السيرة، ص ٩٠.

◻ المبحث الرابع والعشرون:
مكان التقاء الرسول ﷺ بالمسلمين: ◻

كان الرسول ﷺ يلتقي سراً بالداخلين في الإسلام؛ ليعلمهم ما ينزل به الوحي من تعاليم الدين، وفي السنة الخامسة من ابتداء الدعوة اختار الرسول ﷺ منزل أحد المسلمين، وهو الأرقم بن أبي الأرقم[١]، ليلتقي بأكبر عدد منهم، وحافظوا على كتمان سرية هذا المكان[٢]، لأن عامة الصحابة كانوا يخفون إسلامهم، ولذا فمن الحكمة اتباع السرية لما فيها من صالح للمسلمين وللإسلام، أما لماذا اختار الرسول ﷺ دار الأرقم بالذات؟ أجاب عن هذا السؤال - استنتاجاً - المباركفوري[٣]، فقال: «لأن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه، ولأنه من بني مخزوم التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم، إذ يستبعد أن يختفي الرسول ﷺ في قلب العدو، ولأنه كان فتى صغيراً عندما أسلم، في حدود الست عشرة سنة، إذ إنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة».

ويلحظ أن دار الأرقم كانت قرب الصفا، وهي منطقة تشتد فيها حركة الناس بصورة طبيعية، مما يصعب معه إدراك وجود حركة خاصة بأناس تجتمع وتنفض في هذه الدار.

وعندما شك الكفار في وجود مكان يلتقي فيه المسلمون، كان كل الذي توصلوا إليه أنه يلتقي بهم في دار عند الصفا[٤].

إن مراعاة السرية والكتمان في حياته ﷺ واضحة في مواقف كثيرة منها هذا الموقف.

---

(١) هي الدار المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا، كما قال الشامي: السبل (٢/ ٤٣٠).

(٢) البداية: (٣/ ٣٣-٣٤).

(٣) الرحيق المختوم، ص٤٩ .

(٤) انظر: ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٤٢٤).

□ المبحث الخامس والعشرون: □

أ - الهجرة الأولى إلى الحبشة:

يذكر البروفسير عبد الله الطيب في بحثه: «الهجرة إلى الحبشة وما وراءها من نبأ [والمقدم ضمن أبحاث الندوة العلمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، في ١٥ - ٢١ محرم، سنة ١٤٠٤هـ ٢١ - ٢٧ أكتوبر عام ١٩٨٣م، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية الكتاب الثالث: الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين الجزء الأول] أن هذه الهجرة كانت إلى مناطق من السودان الحالي، وذكر أدلة تاريخية وجغرافية لتدعيم رأيه، وهو رأي لا يخلو من وجاهة.

كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة، بدأت ضعيفة، ثم لم تزل في ازدياد يوماً يوماً وشهراً شهراً، حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة، وأعوزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذا الوقت العصيب نزلت سورة الكهف ردوداً على أسئلة طرحها المشركون على النبي ﷺ، ولكنها اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين. فقصة أهل الكهف ترشد المؤمن إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، متوكلاً على الله ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: ١٦].

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على خلاف الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الاضطهاد القائم ضد المسلمين سيرفع قريباً.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده - بين آونة وأخرى - من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ومأجوج ذلك الزمان، وأن الأحق

يرث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون[١].

ثم نزلت سورة «الزمر» تشير إلى الهجرة وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١١٠].

في هذه الظروف كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة، فراراً بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان[٢].

روى ابن إسحاق[٣]، من حديث أم سلمة، قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظلماً...».

روى ابن سعد[٤] أنهم خرجوا متسللين سراً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشعيبة، منهم الراكب والماشي، ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار. وكان

---

(١) انظر: القصة في الآيات ٨٣-٩٧، من سورة الكهف، خاصة الآية ٩٤ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

(٢) وعن إشارات سورة الكهف والزمر: انظر: الرحيق، ص١٠٥، ١٠٦، وعن الابتلاء في الدين وكونه السبب الرئيس وراء هذه الهجرة الأولى إلى الحبشة، انظر: البخاري: الفتح (١٠/ ٤٣-٤٤، ح٢٢٩٧)، وانظر: رسالة العودة، ص٢٩٩ وما بعدها، ففيها استيعاب جيد للموضوع، وابن كثير: البداية (٣/ ٧٣ وما بعدها).

(٣) السير والمغازي، ص٢١٣، من رواية يونس بن بكير، ابن هشام (١/ ٤١٣)، من رواية البكائي، وإسناده حسن.

(٤) الطبقات (١/ ٢٠٤) وفي سنده ثلاث علل: الواقدي متروك، وجهالة عبيدالله بن عباس الهذلي، والإرسال.

مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبئ رسول الله ﷺ[١]، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاوزوا البحر حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحداً.

وذكر ابن سعد في رواية ثانية[٢] أسماء اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ووافقه في ذلك ابن سيد الناس[٣]، وزاد عليه امرأة خامسة، وهي أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، زوجة أبي سبرة. وروى ابن إسحاق[٤] أنهم كانوا عشرة من الرجال وأربع نسوة. إذ إنه لم يذكر فيهم ابن مسعود، وذكر حاطباً بالشك: «ويقال...». ووافق الذهبي[٥] ابن إسحاق في عدد الرجال والنساء، ولكنه ذكر أبا سبرة ولم يذكر أبا حاطب أو حاطباً، ولم يذكر ابن مسعود. وذكر عروة[٦]، أنهم كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وذكر فيهم ابن مسعود ولم يذكر حاطباً.

وكان ضمن هؤلاء المهاجرين: أبو سلمة بن عبد الأسد، وزوجه أم سلمة بنت أبي أمية، أم المؤمنين فيما بعد، ورواية الحديث الطويل في قصة الهجرة، وعثمان بن مظعون، ومصعب بن عمير، وعثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

وقد قال الرسول ﷺ في عثمان ورقية ﷺ: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط ﷺ»[٧].

وعرفت هذه الهجرة بالهجرة الأولى إلى الحبشة، وذكر ابن هشام[٨] أنه كان عليهم عثمان بن مظعون، أخر الرسول ﷺ من الرضاعة.

لم يمكث هؤلاء المهاجرون طويلاً حتى بلغتهم الأخبار بأن أهل مكة قد

---

(١) وهذا موافق لقول ابن إسحاق من أن وقوع الهجرة الأولى قبل المقاطعة وذلك خلافا لموسى ابن عقبة. انظر: ابن هشام (١/ ٤٣٠)، وابن كثير في البداية (٣/ ٧٤) حيث قال: «وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب».

(٢) الطبقات (١/ ٢٠٤) من طريق الواقدي، وهذا هو الذي اختاره ابن القيم في الزاد (٣/ ٢٣).

(٣) عيون الأثر (١/ ١٥٥).

(٤) ابن هشام (١/ ٣٩٨-٣٩٩)، والسير والمغازي، ص٢٢٣-٢٢٤، بدون إسناد.

(٥) سيرته، ص١٨٤، ١٨٥.

(٦) مغازيه، ص١٠٥، وإسناده ضعيف.

(٧) البيهقي: الدلائل (٢/ ٢٩٧)، من حديث أنس بإسناد ضعيف، لضعف بشر بن موسى الخفاف.

(٨) السيرة (١/ ٣٩٩).

أسلموا، فلذا قرروا العودة إلى وطنهم مكة في شوال من السنة نفسها[١].

وعندما اقتربوا من مكة علموا بأن الذي بلغهم كان مجرد إشاعة، وعرفوا أن نار العداوة ما زالت مشتعلة. فرجع منهم من رجع إلى الحبشة، ومن دخل منهم مكة دخلها مستخفياً أو في جوار رجل من قريش[٢].

ويزعم بعض الناس أن سبب رجوعهم كان لوقوع هدنة حقيقية بين الإسلام والوثنية، أساسها أن محمداً ﷺ تقرب إلى المشركين بمدح أصنامهم والاعتراف بمنزلتها، إذ زعموا أنه قرأ على المشركين سورة النجم حتى وصل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، ألقى الشيطان في آذان المشركين قوله: (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى) فسجد وسجد كفار مكة. فلما بلغهم ذلك في الحبشة ظنوا أن القوم قد أسلموا لهذه القصة المزعومة.

وممن روى هذه القصة ابن سعد[٣]، والطبري[٤]، والبيهقي[٥]، ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة على التحرير.

وهي باطلة من حيث السند والمتن. وإليك مختصر أقوال العلماء في هذا:

١ - بطلان القصة من جهة النقل (السند):

قال ابن كثير[٦]: «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم».

وللقاضي عياض[٧] عدة مآخذ على هذه القصة، وفي ذلك يقول: «أما المآخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند

---

(١) الطبقات (١/ ٢٠٦) من طريق الواقدي، ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (٢/ ٥).

(٢) ابن إسحاق بدون إسناد، ابن هشام (٢/ ٥).

(٣) الطبقات (١/ ٢٠٥-٢٠٦)، من طريق الواقدي، فهو ضعيف جدًا.

(٤) التفسير (١٧/ ١٣١-١٣٢)وفي إسناده أبو معشر، فالإسناد ضعيف.

(٥) الدلائل (٢/ ٢٨٥-٢٨٧)، وإسناده ضعيف.

(٦) التفسير (٣/ ٢٢٩).

(٧) الشفا (٢/ ٧٥٠ وما بعدها).

سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية... إلخ».

وقال ابن حجر[١] بعد ذكر بعض مصادر القصة وأسانيدها وطرقها: «وكلها سوى طريق سعيد بن جبير: إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين؛ أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب... والثاني ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة...».

وساق الدكتور عبد المعطي قلعه جي[٢]، الحجج الحديثية والمنطقية لتفنيد أكذوبة الغرانيق.

وللشيخ الألباني[٣] رسالة بعنوان: (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق)، خرّج فيها أحاديث هذه القصة وحكم عليها بالضعف والبطلان، مشيراً إلى أن هناك عدة روايات مرسلة أسانيدها صحيحة إلى مرسليها، وهو يتفق في هذا مع ابن حجر، ولكنه يختلف معه في النتيجة. فقد ذهب ابن حجر[٤]، إلى تقوية تلك الآثار والأخبار المرسلة، حين قال: «فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض». أما الألباني[٥] فإنه يرى أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها، وله منطقه وحجته في هذا، وخلص إلى رد تلك الآثار المرسلة لكونها لا تعتضد عنده.

---

(١) الفتح (١٨/ ٤١).

(٢) انظر: حاشية (١٣) من دلائل النبوّة للبيهقي (٢/ ٢٨٧-٢٩١).

(٣) انظر: الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م، نشر المكتب الإسلامي.

(٤) الفتح (١٨/ ٤٢).

(٥) نصب المجانيق، ص٢٠ وما بعدها.

وقد وقف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي[١]، عند هذه المسألة ليناقش فيها الشيخ الألباني، قائلاً: «ونقل الألباني[٢] عن ابن تيمية في مسألة الاحتجاج بالمرسل ما مفاده: ... وإن جاء من وجهين، كل من الراويين أخذ العلم عن غير شيوخ الآخر فهذا يدل على صدقه، فإن مثل ذلك لا يتصور في العادة تماثل الخطأ فيه وتعمد الكذب...

وقد رد بعض المشايخ على الألباني في اتباعه هذه القاعدة، ولذلك أحببت أن أذكر أن هذه القاعدة ليست من بنات أفكار الشيخ الألباني، بل اعتمد فيها على ما قاله الشافعي، ومن جاء بعده من المحققين كابن تيمية والنووي وغيرهما. قال السيوطي[٣]: «فإن صح مخرج المرسل بمجيئه أو نحوه من وجه آخر مسنداً أو مرسلاً أرسله من أخذ العلم عن غير رجال المرسل الأول كان صحيحاً». هكذا نص عليه الشافعي[٤] في «الرسالة»، مقيداً له بمرسل كبار التابعين، ومن إذا سمى من أرسل عنه سمي ثقة، وإذا شاركه الحفاظ المأمونون لم يخالفوه، وزاد في الاعتضاد أن يوافق قول صحابي أو يفتي أكثر العلماء بمقتضاه، فإن فقد شرط مما ذكر لم يقبل مرسله... ومما لا شك فيه أن وجود هذه الشروط مستحيلة في هذه الفرية. لذلك فإن تقوية ابن حجر رحمه الله هذه المراسيل ذهول منه».

ويجيب الدكتور أبو شهبة[٥]، على ما ذكره ابن حجر في «الفتح» وتابعه عليه السيوطي وغيره، قائلاً:

١ - «إن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة، وعلى الثاني فلا يؤمن أن يكون كذاباً، وقد قرر الإمام مسلم[٦] هذه الحقيقة فقال: «والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة». وقال ابن

---

(١) حاشية مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، ص ١٠٧.

(٢) نصب المجانيق، ص٢٣.

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ١٩٨-١٩٩).

(٤) انظر: الرسالة، ص ٤٦١-٤٦٢.

(٥) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة (١/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٦) انظر: مقدمة صحيح مسلم (١/ ٣٠).

الصلاح[١]: «وما ذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث وتداولوه في تصانيفهم، والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما في طائفة، أما الشافعي فيحتج به بشروط ذكرها في رسالته، وقد نقلها العراقي في شرح ألفيته وغيره.

٢ - الاحتجاج بالمرسل إنما هو في فروع الدين التي يكتفى فيها بالظن، أما الاحتجاج به على شيء يصادم العقيدة ويناني دليل العصمة فغير مسلَّم به.

هذا إضافة إلى أن القصة لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة أو الإمام أحمد، ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة على التحرير». مما يؤكد سخافة الإقحام بغض النظر عن بطلان سندها أو اضطراب رواياتها.

٢ - بطلان القصة من حيث المتن (أو العقل):

أ - مخالفة القصة لقرآن الكريم:

يقول الدكتور الأعظمي[٢]، في تفنيد هذه الفرية: «ولو فرضنا - جدلاً - أن أسانيدها صحيحة ثابتة، فهل تثبت بذلك صحة القصة، معاذ الله؟!

والمعروف للجميع أن الحديث الشاذ - وهو الحديث الذي يخالف الراوي الثقة فيه من هو أوثق منه أو أكثر عدداً - من الأحاديث الضعيفة. وهذا في خبر الآحاد، فإذا كان خبر من خبر الآحاد يخالف القرآن الكريم وإجماع الأمة مثلاً كالإيمان بعصمة الأنبياء فلا يكون الحديث شاذاً، بل يكون موضوعاً في هذه الحالة.

وقد قال ابن الجوزي[٣] قديماً: «كل حديث رأيته يخالف العقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، فلا يتكلف اعتباره أي لا تعتبر روايته ».

وقد قال ابن أبي حاتم الرازي[٤]: «... ويقاس صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون من كلام النبوة...» وأي عقل - مهما بلغ

---

(١) نظر: مقدمة ابن الصلاح، ص٥٨، طبعة العلمية بحلب.

(٢) حاشيته على مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير.

(٣) فتح المغيث: ص ١١٤ .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٣٥١ .

السخافة - يستطيع أن يقبل أن الرسول ﷺ الذي دعا إلى التوحيد الخالص يأتي عليه زمان فيصالح المشركين بتمجيد آلهتهم، ثم ينسب ذلك القول اللعين إلى ربه جلّ وعلا؟.

«فإذا كانت الأسانيد مثل الشمس لا تثبت هذه القصة من قريب أو من بعيد، فكيف ثبتت بهذه الأسانيد الضعيفة حتى نبحث عن تأويلها...».

ومن الأدلة الصريحة على مخالفة هذه القصة للقرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢] وقد أبعد الله الغواية عن عباده المرسلين. وقد أقر رئيس الشياطين بأن لا سلطان له على عباد الله المخلصين، كما حكاه الله عنه في قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣] ومن هو ذلك الأخلص من النبي محمد ﷺ؟!

بل ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩].

وأي الناس أصدق إيماناً بالله وأشد توكلاً عليه من الأنبياء، بله رسول الله ﷺ.

ب - اضطراب روايات القصة:

ومما يضعف هذه القصة ويوهنها شدة اضطراب رواياتها، فرواية تقول: وقعت خارج الصلاة، ورواية: إنه كان في الصلاة، وثالثة تقول: بل حدث نفسه فسها، ورابعة تقول: إن الشيطان قالها على لسان النبي ﷺ فرآها، وخامسة تقول: إن النبي ﷺ قال ذلك وهو ناعس. وسادسة تقول: إن الشيطان انتهز سكتة من سكتات النبي ﷺ في القراءة، فقرأها حاكياً صوت النبي ﷺ. كما رويت عبارة: «تلك الغرانيق العلا» بألفاظ مختلفة.

جـ - اللغة العربية تنكر القصة:

نقل الشيخ أبو شهبة[1] رأي الشيخ محمد عبده في رد هذه الفرية من ناحية اللغة العربية. فقد قال الشيخ عبده إن وصف العرب لآلهتهم بالغرنيق لم يرد لا في نظمهم

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/ ٣٦٧).

ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء في معجم ياقوت من غير سند، ولا معروف بطريق صحيح، والذي تعرفه اللغة أن الغُرْنوق، والغِرنوق، والغُرنيق، والغِرنيق اسم لطائر مائي أسود أو أبيض. ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل، ويطلق على غير ذلك، ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان...

ووجه آخر لبطلان هذه القصة من حيث الأسلوب اللغوي السليم هو قول المفترين إن آيات الغرانيق جاءت بين الآيات ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٢]، والآيات ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ٢٣].

ما هذا؟ ذم ثم مدح ثم ذم لذات الشيء. فلو أن القصة صحيحة لكان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها، وإما كان النظم مفككاً والكلام متناقضاً، وهو مما لا يخفى على المبتدئين في تعلم اللغة العربية، دعك عن عرب قريش، أهل الفصاحة والبيان[1].

أما الآية التي اقترن تفسيرها بقصة الغرانيق: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢]، فخلاصة ما يقال عنها: إن تفسير البخاري «التمني» بما نقله عن ابن عباس بإسناد إليه ضعيف غير ملزم لتعين تفسير «التمني» في الآية بالتلاوة والقراءة، وهو التفسير الذي كان مفتاحاً لباب اختراع أكذوبة الغرانيق وما اشتملت عليه من طامات وبلايا، لأن التمني جاء في الآية مطلقاً عن قيد الإضافة إلى الكتاب، فلم يذكر له مفعول قيد به[2].

وتفسيره - كما جاء في حديث ابن عباس عند البخاري - بِحَدَّثَ: محتمل أن يكون معناه حدث نفسه برغبته واشتهائه هداية قومه؛ وهذا الاحتمال يتفق مع معنى التمني في تفسير ابن عباس عند ابن جرير، فيجب المصير إليه، لأنه تفسير لغوي لا

---

(١) انظر: الغزالي: فقه السيرة، ص ١١٨، وأبا شهبة: السيرة النبوية (١/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) انظر: عرجون: محمد رسول الله، (٢/ ٧٥).

يرد. وقال عرجون: محمد رسول الله (٢/ ٧٣): «وقد ساق ابن منظور في اللسان شواهد من الحديث والآثار وكلام أئمة اللغة تدل على أن معنى الأمنية هو الإرادة والمحبة والرغبة في حصول الشيء واشتهاء وقوعه... وتمنى الكتاب: قرأه وكتبه، وهذا النص من إمام اللغة الجوهري صريح في أن معنى التمني عند الإطلاق هو الإرادة والمحبة، ولا يستعمل بمعنى التلاوة والقراءة إلا مضافاً للكتاب».

د - بطلان القصة من حيث الزمان:

ومما ساقه الأستاذ الشامي[1] لدحض هذه الفرية، هو أن آية سورة الحج، آية التمني هذه، إن لم تكن مدنية، فهي مما نزل بين مكة والمدينة. والحادثة حسب زعم رواتها - مكية، فهل يعقل أن يكون ذلك الزمن غير القصير بين الحادثة وبين نزول الآية التي جاءت تعقيباً عليها؟.

أ - سبب سجود المشركين:

والذي ثبت في الصحيح[2] أن الرسول ﷺ قرأ سورة النجم، في جماعة من المسلمين والمشركين، وخواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب. فلما أخذ صوت الرسول ﷺ يهدر بها ويرعد بنذرها حتى وصل إلى قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٣-٦١]، كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين، مع غيرهم من المسلمين، حتى إن الوليد بن المغيرة - وكان كبير السن - أخذ كفاً من البطحاء وسجد عليه.

فلما نكسوا على رؤوسهم وأحسوا أن جلال الإيمان لوى زمامهم، ندموا على ما كان منهم، وأحبوا أن يعتذروا عنه، بأنهم ما سجدوا مع محمد ﷺ إلا لأن محمداً ﷺ عطف على أصنامهم بكلمة تقدير...[3].

---

(١) من معين السيرة، ص ٧٦ - حاشية (٣).

(٢) البخاري: الفتح (١٨/ ٢٤٧-٢٤٨، ح٤٨٦٢، ٤٨٦٣).

(٣) انظر: الغزالي: فقه السيرة، ص ١١٧، ١١٨.

ب - الهجرة الثانية إلى الحبشة:

عندما عاد بعض من هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، ووجدوا أن الابتلاء الواقع على المسلمين أصبح أشد مما كان، ولما رأى الرسول ﷺ حالهم، أذن لهم بالهجرة مرة ثانية، وكانوا هذه المرة نيفاً وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة[١]. وقيل غير ذلك.

فقد روى الإمام أحمد[٢] أن ابن مسعود ﷺ قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم جعفر، وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، . . .» ولم يذكر عدد النساء. وذكر ابن سعد[٣] أن عدد الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً وعدد النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب. وذكر ابن إسحاق[٤] أنهم كانوا نيفاً وثمانين رجلاً، وذكر أسماء ست عشرة امرأة، وذكر في السيرة[٥] أنهم كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً، وإذا اعتبرنا من ولدت ريطة بنت الحارث، فيكون عدد النساء عنده عشرين امرأة، وقد ذكر ابن القيم[٦] أنهن تسع عشرة امرأة، والله أعلم. ويبدو أن الاختلاف في عدد النساء يرجع إلى أن البعض يعد فيهن بعض الفتيات الصغيرات.

ويشهد بقبول ما جاء عند أهل المغازي والسير في عدد المهاجرين هذه المرة، رواية أحمد المذكورة من حديث ابن مسعود.

جـ - قريش تسعى لإعادة المهاجرين:

روى ابن إسحاق[٧]، من حديث أم سلمة ﷺ في هجرة الحبشة، أنها قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جَاوَرْنا بها خَيْرَ جَارٍ النجاشيَ، أَمِنَّا على ديننا، وَعَبَدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا

---

(١) انظر: ابن إسحاق، بدون إسناد، سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨)، زاد المعاد (٣/ ٢٦).

(٢) المسند (٦/ ١٨٥، ح٤٤٠٠، شاكر)، قال شاكر: «إسناده حسن».

(٣) الطبقات (١/ ٢٠٧)، بإسناد ضعيف لأنه من حديث الواقدي، وهو متروك.

(٤) السير والمغازي، ص ٢٢٨.

(٥) ابن هشام (١/ ٤٠٨) بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٦) زاد المعاد (٣/ ٢٦)، نقلاً عن ابن إسحاق في السيرة، وهو ضعيف.

(٧) السيرة والمغازي، ص٢١٣ وما بعدها، وابن هشام (١/ ٤١٣ وما بعدها)، وإسناده حسن.

إلى النجاشي فيا رجلين منهم جَلْدَين، وأن يَهْدُوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَمُ[١]، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة[٢] وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. فخرجا حتى قدما على النجاشي... فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوَى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم...».

وفي الحديث أن الوفد اتفق مع البطارقة أن يشيروا على النجاشي بأن يسلمهم إليهم ولا يكلمهم. ولكن النجاشي عندما أشير إليه بذلك رأى أن يدعو المسلمين ويستمع بنفسه إلى ما يقولونه.

وعندما حضروا أمامه تكلم نيابة عنهم جعفر بن أبي طالب ﷺ، فأوضح للنجاشي حقيقة الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وموقف قومهم منه[٣].

---

(١) الأدم: الجلود، وأحدها: أديم.

(٢) في حديث ابن مسعود عند أحمد في المسند (٦/ ١٨٥)، بإسناد حسن، وقد سبق الكلام عليه، وأن الذي بعثوه مع عمرو هو عمارة بن الوليد. والذي رجحه عرجون في كتابه محمد رسول الله ﷺ (١/ ٢٤)، جمعًا بين الروايات، أن قريشًا بعثت في أثر المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين بعثة واحدة، كانت في الهجرة الثانية، وكان فيها عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، مبعوثين أصليين، وكان معهما رديفًا وتابعًا عمارة بن الوليد.

انظر كامل المناقشة في كتابه المذكور (٢/ ٢١-٢٤).

(٣) وفي رواية أم سلمة عند ابن إسحاق بإسناد صحيح كما قال محققا سيرة ابن هشام (١/ ٤١٧)، قالت: «... وأمرنا - أي النبي ﷺ - بالصلاة والزكاة والصيام، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام...». هنا إشكال. وهو الأمر بالصلاة والزكاة والصيام؛ لأن الصلاة فرضت في الإسراء والمعراج بعد الهجرة إلى الحبشة، والزكاة كما قال سيد سابق في فقه السنة (١/ ٣٢٨): كانت في أول الإسلام بمكة مطلقة، لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه، ولا مقدار ما ينفق منه، وإنما ترك ذلك لشعور المسلمين وكرمهم.

وفي السنة الثانية من الهجرة - على المشهور - فرض مقدارها من كل نوع من المال، وقال عن الصيام (١/ ٤٣٣): وكانت فريضته في السنة الثانية الهجرية. =

وعندما طلب النجاشي شيئاً مما جاء به ﷺ قرأ عليه جعفر صدر سورة مريم. فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكى أساقفته حتى ابتلت كتبهم التي يحملونها.

ثم قال النجاشي مخاطباً سفيري قريش: «إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، والله لا أسلمهم إليكما أبداً».

وعندما خرجا، قال عمرو لعبد الله: «والله لآتينه غداً بما يبيد خضراءهم».

فلما كان الغد جاء عمرو إلى النجاشي وقال له: «إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً». فأرسل النجاشي إليهم، وعندما جاؤوه سألهم عن قولهم في المسيح، فقال جعفر: «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول».

= قلت: وصلاة الرسول ﷺ وصحابته قبل الفريضة لم تكن واجبة. وذكر العيني في عمدة القاري (٤/ ٥٢)، وما قبلها تفاصيل عن متى فرضت الصلاة، وخلاصة كلامه أنها فرضت في المعراج ركعتين، وزيدت إلى أربعة بعد الهجرة، وبعد ذلك أقرت صلاة الحضر أربعًا وقصرت صلاة السفر إلى ركعتين . . أما قبل الإسراء والمعراج فلم تكن فرضًا إلا صلاة الليل - القيام - من غير تحديد ركعات ووقت حضور. فكان يقوم أدنى من ثلثي الليل وصفه وثلثه

وانظر: الفتح (٣/ ١٢) حيث ذكر ابن حجر: «ذهب جماعة إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد. وذهب الحربي إلى أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، وذكر الشافعي عن بعض أهل العلم أن صلاة الليل كانت مفروضة، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ فصار الفرض قيام بعض الليل، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس واستنكر محمد بن نصر المروزي ذلك، وقال: «الآية تدل على أن قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ إنما نزل بالمدينة، لقوله تعالى فيها: ﴿...وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والقتال إنما وقع بالمدينة وليس بمكة، والإسراء كان بمكة قبل ذلك»

وما استدل به غير واضح، لأن قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ...﴾ ظاهر في الاستقبال، فكأنه ﷺ امتن عليهم بتعجيل التخفيف قبل وجود المشقة التي علم أنها ستقع لهم. والله أعلم.

وقال ابن حجر (٣/ ١١): «والذي يظهر لي وبه تجتمع الأدلة السابقة أن الصلوات فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت بعد الهجرة عقب الهجرة إلا الصبح، كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي . . . إلخ.

وانظر: السهيلي: الروض (١/ ٢٨٤). وذكر ابن إسحاق تعليم جبريلُ الرسول ﷺ الصلاة والوضوء.

وانظر: السبل (٢/ ٣٩٧)، وابن كثير: البداية (٣/ ١٢٩)، والتفسير (٢/ ٣٤٧).

فأخذ النجاشي عوداً من الأرض، وقال لجعفر: «ما عدا عيسى ما قلت قدر هذا العود». ولم يأبه لامتعاض بطارقته، فأعطى المسلمين الأمان في بلاده، ورد هدية قريش[١].

أخفقت سفارة قريش في مهمتها، ولم تجد قريش أمامها غير التشفي ممن هم تحت أيديها.

أما الإسلام فقد كسب إلى جانبه النجاشي وعمرو بن العاص[٢].

ومكث المسلمون ما شاء الله لهم، فعاد من عاد منهم بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وقبل وقعة بدر، وهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثماني نسوة[٣]. وعاد الباقون مع جعفر عندما فرغ الرسول ﷺ من فتح خيبر في العام السابع الهجري[٤].

د - حكم وعظات وعبر من هذا المقطع:

١ - إن في هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة دليلاً على مشروعية الهجرة، وهي الانتقال من بلد الكفر حيث يتعذر على العبد أن يعبد الله، إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله بدون فتنة. وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

٢ - إن من أسس ودعامات الدين التضحية بالمال والوطن والنفس في سبيله، لأن الدين إذا فقد لم يغن من ورائه المال والوطن والنفس، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضاً من ورائه، أما إذا قوي شأنه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفئدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود أقوى من ذي قبل، حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة. ولذا كانت الهجرة نفسها ضرباً من ضروب العذاب والألم في سبيل الدين وتضحية بالوطن والمال،

---

(١) انظر: نص حديث أم سلمة كاملاً في السير والمغازي لابن إسحاق، ص ٢١٣ - ٢١٦.

(٢) يأتي الكلام عن إسلامه فيما بعد وعلاقة ذلك بسفارته إلى الحبشة. وعن مدى معرفة النجاشي وأساقفته اللغة العربية، انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى، ص٢٠٨، ٢٠٩، حاشية رقم (٥١٩).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٨٧-٨٨، ح٣٩٠٥)، والفتح الرباني (٢٠/ ٢٨٠)، وابن سعد (١/ ١٠٧).

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ٣٦، ح٣٨٧٦)، وابن سعد (١/ ٢٠٨).

وتبديل محنة أقسى بأخرى أقل قسوة ريثما يأتي الفرج والنصر.

٣ - يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي النصراني، والذي أسلم بعد ذلك، أو كان مشركاً كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم، وكأبي طالب الذي حمى الرسول ﷺ، والمطعم بن عدي الذي حمى النبي ﷺ عندما عاد من الطائف[١].

٤ - إن في ارتداد عبيد الله بن جحش - إن صح هذا - عظة لمن يتعظ أو عبرة لمن يعتبر. فقد استكبر على المسلمين؛ لأنه كان أولاً من الحنفاء، ثم أسلم وهاجر مع زوجه أم حبيبة ﷺ إلى الحبشة، ثم ارتد إلى النصرانية، وكان يقول للمسلمين: «فَتَحْنَا وَصَأَصَأْتُم»، أي قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد. وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك، فضرب ذلك له ولهم مثلاً[٢].

◻ المبحث السادس والعشرون: إسلام النجاشي: ◻

ذكر ابن إسحاق[٣] في رواية له أن النجاشي لما مات كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور. ويفهم من هذه الرواية الصحيحة أنه قد أسلم.

وذكر في رواية أخرى أن قومه خرجوا عليه لأنه أسلم. وقبل أن يخوض حرباً ضدهم هيأ للمسلمين سفناً ليركبوها إذا انهزم، وكتب كتاباً يشهد فيه بإسلامه.. وبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات النجاشي استغفر له[٤].

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق موافق في جوهره لما في الصحيحين فيما يتعلق

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص١٠٠ - ١٠٢.

(٢) ابن هشام (٤/ ١١)، من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل موقوف على عروة، ورجاله ثقات؛ ابن هشام (١/ ٢٨٥)، من حديث ابن إسحاق، وإسناده منقطع، لأن محمد بن جعفر الذي حدث به ابن إسحاق لم يدرك القصة، وفي الرواية: فَفَتَحْنَا، بدلاً عن فتحنا.

(٣) ابن هشام (١/ ٤٢٠)، وإسناده صحيح.

(٤) ابن هشام (١/ ٤٢١)، بإسناد مرسل حسن، ومخالف لحديث أم سلمة. وقد روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم» الفتح (٦/ ٢٤٢، ح١٣٢٧)، وفي هذا الحديث تصريح بأنه النجاشي، ومسلم (٢/ ٦٥٧، ح٩٥١).

بإسلام النجاشي. فقد روى البخاري[١] ومسلم[٢] أن الرسول ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، في العام التاسع الهجري، وصلى بالمسلمين صلاة الغائب عليه. وروى البخاري[٣] ومسلم[٤] أيضاً أن الرسول ﷺ قال: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلُمَّ فصلوا عليه»، وهذا لفظ البخاري.

وهذا النوع من النعي هو الجائز لأنه لمجرد الإخبار ليدعو له إخوته في الله. أما النعي للمفاخرة والمكاثرة فمكروه، والنعي بصفات الميت فحرام (انظر موطأ مالك في تبويب هذه المسألة).

وفي رواية لمسلم[٥]، قال الرسول ﷺ: «إن أخاً لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه...». وهذا الحديث صريح في أنه مات على الإسلام.

وهذا النجاشي الذي أسلم ليس بالنجاشي الذي كتب إليه الرسول ﷺ عندما كتب إلى عامة الملوك والرؤساء، بدليل رواية عند مسلم[٦]، ولم يذكر ذلك في روايتين أخريين عنده، مما جعل الشيخ عبد القادر الأرناؤوط[٧] يميل إلى أن النجاشي الذي صلى عليه الرسول ﷺ هو ذات النجاشي الذي أرسل إليه، لأن كتب التاريخ لا تذكر سوى خبر نجاشي واحد.

أما ابن كثير[٨] فيقول معلقاً على كتابه ﷺ الذي فيه دعوة النجاشي إلى الإسلام، من رواية البيهقي[٩]، من حديث ابن إسحاق، ولم يسنده ابن إسحاق: «فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم، صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله ﷻ، قبيل الفتح...

---

(١) الفتح (٦/ ١٤١، ح١٢٤٥)، انظر كلام ابن حجر في الفتح (٦/ ٢١٨-٢٣٠) عن إسلامه
(٢) (٢/ ٦٥٦، ح٩٥١)، وفي هذا الحديث تصريح بأنه النجاشي، وفي روايتين أخريين ذكر اسمه أصحمة (٦/ ٢٢٨، ح٩٥٢).
(٣) الفتح (٢/ ٦٥٧، ح١٣٢٠).
(٤) (٢/ ٦٥٧، ح٩٥٢) ولفظ مسلم: «مات اليوم عبد صالح، أصحمة...».
(٥) (١/ ٦٥٧ - ٦٥٨، ح٩٥٢).
(٦) الصحيح (٣/ ١٣٩٧، ح١٧٧٤).
(٧) حاشيته على إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون، ص٥٤.
(٨) البداية والنهاية (٤/ ٢٠٥-٢٠٦)، تحقيق د. عبدالله التركي.
(٩) دلائل النبوة (٢/ ٣٠٨).

فهذا الكتاب إلى الثاني، لا إلى الأول، وقوله فيه: «... إلى النجاشي الأصحم...»، لعل «الأصحم»، مقحم من الراوي بحسب ما فهم. والله أعلم».

ومما يرجح قول ابن كثير أن أسلوب الكتاب الثاني يختلف في أسلوبه ولهجته عن الكتاب الأول المشهور الذي حمله الضمري، فهذا الثاني يخاطب نجاشياً غير مسلم، والأول يخاطب مسلماً. ولم يسند ابن إسحاق هذا الكتاب كما عند البيهقي. وَوَهَّمَ ابن القيم[1] من قال بغير ما قاله ابن كثير وما جاء في رواية مسلم، أي أن الذي صلى عليه غير الذي كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، فهما كما يقول اثنان. وقال بهذا كذلك ابن طولون[2]، وقال الذهبي[3] معلقاً على حديث مسلم المذكور: «وليس في هذا الحديث أن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي الثاني يدعوه إلى الإسلام في هذه السنة - أي السابعة، قبل مؤتة - بل ذلك مسكوت عنه، وإنما كان ذلك بعد موت النجاشي الأول المسلم الذي مات عام ٩هـ، ويأتي في فصل رسائل النبي ﷺ إلى الملوك، المبحث الأول.

ويفهم من عموم النصوص الواردة عن إسلام النجاشي في المصادر المختلفة أنه جهر بإسلامه أمام الصحابة ﷺ وبمحضر من أساقفته، ولم يقبل البطارقة والأساقفة هذا التحول، فغضبوا منه وألّبوا عليه الناس، وقامت ضده ثورة ولكن الله نصره عليهم، ولم تتوقف الحرب إلا بعد أن خدعهم تقية، «والحرب خدعة» كما صح عن الرسول ﷺ: «وذلك أنه عمد إلى كتاب كتب فيه إقراره بالتوحيد ونبوة محمد ﷺ ويشهد أن عيسى عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه [ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه] عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفُّوا له، فقال: يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بكم؟ قالوا: فارقت ديننا!!! وزعمت أن عيسى عبده ورسوله، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله، فقال النجاشي: ووضع يده على صدره على قبائه: وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا، وإنما يعني على ما كتب، فرضوا، وانصرفوا، فبلغ

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٩٠).

(٢) الإعلام، ص٥٧ .

(٣) تاريخ الإسلام قسم المغازي، ص٥٠١ .

ذلك رسول الله ﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له»[١].

□ المبحث السابع والعشرون: إسلام حمزة وعمر بن الخطاب: □

أ - إسلام حمزة:

لم يوقف اضطهاد المشركين للمسلمين دخول صناديد قريش في الإسلام، ففي هذا الجو المشحون بالأحقاد على المسلمين عامة والرسول ﷺ خاصة، شاء الله تعالى أن يكون حقد أبي جهل على الرسول ﷺ سبباً في إسلام حمزة عم الرسول ﷺ وأحد أشداء قريش. فقد روى ابن إسحاق[٢] وابن سعد[٣] أن أمة لعبد الله بن جدعان أخبرت حمزة أن أبا جهل قد أساء إلى ابن أخيه محمد ﷺ إساءات بذيئة. فلم يتردد في المجيء إلى أبي جهل وهو في مجلسه من قومه، فضربه بالقوس على رأسه فشجه شجة منكرة، وقال له: «أتشتمه وأنا على دينه؟»... فكانت تلك بداية انشراح صدر حمزة للإسلام.

وعندما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنع عنه الأذى، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[٤].

وكان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة من النبوة[٥].

ب - إسلام عمر بن الخطاب ﷺ:

لقد كان عمر من ألد خصوم الإسلام، وكان معروفاً بحدة الطبع وقوة الشكيمة وكثيراً ما لقي بعض المسلمين منه صنوفاً من الأذى والتنكيل.

---

(١) ممن رواه البخاري: الفتح (٦/ ٢٤٧، ح١٣٣٣) و ابن إسحاق: ابن هشام (١/ ٤١١)، بإسناد صحيح لكنه مرسل، ويشهد له روايات البخاري وغيره، أحمد (٣/ ٤٠٠)، وانظر بقية التخريج عند محققي سيرة ابن هشام.

(٢) ابن هشام (١/ ٣٦٠-٣٦١)، وإسناده منقطع.

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٩) من طريق الواقدي، وزاد أن من أساء إلى النبي ﷺ أيضًا: عدي بن الحمراء وابن الأصداء، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٧)، من رواية الطبراني بإسنادين مرسلين، ورجال إحداهما رجال الصحيح، ورجال الآخر ثقات. وانظر السبل (٢/ ٤٤٣).

(٤) ابن إسحاق: السير والمغازي، ص١٧٢، وإسناده منقطع، فهو ضعيف.

(٥) ابن سعد: الطبقات (٣/ ٩) من رواية الواقدي، إذن فهو ضعيف جدًا.

قال سعيد بن زيد، قريبه وزوج أخته: «والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي وأخته على الإسلام قبل أن يسلم...»[١]. وفي رواية: «لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم...»[٢].

وروى ابن إسحاق[٣] أن ليلى - أم عبد الله - زوجة عامر بن ربيعة، قالت: «والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر - وهو على شركه - حتى وقف عليّ، وكنا نلقى منه البلاء، فقال: أتنطلقون يا أم عبد الله؟ قالت: نعم والله لنخرجن في أرض الله، فقد آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت لعامر: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا... قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم. فقال: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب»، وذلك لما كان يراه عامر من شدة عمر وغلظته على المسلمين.

وفي هذا الخبر دليل على نوازع الفطرة السليمة التي كانت تصطرع في نفسه مع غشاوات الجاهلية، إلى أن حانت ساعة جلاء هذه الغشاوة عن فطرته السليمة، فدخل في الإسلام، وتحولت شدته من شدة في الباطل إلى شدة في الحق.

وعندما شرح الله صدره للإسلام قال: «أي قريش أنقلُ للحديث؟» فقيل له: جَميل بن مَعْمَر الجُمَحيّ، فجاءه عمر فأخبره بإسلامه. فأسرع جميل إلى الكعبة، وصرخ في القوم بأعلى صوته، قائلاً: «ألا إن عمر صبأ»، وعمر خلفه يقول: «كذب، ولكن قد أسلمت...» ودخلوا معه في عراك طويل حتى أنقذه الله منهم بالعاص بن وائل السهمي[٤].

أما القصة المشهورة في سبب إسلامه والتي تقول إنه كان في طريقه إلى محمد ﷺ لينال منه، فلقيه رجل علم منه ما يريد فتعجب منه لأنه لا يعلم بإسلام أخته وزوجها. فغضب عمر وذهب إلى أخته وزوجها ووجد معهما خبّاباً... فضربها حتى سال الدم منها، ثم وجد معهم آيات من سورة طه، فقرأها بعد أن أمرته أخته

---

(١) روى ذلك أحمد في فضائل الصحابة (١/٢٧٨)، وصحح المحقق إسناده.

(٢) رواه البخاري: الفتح (١٥/٢٥، ح٣٨٦٧).

(٣) السير والمغازي، ص١٨١، وابن هشام (١/٤٢٣)، بإسناد حسن.

(٤) أحمد: فضائل الصحابة (٢/٢٨١-٢٨٢)، وحسن المحقق إسناده.

ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (١/٤٢٨-٤٢٩)، والسير والمغازي، ص١٨٤.

بالاغتسال إذا أراد مسَّها... ثم أسلم وذهب إلى الرسول ﷺ ليعلن إسلامه... ورد جوار خاله العاصي ليضرب ويُضرب كما هو حال المستضعفين من المسلمين إلى أن أعز الله الإسلام... هذه القصة لم ترد بإسناد صحيح مقبول عند المحدثين، وإن كان بعض أجزائها قد ورد بأسانيد حسنة. فقد ضعَّفها وصي الله[1]، وهمام، وأبو صعيليك[2]، وغيرهم.

لقد كان إسلام عمر استجابة من الله تعالى لدعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به، وهو: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»[3].

فقد أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب. وفي هذا روى البخاري[4] عن ابن مسعود أنه قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب».

ورويت آثار كثيرة في إعزازه الإسلام، دلت على دوره الكبير في نصرة الإسلام، من ذلك:

روى ابن إسحاق[5] عن عمر ﷺ، قال: «لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة، قال: قلت: أبو جهل، فأتيت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إليَّ، وقال: أهلاً وسهلاً، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ، وصدقت بما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به».

وروى ابن مسعود قال: «إن إسلام عمر كان فتحاً وإن هجرته كانت نصراً وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل

---

(١) انظر: حاشيته على فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٢) انظر: حاشيتيهما على سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٥)، والقصة رواها هنا ابن إسحاق بدون إسناد، واستفاضة ذكر هذه القصة عند أهل المغازي والسير دليل على أن لها أصلاً تاريخيًا فلا مانع من قبولها تاريخيًا.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٩٥) بإسناد حسن، انظر: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٣١).

(٤) الفتح (١٤/ ١٨٦، ح٣٦٨٤)، لقد كان إسلامه في سنة ست أو سبع من النبوة كما ذكر ابن حجر في شرحه لهذا الحديث.

(٥) ابن هشام (١/ ٤٣٠) وفي إسناده جهالة، وبقية رجاله ثقات.

قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه»[١].

وروي عن صهيب الرومي أنه قال: «لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، وردنا عليه بعض ما يأتي به»[٢].

وروي عن ابن عباس أنه قال: «لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا»[٣].

وروى ابن سعد[٤] من حديث محمد بن عبيد: «لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر، قاتلهم حتى تركونا نصلي».

وروي أن رسول الله ﷺ سماه الفاروق[٥]، أي الذي فرق بين الحق والباطل.

على الرغم من أن هذه الآثار لا تقبل بميزان المحدثين إلا أنه لا بأس من الاستئناس بها فيما لا يترتب عليه حكم شرعي أو لا يمس العقيدة.

ومما لا خلاف فيه أن إسلام عمر كان إعزازاً للإسلام، لقول الرسول ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب».

جـ - عظات وعبر وحكم من هذا المقطع:

١ - إن الرجال ذوي القوة والشكيمة في المجتمع الجاهلي يمكن أن يكونوا سنداً قوياً للدعوة الإسلامية إذا أسلموا... ولذا كان الرسول ﷺ حريصاً على إسلام رجال أمثال أبي جهل وعمر بن الخطاب، وقال إن خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا[٦]... فليحرص الدعاة دائماً على عدم إهمال دعوة

---

(١) ابن هشام (١/ ٤٢٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد ضعيف.

(٢) ابن سعد (٣/ ٢٦٩) من رواية الواقدي، فهو ضعيف جدّ.

(٣) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة (١/ ٢٤٨)، بإسناد ضعيف.

(٤) الطبقات (٣/ ٢٧٠)، وإسناده صحيح.

(٥) قال الذهبي في سيرته، ص١٧٩: «ويروي عن ابن عباس بإسناد ضعيف، قال: «سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق؟» فذكر قصته عند إسلامه وضربه أخته وختنه وذهابه إلى الرسول ﷺ في دار الأرقم، وفي نهاية الخبر قوله: فسماني رسول الله ﷺ «الفاروق»، وروى ابن سعد (٣/ ٢٧٠) بأسانيد ضعيفة أن الرسول ﷺ سماه الفاروق.

(٦) البخاري: الفتح (١٣/ ١٦١، ح٣٣٧٤).

الشخصيات القوية والمؤثرة في مجتمعاتها، لأن إسلام هذه الشخصيات سوف يزيل الكثير من التردد الذي يقع فيه من يأتمرون بأمرهم أو يقتدون بهم، كما هو واقع في كل زمان ومكان، وكما حكى عن ذلك القرآن، في مخاطبة الكفار الذين أضلهم الزعماء والسادة والكبراء: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨]. ولا تقتصر الدعوة على زعماء المشركين وأحابعهم، بل لا بد أن تتعدى إلى الزعامات المنحرفة عن الإسلام والتي تقود شعوبها أو أحزابها إلى غير طريق الإسلام في مجالات الحياة المختلفة.

٢ - إن في نهوض الرسول ﷺ للقاء عمر بن الخطاب عندما جاء إلى المسلمين في دار الأرقم، وأخذه بِحُجْزَتِهِ[1] أو بمجمع ردائه، ثم جبذه جبذة شديدة، ثم تهديده، إن في هذا مثالاً عالياً للشجاعة في موطن الشدة. وهو ما سنلمسه يتكرر في مواطن أخرى كثيرة، مثل موقفه يوم أحد ويوم حنين.

❑ المبحث الثامن والعشرون: ❑

أ - المقاطعة العامة:

لما رأت قريش أن عدد الداخلين في الإسلام ازداد، وأن وسائلها وأساليبها السابقة في محاربتهم وقمعهم لم تُجد شيئاً، خاصة بعد إسلام حمزة وعمر، أعادت النظر في تلك الأساليب والوسائل، ثم اتخذت أسلوباً آخر، أقسى وأشمل من الأساليب السابقة، وهو أسلوب المقاطعة العامة[2].

قال ابن إسحاق[3] وموسى بن عقبة[4] وعروة بن الزبير[5] وابن سعد[6] وغيرهم

---

(١) يعني معقد السراويل والإزار.

(٢) سبق القول: إن المقاطعة العامة كانت أسلوبًا من أساليب محاربة الإسلام، وهو الأسلوب الرابع عشر.

(٣) ابن هشام (١/ ٤٣٠) بدون إسناده، السير والمغازي، ص١٥٦-١٦٧، بدون إسناد.

(٤) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣٨)، وهي عند البيهقي في الدلائل (٢/ ٣١١) موقوفة على الزهري.

(٥) مغازي رسول الله لعروة بن الزبير، جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمي، ص١١٤-١١٦، بإسناد فيه ابن لهيعة وموقوف على عروة.

(٦) الطبقات (١/ ٢٠٨-٢١٠)، من طريق الواقدي.

من أصحاب المغازي إنه لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضاً أصابوا بها أمناً وأن عمر وحمزة أسلما، وأن الإسلام فشا في القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم[1] ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة، الذي دعا عليه الرسول ﷺ فشلت بعض أصابعه، ويقال النضر بن الحارث، وقيل طلحة بن أبي طلحة[2]. فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب. فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب، فكان مع قريش. وقيل كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً. وجزم موسى بن عقبة[3] بأنها كانت ثلاث سنين، حتى جهدوا، ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات، إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر من أشدهم في ذلك ضيقاً، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية والمُطْعِم بن عَدَي وزَمْعَة بن الأسود وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث. وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلات الأرحام.

روى ابن أبي شيبة[4]: «نادى منادي رسول الله ﷺ يوم بدر: ليس لأحد من القوم - يعني أماناً - إلا أبا البختري، فمن كان أسره فليخل سبيله، فإن رسول الله ﷺ

---

(١) الشِّعْب: الطريق في الجبل، ومسيل الماء في بطن الأرض، وكان مكان مكثي بني هاشم، وأصله لعبد المطلب.

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٢٧): «إن النساب من قريش يقولون: إنه بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد الدار. والقول الثاني: إنه منصور بن عبد شرحبيل بن هشام من بني عبد الدار أيضاً، وهو خلاف قول ابن إسحاق.

(٣) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣٨)، الذهبي: السيرة، ص٢٢١، وما بعدها، ابن سعد (١/ ٢٠٨-٢١٠)، وأسانيدهم ضعيفة.

(٤) المغازي، ص١٨٩، برقم ١٤٩، وسنده متصل ورجاله ثقات، وهو مرسل عن الحيزاي، كما قال المحقق، الدكتور عبدالعزيز العمري.

قد أمَّنه، فوجدوه قد قتل». قلت: وذلك للمعروف الذي أداه إلى المسلمين حين سعى مع غيره لنقض صحيفة المقاطعة الجائرة.

وذكر ابن هشام[١] أنهم وجدوا الأرَضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى. وأما ابن إسحاق[٢] وموسى بن عقبة[٣] وعروة[٤] فذكروا عكس ذلك. قالوا إن الأرضة لم تدع اسماً لله إلا أكلته، وبقي ما بها من الظلم والقطيعة. والمعنى المقصود عندهم جميعاً واحد، وهو أنهم أرادوا أن يقولوا أن اسم الله تعالى لا يجتمع مع عبارات الظلم والقطيعة.

قال السهيلي[٥]: «وفي الصحيح[٦]: أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخَبَط[٧] وورق السَّمُر، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص، روي أنه قال: لقد جعت حتى أني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وما أدري ما هو إلى الآن».

وفي رواية يونس[٨] أن سعداً قال: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرجت من الليل أبول، فإذا أنا أسمع قعقعة شيء تحت بولي، فنظرت فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فرضضتها بين حجرين، ثم استففتها، فشربت عليها الماء، فقويت عليها ثلاثاً».

وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعياله، فيقوم أبو لهب - عدو الله - فيقول: «يا معشر التجار: غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركوا معكم شيئاً، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار

---

(١) السيرة (٢/ ٢٠)، بإسناد ضعيف.

(٢) ابن هشام (٢/ ١٩)، السير والمغازي، ص١٦١ - بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٣) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣٨)، بإسناد ضعيف.

(٤) مغازي رسول الله ﷺ لعروة ص١١٦، وسنده موقوف على عروة، ولم يرد خبر أكل الأرضة للصحيفة بإسناد يحتج به: انظر: تحقيق همام وأبي صهيلك (٢/ ١٩)، فالأسانيد ضعيفة.

(٥) الروض الأنف (٢/ ١٢٧ - ١٢٨).

(٦) لم نقف على مكانه.

(٧) الخبط: ورق الحضاء من الطلح والسلم ونحوه، يخبط بالعصا فيتساقط. وكانت تعلفه الإبل.

(٨) المغازي والسير، ص١٩٤، بسنده إلى سعد، وقد أبهم أحد رواته، وقد أثبتنا هنا النص المطبوع، ويبدو أن السهيلي قد أخذ من غير هذا النص، فليقارن.

عليكم»، فيزيدون عنيهم في السلعة أضعافاً حتى يرجع إلى أطفاله، وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المؤمنون، ومن معهم جوعاً وعرياً... وهلك من المحاصرين من هلك كما قال ابن عباس[١].

وعلى الرغم من هذه المقاطعة وما جرى للمسلمين وراءها من معاناة إلا أن الرسول ﷺ لم يتوقف عن الدعوة، فقد كان يخرج في المواسم، ويلتقي القادمين على مكة، ويعرض عليهم الإسلام، ويعرض ذلك على كل من يتصل به من قومه[٢].

ولما أفسد الله الصحيفة، خرج رسول الله ﷺ ورهطه وصحابته وخالطوا الناس[٣].

لم يرد ذكر هذه المقاطعة بتفصيل في الصحاح، إذ وردت الإشارة إليها عند البخاري[٤] مختصرة جداً. فقد روى من حديث أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري أن الرسول ﷺ قال حين أراد حنيناً: «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف[٥] بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».

ويروي البخاري[٦] رواية أخرى من حديث أبي هريرة من طريق شعيب عن الزهري أنه قال حين أراد قدوم مكة: «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».

وروى من طريق ثالثة، من طريق الأوزاعي عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال: «من الغد يوم النحر (وهو بمنى) نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على

---

(١) ذكر ذلك أبو نعيم في دلائله (١/ ٢٧٩) بإسناد منقطع، والمنقطع ضعيف... كما علمت.

(٢) ابن هشام (١/ ٤٣٤)، بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٣) مغازي عروة، ص١٦٧، سيرة الذهبي، ص٢١٤، وعزاه إلى موسى بن عقبة، والأسانيد ضعيفة، والمعنى صحيح، والرواة من الأئمة الثقات، كما تعلم.

(٤) الفتح (١٥/ ٣٨، ح٣٨٨٢).

(٥) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف في منى.. وفيه أقوال أخرى. وأشهر الأخياف: خيف منى ومسجده، مسجد الخيف. قالوا: وهو خيف بني كنانة... انظر: محمد محمد حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، مادة خيف، ص١١٠.

(٦) الفتح (٧/ ٢٤٢، ح١٥٨٩).

الكفر» -يعني بذلك المحصب، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ -[١]...».

قال ابن حجر[٢] إنه لا تعارض بين الروايتين الأوليين، لأنه يحمل على أنه قال ذلك حين أراد دخول مكة في غزوة الفتح، وفي ذلك القدوم غزا حنيناً.

أما الرواية الثالثة، فقال عنها: «فظاهر أنه قال ذلك في حجة الوداع، فيحمل قوله في رواية الأوزاعي حين أراد قدوم مكة، أي صادراً من منى إليها لطواف الوداع، ويحتمل التعدد».

وروى مسلم[٣] من حديث عبد الرزاق عن أسامة بن زيد أنه قال للرسول ﷺ في حجة الوداع عندما دنوا من مكة: «يا رسول الله أين تنزل غداً؟»، فقال: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟»، وفي رواية أخرى: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟».

وهذه الرواية تدل على أنه لم ينزل في داره، ولا يتعارض مع روايات البخاري في أنه نزل بشعب أبي طالب.

ب - عظات وعبر من هذا المقطع:

إضافة إلى ما ذكرته عند الكلام عن العظات والعبر المستفادة من أساليب المشركين فإنني أضيف إلى ذلك هنا:

١ - لا يخلو زمان ولا مكان من أهل المروءة، وعلى الدعاة أن يسعوا دائماً إلى الاهتمام بمن يتوسم فيهم هذه الخصلة للاستفادة منهم في أوقات الشدائد والمحن.

٢ - إن أعداء الله في كل زمان ومكان يلجؤون إلى استخدام سلاح محاربة الدعاة في أرزاقهم ليستكينوا ويرجعوا عما يدعون إليه. وهو أسلوب يتفق عليه المشركون والمنافقون. ولو كان المسلمون الأوائل موظفين أو مستخدمين في دولة تخالفهم فيما يدعون إليه، لملجأت تلك الدولة إلى فصلهم من أعمالهم كوسيلة من وسائل الحرب التي تتخذها ضدهم.

---

(١) الفتح (٧/ ٢٤٢، ح١٥٩٠)، وما بين المعكوفين مدرج من الحديث من قول الزهري كما نبه إلى ذلك الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث.

(٢) الفتح (١٥/ ٣٩).

(٣) الصحيح (٢/ ٩٨٤، ح١٣٥١).

ولكن الوسيلة المتاحة في ذلك الوقت في هذا الميدان كانت المقاطعة بتلك الكيفية التي وقفنا عليها. وعلى الدعاة أن يعوا هذه الحقيقة بأبعادها المختلفة.

٣ - إن ما أصاب الرسول ﷺ من ابتلاءات عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب.

٤ - لا تكاد تخلو جاهلية من الجاهليات القديمة أو الحديثة من قيم يمكن الاستفادة منها، فقد ضحى بنو هاشم تضحيات كبيرة في سبيل قيمهم الجاهلية الخاصة بحماية القريب، واستفاد الإسلام من هذه التضحيات. وإذا وجدت قيم في مجتمعاتنا المعاصرة، مثل قوانين حقوق الإنسان أو اللجوء السياسي أو الحرية الفكرية، فلا ضير في الاستفادة منها كما استفاد المسلمون الأوائل من مؤازرة بني هاشم لهم في حصار الشعب، وأعراف الحماية (اللجوء السياسي).

□ المبحث التاسع والعشرون: □

أ - وفاة أبي طالب:

مات أبو طالب سنة عشر من المبعث، بعد الخروج من الشعب بزمن يسير[١]. وقيل توفي في رمضان، قبل خديجة ﷺ بثلاثة أيام[٢]، وقبل الهجرة بثلاث سنين[٣]. وقيل كان بين وفاته ووفاة خديجة شهر وخمسة أيام[٤].

وقد ثبت في الصحيح أنه مات كافراً على الرغم من حمايته للرسول ﷺ طوال حياته. فقد روى البخاري[٥] ومسلم[٦] عن ابن المسيب أن الرسول ﷺ دخل على أبي طالب عندما حضرته الوفاة، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال له النبي ﷺ: «يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: «يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟».

---

(١) ابن سعد (٨/ ١٨) من رواية الواقدي. فهي ضعيفة جدًا.

(٢) انظر: سيرة الذهبي، ص٢٣٧، عن الحاكم وأنساب الأشراف (١/ ٤٠٦).

(٣) ابن سعد (٨/ ١٨)، من طريق الواقدي، سيرة ابن هشام (٢/ ٦٦) بدون إسناد.

(٤) ابن سعد (١/ ٢١١) من طريق الواقدي. وهو متروك، كما تعلم.

(٥) الفتح (١٥/ ٤١، ح٣٨٨٤).

(٦) (١/ ٥٤، ح٢٤).

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة؛ حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآيتين، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وروى مسلم[١] أيضاً بسنده إلى أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمّه: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: «لولا أن تعيرني قريش، يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك». فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وروى مسلم[٢] وعبد بن حميد[٣] وأحمد[٤]، من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وفي رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه». واللفظ لابن حميد. ومن ألفاظ مسلم: «... وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»، وفي رواية له: «... وهو منتعل نعلين من نار يغلي منهما دماغه».

أما الروايات التي تدل على أن أبا طالب قد نطق بكلمة الإسلام عند موته فلم يصح منها شيء[٥]. وما في الصحيح صريح على وفاته كافراً، فلا يعارض[٦].

ب - الحكمة من وفاة أبي طالب قبل قيام الدولة الإسلامية:

١ - سبق القول إن موت أبي طالب كافراً كان لحكمة يعلمها الله تعالى[٧].

---

(١) الصحيح (١/ ٥٥، ح٢٤).

(٢) صحيحه (١/ ١٩٦، ح٣٦٢).

(٣) المنتخب، ص٢٣٥.

(٤) المسند ((١/ ٢٩٠، ح٢٦٣٦).

(٥) من ذلك رواية ابن إسحاق في أن العباس رأى أبا طالب يحرك شفتيه فأصغى إليه وسمعه يقول ما أمره به الرسول ﷺ، ففي سند ابن إسحاق من لم يسم؛ انظر: السير والمغازي، ص٢٣٨. وعن غير هذه الرواية انظر: رد ابن حجر في الفتح (١٥/ ٤١)، وفي الإصابة (٤/ ١١٦-١١٩) على من قال من الرافضة بإسلامه. ورد الذهبي في السيرة، ص٢٣٢-٢٣٦.

(٦) انظر مثلاً: مسلم (١/ ١٩٦، ح٣٦٢)، أحمد: المسند (٤/ ٢٢٢، شاكر).

(٧) انظر: عنوان «موقف المشركين من الدعوة» الأسلوب الأول.

٢ - لقد شاء الله ﷻ أن لا يسلم أبو طالب، ويموت قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، حتى لا يتوهم أحد أن له مدخلاً في دعوة الرسول ﷺ، أو يظن أن المسألة قبيلة أو أسرة وزعامة ومنصب[١]. وربما هناك حكم يعلمها الله ولم نتوصل إليها.

فائدة:

يروى أن أبا لهب حمى الرسول ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب ونال من أبي العَيْطَلة عندما سب رسول الله ﷺ، واحتالت قريش عليه ليرفع حمايته عن الرسول ﷺ فأرسلت عقبة بن أبي معيط وأبا جهل إلى أبي لهب ليسأل الرسول ﷺ عن عبد المطلب، فقال له الرسول ﷺ: «مع قومه»، فخرج إليهما أبو لهب وقال: «قد سألته، فقال: مع قومه، فقالا: يزعم أنه في النار فقال: يا محمد! أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار، فقال أبو لهب: والله لا برحت لك إلا عدواً أبداً، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار»، واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه[٢].

انظر كيف كان ﷺ صريحاً، لا يجامل ولا يميّع قضية الإسلام مهما كانت النتائج.

□ المبحث الثلاثون: وفاة خديجة: □

تباينت الروايات حول تاريخ وفاتها، فقيل: بعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين، أو شهر وخمسة أيام، أو بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك. وقيل: إن ذلك كان في رمضان من السنة العاشرة من المبعث وقبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وهو المشهور[٣].

وعندما مات أبو طالب وخديجة في عام واحد وبينهما مدة يسيرة، تتابعت

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة، مرجع سبق ذكره، ص٥١ .

(٢) ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ١٤٧-١٤٨)، وعزاه إلى ابن الجوزي، ولم يسقه بكامل الإسناد حتى يتم الحكم على إسناده، وكل ما يمكن قوله الآن هو أنه لو كان صحيحًا لقطع طريق الخلاف الدائر بين الفقهاء حول حكم أهل الفترة.

(٣) انظر: المبحث السابق (وفاة أبي طالب)، وانظر الدكتور قلعه جي: حاشية دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٥٣)، حيث ذكر معظم الأقوال في هذا الأمر.

المصائب. فقد كان أبو طالب درعاً حصيناً للنبي ﷺ، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، يسكن إليها عند الشدائد[١]. وقد وردت آثار كثيرة تدل على فضلها ومكانتها عند الله ورسوله[٢].

ومما يروى في ذلك أنه لما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياته، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً[٣]، ودخل على بيته وعلى رأسه التراب، فغسلته عنه إحدى بناته وهي تبكي، والرسول ﷺ يقول لها: «لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك»، ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[٤]. وقد سبق القول إلى أنهم تجرؤوا على وضع سلا الجزور بين كتفيه وهو ساجد[٥].

ولتوالي مثل هذه الآلام في هذا العام، فقد سماه بعض المؤرخين عام الحزن[٦]، ولم يرو أن النبي ﷺ سماه بهذا الاسم[٧]، كما ذكر السيوطي وغيره.

ونميل إلى أن سبب حزنه هو لشدة ما كابد في هذا العام من الشدائد في سبيل الدعوة، وتضييق قريش الخناق عليه في محاولة منهم لإغلاق أبواب الدعوة في وجهه.

□ المبحث الحادي والثلاثون: زواجه من سودة رضي الله عنها □

وعلى الرغم من ظروف المحن والشدائد التي كان يعيشها الرسول ﷺ في هذه الفترة إلا أنه لم يألو جهداً في مواساة أصحابه في مصائبهم.

---

(١) السير والمغازي لابن إسحاق، ص٢٤٣، بدون إسناد، ابن هشام (٢/ ٦٦) بدون إسناد.

(٢) سبق إيراد بعض هذه الآثار عند الكلام عن زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها. وللمزيد انظر: السير والمغازي ص٢٤٣-٢٤٤، فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٠-٨٥٦).

(٣) ذكر ذلك ابن إسحاق بدون إسناد، ابن هشام (٢/ ٦٦)، فهو ضعيف.

(٤) ابن هشام (٢/ ٦٧)، بإسناد حسن ولكنه مرسل.

(٥) انظر: الأسلوب الثاني عشر: الاعتداء الجسدي.

(٦) تابعهم في هذا الدكتور البوطي في «فقه السيرة»، والشيخ المباركفوري في الرحيق، ص١٣٣. وقد اعترض الشيخ الألباني في «دفاع»، ص١٨، على هذه التسمية، التي جاءت في حديث رواه القسطلاني في المواهب، ومن رواته صاعد، وهو غير ثقة.

(٧) انظر: الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص٨.

ففي شوال من السنة العاشرة لمبعثه تزوج سودة بنت زمعة ﵂. لقد كانت سودة من أوائل المسلمين، وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو ﵁، فتوفي عنها، وتقديراً لها تزوجها الرسول ﷺ. وسيأتي ذكر حكمة هذا الزواج عند الكلام عن أمهات المؤمنين.

□ المبحث الثاني والثلاثون: □

أ - هجرته إلى الطائف:

لما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه الإسلام[١].

روى ابن حبيب في المحبر[٢] أنه خرج إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر وثمانية أيام. وعند مغلطاي[٣] بثلاثة أشهر، في ليالٍ بقين من شوال سنة عشر من البعثة، ومعه زيد بن حارثة، كما روى ابن سعد[٤].

وروى ابن إسحاق[٥] أن الرسول ﷺ عندما ذهب إلى الطائف التقى سادة ثقيف

---

(١) انظر: ابن هشام (٢/ ٦٩)، بدون إسناد، أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٤٣)، بإسناد جيد.

(٢) ص١١ و طبعة دار الآفاق، بيروت، د.ت، وطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م.

(٣) الإشارة، ص١٣٣ .

(٤) الطبقات (١/ ٢١١)، من رواية شيخه الواقدي، المتروك في الحديث.

(٥) ابن هشام (٢/ ٧٠-٧٢)، وإسناده حسن مرسل، ولم يسند الدعاء وما بعده، ورواه ابن سعد مختصراً، وفي إسناده الواقدي، وفيه بعض الاختلافات، مثل ذكره أنه كان معه زيد بن حارثة، ولم يذكر الدعاء، ورواه البيهقي في دلائله (٣/ ٤١٤-٤١٧) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري، وهو مرسل عن الزهري، ولم يذكر الدعاء، ورواه الإمام أحمد (٤/ ٣٣٥) وفيه الدعاء. وأورد السيوطي الدعاء في الجامع الصغير وعزاه للطبراني ورمز له بالحسن. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص١٣٢، وفي «دفاع» ص١٩: «وروى هذه القصة الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٥)، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، فالحديث ضعيف لعنعنة ابن إسحاق. وقال الصوياني في السيرة النبوية الصحيحة، ص١٥٨: إن حديث ابن إسحاق يتقوى بالشواهد، وذكرها؛ وكذلك قواه إبراهيم العلي في صحيح السيرة، ص٩٨، على طريقة الصوياني. وفي رواية ابن إسحاق أنه ذهب لوحده إلى الطائف.

يومذاك، أبناء عمرو بن عُمَيْر الثلاثة: عَبْدُ يالَيْل بن كُلال ومسعود وحبيب، وعرض عليهم الإسلام، فلم يقبلوه منه، وسخروا منه، وعندما يئس من خير في ثقيف طلب منهم أن يكتموا عنه ما دار بينهم حتى لا يثيروا عليه الناس. ولكنهم لم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا في سبِّه والصياح به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف، وجلس في ظل شجرة عنب، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء الطائف.

فلما اطمأن في جلوسه، قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وَصَلَحَ عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنْزِلَ بي غَضَبك، أو يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لك العُتْبَىٰ حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعندما رآه ابنا ربيعة على هذه الحال، تحركت فيهما عاطفة الرحم، فأمرا غلاماً نصرانياً يدعى عَدَّاساً[1] أن يقدم له عنباً. وتعجب عداس من قول الرسول ﷺ: «بسم الله» قبل أن يأكل. وزال عجبه عندما أعلمه الرسول ﷺ بأنه نبي، فأخذ يقبل رأس النبي ﷺ ويديه وقدميه. وحاول ابنا ربيعة أن يصداه عن النبي ﷺ قائلين له: «لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه».

وفي رواية موسى بن عقبة[2]: أن سفهاء الطائف قعدوا للرسول ﷺ صفَّين على طريقه، فلما مرَّ بين صفَّيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، وكانوا أعلُوها، حتى أدموا رجليه. وكان ذلك من أشد ما لقي الرسول ﷺ في جهاده.

وعندما لاقى الرسول ﷺ ما لاقى من الابتلاء والشدة في الطائف، عاد إلى مكة مهموماً. وعندما بلغ قرن الثعالب - قرن المنازل - بعث الله إليه جبريل، ومعه ملك

---

(١) انظر ترجمته في: الإصابة (٢/ ٤٦٦-٤٦٧، برقم ٥٤٦٨).

(٢) نقلها عنه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٤)، وهو مرسل لأنه موقوف على الزهري، وفي إسناده محمد بن فليح، وهو صدوق يهم كما ذكر ابن حجر: تقريب التهذيب، ص٥٠٢ .

الجبال، وجعله رهن إشارته، إذا أراد أن يطبق الأخشبين[١] على أهل الطائف، وكان ذلك دعماً معنوياً كبيراً له.

وكانت إقامته بالطائف عشرة أيام، كما روى ابن سعد[٢]. وذكر مغلطاي[٣] أن إقامته كانت شهراً. ولم نقف على رواية تذكر كيفية قضاء تلك الأيام.

وروى البخاري[٤] ومسلم[٥] في هذا أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟» قال: «لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلَال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثَعَالِب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا بجبريل، فناداني، فقال: «إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: «يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً».

وجاءه دعم معنوي آخر قبل أن يصل مكة. ألا وهو إيمان بعض الجن برسالته. ففي وادي نخلة، قرب مكة، أقام الرسول ﷺ أياماً. وخلال هذه الإقامة بعث الله إليه نفراً من الجن، استمعوا إلى القرآن، فآمنوا به. وقد ذكر الله ذلك في سورتي الأحقاف والجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ

---

(١) هما جبلا مكة: أبو قُبَيس والذي يقابله وهو قُعيقعان، وقيل: الأحمر وجبلا منى، انظر: حاشية البداية (٢/ ١٥٠) والمعالم الأثيرة للشرّاب.

(٢) الطبقات (١/ ٢١٢)، من رواية شيخه الواقدي. والرواية غريبة مثل التي بعدها.

(٣) الإشارة، ص١٣٣. قلت: في هذا نظر، خاصة من جهة اللامنطقية!!

(٤) الفتح (١٣/ ٣٧-٣٨، ح٣٢٣١).

(٥) مسلم (٣/ ١٤٢٠، ح١٧٩٥).

فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١-٤١٥].

وقد ثبت خبر قدوم الجن على الرسول ﷺ في الصحيح[١] أيضاً. وذكر ابن حجر[٢]، أدلة تؤيد ما ذهب إليه ابن إسحاق[٣] وابن سعد[٤]، في أن ذلك كان عندما رجع الرسول ﷺ من الطائف.

لقد شد الله أزر نبيه بهاتين الحادثتين، فقام نشطاً في الدعوة إلى الله غير آبه بما يواجهه من أساليب الخصوم. فعندما عزم على دخول مكة في عودته من الطائف قال له زيد: «كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك؟» فقال: «يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه».

وأرسل في طلب جوار الأخنس بن شَرِيق، فَجَبُنَ، وتعلل بأنه حليف، والحليف لا يجير كما يقول. وطلب جوار سهيل بن عمرو فرفض بحجة أن بني عمرو لا تجير على بني كعب. وأخيراً أرسل في طلب جوار المطعم بن عدي، فاستجاب لذلك، وتهيأ هو وبنوه لحماية الرسول ﷺ[٥].

وقال حسان بن ثابت في رثائه له، يشيد بهذا الموقف النبيل:

«أَجَرْتَ رسولَ اللهِ منهم فأصبحوا ... عَبِيدَكَ ما لَبَّى مُهِلٌّ وأَحْرَمَا
فلَو سُبِيَتْ عنه مَعَدٌّ بأَسْرِهَا ... وقحطانُ أو باقي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا
لقالوا هو المُوفِي بخفْرة جارِه ... وذِمَّتِهِ يوماً إذا ما تَذَمَّمَا»[٦]

وحفظ رسول الله ﷺ للمطعم بن عدي هذا الصنيع، ومن قبله صنيعه في نقض

---

(١) رواها البخاري: الفتح (١٨/ ٣١٤، ح٤٩٢١، ومسلم (١/ ٣٣١، ح٤٤٩).

(٢) الفتح (١٨/ ٣١٥ وما بعدها)، وله مناقشة طويلة للأخبار الواردة في قصة لقاء الجن بالرسول ﷺ.

(٣) ابن هشام (٢/ ٧٣)، وإسناده مرسل حسن من حديث محمد بن كعب القرظي.

(٤) الطبقات (١/ ٢١١-٢١٢)، من رواية الواقدي، وعنده أن ذلك كان في ليال من شوال، سنة عشر من حين نهى رسول الله..

(٥) انظر: ابن هشام (٢/ ٢٤) من روايته، بدون إسناده، وقد ثبتت هذه الإجارة من حديث الفاكهي، بالحاشية التالية. وحلفاء الأخنس هم بنو زهرة.

(٦) انظر: ابن هشام (٢/ ٢٣-٢٤) من رواية ابن إسحاق معلقاً، والخفرة العهد.
وتذمم: أي طلب الذمة والعهد والجوار. قاله ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٩٤، ٠) وذكر الفاكهي، بإسناد حسن، أن حسان بن ثابت رثى المطعم بن عدي لما مات مجازاة له على ما صنع للنبي ﷺ.

صحيفة المقاطعة، فقال يوم أسرى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»[١].

لم يقيد هذا الجوار حركة الرسول ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى الإسلام. فعندما هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة، خرج أبو بكر ﷺ فيمن خرج مهاجراً إليها، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد، لقيه ابنُ الدُّغُنَّة - سيد القارة، [وعند ابن إسحاق - سيد الأحابيش -] فرده إلى مكة، وأدخله في جِوَارِه، قائلاً له: «مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ...» واشترطت عليه قريش أن يأمر أبا بكر فيعبد الله في داخل داره، ففعل أبو بكر ما طلب منه. وبنى مسجداً في فناء داره ليصلي فيه. فكان إذا صلى وقرأ القرآن وقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه، لأنه كان يبكي، وهو يقرأ القرآن. فأفزع ذلك قريشاً خشية إيمان الناس بالقرآن، فطلبوا من ابن الدَّغِنَة أن يطلب من أبي بكر عبادة ربه في داخل داره من حيث لا يسمعه أحد، وليس في فناء الدار حيث يسمعه الناس. وجاءه ابن الدغنة وقال له: «فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد ذمتي...» فرد عليه أبو بكر قائلاً: «فإني أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله»[٢].

وهذا الموقف يشبه موقف عمر بن الخطاب ﷺ عندما رد جوار خاله العاص، رغبة منه أن يكون في جوار الله ورسوله كسائر المستضعفين ممن يترفع الكفار عن إجارتهم[٣].

ب - عظات وعبر:

١ - إن اختيار الرسول ﷺ الثلاثة الذين كانوا سادة ثقيف يومذاك لدليل على أهمية دعوة الزعماء الذين ينساق وراءهم الناس، وعندما رفضوا دعوته علم أن

---

(١) رواه البخاري: الفتح (١٢/ ٢٢٦-٢٢٧، ح٣١٣٩)، قال ابن حجر في شرح هذا الحديث (١٥/ ١٩٤): «وأن المراد باليد المذكورة ما وقع منه حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي». والنتنى: العفنين.

(٢) انظر: الخبر بتمامه من رواية: البخاري: الفتح (١٥/ ٨٤، ح٣٩٠٥)، (٥/ ٣٨٤-٣٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٧١-٤٧٣) وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ١٤-١٥)، وابن إسحاق: السير والمغازي، ص٢٣٥). [الدُّغُنَّة أو: الدَّغِنَة].

(٣) انظر الكلام في المبحث الخاص بإسلام عمر ﷺ.

غيرهم سيرفضها، فلذا لم يستغرق مقامه بالطائف وقتاً طويلاً.

٢ - إن صبر الرسول ﷺ على معارضيه قد بلغ حداً عظيماً. فعلى الرغم مما واجهه به أهل الطائف من سوء في المعاملة إلا أنه لم يطلب من الله تعالى عقابهم، بل دعا الله ﷻ أن يهديهم، فاستجاب الله لدعائه، وذلك بدليل قدوم ثقيف عليه مسلمة بعد حصار الطائف ورجوعه إلى المدينة.

٣ - إن لقاء بعض الجن بالرسول ﷺ بنخلة وإيمانهم به فيه عظة وعبرة للبشر الذين لا يؤمنون بالله وبرسالة محمد ﷺ.

٤ - لقد كان إيمان الجن برسول الله ﷺ بعد أن ناله ما ناله على أيدي ثقيف تسلية من الله له أنسته آلامه، وأكدت له أن الله تعالى لن يتركه. فإن تخلى عنه أهل الأرض إلى حين ففي العوالم الأخرى من الجن والملائكة من يشد أزره ويؤمن به، وأن الله الذي حول الجن إلى مؤمنين ودعاة إلى هذا الدين الجديد، لقادر على تحويل عتاة كفار قريش وثقيف إلى مؤمنين ودعاة بعد حين. وقد كان ذلك كذلك[1].

٥ - إن من مآثر الجاهلية ذلك العرف الذي كانوا يحترمونه، ألا وهو الجوار، وهو ما يعد من مآثر كثير من الدول الحديثة، ويعرف بـ«حق اللجوء السياسي»، بمصطلح «الدبلوماسية» الحديثة. وهو ما يمكن أن يستفيد منه الدعاة لتبليغ دعوتهم إلى الناس.

٦ - إن إسلام عداس دليل على أن الرسول ﷺ لم يرجع من الطائف من دون نتائج إيجابية، بل رجع بما هو خير من حُمُرِ النَّعَم، فقد هدى الله عداساً على يديه[2]، والرسول ﷺ يقول: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم»[3].

---

(١) انظر: الدكتور محمد رواس قلعه جي: قراءة جديدة للسيرة النبوية، ص٩٩.

(٢) انظر: الإصابة (٢/ ٤٦٦-٤٦٧) وقد ساق ابن حجر هنا روايات كأدلة على أنه آمن بالرسول ﷺ وهي: رواية ابن إسحاق المذكورة في أول هذا المبحث، وإسنادها حسن مرسل كما قلنا، ورواية سليمان التيمي في السيرة، وهي بدون إسناد، وروايات أخرى فيها مقال: إما من ناحية السند أو المتن، وروى البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٥-٤١٧) قصة إيمان عداس بالنبي ﷺ من مرسل الزهري، وفيه محمد بن فليح وهو صدوق يهم. وهذه الروايات بمجموعها تتقوى وتدل على أن لإسلام عداس أصلاً.

(٣) حديث صحيح، يأتي ذكره في أبحاث أحداث غزوة خيبر.

٧ - إن في قصة هجرته إلى الطائف وما لاقاه من أذى من سفهاء ثقيف لعظة وعبرة للدعاة الذين يتأسون بسيرة الرسول ﷺ، فإذا كان الرسول ﷺ لقي ما لقي من المشاق في سبيل إقامة الدين، فمن باب أولى أن يلقى الدعاة أشد من ذلك، فعليهم أن يتهيؤوا لذلك، لأنه طريق الأنبياء والصالحين، ولأن حكمة الله اقتضت أن لا ينتصر هذا الدين بدون عمل وجهد البشر.

□ المبحث الثالث والثلاثون: الإسراء[١] والمعراج[٢]: □

تأتي هذه المعجزة تكريماً وتثبيتاً للرسول ﷺ بعد وفاة عمه الذي كان يحميه وزوجته التي كانت تواسيه، وبعدما أصابه في الطائف ومكة ما أصابه من الأذى. فهي بعد العام العاشر من البعثة كما تدل على ذلك مجريات الأحداث، ولكن اختلف في تحديد زمانها بعد العام العاشر[٣].

بعد دراسة الآثار الواردة في تحديد الشهر واليوم الذي حدث فيه الإسراء والمعراج، خلص الشيخ طرهوني[٤] إلى أنه يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول.

لقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري[٥] وعروة بن الزبير[٦]، أن الإسراء إلى بيت

---

(١) يقصد به الرحلة المعجزة التي بدأت من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس.

(٢) يقصد به الرحلة المعجزة التي بدأت من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى.

(٣) انظر الأقوال المختلفة في ذلك عند ابن كثير: البداية (٣/ ١١٩).

(٤) صحيح السيرة النبوية (١/ ٢٧٤، حاشية ١١٨، ٣٩٨). وعن اختلاف العلماء حول الشهر واليوم، انظر: الشامي: السبل (٣/ ٩٥-٩٦).

(٥) مغازي عروة، ص١٢٠، وأسانيده مرسلة. وقد اخترنا رواية الزهري من طريق موسى بن عقبة، ورواية عروة لقول ابن معين: «كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب» ابن حجر: تهذيب (١٠/ ٣٦٢) ط١، الهند ١٣٢٥-١٣٢٧هـ، وقول الإمام أحمد: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة» الذهبي: تذكرة الحفاظ (١/ ١٤٨) ط٣، الهند ١٩٥٥م، وقول الإمام مالك: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة» وقوله: «عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي»، النووي: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١١٨)، ويكفيه أنه من رجال البخاري ومسلم. وانظر: حاشية الدكتور الأعظمي على مغازي عروة.

(٦) المرجع نفسه.

المقدس كان قبل خروج النبي ﷺ إلى المدينة بسنة. ومما لا جدال فيه أن الإسراء والمعراج ثابت بالقرآن والسنة.

فقد أشار القرآن الكريم إلى الإسراء والمعراج في سورتي الإسراء والنجم. ففي السورة الأولى ذكر قصة الإسراء وحكمته، في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

وذكر في السورة الثانية قصة المعراج وثمرته، في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٣-١٨].

إن من أكثر أحداث السيرة بمكة مرويات هي هذه الحادثة، فمجموع رواياتها عند البخاري عشرون رواية، عن ستة من الصحابة ﷺ[1]. وعند مسلم نحواً من ثماني عشرة رواية، عن سبعة من الصحابة ﷺ[2].

ولا توجد رواية واحدة تجمع ما ورد من أحداث خلال هذه الرحلة، وإنما هناك روايات أشارت كل واحدة منها إلى بعض الأحداث.

ومن خلال مجموع الروايات التي وردت عند البخاري ومسلم وغيرهما يمكن تلخيص مضمون تلك الروايات.

شق الصدر:

بعد صلاة العشاء من تلك الليلة المباركة نزل جبريل ﷺ وفرج عن سقف بيت الرسول ﷺ بمكة، وشق صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ

---

(١) انظر: عرجون: محمد رسول الله ﷺ (٢/ ٣٥٧).

(٢) المرجع نفسه، (٢/ ٣٥٩): قال الشامي في السبل (٣/ ١١٣): «اعلم رحمني الله وإياك أن في حديث كل من الصحابة السابق ذكرهم في الباب السابع ما ليس في الآخر، فاستخرت الله تعالى وأدخلت حديث بعضهم في بعض ورتبت القصة على نسق واحد لتكون أحلى في الآذان الواعيات، ولينم التمع بها في جميع الحالات»، فانظر سياقه للقصة بهذه الكيفية التي ذكرها في الباب الثامن (٣/ ١١٣-١٣٥) والتنبيهات على بعض فوائد تتعلق بقصة المعراج وشرح مشكلها في الباب التاسع (٣/ ١٢٦-٢٤٢) وعددها (١١١) تنبيها. وتناول في الباب العاشر صلاة جبريل ﷺ بالنبي ﷺ ليلة الإسراء وكيف فرضت الصلاة.

حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره، ثم أطبقه ثم أخذ بيده فعرج به[١].

الإسراء:

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته، فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فأتاني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي...»[٢] وفي رواية أخرى أنه صلى بالأنبياء قبل المعراج، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ﷺ فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة[٣].

المعراج:

ثم عرج به إلى السماوات، وفي كل سماء يستفتح جبريل، ثم يسأل، ومن معك؟ فيقول: «محمد» فيرحب به. فرأى في السماء الدنيا آدم، وفي الثانية عيسى ويحيى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة، موسى، وفي السابعة إبراهيم، مسنداً إلى البيت المعمور، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة، وفي طريق عودته من معراجه، انتهى إلى موسى، فسأله موسى: «ما فرض ربك على أمتك؟» فأخبره، فطلب منه موسى أن يرجع إلى ربه فيسأله التخفيف، ففعل وخفف الله عنه خمس صلوات. ثم ما زال صاعداً ونازلاً بين ربه وموسى، وفي كل مرة يطلب منه موسى أن يرجع لربه ليخفف منه، حتى خففها الله، فأصبحت خمس صلوات بأجر خمسين صلاة. وعندما طلب منه موسى الرجوع بعد هذا، قال: «قد سألت ربي حتى

---

(١) انظر: البخاري: الفتح (١٧/ ٢٨٤، ح٤٧٠٩، ٤٧١٠) و(١٥-٤٣-٧٠، ح٣٨٨٦، ٣٨٨٨) و(١٨/ ٢٤١، ح٤٨٥٦، ٤٨٥٨)، ومسلم (١/ ١٤٨، ح١٦٣). و(١/ ١٥١، ح١٦٤)، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٣٨٦-٣٨٧).

(٢) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٥١-٢٥٢) وإسناده صحيح، والبخاري: الفتح (٢١/ ١٧٦، ح٥٥٧٦)، ومسلم (١/ ١٤٥، ح١٦٢)، وانظر: البخاري: الفتح (٢١/ ١٧٦، ح٥٦١٠).

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨٨)، وقال الدكتور قلعه جي في الحاشية (٢/ ٣٨٧): «تضافرت الروايات على أنه ﷺ صلى بالأنبياء قبل العروج، قال ابن حجر: اوهو الأظهر»، وقال: «أثبت الصلاة في بيت المقدس الجمهور من الصحابة»، وانظر أحاديث هذا الباب عند الإمام أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٤٤-٢٦٤)، أبواب قصة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ.

استحيت» فنادى مناد: «قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»[١].

وفي رواية أنس عن أبي ذر، قال بعد ذكر السماوات: «ثم عرج بي حتى ظهرت في مستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ثم ذكر فرض الصلاة، وقال: «ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»[٢].

وتناول النووي[٣] قضية رؤية محمد ﷺ الله ﷻ في المعراج واختلاف العلماء في ذلك، ثم رجح أن الرسول ﷺ رأى ربه، استناداً إلى حديث ابن عباس ﷺ في هذا، الذي قال فيه: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين». قلت: وهذا الشاهد يؤيد من يقول بعدم الرؤية.

العودة:

يتبين من الروايات أن طريق العودة كان من السماوات العلا إلى بيت المقدس ثم إلى مكة. فقد روى الترمذي عن شَداد بن أوس: «... ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيراً لهم، قد جَمَعَهُ فلان، فسلمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة»[٤].

كانت وسيلة الإسراء البراق، بينما في المعراج استعملت الروايات الفعل المبني للمجهول «عُرِجَ»، فلم تبين الوسيلة، وفي بعضها: «نصب لي المعراج»، قال ابن كثير[٥]: «وهو السُّلَّم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما توهمه البعض».

---

(١) البخاري: الفتح (١٣/ ٢٤، ح٣٢٠٧)، مسلم (١/ ١٤٩، ح١٦٣)، أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٤٧-٢٤٨) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة، وإسناده صحيح، والنسائي (١/ ٢١٧).

(٢) البخاري: الفتح (٣/ ٩، ح٣٤٩)، مسلم (١/ ١٤٩، ح١٦٣).

(٣) شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٤-١٥)، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣-١٤] وانظر: ابن كثير: التفسير (٧/ ٤٢٢-٤٣٠) قصة الرؤية، وممن تناول هذه القضية أيضًا الشامي: السبل (٣/ ٨٢-٩٣)، وناقش الأدلة المختلفة، ولعله من الجماعة التي ذهبت إلى التوقف في هذه المسألة، ولم يجزموا بنفي أو إثبات لتعارض الأدلة.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٥-٣٥٧)، من رواية الترمذي، بإسناده إلى شداد بن أوس، وقال: «هذا إسناد صحيح».

(٥) البداية والنهاية (٣/ ١٢٣).

موقف قريش من الإسراء والمعراج:

خشي الرسول ﷺ أن يكذبه قومه، فأصبح في ذلك اليوم مهموماً. فجلس إليه أبو جهل وهو في هذه الحال، وسأله مستهزئاً، «هل كان من شيء؟» فأخبره النبي ﷺ بالإسراء. فلم يشأ أن يكذبه ساعتئذ خشية أن يكتم ذلك أمام الناس، واكتفى بقوله: «أرأيت إن دعوت قومك إليك، أتحدثهم بما حدثتني؟»، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فأسرع إلى قومه، فدعاهم، فجاؤوا إليه، وطلب منه أبو جهل أن يحدثهم فحدثهم. فتعجبوا من حديثه، وطلب منه من رأى المسجد الأقصى أن يصفه لهم. فرفعه الله له، فأخذ يصفه لهم، وهو ينظر إليه، فقالوا: «أما النَّعْتُ فقد والله أصاب»[1].

وفي رواية أنهم استنكروا أن يذهب الرسول ﷺ إلى الشام ثم يعود في جزء من ليلة واحدة، وهم يذهبون ويعودون في مدة شهرين، ولذا ارتد ناس ممن كان قد أسلم[2]. ولم تحدد المصادر أسماءهم أو عددهم.

أما أبو بكر فعندما أخبر بالخبر، صدقه دون تردد، قائلاً: «والله لئن كان قاله لقد صدق، وما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه»، ثم أقبل على النبي ﷺ يسأله عن وصفه، وكلما ذكر شيئاً قال: صدقت. أشهد إنك رسول الله... فقال النبي ﷺ: «وأنت يا أبا بكر الصدِّيق»، فيومئذ سمَّاه الصدِّيق[3].

الأدلة على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً:

قال القاضي عياض[4]: «اختلف العلماء في الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ،

---

(١) البخاري: الفتح (١٧/ ٢٨٤، ح٤٧١٠)، ومسلم (١/ ١٥٦، ح١٧٠)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٦٣-٣٦٤)، وغيرهم.

(٢) انظر: ابن هشام (٢/ ٤٥)، من رواية ابن إسحاق، معلقًا، وخبر ارتداد بعض المسلمين جاء في أحاديث صحيحة، من ذلك ما رواه أحمد (١/ ٣٧٤)، بإسناد صححه شاكر (٥/ ١٨٢، ح٣٥٤٦)، والحاكم: المستدرك (٣/ ٦٢-٦٣)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه غيرهما.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢-٦٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرك.

(٤) انظر: أحمد شهاب الدين الخفاجي: نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، دار الفكر، بيروت، د. ت. (٢/ ٢٦٥)، وانظر القصة كاملة في هذا المصدر.

فقيل إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل...».

وقال ابن حجر[١]: «إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد البعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا يبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل...».

وقال عرجون[٢]: «والأمة مطبقة - إلا بعض روايات لم تثبت صحة أسانيدها عن أم المؤمنين عائشة ﵂ وعن معاوية ﵁ قوله عن الحسن البصري - على أن الإسراء الذي أخبر به رب العزة مفتتحاً له بعلم التقديس الذي يرمز إلى عظمة الاقتدار الإلهي، وأن قدرة الله تعالى لا يتعاظمها شيء... والافتتاح بالتقديس لا يقال إلا في الأمور المستبعدة عادة لتعاظمها، والتي لا تألفها مدارك العقول في متعارف الحياة...» ثم يقول: «إن كلمة «عبد» التي في الآية لا تطلق في لغة العرب وفهومهم إلا على الروح والجسد معاً، وإن جملة ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧] تفيد كذلك الجسد والروح... ورواية الحسن البصري لم تعرف في عهد الصحابة، فهي مستحدثة، وعائشة لم تكن حينها زوجاً للرسول ﷺ، ولا في سن من يضبط، ولعلها لم تكن ولدت بعد[٣]... ولم يرجح خبرها على خبر غيرها؟ فليس حديثها بالثابت عنها. قال الخفاجي: لنا في متنه من العلة القادحة وفي سنده محمد بن إسحاق وقد ضعفه مالك وغيره[٤]، والأحاديث الأخرى أثبت منه...» ثم يقول الزرقاني[٥]: «بل الذي دل عليه صحيح قولها إن الإسراء كان بجسده الشريف،

---

(١) الفتح ١٥/ ٤٤ ك. المبعث، ب. حديث الإسراء.

(٢) محمد رسول الله ﷺ (٢/ ٣٤٢-٣٥٠).

(٣) وهذا مما قاله عياض معلقاً على حديث عائشة ﵂، انظر: الشفا (١/ ٣٧٢).

(٤) حديثه في درجة الحسن لذاته إذا صرح بالتحديث وكان سنده متصلاً ورجاله ثقات، وهذا الحديث إسناده منقطع، ابن هشام (٢/ ٤٦).

(٥) شرحه على المواهب اللدنية للقسطلاني (٦/ ٤-٥، المقصد الخامس).

لإنكارها رؤيته لربه رؤية عين، ولو كانت عندها مناماً لم تنكره. ورواية معاوية ﷺ[١] جاءت بعد انعقاد الإجماع على كونه بالروح والجسد، على أن الرواية عنه لم تثبت بسند صحيح، وهي من رواية ابن إسحاق، وعلى فرض ثبوتها فهي اجتهاد متأخر عن الإجماع، غير ملزم ولا ناقض للإجماع. وللحسن قولان، والمشهور عنه أنه كان يقظة..».

ولو كان الإسراء والمعراج مناماً لما استنكرته قريش ولما ارتد بعض المسلمين، ولم يكن فيه شيء من الإعجاز. ثم كونه مناماً يخالف صريح الآيات الكريمة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]، فابتداء الآية بالتسبيح لفت نظر لأمر هام، ولفظ «بعبده» معناه الروح والجسد معاً، كما أشار إلى ذلك عرجون وغيره[٢].

قال البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨٩ - ٣٩٠) بعد ذكر الأحاديث الصحيحة في الإسراء والمعراج: «وقد روي في قصة المعراج سوى ما ذكرنا أحاديث بأسانيد ضعاف، وفيما ثبت منها غنية، وأنا ذاكر بمشيئة الله ما هو أمثل إسناداً وبالله التوفيق». وأذكر هنا ما صحح العلماء أسانيدها إضافة على ما سبق ذكره في الصفحات الماضية.

١ - عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[٣].

٢ - وعنه أن النبي ﷺ قال: «ليلة أسري بي مررت بناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء

(١) رواه ابن إسحاق موقوفاً على يعقوب بن عتبة، فهو وإن كان ثقة لم يدرك أحداً من الصحابة، ابن هشام (٢/ ٤٦).

(٢) سبق ذكره وانظر أيضاً الشامي: من معين السيرة، ص١١٢ .

(٣) أحمد (٣/ ٢٢٤، وأبو داود رقم (٤٨٧٨)، بسند صحيح كما قال محقق تهذيب الخصائص - الشيخ عبدالله التليدي، ص١١٨، حديث رقم (١٢٦) - وكما قال محققو الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد (٢١/ ٥٣، ح١٣٣٤).

خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون»[١].

٣ - وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فوقي فإذا رعد وبرق وصواعق، وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا، فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت إلى أسفل مني، فإذا أنا برَهَج[٢] ودخان وأصوات، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون[٣] على أعين بني آدم[٤]، لا يتفكرون في ملكوت السماوات والأرض، لولا ذلك لرأوا العجائب»[٥].

٤ - وعن ابن عباس ﷺ قال: «... ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام، وعيسى وموسى وإبراهيم، فسئل النبي ﷺ عن الدجال، فقال: «رأيته قِلْمَانياً[٦] أقمر[٧] هِجَاناً[٨]، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شفره أغصان شجرة، ورأيت عيسى أبيض جعد الرأس حديد البصر[٩] مُبَطَّن[١٠]، ورأيت موسى أسحم آدم[١١] كثير الشعر شديد الخلق، ونظرت إلى إبراهيم فلا أنظر إلى

---

(١) أحمد (٣/ ١٢٠، ٢٣١، ٢٣٩)، وعبد بن حميد من طرق عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد ابن جدعان، وسنده حسن كما قال الشيخ التليدي في تهذيب الخصائص للسيوطي، ص١١٩، حديث رقم (١٢٧)، وكما قال محققو الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد.

(٢) برهج: غبار.

(٣) يحومون: يطوفون.

(٤) أي يصرفون الناس عن التفكر في خلق الله من الأجرام السماوية العظيمة الخلق.

(٥) أحمد (٢/ ٣٥٣، ٣٦٣)، ابن ماجه رقم (٢٢٧٣)، كلاهما من طريق ابن جدعان، وهو حسن الحديث كما قال الشيخ التليدي، محقق تهذيب الخصائص، ص١١٩، حديث رقم (١٢٨)، وضعفه محققو الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد (١٤/ ٢٥٨، ٢٦٥، ح٨٦٤٠) ح٨٧٥٧، وضعفه لضعف ابن جدعان (علي بن زيد) وجهالة أبي الصلت.

(٦) قلمانياً: أي عظيماً ضخماً.

(٧) أقمر: يميل لونه إلى بياض القمر.

(٨) هجاناً: أبيض.

(٩) حديد البصر: نافذه.

(١٠) مبطن: أي ضامر البطن.

(١١) أسحم آدم: أي أسود.

إِرْبٍ[١] منه إلا نظرت إليه مني حتى كأنه صاحبكم، قال جبريل: سلِّم على أبيك، فسلمت عليه»[٢].

٥ - وسبق ذكر رؤيته بيت المقدس وأن الله جلَّاه له حين طلبت منه قريش أن يصفه لهم، فوصف كما يعرفون[٣].

٦ - وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وَجْبتها[٤] فلا يعلم بها أحد إلا الله، وفيما عهد إليَّ ربي أن الدجال خارج»، الحديث، فذكر الدجال ويأجوج ومأجوج[٥].

٧ - وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي مَرَّتْ بي رائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة؟ قالوا: ماشطة بنت فرعون وأولادها، سقط مِشْطُها من يدها، فقالت: بسم الله، قالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: ربي هو ربك ورب أبيك، قالت: أو لك رب غير أبي؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها، فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال: قعي يا أمه ولا تقاعسي[٦] فإنك على الحق...»[٧].

٨ - وعن شَرِيكَ بن عبد الله: «... ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، قال: وقد بُعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل

---

(١) إرب: أي العضو.

(٢) أحمد (١/٣٧٤)، بإسناد صححه شاكر (٥/١٨٢، ح٣٥٤٦)، والتلميذي، ص١٢٠، ح١٢٩، ورواه غيره.

(٣) أحمد (١/٣٠٩)، بإسناد صححه شاكر (٤/٢٩٤، ح٢٨٢٠) والتلميذي، ص١٢١، ح١٣٠.

(٤) وجبها: أي وقوعها.

(٥) أحمد (١/٣٧٥)، بإسناد صححه شاكر (٥/١٨٩، ح٣٥٥٦)، ابن ماجه برقم (٤٠٨١)، بإسناد صحيح، وانظر التلميذي، ص١٢٢، ح١٣١)، حيث صححه كذلك.

(٦) لا تقاعسي: أي لا تتأخري.

(٧) أحمد (١/٣٠٩، ٢٢٠)، بإسناد صحيح شاكر إسناده (٤/٢٩٥-٢٩٧، ح٢٨٢٢، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤، ٢٨٢٥).

السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم. فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه، ورد عليه آدم وقال: مَرحباً وأهلاً يا بُنَيّ، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يَطَّرِدَانِ، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عُنصُرهما. ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزَبَرْجَد، فضرب بيده فإذا هو مسكٌ أذفر[1]، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأه لك ربك. ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: .. إلخ الحديث الذي فيه لقاءه بالأنبياء وتخفيف الصلاة وسدرة المنتهى ورؤية ربه»[2].

ب - دلالات وعظات وعبر:

١ - إن حديث الإسراء والمعراج متفق عليه بين أهل الحديث والمغازي، وثبت بآيات قرآنية وبأحاديث نبوية، فهو قطعي الثبوت. وهو بإجماع جماهير المسلمين من معجزاته ﷺ. وفي إنكاره إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٢ - جاءت هذه المعجزة بعد المحن التي ابتلي بها الرسول ﷺ لتجدد عزيمة الرسول ﷺ ولتدلل على أن هذا الذي يلاقيه من قومه ليس سببه تخلي الله عنه، وإنما هي سنة الله مع أحبائه في كل عصر ومصر، وبينت للرسول ﷺ أن المستقبل لدينه، وذلك بإقرار إمامته للأنبياء السابقين، وما تمثل له من رموز لهذا المعنى، وبينت له أن الأرض إذا ضاقت في وقت، فإن السماء تفتح أبوابها لتستقبله، ولئن آذاه بعض أهل الأرض في وقت، فإن أهل السماء يقفون له مستقبلين ومرحبين.

٣ - إن الاقتران الزماني والمكاني بين إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية

---

(١) مسك أذفر: أي طيب الرائحة.

(٢) البخاري: الفتح (٢٨/٢٧٠، ٢٧٩ كتاب التوحيد باب: ما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] (ح١٥١٧).

عند الله تعالى. وفيه دلالة واضحة أيضاً على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله ﷺ، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد الذي بعثوا به[1]، وفيه دلالة على واجب المسلمين في الحفاظ على هذه الأرض وحمايتها من مطامع أعداء الإسلام.

٤ - ولعل الحكمة في مرور هذه الرحلة ببيت المقدس، ولم تكن من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة، هو أنه عندما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام الله، حلت بهم لعنة الله، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد، على الرغم من أنها ظلت فيهم زماناً طويلاً. ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالاً بالقيادة في العالم من أمة إلى أمة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل، وهو انتقال فيه احترام للإيمان الذي درج - قديماً - في رحابه[2].

٥ - إن في اختيار رسول الله ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل، دلالة على أن الإسلام هو دين الفطرة. لأن اللبن مادة لم تتغير طبيعتها، والخمر نتيجة تغيير كيماوي في طبيعة العنب وغيره من مصادر الخمر، إضافة إلى أن الخمر يغيّر فطرة الإنسان؛ لأنه يذهب العقل.

٦ - إن في جمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها، ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة دليلاً على أن النبوات يصدق بعضها بعضاً، وأن محمداً هو خاتمهم الذي اكتمل به الدين، وبيان لمكانة محمد ﷺ عند ربه.

٧ - إن رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السماوات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين ومعرفة عقباهم ورفع لمعنويات نبيه ﷺ وأصحابه ليواجهوا قوى الكفار المتألبة عليهم.

٨ - إن وقوع مثل معجزة الإسراء والمعراج للرسول ﷺ بعد مضي اثني عشر عاماً

---

(١) إشارتي هنا إلى الحديث الصحيح: «... والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، رواه البخاري ومسلم وغيرهما. فانظر، في: البخاري، الفتح (١٣/٢٤٨-٢٤٩، ح٣٤٢، ٣٤٤٣).

(٢) الغزالي: فقه السيرة، ص١٣٧، الدكتور فلعه جي: قراءة جديدة ... ص ١٠٧.

من مبعثه دليلاً على أن الخوارق والمعجزات تأتي في طريق محمد ﷺ ضرباً من التكريم والإيناس لشخصه، غير معكرة ولا معطلة للمنهج العقلي العادي، وذلك على عكس ما وقع لبعض الأنبياء، مثلما وقع لموسى ﷺ، حيث إن الخوارق في سير هذا البعض قصد بها قهر الأمم على الاقتناع بصدق النبوة.

وتأكيداً لهذا، فعندما اقترح المشركون على النبي ﷺ أن يرقى في السماء، جاء الجواب من الله ﷻ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

فلما رقى في السماء بعد ذلك، لم يذكر قط أن ذلك رداً على التحدي أو إجابة على الاقتراح السابق.

٩ - إن فرض الصلوات الخمس في ليلة المعراج دليل على أهمية هذا الركن من أركان الإسلام، الذي يجب أن يكون معراجاً يرقى بالناس كلما تدلت بهم شهوات النفوس وأغراض الدنيا[١].

◻ المبحث الرابع والثلاثون: ◻

أ - عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل:

كان الرسول ﷺ في حركة دائبة للبحث عن مكان يعبد الله فيه آمناً، ولذا كان أمره للصحابة بالهجرة إلى الحبشة، وهجرته هو إلى الطائف، ثم عرض نفسه على القبائل. وكان عرض نفسه على القبائل بأمر من الله ﷻ، ودليل هذا قول ابن حجر[٢]: «وقد أخرج الحاكم[٣] وأبو نعيم[٤] والبيهقي[٥] بإسناد حسن عن ابن عباس: حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، . . .». وكانت مواسم الحج وأسواق العرب مناسبات هامة للالتقاء بذوي الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم من الأفراد العاديين. وكان يطلب من ذوي الشأن

---

(١) انظر: الغزالي، فقه السيرة، ص١٣٧-١٤٣.

(٢) الفتح (١٥/ ٧١).

(٣) المستدرك (٢/ ٦١٢-٦١٣).

(٤) دلائل النبوة (١/ ٢٨٢-٢٨٨).

(٥) دلائل النبوة (٢/ ٤٢٢-٤٢٧).

أن يحموه، دون أن يكرههم على دعوته[١].

ومما كان يقوله في هذه المواسم: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي»[٢]، و: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به...»[٣].

وتقول الرواية نفسها إن عمه أبو لهب - عبد العزى بن عبد المطلب - كان يسير خلفه، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من حديثه، قال: «هذا يدعوكم إلى أن تفارقوا دين آبائكم وأن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من بني مالك بن أُقَيْش إلى ما جاء به من البدعة والضلال...»[٤].

ومن القبائل التي عرض رسول الله ﷺ نفسه عليها ودعاها إلى الإسلام فأبوا: كندة، وفيهم سيدهم مُلَيح - أو فُلَيح[٥]، وبنو عبد الله من كلب[٦]، وبنو حنيفة، وكان ردهم عليه قبيحاً[٧]، وبنو عامر بن صَعْصَعَة، وقال رجل منهم يدعى بَيْحَرة بن فِرَاس: «والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب... أرأيت إن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟» قال:

---

(١) انظر: مغازي رسول الله ﷺ لعروة: ص١١٧، من حديث ابن لهيعة، ومرفوعة عن عروة، فهي مرسلة، ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٤) من حديث موسى بن عقبة عن الزهري مرسلاً «ولهذين المرسلين أصل صحيح كما في الحاشية التالية مباشرة».

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥/ك. السنة، ح٤٧٣٤)، وابن ماجه في المقدمة (ب١٢/ ص٧٣، ح٢٠١)، وأحمد: الفتح (٢٠/ ٢٦٧)، من حديث جابر ﷺ، وذكره الذهبي في سيرته، ص٢٨٢، وقال: «هو على شرط البخاري».

(٣) رواه ابن إسحاق بإسناد فيه حسين بن عبدالله، وهو ضعيف: ابن هشام (٢/ ٧٤). ورواه أحمد: المسند (٣/ ٤٩٢)، و(٤/ ٣٤١)، من غير طريق ابن إسحاق، وقال الساعاتي في الفتح (٢٠/ ٢١٦-٢١٧ و٢٦٥): «وسنده جيد».

(٤) جاء ذلك في رواية أحمد وابن إسحاق المذكورة آنفاً، وفي رواية عند ابن إسحاق في السير والمغازي، ص٢٣٢، بإسناد حسن، من حديث طارق المحاربي، أن عمه أبا لهب كان يتبعه ويرميه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه.

(٥) رواه ابن إسحاق عن الزهري مرسلاً: ابن هشام (٢/ ٧٥)، السير والمغازي ص٢٣٢.

(٦) ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٧٥)، السير والمغازي ص٢٣٢، فهو ضعيف.

(٧) ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٧٥-٧٦)، ولم يسم من حدثه.

«الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: «أفَنُهْدِفُ نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السن، حتى لا يقدر أن يُوَافِيَ معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتًى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقومَ معه ونخرج به إلى بلادنا، قال: فوضع الشيخُ يديه على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلافٍ، هل لذُنابَاها[1] من مطلب، والذي نفسُ فلان بيده، ما تَقَوَّلَها إسماعيلي قطُّ، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟»[2]، ومُحَارِب بن حَصَفَة وفَزَارة وغَسَّان ومُرَّة وسُلَيم وعَبْس وبنو النضر وبنو البكاء، وعُذرة والحَضَارِمة[3]، وربيعة وبنو شيبان الذين كان فيهم وعلى رأسهم: مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة، وقد تعللوا بحجج منها الرغبة في التريث إلى حين أخذ مشورة من وراءهم من قومهم، وفي هذا قال المثنى: «وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حَدَثاً ونؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤيدك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبِّحون الله وتقدِّسونه؟»، فقال النعمان بن شريك: «اللهم! نعم»، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقد سر رسول الله ﷺ من أخلاقهم[4].

---

(١) ذنابها: ذَنَبُها. انظر: اللسان: مادة: «ذنب».

(٢) ابن إسحاق عن الزهري مرسلاً، ابن هشام (٣/ ٧٦)، ورواه غيره بأسانيد ضعيفة. وقال ابن هشام إن اسم الرجل: فراس بن عبدالله بن سلمة . . .

(٣) ذكر هؤلاء ابن سعد في طبقاته (١/ ٢١٦-٢١٧)، من حديث الواقدي.

(٤) روى قصة لقاء الرسول ﷺ لربيعة: ابن حبان في السيرة، ص٩٣-١٠١، البيهقي: الدلائل (٢/ ٤٢٢-٤٢٧)، وقال المحقق: رواه الحاكم وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢٣٧-٢٤١)، وقال القسطلاني في المواهب: «أخرجه الحاكم وأبو نعيم بإسناد حسن»، وحسن ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٢٠) إسناد رواية الحاكم وأبي نعيم والبيهقي.

لقد كان أهل المدينة أكثر الناس تجاوباً مع دعوة الرسول ﷺ عندما عرض عليهم الإسلام. فعندما عرض الرسول ﷺ الإسلام على سُوَيْد بن الصامت، لم يعلن الإسلام ولم يبعد عنه، واستحسن ما سمع من القرآن. اهـ. وعندما عاد إلى بلاده، وقتل في حرب بُعَاث[1]، كان رجال من قومه يقولون إنه مات مسلماً[2].

وروى ابن إسحاق[3] أن وفداً من بني عبد الأَشْهَل على رأسه أبو الحَيْسَر، أنس بن رافع، وفيه إياس بن مُعاذ، قدموا مكة يلتمسون الحلف مع قريش ضد قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم خير مما جئتم له؟»، فقالوا له: «وما ذاك؟»، قال: «أنا رسول الله، بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب». ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حدثاً: «أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له». فزجره أبو الحيسر، فصمت، وسمعه قومه عند موته يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً.

لقد استشعر إياس الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من الرسول ﷺ ما سمع.

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة عرض نفسه على نفر[4] من الخزرج، عند العقبة، فجلسوا معه. فدعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكان مما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، ومعلوم أنهم أهل كتاب وعلم، فكان إذا وقع بينهم وبين اليهود نفرة أو قتال قال لهم اليهود: «إن نبياً مبعوثاً الآن قد أطل زمانه، سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم!».

---

(١) بُعَاث: موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج.

(٢) روى قصته كاملة ابن إسحاق بإسناد منقطع. ابن هشام (٢/ ٧٧-٧٩).

(٣) رواها بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٨٠-٨١)، ورواها غيره من طريقه.

(٤) عندهم ستة عند ابن إسحاق: سيرة ابن هشام (٢/ ٨٢). وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٦٤): «وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري، وعروة بن الزبير أنهم كانوا ثمانية» وذكر ابن سعد القولين، وعندما ذكر الرواية التي تقول بأنهم ستة، وهي رواية ابن إسحاق، قال: «قال محمد بن عمر - الواقدي - هذا عندنا أثبت ما سمعناه فيهم، وهو المجتمع عليه»، انظر الطبقات (١/ ٢١٩).

فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام نظر بعضهم لبعض وقالوا: «تعلمون والله أنه للنبي الذي تدعوكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه». فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإسلام. وقالوا: «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك. ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين. فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك».

ثم انصرفوا، ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ[1].

وهناك سبب آخر أدى إلى تمهيد أفئدة أهل المدينة لقبول الإسلام، وهو يوم بُعاث[2]. فقد روى البخاري[3] عن عائشة ﷺ أنها قالت: «كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ، فَقَدِمَ رسول الله ﷺ وقد افترق مَلَؤُهم وقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا، فَقَدَّمَهُ الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام».

ب - عظات وعبر:

١ - إن أمثال أبي لهب لا ينعدم في مجتمعات الكفر والانحراف العقدي الصريح، وهي نماذج من الناس مثل سلوك وتفكير أبي لهب، تقف في وجه الدعاة في كل زمان ومكان، بمثل موقف أبي لهب من ابن أخيه محمد ﷺ، ويصدون عن سبيل الحق ويبغونها عِوَجاً، بما يتاح لهم من وسائل، فيصفون دعاة الدين الحق

---

(١) رواه ابن إسحاق من حديث عاصم بن عمر عن أشياخ من قومه، وقد صرح بالتحديث: ابن هشام (٢/ ٨١-٨٣)، وحسن الدكتور العودة إسناده، لترجيحه أن هؤلاء الأشياخ من الصحابة الذين يروي عنهم عاصم، أمثال: جابر ومحمود بن لبيد وجدته رميثة، انظر العودة: السيرة النبوية ... ص٢٣١، ونحن نوافق في هذا.

(٢) قال ابن حجر في شرح حديث عائشة التي ذكره في الفتح (١٤/ ٢٦٢، ح٣٧٧٧): «وهو مكان، ويقال: حصن، وقيل: مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدينة، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج، فقتل فيها كثير منهم ... وذلك قبل الهجرة بخمس سنين، فقيل بأربع وقيل بأكثر، والأول أصح ... فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمر، أي يتكبر ويأنف أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره، وقد كان منهم من هذا النحو أولكنه لم يقتل فيها] عبدالله بن أبي بن سلول ...».

(٣) الفتح (١٤/ ٢٦٢: ح٣٧٧٧). ومعنى سَرَوَاتهم: خيارهم، ومفردها: سري وهو الشريف.

بأنهم دعاة بدعة وضلالة، ودعاة دين جديد أو مذهب خامس، أي ليس من بين المذاهب الأربعة المشهورة. ولم يتأثر الرسول ﷺ لموقف عمه أبي لهب، بل استمر في دعوته. فعلى الدعاة أن لا يتأثروا بمواقف المغرضين.

٢ - على الدعاة أن يطرقوا جميع الأبواب التي يمكن أن تقود إلى التمكين للدين في الأرض، وعدم اليأس مهما تكررت محاولات الاتصالات الفردية والجماعية، ومهما كانت النتائج القريبة سلبية.

◻ المبحث الخامس والثلاثون: ◻

أ - بيعة العقبة الأولى:

في الموسم التالي من العام الثاني عشر للبعثة، جاء إلى أداء مناسك الحج اثنا عشر رجلاً من المسلمين من المدينة بعضهم ممن لقي النبي ﷺ في الموسم السابق وآمن به، فلقوا الرسول ﷺ مع جماعة من أصحابه حتى بايعوه. وقد روى البخاري[1] ومسلم[2] وغيرهما، من حديث عبادة بن الصامت الذي كان ضمن حجاج المسلمين من المدينة، رووا صيغة هذه البيعة، وهو:

قال عبادة: إن الرسول ﷺ قال لهم: «تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً، فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه»، فبايعوه على ذلك.

قال عبادة بن الصامت[3] في رواية ابن إسحاق «فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء[4]، وذلك قبل أن تفرض الحرب».

وعندما أرادوا العودة إلى بلادهم، بعث رسول الله ﷺ مُصْعَب بن عُمَيْر ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى «مقرئ المدينة». وكان منزله

---

(١) الفتح (١٥/ ٧٤، ح٣٨٩٢)، واللفظ له.

(٢) صحيحه (٣/ ١٣٣٣، ح١٧٠٩).

(٣) ابن هشام (٢/ ٨٦)، وإسناده حسن.

(٤) أي على غرارها. والإشارة هنا إلى بيعة الرسول ﷺ للنساء في اليوم الثاني من فتح مكة، كما سيأتي - إن شاء الله - وليس فيها البيعة على الجهاد.

على أسعد بن زُرارة[١].

روى أبو داود[٢] وابن إسحاق[٣]، وغيرهما من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن أول من أقام صلاة الجمعة بالمدينة هو أسعد بن زرارة، وكانوا أربعين رجلاً أمّهم مصعب بن عمير. فقد كتب إليه الرسول ليجمع بهم[٤].

أسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب ﷺ بمعاونة أسعد بن زرارة ﷺ، وممن أسلم من أشرافهم: أُسَيْد بن الحُضَيْر وسعد بن معاذ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل، الرجال والنساء[٥]، إلا أُصَيْرِم عمرو بن ثابت بن وَقْش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، وأسلم حينئذ وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة واحدة، فأخبر عنه النبي ﷺ، فقال: «عَمِلَ قليلاً، وأُجِرَ كثيراً»[٦].

---

(١) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٢/ ٨٦). وقد روى البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٣١) والذهبي في سيرته، ص٢٩٤، كلاهما من حديث موسى بن عقبة عن الزهري، أنه بعثه إليهم بعد أن التقى النفر الستة عند العقبة. وروى أيضًا في دلائله (٢/ ٤٣٨)، من رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر – مرسلاً – أن رسول الله ﷺ إنما بعث بعدهم بعدما كتبوا إليه» وروى أيضًا في دلائله (٢/ ٤٣٨) من طريق ابن إسحاق من حديث عبدالله بن أبي بكر وعبدالله بن المغيرة بن معيقيب: أن رسول الله بعث مصعبًا مع النفر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى. وعند ابن سعد (١/ ٢٢٠)، أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم عندما كتبوا إليه بعد ذهابهم إلى المدينة طالبين منه إرسال من يقرئهم القرآن وفي إسناده الواقدي. وهكذا وجدت روايتان لابن إسحاق تقولان بأن الرسول ﷺ قد أرسل مصعبًا مع الأنصار حين عودتهم وتقول الرواية الثالثة أنه أرسله بعد ذهابهم ثم طلبهم ذلك، وهي تتفق مع رواية ابن سعد. ويمكن الجمع بين القولين بأن يكون النفر الستة الذين أسلموا أولاً بعثوا إليه ليرسل إليهم معلمًا، فأرسله في الموسم الثاني مع الاثني عشر المذكورين هنا. وإسناده حسن ورجاله ثقات.

(٢) السنن (١/ ٦٤٥-٦٤٦، ح١٠٦٩).

(٣) بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ٨٧).

(٤) سنن الدارقطني، كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٧٥)، وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٦٦): «وفي إسناده غرابة، والله أعلم».

(٥) روى خبر إسلام أسيد ومعاذ وبني عبد الأشهل ابن إسحاق بإسناد حسن، ولكنه مرسل؛ لأنه موقوف على عبدالله بن أبي بكر وعبيد الله بن المغيرة بن معيقيب، ابن هشام (٢/ ٨٨-٩٠).

(٦) روى تأخر إسلامه وقصته يوم أحد وصرح باسمه ابن إسحاق في كتاب السير والمغازي، بإسناد صحيح، كما ذكر ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٨٦). وروى قصته يوم أحد، ولم يصرح باسمه البخاري، الفتح (١١/ ٢٨٦، ح٢٨٠٨)، ومسلم (٣/ ١٥٠٩، ح١٩٠٠).

ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف فوتلك أوس الله وهم الأوس ابن حارثة؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسْلَت الشاعر - وكانوا يطيعونه - فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة[١].

وقبل حلول موسم الحج التالي - أي حج السنة الثالثة عشرة - عاد مصعب بن عمير إلى مكة ليبشر الرسول ﷺ بنجاح مهمته، بتوفيق الله تعالى[٢].

❑ المبحث السادس والثلاثون: ❑

أ - بيعة العقبة الثانية:

وفي موسم الحج التالي من العام الثالث عشر للبعثة، قدم مكة لأداء مناسك الحج مجموعة كبيرة من مسلمي المدينة، ضمن حجاج كثيرين من مشركي المدينة، وكان زعيمهم جميعاً البَرَاء بن مَعْرُور[٣].

وقد تساءل مسلمو الأنصار فيما بينهم حتى متى يتركون رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف[٤].

وجرت بينهم وبين الرسول ﷺ اتصالات سرية أدت إلى الاتفاق على تحديد زمان ومكان اللقاء؛ لإبرام اتفاق من أعظم وأهم الاتفاقيات في تاريخ الإسلام.

وقد روى ابن إسحاق[٥] قصة هذا اللقاء عن كعب بن مالك، قال ﷺ: «... ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها... فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا في رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القَطَا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة، ونحن ثلاثة

---

(١) رواه ابن إسحاق مرسلاً: ابن هشام (٢/ ٩١).

(٢) ذكر خبر رجوعه ابن إسحاق، ابن هشام (٢/ ٩٢)، بدون إسناد.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ٩٢).

(٤) أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٧٠)، وإسناده صحيح. وصححه محققو الموسوعة (١٤٤٥٦).

(٥) بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ٩٤-٩٧).

وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نَسيبَةُ بنت كَعْب - أمُّ عُمَارَة - وأسماء بنت عمرو بن عدي... وهي أمُّ مَنِيع.

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: «يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن رأيهم مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. فإنه في عِزٍّ وَمَنَعَةٍ من قومه وبلده». قال: فقلنا له: «قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت».

فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: «والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحَلْقَة[1]، ورثناها كَابِراً عن كابر». فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهان، فقال: «يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حِبَالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عَسَيْتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنَا؟»، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بَلِ الدَّمُ الدَّمَ، والهَدْمُ الهَدْمُ[2]، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

بعد الاتفاق على شروط هذه البيعة، وقبل الشروع في عقدها، أراد اثنان من الأنصار، ممن أسلم في مواسم حج عام إحدى عشرة واثنتي عشرة من المبعث، وهما: العباس بن عُبَادة بن نَضْلَة وأسعد بن زرارة، أرادا أن يبينا لقومهما حقيقة وخطورة الالتزام بهذه البيعة، حتى يبايعوا على علم ويقين تام، وليعرفا ويتأكدا من

---

(١) الحَلْقَة: السلاح

(٢) قال ابن هشام (٢/ ٩٦): ويقال الهدم الهدم، بالفتح: يعني الحرمة، أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

مدى استعداد الأنصار للجهاد والاستشهاد.

قال العباس بن نضلة: «هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟» قالوا: «نعم»، قال: «إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نَهَكَتْ أموالُكُم مُصِيبَةً، وأشرافُكُم قتلاً، أسْلَمْتُمُوه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال، وقَتْلِ الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة»، قالوا: «فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فمالنا بذلك يا رسول الله إنْ نحن وَفَينا بذلك؟»، قال: «الجنة»، قالوا: «إبسط يدك»، فبسط يده فبايعوه»[1].

وقال أسعد بن زرارة عندما قام الناس للبيعة: «رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإمّا أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإمّا أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله»، فقالوا له: «يا أسعد، أمِطْ عنا يدك، فوالله لا ندع هذه البيعة، ولا نستقيلها»[2].

وعندما تأكد لأسعد موقف قومه، ضرب على يد الرسول ﷺ - أي صافحه - مبايعاً، ثم تتابع القوم رجلاً رجلاً لمبايعة الرسول ﷺ، مبشراً بالجنة من وفى بها[3].

وأما عن كيفية مبايعة المرأتين فقد قال ابن إسحاق[4]: «يزعمون أنهما قد بيعتا - يعني صافحتا - وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتكن».

وعندما تمت البيعة قال لهم رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج

---

(١) ابن إسحاق، مرسلاً موقوفاً على عاصم بن عمر، ابن هشام (٢/ ١٠٠).

(٢) سبق الكلام عن هذه الرواية، رواية أحمد عن جابر، وهي صحيحة، وفيها شروط البيعة.

(٣) انظر حديث جابر المذكور. وذكر ابن إسحاق، بإسناد حسن، أن أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ مبايعاً البراء بن معرور.

(٤) ابن هشام (٢/ ١٢٠)، بدون إسناد. ويشهد لكلام ابن إسحاق ما رواه البخاري في هذا المعنى؛ انظر: الفتح (٢٠/ ٩٩، ح٥٢٨٨)، ومسلم (٣/ ١٤٨٩، ح١٨٦٦)، وغيرهما.

وثلاثة من الأوس. وهم: عبادة بن الصامت، البراء بن معرور، عبد الله بن رواحة، سعد بن الربيع، أبو أمامة أسعد بن زرارة، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، أسيد بن حضير، سعد بن خيثمة، عبد الله بن حَرَام، رَافع بن مالك، أبو الهيثم بن التيهان[١].

وذكر ابن إسحاق[٢] جميع من حضر البيعة.

وروى ابن إسحاق[٣] أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - قالوا: نعم».

لقد روى البخاري[٤] ومسلم[٥] وابن إسحاق[٦] بنود هذه البيعة. ولكن رواها أحمد[٧] من حديث جابر، والبيهقي[٨] من حديث جابر وعبيد بن رفاعة بتفصيل أكثر مما جاء عند البخاري ومسلم وابن إسحاق.

قال جابر: «قلنا يا رسول الله علام نبايعك؟» قال:

١ - على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢ - وعلى النفقة في العسر واليسر.

٣ - وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) ابن إسحاق، دون إسناد، ابن هشام (٢/ ٩٧-٩٨)، فهو ضعيف.

(٢) دون إسناد، ابن هشام (٢/ ١٠٩-١٢٠).

(٣) ابن هشام (٢/ ١٠٠)، بإسناد حسن، ولكنه مرسل، لأنه موقوف على عبدالله بن أبي بكر.

(٤) الفتح (٢٧/ ٨، ح٧٠٥٦)، و(٢٧/ ٢٢٣، ح٧٢٩٩، ٧١٢٠٠).

(٥) صحيحه (٣/ ١٤٧٠، ح١٧٠٩).

(٦) ابن هشام (٢/ ١٠٨)، وإسناده حسن.

(٧) الفتح الرباني (٢٠/ ٢٧٠)، والمسند (١٤٦٥٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٤-٦٢٥)، وصححه ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٧٥): «هذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه»، وحسن ابن حجر إسناده، كما في الفتح (١٥/ ٧٥).

(٨) انظر: رواية جابر عند البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٤٣). أما رواية عبيد بن رافعة فهي عنده في الدلائل (٢/ ٤٥٢)، وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٨) عن رواية عبيد: «وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه». وقال الدكتور سليمان السحيم في رسالة الهجرة، ص٩٢: «وهو حديث ضعيف بهذا الإسناد، ولكن يتقوى بالشواهد المتقدمة الدالة على شروط البيعة كحديث جابر».

٤ - وعلى أن تقولوا في الله، ولا تأخذكم في الله لومة لائم.

٥ - وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة»، وهو لفظ أحمد والبيهقي مع اختلاف يسير.

أما لفظ ابن إسحاق المشار إليه فهو، قال ابن الصامت: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وَأَثَرة علينا، وأن لا نُنازع الأمر أهلَهُ، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».

بعد أن تمت البيعة وتعين النقباء، كان القوم على وشك مغادرة مكان اللقاء، فإذا بالشيطان يكتشف هذا اللقاء. وليتمكن زعماء المشركين من المجيء والقبض على المسلمين قبل أن ينفضوا، صرخ الشيطان على العقبة بأنفذ صوت سمع، قائلاً: «يا أهل الجَباجِب [منازل منى]، هل لكم في مُذَمَّم [المذموم] والصُّباة [أو الصباء] معه، قد اجتمعوا على حربكم؟» فقال رسول الله ﷺ: «هذا أَزَبُّ [اسم شيطان] العقبة، هذا ابن أَزَيب، استمع أي عَدُوَّ الله، أما والله لأَفْرُغَنَّ لك. ثم قال رسول الله ﷺ: «أَرْفِضُوا [تفرقوا]. إلى رحالكم»[1].

وعند سماع صراخ وقول هذا الشيطان، قال العباس بن عبادة بن نضلة: «والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا». فقال لهم رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». فرجعوا وناموا حتى أصبحوا[2].

قال كعب بن مالك: «فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه - والله - ما من حي من العرب أبغض إلينا إن نشبت الحرب بيننا وبينهم منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض... قال: ونفر الناس من منى فَتَنَطَّسَ[3] القوم

---

(١) رواه إسحاق بإسناد حسن من حديث كعب بن مالك في قصة بيعة العقبة الثانية، ابن هشام (٢/١٠١-١٠٢). ويقال: ابن أَزَيب - من قول ابن هشام.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بالغوا في التحري عنه.

الخبر، فوجدوه قد كان».

وتقول الرواية: إنهم خرجوا في طلب القوم، ولم يدركوا غير سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو. فأفلت منهم المنذر وقبضوا على سعد، وعادوا به، مغلولة يداه إلى عنقه، ويجذبونه من شعره، ويلكزونه، حتى أنقذه الله منهم بجبير ابن مطعم والحارث بن حرب، إذ كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة المنورة في طريقها من وإلى الشام[1].

ب - نتائج وعبر من بيعة العقبة الثانية:

لقد كان لهذه البيعة نتائج قريبة وأخرى بعيدة. فمن النتائج القريبة:

١ - إن الأنصار قد فهموا أن حماية الرسول ﷺ سوف تعرضهم لعداوة واعتداء أعداء الرسول ﷺ من المشركين واليهود. وهذا يعني الجهاد، على الرغم من أن بنود البيعة لم تنص صراحة على أبعد من ذلك، أي التصدي لمن يقف في طريق الدعوة الإسلامية.

٢ - إن سعي مشركي مكة للقبض على مسلمي المدينة عندما اتضح لهم أن هناك ثمة تدبيراً منهم لحماية رسول الله ﷺ، يدل على أن عداء الشرك والكفر للإيمان في كل مكان.

٣ - إن السرية التي أحيطت بهذه البيعة وغيرها دليل على مشروعية أخذ الحذر والحيطة عند تدبير الأمور، لا سيما الأمور التي تتعلق بمستقبل الدعوة.

٤ - لقد كانت هذه البيعة الأساس الذي هاجر عليه المسلمون - بمن فيهم الرسول ﷺ - إلى المدينة المنورة.

٥ - أضحى الإسلام عزيزاً في المدينة، فاستعلن بإسلامه من كان قد استخفى به.

٦ - ضيق كفار مكة الخناق على المسلمين عندما عرفوا خطورة اتصال الرسول ﷺ بمسلمي المدينة. وكان هذا التضييق سبباً في تعجيل الرسول ﷺ بأمر هجرتهم

---

(١) رواية كعب، المصدر نفسه (٢/ ١٠١-١٠٤)، ويبدو أن الدكتور العودة قد وهم عندما قال إن رواية قصة القبض على سعد والمنذر مرسلة، فلعله حكم عليها في ضوء سند القصة الخاصة بعبدالله بن أبي بن سلول كونه لم يعلم بأمر العقبة، وفي تقديرنا أنها رواية اعتراضية، جاءت أثناء رواية كعب المتصلة، انظر: السيرة في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ص٣٦٢، وابن هشام (٢/ ١٠٣).

إلى المدينة.

٧ - أما على المدى البعيد، فقد كانت هذه البيعة الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وانطلاقها من هناك إلى أنحاء الدنيا[١].

٨ - ولأهمية هذه البيعة، ولما ترتب عليها من نتائج قريبة وبعيدة، فقد كان للمبايعين فيها وفي التي قبلها فضل لا يكاد يقل عما لأهل بدر والهجرتين - هجرة الحبشة وهجرة المدينة - وبيعة الرضوان، من شرف وفضل.

٩ - إن عداوة الشيطان للحق وتألمه من علو نجمه ظاهرة ماضية، فهو دائماً ما يغري أعداء الإسلام بالمؤمنين من أهل المدينة والرسول ﷺ.

١٠ - كانت بيعة العقبة الثانية شاملة للمبادئ التي سيتم مشروعيتها بعد الهجرة إلى المدينة، وفي مقدمتها الجهاد والدفاع عن الدعوة، وهو حكم وإن لم يكن قد أذن الله بشرعيته في مكة إلا أن الله ﷻ قد ألهم نبيه محمداً ﷺ أن ذلك سيشرع في المستقبل القريب، والدليل على ذلك رد الرسول ﷺ على العباس بن عبادة الذي أبدى الاستعداد على حرب أهل منى، فقال له الرسول ﷺ: «لم نؤمر بذلك...».

ومن المتفق عليه أن أول آية نزلت في مشروعية الجهاد قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩]، حيث نزلت عندما قال أبو بكر ﷺ مستنكراً إخراج قريش الرسول ﷺ من مكة: «أخرجوا نبيهم! إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن». وعندما نزلت الآية، قال أبو بكر: فعرفت أن سيكون قتال[٢].

١١ - اقتضت رحمة الله بعباده أن لا يحملهم واجب القتال، إلى أن توجد لهم دار إسلام، تكون لهم بمثابة معقل يأوون إليه، ولقد كانت المدينة أول دار في الإسلام[٣]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى يتربوا التربية التي تؤهلهم للجهاد.

---

(١) انظر: من معين السيرة، ص ١٣٦، وفقه السيرة للبوطي، ص١٣٢.

(٢) الترمذي (٤/ ١٥١)، وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في: صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٩، ح٢٣٧٩)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٦٢، شاكر).

(٣) انظر: البوطي فقه السيرة، ص١٣٣.

١٢ - ومن هنا تعلم أن مشروعية القتال في الإسلام لم تكن إلا بعد هجرته على الصحيح، وليس كما يفهم من كلام ابن إسحاق[١]، إنه إنما شرع قبل الهجرة عند بيعة العقبة الثانية[٢]، من حديث كعب بن مالك ﷺ.

فائدة:

روى ابن إسحاق[٣]، بإسناد حسن، أن البراء بن معرور ﷺ، عندما جاء إلى مكة لمبايعة الرسول ﷺ في العقبة الثانية، كان يصلي - في تلك السفرة إلى الكعبة، وعندما التقى بالرسول ﷺ قال: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها. فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى ﷺ إلى الشام...».

وبذلك يكون البراء أول من صلى إلى الكعبة في الإسلام.

---

(١) ابن هشام (٢/ ٩٢: ٩٤)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٢٤، ٦٢٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ابن هشام (٢/ ١٠٨)، بإسناد حسن لذاته.

(٣) ابن هشام (٢/ ٩٢-٩٣). انظر: البوطي: فقه السيرة، ص١٣٢، وأبو شهبة: السيرة النبوية (١/ ٤٥٤)، وقال: إن هذا من أوهام ابن إسحاق. قلت: ولم التوهيم ما دامت رواية ابن إسحاق حسنة ويحتج بها، ولا يخالف متنها عقيدة أو حكمًا شرعيًا؟!

الفصل الثاني

الهجرة إلى المدينة

المبحث الأول: أسبابها:

أولاً: الابتلاء والاضطهاد:

منذ أن أعلن الرسول ﷺ الدعوة ظل يتعرض لشتى أنواع المضايقات، هو ومن أسلم. وقد ذكرنا ذلك في المباحث السابقة، ولذا كان رسول الله ﷺ يفكر دائماً في طلب الحماية خارج مكة، عندما استعصت عليه مكة. فكانت هجرة الحبشة وهجرة الطائف، وأخيراً هجرة المدينة.

ومما يؤكد أن الابتلاء والاضطهاد كانا سبباً من أسباب الهجرة إلى المدينة قول بلال ﷺ عندما هاجر: «... اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء...»[1].

وقول عائشة ﷺ في سبب هجرة أبيها إلى المدينة: «استأذن النبي ﷺ أبو بكر في الخروج حين اشتد عليه الأذى...»[2].

وكان ذلك هو السبب نفسه في محاولته الهجرة إلى الحبشة من قبل هو وسائر المسلمين كما قالت عائشة ﷺ: «... فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة...»[3].

وذكر ابن إسحاق[4] أن من أسباب الهجرة تعذيب المسلمين.

---

(١) البخاري: الفتح (١٨/ ٢٣٢، ح١٨٨٩).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧١، ح٤٩٣).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٨٤، ح٣٩٠٥).

(٤) ابن هشام (٢/ ١٢١)، بدون إسناد، فهو ضعيف. ولكن يشهد له ما جاء في الصحيح قبله.

ثانياً: وجود حماية للدعوة تمكنها من السير في طريقها:

يفهم ذلك من نصوص بيعة العقبة الثانية كما رواها الإمام أحمد عن جابر، وكما رواها غيره[١]، وفي حديث ابن إسحاق[٢].

ثالثاً: التكذيب والإخراج:

تكذيب كبار زعماء قريش ومعظم عامتهم الرسول ﷺ فأجبروه أن يفكر في قوم آخرين يصدقونه، كما رأينا. وقد عبر سعد بن معاذ ﷺ عن هذا المعنى في قوله: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه». وفي رواية: «... من قوم كذبوا نبيك وأخرجوه من قريش»[٣].

وذكر ابن إسحاق[٤] من بين ما ذكر من أسباب، أن تكذيب قريش الرسول ﷺ كان من أسباب الهجرة.

رابعاً: مخافة الفتنة في الدين:

وذلك واضح من قول عائشة ﷺ عندما سئلت عن الهجرة: «كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه...»[٥].

ومن قول ابن إسحاق[٦]: «وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فراراً منهم...».

خامساً: الإذن للمسلمين بالقتال:

ذكر ذلك ابن إسحاق[٧] وقال: إن الآيات ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾ [الحج: ٣٩] هي أول آيات أنزلت في إذنه له بالحرب لمن بغى عليهم. وتابع في هذا

---

(١) انظر ذلك في مكانه من «بيعة العقبة الثانية».

(٢) ابن هشام (٢/١٢١)، بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٣) البخاري، الفتح (١٥/ ٨٢-٨٣، ح٣٩٠١).

(٤) ابن هشام (٢/١٢١)، بدون إسناد، فهو ضعيف. ولكن جاء معناه في الصحيح.

(٥) البخاري، الفتح (١٥/ ٨١-٨٢، ح٣٩٠١).

(٦) ابن هشام (٢/١٢١)، بدون إسناد، فهو ضعيف. ولكن معناه صحيح.

(٧) ابن هشام (٢/١٢١)، ذكره بلاغاً عن عروة وغيره من العلماء. والبلاغ ضعيف.

ابن عباس[١]. وفي كل ذلك كان المسلمون يبتغون وجه الله تعالى، ويتحملون في سبيله كل ما يقع عليهم من الإيذاء الحسي والمعنوي ومفارقة الأهل والعشيرة والموطن.

وفي هذا يقول خباب ﷺ: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله...»[٢].

وقد أفاضت الأحاديث في فضل الهجرة والمهاجرين[٣]، لأن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بدولة تحميه، ولا يتصور وجود دولة بدون أرض تقوم عليها ورعية تسمع وتطيع لحاكمها.

روى البخاري[٤] عن عائشة ﷺ أنها قالت: «قال النبي ﷺ للمسلمين بمكة: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين - وهما الحَرَّتان - فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة...».

أول المهاجرين:

ذكر البخاري[٥] أن أول من هاجر إلى المدينة مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم. وذكر ابن إسحاق[٦] وابن سعد[٧] أن أول من هاجر هو أبو سَلَمَة بن عبد الأسد، وجزم بذلك موسى بن عقبة[٨]. وذكر ابن حجر[٩] أنه يمكن الجمع بين حديث أهل المغازي والسير وحديث البخاري بحمل الأولوية على صفة خاصة، هي أن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة، بخلاف مصعب، فكان عليه نية الإقامة

---

(١) ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٦)؛ أحمد في المسند (٣/ ٤٥٨، ح١٨٦٥)، وقال محققو الموسوعة: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) البخاري: الفتح (٦/ ١٧٢، ح١٢٧٦).

(٣) البخاري: الفتح (١٤/ ١٤١)، مسلم (٣/ ١٤٨٨، ح١٨٦٥).

(٤) الفتح (١٥/ ٨٨، ح٣٩١٥).

(٥) الفتح (١٥/ ١١٨، ح٣٩٢٤، ٣٩٢٥).

(٦) ابن هشام (٢/ ١٢٢)، بدون إسناد، ولكنه ذكر قصة كيفية هجرته بإسناد حسن.

(٧) الطبقات (١/ ٢٢٦)، بإسناد متصل من رواية الواقدي.

(٨) رواه الزهري كما هو عند الذهبي في سيرته، ص٣٩٣، وهو مرسل.

(٩) الفتح (١٥/ ١١٩، ح٣٩٢٥).

بها، ليعلَم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، فلكل أولوية من جهة.

ما وقع للمسلمين في سبيل الهجرة:

ذكرت أم سلمة رضي الله عنها أن زوجها أبا سلمة عندما أراد الهجرة حملها مع ابنه سلمة، فرآه أهلها، فلحقوا به، وقالوا له: «هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد»، وانتزعوها منه، وغضب عند ذلك رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا الطفل بينهم حتى خلعوا يده، وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، فكانت أم سلمة بعد هجرة زوجها وانتزاع ابنها منها - تخرج كل غداة بالأبطح، تبكي حتى تمسي، نحو سنة فرق لها أحد ذويها، فقال لرهطه: ألا تُخْرِجُون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: إن شئت الحقي بزوجك، فاسترجعت ابنها من آل سلمة، وهاجرت إلى المدينة بصحبة عثمان بن أبي طلحة رضي الله عنه[1].

وعندما أراد صهيب الهجرة، قال له المشركون: «أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك»، فقال لهم صهيب: «أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتَخلُون سبيلي؟» قالوا: «نعم»، قال: «فإني قد جعلت لكم مالي». فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «رَبِحَ صهيب..»[2] وفي رواية عنه أنه قال لهم عندما لحقوا به: «هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي؟ ففعلوا، فقلت: احفروا تحت أُسْكُفَّتِهِ[3] الباب، فإن

---

(١) ابن إسحاق، ابن هشام (٢/ ١٢٣-١٢٤)، وإسناده حسن.

(٢) رواه ابن هشام معلقًا، السيرة (٢/ ١٣٣)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، ووافق الألباني الحاكم في تصحيحه كما في حاشيته على فقه السيرة للغزالي، ص١٦٦، وقال: «وله شاهد من حديث صهيب نفسه، ورواه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٦٠)، والبيهقي كما في البداية (٣/ ١٩١)، قلت: وقول الرسول ﷺ له هنا عندما رآه «يا أبا يحيى! ربح البيع».

- ورواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٨٢٨، ح١٥٠٩) مرسلاً ورجاله ثقات كما قال المحقق.

- ويفهم من مجموع الروايات أن صهيبًا هاجر بعدما هاجر الرسول ﷺ، وبذلك جزم ابن حجر في الإصابة (٢/ ١٩٥، ترجمة رقم ٤١٠٤)، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠).

(٣) الأُسْكُفَّةُ والأُسْكُوفَةُ: عتبة الباب التي يوطأ عليها.

انظر اللسان (٩/ ١٥٦، مادة: سكف).

تحتها الأواقي. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قُباء، قبل أن يتحول منها، فلما رآني قال: يا أبا يحيى، رَبِحَ البَيْعُ، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٠٧][1].

ورويت عدة روايات مرسلة في أن آية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ...﴾، قد نزلت فيه بمناسبة قصة هجرته. وعلق الطبري[2] على هذه الروايات بعد أن أوردها، فقال في تعليقه: «وأما ما روي من نزول الآية في أمر صهيب، فإن ذلك غير مستنكر، إذ كان غير مدفوع جواز نزول آية من عند الله على رسول الله ﷺ بسبب من الأسباب، والمعني بها كل من شمله ظاهرها. وقال ابن كثير[3] - بعد أن أورد الروايات في هذا الشأن -: «وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله...»، ولا تعارض بين ما ذكر الطبري وهذا الذي ذكره ابن كثير، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما يقول الفقهاء.

هجرة عمر بن الخطاب ﷺ ومن معه من المسلمين:

روى ابن إسحاق[4] عن عمر ﷺ أنه قال: «اتَّعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي التَّناضُب[5] من

---

(١) والرواية مطولة في المستدرك وصححها الحاكم، انظر: المستدرك (٣/ ٤٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٥٠، شاكر)، وانظر: زاد المسير (١/ ٢٢٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠).

(٣) التفسير (١/ ٣٦٠).

(٤) ابن هشام (٢/ ١٢٩-١٣١)، بإسناد حسن، وصححه ابن حجر في الإصابة (٣/ ٦٠٤)، وهو من رواية ابن السكن بإسناد ابن إسحاق، وهذا الأثر أو الخبر الصحيح في قصة هجرة عمر ﷺ يخالف الحديث الضعيف المشهور عند كثير من الناس من أن عمر ﷺ أعلن هجرته وقال المشركين: من أراد أن تثكله أمه وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي .. الخبر، وأصل الخبر عند ابن الأثير: أسد الغابة (٤/ ٥٨)، وقد خرجه الألباني في دفاع، ص٤٣، وحكم عليه بالضعف. ورواه كذلك ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق (١٨/ ٢٧٨).

(٥) وقال البلاذري: «التناضب وأضاة بني غفار، موضع واحد. الأضاة: أرض تمسك الماء فيكون فيها الطين. والتناضب: شجرات في هذه الأضاة، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشمالي إلى جوار قبر أم المؤمنين ميمونة، وقام بجانبها الغربي حي علي بعد ثلاثة عشر كيلاً من مكة، نحو الشمال»، وانظر محمد شراب: المعالم الأثيرة مادة: التناضب.

أَضَاةِ[١] بني غِفار، فوق سَرِف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حُبِسَ فليمض صاحباه. فأصبحت أنا وعياش عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن».

وعندما نزلت الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥]، كتبها عمر وأرسل[٢] بها إلى هشام بن العاص بمكة، فوجد صعوبة في فهمها؛ فدعا الله أن يفهمه إياها، فألقى الله في قلبه أنها نزلت في أمثاله، فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة[٣]. وعند ابن عبد البر[٤] أنه هاجر بعد الخندق.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يقنت في صلاته بعد الركوع الأخير داعياً: «اللهم انج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة...» الحديث[٥]، وفي رواية بزيادة: «... اللهم انج المستضعفين من المؤمنين...»[٦].

وقد أنجا الله هؤلاء الثلاثة وغيرهم.

وروى البخاري أن عمر بن الخطاب قدم مهاجراً إلى المدينة في عشرين راكباً من أصحاب النبي ﷺ[٧]. وقد سمّى ابن إسحاق جماعة منهم[٨]، وصدر الرواية بقوله: «ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه...»، وختمها بقوله: «... وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه حين قدما المدينة».

قلت: فرواية ابن إسحاق تفسر رواية البخاري، وتدل على أن هؤلاء العشرين من

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: ابن هشام (٢/ ١٢٩-١٣١) من حديث ابن إسحاق، بإسناد حسن.

(٣) هذه الرواية الصحيحة مخالفة لرواية ضعيفة رواها ابن هشام في السيرة (٢/ ١٣١ - ١٣٢) معلقة، تقول إن الوليد بن الوليد قدم مكة مستخفياً بناء على رغبة الرسول ﷺ وتمكن من معرفة مكان حبس عياش وهشام بن العاصي فأطلقهما وحملهما على بعيره إلى المدينة.

(٤) الاستيعاب (٣/ ٥٩٣).

(٥) البخاري: الفتح (١٧/ ٨٧-٨٨، ح٤٥٦٠).

(٦) البخاري: الفتح (١٢/ ٦٥، ح٢٩٣٢).

(٧) انظر: البخاري: الفتح (١٥/ ٨٨، ح٣٩٠٥)، وصححه على شرط الشيخين.

(٨) الفتح ١٥/ ١١٩، ح٣٩٢٥.

أهل عمر، من غير عياش، لحقوا به ولم يرافقوه ابتداء، إذ أن من رافقه عياش. وبهذا يزول التعارض الظاهر بين الروايتين.

أما أبو بكر الصديق ﷺ، فعندما أراد أن يهاجر، استبقاه الرسول ﷺ ليصحبه في هجرته عندما يؤذن له بذلك. وظل يستعد لذلك اليوم، فاشترى راحلتين، وأخذ يعلفهما لمدة أربعة أشهر[١].

وقد روى الحاكم[٢]، أن الرسول ﷺ قال لجبريل ﷺ: «من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر الصديق».

وتتابعت مواكب المؤمنين إلى دار الهجرة، دار الإسلام، ولم يبق أحد في دار الكفر، دار الحرب، إلا مستضعف مغلوب على أمره، أو صاحب عذر.

وكان آخر من بقي ممن هاجر عبد الله بن جحش ﷺ. وكان قد كف بصره، فلما أجمع على الهجرة كرهت امرأته ذلك، وجعلت تشير عليه أن يهاجر إلى غير المدينة، فهاجر بأهله وماله سراً، حتى قدم المدينة، وسطا أبو سفيان على داره بمكة فباعها. ومر بها بعد ذلك أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والعباس بن عبد المطلب وحويطب بن عبد العزى، وفيها أُهُبٌ[٣] معطوبة، فذرفت عينا عتبة، وتمثل ببيت من شعر، هو:

وكل دار وإن طالت سلامتها ... يوماً سيدركها التكباء والحوب

وأقبل أبو جهل على العباس قائلاً: «هذا ما أدخلتم علينا»[٤].

وروى هذه القصة ابن إسحاق[٥] بنحو رواية الطبراني عند الهيثمي، ولكن في روايته أن الكفيف هو عبد بن جحش وكنيته «أبو أحمد» وهو أخو عبد الله بن جحش، وأن زوجته هي الفرعة ابنة سفيان بن حرب، وأن أخاه عبد الله حمله معه عندما هاجر إلى المدينة مع أهله. ويبدو أن رواية ابن إسحاق هي الأقرب إلى

---

(١) البخاري (٣٩٠٥).

(٢) المستدرك (٣/ ٥)، وقال الذهبي: «صحيح غريب».

(٣) الأهب: مفردها: إهاب، الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ - [اللسان (١/ ٢١٧)، مادة: أهب].

(٤) الهيثمي: المجمع (٦/ ٦٣-٦٤)، وعزاه إلى الطبراني، وقال: «فيه عبدالله بن شبيب وهو ضعيف».

(٥) ابن هشام (٢/ ١٢٤-١٢٥)، معلقاً. فهو ضعيف.

الصواب، فقد ذكرها ابن حجر[١]، ولم يذكر غيرها.

وفي هذه القصة وغيرها دليل على أن كثيراً من الدور بمكة قد خلت من أصحابها.

❑ المبحث الثاني: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة: ❑

أولاً: تآمر قريش:

عندما علم المشركون بما تم بين الرسول ﷺ والأنصار في العقبة الثانية، وعندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى المدينة زرافات ووحداناً، خشوا من تجمع المسلمين بالمدينة، وخروج الرسول ﷺ إليهم ليقودهم نحو تحقيق ما يريد، ولذا قرروا التخلص منه ﷺ، فعقد زعماؤهم اجتماعاً خطيراً في دار الندوة، ليتشاوروا في أنجع الوسائل للتخلص من الرسول ﷺ.

ففي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر، سنة أربع عشرة من المبعث، الموافق الثاني عشر من أيلول (سبتمبر)، عام ستمائة واثنين وعشرين لميلاد عيسى ﷺ[٢]، أي بعد شهرين ونصف تقريبًا من بيعة العقبة الثانية - الكبرى[٣]، عقد زعماء قريش اجتماعًا خطيرًا في دار الندوة، ليتشاوروا في أنجع الوسائل للتخلص من الرسول ﷺ.

وقد ذكر القرآن الكريم مضمون الآراء التي طرحت في ذلك الاجتماع. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ[٤] أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠][٥].

---

(١) الإصابة (٤/ ٣) في ترجمة أبي أحمد بن جحش.

(٢) ذكره المباركفوري، ص١٧٦، وقال في الحاشية: «أخذنا هذا التاريخ بعد مراجعة التحقيقات التي سجلها المنصورفوري في كتابه: «رحمة للعالمين» (١/ ٩٥، ٠٧، ١٠٢، (٢/ ٤٧١).

(٣) لأن بيعة العقبة الكبرى كانت في حزيران (يونيو)، سنة ٦٢٢م كما ذكر المباركفوري، ص١٦٤ أما مسألة الشهرين والنصف تقريبًا فيفهم ذلك من ابن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة، انظر. مغازي عروة، ص ١٢٨ .

(٤) ليثبتوك: ليسجنوك.

(٥) روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس أن هذه الآية نزلت بهذه المناسبة، وذكر القصة المسند: (٥/ ٣٠١، الموسوعة الحديثية، ح٣٢٥١)، وإسناده ضعيف، وكذلك ضعفه شاكر، من أجل -

وجاءت الأحاديث والآثار مفصلة ما أجملته هذه الآية. فإضافة إلى ما جاء في رواية ابن عباس عند أحمد في سبب نزول الآية ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الأنفال: ٣٠] هناك رواية أخرى عن ابن عباس عند ابن إسحاق[١] فيها تفصيل أكثر عن هذه المؤامرة.

ففي هذه الرواية أنهم عندما اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر رسول الله ﷺ جاءهم إبليس في صورة رجل شيخ، مدعياً أنه من أهل نجد[٢]، قال إنه سمع بالذي اجتمعوا له وأراد أن يشاركهم الرأي والنصيحة فأذنوا له...

وعندما دارت المناقشة واقترح أحد المؤتمرين أن يحبسوا الرسول ﷺ، قال الشيخ النجدي: «لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم...».

ثم اقترح أحدهم أن ينفوه، فدحض النجدي الاقتراح مبيناً أن حسن حديث الرسول ﷺ ومنطقه وأسره القلوب سيجذب الناس إليه ويغلب بهم قريشاً. وأخيراً اقترح أبو جهل أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً نسيباً وسيطاً فيهم، ويعطى كل واحد منهم سيفاً صارماً، فيضربون جميعاً بأسيافهم محمداً ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً،

= عثمان الجزري، والحديث نقله ابن كثير في التفسير (٤/٤٩) عن هذا الموضع. وهو في مجمع الزوائد (٧/٢٧) ونسبه أيضا للطبراني، وقال: «وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح»، ونسبه في الدر المنثور (٣/١٧٩) أيضا لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والخطيب... قال ابن كثير في البداية (٣/١٩٩): «وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار...» وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/٩٥). وذكر كذلك عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة، انظر مغازي عروة، ص١٢٨. وروى البيهقي في الدلائل (٢/٤٦٥-٤٦٦) من حديث ابن لهيعة ومحمد بن فليح عن أبي الأسود عن عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة.

(١) ابن هشام (٢/١٣٦-١٣٩)، وسنده منقطع، ووصله الطبري في تاريخه (٢/٣٧٠-٣٧٢)، وبذلك يكون إسناده حسنا.

(٢) يذكر السهيلي في الروض (٢/٢٢٩) أنه ادعى ذلك، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد.

فيرضوا بالدية.

أيد النجدي هذا الاقتراح، ووافق عليه الجميع، وتفرقوا على ذلك ولم يبق إلا التنفيذ[١].

ثانياً: الإذن بالهجرة، والتخطيط لها ثم الشروع فيها:

بعد اتخاذ هذا القرار، أتى جبريل ﷺ رسول الله ﷺ وأخبره به، وأمره بعدم المبيت على فراشه هذه الليلة، والهجرة.

روى البخاري[٢] والطبري[٣]، من حديث ابن إسحاق أنه عندما أذن للرسول ﷺ وأمر بالهجرة جاء متقنعاً إلى منزل أبي بكر ﷺ في وقت لم يعتد أن يزوره فيه، في نحر الظهر - أول النهار - وهو أشد ما يكون في حرارة النهار. وعندما أخبر أبو بكر بقدومه، علم أن قدومه في تلك الساعة وبتلك الكيفية، إنما هو لأمر خطير.

وعندما أذن له أبو بكر بالدخول، طلب أن يخرج من عنده حتى لا يعرف ما يقول له، وطمأنه أبو بكر بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ، ثم أخبر أبا بكر بأن الله قد أذن له بالهجرة. وطلب أبو بكر أن يصحبه، فأكد له ما سبق أن ألمح له به من قبل. وأراد أبو بكر من الرسول ﷺ أن يأخذ إحدى الراحلتين، فوافق الرسول ﷺ، ولكن على أن يدفع ثمنها.

إن قول أبي بكر للرسول ﷺ بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ يريد بذلك عائشة وأسماء ﷺ، وهما مسلمتان، وعائشة ﷺ قد عقد عليها الرسول ﷺ، فهي

---

(١) لم تحدد الرواية الساعة التي اجتمعوا فيها، هل كانت ليلاً أم نهاراً، ولم نقف على المدة الزمنية بين اتخاذ قرار القتل وبين الشروع في التنفيذ.

(٢) الفتح (١٥/ ٨٨، ح٣٩٠٥)، والقصة عند ابن إسحاق بدون إسناد، وابن هشام (٢/ ١٤٠) وروى أحمد في المسند (٥/ ٢٥، شاكر) بإسناد صحيح والحاكم في المستدرك (٣/ ٤) بإسناد صححه ووافقه الذهبي أن أبا بكر جاء إلى بيت الرسول ﷺ ووجد عليًا ينام على فراشه، وظنه النبي ﷺ فأخبره علي أن النبي ﷺ قد انطلق إلى بئر ميمون، فأدركه وسار معه إلى الغار، ويمكن الجمع بين هذه الرواية ورواية البخاري بأن يكون مجيء النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحو الظهيرة من ذلك اليوم الذي حاصر فيه المشركون بيت النبي ﷺ ليلاً، فمر عليه أبو بكر فلم يجده، وبعدما أخبره علي لحق به في بئر ميمون، ومنها انطلقا إلى الغار، د. العودة، ص ٤٠٣.

(٣) تاريخه (٢/ ٣٧٧-٣٧٩)، بإسناد حسن.

زوجته، فلا خوف منهما. وقد صرح بهذا المعنى موسى بن عقبة في روايته، فقال: «أخرج من عندك، قال: لا عين عليك، إنما هما ابنتاي»، وفي روايته عن ابن شهاب، قال: «قالت عائشة: وليس عند أبي بكر إلا أنا وأسماء»[١]- وفي رواية ابن إسحاق[٢]: «إنما هما ابنتاي».

عند لقاء الرسول ﷺ بأبي بكر أخذا في وضع خطة للهجرة وإبطال كيد الكافرين. وكانت الخطة كالآتي، كما ذكرها البخاري وابن إسحاق:

١ - أن يخرجا ليلاً إلى غار ثَوْر[٣]، في الجهة الجنوبية الغربية من مكة، وفي هذا تمويه على الكفار، لأن أنظارهم ستتجه للبحث عن الرسول ﷺ في الجهة الشمالية - جهة المدينة.

٢ - أن يمكثا في الغار لمدة ثلاثة أيام[٤]، حتى يخف الطلب عنهما.

٣ - واستأجرا دليلاً ماهراً عارفاً بمسالك طرق الصحراء، ليقودهما إلى المدينة، وهو عبد الله بن أُرْقَد[٥] الدِّيلي، وكان مشركاً. واستكتماه الخبر. واتفقا معه على أن يلحق بهما في غار ثور بعد ثلاثة أيام. ودفعا إليه بالراحلتين اللتين اشتراهما أبو بكر، وكان يعلفهما لهذا اليوم[٦].

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٨٨-٨٩).

(٢) ابن هشام (٢/ ١٤٢)، بسند أبهم فيه من حدثه، وبقية الإسناد رجاله ثقات، ووصله الطبري في تاريخه من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٨).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٩٠، ح٣٩٠٥).

(٤) المصدر والمكان نفسهما، والطبري في تاريخه (٣/ ٣٧٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٥) كذا في أصل سيرة ابن هشام المخطوط بالأمكوريان (ق٤٦/ب)، بالدال، وفي المطبوع «أريقط»، فلعله تصحف في المطبوع من سيرة ابن هشام، قاله الدكتور سليمان العودة، ص٤٠٧، حاشية، والمشهور عند أهل السير: «أريقط». قلت وفي المطبوع من تاريخ الطبري «أرقد»، فانظره في (٢/ ٣٨٠) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، وقال محقق السيرة الشامية (٣/ ٣٤٦، الحاشية) إنه في المخطوط «أرقد».

وذكره الذهبي في التجريد (١/ ٢٩٩) من الصحابة، وقال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٧٤): «ولم أجد من ذكره في الصحابة غير الذهبي»، وقال ابن الأثير في أسد الغابة (ص١٧٧): «نقل عن أبي موسى أنه لا يعرف له إسلاماً».

(٦) البخاري: الفتح (٥١/ ٩٢-٩٣، ح٣٩٠٥).

٤ - وضعت لهما أسماء زاداً ووضعته في جراب، وقطعت من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق[١]. وفي رواية: ذات النطاقين[٢].

٥ - وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما في النهار، فيأتيهما به بالليل في الغار، ثم يرجع إلى مكة في السَّحَر، ليصبح مع قريش[٣].

٦ - وأمر مولاه عامر بن فُهَيْرَة أن يرعى غنمه نهاره ثم يُريحَها عليهما في الغار إذا أمسى، ليطعما من ألبانها[٤]، ويذبحا منها للأكل[٥]، ويزيل بها آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر[٦].

٧ - وأمر أسماء أن تأتيهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء[٧].

٨ - وانطلق رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته[٨].

٩ - وأمره أن ينام على فراشه ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر، الذي ينام فيه، وطمأنه بأنه لن يصل إليه منهم شيء يكرهه[٩]، وذلك للتمويه.

---

(١) رواه البخاري: الفتح (١٥/ ٩٠، ح٣٩٠٥)، من حديث عائشة في قصة الهجرة.

(٢) المصدر نفسه (١٦/ ١٠٣، ح٣٩٠٧)، من حديث أسماء، ذكر ابن سعد (١/ ٢٢٩) أنها شقت نطاقها فأوكأت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين. وهي رواية الواقدي. وذكر ابن إسحاق وابن هشام سبب هذه التسمية (ابن هشام ٢/ ١٤٤)، وكلاهما بدون إسناد.

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٩٢، ح٣٩٠٥)، وابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (١/ ١٤٢٩).

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ٩١-٩٢، ح٣٩٠٥).

(٥) ابن هشام (٢/ ١٤٣)، من حديث ابن إسحاق، بدون إسناد.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (٢/ ١٤٢)، ووصله الطبري في تاريخه (٢/ ٣٧٨). وإذا اعتبرنا الجملة «فيما بلغني» خاصة بمن أعلمهم الرسول ﷺ فيكون الخبر حسنًا.

(٩) روى أحمد بإسناد حسن أنه بات على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ولم يزد على ذلك: المسند (٥/ ٨٧، شاكر). وذكر الحاكم في المستدرك (٣/ ٤) أنه بات على فراشه وذكر حوار المشركين معه =

١٠ - وأمر أبو بكر عامر بن فُهَيْرَة أن يصحبهما في هجرتهما ليخدمهما ويعينهما في الطريق[١].

لقد أمر الله الرسول ﷺ بهذه الهجرة بعد أن مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه[٢]. وعندما أمره بالهجرة، أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠][٣]. وكان ما أراده من الله له في هذا الدعاء الموجز المعبر، والذي اختاره له الله ليجعله مفتاحاً للطمأنينة.

أما في الجانب الآخر، فقد اختار زعماء، قريش في ندوتهم أحد عشر زعيماً يمثلون قبائل قريش المعادية للإسلام، فقضوا نهار يومهم ذاك في الإعداد لتنفيذ القرار الذي اتخذوه في دار الندوة.

وعلى الرغم من علم الرسول ﷺ بهذا القرار، لم ينس أن يقوم بعمل إيماني بطولي، يعد بمفهومنا المادي اليوم «مغامرة»، بل قال عنه الذهبي «منكر»، أي غير منطقي. وهو أنه ذهب في تلك الليلة مع علي إلى الكعبة، وأمره أن يصعد على منكبه إلى فوق الكعبة، ليرمي صنم قريش الذي كان من نحاس وموتد بأوتاد من حديد. وعندما كان علي يعالج الصنم ليفكه، كان الرسول ﷺ يقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً».

وتمكن علي من فكه ورميه وتكسيره، وانطلقا ولم يرهما أحد، ولم يرفع الصنم بعد ذلك[٤].

= عندما اكتشفوه وهو ينام على غير الصفة التي كان ينام عليها الرسول ﷺ، وما ذكرناه رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع، وهو حسن بالشواهد.

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ٩٣، ح٣٩٠٥).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٨٣، ح٣٩٠٢).

(٣) رواه أحمد: المسند (٣/ ٢٩١/ح١٩٤٨)، وصحح شاكر إسناده، ورواه غيره بإسناد صحيح، مثل: الترمذي (٤/ ١٣٧)، وقال: حسن صحيح، وضعفه محقق الموسوعة الحديثية.

(٤) الحاكم في المستدرك من عدة طرق (٢/ ٣٦٦-٣٦٧) و(٢/ ٥)، وصححه، وقال الذهبي إن إسناده نظيف والمتن منكر.

وضعف أبو إسحاق الجويني الأثري إسناده لأن فيه أبا مريم الثقفي، وهو عنده مجهول، انظر: النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص١١٣ .

وهذا التصرف عندنا لمن المعجزات الدالة على عناية الله برسوله ﷺ.

فلما كانت غَتْمَةٌ من الليل اجتمع القوم المنوط بهم تنفيذ الخطة، على باب الرسول ﷺ يترقبون نومه، ليثبوا عليه، وكان معهم أبو جهل، ليطمئن على سير الخطة، ويشجعهم على التنفيذ، ومما كان يفعله بهذا الصدد السخرية من محمد ﷺ والتشكيك في دعوته، فتراه يقول لهم: «إن محمداً يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها»[1].

وبينما هم على هذه الحالة خرج عليهم رسول الله ﷺ، وقد سمع كلام أبي جهل، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدهم، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهم لا يرونه، لأن الله قد أخذ على أبصارهم، وهو يتلو الآيات من سورة «يس»: ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ ... إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]. وتركهم على هذه الحالة، ثم خرج[2].

قال السهيلي[3]: «... فذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم - أي الكفار - من التقحم عليه في الدار مع قصر الجدار، وأنهم إنما جاءوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنَّا تسورنا الحيطان على بنات العم، وهتكنا ستر حرمتنا، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه، ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج...». وعبارة الشامي[4]: «... أن بعض أهل السير ذكروا السبب المانع من ذلك مع قصر الجدار»، فذكر هنا أن المصدر هو أهل السير وليس أهل التفسير كما عند السهيلي.

---

(١) ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل، موقوف على محمد بن كعب القرظي (ابن هشام ٢/١٢٩).

(٢) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (٢/١٤٣)، وفي هذا الخبر أنه خرج متوجهًا إلى منزل أبي بكر، فتسللا من خوخة - باب خلفي - في دار أبي بكر، وذهبا إلى غار ثور، بأسفل مكة. وهذا مخالف للكيفية التي سبق ذكرها في خروجهما إلى غار ثور، وقد وَفَّق الدكتور العودة بين الروايات في هذا الموضوع كما ذكرنا. فانظره في مكانه.

(٣) الروض الأنف (٢/٢٢٩).

(٤) السبل (٣/٣٢٩).

وعندما خرج أبو بكر كان يحمل معه كل ماله، وقدره خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم[١].

وفي طريقهما إلى الغار، وقبل أن تختفي مكة عن الأنظار، نظر إليها الرسول ﷺ بعاطفة مشحونة بالذكريات، تدل على حبه لها لما بها من رموز في حياته. فكيف لا يحبها وقد أحبها الله ﷻ وجعل بها بيته المقدس، وفيها أرسله الله إلى العالمين. وقف ينظر إليها وهو يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت»[٢].

وقال عنها في رواية أخرى - تلي هذه عند الترمذي بسند صحيح (٢٩٢٢)-: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

أما المتآمرون، فعندما رآهم أحد الناس أمام الباب، سألهم عن سبب وجودهم أمامه، فأخبروه الخبر، فأعلمهم أن النبي ﷺ قد خرج فلم يصدقوه؛ لأنهم يرون علياً نائماً على فراش النبي ﷺ، فظنوه محمداً ﷺ. ولم يكتشفوا الحقيقة إلا عندما قام علي من الفراش في الصباح[٣].

وعند هذا أخذوا في وضع الخطط للعثور عليه، ومن ذلك:

١ - إلقاء القبض فوراً على علي وضربه وسحبه إلى الكعبة، ثم اعتقاله بعضاً من الوقت، لحين التحقيق معه، للوصول إلى معلومات تفيدهم في العثور على الرسول ﷺ. ولكنهم فشلوا معه[٤].

٢ - جاء نفر منهم إلى منزل أبي بكر ﷺ وفيهم أبو جهل، لعلهم يجدونه هناك ويفعلون به مثلما فعلوا بعلي. فخرجت إليه ابنته أسماء، فسألوها عن والدها، فقالت: إنها لا تدري أين هو، فغضب أبو جهل لهذا الجواب، فلطمها لطمة

---

(١) ابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٥٢).

(٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٥٠، ح٣٠٨٣).

(٣) ابن إسحاق بإسناد مرسل، ابن هشام (٢/ ١٣٩).

وخلاصة القول: إن قصة تآمر المشركين على الرسول ﷺ ومبيت علي في فراشه، تتقوى بالشواهد والمتابعات.

(٤) قاله المباركفوري في الرحيق المختوم وعزاه إلى المنصورفوري في رحمة العالمين (١/ ٩٦) ولم نقف على مصدر صاحب الرحمة.

طرح منها قُرْظها[١].

٣ - وضعوا جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة الدقيقة.

٤ - قرروا منح جائزة مقدارها دية كل من الرسول ﷺ وأبي بكر لمن يعثر عليهما حيين أو ميتين[٢].

٥ - استأجروا قصاص الآثار، ليتبعوا آثارهما حيثما حلا[٣].

الطريق إلى الغار:

روى البيهقي[٤] وغيره[٥] أنهما عندما انطلقا إلى الغار جعل أبو بكر يمشي ساعة بين يدي الرسول ﷺ وساعة خلفه، وعندما فطن له سأله عن السبب، قال يا رسول الله: «أذكر الطَّلَبَ، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرَّصَدَ فأمشي بين يديك»، فقال له الرسول ﷺ: «يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن تكون لك دوني؟»، قال: «نعم، والذي بعثك بالحق ما كان لتكون من ملمة إلا أحببت أن تكون لي دونك».

أما الخبر الذي يروى عن عمر وفيه أن رسول الله ﷺ عندما خرج من مكة ليلاً وصحبه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه يحرسه، وعندما خفيت قدما الرسول ﷺ حمله على كاهله إلى فم الغار، وسده أحجار الغار بقدمه، والحيات

---

(١) ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ١٤٥). والقرط: حلم يوضع على الأذن للزينة.

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٩٣، ح٣٩٠٦)، وروى ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام (٢/ ١٥٢)، أن قريشًا جعلت مائة ناقة لمن يرد الرسول ﷺ عليهم.

(٣) ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩١، شرح الحديث رقم ٣٩٠٥)، وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٢٩٣): «ذكر أبو سعيد في «شرف المصطفى» أن المشركين كانوا استأجروا كُرْز بن علقمة لما خرج النبي ﷺ مهاجراً، فقفا أثره حتى انتهى إلى غار ثور، فرأى نسج العنكبوت على باب الغار، فقال: «إلى هنا انتهى أثره ثم لا أدري أخذ يميناً أو شمالاً أو صعد الجبل».

(٤) الدلائل: (٢/ ٤٧٦).

(٥) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦)، وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه». وذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩١)، وذكر أن البغوي ذكره بنحوه من مرسل ابن أبي مليكة، وذكر ابن هشام نحوه بلاغاً، وباختصار، ابن هشام (٢/ ١٤٣)، وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ١٩٧)، وعزاه للبغوي، وقال: «وهذا مرسل، وقد ذكرنا له شواهد أخرى من سيرة الصديق ﷺ».
قلت: «الحديث يتقوى بالشواهد.

تلسعه، ودموعه تسيل على الرسول ﷺ... هذا الخبر قاله عنه الذهبي[١]: «وهو منكر، سكت عنه البيهقي[٢]، وساقه من حديث يحيى بن أبي طالب، أخبرنا عبد الرحمٰن بن إبراهيم الراسبي.... وآفتُهُ من هذا الراسبي، فإنه ليس بثقة، مع كونه مجهولاً، ذكره الخطيب في تاريخه فغمزه».

وقال ابن كثير[٣] عن هذا الحديث بعد أن ساقه من رواية البيهقي المشار إليها: «وفي هذا السياق غرابة ونكارة». وزاد الدكتور السعود[٤] بعد قول ابن كثير هذا: «نعم، لأنه في سنده فرات بن السائب - ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة - وقال أبو حاتم: «منكر الحديث» وقال البخاري: «تركوه، منكر الحديث»، فهذا الخبر ضعيف منكر».

في الغار:

وعندما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر للرسول ﷺ: «مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ[٥] لك الغار»، فدخل فاستبرأه، ثم تذكر أنه لم يستبرئ الجحر الذي فيه، فقال: «مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ»، فدخل فاستبرأ، ثم قال: «انزل يا رسول الله»، فنزل الرسول ﷺ إلى الغار[٦].

وكبت قريش في كل وجه يطلبون النبي ﷺ. وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم، ويجعلون لهم الجعل العظيم، وأتوا على جبل ثور الذي فيه الغار، الذي فيه النبي ﷺ، وطلعوا فوقه، وسمع الرسول ﷺ وأبو بكر أصواتهم، فأشفق أبو بكر وأقبل عليه الهم والخوف والحزن، وقال: «يا رسول الله ﷺ لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه». فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله

---

(١) السيرة، ص٣٢١.

(٢) الدلائل: (٢/٤٧٧).

(٣) البداية والنهاية: (٣/١٩٨).

(٤) رسالة الهجرة، ص١٦٩.

(٥) أي بتأكد من سلامته وخلوه من الآفات الضارة.

(٦) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٤٧٦) بإسناد مرسل، لأنه موقوف على ابن سيرين، سبق الكلام عنها، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/٦) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرك.

ثالثهما[١]». وفي هذا نزل قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠][٢].

وحمى الله نبيه في الغار من كل سوء، ومن أدلة حماية الله له ولصاحبه: ما روى أحمد[٣] أن قريشاً اقتفوا أثرهما، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت. فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه. وروي مثله عن الحسن البصري، وزاد فيه أن النبي ﷺ كان يصلي في تلك اللحظات وأبو بكر يرتقب[٤].

ومرت أيام الغار بسلام، إلا ما ذكر من أن حجراً أصاب يد رسول الله ﷺ فقال:

«هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت»[٥]

وقد رويت بعض الأخبار الواهية فيما يتعلق بفترة وجود النبي ﷺ وأبي بكر بغار ثور، ومن أشهرها:

١ - ما رواه ابن سعد[٦] والبزار[٧] من أن الله أمر شجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ

---

(١) البخاري: الفتح (١٧/ ٢٠٥، ح٤٦٦٣)، ومسلم (٤/ ١٨٥٤، ح٢٣٨١).

(٢) انظر الآثار الواردة في سبب نزولها عند الطبري في تفسيره (٤/ ٢٥٧-٢٦٠)، بتحقيق شاكر، والقصة المذكورة هنا عند الشيخين وغيرهما قرنت بسبب نزولها.

(٣) المسند (٥/ ٨٧، شاكر) وقال شاكر: «في إسناده نظر، من أجل عثمان الجزري، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكر ابن كثير في تاريخه (٣/ ١٩٨-١٩٩) هذه الرواية وقال عنها: «وهذا إسناد حسن». وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩٠). وسبق الكلام عن هذا الخبر. وضعفه محققو الموسوعة الحديثية (٣٢٥١).

(٤) وذكره ابن كثير في تاريخ (٣/ ١٩٩)، وعزاه إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر، وقال عنه: «وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار».

(٥) انظره في صحيح مسلم (٣/ ١٤٢١، ح١٧٩٦).

(٦) الطبقات (١/ ٢٢٩)، من طريق هرون بن عمرو القيسي وأبي مصعب المكي.

(٧) انظر: كشف الأستار، (٢/ ٢٩٩-٣٠٠)، وانظر الحديث عند: البيهقي في دلائله (٢/ ٤٨١-٤٨٢)، وأبو نعيم في دلائله (٢/ ٣٢٥) وأسانيده ضعيفة. وقلنا إن بعض العلماء جود إسناد الرواية - =

فسترته، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأن فتيان قريش عندما وصلوا إلى قدر أربعين ذراعاً من فم الغار، نظر أولهما فرأى الحمامتين، فرجع فقال له أصحابه: «مالك لم تنظر في الغار؟» قال: «رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد»، فسمع النبي ﷺ قوله، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فَسَمَّتَ[1] عليهن وفرض جزاءهن وانحدرتا في حرم الله، فأفرخا، وأن نسل حمام الحرم منهما.

٢ - روى بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال للرسول ﷺ: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه» قال النبي ﷺ: «لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من هنا» فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذ البحر اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه[2].

٣ - ما روي من أن أبا بكر قال لابنه: يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية[3].

٤ - ما روي من أن رجلاً من المشركين جاء حتى استقبل رسول الله ﷺ بعورته يبول، فقال أبو بكر: «يا رسول الله: أليس الرجل يرانا؟» قال: «لو رآنا لم يستقبلنا بعورته[4]».

= رواية أحمد - التي فيها نسج العنكبوت على فم الغار.
وفي هذا الحديث أن القائف كان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، أتى في غير كتابي البيهقي وأبي نعيم (أعني المطبوع).

(١) بارك بالدعاء.

(٢) قال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٠١): «وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف . . .»، قلت وإلى كلمة «قدميه» الثانية ورد بإسناد صحيح كما عند ابن حنبل في الفضائل (١٧٧، ح١٧٩).

(٣) أخرجه البزار بإسناد فيه موسى بن مطير كما في البداية (٣/ ٢٠١)، وقال عنه ابن كثير: «وموسى بن مطير هذا ضعيف ومتروك. وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه».
وزاد السعود (ص١٦٩): « . . . وقال أبو حاتم: متروك الحديث ذاهب الحديث، انظر: تاريخ ابن معين ٢/ ٥٩٦)، والجرح والتعديل (٨/ ١٦٢).

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٥٤) عن أبي بكر ﷺ، رواه أبو يعلى وقال عنه: «وفيه موسى -

٥ - ما روي أن أبا بكر عطش في الغار، فقال له رسول الله ﷺ: «اذهب إلى صدر الغار فاشرب»، فانطلق أبو بكر إلى صدر الغار فشرب منه ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك، ثم عاد، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن أخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب[١]».

التوجه إلى المدينة:

ولما انقطع الطلب عنهما، جاءهما الدليل ابن أرقد بعد ثلاث ليال من بقائهما في الغار ومعه الراحلتان. وكان معهما عامر بن فهيرة. انطلق الأربعة إلى المدينة، عن طريق الساحل[٢].

بعد أن اتخذ الرسول ﷺ جميع الأسباب التي في مقدور البشر لينجو من الأعداء، كان مطمئناً، ولسانه رطب بذكر الله، بالدعاء، بينما كان أبو بكر يكثر الالتفات؛ حرصاً منه على سلامة الرسول ﷺ[٣].

وعندما حانت ساعة المقيل في يومهم ذاك، وخلا الطريق، رفع الله لهم صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليها الشمس، فنزلوا عندها، وسوى أبو بكر بيده مكاناً تحتها، وبسط عليها فروة، وطلب من الرسول ﷺ أن ينام، وخرج هو ليراقب المكان، فإذا هو براع مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل ما أرادوا. وتكلم معه أبو بكر ليعرف أمره، فعرف أنه رجل من أهل مكة. ورضي أن يحلب لهم من شاة له. وطلب منه أبو بكر أن ينظف الضرع قبل الحليب، وكره أن يوقظ الرسول ﷺ للشرب، فانتظره حتى استيقظ، فشرب حتى رضي أبو بكر، ثم أمر بالرحيل[٤].

= ابن مطير، وهو متروك»، ورواه كذلك عن أسماء ﷺ، وقال عن إسناده: «رواه الطبراني، وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح»، المجمع (٦/ ٥٣، ٥٤).

(١) السيوطي: الخصائص (١/ ٣٠٧-٣٠٨)، وقال: «أخرجه ابن عساكر بسند واه عن ابن عباس».

(٢) انظر: البخاري: الفتح (١٥/ ٩٣، ح٣٩٠٥) و(١٤/ ١٤٢-١٤٣، ح٣٦٥٢)، وقد ذكر ابن إسحاق المواضع التي مر بها رسول الله ﷺ في هذا الطريق، ابن هشام (٢/ ٥٠-١٥٦)، بدون إسناد.

(٣) انظر البخاري: الفتح (١٥/ ٩٥، ح٣٩٠٦).

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ١١٣-١١٤، ح٣٩١٧-٣٩١٨).

وكان الرسول ﷺ يردف أبا بكر معه على راحلته، وكان إذ سأل أحد أبا بكر في الطريق عن الرسول ﷺ، يقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب السائل أنه يعني الطريق، وإنما كان يعني سبيل الخير[١].

وروى البخاري[٢] من حديث سُرَاقَة بن مالك أنهم مروا في طريقهم بحي بني مُدْلِج[٣]، فرآهم رجل منهم، فجاء إلى مجلس من مجالس قومه وفيهم سراقة بن مالك، فقال: «يا سراقة، إني قد رأيت آنفاً أَسْوِدَة بالساحل، أراها محمداً وأصحابه». قال سراقة: «فعرفت أنهم هم: فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً؛ انطلقوا بأعيننا»، ثم لبث في المجلس ساعة، ثم قام فدخل داره، وأمر جاريته أن تخرج بفرسه إلى ما وراء الأَكَمَة، ثم تجهز هو وتسلل إلى مكان فرسه، فركبها وانطلق بها. وعندما دنا من محمد ﷺ وأصحابه، عثرت به فرسه، فنزل عنها وأخرج الأزلام، فاستقسم بها ليعرف: هل يضرهم أم لا؟ فخرج السهم الذي يكره، وهو ألا يضرهم، ولكنه عصى فركب فرسه، وانطلق إلى أن وصل مكاناً يسمع منه دعاء الرسول ﷺ ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين[٤]. فنزل عنها ثم زجرها، فنهضت. وعندما انتزع الفرس يديه من الأرض، تبعهما دخان كالإعصار، فعرف حين رأى ذلك أن رسول الله ﷺ قد منع منه، وأن أمره سيظهر، فاستقسم بالأزلام، فخرج الذي يكره، فناداهم بالأمان، فوقفوا، فركب فرسه حتى جاءهم، ووقع في نفسه حين لقي ما لقي من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فأخبر الرسول ﷺ أن قومه قد جعلوا فيه وفي أبي بكر ﷺ الدية، وأخبرهم أخبار ما يريد الناس، وعرض عليهم الزاد والمتاع، ولكنهم لم يطلبوا منه شيئاً سوى أن الرسول ﷺ طلب منه أن يخفي عنهم. وسأل سراقة أن يكتب له كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب له ما أراد في رقعة من جلد، ثم مضوا.

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/١٠٦-١٠٧، ح٣٩١١).

(٢) الفتح (١٥/٩٣-٩٦، ح٣٩٠٦)، مسلم (٤/٣٠٩، وما بعدها، ح٢٠٠٩).

(٣) كان مقرهم بالقرب من رابغ، وتبعهم سراقة حينما كانوا مصعدين من قديد.

(٤) في حديث البراء عند البخاري: الفتح (١٥/١٠٤، ح٣٩٠٨)، وفي حديث أنس عنده، المصدر نفسه، ص١٠٧، ح٣٩١١. وفي حديث البراء عند مسلم (٣/١٩٢، ح٢٠٠٩)، أن ذلك كان بسبب دعاء النبي ﷺ عليه.

روى البخاري[١] بسنده إلى أبي بكر ﷺ: «ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا منهم أحد غير سراقة بن مالك بن جُعْشُم على فرس له. فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن، إن الله معنا».

وعندما رجع سراقة إلى قومه، جعل يقول لهم: «قد استبرأت لكم الخبر. قد كُفِيتُم ما ههنا»[٢]. وهكذا كان أول النهار جاهداً عليهما وآخره حارساً لهما[٣].

وكان كتاب الأمان مع سراقة إلى أن جاء به الرسول ﷺ، عندما فرغ من حنين والطائف، فوفاه له رسول الله ﷺ وقال: «يوم وفاء وبر» ويومها أسلم سراقة[٤].

روى ابن حجر[٥] وابن عبد البر[٦] وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟» قال: فلما أتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما، وكان سراقة رجلاً أزب كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك، فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جُعْشُم، أعرابي من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته».

وذكر ابن إسحاق[٧] أبياتاً من الشعر يحرض فيها أبو جهل قوم سراقة على سراقة، ورد عليه سراقة أيضاً بأبيات من الشعر[٨].

---

(١) الفتح (١٤/ ١٤٤، ح٣٦٥٢).

(٢) البخاري: الفتح (١٤/ ١٢٠، ح٣٦١٥).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ١٠٧-١٠٨، ح٣٩١١).

(٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ورجاله رجال الصحيح، ابن هشام (٢/ ١٥٤).

(٥) الإصابة (٢/ ١٩)، بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طرفيه، فلا يصح.

(٦) الاستيعاب (٢/ ١٢٠)، بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طرفيه فلا يصح.
وانظر رسالة الهجرة، ص١٨٠، وهو إسناد ابن حجر نفسه.

(٧) من رواية يونس بن بكير بدون إسناده، ذكره البيهقي في دلائله (٢/ ٤٨٩)، وذكر أبيات سراقة ولم يذكر أبيات أبي جهل، وانظر أبيات أبي جهل التي أوردها المحقق لأن البيهقي لم يوردها.

(٨) وانظر: أبيات سراقة وأبيات أبي جهل في البداية لابن كثير (٣/ ٢٠٤)، وقال: «وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق، وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زيادة عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً»، وانظر الدلائل لأبي نعيم (٢/ ٣٣٦-٣٣٧)، وهو كما قال ابن كثير، وهي من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد.

ثم مر رسول الله ﷺ وصحبه في مسيره ذلك بخيمتي أم مَعْبَد الخُزَاعِيَّة، فسألوها إن كان عندها طعام، فاعتذرت بالجدب، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قرب الخيمة، فسألها عنها، فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟» قالت: «هي أجهد من ذلك». فاستأذنها في حلبها، فأذنت له قائلة: «إن رأيت بها حلباً فاحلبها». فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فدرت، فدعا بإناء لها، فحلب فيه، فسقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب وحلب فيه ثانياً، حتى ملأ الإناء وتركه لها، ثم ارتحلوا.

وعندما جاء زوجها أبو معبد ورأى اللبن عجب من ذلك، فأخبرته بالذي حدث من محمد ﷺ، فقال: «والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه»، وطلب منها أن تصفه له، فوصفته له، وعندما سمع وصفها، قال: «والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً»، وأصبح صوت بمكة عالياً - يسمعونه ولا يرون القائل:

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد[1]

وفي الرواية أن أبا معبد عندما قال اللبن: من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب حائل ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.

ومرَّ الركب في طريقه بعبد يرعى غنماً، فطلبوا منه طعاماً، فاعتذر لهم بأن لا لبن في شياهه، إلا شاة - أو عناقاً - جف لبنها قريباً، فاستأذنه الرسول ﷺ، فمس ضرعها فحلبت، ورووا منها جميعاً، وعندما رأى الراعي ذلك أسلم، وطلب أن يتابع الرسول ﷺ، ولكن الرسول ﷺ طلب منه أن يأتي عندما يسمع بظهوره[2] يعني

---

(١) أخرج قصة الرسول ﷺ وأم معبد، الحاكم في مستدركه (٣/٩-١٠) مطولة من حديث هشام ابن حبيش، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وذكر أموراً يستدل بها على الصحة، ووافقه الذهبي، وقال: «صحيح»، ولكنه نازعه في توافر شرط الصحيح.
وقال ابن كثير في البداية (٣/٢٠٩) عن قصة أم معبد: «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً». والخلاصة أن القصة تتقوى إلى درجة الحسن لكثرة طرقها وشهرتها، كما قال الدكتور السعرد في رسالة الهجرة، ص١٩٩، وسيأتي وصف أم معبد للرسول.

(٢) أخرج هذه القصة الحاكم في المستدرك (٣/٨)، وقال ابن كثير في البداية (٢/٢١٣) معلقاً على هذه القصص الخاصة بمعجزات النبي: «يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة». قلت: ويحتمل التعدد، وهو ما نميل إليه.

بعد التمكين.

وروى أحمد[١]، عن ابن مسعود ﷺ والطيالسي[٢]، قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة، فأتى عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر، وقد فرا من المشركين، فقال: أو فقالا: «عندك يا غلام لبن تسقينا» قلت: إني مؤتمن، ولست بساقيكما، فقال: «هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل بعد؟ قلت: نعم فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر، وأخذ رسول الله ﷺ الضرع، ودعا، فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها، ثم شرب هو وأبو بكر، ثم سقياني ثم قال للضرع: أقلص. فقلص، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني من هذا القول الطيب، يعني القرآن، فقال: «إنك غلام مُعَلَّم»، فأخذت من فيه سبعين سورة، ما ينازعني فيها أحد[٣].

ولقوا في طريقهم ركباً من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فيهم الزبير فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر بثياب بيض[٤].

وعندما وصلوا العرج، احتاجوا للاستفسار عن الطريق، فدلهم أحد القاطنين على الطريق وبين لهم أن الطريق القريب عليه لصان من قبيلة أسلم، يقال لهما: «المهانان»، ولم يبال الرسول ﷺ بهما، وعندما لقيهما عرض عليهما الإسلام، فأسلما، وسماهما «المكرمان»، وطلب منهما القدوم عليه في المدينة[٥].

وروى البزار[٦] وابن الأثير[٧] بسنديهما إلى بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأَسْلَمِي، أن رسول الله ﷺ لما أقبل في مهاجره لقي ركباً، فقال: «يا أبا بكر: سل القوم فممن

---

(١) المسند (١/ ٤٦٢)، بإسناد حسن، كما قال شاكر ومحققو الموسوعة (٤٤١٢).

(٢) منحة المعبود (برقم ٢٤٥٦)، بإسناد صحيح.

(٣) انظر المصادر عند ابن كثير سيرة الرسول، تحقيق سيد الجليمي ص ١٥٩ .

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ٩٧، ح٣٩٠٦).

(٥) أخرج القصة عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٤/ ٧٤)، وانظر: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٨٨) وسكت الساعاتي عن إسناده. وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٨)، وقال: «رواه عبدالله بن أحمد، وابن سعد اسمه عبدالله، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

(٦) كشف الأستار (٢/ ٣٠١-٣٠٢)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٥): «رواه البزار وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري، وهو متروك».

(٧) أسد الغابة (١/ ٢٠٩)، طبعة دار الفكر، وإسناده منقطع.

هم؟» قالوا: من أسلم، قال: «سلمت يا أبا بكر، سلهم من أي أسلم؟» قالوا: من بني سهم، قال: «ارم بسهمك يا أبا بكر».

وروي أنهم عندما وصلوا الجحفة وجدوا إبلاً، فقال رسول الله ﷺ: «لمن هذه الإبل؟» فقالوا: «لرجل من أسلم»، فتفاءل ﷺ: وقال لأبي بكر: «سلمت إن شاء الله»، وسأل الراعي عن اسمه، فقال: «مسعود»: فتفاءل ﷺ وقال لأبي بكر: «سعدت إن شاء الله»[1].

وقيل: إن إحدى راحلتيهما تخلفت عنهما، فعندما جاء صاحب الإبل، وهو أوس بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن حُجْر الأسلمي، فأعطاهما فحلاً، وطلب من غلامه مسعود أن يصحبهم إلى المكان الذي يريدونه، فرص معهم إلى قباء[2].

وروي أن أوساً بن عبد الله بن حجر الأسلمي مر برسول الله ﷺ ومعه أبو بكر «بحدوات»، بين الجحفة وهرشى، وهما على جمل واحد متوجهين إلى المدينة، فحملهما على فحل إبله «ابن الرداء»، وبعث معهما غلامه مسعود، وطلب منه أن يسلك بهما حيث يعلم من الطريق، ولا يفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منه... فأوصلهما المدينة ثم عاد، وقد حمله وصية إلى سيده، وهي أن يسم إبله على أعناقها[3].

---

(١) إلى هنا رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٠٩)، من رواية أبي نعيم، ولم يتكلم عنه، قلت: انظر المعرفة لأبي نعيم (٢/ ل ١٨٢/أ) وفي إسناده محمد بن عباد بن موسى العكلي، وفيه ضعف، وموسى بن عباد وإياس بن مالك لم يترجم لهما أحد، فالخبر ضعيف.

(٢) إن مضمون هذا الخبر في الاستيعاب (١/ ٨٢)، وقد حسن ابن عبدالبر إسناده.

(٣) رواه ابن هشام في زياداتهعلى سيرة ابن إسحاق، وبدون إسناد، انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٥٦)، ورواه ابن حجر في الإصابة (١/ ٨٦)، ترجمة أوس بن عبدالله، وذكر أن الطبراني قد روى، وكذلك قال: «رواه أبو العباس بن السراج في تاريخه، مرسلاً ...» ثم قال: قال ابن عبدالبر (الدرر، ص٩١): «مخرج حديثه عن ولده، وهو حديث حسن». قلت: وتحسين ابن عبدالبر له بناء على اعتباره قبول الحديث المرسل، لكن جمهور المحدثين على رده، ولهم شروط في قبوله مثل حالات الاعتضاد والمتابعات والشواهد. والتفريق بين مرسل فلان ومرسل فلان ... وذكر ابن حجر (١٥/ ١٠٧) أنه أخرجه أبو سعيد في «شرف المصطفى» من طرق إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي، ووصله ابن السكن والطبراني عن إياس عن أبيه عن جده أوس بن عبدالله بن حجر فذكر نحوه مطولاً ...

ولقي ركب الهجرة عند الغميم بريدة بن الحصيب الأسلمي - زعيم قومه حينذاك - وكان قد خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر، أملاً في الفوز بالجائزة المعلنة من قبل قريش. وعندما التقى برسول الله ﷺ، وحدثه الرسول ﷺ في أمر الإسلام، أسلم وأسلم معه زهاء ثمانين بيتاً من قومه، وقيل: سبعين[١]. وبات بريدة مع الرسول ﷺ، وفي الصباح قال بريدة: «يا رسول الله: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء». فحمل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة[٢].

الوصول إلى المدينة:

روى البخاري[٣] وابن إسحاق[٤] والحاكم[٥] وغيرهم أنه عندما بلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة، كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد الحر رجعوا إلى منازلهم. فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة من المبعث - وهي السنة الأولى من الهجرة - الموافق الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر) سنة اثنتين وعشرين وستمائة من الميلاد[٦]، خرجوا على عادتهم، فلما حمي الحر رجعوا. وصعد رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه، فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصرخ بأعلى صوته: «يا معشر العرب[٧]، هذا جدكم الذي تنتظرون»، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، وسمعت الرَّجَّة والتكبيرة في بني عمرو بن عوف،

---

(١) ممن روى خبر لقاء رسول الله ﷺ ببريدة وإسلامه مع جماعة من قومه: ابن سعد: (٤/ ٢٤٢)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩)، ابن الأثير: أسد الغابة (١/ ٢٠٩)، ابن حجر: الإصابة (١/ ١٤٦)، ابن عبدالبر: الاستيعاب (١/ ١٧٣) وغيرهم، وأسانيدهم ضعيفة.

(٢) أورد هذه الجزئية من قصة بريدة في الهجرة الديار بكري: تاريخ الخميس (١/ ٢٣٥)، وهي عنده من رواية ابن الجوزي في كتابه شرف المصطفى، من طريق البيهقي موصولاً إلى بريدة.

(٣) الفتح (١٥/ ٩٧-٩٩، ح٣٩٠٦) و(١٥/ ١٦٩، ح٣٩٢٥).

(٤) بإسناد حسن، انظر: ابن هشام (٢/ ١٥٦-١٥٧).

(٥) المستدرك (٣/ ١١) وصححه ووافقه الذهبي وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.

(٦) انظر: الرحيق المختوم، ص١٩٠، ١٩١ نقله عن «رحمة للعالمين» (١/ ١٠٢). وانظر: مناقشة ابن حجر الفتح (١٥/ ٩٨) لجميع الآراء في تاريخ نزوله ﷺ قباء. والمشهور من رواية ابن إسحاق أنه ١٢ ربيع الأول، ابن هشام (٢/ ١٥٦).

(٧) عند ابن إسحاق: «يا بني قيلة»، يعني الأنصار، وهو اسم جدة لهم، ابن هشام (٢/ ١٥٧).

وكبَّر المسلمون فرحاً بقدومه وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيَّوه بتحية النبوة. وكان مَنْ لم ير الرسول ﷺ من قبل يحيي أبا بكر ظناً منهم أنه الرسول ﷺ. وعندما اشتد الحر، قام أبو بكر فأظل النبي بردائه، فعرفوا الرسول ﷺ[1] فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه والوحي ينزل عليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، وصاح النساء والخدام والغلمان: جاء محمد[2]، جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد، وأنشد المستقبلون:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع[3]

ثم سار حتى نزل قباء في بني عمرو بن عوف - من الأوس - على كُلْثُوم بن الهِدْم، لمدة أربع عشرة ليلة، فيها أسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد الهجرة.

وبعد ذلك ركب رسول الله ﷺ بأمر الله، وأبو بكر ردفه، وأرسل إلى بني النجار - أخواله - فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانوا مئة رجل[4]. وكانت أول جمعة للنبي ﷺ داخل المدينة[5].

---

(١) إلى هنا تنتهي رواية البخاري.

(٢) نظر في هذه الجزئية: المستدرك (٣/ ١٣) وقال الحاكم: «وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.

(٣) لقد وقف بعض العلماء عند هذا النشيد، وناقشوا من حيث السند والمتن، لوجود إشكال في روايته، إذ وردت فيه كلمة «ثنيات الوداع» التي اشتهر أنها من جهة الشام وليس من جهة مكة.
ويرى عرجون صحة نسبة النشيد إلى حادثة قدومه إلى داخل المدينة، دار أبي أيوب، ويوفق بين الروايات ويناقشها، ولا يستبعد تكرار إنشاد النشيد في زمن عودته من تبوك، فليراجع عرجون (٢/ ٦٠٢-٦١١). ونحن نميل مع عرجون إلى تعدد إنشاء النشيد وإلى أن ثنيات الوداع ليست إلى جهة الشام فقط.

(٤) رواه ابن سعد (٢/ ٢٣٦-٢٣٧) بإسناد متصل ورجاله ثقات، وابن إسحاق معلقًا: ابن هشام (٢/ ١٥٩).

(٥) إذا اعتبرنا رواية ابن إسحاق في قدومه ﷺ المدينة ونزوله بقباء والدخول إلى المدينة وبناء المسجد والإقامة في دار أبي أيوب، بسند واحد، كما فهم البيهقي في دلائله (٢/ ٥١٢)، فنقول: «رواه ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ١٥٩)».

دخل رسول الله ﷺ المدينة بعد الجمعة، في جو مشحون بالفرح والبهجة والسرور. وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته قائلين: هلم إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والسَّلاحِ والمَنَعَةِ، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة فلم تزل تسير به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم، فبركت فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت وبركت في موضعها الأول، فنزل عنها وذلك في بني النجار، أمام دار أبي أيوب الأنصاري. وبادر أبو أيوب إلى الرحل فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وأخذ أسعد بن زرارة الراحلة[1].

نزل رسول الله ﷺ في القسم الأسفل من دار أبي أيوب، وأبو أيوب في القسم العلوي. فأتيه أبو أيوب ذات ليلة، فقال: «نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ!» فتنحوا إلى جانب. وفي الصباح طلب من الرسول ﷺ الانتقال إلى القسم العلوي، فقال النبي ﷺ: «السفل أرفق» ولكن أبا أيوب قال: «لا أعلو سقيفة أنت تحتها». فتحول الرسول ﷺ إلى القسم العلوي، ونزل أبو أيوب إلى القسم السفلي.

وكان أبو أيوب يصنع للنبي ﷺ طعاماً. فإذا جيء إليه بالإناء بعد الأكل سأل عن موضع أصابعه، فيتبع موضع أصابعه، فصنع له يومًا طعام فيه ثوم. فلما رد إليه سأل موضع أصابع النبي ﷺ فقيل له: لم يأكل. ففزع وصعد إليه، فقال: «أحرام هو؟» فقال النبي ﷺ: «لا، ولكني أكرهه»، قال: «فإني أكره ما تكره...»؛ وذلك لأن الرسول ﷺ كانت تأتيه الملائكة[2].

وعندما انكسرت جَرَّةُ ماء أبي أيوب ذات يوم، عندما كان بالعلوي، نشف هو وأم أيوب ماءها بقطيفتهما الوحيدة التي يلتحفان بها؛ تخوفاً من أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه[3].

---

(١) ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ١٥٩)، وقول الرسول ﷺ: «المرء مع رحله»: جاء في رواية البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٩) بإسناد فيه عطاف بن خالد وفيه ضعف، قال عنه ابن حجر: «صدوق يهم» وصديق بن موسى لم يذكروا أنه يروي عن عبداب بن الزبير، فيخشى أن لا يكون أدركه، ومع ذلك قال عنه الذهبي في الميزان: «ليس بالحجة».

قلت: ولكن يقوي هذا الحديث ورود القصة عمومًا بإسناد حسن عند ابن إسحاق.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٦٢٣-١٦٢٤، ح٢٠٥٣)، وغيره، مثل: أحمد (٢٠٨٨٨) - صحيح.

(٣) روى قصة إقامته ﷺ في دار أبي أيوب بن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ١٦٤).

وروي أن أبا أيوب سأل الرسول ﷺ أن ينتقل إلى القسم العلوي من داره، بسبب هذه الحادثة، فاستجاب الرسول ﷺ لطلبه[١]. وروى مسلم[٢] وأحمد[٣] أن سبب الانتقال هو كراهية أبي أيوب وأم أيوب أن يمشيا فوق رأس رسول الله ﷺ. وما في الصحيح أصح. وكانت مدة إقامته ﷺ في دار أبي أيوب شهراً واحداً[٤] على الأرجح.

وما كانت تمر ليلة إلّا على باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة من الصحابة الأنصار، يتناوبون في حمل طعامهم إلى رسول الله ﷺ، حتى تحول من منزل أبي أيوب إلى داره[٥].

ونزل أبو بكر ﷺ على حبيب، ويقال خبيب بن يساف، بالسنح، ويقال: نزل على خارجة بن زيد[٦].

الأحكام والدروس المستفادة من أحداث الهجرة إلى المدينة:

١ - أوضح الرسول ﷺ في خطبة له أيام فتح مكة. أن لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية[٧]، فلم تعد الهجرة من مكة إلى المدينة واجباً، وإن بقي حكمها من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام واجباً إلى يوم القيامة[٨]. فقد شرعت الهجرة إلى المدينة ليعبد المسلمون ربهم بأمان ويقيموا كيان الدولة الإسلامية ويحموه، ثم يوسعوا رقعة هذه الدولة بالدعوة إلى الله، والهجرة بعد فتح مكة؛ لم تعد

---

(١) أخرج ذلك ابن حجر في الإصابة (١/ ٤١٥) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق أبي الخير عن أبي رهم عن أبي أيوب.

(٢) مسلم (٢/ ١٦٢٣، ح٢٠٥٣).

(٣) أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٩٣)، المسند (٢٠٨٨٨) - صحيح

(٤) ذكر ابن حجر في التهذيب (٩/ ١٢) أن الرسول ﷺ أقام في منزل أبي أيوب شهرًا قبل بناء مسجده. وروي غير ذلك، مثل: ابن سعد (١/ ٢٣٧) من حديث الواقدي.

(٥) من رواية ابن سعد المذكورة (١/ ٢٣٣). وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٢٢)

(٦) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٣): «رواه الطبراني ورجاله ثقات» ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ١٥٧).

(٧) البخاري: الفتح (١١/ ٣٠٣، ح٢٨٢٥)، مسلم (٣/ ٤٨٧، ح١٣٥٣).

(٨) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٨٢) و(١١/ ٣٠٤)، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٧٦).

ضرورة؛ لأن كيان الإسلام قد قوي وصارت للمسلمين دولة، فأصبح وجود المسلمين في ديارهم أجدى لإقامة شعائر الإسلام ونشر تعاليمه في سائر الأرجاء، أما الجهاد فماض إلى يوم القيامة. ولذلك بايع النبي ﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد، ولم يبايعهم على الهجرة[١]. وقد بين ابن عمر ﷺ ذلك بقوله: «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»، أي ما دام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة على من أسلم وخشي أن يفتن في دينه[٢].

ويستدل في ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالَوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٨][٣].

وهكذا اقتضت ظروف قيام الدولة الإسلامية في المدينة، وحاجتها إلى جنود يحمونها أن تكون الهجرة إلى المدينة واجبة على كل مسلم قادر. قال الخطابي: كانت الهجرة إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله تعالى هذا الأمر في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢][٤]، فلما فتحت مكة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل، سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب[٥].

وفي ضوء هذا يمكن القول بأنه إذا كان أي بلد من بلاد الكفر أعون للمسلم على ممارسة دينه والدعوة إليه، فهو أجدر بالإقامة فيه إذا تيسر سبيل ذلك للمسلم، ولا تجب عليه الهجرة؛ لأن هذه البلاد أصبحت مثل دار الإسلام،

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٧، ح٤٣٠٥-٤٣١٢).

(٢) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٨٢، ك. المغازي).

(٣) انظر: الفتح (١١/ ٣٠٣).

(٤) انظر: تفسير الآية عند الطبري (١٤/ ٧٨٠٨٧، شاكر) وقال الطبري في تفسير «من ولايتهم»: يعني من نصرتهم وميراثهم.

(٥) انظر: ابن حجر: الفتح (١٥/ ٨٢).

فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام[١].

٢ - استخدم الرسول ﷺ كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل. وليس ذلك بسبب خوف على نفسه، أو شك في إمكان وقوعه في قبضة المشركين؛ وإنما هو تشريع للأمة ليتأسى الناس به، فيأخذوا بالأسباب في كل أعمالهم، وأن سنة الله أن السبب إذا وجد، وجد معه المسبب ما لم يبطل الله ذلك كما فعل في جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ، فعندها تكون هذه معجزة للنبي، وإن كانت لغيره فهي كرامة للصالحين واستدراج للطالحين من الناس؛ والدليل على ذلك أنه بعدما استنفد الأسباب المادية كلها كان مطمئناً، وصاحبه أبو بكر كان خائفاً، وكان من مقتضى اعتماده على تلك الاحتياطات أن يشعر بشيء من الخوف والجزع، لقد كان كل ما فعله من الاحتياطات إذاً، وظيفة تشريعية قام بها، فلما انتهى من أدائها، عاد قلبه مرتبطاً بالله ﷻ، معتمداً على حمايته وتوفيقه، ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله ﷻ، وأن ذلك لا ينافي اتخاذ الأسباب والتدبير للوصول إلى الأهداف[٢].

٣ - إن قبول علي بن أبي طالب النوم على فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة منقبة عظيمة لعلي، دلت على إيمانه وشجاعته، وهذا يدل على جواز خداع العدو والتمويه عليه عملاً بأسباب النجاة.

٤ - إن الدور الذي قام به الشباب في تنفيذ خطة الرسول ﷺ للهجرة، مثل دور علي وأبناء أبي بكر، يعد دوراً نموذجياً رائداً لشباب الإسلام.

٥ - إن المعجزات التي أجراها الله تعالى لحماية نبيه ﷺ في هذه الرحلة، جاءت كما جاء غيرها، كضرب من ضروب التكريم للرسول ﷺ وإشارة إلى أن الله ناصره وممكن لدينه في أرضه، طال الزمن أم قصر.

٦ - إن الدور الذي قام به أبو بكر ﷺ في الهجرة يعد منقبة كبرى له، ويكفيه تكريماً أن يذكر في القرآن بمناسبة هذا الدور، ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ [التوبة: ١٤٠].

---

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (١٥/ ٨٢).

(٢) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص ١٤٥.

٧ - يفهم من إرداف الرسول ﷺ لأبي بكر ﷺ على راحلته، حين دخولهما المدينة، على الرغم من وجود راحلة أخرى، أن الرسول ﷺ آثر عامر بن فهيرة وعبد الله بن أرقد بركوب الناقة الثانية، وذلك من كمال تواضعه.

٨ - إذا تأملنا في قصة تبرك أبي أيوب الأنصاري وزوجه بآثار الرسول ﷺ، وإقرار الرسول ﷺ لذلك، تبين لنا مشروعية التماس البركة من آثار النبي ﷺ، إن وُجِدَتْ[1]، وفي وجودها شك كبير جداً.

٩ - دل تصرف أبي أيوب وأم أيوب على مدى محبة الصحابة ﷺ للرسول ﷺ، وهي صورة متكررة في كل مقطع من مقاطع هذه السيرة.

١٠ - إن في إعراض الرسول ﷺ عن أكل الثوم الني دليل على أن ذلك من خصوصياته ﷺ، وقد أحله للمسلمين بشرط ألا يأكلوه ثم يرتادوا المساجد قبل أن تزول رائحته، وقد وجه الرسول ﷺ إلى أن من يريد أكل الثوم فليمته طبخاً[2].

فائدة:

روى ابن أبي شيبة[3] من حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ أنزل عليه وهو ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين.

هذا هو المشهور، وروى كذلك آثاراً أخرى صحيحة تخالف في بعض أجزائها هذه الرواية.

---

(١) انظر في هذا الألباني: التوسل - أنواعه وأحكامه، تنسيق محمد عيد العباسي، ط٢، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص١٤٢-١٤٧.

(٢) مسلم (١/٣٩٦، ح٥٦٧)، ورواه غير مسلم.

(٣) المغازي، ص٩٩-١٠٠، بإسناد متصل رجاله ثقات، كما قال محققه الدكتور عبدالعزيز العمري، ط. دار أشبيليا.

الفصل الثالث

أسس بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية بالمدينة

المبحث الأول: بناء المسجد:

كان رجال من المسلمين يصلون في ذلك المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول ﷺ، وكان مِرْبَداً للتمر لِسُهَيل وسَهْل، غلامين يتيمين من بني النجار، في حِجْر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما[1] بالمربد ليتخذه مسجداً. فقالا: «بل نهبه لك يا رسول الله». فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً[2]. وفي رواية أخرى للبخاري[3]، أنه ﷺ عندما أمر ببناء المسجد، أرسل إلى ملأ بني النجار، وعندما جاؤوه، قال لهم: «يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا»، فقالوا: «لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله».

قال ابن حجر[4]: «واحتج من أجاز بيع غير المالك بهذه القصة لأن المساومة وقعت مع غير الغلامين، وأجيب باحتمال أنهما كانا من بني النجار، فساومهما وأشرك معهما في المساومة عمهما الذي كانا في حجره، كما تقدم في الحديث...».

وفي الصحيح أن مكان المسجد كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خَرِبَةٌ وكان فيه نخل. فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فَنُبِشَتْ، وبالخرب فسويت،

---

(١) قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٠١) «في رواية ابن عيينة: فكلم عمهما - أي الذي كانا في حجره - أن يبتاعه منهما، فطلبه منهما فقالا: ما نصنع به؟ فلم يجد بدًا من أن يصدقهما».

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ١٠١، ح٣٩٠٦).

(٣) الفتح (١٥/ ١٢٥، ح٣٩٣٢).

(٤) الفتح (١٥/ ١٢٦).

وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عِضَادَتَيْهِ حجارة وجعلوا ينقلون ذلك الصخر[١]. وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن لبنيانه، ويقول وهو ينقله:

هذا الجمالُ لا جِمالُ خيبر ... هذا أَبَرُّ رَبَّنَا وأَطْهَر[٢]

ويقول:

اللهم إن الأجْرَ أجْرُ الآخرة ... فارحم الأنصارَ والمُهاجِرَة

وفي رواية أنهم كانوا ينقلون الصخر ويرتجزون ورسول الله ﷺ معهم، يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ... فانصر الأنصار والمهاجرة[٣]

وقال قائل من المسلمين في ذلك:

لئن قعدنا والرسول يعملْ ... ذاك إذاً لَلْعَمَلُ المُضَلَّلْ[٤]

وقال علي بن أبي طالب ﷺ:

لا يستوي من يَعْمُرُ المساجدا ... يَدْأَبُ فيها قائماً وقاعِدا

ومن يُرَى عن التراب حَائِدا[٥]

وكان الرسول ﷺ يقدم في العمل من يجيد جانباً منه. ففي حديث طَلْقِ بن علي اليمامي الحنفي أن الرسول ﷺ كان يقول للعاملين في بناء المسجد من الصحابة، «قربوا اليمامي من الطين، فإنه أحسنكم له مساً، وأشدكم له سَبْكاً». وفي رواية «فأخذت المسحاة فخلطت الطين فكأنه أعجبه، فقال: دعوا الحنفي والطين، فإنه أضبطكم للطين»[٦]، وفي رواية البيهقي[٧]: «قربوا اليمامي من الطين، فإنه من أحسنكم له بناء».

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ١٢٥، ح٣٩٣٢).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ١٠١-١٢٠، ح٣٩٠٦)، والجمال: المحمول من اللبن، وأبر: أبقى ذخراً وأكثر ثواباً وأدوم منفعة وأشد طهارة من جمال خيبر التي يحمل منها التمر والزبيب، ونحو ذلك.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٥-١٢٦.

(٤) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٠٣) ونسبه إلى الزبير من طريق مجمع بن يزيد.

(٥) المصدر نفسه: من طريق أخرى، طريق أم سلمة ﷺ.

(٦) ذكر هاتين الروايتين ابن حجر في الفتح (٣/ ١١٢)، وقال: «رواه أحمد».

(٧) عن حديث طلق بألفاظه المختلفة، انظر رواية البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٤٥)، بإسناد صحيح.

وكان عمار بن ياسر من أنشط العاملين في البناء، فبينما كان كل واحد يحمل لبنة، كان عمار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن الرسول ﷺ، فمسح رسول الله ﷺ ظهره، وقال: «ابن سمية: للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية»[١].

وهذا الحديث من دلائل النبوة، لأن عماراً قتل في الفتنة التي نشبت بين علي ومعاوية ﷺ، وكان في جيش علي، فقتله جنود معاوية ﷺ، ومات بالكيفية التي ذكرها الرسول ﷺ. وقد أجاد ابن كثير[٢] وابن حجر[٣] في شرح هذا الحديث. وقتله أبو الغادية، كما في الإصابة.

واستغرق البناء اثني عشر يوماً[٤]، وبعد الفراغ منه، بنيت حجر لأزواج النبي ﷺ بنفس كيفية بناء المسجد. وبعد اكتمالها انتقل الرسول ﷺ إليها من بيت أبي أيوب، فكان لسودة بنت زمعة بيت وآخر لعائشة ﷺ[٥]، وهما أول بيتين بنيا، ثم تتابع بناء حجر نسائه الأخريات كلما تزوج بواحدة منهن، وكانت قصيرة البناء قريبة الفناء[٦]، بعضها مبنية من جريد وطين، وبعضها من حجارة مرصوصة، وسقفها من جريد[٧]، وقيل: كانت من شعر - شجر - مربوطة بخشب من عرعر - شجر الأرز[٨] - ولم يكن لأبوابها حلق[٩]. وقد أضيفت هذه البيوت إلى المسجد بعد موت أزواج الرسول ﷺ، وذلك في زمن الوليد أبي عبد الملك[١٠].

---

(١) مسلم (٤/ ٢٢٣٦، ح٢٩١٦)، وأحمد: المسند (٣/ ٥) و(٤/ ٣١٩)، قتله أبو الغادية كما في الإصابة (٣/ ٦٦٥).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٢٣٨-٢٢٩)

(٣) الفتح (٣/ ١١٠-١١٢).

(٤) ورد ذلك في رواية عبدالله بن الزبير عند البيهقي، في الدلائل (٢/ ٥٠٩).

(٥) نظر: ابن حجر: الفتح (١٥/ ٨٧) من رواية الطبراني.

(٦) قال الشامي في سبل الهدى (٣/ ٥٠٨): «روى ابن سعد والبخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن الحسن البصري قال: كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي».

(٧) قاله السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٤٨)، بدون إسناد.

(٨) المرجع نفسه، من حديث الحسن البصري.

(٩) المرجع نفسه، وعزاه إلى البخاري في التاريخ.

(١٠) المرجع نفسه، والشامي: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٥٠٦-٥٠٧)، من طريق الواقدي.

وفرض الأذان بالكيفية التي عليها الآن، في السنة الأولى على الأرجح، وذلك عندما رأى عبد الله بن زيد في منامه صيغة الأذان، فأمر الرسول ﷺ بلالاً فأذن بها، وعندما سمعه عمر ﷺ جاء إلى الرسول ﷺ. وقال إنه رأى ما رأى عبد الله بن زيد[١].

ظل المسجد على حاله الذي بناه عليه الرسول ﷺ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر بأن أعاد عمده وجعلها خشباً، وحمى سقفه من المطر، ثم غيره عثمان ﷺ فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من ساج[٢].

وحذر عمر من تحمير وتصفير المسجد حتى لا يفتن الناس، وكره أنس المباهاة في تعمير المساجد بالتزيين، وعاب على الناس عدم تعميرها بالصلاة[٣].

ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بُنيَ منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه، فلما اتخذ للرسول ﷺ منبر وعدل إليه ليخطب عليه، خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار، لما كان يسمع من خطب الرسول ﷺ عنده، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يُسَكَّت[٤]، وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

وروى الدارمي[٥] عن أنس بن مالك ﷺ أن المسجد ارتج لخواره، وكثر بكاء الناس حتى وضع النبي ﷺ يده عليه فسكت، وقال: «إن هذا بكى لما فقد من ذكر الله، والذي نفسي بيده، لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة، ثم أمر به فدفن تحت المنبر.

وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد رواية هذا الحديث عن أنس، قال باكياً: «يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أو ليس الرجال

---

(١) الألباني: صحيح سنن الترمذي (١٦١-٦٢).

(٢) البخاري: الفتح (٣/ ١٠٦ و١٠٨، ح٤٤٦). والساج: نوع من الأخشاب الهندية.

(٣) البخاري: الفتح (٣/ ١٠٧/ ترجمة الباب).

(٤) البخاري: الفتح (١٤/ ٩٤، ح٣٩٨٤، ٣٥٨٥). والعشار: الناقة الحامل لعشرة أشهر، وإلى أن تلد.

(٥) (برقم ٤١).

الذين يرجون لقاءه – أحق أن يشتاقوا إليه[١]؟».

وأصبح المسجد منذ بنائه مكاناً للعبادة في المقام الأول، ثم بعد ذلك مكاناً لكل أمر يهم المسلمين، مثل:

١ – إيواء ضعفاء وفقراء المهاجرين الرجال الغرباء الذين لم يتمكنوا من الحصول على منازل خاصة بهم، وعرفوا بأهل الصُّفَّة[٢].

٢ – إيواء ضعفاء النساء اللاتي أسلمن من أحياء العرب ولم يجدن مأوى غير المسجد حين قدومهن المدينة، مثل الوليدة السوداء التي اتخذت خِبَاءً أو حُفْشاً في المسجد[٣].

٣ – كان مكاناً لتعليم المسلمين أمور دينهم.

٤ – كان مكاناً لإنشاد الشعر ذباً عن الدعوة الإسلامية وقائدها محمد ﷺ وأصحابه[٤].

٥ – كان مكاناً لاعتقال أسير الحرب المشرك، إذا كان في ذلك عظة لمن يراه من الناس وعظة له عندما يرى الصلاة ويسمع القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، كما في قصة ثمامة بن أثال[٥].

٦ – نصب الخيمة فيه لعلاج جرحى المسلمين في الحرب، كما في قصة خيمة رفيدة، أيام غزوة الأحزاب[٦].

٧ – كان مكاناً لاستقبال الرسل – السفراء – الذين يفدون على الرسول ﷺ.

٨ – كان مكاناً لعقد ألوية جيوش وسرايا المجاهدين.

٩ – كان مكاناً لاجتماع المسلمين بقائدهم، وفي هذا فائدة من وجهين:

أ – احتكاك القائد بالرعية عن قرب، ودراسة أحوالهم، وبث الرعية شجونهم

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة (٢/ ٥٥٩).

(٢) البخاري: الفتح (٣/ ١٠٢).

(٣) انظر: قصتها حين اتهمها قومها بسرقة وشاح لابنة لهم، البخاري: الفتح (٣/ ١٠٠، ح٤٣٩).

(٤) البخاري: الفتح (٣/ ١١٨، ح٤٥٣)، وانظر شرح ابن حجر لأحاديث الباب.

(٥) البخاري: الفتح (٣/ ١٢٧، ح٤٦١). يأتي ذكرها في أحداث سرية القُرَّاء.

(٦) المصدر نفسه، (١٢٩، ح٤٦٣).

لقائدهم.

ب - احتكاك المسلمين بعضهم مع بعض، وتألف قلوبهم، وقد غاب هذا الفهم عن كثير من قادة وأفراد في زماننا هذا، وفهموا أن المسجد مكان عبادة فقط.

أحكام وحِكم في قصة بناء المسجد النبوي الشريف:

١ - استدل جمهور الفقهاء بحديث شراء الرسول ﷺ المربد من الغلامين بوساطة عمهما الذي كانا في حجره وكفالته، على عدم صحة تصرف غير البالغ سن الرشد، ولهم دليل آخر من القرآن يؤكد صحة استدلالهم وهو الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢، الإسراء: ٣٤].

أما الحديث الذي يشير إلى أن الشراء تم مباشرة بين الرسول ﷺ والغلامين فيوجه إلى أن للنبي ﷺ ولاية خاصة في مثل هذه الأمور، وأنه عليه الصلاة والسلام إنما اشترى الأرض منهما بوصف كونه ولياً عاماً لجميع المسلمين، لا بوصفه كونه فرداً منهم، ولا وجه في هذا الحديث لاستدلال الحنفية به على صحة تصرف غير البالغ، لأن الآية رجحت حديث ابن عيينة على هذا الحديث[1].

وللعلماء كلام فوق هذا عن تصرف غير البالغ إذ قالوا:

أ - إن تصرفاته النافعة نفعاً محضاً كقبوله الهبة لنفسه جائزة.

ب - إن تصرفاته الضارة ضرراً محضاً كهبته لغيره غير جائزة.

ج - إن تصرفاته الدائرة بين النفع والضرر كالبيع والشراء موقوفة على إجازة الولي أو الوصي.

٢ - قال ابن حجر عند شرح حديث نبش قبور المشركين لبناء مسجده في مكانها: ففي الحديث جواز التصرف في المقبرة المملوكة بالهبة والبيع وجواز نبش القبور الدارسة إذا لم تكن محترمة، وجواز الصلاة في مقابر المشركين بعد

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص١٥٣؛ وإعلام الساجد للزركشي، ص٢٢٣.

نبشها وإخراج ما فيها وجواز بناء المساجد في أماكنها».

٣ - كما أن الحديث يدل على أن الأرض التي دفن فيها الموتى ودرست، يجوز بيعها، وأنها باقية على ملك صاحبها وورثته من بعده، إذا لم ترقف[١].

إن في تمثل الرسول ﷺ برجز أو شعر غيره دليل على جواز قول الشعر وأنواعه خصوصاً الرجز في الحرب، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة، لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة [قاله ابن حجر في شرحه حديث الباب].

٤ - استناداً إلى عدم التكلف المظهري في بناء الرسول ﷺ مسجده، واستناداً إلى ما نبه إليه عمر بن الخطاب في قوله: «أكِنَّ الناس من المطر وإياك أن تحمِّر أو تصفِّر، فتفتن الناس»[٢]، كره عامة العلماء نقش وزخرفة المساجد، وقال بعضهم بحرمة ذلك[٣].

٥ - اختلف العلماء في كتابة آية من القرآن في قبلة المسجد، هل هي داخلة في النقش الممنوع أم لا؟ يقول الزركشي[٤]: «ويُكره أن يكتب في قبلة المسجد آية من القرآن أو شيئاً منه، قال مالك: وجوزه بعض العلماء، وقال: لا بأس به لما روي من فعل عثمان ﷺ ذلك بمسجد رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك عليه».

□ المبحث الثاني: □

أ - المؤاخاة:

لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لم يكن بأيدي معظمهم شيء، لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، ولهذا، وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا أهل زراعة، والأنصار أهل زراعة، فقد أعطتهم الأنصار كل ما يستطيعونه من فضل، وأعطتهم النخل والأرض ليعملوا فيها بنصف ثمارها، ومنهم من أعطيت له مَنِيْحَة محضة،

---

(١) البوطي، ص١٥٤، وإعلام الساجد، ص٢٣٦، وانظر: ابن حجر الفتح (١٥/١٢٥-١٢٦).

(٢) إعلام الساجد، ص٣٣٧، وسبق تخريج الأثر المروي عن عمر ﷺ في هذا.

(٣) انظر البوطي، ص١٥٤، ١٥٥، ابن حجر في الفتح (٣/١٠٨-١٠٩).

(٤) إعلام الساجد، ص٣٣٧.

واستغنوا عنها عندما فتح الله عليهم خيبر[١]. وقد رد النبي ﷺ نفسه ما أعطوه من نخل عندما فتحت عليهم قريظة والنضير[٢].

وكان ذلك الفعل من الأنصار دليلاً على مدى حبهم وإيثارهم المهاجرين. وقد شهد الله تعالى لهم بذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][٣].

ووصل بهم الإيثار إلى أن قالوا للرسول ﷺ: «إن شئت فخذ منا منازلنا»، فقال لهم خيراً، وابتنى لأصحابه في أرض وهبتها لهم الأنصار، وفي أراضٍ ليست ملكاً لأحد[٤].

وقالت الأنصار للرسول ﷺ: أقسم بيننا وبينهم النخل»، قال: «لا. قال: يكفونكم المؤونة ويشركونكم في الثمر، قالوا: سمعنا وأطعنا»[٥].

وقال الرسول ﷺ للأنصار: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفلونهم وتقاسمونهم الثمر» قالوا: نعم[٦].

وروى البخاري[٧] عن أنس، قال: «دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: إما لا، فاصبروا حتى تلقوني، إنه سيصيبكم بعدي أثرة».

---

(١) مسلم، النووي (١٢/ ٩٩-١٠٠/ ك. الجهاد والسير/ ب. رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم).

(٢) انظر: مسلم: النووي (١٢/ ١٠١، ك/ب. رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم).

(٣) انظر: البخاري: الفتح (١٤/ ٢٦١، ح٣٧٧٦).

(٤) قاله البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٢٧٠)، وأصله من حديث رواه البخاري: الفتح (١٥/ ١٢٣، ح٣٩٢٩)، وفيه أن الأنصار اقترحت على سُكنى المهاجرين منازلهم.

(٥) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٦٤، ح٣٧٨٢).

(٦) ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢٥٠) ولم نقف على مصدره، ومعناه صحيح كما في الحديث الذي قبله.

(٧) الفتح (١٤/ ٢٧٠، ح٣٧٩٤) و(٣٧٩٢-٣٧٩٣).

ولم يتوانوا في استضافة ضيف رسول الله ﷺ. فقد روى البخاري[١] أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ جائعاً، فلم يجد له رسول الله ﷺ شيئاً عند زوجاته، فطلب من أصحابه استضافته، فاستضافه أنصاري لم يكن عنده إلا عشاء أهله وصبيانه، فأنام صبيانه، وقدم طعام أهله إلى ضيفه، وجلس معه، فأطفأت المرأة السراج، وجعلا يريانه كأنهما يأكلان، ولكنهما باتا جائعين، وفيهما نزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وعلى الرغم من هذا الإيثار، فقد أراد الرسول ﷺ أن يوجد تشريعاً يعالج للمهاجرين أوضاعهم الاقتصادية، ويشعرهم بأنهم ليسوا عالة على إخوانهم الأنصار، فكان أن شرع نظام المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة[٢].

وروى البعض أن إعلان المؤاخاة كان في دار أنس بن مالك[٣] وذكر البعض أن المؤاخاة كانت في المسجد[٤] وقيل إن المؤاخاة كانت مرتين مرة بين المهاجرين خاصة، وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار وهي المقصودة هنا[٥].

ذكر ابن سعد[٦] بأسانيد شيخه الواقدي إلى جماعة من التابعين، أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الممات، دون ذوي

---

(١) الفتح (١٤/ ٢٧١-٢٧٢، ح٣٧٩٧).

(٢) ابن حجر: في الفتح (١٥/ ١٣٠).

(٣) البخاري: الفتح (١٠/ ٤١، ح٢٢٩٤)، ومسلم (٤/ ١٩٦، ح٢٥٢٩).

(٤) قاله أبو سعيد في «شرف المصطفى» كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣٠)، ويبدو - والله أعلم - أن لا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن المؤاخاة لم تتم في مرة واحدة، بل كانت حسب تاريخ من يدخل في الإسلام أو يقدم إلى المدينة، وما في الصحيح يقدم على غيره. فنص مسلم يشير إلى أن ابتداء المؤاخاة كان في دار أنس ﷺ.

(٥) قاله ابن عبدالبر في الدرر، ص١٠٠.

(٦) الطبقات (١/ ٢٤٨)، ولم ينفرد ابن سعد بذكر المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم في المدينة كما يقول الدكتور العمري. في: «المجتمع المدني في عهد النبوة ...» ص٧٥، فقد أخرج الحاكم في المستدرك والضياء في المختارة عن ابن عباس، قال: «آخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود ...» ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١) وحسن إسناده، وقال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١) في تعليقه على هذا الإسناد «وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تقوى به».

الأرحام. وكانوا تسعين رجلاً، خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار، ويقال: كانوا مائة، خمسين من كل فريق.

وروى البخاري[١] عن ابن عباس «كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي الرحم؛ للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم.

وذكر ابن حجر[٢] أن من أغراض المؤاخاة أن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى؛ فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا، من قبل البعثة، واستمر إلى ما بعدها، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة؛ لأن زيداً مولاهم، فقد ثبتت أخوتهما، وهما من المهاجرين[٣].

لقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب[٤]، وبين الزبير وابن مسعود[٥]، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع[٦]، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء[٧]، وبين أبي عبيدة وأبي طلحة[٨]، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك[٩]، وبين أبي بكر وخارجة بن زيد[١٠].

---

(١) الفتح (١٧/ ١١٢-١١٣، ح٤٥٨٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٥).

(٢) الفتح (١٥/ ١٢٩).

(٣) ذكر ابن إسحاق مؤاخاة النبي ﷺ وعلي ومؤاخاة حمزة وزيد - ابن هشام (٢/ ١٧١-١٧٢)، بدون إسناد.

(٤) جاء ذلك في حديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤)، بإسناد فيه إسحاق بن بشر الكاهلي وجميع بن عمير التيمي، وسكت عليه، وقال الذهبي: جميع اتهم والكاهلي هالك، وقال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١)، بعد أن ساق أحاديث فيها مؤاخاة النبي ﷺ وعلي ﷺ: «وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تقوى به». وقال محققا الزاد (٣/ ١٤): الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي ﷺ عليًا كلها ضعيفة.

(٥) سبق تخريجه من قبل قليل، وعند ابن إسحاق انه آخى بين الزبير وسلمة بن وقش بن هشام (٢/ ١٧٣) وإسناده ضعيف.

(٦) قاله البخاري: الفتح (١٤/ ٢٦٣-٢٦٤، ح٣٧٨٠).

(٧) البخاري: الفتح (١٥/ ١٣٢، ح٣٩٣٦).

(٨) مسلم (٤/ ١٩٦٠، ح٢٥٢٨).

(٩) قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١): «وقد تقدم في أوائل الصلاة قول عمر: كان لي أخ من الأنصار، وفسر بعتبان بن مالك . . .»، وذكره ابن إسحاق بدون إسناد، ابن هشام (٢/ ١٧٣).

(١٠) ابن إسحاق، معلقًا، ابن هشام (٢/ ١٧٢)، والمعلق من أقسام الضعيف.

وقد ذكر ابن إسحاق[١] عدداً كبيراً ممن آخى الرسول ﷺ بينهم. ونقل عنه ذلك ابن حجر[٢]، وأجاب عن ما يمكن أن يكون فيه إشكال[٣].

ومما روي في أمر التطبيقات العملية لهذه المؤاخاة، قصة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، حين قال سعد لعبد الرحمن: «إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زَوْجَتَيَّ هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن: «لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟» وفي رواية أخرى عند البخاري أيضاً زيادة في قول عبد الرحمن: «... بارك الله لك في أهلك ومالك...». فَدُلَّ على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم أخذ يتردد على السوق، يبيع ويشتري حتى استغنى بماله عن مال أخيه سعد، وتزوج امرأة من الأنصار، أمهرها بنواة من ذهب، وطلب منه الرسول ﷺ أن يولم ولو بشاة بهذه المناسبة[٤].

آخى الرسول ﷺ بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويستأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، وانخرطوا في الحياة، وعرفوا وسائل اكتساب الرزق، أبطل الله التوارث بالمؤاخاة، وأبقى أخوة المؤمنين، وأنزل في ذلك: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦][٥]. وكان ذلك حين وقعة بدر[٦]. وروي أنه كان بعد أحد[٧].

---

(١) ابن هشام (٢/ ١٧٢-١٧٥).

(٢) الفتح (١٥/ ١٣١).

(٣) وانظر الشامي: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٥٢٩-٥٣٣)، وقد نقل أسماء المتآخين من عدة مصادر.

(٤) انظر: الحديث بتمامه وسياقه عند البخاري: الفتح (٩/ ١٣٣-١٣٤، ح٢٠٤٨، وح٢٠٤٩).

(٥) انظر: الروايات الواردة في تفسيرها عند الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣٣١-٣٣١)، وعند ابن كثير في التفسير (٤/ ٤٣) و(٦/ ٣٨٢-٣٨٣)، بإسناد صحيح.

(٦) ابن سعد: الطبقات (١/ ٢٣٨)، من طريق الواقدي.

(٧) قاله ابن سعد وابن أبي حاتم والحاكم، وصححه ابن مردويه كما ذكر العمري في المجتمع المدني، ص٧٨، نقلاً عن لباب النقول (ص٢٦٠) والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣٣٠-٣٣١).

وذكر ابن عباس[١] أن ما أُلغي من نظام المؤاخاة هو الإرث، أما النصر والرفادة والنصيحة فباقية، ويمكن أن يوصى ببعض الميراث بين المتآخين، وإلى هذا المعنى ذهب النووي[٢].

ومما يدل على بقاء واستمرارية المؤاخاة دون الإرث، مؤاخاة الرسول ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء؛ لأن سلمان أسلم بين أحد والخندق[٣]، ومؤاخاة معاوية بن أبي سفيان والحُتَات التميمي، لأن معاوية من مسلمي الفتح[٤]، والحتات أسلم عندما جاء في وفد بني تميم في أوائل السنة التاسعة الهجرية - عام الوفود[٥]، ومؤاخاة جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل؛ لأن جعفراً قدم من الحبشة والرسول ﷺ قد فرغ من خيبر لتوه، في أول سنة سبع من الهجرة[٦].

ب - حكم وعبر من المؤاخاة:

١ - إن أي جماعة تسعى لهدف واحد لا بد من قيام العلاقات بين أفرادها على التآخي الذي يجعلهم يقفون بعضهم إلى جانب بعض في السراء والضراء. وإن هذا التآخي المنطلق من العقيدة هو أساس قوة هذه الجماعة، وهو الأساس الذي يمكنهم من تحقيق أهداف الدين في الحياة، ولذا كان حرص الرسول ﷺ على ذلك التآخي، الذي كان مضرب الأمثال في صدقه، والذي كان من ثماره رضا الله عنهم والتمكين لهم في الأرض، وتحقيق النموذج العملي لمبادئ الإسلام في أشخاصهم.

٢ - بناء على ما حدث في المؤاخاة، فبوسع المؤمنين في كل عصر أن يتآخوا بينهم

---

(١) في حديثه الذي رواه البخاري: الفتح (١٧/ ١١٢-١١٣، ح٤٥٨٠)، والشاهد في نصه: «... فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ [النساء: ٣٣] نسخت ثم قال: عقدت أيمانكم، من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له».

(٢) انظر: مسلم (٤/ ١٩٦٠، الحاشية).

(٣) انظر: ذلك في ترجمته في الإصابة (٢/ ٦٢)، والاستيعاب (٢/ ٥٨)، وقد رجح ابن عبدالبر قول من قال بإسلامه بعد أحد، وثبت أن أول مشاهده الخندق، الطبقات (٤/ ٧٥).

(٤) انظر: ترجمته في الإصابة والاستيعاب، وهو من الأمور المشهورة.

(٥) انظر: ترجمته في الإصابة (١/ ٣١١).

(٦) انظر: هجرة المسلمين إلى الحبشة، وغزوة خيبر.

على المواساة والارتفاق والنصيحة، ويترتب على مؤاخاتهم حقوق أخص من المؤاخاة بين المؤمنين[١].

٣ - إن في موقف عبد الرحمن بن عوف من أخيه سعد بن الربيع نموذجاً واضحاً على عفة المهاجرين واستعدادهم للعمل الذي يقدرون عليه.

❐ المبحث الثالث: صحيفة المدينة: ❐

عندما استقر الرسول ﷺ بالمدينة وأراد أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة، كتب كتاباً بهذا الشأن. عرف في المصادر القديمة باسم «الكتاب» و«الصحيفة»، وأسماه الكتاب المحدثون «الدستور» أو «الوثيقة».

ولأهمية هذه الوثيقة واعتماد الباحثين المعاصرين عليها، وجعلها أساساً في دراسة تنظيمات الرسول ﷺ في المدينة المنورة، ونظم الدولة الإسلامية، وعلاقاتها مع الدول والملل الأخرى، والنظام السياسي في الإسلام، فقد تناولناها بالعرض والدراسة باختصار في الطبعة المطلوبة.

أولاً: مضمون الصحيفة[٢]:

أ - بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين المؤمنين:

- المؤمنون من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.
- كل فريق من المؤمنين (المهاجرين، بني ساعدة، من الأوس..) على رِبْعَتِهِم[٣] يَتَعَاقَلُون بينهم وهم يَفْدُون عَانِيَهُم[٤] بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[٥] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عَقْل.

---

(١) انظر: المجتمع المدني للدكتور العمري، ص ٨٠.

(٢) عن صياغة هذا المضمون انظر الشامي: من معين السيرة، ص١٦٣-١٦٤.

(٣) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(٤) العاني: الأسير.

(٥) المفرح: الكثير العيال والمثقل بالدين.

- المؤمنون المتقون على من بَغَى منهم، وإنْ أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.
- ذمة الله واحدة، يجير على المسلمين أدناهم، والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس.
- من تبع المؤمنين من يهود، فإن له النصرة والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

ب - بنود الصحيفة المتعلقة بالمشركين:

- لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على المؤمنين.
- لقريش وحلفائها حق الصلح إذا طلبوه، إلا من حارب منهم الإسلام.
- لا تجار قريش ولا من نصرها.

جـ - بنود الصحيفة المتعلقة باليهود:

- ينفق اليهود مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، مواليهم وأنفسهم... ولبقية اليهود من بني النجار، يهود بني الحارث... ما ليهود بني عوف. وإن بطانة يهود كأنفسهم.
- لا يخرج من يهود أحد إلا بإذن محمد ﷺ.
- على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح... والنصر للمظلوم.

د - بنود الصحيفة المتعلقة بالقواعد العامة:

- يثرب حرام جوفها لأهل الصحيفة، وإن الجار كالنفس، غير مُضَار، ولا آثم، وإنه لا تُجَارُ حرمة إلا بإذن أهلها.
- ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد رسول الله ﷺ.
- وإن بينهم - أهل الصحيفة - النصر على من دهم يثرب.
- من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

ثانياً: مصادر الصحيفة[١]:

أ-إن أقدم من روى نصها كاملاً هو محمد بن إسحاق، المتوفى سنة ١٥١هـ[٢].

ب- رواية الإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، وهي إشارة مختصرة جدًا، ونصها: «إن النبي ﷺ كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار: أن يَعْقِلُوا معاقلهم، وأن يَفْدُوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين»، وهي من طريقين . . .

جـ- رواية أحمد بن أبي خَيْثَمَة (ت٢٧٩هـ)، ذكر ابن سيد الناس[٣] أنه قد رواها بمثل رواية ابن إسحاق، ولكنه أسندها. وذكر سنده، وفيه كَثيرُ بن عبدالله، وقد اختلف فيه[٤] ومال بعض الباحثين[٥] إلى تضعيفه. ومال آخرون[٦] إلى توثيقه.

د - روايات أبي عُبَيْد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، ثنتان منها في كتابه «الأموال»[٧]، الرواية الأولى من طريقين. الطريق الأولى مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، وفي إسنادها عبد الله بن صالح، وهو ممن اختلف فيه[٨]. ونص الرواية: «إن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب: من محمد ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم فحل معهم وجاهد معهم. . . إنهم أمة واحدة. . .». وذكر حديثاً طويلاً في المعاقل بنحو حديث ابن إسحاق.

---

(١) استعنا - بعد الله ﷻ - في التحقيقات الحديثية المذكورة عن مصادر هذه الصحيفة ببحث الأستاذ ضيفان اليامي: «بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة وثيقة - المدينة»، ورسالة الماجستير المخطوطة على الآلة الكاتبة للأستاذ هارون رشيد محمد إسحاق، تحت عنوان: «صحيفة المدينة: دراسة حديثية وتحقيق»، وكتاب الدكتور أكرم العمري: «المجتمع المدني . . .». وانظر كامل نصها عند ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ١٦٧-١٧٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٧-١٧٢)، معلقًا بدون إسناد، وبها ٥٢ بندًا حسب = تصنيف الدكتور عون الشريف قاسم في كتابه: «الموسوعة محمد ﷺ»، ص٢٤١-٢٤٤، و٤٧ بندًا حسب تصنيف الأستاذ هارون رشيد، ص١٥-٥٤، ولا اختلاف في المضمون.

(٣) عيون الأثر (١/ ١٩٧-١٩٨).

(٤) وممن ضعفه أو نسبه إلى الكذب: ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ٥٤).

(٥) انظر: اليامي: بيان الحقيقة ص١٦-١٩ .

(٦) انظر: هارون: صحيفة المدينة المنورة، ص٩٩ .

(٧) ص١٢٦.

(٨) انظر: التقريب (١/ ٤٢٣).

والطريق الثانية، في إسنادها يحيى بن عبد الله[١] عن الليث، ولكنها أيضاً مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، ويقال فيها ما قيل في الطريق الأولى، إلا أن يحيى بن عبد الله ثقة في روايته عن الليث، وقد تابع بذلك عبد الله بن صالح.

والرواية الثانية من طريق حجاج، مرسلة، لأنها موقوفة على ابن جريج، وقد عرف بالتدليس والإرسال[٢]. ونصها: «في كتاب النبي ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم معهم إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً منهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل».

والرواية الثالثة في كتابه «غريب الحديث»[٣] رواها بثلاثة أسانيد: السند الأول: من طريق حفص عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، مختصرة، وقد سبق الكلام عن كثير هذا. والسند الثاني: وفيه حماد بن عبيد[٤] وجابر الجعفي[٥]، وهما ضعيفان، وموقوف على الشعبي أو أبي جعفر محمد بن علي الباقر، فهي مرسلة، وضعيفة لضعف حماد وجابر.

هـ ـ رواية حميد بن زنجويه: (ت٢٥١هـ)، رواها في كتابه: «الأموال»[٦]، بنحو رواية ابن إسحاق، وهي من بلاغات الزهري، وفي إسنادها عبد الله بن صالح، وقد سبق الكلام عليه. والخلاصة أن الرواية ضعيفة لضعف عبد الله بن صالح، ولأنها مرسلة.

و ـ رواية الإمام البيهقي: (ت٤٥٨هـ)، له فيها روايتان في كتابه «السنن الكبرى»[٧]، الأولى بسنده إلى عثمان بن محمد، قال: «أخذت من آل عمر بن

---

(١) أخرج له البخاري ومسلم وابن ماجه: كما في التقريب (٢/ ٣٥١) والتهذيب (١١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) ابن حجر التقريب (١/ ٥٢٠).

(٣) (٣٠١١).

(٤) ذكر الذهبي في الميزان (١/ ٥٩٧) قول ابن أبي حاتم فيه إنه: «ليس بصحيح الحديث ولا يعبأ به، وقال البخاري: لم يصح حديثه...».

(٥) قال عنه ابن حجر في التقريب (١/ ١٢٣): «ضعيف رافضي...».

(٦) (٢/ ٤٦٦، ح٧٥٠).

(٧) (٨/ ١٠٦).

الخطاب ﷺ هذا الكتاب كان مقروناً بكتاب الصدقة الذي كتب عمر للعمال: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من النبي ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم... إلى: وإن على المؤمنين أن لا يتركوا مفرحاً منهم حتى يعطوه في فداء أو عقل»، وفي إسنادها محمد بن عبد الجبار العطاردي، وقد ضعف[٢]، وعثمان بن محمد، الذي وثقه البعض[٢]، ولكنه رواها وجادة[٣]، ويُونُس بن بُكَيْر، وقد اختلفوا فيه[٤].

والرواية مختصرة عما جاء في سيرة ابن إسحاق وغيره، وقد أغفلت بنوداً كثيرة، أهمها ما يتعلق باليهود.

أما الرواية الثانية فهي بنحو الأولى، ورجال إسنادها ثقات[٥]، ما عدا كَثِير بن عبد الله، وقد سبق الكلام عليه.

ز ـ رواية ابن أبي حاتم الرازي، ذكرها في مقدمة كتابه «الجرح والتعديل»[٦]، بسنده إلى الأوزاعي أنه كتب إلى عبد الله بن محمد أمير المؤمنين رسالة طويلة، وقال فيها: قد حدثني الزهري أنه كان في كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب به بين المهاجرين والأنصار «أن لا يتركوا مفرحاً أن يعينوه في فداء أو عقل».

ورجال إسنادها ثقات، ما عدا العباس بن الوليد بن فريد، فإنه صدوق[٧]، وهي مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، ومختصرة جداً، وربما كان السبب أن الأوزاعي قد كتب إلى أمير المؤمنين الجزء الذي كان يحتاج إليه من هذا الكتاب، مما يوحي إلى وجود الكتاب بأكمله لديه، ولا سيما أنه رواه عن الزهري، وقد تقدم أن الزهري

---

(١) قال عنه ابن حجر في التقريب (١/١٩): «ضعيف، وسماعه للسيرة صحيح...».

(٢) وثقه ابن معين والترمذي وابن حبان، انظر: التهذيب (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٣) أي أخذها من كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه، أو لقيه، ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه، ولا له منه إجازة ولا تحرما (انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص١٥٧).

(٤) ابن حجر في التقريب (٢/ ٣٨٤).

(٥) انظرهم عند هارون: ص١٠٩ ـ ١١١.

(٦) (١/ ١٩٥ ـ ١٩٧).

(٧) ابن حجر: التهذيب (٥/ ١٣١ ـ ١٣٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٢١٥)، وزاد أنه ثقة.

قد روى هذا الكتاب أو الصحيفة بنحو رواية ابن إسحاق[١]...

ح - رواية ابن حزم: (ت٥٤٦هـ)، رواها في المحلى[٢]، بإسناده إلى ابن عباس، ونصها: «كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين الناس».

وفي إسنادها الحجاج بن أرطأة والحكم بن مقسم، قال عن الأول: ساقط، وعن الثاني: ضعيف.

بعد أن خرج أحد الباحثين[٣] مرويات هذه الصحيفة من المصادر المذكورة، ودرس أسانيدها، قال بأنها ضعيفة لا تصح، وينبغي عدم الاحتجاج بها، سوى ما ثبت لفظه أو معناه في أحاديث أخرى وجاء في الصحيفة[٤]. أما الباحث الآخر[٥] فإن خلاصة دراسته أسانيد نصوص الصحيفة، فهي: رواية ابن هشام عن ابن إسحاق معلقاً ضعيفة وصالحة للاعتبار. وأحد سندي أبي عبيد كذلك ضعيف للإرسال وصالح للاعتبار. ورواية ابن أبي خيثمة في إسنادها كثير بن عبد الله، الذي اتهم بالكذب، وهي تهمة غير مسلم بها استناداً إلى توثيق البخاري له بتحسين حديث مروي عنه، وأخرج له في غير صحيحه، وتوثيق الترمذي له بتصحيح حديث مروي عنه وتحسين أحاديثه الأخرى، ورواية أبي داود له بالسكوت، وتوثيق يحيى بن سعيد الأنصاري والحاكم وابن خزيمة والفسوي وآخرين له بالرواية عنه، وبذلك يكون إسناد ابن أبي خيثمة على الأقل حسناً لغيره.

ولم ينفرد ابن خيثمة بحديث كثير، إذ رواه البيهقي بالسند نفسه، ولو شطراً من الصحيفة.

وليس الحديث شاذاً، إذ ليس فيه ما يخالف الصحيح، ولا منفرداً، إذ روي من طريق آخر متصلاً ومرسلاً. أما المتصل فرواه البيهقي بسند آخر كما مر بنا، والمرسل رواه ابن إسحاق والزهري كما مضى...

---

(١) انظر في هذا «بيان الحقيقة...» لضيدان، ص٣٢.

(٢) (١٢/٤٠٧، ٤٠٨/ك. العواقل، والقسامة، وقتل أهل البغي، مسألة رقم ٢١٤٣).

(٣) اليامي: بيان الحقيقة، ص٣٨ - ٣٩).

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص٣٥ - ٣٨.

(٥) هارون: صحيفة المدينة، ص١٣٢.

وبما أن هذه الأسانيد كلها صالحة للاعتبار بانفرادها، وبما أن كلها تعاضد بعضها بعضاً، لذلك جاز القول: إن إسناد رواية صحيفة المدينة وصل إلى درجة الحسن لغيره.

وقد توصل الدكتور العمري[١] قبله إلى هذه النتيجة، فقال بعد دراستها: «وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيح، فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية، خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة...»، وقال في الحاشية: «ولكن مجموع الآثار تتقوى ببعضها وتصل إلى درجة الحسن لغيره»[٢].

وتوصل إلى هذه النتيجة قبلهم جميعاً الدكتور أكرم حسين علي السندي: في رسالته للماجستير - غير منشورة - بإشراف الدكتور أكرم العمري، ص٥٣ - ٧٣، قدمت إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وأهدتني الجامعة نسخة منها.

ثالثاً: تاريخ كتابة الصحيفة:

يرجح أحد الباحثين[٣] أن الصحيفة في الأصل صحيفتان، ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعة الرسول ﷺ لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم، وأن صحيفة موادعة اليهود كتبت قبل بدر الكبرى والأخرى بعد بدر، وقد أوضح أدلة ترجيحاته. وترجيحه مقبول عندي.

أما ما ورد من نصوص تدل على أن كتابة صحيفة الموادعة مع اليهود كانت بعد قتل ابن الأشرف، فإن هذه الكتابة تعتبر إعادة وتوكيداً للكتابة الأولى[٤]. والآية ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: ٥٦] تشير إلى أكثر من معاهدة بين الرسول ﷺ واليهود، كما فسره المفسرون[٥].

---

(١) المجتمع المدني: ص١١١.

(٢) المرجع والمكان نفساهما.

(٣) المرجع نفسه ص١١٢ - ١١٧.

(٤) انظر: صحيفة المدينة ص١٥٤، والمجتمع المدني، ص١١٤.

(٥) قاله ابن الجوزي في زاده (٣/ ٣٧٢)، أي زاد المسير.

رابعاً: الشواهد على فقرات الصحيفة من كتب السنة والتاريخ:

لقد عقد أحد الباحثين[١] فصلاً لهذا الموضوع، ذكر فيه أولاً ما ورد من أخبار في كتابة الصحيفة. وخلاصة ذلك ما سبق ذكره عن رواية الإمام أحمد التي صحح إسنادها الشيخ شاكر، والشيخ البنا، ورواية عن مسلم[٢] أن النبي ﷺ كتب على كل بطن عقوله، ثم كتب أنه لا يحل لمسلم أن يتولى مولى رجل مسلم بغير إذنه..».

وروى أبو داود[٣] والبيهقي[٤] أنه بعد قتل المسلمين كعب بن الأشرف، جاءته يهود في أمر قتله، فدعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

وروى الخطابي[٥]، أن كعب بن الأشرف عاهد النبي ﷺ أن لا يعين عليه ولا يقاتله، ولكنه لحق بمكة، ثم قدم المدينة معلناً معاداة النبي ﷺ، ولذا قتله المسلمون.

روى البخاري[٦] قول الرسول ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مؤمن ولا ذو عهد في عهده».

وروى النسائي[٧] أن النبي ﷺ قال: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مؤمن ولا ذو عهد في عهده».

وروى ابن ماجه[٨] في رواية أن الرسول ﷺ قال: «لا يقتل مسلم بكافر» وزاد في رواية أخرى: «... ولا ذو عهد في عهده»[٩].

هذه الروايات تثبت تحرير الكتاب من النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار،

---

(١) هارون: صحيفة المدينة ص١٣٣ ـ ١٥٥).

(٢) (٢/١١٤٦، ح١٥٠٧).

(٣) سننه (٣/٤٠١ ـ ٤٠٢، ح٣٠٠٠، ط الدعاس).

(٤) السنن الكبرى (٩/١٨٣)، بإسناد حسن، كما حققه هارون، ص١٥٠.

(٥) معالم السنن (٢/٣٣٨)، بإسناد صحيح، كما قال هارون، (ص١٤٨).

(٦) الفتح (١٢/١٣٧، ح٣٠٤٦).

(٧) سننه (٨/٢٠). وللحديث شواهده في الصحيحين، فهو لذلك صحيح لغيره، كما قال هارون (ص١٦٧).

(٨) انظر: صحيح سنن ابن ماجه، الألباني (٢/١٠١، ح٢٦٥٩)، وقال: «حسن صحيح».

(٩) المصدر نفسه، حديث رقم ٢٦٦٠، وقال الألباني: «صحيح».

وتؤيد الفقرات التي جاءت في الصحيفة عن المعاقل وفداء العناة للمهاجرين وبطون الأنصار.

لقد أورد أحد الباحثين[١] ثمانية أحاديث تثبت أصل الصحيفة والكتابة بين المهاجرين والأنصار ويهود المدينة، وما يثبت ما فيها من تفصيلات: ثلاثة من مسند الإمام أحمد، وواحد من كل من المصنف لعبد الرزاق وسنن أبي داود ومعالم السنن للخطابي، واثنان من السنن الكبرى للبيهقي، وكلها صحيحة أو حسنة، ما عدا رواية عبد الرزاق فهي مرسلة.

أما المؤرخون فقد أشار بعضهم إلى فقرات معينة وردت في الصحيفة، فمثلاً الطبري[٢]، أشار إلى كتابة المعاقل، وابن سعد[٣] أشار إلى كتابة المعاقل بين المؤمنين، وأن لا يترك مُفرح في الإسلام، ولا يُقتل مسلم بكافر، وعبد الرزاق الصنعاني[٤] بإسناده إلى الزهري، أشار إلى العقل على العاقلة وأن ذلك بلغهم عن الرسول ﷺ كما في الكتاب الذي بين قريش والأنصار، الذي فيه: «ولا تتركوا مفرحاً أن تعينوه في فكاك أو عقل»، والمقريزي[٥] الذي قال: إن الرسول ﷺ كتب كتاباً وادع فيه يهود المدينة: قينقاع والنضير وقريظة. وابن حزم[٦] قال: بأن الرسول ﷺ وادع اليهود، والديار بكري[٧] قال: بأن الرسول ﷺ وادع اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم أن لا يعينوا عليه أحداً وإن دهمه بها عدو نصروه.

وروى ابن مردويه[٨] في قصة بني النضير: «... صبحهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم، فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير

---

(١) هارون: صحيفة المدينة، ص١٣٣ ـ ١٥٥ ـ ٢١٥.

(٢) تاريخه (٢/ ٤٨٦)، بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٣) الطبقات، الجزء الأول، القسم الثاني، ص١٧٢ (من ط ليدن ١٩١٧ ـ ١٩٢٨).

(٤) المصنف (٩/ ٢٧٣، ٢٧٤)، بإسناد صحيح، لكنه مرسل، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، ط١، ١٣٩٢، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٥) إمتاع الأسماع (١/ ٤٩) بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٦) جوامع السيرة، ص٩٥، بدون إسناد.

(٧) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (١/ ٣٥٣).

(٨) ابن حجر: الفتح (١٥/ ١٠١)، وقال: «إسناده صحيح».

فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء...».

وهذا الخبر صريح في معاهدة الرسول ﷺ بني قريظة، وقد ذكرنا أن هذه المعاهدة كانت توكيداً لأخرى قبلها.

ثم ذكر هارون[1] شواهد كثيرة على فقرات هذه الصحيفة... أما الآيات القرآنية، فقد أورد سبعاً وعشرين آية توافق فقرات جاءت في الصحيفة.

والخلاصة: إن جميع فقرات الصحيفة لها شواهد من صحيح السنة والقرآن الكريم. ولولا خشية الإطالة لذكرنا ولو طرفاً منها. جزى الله خيراً الباحث هارون. ولذا حكم الباحثون على أن إسنادها عند ابن إسحاق يتقوى بالشواهد ليصل إلى درجة الحسن لغيره.

أما ما جاء في الصحيفة عن الصلح مع اليهود والمشركين بغير الجزية فهو منسوخ بآية الجزية: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]. وكان ذلك في سنة تسع[2]، ومن المعروف أن سورة «التوبة» من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري[3].

خامسًا: دلالات وأحكام وعبر من صحيفة المدينة:

١ - إن هذه الوثيقة تعد أقدم دستور مكتوب في العالم.

٢ - لم يذكر العلماء أن حكماً من أحكامها قد نسخ، ما عدا قولهم: إن المعاهدة مع اليهود، أو مع غير المسلمين بدون الجزية، منسوخة بآية الجزية - الآية (٢٩) من سورة التوبة - كما ذكرنا قبل عدة أسطر.

٣ - وقال بعض العلماء إن العلاقة مع اليهود، والتي تضمنتها الوثيقة، توافق حكم الآيـــة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

---

(١) صحيفة المدينة، ص١٥٦ ـ ٢١٤.

(٢) انظر: ابن كثير: التفسير (٤/ ٧٤).

(٣) الفتح (١٧/ ١٩٥، ح٤٦٥٤).

٤ - نظمت الوثيقة جوانب مختلفة لحياة الناس.

٥ - فيها مبادئ دستورية عديدة على سبيل المثال:

١ - تشكيل الأمة من حيث العقيدة والدين تشتمل على كل المسلمين حيثما كانوا.

٢ تشكيل الأمة - أي الجماعة - من حيث المواطنة تشتمل على غير المسلمين في الدولة.

٣ المساواة في المعاملات العامة.

٤ - منع إيواء المجرمين.

٥ - منع خروج اليهود من دون إذن محمد ﷺ.

٦ - منع الظلم والعدوان في المال والعرض وغيرهما.

٧ - منع الصلح المنفرد مع العدو.

٨ - منع إجارة قريش - أي منع إجارة العدو.

٩ - القود من القاتل - أي حرمة الحياة.

١٠ - الإسهام في نفقة الدفاع عن الدولة والوطن.

١١ - فداء الأسرى.

١٢ - وفاء الدين عن الغارمين.

١٣ - الإبقاء على الأعراف الصالحة.

١٤ - حق الحرية في العقيدة والدين.

١٥ - حقوق الجار.

١٦ - حرمة المسلم - أي مبدأ لا يقتل مسلم بكافر.

١٧ - تحريم المدينة.

١٨ - عدم إعطاء حقوق الحرمة للآخرين في المدينة إلا بإذن أهلها.

١٩ - مرجع حسم الخلاف حول بنود هذه الوثيقة الله ﷻ ورسوله محمد ﷺ.

وهناك مبادئ دستورية يمكن استنباطها من الوثيقة، والمبادئ المذكورة يتطوي

كل واحد منها على أحكام شرعية، وما عدا المبادئ الخاصة بالمسلمين[١] فإن المبادئ التي انطوت عليها توجد في أي دستور، حتى الدساتير الوضعية[٢].

وعلى الرغم من هذا الموقف المتسامح تجاه اليهود، إلا أنهم ظلوا يكيدون للإسلام بشتى الوسائل والأساليب، كما سنرى في الأحداث القادمة، ومن الميادين التي نشطوا فيها ولم يولها المؤرخون المحدثون كبير اهتمام، نشاطهم في ميدان الجدال العقيم، رغبة منهم في الصد عن سبيل الله، وليس بغرض الدخول في الإسلام.

وسجل القرآن كثيراً من جدالهم وعنادهم، ومن أظهرهم في ذلك: رَافع بن حُرَيْمِلَة، وسَلَّام بن مِشْكَم، ونعمان بن أوفى، ومحمود بن دِحْيَة، وشَاس بن قيس، ومالك بن الصيف، وجَبَل بن أبي قُشَيْر، وشَمْوِيل ونعمان بن أحنا، وبحري بن عمرو، وشَاس بن عَدِي، ورافع بن حارثة، والنَّحَام بن زيد، وكردم بن كعب...[٣] إلخ.

وعلى الرغم من الموقف غير المتسامح الذي وقفه اليهود من الرسل ﷺ وأصحابه ودولته إلا أن الرسول ﷺ.

---

(١) وهي رقم: ١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ولا مثيل لها في أي مجتمع في العالم.

(٢) هارون: صحيفة المدينة، ص٣٢٥، ٣٢٦.

(٣) ابن هشام (٢/١٨٣ ـ ١٨٦). انظر أمثلة جدلهم كما ذكرها الشيخ الجزائري: هذا الحبيب، ص١٩٦ ـ ١٩٨.

الفصل الرابع

القسم الأول

متفرقات:

❐ المبحث الأول: تسمية يثرب بطَيْبة، وطابة والمدينة: ❐

يلحظ أن المدينة المنورة سميت في الصحيفة بيثرب. ولكن فيما بعد كره الله ورسوله هذا الاسم، فاستبدلت بها أسماء طَيْبة وطابة والمدينة.

فقد روى مسلم[١] عن جابر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى سمّى المدينة: طابة».

وروى أن رسول الله ﷺ قال: «إنها طَيْبة - يعني المدينة - وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة»[٢].

وروى الطيالسي[٣] بطريق مسلم نفسها قائلاً: «كانوا يسمون المدينة بيثرب، فسماها رسول الله ﷺ طيبة».

وقال ابن حجر[٤] إنه ورد من طريق أبي سهل بن مالك عن كعب الأحبار، قال: «نجد في كتاب الله الذي أنزل على موسى أن الله تعالى قال للمدينة: يا طيبة، ويا طابة...».

وردت في بعض أحاديث الرسول ﷺ باسم آخر هو: المدينة. فقد روى البخاري[٥] بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

---

(١) صحيحه (٢/ ١٠٠٧، ح١٣٨٥)، ورواه بسنده ومتنه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ١٦٤).

(٢) المصدر والمكان نفساهما.

(٣) مسنده (٢/ ٢٠٤).

(٤) الفتح (٨/ ٢١٨).

(٥) الفتح (٢٧/ ١٢١، ح٧١٣٣).

وروى أحمد[١] أن الرسول ﷺ قال: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ﷻ، هي طابة، هي طابة».

وذكر السيوطي[٢] عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: «لا تدعونها يثرب، فإنها طيبة - يعني المدينة - ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبة، هي طيبة، هي طيبة».

وروى البخاري[٣] عن أبي حميد أنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، فقال: «هذه طابة».

وروى ابن شبة[٤] بإسناده إلى أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب.

وروى البخاري ومسلم[٥]، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «أمرت بقرية تأكل القُرَى، يقولون يثرب، وهي المدينة. تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

وسماها القرآن الكريم المدينة في مواضع متعددة[٦].

---

(١) المسند (٤/ ٢٨٥) بسنده إلى البراء بن عازب، ورجاله ممن يحتج بهم، ما عدا يزيد بن أبي زياد، فهو ضعيف، كما في التقريب (٣/ ٣٦٥)، والتهذيب... ولكن يتقوى بالشواهد والمتابعات، وذكره ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢١٦)، ورواه الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٠٠) وعزاه لأبي يعلى، وقال: ورجاله ثقات، ورواه - من ثلاث طرق - ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ١٦٤ - ١٦٥)، الأول مرسل وفيه يزيد بن أبي زياد، والثاني مرفوع وفيه يزيد أيضاً، والثالث مرفوع ورجاله ثقات ما عدا ابن أبي يحيى - إبراهيم بن محمد الأسلمي - فهو متروك كما في التقريب، فحديثه ضعيف جداً.

(٢) الدر المنثور (٥/ ١٨٨) وعزاه لابن مردويه.

(٣) الفتح (٨/ ٢١٨، ١٨٧٢)، ورواه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ١٦٤).

(٤) تاريخ المدينة (١/ ١٦٥) وإسناده ضعيف لأن فيه ابن أبي يحيى - إبراهيم بن محمد الأسلمي - وهو متروك كما في التقريب، فحديثه ضعيف جداً، ولكن للحديث شواهد ومتابعات يتقوى بها كما سنرى من أحاديث في هذه المسألة.

(٥) البخاري (١٨٧١) مسلم (٢/ ١٠٠٦، ح١٣٨٢).

(٦) مثلاً: المنافقون: ٨، الأحزاب: ٦، التوبة: ١٠١، ١٢٠، ... إلخ وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

وقال ابن حجر[١] في سبب كراهة تسمية المدينة بيثرب، لأن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب، وهو الفساد، وكلاهما مستقبح. وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، ويكره القبيح.

□ المبحث الثاني: بعض المتاعب الصحية تواجه بعض المهاجرين: □

لقد واجه المهاجرون حين مقدمهم من مكة إلى المدينة بعض المتاعب الصحية، إذ أصابتهم حمى يثرب[٢]، حتى أنهم كانوا يصلون وهم قعود[٣]، وصرف الله ذلك عن نبيه محمد ﷺ[٤].

لقد وعك أبو بكر وبلال. فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... والمَوتُ أَدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَن لَيلَةً ... بِوَادٍ وحَولِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ؟

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوماً مِيَاهَ مَجَنَّةٍ؟ ... وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟

وجاءت عائشة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ فأخبرته بما يقولان، فقال: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصحِّحها وبارك في صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا فاجعلها في الجُحْفَةِ»[٥].

---

(١) الفتح (٨/٢١٦، كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس).

(٢) طرف من رواية أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٣١ ـ ٣٢). قال الساعاتي: «وأورده أيضاً الهيثمي بطوله وقال: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة».

(٣) أحمد: المسند (٣/١٣٦)، وابن إسحاق، بإسناد لم يصرح فيه بالسماع، ابن هشام (٢/ ٢٧٤)، ابن ماجه (١/ ٣٨٨، ح١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١)، من طريق ابن إسحاق، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح».

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ١٢١ ـ ١٢٢، ح٣٩٢٦). قال ابن حجر في شرحه: بواد: مكة. وانظر: الفتح الرباني (٢١/ ١٣ ـ ١٤)، جليل: نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها. شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة، وقيل: عينان. ورواه ابن إسحاق، وإسناده حسن. ابن هشام (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٣).

ووعكت عائشة[١] وابن قهيرة[٢]، وغير هؤلاء، لأن المدينة كانت مشهورة بالحمى، حتى قال مشركو مكة عن مسلمي المدينة في عمرة القضاء: «إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب»، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ليروا المشركين قوتهم، وأن الحمى لم تنهكهم كما يزعم الكفار.

واستجاب الله دعاء نبيه فجعلها من أطيب البلاد بعد ذلك.

❐ المبحث الثالث: قريش تهدد المهاجرين والأنصار: ❐

كان عبد الله بن أبي بن سلول أكبر زعماء المدينة. وعندما جاءها الرسول ﷺ مهاجراً كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ملكاً عليهم، ولم يتم ذلك لأن الرسول ﷺ أصبح زعيماً بتاج النبوة. ولذا تأخر في إسلامه لأنه كان يرى أن الرسول ﷺ قد سلبه ملكه، فأخذ يناصبه العداء. وبعد أن أعلن إسلامه ظل على عدائه للرسول ﷺ، ولكن بأسلوب آخر، وهو أسلوب النفاق. وله مواقف تدل على نفاقه كما سيأتي.

ففي أحد هذه المواقف، روى البخاري[٣] ومسلم[٤] وأحمد[٥]، ثلاثتهم من حديث الزهري بإسناده إلى أسامة بن زيد أن سعد بن عبادة قال: «يا رسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرَةِ على أن يتوجوه فَيُعَصِّبُوهُ بالعِصَابَةِ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شَرِقَ بذلك، فذلك فَعَلَ به ما رأيت...».

وفي رواية ابن إسحاق[٦] قال سعد: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فوالله إنه ليرى أنه قد سلبته ملكاً».

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ١١٤، ح٣٩١٧، ٣٩١٨).

(٢) ذكره ابن إسحاق من حديث عائشة بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٢٧١)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٣) من حديث عائشة، وقال الساعاتي: متفق عليه.

(٣) الفتح (١٧/ ٩٢ ـ ٩٤، ح٤٥٦٦).

(٤) مسلم (٣/ ١٤٢٢ ـ ١٤٢٣، ح١٧٩٨).

(٥) المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٩ ـ ٢٠) بإسناد صحيح.

(٦) ابن هشام (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) بإسناد حسن، وهو نفس طريق البخاري ومسلم وأحمد.

لقد وجد مشركو مكة ضالتهم في ابن سلول هذا، لأنه على ملتهم، فكاتبوه ليكيد للمسلمين ويقوم بالدور الذي كانوا يقومون به ضد الرسول ﷺ وأصحابه في مكة. قالوا له في كتبهم إليه: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم»[١].

وامتثل ابن أبي لأمر الكفار، فجمع كفار المدينة لمحاربة الرسول ﷺ. وعندما بلغ الرسول ﷺ أمره، قال لهم: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا[٢].

وأرسل كفار مكة إلى مسلمي المدينة يقولون لهم: «لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم»[٣].

واحترازاً من مكائد قريش حرص المسلمون على حراسة الرسول ﷺ ليلاً حتى نزل قوله تعالى: ﴿...وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فقال لأصحابه: «يا أيها الناس، انصرفوا عني، فقد عصمني الله ﷻ»[٤]. وقد دعا رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص عندما جاء يحرسه ذات ليلة، خوفاً عليه[٥].

ولم يكن الخطر مقتصراً على الرسول ﷺ فقط، بل تعداه إلى أصحابه. فقد قال أبي بن كعب: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه»[٦].

وكجزء من مخططات قريش وأساليبها للصد عن سبيل الله، فقد حاولت صد الأنصار عن المسجد الحرام. وقد ظهر هذا جلياً في قصة سعد بن معاذ وأبي جهل. وخلاصتها عند البخاري، أن سعد بن معاذ جاء مكة معتمراً، وطلب من مضيفه أمية بن خلف أن ينظر له ساعة خلوة ليطوف بالبيت آمناً. فأخذه أمية ليطوف في

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٧، ك. الخراج/ب خبر النضير، ح٣٠٠٤)، وإسناده صحيح.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر: المنصور فوري: رحمة للعالمين (١/ ١٠٩)، ولم نعثر على مصدر المنصورفوري حتى الآن.

(٤) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٤٦، ح٣٢٥٠)، وقال الشيخ الألباني: «حسن».

(٥) مسلم (٤/ ١٨٧٥، ح٢٤١٠)، البخاري: الفتح (١٢/ ٣٥، ح٢٨٨٥).

(٦) ذكره المباركفوري في الرحيق المختوم، ص٢١٧، ولم يذكر مصدره ولم نعثر عليه حتى الآن.

منتصف النهار حين غفلة الناس، ومع ذلك لقيه أبو جهل وسأل عنه أمية، فأخبره به، فقال له: «تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ وتشاجرا، ومما قاله سعد له: «والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام...» وهدده بأن الرسول ﷺ سيقتله، وقد كان أن قتله الله ببدر[1].

(١) البخاري: الفتح (١٤/١٢٦، ح٣٦٣٢).

القسم الثاني من الفصل الرابع

النشاط الجهادي: العسكري والسياسي قبل غزوة بدر الكبرى

◻ المبحث الأول: الإذن بالقتال: ◻

روى الطبري[١] أن ابن عباس أنه قال: «لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم. إنا لله وإنا إليه راجعون، لَيَهْلِكُنَّ. فأنزل الله ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩]، قال أبو بكر ﷺ: فعرفت أنه سيكون قتال».

وزاد أحمد[٢] في روايته لهذا الخبر، أن ابن عباس قال: «وهي أول آية في القتال».

وقال العوفي عن ابن عباس: إن الآية نزلت في محمد ﷺ وأصحابه حين أخرجوا من مكة[٣].

لقد شرع الجهاد في الوقت الأليق به، لأن المسلمين بمكة كانوا أقل من معشر المشركين، ولذا لم يأمرهم الله بالقتال. وعندما بغى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من مكة وهموا بقتله، وشردوا أصحابه ما بين الحبشة والمدينة، وعندما استقر المسلمون بالمدينة وهاجر إليهم الرسول ﷺ وأصبحت المدينة دار إسلام ومعقلاً

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٢٣)، وانظر تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٢) المسند (٣/ ٢٦٢، شاكر) وصحح إسناده، وقال محققو الموسوعة (١٨٦٥): صحيح على شرط الشيخين، ورواه الترمذي: صحيح سنن الترمذي (٣/ ٣١٧٠، ٣١٧١، ح٢٥٣٥)، وحسنه، وصحح الألباني إسناده.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥٠ ـ ٤٣١).

يلجؤون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك[١]. ولم يكن القتال هنا فرضاً عليهم وإنما أذن بالقتال لمن ظلم، ثم فرض عليهم فيما بعد قتال من يقاتلهم عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦].

وهكذا مر تشريع الجهاد بأربع مراحل رئيسة، وهي:

١ - مرحلة الصبر دون القتال - بمكة.

٢ - مرحلة الإذن بالقتال - بعد الهجرة.

٣ - مرحلة الأمر بقتال من يبدؤهم بالقتال.

٤ - مرحلة الأمر بقتال جميع المشركين[٢].

وللرسول ﷺ أقوال كثيرة في فضل الجهاد والمجاهدين بالمال والنفس والكلمة، ووسع في معاني الشهادة، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال؛ إضافة إلى ما جاء في الكتاب:

١ - «وجاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة، يُنجي الله به من الهم والغم»[٣].

٢ - «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»[٤].

٣ - «إن الشيطان يقعد لابن آدم بأطْرُقِهِ[٥]، فيقعد بطريق الجهاد، فيقول له:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣١ - ٤٣٢)، وقال الزهري: «أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٩] أخرجه النسائي: (٦/ ٤) وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٤٢). وأخرجه غيره. انظر السيرة الشامية (٤/ ١٢).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٧١).

(٣) ابن أبي عاصم: كتاب الجهاد، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد (١/ ١٣٣، ح٥)، وقال المحقق: إسناده حسن لغيره، وذكر طرقه الأخرى.

(٤) وممن رواه: مسلم (٣/ ١٥١١، ح١٩٠٢)، وخرجه مساعد الحميد (١/ ١٣٨).

(٥) أطْرُقِهِ: جمع طريق.

تقتل وتزوج امرأتك، ويُقْسَمُ ميراثك، ثم ذكر الإسلام والهجرة، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك ضمن الله له الجنة»[١].

٤ - «المجاهد من جاهد نفسه لله»[٢].

٥ - قال معاذ بن جبل ﷺ: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقلت: يا رسول الله! أخبرني، قال: «أما ذروته - يعني الإسلام - فالجهاد في سبيل الله»[٣].

٦ - «ساعتان لا تُرَدّان - أو قَلَّمَا تردان -: الدعاء عند النداء وعند البأس يُلْجِمُ[٤] بعضهم بعضاً»[٥].

٧ - عن أبي ذر ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: «الإيمانُ بالله، وجهاد في سبيله...»[٦].

٨ - قال أبو هريرة ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! علمني عملاً يَعدُلُ الجهاد، قال: «لا أجِدُهُ» قال: هل تستطيعُ إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك، فتقومَ لا تَفْتُرُ، وتصُومَ لا تُفْطِرُ؟». قال: لا أستطيع ذلك. قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد لَيَسْتَنُّ[٧] في طوله فتكتب له الحسنات[٨].

٩ - «مَثَلُ المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل القائم الصائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة»[٩].

---

(١) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ١٤٩، ح١٣)، وحسن المحقق إسناده وذكر طرقه المختلفة من مصادرها المختلفة، ص١٤٩ - ١٥١.

(٢) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ١٥٢، ح١٤)، وحسن المحقق إسناده وخرّجه.

(٣) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ١٥٥، ح١٦)، وإسناده حسن لغيره كما قال المحقق، وخرّجه من طرقه ومصادره المختلفة، ص١٥٥ - ١٦٣.

(٤) يُلْجِمُ: من الالتحام والاشتباك في الحرب.

(٥) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ١٦٤، ح١٨)، وإسناده حسن لغيره كما قال المحقق، وخرّجه.

(٦) البخاري: الفتح (١٠/ ٢٣٩، ح٢٥١٨)، مسلم (١/ ٨٤، ح١٣٦)، وغيرهما، وذكر محقق جهاد ابن أبي عاصم - الحميد - طرقه وألفاظه ومصادره المختلفة (١/ ١٦٩، ح٢٠).

(٧) لَيَسْتَنُّ: أي عدا ليمرّجو ونشاطه شوطاً أو شوطين ولا واكب عليه.

(٨) البخاري: الفتح (١١/ ٢٦٢، ح٢٧٨٥)، وغيره، وخرّجه الحميد (١/ ١٧٨، ح٢٧).

(٩) البخاري: الفتح (١١/ ٢٦٥، ح٢٧٨٧)، وغيره، وخرّجه من طرق عدة الحميد (١/ ١٨٢، ح٢٩).

١٠ - عن الخدري، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله»، قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره»[١].

١١ - عن أبي فاطمة، أنه قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل أستقيمُ عليه وأعمله. قال: «عليك بالجهاد في سبيل الله، فإنه لا مِثْلَ له»[٢].

١٢ - «من مات ولم يَغْزُ، وليس في نفسه مات على شعبة نفاق»[٣].

١٣ - «المجاهد في سبيل الله عليّ ضَامنٌ، إن قبضته أورثته الجنة، وإن رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بأجر وغنيمة»[٤].

١٤ - «إن الله - تبارك وتعالى - قال لمن انْتَدَبَ خارجاً في سبيله ابتغاء وجهه وتصديق وعده وإيماناً برسله: إنه على الله ضامن، فإما أن يتوفاه في الجيش بأي حَتْفٍ[٥] شاء فيدخله الجنة، وإما أن يسيح[٦] في ضمان الله وإن طالت غيبته حتى يرده إلى أهله سالماً مع ما نال من أجر وغنيمة»[٧].

١٥ - وقال: «من فَصَلَ[٨] في سبيل الله فمات أو قُتِلَ فإنه شهيد؛ ومن وَقَصَهُ[٩] بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن

---

(١) البخاري: الفتح (١١/ ٢٦٤، ح٢٧٨٦)، وغيره، خرّجه الحميد من عدة طرق ومصادر (١/ ١٩١، ح٣٥).

(٢) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ١٩٩، ٤١)، وإسناده حسن لغيره كما قال المحقق، وذكر طرقه ومصادره المختلفة التي أوصلته إلى درجة الحسن لغيره.

(٣) مسلم (٣/ ١٥١٧، ح١٩١٠)، وخرّجه الحميد (١/ ٢٠٢، ح٤٣).

(٤) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٢١٥، ح٤٥)، قال المحقق ـ الحميد ـ: إسناده حسن لغيره، وخرّجه من طرقه ومصادره المختلفة.

(٥) حَتْف: هلاك.

(٦) يسيح: يذهب.

(٧) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٢٢٢، ح٥٣)، قال المحقق ـ الحميد ـ: إسناده حسن لغيره، وخرّجه من مصادره وطرقه المختلفة.

(٨) فَصَلَ: خرج.

(٩) وَقَصَهُ: رماه على الأرض فمات.

له الجنة»[١].

١٦ - «غَدْوَةٌ أو روحة في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٢].

١٧ - «من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبع مئة ضعف»[٣].

١٨ - «ثلاثة حَقٌّ على الله عَوْنُهُم: المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمُكاتب[٤] يريد الأداء»[٥].

١٩ - عن الضحاك بن أبي جَبِيْرَة، قال: «كان الأنصار يتصدقون ويعطون، فأصابتهم سَنَةٌ فأمسكوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]».

٢٠ - «من جهز غازياً في سبيل الله فله مِثْلُ أجره، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله في أهله، وأنفق عليه فله مثل أجره»[٦].

٢١ - «من جهز غازياً، أو خلفه فقد غزا»[٧]، وفي رواية: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»[٨].

٢٢ - «من أنفق زوجين[٩] من ماله في سبيل الله دُعِيَ من أبواب الجنة: وللجنة

---

(١) معطوف على إسناد ما سبقه، ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٢٢٣، ح٥٤)، وخرّجه المحقق من عدة طرق ومصادر.

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ٢٧٣، ح٢٧٩٢)، مسلم (٣/ ١٤٩٩، ح١٨٨٠، ١٨٨١) واللفظ له، ورواه ابن أبي عاصم في الجهاد (١/ ٢٢٨، ح٥٦)، وخرّجه المحقق من عدة طرق ومصادر أخرى - غير البخاري ومسلم -، ص٢٢٨ - ٢٤٢.

(٣) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٢٤٣، ح٧١)، وصحح المحقق إسناده، وخرّجه من طرقه ومصادره المختلفة، منها: أحمد: المسند (٤/ ٣٤٥)، الترمذي (٤/ ١٦٧، ١٦٢٥).

(٤) المُكاتب: الرقيق - العبد - الذي يكاتب سيده على مبلغ معين أو خدمة معينة مقابل حريته.

(٥) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٢٧٣، ح٨٣)، وحسن المحقق إسناده، وذكر مصادره وطرقه المختلفة، منها: أحمد: المسند (٢/ ٢٥١، ح٤٣٧)، الترمذي (٤/ ١٨٤، ح١٦٥٥).

(٦) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٢٨٠، ح٨٧)، وحسن المحقق إسناده وخرّجه.

(٧) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٢٨٤، ح٨٩)، وذكر المحقق طرقه ومصادره، ص٢٨٤ - ٢٩٥، وإسناده حسن.

(٨) مسلم ٣١/ ١٥٠٦، ح١٨٩٥) الرواية الأولى؛ البخاري: الفتح (١١/ ٣١٦، ح٢٨٤٣) الرواية الثانية.

(٩) أنفق زوجين: أنفق صنفين.

ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد»[١].

٢٣ - «من لم يَغْزُ، أو يَجهز غازياً، أو يَخْلُفْ غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»[٢].

٢٤ - «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كأمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وُقِفَ له يوم القيامة فيأخذُ من عمله ما شاء، فما ظنكم؟»[٣]!!

٢٥ - «والذي نفسي بيده ما تغبَّرت قدما عبد قَطُّ ولا وَجْهُهُ في شيء أفضل عند الله بعد الصلاة المفروضة من الجهاد في سبيل الله ﷻ»[٤].

٢٦ - «ما اغبرَّتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»[٥].

٢٧ - «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف امْرِئٍ مسلم»[٦].

٢٨ - «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد مؤمن أبداً»[٧].

٢٩ - قال في الذين يحبهم الله: «رجل لَقِيَ فيه فنصب نحره للعدو حتى يُهْرَاقَ دَمُهُ أو يَفْتَحَ الله لأصحابه»[٨].

٣٠ - «القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل»، قال النبي ﷺ فيه: «فذاك الشهيد في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة؛ . . .»[٩].

---

(١) مسلم (٢/ ٧١٢، ح١٠٩٧)، ابن أبي عاصم (١/ ٣٠٧، ح٩٥، ٩٦)؛ وخرّجه المحقق.

(٢) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣١٢، ح٩٩)، وحسن المحقق إسناده؛ وخرّجه.

(٣) مسلم (٣/ ١٥٠٨، ح١٨٩٧)، ابن أبي عاصم (١/ ٣١٤، ح١٠٠)، . . .

(٤) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣٢٦، ح١١١)، وإسناده حسن لغيره كما قال المحقق.

(٥) البخاري: الفتح (١١/ ٢٩٢، ح٢٨١١).

(٦) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣٣٩، ح١١٩)، وحسن المحقق إسناده، وخرّجه.

(٧) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣٤٣، ح١٢٠)؛ وحسن المحقق إسناده.

(٨) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣٦٠، ح١٢٧)؛ وقال: إسناده حسن لغيره، وخرّجه.

(٩) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣٧١، ح١٣٢)، وحسن المحقق إسناده، وخرّجه.

٣١ - «من قاتل في سبيل الله فُوَاقَ ناقة[١] فله الجنة»[٢].

٣٢ - «مَقَامُ أحدكم في الصف في سبيل الله أفضل من عبادة رجل ستين سنة»[٣].

٣٣ - «حرمت النار على عين بكت من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله»[٤].

٣٤ - «ما في الناس مِثْلُ رجلٍ آخذٍ برأس فرسه في سبيل الله ويَجْتَنِبُ شرور الناس، ومثل آخر بادي[٥] في غنمة يَقْرِي[٦] ضيفه ويُعْطِي حقه»[٧].

٣٥ - «من سأل الله الشهادة صادقاً من نفسه ثم مات أو قتل فإن له أجرَ شهيد»[٨].

٣٦ - «اللهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيل الله بالطعن والطاعون»[٩].

٣٧ - «ما يَجِدُ القتيل مَسَّ القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة»[١٠].

٣٨ - «إن للشهيد عند الله سَبْعَ خصال: يغفرُ له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحَلَّى حلة الإيمان، ويزوَّج من الحور العين، ويجار من فتنة القبر، ويأمنُ يوم الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، وَيُشَفَّعُ في سبعين

---

(١) فُوَاقَ ناقة: الزمان الذي بين حلبتين.

(٢) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣٧٨، ح١٣٥)، وقال المحقق: إسناده حسن لغيره، وخرّجه: وممن رواه غيره: أحمد: المسند (٢/ ٤٤٦ - ٥٢٤)، الترمذي (٤/ ١٨١، ح١٦٥).

(٣) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٣٨٩، ح١٣٩)، قال المحقق: إسناده حسن لغيره، وخرّجه.

(٤) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٤٣٣، ح١٤٤)، بإسناد حسن لغيره كما قال المحقق.

(٥) بادي: البادية.

(٦) يقري: يضيفه.

(٧) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٤٢٣، ح١٥٤)، وصحح المحقق إسناده، وخرّجه، وانظر مسلم في صحيحه (٣/ ٨٥٣، ح١٨٨٨).

(٨) ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٤٩٠، ح١٨١)، بإسناد حسن لغيره كما قال المحقق.

(٩) أحمد: المسند (٣/ ٤٣٧)، الحاكم: المستدرك (٢/ ٩٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(١٠) أحمد: المسند (٢/ ٢٩٧)، ابن أبي عاصم: الجهاد (١/ ٥٠٥، ح١٩٠)، وحسن المحقق إسناده وخرّجه.

إنساناً من أقاربه»[١].

٣٩ - «إن للجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنها وسط الجنة وأعلاها، وفوقها عرش الرحمن، ومنه - أي الفردوس - تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة»[٢].

٤٠ - «ما أحدٌ يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة». وفي رواية: «ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلّا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»[٣].

٤١ - «الذين يَتَّقُونَ القوم في الصف فلا يَلْفِتُونَ وجوههم حتى يُقْتَلُوا، أولئك يَتَلَبَّطُونَ[٤] في الغرف العلا من الجنة، يضحكُ إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه»[٥].

٤٢ - «كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُنَمَّى له عمله، ويُجْرَى عليه رزقه إلى يوم الحساب»[٦].

٤٣ - «والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلّفت عن سرية تغزو في سبيل الله. والذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم

---

(١) أحمد: المسند (٤/ ١٣١، ح١٧١٨٢)؛ سعيد بن منصور: المسند برقم (٢٥٦٢)، ابن أبي عاصم: الجهاد (٢/ ٥٣٣، ح٢٠٤)، وحسن المحقق إسناده، وذكر طرقه ومصادره وخرّجه، من٥٣٢ ـ ٥٣٨. وانظر تحقيقه في الموسوعة الحديثية (٢٨/ ٤١٩، ح١٧١٨٢).

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، ح٢٧٩٠).

(٣) البخاري: الفتح (١١/ ٢٧٤، ح٢٧٩٥، ١١/ ٢٩٦، ح٢٨١٧) واللفظ الثاني له؛ مسلم (٣/ ١٤٩٨، ح١٨٧٧)، واللفظ الأول له، ورواه غيرهما، مثل أحمد (٣/ ١٣١).

(٤) يَتَلَبَّطُونَ: يتمرغون.

(٥) أحمد: المسند (٥/ ٢٨٧)، ابن منصور: السنن (٢٥٦٦)، ابن أبي عاصم: الجهاد (٢/ ٥٦٦، ح٢٢٨)، وحسن المحقق إسناده، وخرّجه.

(٦) ابن أبي عاصم: الجهاد (٢/ ٦٨١، ح٢٩٦)، وحسن المحقق إسناده وخرّجه.

أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل»[١].

٤٤ - «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»[٢].

٤٥ - «يغفر للشهيد كل ذنب، إلا الدَّين»[٣].

٤٦ - «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[٤].

◻ المبحث الثاني: الغزوات والسرايا[٥] والأحلاف والأحداث الهامة قبل غزوة بدر الكبرى: ◻

أولاً: أهداف الغزوات والسرايا:

عندما أذن الله لنبيه والمؤمنين بالقتال، أخذوا في إعداد القوة لرد عدوان قريش، ومن على شاكلتها. فلما أرادت قريش أن تري المسلمين أن لها يداً في داخل المدينة، أراد المسلمون أن يروا قريشاً أن المسلمين ليسوا بذلك الهوان الذي تتصوره قريش، وأنهم قادرون على كسر شوكة قريش، وحصارها سياسياً واقتصادياً، ورد حقوقهم المسلوبة.

وكانت أول خطوة في هذا الميدان أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طرق قريش التجارية، شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً. واختار الرسول ﷺ لبسط هذه السيطرة خطتين متلازمتين:

الأولى: إرسال السرايا والبعوث لمهاجمة قوافل قريش التجارية.

الثانية: السعي إلى عزل قريش بالدخول في معاهدات دفاعية وعدم اعتداء مع

---

(١) البخاري: الفتح (١١/ ٢٧٦، ح٢٧٩٧).

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ٣٠٩، ح٢٨٢٩)، واللفظ له، مسلم (٣/ ١٤٩٧، ح١٨٧٦).

(٣) مسلم (٣/ ١٥٠٢، ح١٨٨٥، ١٨٨٦)، وبمعناه عنده كذلك (٣/ ١٥٢١: ح١٩١٤، ١٩١٥).

(٤) مسلم (٣/ ١٥١٧، ح١٩٠٩).

(٥) أطلق المؤرخون اسم «السرية» على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده أحد أفراد المسلمين، وأطلقوا اسم «الغزوة» على المجموعة أو الجيش الذي يقوده الرسول ﷺ بنفسه.

القبائل المحيطة بالمدينة، والتي تخترق قوافل قريش أراضيها وهي في طريقها إلى الشام، فكسب إلى جانبه في السنوات الأولى من الهجرة: بني ضَمْرَة وجُهَينة وخُزاعة وغِفار وأَسْلَم. وسيأتي ذكر هذا من خلال الكلام عن السرايا. وكسب غيرها بعدها خلال سني حياته بالمدينة كما سنرى إن شاء الله.

ولقد نجحت هذه السرايا في كل أهدافها، لا سيما إرباك قريش وحلفائها وإضعاف معنوياتهم، وضرب نشاطهم التجاري في جميع الاتجاهات، والحصول على مورد للتموين والتسليح. ونجحت في إنذار الأعداء بأن للمسلمين المقدرة على التصدي والردع. واكتسبت القوات الإسلامية مزيد خبرة في مجال التدريب العسكري، والمناورة وجس نبض الأعداء، ومعرفة دروب الصحراء وأحوال الأعداء.

ثانياً: الغزوات والسرايا والأحلاف والأحداث الهامة:

١ ـ سرية سيف البحر:

بقيادة حمزة بن عبد المطلب، في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، ليعترضوا عيراً لقريش قادمة من الشام، وفيها أبو جهل في ثلثمائة رجل. وعندما التقى الجمعان. واصطفوا للقتال، حجز بينهم مَجْدِيّ بن عمرو الجُهَني ـ وكان حليفاً للفريقين ـ فلم يقتتلوا. وكان ذلك في رمضان على رأس سبعة أشهر من هجرة النبي ﷺ[1].

ويفهم من هذا أن الرسول ﷺ كان قد عقد حلفاً مع أحد رجال فرع من فروع جُهَيْنَة في وقت مبكر من حياته بالمدينة، أي في النصف الأول من السنة الأولى الهجرية.

ومما يقوي هذا الفهم، ما رواه أحمد[2] عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جُهَيْنَة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا، فأوثق لنا حتى نأتيك ونؤمنا، فأوثق لهم، فأسلموا...».

---

(١) الواقدي (١/ ٩)، ابن سعد (٢/ ٦)، ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٨١)، وجميعهم بدون إسناد. وقال ابن سعد (٢/ ٦): «ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بدراً، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم، وهذا الثبت عندنا».

(٢) المسند (٣/ ٧٠، شاكر)، وقال شاكر: إسناده ضعيف.

وحفظت لنا المصادر التاريخية عدداً من الوثائق الخاصة بعلاقة النبي ﷺ مع فروع جهينة المختلفة. من ذلك ما ذكره ابن سعد[١] من أن الرسول ﷺ كتب لبني زُرْعة وبني الدَّبْغة من جُهَيْنة أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل، ولأهل باديتهم من بر منهم واتقى ما لحاضرتهم.

ويغلب على هذه الوثيقة الطابع السياسي، إذ ليس فيها إشارة إلى أي واجب ديني[٢].

أما الوثيقة التي كتبها لبني الحُرَقَة وبني الجُرْمُز من جهينة، وتحمل اسم عمرو بن نَعْبَد الجهني، فقد ورد فيها الإصرار على أداء الواجبات الدينية كشرط للأمان، وفيها أداء الخمس من الغنائم، وسهم النبي ﷺ، وتحريم الربا[٣] مما يدل على أنها كتبت بعد بدر، لأن فرض الخمس كان بعد بدر بمدة، عندما قويت شوكة المسلمين، وهزموا قريشاً، وتفرغوا لبسط سيادة الإسلام على الجزيرة العربية[٤]، ولأن تحريم الربا جاء متدرجاً. ففي العهد المكي نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩] وفي العهد المدني نزل تحريم الربا صراحة في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وآخر ما ختم به التشريع قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩][٥].

وكتب الرسول ﷺ لمَوْسَجة بن خَرْمَلَة الجهني ولبني شَنْخ من جهينة كتابي إقطاع وتمكين على مناطق سماها لهم، ولم تتطرق الوثيقتان إلى أمر آخر غير الإقطاع[٦].

---

(١) الطبقات (١/ ٢٧٠)، بدون إسناد.

(٢) انظر: دبلوماسية محمد، ص٤٣.

(٣) الطبقات (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) بدون إسناد.

(٤) دبلوماسية محمد ﷺ، ص٤٣ ـ ٤٤.

(٥) انظر: سيد سابق: فقه السنة (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٦) الطبقات (١/ ٢٧٠).

٢ ـ سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار[١]:

روى الواقدي[٢] بسنده إلى سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار، فإن عيراً لقريش ستمر به»، فخرجت في عشرين رجلاً أو أحد وعشرين[٣] على أقدامنا، نكمن النهار ونسير الليل حتى صبّحناها صبح خمس، فنجد العير قد مرت بالأمس. وقد كان النبي ﷺ عهد إلي ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم.

وعند ابن سعد[٤] أن الذي كان يحمل اللواء هو المقداد بن عمرو. وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة[٥].

٣ - غزوة الأبواء (ودّان):

غزاها رسول الله ﷺ في صفر على رأس أحد عشر شهراً من الهجرة، كما عند الواقدي، وفي صفر على رأس اثني عشر شهراً، كما عند ابن سعد، يريد الاعتراض على عير لقريش ويريد بني ضمرة. فسار حتى بلغ الأبواء من ديار بني ضمرة، فلم يلق حرباً، وكانت فرصة لموادعة بني ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحداً. وكتب في ذلك كتاباً لزعيمهم مَخْشِيّ بن عمرو الضمري[٦]. وكانت أول غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه[٧].

وقال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٤٢): «وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة، ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء بعث

---

(١) من الجحفة وقريب من خم كما قال الواقدي (١/ ١١).

(٢) المغازي (١/ ١١)، بإسناد متصل ورجاله ثقات، ما عدا الواقدي، فهو متروك في الحديث.

(٣) عند ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٨٧) أن عدتهم ثمانية، دون إسناد، فهو ضعيف.

(٤) الطبقات (٢/ ٧)، دون إسناد، فهو ضعيف.

(٥) الطبقات (٢/ ٧)، والواقدي (١/ ١١)، فهو ضعيف جداً.

(٦) انظر الكتاب عند ابن سعد (١/ ٢٧٥).

(٧) ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٧٥)، الواقدي (١/ ١١ ـ ١٢)، ابن سعد (٢/ ٨)، موسى بن عقبة كما في الفتح (١٥/ ١٤١)، وجميعهم بدون إسناد، ولم يذكروا عدد من خرج فيها مع النبي ﷺ، ويروى ذلك الطبراني كما في المجمع (٦/ ٨٦) والفتح (١٥/ ١٤١) من طريق كثير بن عبد الله، والحديث حسن إذا تابعنا البخاري في تحسين حديث مروي عن كثير في غير الصحيح وتوثيق الترمذي له.. انظر ما سبق في صحيفة المدينة.

عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً فلقوا جمعاً من قريش فتراموا بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله».

٤ ـ سرية عُبَيْدَة بن الحارث إلى رابغ:

عقد له رسول الله ﷺ لواء في ستين رجلاً من المهاجرين فسار حتى لقي جمعاً عظيماً من قريش، عليهم أبو سفيان أو عكرمة، على ماء بالحجاز، فتناوشوا، ورمى سعد يومئذ بسهم؛ فكان أول سهم رمي به في الإسلام، ثم انصرفوا. وفر من المشركين إلى المسلمين، المِقْدَاد بن عمرو وعُتْبَة بن غَزْوَان بن جابر المازني، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصَّلا بالكفار[1]. وكان هذا من أكبر مكاسب المسلمين من هذه السرية.

وقد اختلف في تاريخ هذه السرية. فعند الواقدي[2] وابن سعد[3]، أنها كانت في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، ولا إشكال هنا في أن يكون المقداد بن عمرو حامل لواء سرية الخرار، لأنها كانت في الشهر التاسع الهجري، ويفهم من رواية ابن إسحاق[4] أنها في ربيع الأول. وبعد غزوة الأبواء، ولم يذكر رقم الشهر من تاريخ الهجرة. وعند أبي الأسود وابن عائذ أنها بعد غزوة الأبواء وقبل أن يعود الرسول ﷺ منها إلى المدينة. وفي ذلك قال ابن حجر[5]: «وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً، فلقوا جمعاً من قريش فتراموا بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله».

وإذا صح هذا الإسناد[6]، فالراجح ما قاله أبو الأسود وابن عائذ، ويبقى إشكال

---

(١) الطبقات (٢/ ٧)، والواقدي (١/ ١٠) ابن إسحاق، ابن هشام (٢/ ٢٧٦) وجميعهم من دون إسناد. ومعلوم أن الخبر غير المسند من أقسام الضعيف.

(٢) المغازي (١/ ١٠).

(٣) الطبقات (٢/ ٧).

(٤) ابن هشام (٢/ ٢٧٦).

(٥) الفتح (١٥/ ١٤٢).

(٦) الحكم النهائي على إسناد أبي الأسود وابن عائذ يكون بعد الوقوف على كامل إسنادهما، وهو ما لم يتحقق لنا حتى الآن.

حمل المقداد لواء المسلمين يوم الخرار، فيحمل على أن ذلك كان في غير هذه السرية، أو أنه وهم من ابن سعد[١].

٥ - غزوة بواط من ناحية رضوى:

خرج الرسول ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط، وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوى، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حرباً. وكان ذلك في ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة[٢].

٦ - غزوة سفوان (بدر الأولى - بدر الصغرى):

عندما أغار كُرْزُ بن جابر الفهري على سرح المدينة في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان، من ناحية بدر، فلم يدركه، فعاد إلى المدينة[٣]. وعند ابن إسحاق[٤] أنها بعد غزوة ذي العُشَيْرَة.

٧ - غزوة العُشَيْرة:

خرج الرسول ﷺ في خمسين ومائة - ويقال في مائتين - من أصحابه، يعترض قافلة كبيرة لقريش في طريقها إلى الشام، وبلغ العشيرة وهي لبني مدلج، بناحية ينبع. ففاتته العير. وهي التي خرج يريدها حين عادت، ولكنها أيضاً أفلتت، وكان لقاء بدر الكبرى بسببها.

ووادع في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلق حرباً.

وكان ذلك في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة[٥].

---

(١) انظر: سرية سعد إلى الخرار.

(٢) ابن سعد (٢/ ٩٠٨)، وابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٨٤) الواقدي (١/ ١٢)، وجميعهم من دون إسناد.

(٣) ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٨٨)، ابن سعد (٢/ ٩)، الواقدي (١/ ١٢)، وجميعهم بدون إسناد.

(٤) ابن هشام (٢/ ٢٨٨).

(٥) انظرها عند: ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥)، ابن سعد (٢/ ٩ ـ ١٠)، الواقدي (١/ ١٢ ـ ١٣)، وجميعهم من دون إسناد. وعند الواقدي وابن سعد: «ذو المشيرة» وما في الصحيح أصح.

وقد ثبت في الصحيح وقوع هذه الغزوة، ولكن بدون ذكر لأي تفاصيل عنها[١].

وتفيدنا المصادر أن الرسول ﷺ عقد معاهدات دفاع مشترك وأمان مع غير من ذكرنا: في وقت مبكر من حياته بالمدينة، ولم يرتبط وقوع ذلك بخروج المسلمين في غزوة أو سرية معينة. مثال ذلك:

كتاب الرسول ﷺ إلى بُدَيْل بن ورقاء وبُسْر ومَرْوَان بني عمرو الخزاعيين، يفيدهم فيه أنه لم يخنهم منذ أن سالمهم، وأكد لهم الأمان من جانبه[٢].

وكتاب الرسول ﷺ إلى أسلم من خزاعة، وفيه الإقرار بالمناصرة[٣].

وكتاب الرسول ﷺ إلى بني غفار، وفيه اتفاقية دفاع مشترك ضد من يحاربهم أو يحارب المسلمين في دينهم[٤].

وكتاب النبي ﷺ إلى نُعَيْم بن مسعود بن رُخَيْلَة الأشجعي، وفيه المحالفة، على النصر والنصيحة[٥].

٨ - سرية نخلة:

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة ومعه ثمانية رهط [أي دون العشرة] من المهاجرين. وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وذلك إمعاناً في السرية، وحتى لا يعلم أحد إلى أين الاتجاه.

وفعل ما أمر به. وعندما فض الكتاب وجد فيه الأمر بأن يمضي حتى ينزل نخلة، بين مكة والطائف[٦]، ليرصد بها قريشاً ويعلم له من أخبارهم، وألا يستكره أحداً من أصحابه. وعندما أخبر أصحابه بأمر الرسول ﷺ مضوا معه جميعاً إلى وجهته.

---

(١) انظر: البخاري الفتح (١٥/ ١٤١ ـ ١٤٤، ح٣٩٤٩)، باب غزوة العشيرة.

(٢) انظر: أسد الغابة: لابن الأثير (١/ ١٧٠)، وابن سعد (١/ ٢٧٢).

(٣) انظره في: ابن سعد (١/ ٢٧١).

(٤) ابن سعد: الطبقات (١/ ٢٧٤).

(٥) انظره في: الطبقات (١/ ٢٧٤).

(٦) وهذا دليل على أن خطة المسلمين في ملاحقة قوافل قريش لم تكن خاصة بالمنطقة الشمالية من الحجاز، بل تعدى ذلك إلى المنطقة الجنوبية، طريق قوافل قريش إلى اليمن.

وعندما نزلوا نخلة، مرت عير لقريش فيها ابن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نَوْفَل والحَكَم بن كَيْسَان مولى هشام بن المغيرة.

وتشاور الصحابة في أمر الاستيلاء على هذه العير، لأن ذلك كان في آخر يوم من رجب، وهو شهر حرام، فخشوا أن يترتب على هذا القرار نتائج غير مرضية. وعندما وجدوا أنهم لو تركوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن به منهم، تشجعوا وأجمعوا أمرهم على قتل من يقدرون عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل. وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

وقال لهم الرسول ﷺ إنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام، وأبى أن يأخذ العير والأسيرين. وظن القوم أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما فعلوا.

وقالت قريش: إن محمداً وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال.

فلما أكثر الناس في ذلك، أنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٧-٢١٨].

وبها فرج الله على المسلمين ما كانوا فيه من الهم، وقبض الرسول ﷺ العير والأسيرين.

وعندما أرسلت قريش في فداء الأسيرين، اشترط الرسول ﷺ أن يكون ذلك بعد مجيء سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان، خشية منه عليهما من قريش. وكانا قد تخلفا عن القوم قبل وصولهم نخلة، بحثاً عن بعيرهم الذي أضلاه[1].

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٦/٦٦، ٦٧): إن الطبراني رواها بإسناد واحد وهو إسناد حسن.

أحكام وعبر في قصة سرية نخلة:

١ - لقد بينت هاتان الآيتان اللتان نزلتا في التعليق على ما حدث في هذه السرية أن الذي فعله المشركون بالمسلمين من صد عن سبيل الله وكفر به، وصد عن المسجد الحرام وإخراج المسلمين من بلدهم وسلب أموالهم وفتنتهم عن دينهم، بينت الآية أن كل هذا أكبر عند الله مما فعله المسلمون، أي القتال في الشهر الحرام.

فإذا كان المشركون يرتكبون هذه الجرائم الكبرى كلها في حق المسلمين فلا تثريب على المسلمين من قتالهم في الشهر الحرام، وإنما التثريب أن لا يقاتل في الشهر الحرام من يرتكب تلك الجرائم، إذا دعت الضرورة.

وفي هذا التعليق بيان لسياسة الإسلام في تقدير القيم الدينية والخلقية وسموه بالمعاني الروحية والإنسانية، وعدم إغفاله للبواعث النبيلة التي دعت رجال السرية للقتال في الشهر الحرام، دون الوقوف عند الظواهر والرسوم، وما التزمه الناس من تقاليد كريمة مشروعة أو موروثة.

٢ - وبينت الآية أن بعض الناس يقدس ويشيد بالقوانين عندما تكون في مصلحته. فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقصها، هدم القوانين والدساتير جميعاً.

٣ - وبينت الآية أن لا هوادة مع المشركين المعتدين، مما كان له أثره البعيد لدى المسلمين وأعدائهم.

٤ - إن استخدام الرسول ﷺ أسلوب الرسائل السرية، دل على مشروعية الأخذ بالأسباب، ودل على سبق الإسلام في استخدام هذا الأسلوب، الذي لم يعرفه الغرب إلا في الحرب العالمية الثانية.

٥ - لقد كانت سرية نخلة أول عملية توغل قريباً من مكة، مركز العدو. ولذا فهي عملية فدائية، قامت على الطواعية، إذ لم يكره عبد الله أحداً من أفراد السرية على المضي في الخطة المرسومة في رسالة النبي ﷺ السرية[1].

---

(١) لمزيد من الأضواء على أحكام وعبر هذه السرية، انظر: أبي شهبة: السيرة النبوية، (٢/ ١٢١ - ١٢٢) الغزالي: فقه السيرة، ص٢٣١ - ٢٣٢؛ الشامي: من معين السيرة، ص١٨٤.

٩ - تحويل القبلة:

قال الجمهور: إنه في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة أمر الله ﷻ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام[١]، بعد أن صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً[٢]. وكان ﷺ يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة، قبلة إبراهيم، وكان يكثر الدعاء والتضرع، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ [البقرة: ١٤٤] فكان أول صلاة صلاها إلى المسجد الحرام صلاة العصر[٣]، وبلغ الخبر أهل قباء في اليوم التالي وهم يصلون الصبح، فتحولوا إلى المسجد الحرام[٤].

١٠ - فريضة صيام رمضان:

قال الطبري[٥] في حوادث السنة الثانية الهجرية: «... وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل: إنه فرض في شعبان منها...».

وثبت في الصحيحين[٦]، أن الرسول ﷺ عندما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فصامه، وأمر بصيامه، فلما نزل الأمر بصيام شهر رمضان، كان رمضان الفريضة، وخير الناس في صيام عاشوراء.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٧٦).

(٢) روى ذلك البخاري: الفتح (١٧/ ٢٣، ح٤٤٨٦)، ومسلم (١/ ٣٧٤، ح٥٢٥).

(٣) البخاري: الفتح (١٧/ ٢٣، ح٤٤٨٦).

(٤) المصدر نفسه (١٧/ ٢٥، ح٢٧٨)، ومسلم (١/ ٣٧٤ - ٣٧٥، ح٥٢٦).

(٥) التاريخ (٢/ ٤١٧).

(٦) البخاري: الفتح (١٧/ ٣١، ح٤٥٠٣ت، ٤٥٠٤)، مسلم (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٥، ح١١٢٥ - ١١٢٩).

الفصل الخامس

غزوة بدر الكبرى

عندما سمع الرسول ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام في تجارة لقريش، ندب المسلمين إليه، وقال لهم: «هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله يَنفِلُكُمُوها»[١].

وفي رواية عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إني أخبرت[٢] عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قِبَلَ هذه العير، لعل الله يَغْنَمُنَاها؟ قلنا: نعم. فخرج وخرجنا معه»[٣].

ولم يستنفر الرسول ﷺ كل الناس: بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره [راحلته] حاضراً، ولم يأذن لمن أراد أن يأتي بظهره من علو المدينة[٤]، ولذا لم يعاتب أحداً تخلف عنها[٥]. وكان عددهم ما بين الـ٣١٣ والـ٣١٩ رجلاً[٦]، منهم ما

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ١٢٩٥)، ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن حديث بدر كله عند ابن إسحاق بهذا الإسناد، وإن كان لا يكرر الإسناد في كل مرة أو في كل فقرة. والخبر بهذا المعنى عند الطبري في التفسير (١٣/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) بإسناد مرسل حسن، لأن رجاله ثقات وموقوف على عروة، وهو تابعي.

(٢) أخبره بذلك بُسَيْسة الذي أرسله عيناً له لهذا الغرض: كما روى مسلم (٣/ ١٥١٠، ح١٩٠١). وقال محمد فؤاد عبد الباقي في الحاشية: (بسيسة) قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ، قال: «والمعروف في كتب السيرة: بَسْبَس، وهو بَسْبَسُ بن عمرو، ويقال: ابن بِشْر من الأنصار، الخزرج، ويقال: حليف لهم. قلت ـ أي الإمام النووي ـ: يجوز أن يكون أحد اللفظين اسماً له، والآخر لقباً، انتهى. ولا يستبعد وجود تصحيف في الاسم فيما أرى. انظر ترجمته في: الإصابة (١/ ١٤٧)، وابن سعد (٢/ ٢٤)، بإسناد صحيح مرسل.

(٣) رواه الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٣ ـ ٧٤)، وقال: «رواه الطبري، وإسناده حسن».

(٤) مسلم (٣/ ١٥١٠، ح١٩٠١).

(٥) انظر: حديث كعب بن مالك في: البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤١، ح٤٤١٨).

(٦) عند البخاري في الفتح (١٥/ ١٥٥ ـ ١٥٧، ح٣٩٥٦ ـ ٣٩٥٩) بضعة عشر وثلاثمائة: =

بين الـ٨٢ والـ٨٦ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج[١]، معهم سبعون بعيراً، [فاعتقبوها أي تعاقبوا على ركوبها، وفرسان فقط][٢].

وكان أبو لُبَابَة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ، فعندما جاء دوره في المشي، قالا له: «نحن نمشي عنك». فقال لهما: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[٣].

وفي الطريق، وعندما بلغوا الرَّوحاء، رد الرسول ﷺ أبا لبابة وَأَمَّرَهُ على المدينة، وسبق ذلك أن جعل عبد الله بن أم مكتوم على الصلاة[٤]، وأصبح مكانه في زمالة الرسول ﷺ على البعير، مَرْثَد[٥] بن أبي مرثد. ولذلك فلا خلاف بين رواية ابن إسحاق ورواية أحمد.

وعندما علم أبو سفيان بالخطر المُحْدِق بقافلته، أرسل ضَمْضَمَ بن عمرو الغِفَارِيّ إلى مكة يستنجد بقريش.

= الأنصار نيف وأربعين ومائتين والمهاجرون نيفاً على ستين، وعند مسلم (١٢/ ٨٤، النووي) أنهم كانوا ثلثمائة وتسعة عشر رجلاً والمشركون ألف. وعند النسائي في السنن (٢/ ٧) أنهم كانوا (٣١٤) وفي إسناده يحيى بن عبد الله، صدوق يهم، فيكتب حديثه للاعتبار، والقطع بما في رواية مسلم في تفسير البضع بتسعة عشر هو الأولى كما قاله باوزير (ص٣٦٤).

(١) وهو طرف من الحديث الحسن الذي رواه ابن إسحاق في ندب الرسول ﷺ المسلمين لملاقاة عير قريش، ابن هشام (٢/ ٢٩٥)، وعند البخاري: الفتح (١٥/ ١٥٥، ح٣٩٥٦): كان المهاجرون نيفاً على ستين والأنصار نَيِّفَ وأربعين ومائتين. وانظر كلام ابن حجر عن الروايات المختلفة عن عدد المهاجرين والأنصار في بدر ـ الفتح (١٥/ ١٥٥ ـ ١٩٧).

(٢) انظر: الحديث في المسند (٦/ ٣، شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح»، وهو من حديث بدر بإسناد حسن عند ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣)، وفي رواية أحمد أن الثلاثة تعاقبوا على بعير واحد، والمذكور هنا بمعنى حديث ابن إسحاق. قلت: لعل متن ابن إسحاق أقرب إلى المنطق الحسابي؛ فقد ذكر أمثلة فقط على الذين يتعاقبون على البعير الواحد، فذكر مرتين ثلاثة ومرة أربعة، ولو استقصى لذكر خمسة، لأن المنطق الحسابي يقول إن السبعين بعير تكفي لأن يتعاقب عليها الأربعة أو الخمسة أو الثلاثة والأربعة والخمسة وليس الثلاثة فقط كما في رواية أحمد وغيره.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر: المستدرك (٣/ ٦٣٢)، من حديث سكت عنه الذهبي وفيه ابن لهيعة، وهو صدوق كما في التقريب (١/ ٤٤٤)، وابن هشام (٢/ ٣٠٢)، في زيادات على السيرة، بدون إسناد.

(٥) انظر: ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٣٠٣)، من حديث بدر بإسناد حسن.

وجاء ضَمْضَمٌ مسرعاً إلى مكة، وعندما دخلها وقف على بعيره، وقد جدع أنفه، وحول رحله وشق قميصه، وهو يصيح: «يا معشر قريش، اللَّطِيمَة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغَوْثَ، الغَوْثَ»[1].

وخرجت قريش مسرعة لإنقاذ عيرها ورجالها، ولتلتقي بالمسلمين في حرب تراها قاضية على قوة المسلمين التي ظلت تهدد تجارتهم. ولم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب، فإنه أرسل مكانه العاص بن هشام، مقابل دين كان عليه، مقداره أربعة آلاف درهم[2]. ولم يتخلف من بطون قريش سوى بني عدي[3].

وبلغ عددهم في بداية مسيرهم نحو ألف وثلثمائة محارب، معهم مائة فرس وستمئة درع وجمال كثيرة، بقيادة أبي جهل[4].

وعندما خشوا أن تغدر بهم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة لعداوتها معهم، كادوا أن يرجعوا عما أرادوا[5]، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، سيد بني كنانة، وقال لهم: «أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة [يعني بني بكر] من خلفكم بشيء تكرهونه[6]. فخرجوا من ديارهم كما حكى عنهم القرآن: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧][7].

رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بخبر أبي سفيان بثلاث ليال، فقالت: رأيت رجلاً أقبل على بعير له فوقف بالأبطح، فقال: انفروا يا آل غُدَر لِمَصَارِعِكُم في ثلاث، فذكرت المنام وفيه: ثم أخذ صخرة

---

(١) انظر: ابن إسحاق في قصة بدر، بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٢٩٨). واللطيمة: الإبل التي تحمل البر والطيب.

(٢) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر: ابن هشام (٢/ ٢٩٨) بإسناد حسن.

(٣) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر، ابن هشام (٢/ ٣١١) بإسناد حسن.

(٤) ابن كثير في البداية (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) من حديث الأموي بإسناد مرسل، وفيه أنه كان مع المشركين ستون فرساً.

(٥) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل، لأنه عن عروة: ابن هشام (٢/ ٣١١).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) وقد وردت الآية في حديث رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٧٨، شاكر)، بإسناد موقوف على هشام بن عروة، وقال شاكر: «وهو إسناد صحيح».

فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى ترضضت فما بقيت دار ولا بيت إلا ودخل فيها بعضها. وفي القصة إنكار العباس على أبي جهل قوله: «حتى حدثت فيكم هذه النَّبِيَّة»، وإرادة العباس أن يشانمه، واشتغال أبي جهل عنه بمجيء ضمضم يستنفر قريشاً لصد المسلمين عن غيرهم، فتجهزوا وخرجوا إلى بدر، فصدق الله رؤيا عاتكة[1].

لقد كان أبو سفيان متيقظاً للخطر المتكرر من جانب المسلمين. ولذا عندما اقترب من بدر لقي مجدي بن عمرو وسأله عن جيش الرسول ﷺ، فأفاده مجدي بأنه رأى راكبين أناخا إلى تل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، فبادر أبو سفيان إلى مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففته، فعرف منه أنه من علائف المدينة، فأسرع تاركاً الطريق الرئيس الذي يمر على يسار بدر، واتجه إلى طريق الساحل غرباً، ونجا من الخطر. ثم أرسل رسالة أخرى إلى جيش قريش، وهم بالجحفة، يخبرهم فيها بنجاته، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة[2].

وهمَّ جيش مكة بالرجوع، ولكن أبا جهل رفض ذلك، قائلاً: «والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً. فامضوا»[3].

---

(١) روى حديث رؤيا عاتكة بتمامه ابن إسحاق بإسنادين، الأول منقطع لجهالة من حدث ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٩٦)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩ ـ ٢٠)، فانتفت الجهالة، حيث صرح باسم من حدث ابن إسحاق وهو حسين بن عبد الله، وقد ضعفه الذهبي في التلخيص، والثاني مرسل، ابن هشام (٢/ ٣٩٦ ـ ٢٩٨)، البيهقي: الدلائل (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٥)، بإسناد مرسل، الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن، كما في المجمع (٦/ ٦٩ ـ ٧٠)، ابن مندة كما في الإصابة (٤/ ٣٥٧) بإسناد ضعفه باوزير: مرويات غزوة بدر، ص١٢٦، والخلاصة أن الضعف الذي في سند الحاكم وابن إسحاق يتقوى بكثرة الروايات المذكورة الأخرى، فيرتفع الحديث إلى درجة الحسن لغيره، كما ذكر باوزير: مرويات غزوة بدر (ص١٢٨ ـ حاشية).

(٢) رواه ابن إسحاق من حديث قصة بدر: ابن هشام (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٧٩، شاكر) بإسناد حسن، والخبر أصلاً من رواية ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٣١٠) بالإسناد الذي ذكره الطبري ويلحظ هنا أن الطبري جعل تل قصة بدر عند ابن إسحاق بهذا الإسناد، وإن لم يذكر ابن إسحاق الإسناد في تل فقرة، بل يعلقه، وأنا أميل مع الطبري إلى هذا، وقد ذكرت ذلك من قبل.

فأطاعه القوم ما عدا الأخنس بن شَرِيق، حيث رجع بقومه بني زهرة، وطالب بن أبي طالب، لأن قريشاً في حوارها معه، اتهمت بني هاشم بأن هواهم مع محمد ﷺ. وساروا حتى نزلوا قريباً من بدر، وراء كثيب يقع بالعدوة القصوى، على حدود وادي بدر[١].

وبلغ خبر ذلك الرسول ﷺ، فاستشار أصحابه[٢]. وخشي فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حرباً كبيرة، ولم يستعدوا لها بكامل عدتهم وعتادهم، فجادلوا الرسول ﷺ ليقنعوه بوجهة نظرهم. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [الأنفال: ٥-٧][٣].

وتكلم قادة المهاجرين، وأيدوا الرأي القائل بالسير لملاقاة العدو، منهم أبو بكر وعمر والمقداد بن عمرو. ومما قاله المقداد: «يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه»[٤]. وفي رواية قال: «لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك»، وسر النبي ﷺ من قوله[٥]. بل سر الصحابة كلهم، بدليل قول ابن مسعود: «شهدت مع المقداد بن الأسود مشهداً لأن

---

(١) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر: ابن هشام (٢/ ٣١١ ـ ٣١٢)، وكان بنو زهرة يومئذٍ مئة رجل، وقال بعضهم: بل كانوا نحواً من ثلاث مئة رجل... من رواية ابن سعد (٢/ ١٤) بدون إسناد.

(٢) الفتح (١٥/ ١٥١ ـ ١٥٢، ح٣٩٥٢)، ومسلم (٣/ ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤، ح١٧٧٩).

(٣) والطائفتان، إحداهما عير أبي سفيان والأخرى جيش قريش، انظر: سبب نزول الآية في روايات عند الطبري في التفسير (١٣/ ٤٠٤) بإسناد مرسل عن قتادة، و(١٣/ ٤٠٣) بإسناد منقطع و(١٣/ ٤٠٤) بإسناد مرسل عن ابن جريج، و(١٣/ ٤٠٥) بإسناد حسن كما ذكر الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٣ ـ ٧٤).

(٤) رواه ابن إسحاق من حديث بدر: ابن هشام (٢/ ٣٠٥).

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ١٥١ ـ ٢٥٢، ح٣٩٥٢)، والمسند (٥/ ٢٥٩، شاكر) وقال: «أسانيده صحاح».

أكون صاحبه أحبُّ إليَّ مما عُدِل به [البخاري (٣٩٥٢)].

وبعد سماعه كلام قادة المهاجرين، قال: «أشيروا علي أيها الناس»، وكان بذلك يريد أن يسمع رأي قادة الأنصار، لأنهم غالبية جنده، ولأن نصوص بيعة العقبة الكبرى لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة[١]، وأدرك سعد بن معاذ - حامل لواء الأنصار - مراد الرسول ﷺ: فنهض قائلاً: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: فقد آمنا بك فصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله»[٢].

فسُر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشَّطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[٣].

ورد الرسول ﷺ عمير بن أبي وقاص لصغر سنه (١٦ سنة)، فبكى، فأجازه

---

(١) انظر: النووي، مسلم (١٢/ ١٢٤/ك. الجهاد والسير/ب. غزوة بدر).

(٢) رواه ابن إسحاق من حديث بدر... وقد ورد في رواية مسلم (٣/ ١٤٠٤، ح١٧٧٩) أن المتكلم نيابة عن الأنصار: سعد بن عبادة، وهو لم يشهد بدراً ولكن أسهم له، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من مرسل عكرمة كما قال الحافظ في الفتح (١٥/ ١٥١ ـ ١٥٢)، وقال: «ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين، الأولى وهو بالمدينة، والثانية بعد الخروج...»، وذكر أنه وقع عند الطبراني أن سعداً بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب، كما قال. وانظر: مناقشة الإشكال عند مرجون في السيرة (٣/ ٣٠٨)، وابن كثير في البداية (٣/ ٣٥١). وفي الرواية أن الرسول ﷺ رد سعد بن عبادة ليثوب عنه على المدينة أو لأن عقربًا لدغته.

(٣) روى ابن إسحاق خبر هذه المشاورة معلقة، ابن هشام (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦)، قال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨): «وله شواهد من وجوه كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه.. والنسائي... وأحمد...»، قلت: انظر في أخبار الإشارة إلى هذه الاستشارة يوم بدر: البخاري: الفتح (١٥/ ١٥٠ ـ ١٥١، ح٣٩٥٢)، ومسلم (٣/ ١٤٣ ـ ١١٠٤، ح١٧٧٩).

فاستشهد يوم بدر[١].

وفي الطريق وعند حَرَّة الوَبَرة[٢] [أو الوَبْرة والوَبَرَة] أدركه رجل من المشركين، قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، أراد أن يحارب معه، فقال له الرسول ﷺ: «ارجع فلن أستعين بمشرك»، ثم عرض له مرة ثانية بالشجرة، ومرة ثالثة بالبَيْدَاء، والرسول ﷺ يقول له ما قاله أول مرة، وأخيراً أقر بالإسلام، فقبله الرسول ﷺ[٣].

وعندما وصل قريباً من الصَّفْرَاء، [واد وقرية بين المدينة وبدر. تعرف القرية اليوم بـ«الواسطة»، على بعد ٥١ كيلا من المدينة، طريق بدر]. بعث بسبس بن الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره[٤].

ويروى أنه خرج هو وأبو بكر لهذا الغرض، ولقيا شيخاً فسألاه عن جيش قريش، فاشترط عليهما أن يخبراه ممن هما، فوافقا، وطلبا منه أن يخبرهما هو أولاً، فأخبرهما بأنه قد بلغه أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبره فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به جيش المسلمين - وإن صدق الذي أخبره بجيش قريش فهم اليوم بمكان كذا - للمكان الذي به جيش قريش.

ولما فرغ من كلامه قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرفا عنه، وتركاه يقول: من ماء؟ أمن ماء العراق؟[٥].

وفي مساء ذلك اليوم أرسل علياً والزبير وسعداً بن أبي وقاص في نفر من أصحابه لجمع المعلومات عن العدو، فوجدوا على ماء بدر غلامين يستقيان لجيش مكة، فأتوا بهما إلى الرسول ﷺ وهو يصلي، وأخذوا في استجوابهما. فأفادا أنهما سقاة جيش قريش، فلم يصدقوهما، وكرهوا هذا الجواب، ظناً منهم أنهما لأبي

---

(١) ذكر قصته الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٩٨، ٦/ ٦٩)، وعزاها للطبراني والبزار، وقال: إن رجال الطبراني رجال الصحيح، وإن رواة البزار ثقات، انظر: الإصابة (٣/ ١٣٥)، نضرة النعيم (٧/ ٢٩٩٧، ح٦).

(٢) موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة. والحرة: أرض ذات حجارة سوداء نَخِرَة، كأنها أحرقت بالنار.

(٣) انظر: القصة في مسلم (٣/ ١٤٤٩ - ١٤٥٠، ح١٨١٧).

(٤) ذكره ابن إسحاق، بدون إسناد، ولعله جزء من حديث بدر الصحيح: ابن هشام (٢/ ٢٠٤).

(٥) رواها ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣٠٦ - ٣٠٧) لأنها من رواية محمد بن يحيى بن حبان. قال عنه في التقريب، ص٥١٢: «ثقة فقيه، من الرابعة، مات سنة إحدى وعشرين...».

سفيان، إذ لا يزال الأمل يحدوهم في الحصول على العير. وضربوهما حتى قالا إنهما لأبي سفيان.

وعندما فرغ الرسول ﷺ من صلاته عاتب أصحابه لأنهم يضربونهما إذا صدقا، ويتركونهما إذا كذبا. ثم سألهما الرسول ﷺ عن مكان الجيش المكي، فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

وعندما سألهما عن عدد جيش مكة وعدته لم يستطيعا تحديد ذلك، ولكنهما حددا عدد الجزور التي تنحر يومياً بأنها ما بين التسعة والعشرة، فاستنتج الرسول ﷺ بأنهم بين التسعمائة والألف، وذكرا له من بالجيش من أشراف مكة[1]، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»[2]. وأشار إلى مكان مصارع جماعة من زعماء قريش، فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[3].

وأنزل الله تعالى في هذه الليلة مطراً طهر به المؤمنين وثبت به الأرض تحت أقدامهم، وجعله وبالاً شديداً على المشركين[4]. وفي هذا قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١][5][6].

ومن نعمه على المسلمين يوم بدر أيضاً أن غشيهم النُّعاسُ آمنة منه، كما في صدر آية نعمة إنزال المطر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [الأنفال: ١١][7] الآية.

وروى في ذلك أحمد بسنده[8] إلى أنس بن مالك: أن أبا طلحة قال: غشينا

---

(١) انظر: القصة عند مسلم (٣/ ١٤٠٤، ح١٧٧٩) وفيه أن ممن أخذوه غلام أسود لبني الحجاج، وعند أحمد في المسند (٢/ ١٩٣، شاكر) وصحح شاكر إسناده.

(٢) ورد هذا الحديث في رواية ابن إسحاق. وكذا عدد الجزور التي تنحر لهم.

(٣) جاء هذا في حديث مسلم في غزوة بدر.

(٤) انظر: خبر هذا المطر عند أحمد (٢/ ١٩٣، شاكر) وقد سبق الكلام عليه، وعند ابن إسحاق، ابن هشام (٢/ ٣١٢)، بدون إسناد.

(٥) انظر: تفسيرها في المصادر المذكورة.

(٦) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ٢٩٢)، والتفسير له (٣/ ٥٦٤ ـ ٥٦٤).

(٧) من حديث طويل في المسند (٢/ ١٩٣، شاكر) وقد سبق الكلام عليه.

(٨) انظر عن سبب نزول الآية عند ابن كثير في الأماكن المذكورة آنفاً.

النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر، فكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه.

وزاد الله المؤمنين فضلاً بأن أوقع الخلاف في صفوف عدوهم. فقد روى أحمد[١] أن عُتْبَة بن ربيعة أخذ يثني قومه عن القتال محذراً من مغبته؛ لأنه علم أن المسلمين سوف يستميتون[٢]، فاتهمه أبو جهل بالخوف. وروى البزار[٣] أن عتبة قال لقومه يومذاك: إن الأقارب سوف تقتل بعضهم بعضاً، مما يورث في القلوب مرارة لن تزول. فاتهمه أبو جهل بالخوف، وليريه شجاعته، دعا أخاه وابنه وخرج بينهما داعياً إلى المبارزة.

وكان الرسول ﷺ قد رأى عتبة على جمل أحمر، فقال: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يَرْشُدُوا»[٤]. وشاء الله أن يعصوه، وضاع رأيه وسط إثارة أبي جهل الثارات القديمة.

سبق الرسول ﷺ المشركين إلى ماء بدر، ليحول بينهم وبين الماء. وهنا أبدى الحُبَابُ بن المُنْذِر رأيه قائلاً: «يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟»، قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال الحباب: «يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي

---

(١) الفتح الرباني (٢١/ ٤٣).

(٢) علم ذلك من عمرو بن وهب الجمحي الذي أرسلته قريش ليعرف خبر المسلمين فعاد إليهم قائلاً: «قد رأيت يا معشر الناس البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم».
وكان هذا من أسباب موقف عتبة والحوار الذي دار في معسكر المشركين، روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن، كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥)، وجهالة الأشياخ لا تضر لأنهم من الصحابة.

(٣) كما في المجمع (٦/ ٧٦)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وممن روى قصة هذا الخلاف: الطبري في تاريخه (٢/ ٤٣٣) وهو من مراسيل ابن المسيب، و(٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦)، بإسناد حسن، وابن إسحاق كما عند ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) مطولاً بإسناد صححه الدكتور باوزير في كتابه «مرويات غزوة بدر»، ص١٥٥.

(٤) من حديث أحمد في المسند (٢/ ١٩٣، شاكر)، وقد سبق الكلام عليه.

أدنى ماء من القوم - قريش - فننزله ونغوّر - نخرب - ما وراءه من القُلَب - الآبار - ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». وفعل ما أشار به الحباب بن المنذر رضي الله عنه[1].

وعندما استقروا في المكان، قال سعد بن معاذ مقترحاً: «يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً[2] تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك»، فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح[3].

---

(١) روى هذه الاستشارة ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣١٢ - ٣١٣)، وبإسناد مرسل موقوف على عروة كما في الإصابة (١/ ٣٠٢)، والحاكم (٣/ ٤٤٦ - ٤٤٧)، وأنكرها الذهبي، والأموي كما عند ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٣)، بإسناد منقطع، وابن شاهين كما في الإصابة (١/ ٣٠٢)، بإسناد ضعيف، وابن سعد (٢/ ١٥)، وروايته عند ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٣) وفيها الكلبي وهو متروك... وهكذا فكل أسانيدها ضعيفة، ولكنها قد تقوى وترتفع إلى درجة الحسن لغيره، كما قال باوزير: مرويات غزوة بدر، ص١٦٤ - ١٦٥، وله حجته في هذا، فلينظر للفائدة. وفي تقوية باوزير لهذه الرواية نظر، للأسباب الآتية: فهناك روايات ربما عارضتها، فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ الآية ١١ من الأنفال ما يفيد غلبة المشركين على الماء، وأن المسلمين أصابهم ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ... حتى أنزل عليهم المطر فشربوا وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان.. (انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٣) كما ساق ابن كثير رواية أخرى عن العوفي عن ابن عباس تسير في نفس الاتجاه، بل أضاف ابن كثير قوله: «ونحو ذلك روي عن قتادة والضحاك والسدي»: (المصدر والمكان نفساهما). وكل هذا يزيد في شكنا بصحة الرواية على الرغم من شهرتها.

(٢) والعريش: شبه خيمة، يكون مقراً للقيادة وظلاً للقائد.

(٣) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣١٣)، وأما وجود عريش للرسول ﷺ يوم بدر فهو ثابت بأحاديث صحيحة: فقد روى الأموي من حديث ابن إسحاق كما في البداية (٣/ ٣١٢) أن النبي ﷺ خفق في العريش خفقة ثم انتبه، فقال: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل معتجر بعمامته، آخذ بعنان فرسه، يقوده على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعِدَتُه». وإسناد الأموي حسن كما ذكر الألباني في تعليقه على فقه السيرة، ص٢٤٣، وورد في حديث لابن عباس عند البخاري: الفتح (١٨/ ٢٥٤، ح٤٨٧٧)، وفيه أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة... إلخ وورد في حديث للبزار بإسناد صحيح =

ويفهم من النصوص الواردة في شأن القتال ببدر أن الرسول ﷺ شارك في القتال، ولم يمض كل وقته داخل هذا العريش أو في الدعاء، كما فهم بعض كتاب السيرة.

فقد روى أحمد[١] عن علي، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»، وفي موضع آخر بالسند نفسه: «لما حضر البأس يوم بدر، اتقينا برسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس، ما كان أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه»[٢].

وروى مسلم[٣] أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه». وقال ابن كثير[٤]: «وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه، وكذلك أبو بكر الصديق، كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين».

وبعد أن اتخذ الرسول ﷺ كل الوسائل المادية الممكنة للنصر في حدود الطاقة البشرية، بات ليلته تلك[٥] يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن ينصره، ومن دعائه كما جاء في رواية عند مسلم[٦]: «اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تُهْلِكْ هذه العصابةَ من أهل الإسلام لا تُعْبَدْ في الأرض» وتقول الرواية: «فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ

= أن علياً قال: «إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً...»، ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٨).

(١) المسند (٢/ ٦٤، شاكر)، وقال: «إسناده صحيح».

(٢) المسند (٢/ ٢٢٨، شاكر) وقال: «إسناده صحيح».

(٣) (٣/ ١٥١٠، ح١٩٠١)، ويذكر محقق جامع الأصول (٨/ ١٨٢)، أنه في الأصل «حتى أكون أنا أولئك»، وفي نسخ مسلم المطبوعة: «حتى أكون لنا دونه».

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٣٠٦).

(٥) روى أحمد: المسند (٢/ ٢٧١، شاكر) بإسناد صحيح عن علي، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم، إلا رسول الله فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح».

(٦) (٣/ ١٣٨٤، ح١٧٦٣).

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩]، فأمده الله بالملائكة».

ومما رواه البخاري[١] من دعائه في ذلك اليوم: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم»، وتقول الرواية: «فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥]».

وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى عكرمة أنه قال: لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾، قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾، فعرفت تأويلها يومئذ[٢].

وفي صباح يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان - السنة الثانية من الهجرة[٣] وعندما تراءى الجمعان، دعا رسول الله ﷺ ربه قائلاً: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيلائها وفخرها تُحادّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحِنْهم الغداة»[٤].

---

(١) الفتح (١٨/ ٢٥٣، ح٤٨٧٥)، أحمد: المسند (٥/ ١٨، شاكر) وقال: «إسناده صحيح».

(٢) ابن كثير: التفسير (٧/ ٤٥٧) من مرسل عكرمة، قال الساعاتي في الفتح (٢١/ ٣٩): «الحديث صحيح وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للبخاري من طريق عفان عن وهيب أيضاً»، ثم قال: «وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد، وهو ابن مهران الحذاء به».

(٣) قال ابن حجر في التلخيص الحبير: (٤/ ١٠٠، ط١٣٩٩هـ، القاهرة): «أما أن غزوة بدر في السنة الثانية فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم، واتفقوا على أنها كانت في رمضان، قال ابن عساكر: والمحفوظ أنها كانت يوم الجمعة وروي أنها كانت يوم الاثنين، وهو شاذ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشر، وقيل: ثاني عشر، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة...»، وقد روى الطبري في تاريخه (٢/ ٤١٩) بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال عن ليلة القدر: «التمسوها في سبع عشرة»، وتلا الآية: ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٥٥] يوم بدر...»، وانظر: باوزير: ص٦٨ - ٧٣.

(٤) رواه ابن إسحاق معلقاً كما في (ابن هشام ٢/ ٣١٤)، وقد ثبت أن أبا جهل قال حين التقى القوم: «اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه - أي أهلكه - الغداة» فكان هو المستفتح، أي الحاكم على نفسه بهذا الدعاء، والفتح الحاكم. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنفال: ١٩]، وقد روى الخبر بإسناد صحيح أحمد: الرباني (٢١/ ٤٤)، والطبري في التفسير =

وعندما وقف المسلمون في صفوف القتال، أخذ الرسول ﷺ في تعديل صفوفهم وفي يده قِدْح، فطعن به سَوَّاد بن غَزِيَّة في بطنه، لأنه كان مستنتلاً - متقدماً - من الصف عمداً، وقال له: استو يا سواد، فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق، فأقدني [أي أعطني القود من نفسك، أو القصاص]، فكشف عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال النبي ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك جلدي»، فدعا له رسول الله ﷺ بخير[١].

وشهد سواد المشاهد كلها بعد هذا، كما ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب[٢].

ثم أخذ في توجيههم في أمر الحرب، قائلاً: إذا أَكْثَبُوكُم[٣] فارموهم واستبقوا نبلكم[٤]. ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم[٥]. وحرضهم على القتال، قائلاً: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»[٦]، وفي رواية عند مسلم[٧] أنه عندما دنا المشركون قال النبي ﷺ:

(١٣/ ٤٥٤، شاكر) بإسناد صحيح، والحاكم (٢/ ٣٢٨) وصححه. والدعاء إلى قول الراوي: «فكان هو المستفتح»، رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل، ابن هشام (٢/ ٣٢٣). والخُيلاء: التكبر والإعجاب، وتحادك: تعاديك، أحنهم: أهلكهم الآن.

(١) روى قصة سواد: ابنُ إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١) وعبد الرزاق والبغوي فيما نسبه إليهما ابن حجر في الإصابة (٢/ ٩٥)، وإسناد عبد الرزاق حسن ولكنه مرسل، والواقدي (١/ ٥٦ - ٥٧) والطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٨٩) وقال الهيثمي: «ورجاله ثقات»، وهي في معنى رواية ابن إسحاق. قال باوزير، ص١٨٣: «... والمرسل محتج به عند بعض العلماء فإذا جاء ما يسنده كان حجة عند أكثرهم وقد ورد ما يسنده من رواية الهيثمي في المجمع ورواية ابن إسحاق...» في رواية ابن إسحاق والواقدي أن الذي كان بيد الرسول ﷺ قدح، أما في رواية عبد الرزاق أنه عرجون. والقِدح هو السهم بلا ريش، وسواد بالتخفيف وبالتشديد. وشهد سواد المشاهد كلها بعد هذا مع رسول الله ﷺ، كما ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب مع الإصابة (٢/ ١٢٢)، من حديث موسى بن عقبة.

(٢) (٢/ ١٢٢)، من حديث ابن عقبة.

(٣) أي إذا قربوا منكم، كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٧٣).

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ١٧٣، ح٣٦٨٥ت، ١٢/ ٤٨، ح٢٩٠٠) وفيه: «إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل».

(٥) سنن أبي داود (٣/ ١٨٨، ح٢٦٦٤)، وسكت عنه المنذري، انظر: مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن، تحقيق شاكر والفقي، (٤/ ١١، ح٢٥٤٨)، ط دار المعرفة، بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٨٢م.

(٦) روى ذلك ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٢/ ٣٢٢).

(٧) رواها مسلم (٣/ ١٥٠٩ - ١٥١١، ح١٩٠١)، وابن سعد (٢/ ٢٥) باختصار، والبيهقي في سننه =

«قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». وعندما سمع ذلك عمير بن الحُمَام الأنصاري، قال: «يا رسول الله! أجنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بَخٍ بَخٍ[1]. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ» قال: لا، والله! يا رسول الله! إلا رجاءه أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قَرَنِهِ [جعبة النشاب]، فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل»[2]...

وقال عوف بن الحارث - بن عفراء -: «يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده، قال: «غمسه يده في العدو حاسراً»، فنزع درعاً كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل»[3].

وطلب الرسول ﷺ من أصحابه، قبل بدء المعركة، ألا يقتلوا نفراً من بني هاشم وغيرهم لأنهم خرجوا مكرهين، وسمى منهم أبا البختري بن هشام - الذي كان ممن سعى لنقض صحيفة المقاطعة ولم يؤذ النبي ﷺ - والعباس بن عبد المطلب. وعندما سمع أبو حذيفة ذلك قال: «أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه - أو لألجمنه - بالسيف»، فبلغت مقالته رسول الله ﷺ، فقال لعمر: «يا أبا حفص؟ أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ، بالسيف؟» فقال عمر: «يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق». فكان أبو حذيفة يقول: «ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة»، فقتل يوم اليمامة شهيداً[4].

وقبل ابتداء القتال خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، فقال: «أُعاهِدُ الله لَأَشْرَبَنَّ من حوضهم، أو لَأُهَدِّمَنَّهُ، أو لَأَمُوتَنَّ دونه»، وتصدى له حمزة، وضربه

= (٩/ ٤٣)، وابن إسحاق، دون إسناد: ابن هشام (٢/ ٣٢٢).

(١) كلمة تقال في مواضع الإعجاب والفخر.

(٢) ورواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣٢٢ - ٣٢٣).

(٣) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣٢٢).

(٤) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣٢٤)، ويرى باوزير، ص٢٦٨، أن ابن إسحاق ربما رواها بسنده الصحيح لغزوة بدر، وهو ما نرجحه، وفي الخبر أن أبا البختري أصر على القتال، فقتل.

ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه، ثم حبا إلى الحوض مضرجاً بدمائه ليبر قسمه، واتّبعَهُ حمزةُ، فضربه حتى قتلَهُ في الحوض[١].

المبارزة:

بعد هذا خرج ثلاثة من فرسان قريش يطلبون المبارزة، وهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة والوليد بن عتبة، فخرج لهم ثلاثة من شباب الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة، فلم يقبل فرسان قريش بغير بني أعمامهم من المهاجرين، فأمر الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي أن يبارزوهم. وكان حمزة لعتبة، وعبيدة للوليد، وعلي لشيبة. وقتل علي وحمزة صاحبيهما وأعانا عبيدة على قتل الوليد، واحتملا عبيدة الذي أثخنه الوليد بالجراح[٢].

وفي هؤلاء الستة نزل قول الله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩].

ثم طلب الرسول ﷺ من علي أن يناوله كفاً من حصى، فناوله ذلك، فرمى به وجه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧][٣].

---

(١) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٢/ ٣١٨)، ولعلها من روايته لحديث بلو بإسناد حسن.

(٢) هو مضمون رواية أبي داود في سننه (٤/ ٤٩، ح٢٦٦٥)، وقال عنها ابن حجر: «وهذا أصح الروايات» ثم قال: لكن الذي في السير [ابن إسحاق] أن الذي بارزه علي هو الوليد، وهو المشهور، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين. وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا، وهذا موافق لرواية أبي داود - والله أعلم -. انظر: الفتح (١٥/ ١٦٣)، دون إسناد، ابن هشام (٢/ ٣١٩)، وابن سعد (٢/ ١٧ - ٢٣)، وانظر بقيتهم في الفتح (١٥/ ١٦٣)، ورواه من أهل الحديث: أحمد: الرباني (٢١/ ٣١ - ٣٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٦): «ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة»، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار (٢/ ٣١١ - ٣١٢).

روى ذلك البخاري: الفتح (١٥/ ١٦٢ - ١٦٤، ح٣٩٦٦، ٣٩٦٩).

(٣) روى ذلك الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٤) موصولاً، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. ورواها ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام، (٢/ ٣٢٣)، وفيها أن الرسول ﷺ عندما أخذ الحصباء قال: شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: شدوا، فكانت الهزيمة. .ا.

الملائكة تشهد بدراً:

ونزل المسلمون ساحة المعركة بقوة إيمانية كبيرة، وشدوا على المشركين، وأخذوا في اقتطاف رؤوسهم، وأمدهم الله بالملائكة لينصرهم على عدوهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦] الآيات، و﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩-١١] و﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ...﴾ [الأنفال: ١٢].

وكما روي من الأحاديث في هذا الشأن. فقد روى مسلم[١] في هذا: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ[٢]، فنظر إلى المشرك أمامه، فَخَرَّ مُسْتَلْقِيَاً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذلك أَجْمَعُ. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت. ذلك من مَدَدِ السماءِ الثالثة».

وروى أحمد[٣] أن رجلاً من الأنصار قصير القامة جاء بالعباس أسيراً، فقال العباس: «يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أَجْلَحُ من أحسن الناس وجهاً، على فرس أَبْلَقَ، ما أراه في القوم»، فقال الأنصاري: «أنا أسرته يا رسول الله. فقال: اسكت، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم».

وروى الأموي[٤] أن الرسول ﷺ خفق خفقة في العريش ثم انتبه، فقال: «أبشر

---

(١) صحيحه (٣/ ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥، ح١٧٦٣). وخطم أنفه: الخطم: الأثر على الأنف.

(٢) اسم فرس الملك كما قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ٨٦)، وفي النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٦٧) أنه اسم فرس جبريل.

(٣) المسند (٢/ ١٩٤، شاكر) من حديث طويل، قال شاكر: «إسناده صحيح...» وهو في مجمع الزوائد (٦/ ٧٥ ـ ٧٦) وقال: «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة»، وحسنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص٢٤٣، واسم الذي أسر العباس: أبو اليسر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو (المسند ٥/ ١٠٥، شاكر)، وإسناده ضعيف.

(٤) نقله عنه ابن كثير في البداية (٣/ ٣١٢) وهو من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن كما قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص٢٤٣ وانظر في: ابن هشام (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) منقطعاً، وهو الذي وصله الأموي، والبيهقي: الدلائل (٧/ ٥٤)، بإسنادين من غير طريق ابن إسحاق.

أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل معتجر بعمامة، آخذاً بعنان فرسه يقوده على ثنايا النَّقْع، أتاك نصر الله وعدته».

ورويت أحاديث في مشاركة الملائكة المسلمين يوم بدر ولم تصرح بالقتال. فقد روى البخاري[١] أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»، وقال في رواية أخرى: «جاء جبريل النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة»[٢].

وروى الحاكم[٣] أنه كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر: على سيماء الزبير. وروى ذلك كذلك ابن سعد[٤].

لقد أكرم الله عباده المؤمنين يوم بدر ببعض الكرامات. فقد روي أن عُكَّاشَة بن مِحْصَن قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده، فأعطاه الرسول ﷺ جذلاً من حطب ليقاتل به، فإذا هو في يده سيفاً طويلاً شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به يوم ذاك وفي المعارك الأخرى التي شهدها بعد ذلك، وآخرها يوم اليمامة - أحد أيام حروب الردة - حين قتل شهيداً[٥].

وعندما رأى أبليس - وكان في صورة سراقة بن مالك - ما تفعل الملائكة والمؤمنون بالمشركين، فر ناكصاً على عَقِبَيْه، حتى ألقى بنفسه في البحر[٦].

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ١٨١، ح٣٩٩٥).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ١٨٠، ح٣٩٩٥).

(٣) المستدرك (٣/ ٣٦١) وصحح باوزير إسناده، مرويات غزوة بدر، ص٢٤٣.

(٤) قال ابن حجر في الإصابة (١/ ٥٤٥): «روى ابن سعد بإسناد صحيح عن هشام عن أبيه قال: . . . الخبر»، وروى الطبراني من طريق أبي الملحن عن أبيه نحوه».

(٥) رواه ابن إسحاق دون إسناد: ابن هشام (٢/ ٣٣٦)، والواقدي في المغازي (١/ ٩٣)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٩٨ ـ ٩٩) من حديث الواقدي، وابن سعد (٦/ ١٨٨) من غير طريق ابن إسحاق، وإسناده ضعيف جداً، لعلتين، هما: الإرسال، وضعف أبي معشر، نجيح بن عبد الرحمن.

(٦) انظر الطبري: التفسير (١٤/ ٧، ح١٦١٨٣، شاكر) ـ تفسير الآية ١٤٨ من سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] ـ من طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهي أجود طرق تفسير ابن عباس، كما ذكر الدكتور الذهبي في كتابه: «التفسير والمفسرون» ص٨٧ ـ ٨٨، وبقية الطرق في المصادر المختلفة كلها ضعيفة، ولكن تقوى ببعضها البعض.

مصرع الطغاة: أبي جهل وأمية بن خلف والعاص بن المغيرة:

أ - أبو جهل:

روى البخاري[١] ومسلم[٢] من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قال: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عَمّ، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموتَ الأعجلُ منا، فتعجبت لذلك. قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفيكما؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين، فقال: كلاكما قتله، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجَمُوح[٣]، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عَفْرَاء» واستشهد معاذ في المعركة.

وروى ابن إسحاق[٤] من حديث معاذ بن الجموح أنه قال: «سمعت القوم وأبو جهل في مثل الخَرَجَة[٥]، وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه... وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وأني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، ثم مر بأبي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء - فضربه حتى ثبته فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل».

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٣١ - ٣٣٢، ح٣١٤١)، واللفظ له.

(٢) صحيحه (٣/ ١٣٧٢، ح١٧٥٢).

(٣) لأن الثاني قتل شهيداً في المعركة نفسها.

(٤) ابن هشام (٢/ ٣٣٣)، بإسناد حسن.

(٥) الشجرة الكثيرة الأغصان، شبه التفاف المشركين حوله بالشجرة الملتفة.

وروى البخاري[١] أن النبي ﷺ قال: عندما انجلت المعركة: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى بَرَدَ، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه؟».

وفي رواية أحمد[٢] أن الرسول ﷺ ذهب مع ابن مسعود ليرى جسد أبي جهل، وقال: «كان هذا فرعون هذه الأمة».

وفي رواية ابن إسحاق[٣] إن أبا جهل قال لابن مسعود عندما جثا عليه: «لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم». وقال: «لمن الدائرة اليوم؟ فقال ﷺ: لله ولرسوله».

ب - أمية بن خلف:

تمكن عبد الرحمن بن عوف من أسر أمية، وعندما رآه بلال معه، قال: «رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا»، وحاول عبد الرحمن أن يثنيه عن عزمه فلم يستطع، بل استنفر بلال الأنصار، فلحقوا به معه وقتلوه، على الرغم من أن ابن عوف ألقى عليه نفسه وأمية بارك[٤].

وعندما طرح قتلى المشركين في القَلِيب، لم يطرح معهم، لأنه انتفخ في درعه فملأها، وعندما ذهبوا ليحركوه تفرقت أعضاؤه، فتركوه في مكانه، وألقوا عليه ما غيبه من الحجارة والتراب[٥].

ج - العاص بن هشام بن المغيرة: [خرج مكان أبي لهب لدين كان عليه]

كان العاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب ﷺ، ولذا حرص عمر على قتله، فقتله حتى يعلم أن ليس في قلبه ولاء إلا لله وحده[٦].

لقد انجلت معركة بدر عن نصر كبير للمسلمين، إذ قتلوا سبعين من المشركين،

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ١٥٨ ـ ١٦٠، ح٣٩٦٢، ٣٩٦٣).

(٢) المسند (٥/ ٣١٦، ح٣٨٢٤، شاكر)، وقد ضعف شاكر إسناده.

(٣) ابن هشام (٢/ ٣٣٥)، وقد رواه معلقاً. وانظرها. ففيها زيادات حسنة وعبر.

(٤) انظر القصة بتمامها عند البخاري: الفتح (١٠/ ٤٩ ـ ٥٠/ح ٢٣٠١)، وابن إسحاق، بإسناد حسن، ابن هشام (٢/ ٣٢٩)، وهو أتم رواية. وأما من باشر قتله من المسلمين، ففي ذلك خلاف، انظره عند ابن حجر في شرح الحديث.

(٥) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(٦) من حديث رواه ابن هشام في زيادات السيرة: (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، بإسناد منقطع.

وأسروا سبعين[١]، ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً، ستة من قريش وثمانية من الأنصار[٢].

لقد كان جزاء الله عادلاً في هؤلاء ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩][٣].

دفن قتلى المشركين في القليب [البئر التي لم تطوى]:

روى البخاري[٤] ومسلم[٥] وأحمد[٦] وابن إسحاق[٧] وغيرهم[٨] أن الرسول ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش[٩] فقذفوا في طَوِيّ من أَطْوَاءِ بدر خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصَة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليومَ الثالثَ أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرَّكِيَّة فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟»، فقال عمر: «يا رسول الله، ما تُكَلِّمُ من أجسادٍ لا أرواح لها»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

وعندما ألقوا في القليب، وفيهم عتبة بن ربيعة، نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ابنه أبي حذيفة، فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال له النبي ﷺ: «لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟»، فقال: «لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٨٥، ح١٧٦٣)، وأحمد: المسند (٢/ ٩٤٩، شاكر)، بإسناد صحيح.

(٢) قاله موسى بن عقبة كما في البداية لابن كثير (٣/ ٣٣٠) ولم يسنده، وقيل غير ذلك.

(٣) انظر: البخاري: الفتح (١٧/ ٢٦٨، ح٤٧٠٠)، عن ابن عباس، أنهم كفار مكة.

(٤) الفتح (١٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨، ح٣٩٧٦).

(٥) صحيحه (٤/ ٢٢٠٤، ح٢٨٧٥).

(٦) المسند (١/ ٢٣٢، شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح».

(٧) ابن هشام (٢/ ٣٣٩) بإسناد حسن.

(٨) مثل: الطبراني كما في المجمع (٦/ ٩١) وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

(٩) كان مجموع قتلى المشركين سبعين كما سبق ذكره، وكما سيأتي ذكره، فلعل الآخرين دفنوا في أماكن أخرى كما في الفتح.

مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً[٢].

وبعد نهاية المعركة وانتصار المسلمين وأخذ الأسرى، قيل للرسول ﷺ: «عليك بالعير، ليس دونها شيء». فناداه العباس أن ذلك لا يصلح له، قال: ولم؟ قال: «لأن الله ﷻ إنما وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك»[٢].

وكانت وقعة بدر الكبرى يوم الجمعة صبيحة سبع عشر من رمضان، العام التالي للهجرة[٣].

الغنائم:

وقع خلاف بين المسلمين حول الغنائم، لأن حكمها لم يكن قد شرع يومذاك. وقد حكى عبادة بن الصامت ما حدث قائلاً: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدراً. فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم، يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، فنحن نفينا عنها العدو، وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، واشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١][٤]، فقسمها

---

(١) ابن إسحاق بدون إسناد: ابن هشام (٢/ ٣٤٢)، ولعلها بإسناد حديث بدر عنده، وهو حسن.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٠، شاكر) وصحح شاكر إسناده، وقال ابن كثير في التفسير (٤/ ١٣ ـ ١٤): «إسناده جيد» وحسنه الترمذي (٤/ ١١٢) من طريق عبد الرزاق عن إسرائيل.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد موقوف على أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: ابن هشام (٢/ ٢١)، ابن سعد (٢/ ٢١)، من طريقين.

(٤) انظر تفسيرها عند الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٦٧ ـ ٣٧١، شاكر)، وجاءت فيها أسانيد صحيحة، وقد ذكر ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٣٤٤) من قول عبادة بن الصامت أن هذه الآية نزلت فيهم، أصحاب بدر، حين اختلفوا في النفل، وقد صححه الحاكم والذهبي كما في =

رسول الله ﷺ على فُوَاق بين المسلمين» - أي بالتساوي[١]، أو بسرعة قدر فواق ناقة، والفواق ما بين حلبتي الناقة. وقيل أراد التفضيل في الغنيمة كأنه جعل بعضهم أفوق من بعض على قدر غنائمهم وبلائهم[٢].

ومما يدل على أن الغنائم قد خمست ووزعت على المشاركين فيها ما رواه البخاري[٣] عن علي أن الرسول ﷺ أعطاه مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذٍ.

وقد أسهم الرسول ﷺ لتسعة من الصحابة لم يشهدوا بدراً لأعمال كلفوا بها في المدينة أو لأعذار مباحة، منهم عثمان بن عفان، لأنه كان يمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ. وقد توفيت ودفنت يوم عودة الرسول ﷺ وأصحابه من بدر[٤].

وكان تقسيم الغنائم في منطقة الصَّفْراء في طريق العودة إلى المدينة[٥]. وأخذت الأسرى إلى المدينة. وقد أرسل زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ليزفا البشرى إلى أهل المدينة. وقد تلقوا النبأ بسرور بالغ مشوب بالحذر من أن لا يكون مؤكداً، قال أسامة بن زيد: «فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى»[٦]، ودهشت سودة رضي الله عنها عندما

= المستدرك والتلخيص (٢/ ٣٦)، ورواه أحمد: المسند - الفتح الرباني (١٤/ ٧٢) من طريق ابن إسحاق كذلك. وقال الساعاتي: «سنده جيد».

وقد كره سعد بن معاذ تسابق بعض المسلمين إلى الغنائم كما ذكر ابن إسحاق.

(١) رواه أحمد في المسند، وصحح الساعاتي إسناده كما في الفتح الرباني (١٤/ ٧٣)، ونقل تصحيح الترمذي والحاكم والذهبي للخبر، فانظره. ومسألة تقسيمه بينهم بالتساوي ذكره ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٣٤٤) ورواه ابن حبان في صحيحه كما في الموارد ص٤١٠ والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٥ - ١٣٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٩٢).

(٢) انظر: الفتح الرباني (١٤/ ٧٣)، وعند ابن إسحاق على سواء، وسنده جيد كما قال الساعاتي (٢/ ٣٤٤).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ١٨٥، ح٤٠٠٣).

(٤) انظر أحمد: المسند (٨/ ١٠١، شاكر) بإسناد صحيح. وانظر أسماء بعض الصحابة الذين تخلفوا لأعذار، وعدوا من أهل بدر، في مرويات غزوة بدر لبارزيو، ص٤٢٠ - ٤٢٤.

(٥) ابن إسحاق، دون إسناد، ابن هشام (٢/ ٣٤٦).

(٦) رواه البيهقي كما عند ابن كثير في البداية (٣/ ٣٣٤) وصحح إسناده الدكتور العمري في المجتمع المدني، الجهاد، ص٥٦، والحاكم (٣/ ٢١٧ - ٢١٨) وصححه، وابن أبي شيبة مرسلاً (١٤/ ٣٦٨)، وابن إسحاق (٢/ ٣٤٥) مقطعاً.

رأت سُهَيل بن عمرو ويداه معقودتان إلى عنقه بحبل فقالت: «أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً!!، فقال رسول الله ﷺ: «أعلى الله وعلى رسوله؟!! - أي تؤلبين - فقالت: «يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت»[١].

الأسرى:

استشار الرسول ﷺ الصحابة في أمر الأسرى. فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم بحجة أن في ذلك قوة للمسلمين على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام. ورأى عمر قتلهم، لأنهم أئمة الكفر. ومال الرسول ﷺ لرأي أبي بكر. فنزل القرآن موافقاً لرأي عمر، وهو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨][٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩][٣].

وكان أخذ الفداء حلالاً في أول الإسلام، ثم جعل فيما بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء أو المن ما عدا الأطفال والنساء، إذ لا يجوز قتلهم، ما داموا غير محاربين[٤]. قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

وقد تباين فداء الأسرى. فمن كان ذا مال أخذ فداؤه أربعة آلاف درهم. وممن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وَدَاعَ[٥]. وأخذوا من العباس مائة أوقية. ومن عقيل بن

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل: ابن هشام (٢/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وسهيل بن عمرو هو أخو السكران بن عمرو، زوج سودة قبل الرسول ﷺ، وقد توفي بمكة بعد هجرته من الحبشة.

(٢) انظر تفسيرها وأسباب نزولها بهذه المناسبة عند الصبري في التفسير (١٤/ ١٨) من حديث ابن مسعود بإسناد حسن.

(٣) مسلم (٣/ ١٣٨٥، ح١٧٦٣).

(٤) ابن قدامة: المغني (٨/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤).

(٥) الهيثمي: المجمع (٦/ ٩٠) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، في قصة أبي وداعة الذي فداه ابنه بأربعة آلاف درهم، وقال ابن هشام في زياداته على السيرة (٢/ ٣٧١)، دون إسناد: «كان =

أبي طالب ثمانين أوقية، دفعها عنه العباس، وأخذوا من آخرين أربعين أوقية فقط[١].

وأطلق الرسول ﷺ سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلقوا سراح سعد بن النعمان بن أكال، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر[٢].

ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة، جعل فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة. فقد روى أحمد[٣] عن ابن عباس، قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فجاء غلام يوماً يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي، قال: الخبيث! يطلب بِذَحْلِ[٤] بدر! والله لا تأتيه أبداً».

وكانوا يقبلون من بعض الأسارى ما عندهم إذا تعذر المفروض، فقد أرسلت زينب بنت رسول الله ﷺ قلادة لها لتفدي زوجها أبا العاص بن الربيع، الذي فرق بينهما الإسلام، فردوها لها، وأطلقوا لها أسيرها لمكانتها عند والدها محمد ﷺ[٥]، وبهذا كان ابن الربيع ممن أطلق بدون فداء، وأطلق الرسول ﷺ ممن لم يقدر على الفداء بأي شكل من الأشكال، منهم: المطلب بن حنطب المخزومي، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الشاعر[٦].

= فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له، فمَنَّ رسول الله ﷺ عليه». ورواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٢٠٦) وأبو داود في سننه (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠، ح٢٦٩١) باختلاف يسير، وفي سنده أبو القَيْس، وهو مقبول، كما في التقريب ص٦٦٢، والطبراني في الكبير (١١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) والأوسط ورجاله رجال الصحيح، والشاهد منه: «... وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف» فيكون الحديث حسناً، كما قال محققا سيرة ابن هشام (٢/

(١) أبو نعيم: الدلائل (٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) بإسناد حسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٩٢).

(٢) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

(٣) المسند (٤/ ٤٧، ح٢٢١٦، شاكر) وقال: «إسناده صحيح». وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ـ الشيخ الإمام أحمد ـ وهو صدوق يخطئ ويصر. والراجح عند شاكر أنه ثقة، انظر: المسند (١/ ٣٠٣)، وفي سنده كذلك داود بن أبي هند، كان يهم بأخرة.

(٤) أي بثأر.

(٥) المسند: الفتح الرباني (١٤/ ١٠٠) وقال الساعاتي: «إسناده صحيح». ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٣٥٩).

(٦) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٢/ ٢٦٨ ـ ٣٦٩).

ومما يدل على أنه كان بالإمكان إطلاق سراحهم جميعاً بدون فداء، قول الرسول ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له»[١]. وذلك لما قام به من حماية للرسول ﷺ عندما عاد من هجرته إلى الطائف، ودوره في تمزيق صحيفة المقاطعة.

وعندما استأذن رجال من الأنصار النبي ﷺ في ترك فداء العباس، قال: «والله لا تذرون منه درهماً»[٢]. وذلك على الرغم من أن العباس ذكر أنه كان مسلماً وأنه خرج مستكرهاً[٣].

وأخبر الرسول ﷺ عمه العباس - وهو أسير هنا - بما دفن هو وزوجته أم الفضل من المال تحت عتبة بابهم، فأقر له العباس بذلك[٤].

وفي طريق العودة إلى المدينة، قتل النضر بن الحارث بمنطقة الصفراء - قتله علي -، وقتل عقبة بن أبي مُعَيْط بمنطقة عرق الظبية - قتله عاصم بن ثابت[٥]، ويقال: قتله علي[٦]، وذلك لعداوتهما الشديدة لدعوة الرسول ﷺ، وتلك نهاية

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ١٩٤، ح٤٠٢٤).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ١٩١، ح٤٠١٨).

(٣) رواه الطبري في التفسير (١٤/ ٧٣، شاكر)، بإسناد حسنه الدكتور العمري: المجتمع المدني والجهاد، ص٥٥، حاشية ٤. قال ابن حجر: «وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «يا عباس افد نفسك... قال العباس: إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني...»، الفتح (١٥/ ١٩٢)، وذكر إسلامه ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٣٥١ - ٣٥٢)، بإسناد متصل وصرح فيه بالسماع ولكن فيه حسين بن عبد الله، فيه مقال.

(٤) أحمد (١/ ٣٥٣، ضعف شاكر إسناده (٥/ ١١٦: ح٣٣١٠)، وحسنه محقق سيرة الرسول ﷺ سيد الجليمي. ص١٦٢ - ١٦٣، وقال بعد إيراد طرقه المختلفة: «فهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً ويثبت بها الحديث». وحسنه محققو الموسوعة الحديثية - المسند - (٥/ ٣٣٤ - ٣٣٥، ح٣٣١٠). وخرجوه.

(٥) ابن إسحاق دون إسناد، ابن هشام (٢/ ٣٤٧).

(٦) ابن هشام (٢/ ٣٤٧) بإسناد منقطع، وروي أن الآية: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨] قد نزلت فيه. أخرج ابن جرير عن ابن عباس (١٩/ ٦): «كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ۝﴾ [الفرقان: ٢٩]، قال: ﴿الظَّالِمُ﴾ عقبة، و﴿فُلَانًا خَلِيلًا﴾ أبي بن خلف». انظر: ابن كثير: التفسير (٦/ ١١٦)، حاشية رقم (٥). وقال ابن كثير هنا: «وسواء كان سبب نزولها في -

الجبروت والشجاعة الزائفة. فقد رأينا عقبة، لصيق قريش، واليهودي الأصل[١]، يعود إلى حقيقته عندما قال للرسول ﷺ مسترحماً: «من للصبية يا رسول الله؟ فأجابه: النار»[٢].

وروى الطبراني[٣] بسنده إلى ابن عباس، وابن زنجويه في كتاب الأموال[٤]: أن الرسول ﷺ قتل صبراً كذلك طُعَيْمَة بن عَدِيٍّ.

أما بقية الأسرى فقد استوصى بهم الرسول ﷺ خيراً[٥]. فقد حكى أبو عزيز - شقيق مصعب بن عمير - وهو بين رهط من آسريه الأنصار - أن آسريه كانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوه بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بالأسرى. حتى ما تقع في يد أحدهم خبزة إلا ناوله إياها، فيستحي فيردها على أحدهم، فيردها عليه ما يمسها[٦].

وأسلم كثير من هؤلاء الأسرى على فترات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها، منهم: العباس، عقيل بن أبي طالب، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، خالد بن هشام، عبد الله بن السائب، المطلب بن حنطب بن الحارث، أبو وَدَاعَة الحارث بن صبيرة، الحجاج بن الحارث بن قيس، عبد الله بن أبي بن خلف، وهب بن عمير، سهيل بن عمرو، عبد بن زمعة، قيس بن السائب، نُسْطَاس مولى أمية بن خلف، . . .[٧].

= عقبة بن أبي معيط أو غيره، فإنها عامة في كل ظالم».

(١) انظر: السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٥٣) حيث ذكر أنه من أصل يهودي، من صفورية.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٩): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح». انظر: الطبراني: الكبير (١١/ ١٠٦ ـ ١٠٧، ح١٢١٥٤).

(٣) نقله عنه الشامي في السبل (٤/ ٩٧)، وهو في الأوسط كما ذكر ابن أبي شيبة.

(٤) (١/ ٣٤١، برقم ٥٣٤، تحقيق د. شاكر فياض)، بإسناده صحيح إلى سعيد بن جبير، ورجاله ثقات كما قال المحقق وابن أبي شيبة في كتاب المغازي (ص١٩٧، برقم ١٥٩ تحقيق د. عبد العزيز العمري): من مرسل سعيد بن جبير، بإسناد متصل رجاله ثقات، وله شواهد ـ كما قال المحقق والعمري ـ وأخرجه أبو داود في المراسيل (ص٣٧) بمثل لفظه عند ابن زنجويه، كما قال د. شاكر، وأبو عبيد في الأموال ١٧١ مختصراً بهذا الإسناد: كما قال د. شاكر.

(٥) روى ذلك الطبراني في الصغير والكبير كما في المجمع (٦/ ٨٦) وقال الهيثمي: «إسناده حسن».

(٦) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع، ابن هشام (٢/ ٣٤٩ ـ ٤٥٠).

(٧) الروض الأنف (٣/ ١٢٥)، عيون الأثر (١/ ٣٨٧). وانظر تراجمهم في أماكنها من الإصابة والاستيعاب وأسد الغابة وغيرها من كتب تراجم الرجال.

ولسهيل بن عمرو هنا قصة، فقد روى بن أبي شيبة[١] من حديث عطاء قال: «كان سهيل بن عمرو رجلاً أغلَم[٢] من شفته السفلى، فقال عمر بن الخطاب ﷺ لرسول الله ﷺ يوم أسر ببدر: يا رسول الله! أنزع ثَنِيَّتَيْهِ السفليين، فَيَدلع[٣] لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً بموطن أبداً، فقال: «لا أمثِّل فيمثِّل الله بي».

وزاد ابن إسحاق[٤] في روايته: «... وإن كنت نبياً»، ثم قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تَذُمُّهُ. وقال الشامي[٥]: «روى الحاكم والبيهقي... عن محمد بن الحنفية، قال: قال عمر:... فقال رسول الله ﷺ: «دعه، فلعله أن يَسُرُّكَ يوماً»، وقال الراوي - سفيان بن عيينة -: فلما مات النبي ﷺ نفر منه أهل مكة، فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة، فقال: «من كان محمد إلاهه فإن محمداً قد مات، والله حي لا يموت»[٦].

وروى ابن سعد - كما ذكر الشامي[٧] - بسنده إلى أبي عمرو بن عدي بن الحمراء الخزاعي، قال: نظرت إلى سهيل بن عمرو يوم جاء نعي النبي ﷺ إلى مكة وقد خطبنا بخطبة أبي بكر التي خطبت بالمدينة، كأنه سمعها، فلما بلغ ذلك عمر قال: «أشهد أن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق، هذا هو المقام الذي عَنَى رسول الله ﷺ حين قال لي: «لعله يقوم مقاماً لا تكرهه».

مكانة غزوة بدر في التاريخ:

كانت موقعة بدر ذات أثر كبير في إعلاء شأن الإسلام، ولذا سميت في القرآن يوم الفرقان. وأوضحت الأحاديث فضل البدريين وعلو مقامهم في الجنة. فقد عقد البخاري باباً في فضل من شهدها. وفيه قصة حارثة بن سراقة الذي أصابه سهم

---

(١) المغازي، ص٢١٧، رقم ٢٠٦، بإسناد متصل رجاله ثقات، لكنه مرسل موقوف على قتادة.

(٢) أي مشقوق الشفة.

(٣) أي يخرج لسانه عند الكلام.

(٤) ابن هشام (٢/ ٣٥٥)، وسنده موصل متصل ورجاله ثقات، فهو ضعيف كما قال المحققان.

(٥) السبل (١٠/ ٤٠٥).

(٦) انظر: في الخصائص (٢/ ١٢٨)، والمستدرك (٣/ ٩٢)، وسكت عليه الحاكم والذهبي، وفيه انقطاع؛ ابن هشام (٢/ ٥٦)، بمثله وفيه انقطاع - مرسل.

(٧) السبل (١٠/ ٤٠٦)، ولم نقف على مكانه من طبقات ابن سعد، ولم نقف على رواية يحتج بها، فانظر فيه هذا: السبل من طرق أخرى ضعيفة (١٠/ ٤٠٦).

طائش يوم بدر، وهو غلام، وجاءت أمه تسأل عن مصيره يوم القيامة، فبشرها الرسول ﷺ بأن له جناناً كثيرة وأنه في جنة الفردوس[١].

وفي قصة حاطب بن أبي بَلْتَعَة الذي أرسل إلى قريش يخبرهم بنيَّة الرسول ﷺ فتح مكة، فكشفه الوحي، وعفا عنه الرسول ﷺ، وقال لعمر حين طالب بقتله: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»[٢].

ولما قال عبد من عبيد حاطب: «يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار». قال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية»[٣].

وكانت لبدر الأثر العميق في المدينة وبقية حواضر وبوادي الجزيرة العربية، فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين. فانخذل اليهود، وجاهروا بالعداوة مما كان سبباً في إجلاء بني قينقاع عن المدينة - كما سيأتي.

وأسلم من زالت الغشاوة عن عينيه، ونافق من أضله الله حفاظاً على مصالحه الخاصة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، الذي قال حينذاك: «هذا أمر قد تَوَجَّه[٤] [أي استقر] فلا مطمع في إزالته[٥].

ومن بين من عرف بالنفاق من أحبار اليهود بالمدينة: زيد بن اللّصيت - رافع بن حريملة - رفاعة بن زيد بن التابوت - سويد بن الحارث - سعد بن حنيف - نعمان بن أوفى بن عمرو - وأخوه عثمان بن أوفى - سلسلة بن برهام - كنانة بن صوريا.

ومن بين من عرفوا بالنفاق من مشركي المدينة، إضافة إلى عبد الله بن أبي بن

---

(١) الفتح (١٥/ ١٧١، ح٣٩٨٢).

(٢) وهو عند مسلم أيضاً، النووي (١٦/ ٥٥).

(٣) المصدر نفسه، وفي تناوله لقصة ثعلبة ومماطلته في أداء الزكاة، خلص بازيز ص٣٥٥ - ٣٥٩ إلى أن المعني في القصة هو ثعلبة بن أبي حاطب وليس ثعلبة بن حاطب البدري، إضافة إلى أن سند القصة أصلاً ضعيف لا تقوم به حجة. وانظر تفاصيل هذا عند عذاب محمود الحمش: «ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه»، ص٧٦ وما بعدها.

(٤) من حديث رواه البخاري، الفتح (١٧/ ٩٤، ح٤٥٦٦).

(٥) وانظر خبر معاداته الإسلام ونفاقه عند البخاري وابن حجر الفتح (١٧/ ٩٣ - ٩٤، ح٤٥٦٦)، وعند ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٢٦٩ - ٢٧٠).

سلول: زوى بن الحارث - جلامن بن سويد - وأخوه الحارث بن سويد - نبتل بن الحارث مربع بن قيظي - وأخوه أوس بن قيظي - حاطب بن أمية بن رافع - بشير بن أبيرق أبو طعمة - قُزمان.

وقد أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامه، ومات على النفاق من مات منهم، وستأتي أخبار كثير منهم ومواقفهم من الإسلام من خلال أحداث السيرة[1].

أحكام وحكم من غزوة بدر:

لقد تضمنت أحداث غزوة بدر أحكاماً وحِكَماً كثيرة، من أهمها:

١ - جواز النكاية بالعدو، بقتل رجالهم وأخذ أموالهم وإخافة طرقهم التي يسلكونها، لما في ذلك من إضعافهم معنوياً واقتصادياً.

٢ - جواز استخدام العيون لكشف أحوال العدو وإفشال خططه.

٣ - تأكيد الرسول ﷺ على مبدأ الشورى لأهل الحل والعقد وعامة المسلمين، وقد وردت أدلة على حجية الشورى في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسنة الخلفاء الراشدين.

فالأدلة من القرآن، قول الله تعالى ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩][2]، و﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٨][3]، ومن السنة استشارة الرسول ﷺ لأصحابه في الخروج أو البقاء في المدينة يوم أحد، وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق على ثلث ثمار المدينة، وغير ذلك كثير مما ستقف عليه في هذا الكتاب. وقد قال أبو هريرة ﷺ: «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»[4].

أما أدلة حجيتها من سنة الخلفاء الراشدين قول ابن الخطاب في الشورى عند اختيار الحاكم: «الإمارة شورى»، «من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير مشورة

---

(١) وانظر: هذا الحبيب محمد ﷺ، ص١٨٩ - ١٩٤، حيث أشار الشيخ الجزائري إلى بعض المواقف لبعضهم. وانظر: د/ الجميل: النبي ﷺ ويهود المدينة.

(٢) وقد نزلت هذه الآية عقب غزوة أحد.

(٣) وهي آية مكية، وقد جعلت الشورى من خصائص المؤمنين.

(٤) الترمذي: السنن (٥/ ٣٧٥، ح١٧٦٧، تحفة الأحوذي) وفي إسناده مقال، ولكن معناه مما يكاد يكون متواتراً عن النبي ﷺ.

من المسلمين فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه»، «فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا الذي بايعه»[١].

٤ - جواز المبارزة بإذن الأمير، وهذا قول عامة أهل العلم[٢].

٥ - المساواة بين الجندي وقائده في السلم والحرب سواء، وقد اتضح ذلك من قصة سواد مع الرسول ﷺ، إذ كشف الرسول ﷺ عن بطنه ليقتاد منه سواد. وهو فعل الخلفاء من بعده: أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ.

٦ - جواز فداء الأسارى أو المن عليهم.

٧ - لا حرج من قتل الأسير قبل أن يصل إلى يد الإمام، كما فعل بلال ومن معه من الأنصار عندما قتلوا أمية بن خلف وهو في أسر عبد الرحمن بن عوف.

٨ - أحلت الغنيمة لهذه الأمة، وقسمتها على المقاتلين بعد تخميسها.

٩ - من قتل قتيلاً فله سلبه، على شرط: أن يكون المقتول من المقاتلة وليس ممن نهى الرسول ﷺ عن قتلهم، وهم النساء والصبيان والشيوخ الفانون... إلخ، وأن يكون في المقتول منفعة وغير مثخن بالجراح، أن يقتله أو يثخنه بجراح تجعله في حكم المقتول، وأن يقرر بنفسه في قتله، فأما إن رماه بسهم من صف المسلمين فقتله فلا سلب له[٣].

١٠ - دلت واقعة قضية الأسرى على أن الرسول ﷺ كان له أن يجتهد، والذين ذهبوا إلى هذا - وهم جمهور علماء الأصول - استدلوا على ذلك بمسألة أسرى بدر. وإذا صح للرسول ﷺ أن يجتهد، صح منه بناء على ذلك أن يخطئ في الاجتهاد ويصيب. غير أن الخطأ لا يستمر، بل لا بد من أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده، فإذا لم تنزل آية فهو دليل على صحة اجتهاده ﷺ.

١١ - الأصل أن يبذل المسلمون كافة جهودهم في الإعداد للمعركة وفي مجابهة العدو، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ [الأنفال: ٦٠]،

---

(١) روى هذه الآثار عبد الرزاق: المصنف (٥/ ٤٤٥ وما بعدها)، بأسانيد صحيحة. وأشار المحقق إلى أن البخاري قد أخرجه من طريقين في رجم الحلي.

(٢) انظر: تفصيل ذلك عند ابن قدامة: المغني (٨/ ٣٦٧ وما بعدها) طبعة الرياض.

(٣) انظر تفصيل ذلك في المرجع نفسه، ص ٣٨٧ - ٣٩١، من الجزء الثامن.

ومع ذلك فإن الله يزيد جنده بخوارق لتعينهم على النصر، إذا كانوا أهلاً له، كما حصل بإمداد الملائكة في بدر، وبأن غشى الله الناس عيون المؤمنين، وأنزل عليهم المطر.

١٢ - نبه الله المؤمنين إلى حقيقة هامة وهي أن لا يجعلوا حب المال يسيطر عليهم عند النظر في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظرة الدينية وحدها، مهما كانت الحال والظروف، ولذا عالج الله تجربة رؤية الغنائم مع الحاجة والفقر واختلافهم فيها، ومسألة الأسرى، بوسائل تربوية دقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾ [الأنفال: ١]، و﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ ... تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧][1].

١٣ - إن أهل بدر مغفور لهم يوم القيامة، أما أحكام الدنيا فإنها تؤخذ منهم، ويعاقبون عليها إن أتوها كما وقع لقدامة بن مظعون، عندما حد في الخمر.

١٤ - إن من سنة الرسول ﷺ بعد انتهاء المعركة أن يقيم في العرصة [مكانها] ثلاثة أيام.

١٥ - السنة في الشهداء أن يدفنوا في مضاجعهم، كما حدث لشهداء بدر وأحد، ولا يصلى عليهم كما ثبت بالنسبة لشهداء أحد، ولم يذكر أنه صلى على شهداء بدر[2].

١٦ - لقد تجلت في بدر بطولات إيمانية كثيرة، على سبيل المثال: ما روي من أن أبا عبيدة عامر بن الجراح قتل والده الجراح يوم بدر. فقد جعل والد أبي عبيدة يتصدى لابنه أبي عبيدة يومذاك ليحيد عنه الابن، فلما أكثر قصده فقتله، نزلت الآيـــــة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [المجادلة: ٢٢][3].

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص١٧٦ - ١٧٨.

(٢) أخذنا هذه الخلاصة لأبرز الأحكام الفقهية في غزوة بدر من كتاب: مرويات غزوة بدر للدكتور أحمد باوزير، ص٤٣٩ - ٤٤٧، باختصار وتصرف يسيرا ليتناسب ذلك مع منهجنا في ذكر القضايا الفقهية، ومع الاختصار.

(٣) أخرجه الطبراني بإسناد جيد عن عبد الله بن ثعلبة كما في الإصابة (٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤)، ولابن حجر تفصيل في تخريج أسانيد هذا الخبر. التلخيص الحبير (٣/ ١٠٣).

وروى ابن إسحاق[١] من حديث أبي عزيز بن عمير قال: «مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدّ يديك به فإن أمّه ذاتُ متاع، لعلها تفديه منك!...».

وزاد ابن هشام[٢] على هذه الرواية فقال: «فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليَسَر - وهو الذي أسره - ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وَصاتُك بي! فقال له مصعب: إنه أخي دونك...».

وفي رواية عند الواقدي في مغازيه أن الذي أسر عزيزًا بن عمر: مُحْرِز بن نَضْلة.

وفي تفسير ابن كثير للآية (٢٢) من سورة المجادلة، أن الآية نزلت في مصعب بن عمير، الذي قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ [أي يوم بدر] في قوله عز وجل ﴿...أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ...﴾، [ولو كانوا آباءهم نزلت في أبي عبيدة، أو أبناءهم: نزلت في الصديق حين هم بقتل ابنه عبدالرحمن، أو عشيرتهم: في عمر حين قتل قريبًا له يومئذ أيضًا ... وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ].

فائدة:

انظر ابن كثير: التاريخ (٥/ ١٥٩) عن الذين قتلوا مع المشركين يوم بدر وهم مسلمون ... من حديث ابن إسحاق: ابن هشام (١/ ٦٤١)، وهم:

١/ الحارث بن زمعة بن الأسود (أخو أم المؤمنين سودة بنت زمعة).

٢/ أبو قيس بن الفاكه.

٣/ أبو قيس بن الوليد بن المغيرة.

٤/ علي بن أمية بن خلف.

٥/ العاص بن منبه بن الحجاج.

وقال فيهم الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ...﴾ [النساء: ٩٧].

---

(١) ابن هشام (٢/ ٣٤٩)، وإسناد ابن إسحاق منقطع، ولم يسند ابن هشام روايته.

(٢) المصدر نفسه.

الفصل السادس

النشاط الجهادي
والأحداث ما بين غزوتي بدر وأحد

◻ المبحث الأول: سرية قتل عَصْمَاء بنت مَرْوَان: ◻

كانت عَصْمَاء بنت مروان ممن يؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ. وقالت في ذلك شعراً. فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: ألا آخذُ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك عُمَيْر بن عَدِيّ الخَطْمِي - من قوم زوجها - فجاءها في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها، وحولها نفر من ولدها منهم من ترضعه في صدرها، فجسها بيده، لأنه كان أعمى، ونحى الصبي عنها ثم قتلها، ثم صلى الصبح مع النبي ﷺ، فقال له: أقتلت ابنة مروان؟ قال نعم، فقال له النبي ﷺ: نصرت الله ورسوله يا عمير[1]، فقال عمير: هل علي في ذلك شيء؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان[2]. فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ، وسماه رسول الله ﷺ عميراً البَصِيْر. وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، بعد عودته من بدر مباشرة.

وأسلم يومئذٍ رجال من بني خطمة لما رأوا من عز الإسلام، وجهر بإسلامه من كان يستخفي به[3].

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد لم يصرح فيه بالسماع، وهو ضمن روايته قصة مقتل عصماء: ابن هشام، (٤/ ٣٧٩)، فالرواية ضعيفة، ولكنها تتقوى برواية أبي داود الصحيحة في الحاشية التالية.

(٢) المصدر نفسه، ورواه أبو داود في سننه (٤/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩/ك. الحدود/ب. الحكم فيمن سب النبي ﷺ)، من غير طريق ابن إسحاق، بإسناد متصل ورجاله ثقات، كما قال ابن حجر في بلوغ المرام (٢/ ٢٤١). ورواه بهذا الإسناد النسائي في سننه (٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٥١).

(٣) وانظر القصة في كتب المغازي والسير: ابن إسحاق، بإسناد لم يصرح فيه بالسماع، ابن هشام (٤/ ٤٧٧ ـ ٤٧٩)، وعنده أن قتلها كان بعد قتل أبي عفك، الواقدي (١/ ١٧٢)، ابن سعد (٢/ ٢٧)، بدون إسناد.

◻ المبحث الثاني: غزوة بني سُلَيم وغطفان بالكُدْر: ◻

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من بدر لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه، يريد بني سليم، وذلك في شوال من العام الثاني للهجرة.

فبلغ ماء من مياههم، يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق حرباً[1]. وكان سبب خروجه ما بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من سُليم وغطفان، يخططون لحرب المسلمين[2].

◻ المبحث الثالث: مؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ[3]: ◻

تذاكر عمير بن وهب - أُسر ابنه وهب يوم بدر - وصفوان بن أمية - قتل والده وأخوه - مصابهم في بدر. فأسرَّ عمير بن وهب إلى صفوان بأنَّ لولا دين عليه وعيال يخشى عليهم الضيعة لركب إلى محمد حتى يقتله، فاغتنم صفوان الفرصة، فالتزم له بقضاء دينه وضم عياله إلى عياله إن هو قتل محمداً وأصابه شر. واستكتمه الخبر.

وعندما جاء المدينة رآه عمر فتوجس منه خيفة، فاقتاده إلى الرسول ﷺ، ودار بينهما حوار، جاء فيه أن الرسول ﷺ طلب منه أن يصدقه القول في سبب مجيئه، فذكر أنه جاء ليفتدي ابنه وَهْباً. وعندما أصر على الكذب، كشف له الرسول ﷺ عما دار بينه وبين صفوان، وهما بمكة، وهو بالمدينة فتعجب عمير من هذا، وكان ذلك سبباً في إسلامه. فطلب الرسول ﷺ من أصحابه أن يفقهوه في الدين ويطلقوا له أسيره.

وأذن له الرسول ﷺ في أن يعود إلى مكة ليدعو إلى الإسلام بالحماسة نفسها التي كان يدعو بها إلى الكفر. فأسلم على يديه خلق كثير.

---

(١) رواها ابن إسحاق بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٦٤).

(٢) الواقدي (١/ ١٨٢ - ١٨٣)، ابن سعد (٢/ ٣١) بدون إسناد.

(٣) روى قصة هذه المؤامرة: ابن إسحاق بإسناد مرسل: ابن هشام (٢/ ٣٧١ - ٣٧٤)، وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٧): «رواه موسى بن عقبة في مغازيه، والأسود عن عروة مرسلاً، وابن منده متصلاً، وقال: غريب لا نعرفه عن ابن عمران إلا من هذا الوجه، والطبراني وقال: لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك»، ورواية الأسود وابن عقبة في دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٤٧ - ١٤٩).

◻ المبحث الرابع: سرية سالم بن عُمَيْر لقتل أبي عَفَك: ◻

لقد نجم نفاق أبي عفك، أحد بني عمرو بن عوف، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت، وقال في ذلك شعراً. فقال رسول الله ﷺ: «من لي بهذا الخبيث؟» فخرج سالم بن عمير، فقتله. وكان ذلك في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة[١].

◻ المبحث الخامس: غزوة بني قَيْنُقَاع: ◻

أ - تاريخ الغزوة:

ذكر معظم أهل المغازي والسير أنها وقعت بعد بدر، ورجح ذلك ابن حجر[٢]، مستنداً إلى رواية ابن عباس في سنن أبي داود[٣]، وحكم عليها بالحسن، وقواه برواية عبادة بن الوليد في مغازي بن إسحاق[٤]. وقد حدد الزهري[٥] أنها كانت في شوال من السنة الثانية الهجرية، ويضيف الواقدي[٦] وابن سعد[٧]: أنها كانت يوم السبت للنصف من شوال.

ب - أسبابها:

تذكر كتب السيرة سببين لهذه الغزوة، الأول: أن يهود بني قينقاع أظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون ببدر، ويظهر ذلك في موقفهم من الرسول ﷺ

---

(١) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧)، وابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٣٨) كذلك معلقاً، والواقدي (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥) وفيه أنه حسد الرسول ﷺ عندما انتصر ببدر، وابن سعد (٢/ ٢٨) دون إسناد، وعنده أنه كان يهودياً.

(٢) الفتح (١٥/ ٢٠٤).

(٣) (٣/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣).

(٤) ابن هشام (٣/ ٧١ ـ ٧٢)، بإسناد مرسل.

(٥) في تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٠٩ ـ ٨٠) مرسلاً.

(٦) المغازي (١/ ١٧٦).

(٧) الطبقات (٢/ ٢٨، ٢٩)، بدون إسناد.

وخلاصة القول أن الآثار كلها ضعيفة، ولكن تتقوى بعضها ببعض لترتفع إلى درجة الحسن لغيره كما قال الدكتور المنذي: مرويات تاريخ يهود المدينة، في عهد النبوة، ص٨٣.

عندما جمعهم في سوقهم بعد بدر، وقال لهم: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً في قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا»، فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣][1].

والسبب الثاني: هو أن أحدهم عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، فلما قامت انكشفت، فصاحت مستنجدة، فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي، وتواثب عليه اليهود فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود. فغضب المسلمون، ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[2].

وإذا قبلنا تحسين ابن حجر لرواية ابن إسحاق في السبب الأول، فهذا لا يعني أن سبب إجلائهم يعود إلى رفضهم الدخول في الإسلام، لأن الإسلام في هذه المرحلة كان يقبل التعايش السلمي معهم، وأن نصوص صحيفة المدينة تؤكد إعطاء اليهود حريتهم الدينية في المدينة، وإنما يعود سبب الإجلاء إلى ما أظهروه من روح عدائية ضد المسلمين، انتهت إلى الإخلال بالأمن داخل المدينة، ومن ذلك قصة المرأة المسلمة معهم[3].

وكذلك قصة شاس بن قيس القينقاعي الذي مر على نفر من أصحاب الرسول ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم، فغاظه ما رأى من ألفتهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فأمر أحد شباب اليهود ليجلس معهم

---

(١) أبو داود: السنن (٣/ ٤٠٢، ح٣٠٠١) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، حكم عليه ابن حجر في التقريب بأنه مجهول ص٥٠٥، ومع ذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٤)، ومحمد الذهبي في التفسير والمفسرون (١/ ٧٩). وخلاصة دراسة السندي أن روايات هذه الحادثة تتقوى بعضها وتصلح للاحتجاج بها. (السندي: مرويات يهود المدينة، ص٧٧).

(٢) ابن هشام (٣/ ٧٠) بإسناد ضعيف، السندي، ص٧٩، والعمري: المجتمع المدني، التنظيمات، ص١٣٧، والألباني: دفاع، ص٢٦ ـ ٢٧، والرواية يستأنس بها.

(٣) العمري: المجتمع المدني ـ تنظيماته . . . . ، ص١٣٨.

ويذكرهم بحروبهم في الجاهلية، مثل يوم بعاث[١]. فتعل، وكادت الحرب تقع بين الحيين لولا أن الرسول ﷺ أدركهم، وقال لهم: «أفبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» ووعظهم، فانطفأت النار، ونزل في هذا قرآن يتلى [آل عمران: ٩٨-١٠٥]

ج - الحصار والإجلاء:

إن خبر إجلاء بني قينقاع ثابت في الصحيحين[٢]، وأما تفاصيل الحصار فقد أورده ابن إسحاق[٣] والواقدي[٤] وابن سعد[٥]، وتابعهم المؤرخون في ذلك. وإسناد ابن إسحاق يتقوى مع المتابعة.

وقد ورد في تفاصيل خبر حصارهم أنهم كانوا صاغة وحلفاء عبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع اليهود. فلما أظهروا العداوة والبغضاء، خشي الرسول ﷺ خيانتهم، فنبذ إليهم على سواء كما أمره الله ﷻ في مثل هذه الحالات، إذ يقول الله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨]. وحاصرهم خمس عشرة ليلة. وعندما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم الرسول ﷺ على أن لهم أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكتفوا، ثم كلمه فيهم حليفهم ابن سلول، وألح في ذلك قائلاً: «أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة؟»، فقال رسول الله ﷺ: «هم لك[٦]»، وأمر بهم أن يجلوا عن المدينة. وتولى أمر ذلك عبادة بن الصامت، فلحقوا

---

(١) رواه بأسانيد ضعيفة تعتضد كل من: ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٢٣٣)، الطبري: التفسير (٧/ ٥٥ - ٦٠)، انظر: أكرم السندي: مرويات تاريخ يهود المدينة، ص٣٢، ماجستير غير منشورة. قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - قسم السنة.

(٢) البخاري، الفتح (١٥/ ٢٠٣ - ٢٠٤، ح٤٠٢٨)، مسلم (٣/ ١٣٨٧ - ١٣٨٨، ح١٧٦٦).

(٣) ابن هشام (٣/ ٧٠ - ٧٢)، وإسناده مرسل، ولكنه يتقوى مع المتابعة.

(٤) المغازي (١/ ١٧٦). بإسناد ضعيف.

(٥) الطبقات (٢/ ٢٩)، بدون إسناد.

(٦) ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٧٠ - ٧١)، الواقدي (١/ ١٧٧ - ١٧٨)، وابن سعد (٢/ ٩٢) بدون إسناد وفيه الآية. وجاء خبر تشبث ابن سلول ببني قينقاع في أثرين ضعيفين لابن إسحاق، لأنهما موقوفان على عاصم وعبادة، ولكن كل منهما يقوي الآخر ويرتقيان إلى درجة الحسن لغيره، ويقوي ذلك أكثر ذكر ذلك عند أهل المغازي والسير الآخرين، السندي ص٩٦.

بأذرعات، وتولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة، فقسمت بين الصحابة بعد إخراج الخمس للرسول ﷺ[١].

وكان عبادة بن الصامت قد تبرأ من حلفهم عندما حاربوا الرسول ﷺ، وفيه وفي ابن سلول نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١-٥٢][٢].

د - أحكام وعبر:

١ - دلت هذه الحادثة على حقد وعداوة اليهود واتخاذ ما يستطيعون من وسائل للغدر بالمسلمين وإمامهم.

٢ - هذه الحادثة وما أعقبها من دفاع عبد الله بن أبي بن سلول عن اليهود بالكيفية التي علمنا، ودوره في كثير من أحداث الفتن، والتحليل والترويج للإشاعات المغرضة في صفوف المسلمين، دليل قاطع على نفاقه. ومع ذلك عامله الرسول ﷺ على أنه مسلم. وهذا يدل - كما أجمع العلماء - على أن المنافق إنما يعامل في الدنيا من قبل المسلمين على أنه مسلم، ويتولى الله أمر باطنه يوم القيامة. ومن الأدلة على ذلك قول عمر ﷺ: «إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة»[٣].

والحكمة من معاملة الناس للمنافقين بحسب الظاهر، أن تظل العدالة بين الناس في مأمن من التلاعب، إذ ربما اتخذ بعض الحكام من حجية الأدلة الوجدانية والاستنتاجية وحدها ذريعة إلى الإضرار ببعض الناس بدون وجه حق[٤].

---

(١) ابن سعد (٢/ ٩٢)، بدون إسناد.

(٢) وروى الخبر ابن إسحاق بإسناد مرسل: ابن هشام (٣/ ٧١ ـ ٧٢)، يتقوى مع المتابعات والشواهد.

(٣) البخاري: الفتح (١١/ ٦٧ ـ ٦٨، ح٢٦٤١).

(٤) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص١٨٢، ١٨٣.

٣ - لا يجوز موالاة غير المسلمين، بل يجب البراءة منهم، إلا إذا كان المسلمون في حالة ضعف يضطرهم إلى الموالاة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

❑ المبحث السادس: غزوة السَّويق: ❑

في الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة، وصل أبو سفيان إلى أطراف المدينة سراً، في مائتي فارس، ولجأ إلى بني النضير، ثم قام بمهاجمة ناحية العريض - واد بالمدينة في طرف حَرَّة وَاقِم - فقتل رجلين وأحرق نخلاً وفر إلى مكة. وعندما علم المسلمون بهذا العمل الاستفزازي الانتقامي، نفروا في أثره حتى وصلوا قَرْقَرَةَ الكُدْر، فلم يلحقوا بهم، وقد رأوا أزواداً للقوم قد طرحوها في الحرث يتخففون منها للنجاء، فقال المسلمون حين رجع بهم الرسول ﷺ: «يا رسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ فقال: نعم»[١]. وسميت بغزوة السويق لأن غالب الأزواد التي طرحوها كانت من السويق[٢].

❑ المبحث السابع: غزوة قَرْقَرَة الكُدْر: ❑

خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه في منتصف المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من الهجرة، عندما بلغه أن جمعاً من بني سُليم وغطفان وبعض القبائل الأخرى تجمعت بقرقرة الكدر، وهو ماء لبني سليم، للتحرك ضد المسلمين، وعندما وصلهم فروا من وجهه وتركوا أنعامهم غنيمة باردة للمسلمين.

وكان مع الأنعام غلام يسمى يَسَار، جعله المسلمون في سهم الرسول ﷺ فأعتقه[٣].

---

(١) رواها ابن إسحاق بإسناد صحيح إلى عبد الله بن كعب، لكنه مرسل، ابن هشام (٣/ ٦٥ ـ ٦٦)، ورواها الطبري في التاريخ من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد (٢/ ٤٨٤)، ولكن كتب عبد الله بن كعب بدلاً من عبد الله، والواقدي (١/ ١٨١)، وابن سعد (٢/ ٣٠)، بدون إسناد، وابن كثير في البداية (٣/ ٣٧٨) وعنده أنها هي غزوة قرقرة الكدر. والسويق: الحنطة أو الشعير المحمصة أو غير ذلك، ثم تطحن، وقد تمزج بالسمن واللبن والعسل أو الماء، وتتخذ زاداً للمسافر. وهي «الخُبُورَة» عند أهلي بشمالي السودان.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الواقدي (١/ ١٨١) وعنده أنها قرارة الكدر، ابن سعد (٢/ ٣١) وعنده أنها قرقرة الكدر.

◻ المبحث الثامن: سرية قتل كَعب بن الأشرف اليهودي: ◻

ينتسب كعب إلى بني نبهان، وهم عشيرة من طيء، وكان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية، فأتى المدينة، فحالف بني النضير، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعب بن الأشرف(١).

كان كعب شاعراً. وقد غاظه انتصار المسلمين ببدر، فسافر إلى مكة ليواسي المشركين في قتلاهم ويحرضهم على أخذ الثأر، ويهجو الرسول ﷺ. وعندما سأله أبو سفيان قائلاً: «أناشدك الله! أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى إلى ربك وأقرب إلى الحق؟ قال كعب: أنتم أهدى منهم سبيلاً»، فأنزل الله على رسوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١].

وعندما عاد إلى المدينة أخذ يقرض الشعر متشبباً بنساء المسلمين، فأهدر الرسول ﷺ دمه. وتصدى لمهمة إنزال العقاب الرادع به: محمد بن مَسْلَمَة وأبو نائلة، أخو كعب من الرضاع! ووضع ابن مسلمة خطة محكمة لذلك. فاستأذن الرسول ﷺ أن يقول فيه ما يطمئن اليهودي، أي يبدي تبرمه بمحمد ﷺ. وعندما جاءه طلب منه أن يقرضه تمراً ليدفعه للرسول ﷺ، مبدياً تذمره منه لما يكلفهم به، فطلب كعب رهينة من النساء أو الأبناء، فاعتذر ابن مسلمة، لما يجر عليهم ذلك من عار، واقترح عليه أن يرهن عنده بدل هذا سلاحاً، فرضي كعب. فجاءه ابن مسلمة ليلاً ومعه أبو نائلة - سَلْكَان بن سَلَامة بن وَقْش - وعَبَّاد بن بِشْر والحارث بن بِشْر وأبو عبس بن جبر، من الأوس، فناداه، فنزل، إليهم، على الرغم من تحذير امرأته له من مغبة ذلك، ومشى معهم، فاحتالوا لقتله، متظاهرين بشم عطر شعره، فاستمكنوا منه ثم قتلوه، حتى إن أحدهم أصيب بسيوف أصحابه(٢).

وعندما احتجت اليهود على هذا الفعل، بين لهم الرسول ﷺ ما صدر من كعب

---

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (١٥/ ٢٠٩، ك. المغازي/ب. قتل كعب بن الأشرف)، وابن إسحاق بإسناد مرسل: ابن هاشم (٣/ ٧٤ ـ ٧٥)، والطبري في التاريخ (٢/ ٤٨٨).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢١٠، ح٤٠٣٧)، ومسلم (٣/ ١٤٢٥ ـ ١٤٢٦، ح١٨٠١)، ابن هشام (٣/ ٧٩)، وروى ابن إسحاق قصة خطة التنفيذ بسند حسن: ابن هشام (٣/ ٨١ ـ ٨٤)، والمصاب هو الحارث بن أوس بن معاذ كما في رواية ابن إسحاق الصحيحة.

من أفعال. وعندما فزعت يهود وبقايا المشركين مما حدث وخافوا على أنفسهم، دعاهم الرسول ﷺ إلى كتابة معاهدة بينهم، فكتب صحيفة عامة كما تذكر رواية لأبي داود[١]. والراجح أن كتابة هذه الصحيفة جاء تأكيداً لما في المعاهدة التي كتبت قبل بدر بين المسلمين واليهود، والمشهورة بصحيفة المدينة[٢].

وكان مقتله بعد بدر وقبل غزوة بني النضير[٣]، وحدده الواقدي[٤] بالسنة الثالثة لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة.

عظات وعبر:

١ - إن في قتل ابن الأشرف دليلاً على مشروعية الاحتيال على قتل من وجب قتله لغدره وخيانته.

٢ - جواز الكذب على الأعداء وخداعهم، لأن الحرب خدعة.

٣ - إن في قتل الغادر الخائن تخويفاً لمن وراءه حتى لا يسلك مسلكه غيره ممن هم على شاكلته.

□ المبحث التاسع: غزوة ذي أَمَر: □

بلغ الرسول ﷺ أن غطفان قد تجمعت في ذي أمر من نجد، فسار إليهم. وعندما علموا بذلك فروا أمامه[٥]. وذكر الواقدي[٦] وابن سعد[٧] أن المجتمعين على

---

(١) السنن (٣/٤٠٢ ـ ٤٠٣) ومدار الرواية على والد عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كعب، فإذا أراد الراوي بأبيه جده كعب فيكون الحديث متصلاً ورواته ثقات، فهو صحيح، وإن أراد بأبيه والده عبد الله يكون مرسلاً، ويحتاج إلى متابعة ليرتقي إلى درجة الحسن لغيره، ووجدت المتابعة عند الهيثمي في مجمعه (٦/ ١٩٥ ـ ١٩٦) عن عبد الله بن كعب عن عمه نحوه نقلاً عن أحمد، وحكم على الرواة بأنهم من رجال الصحيح، وللحديث شواهد، فقد أخرجه البيهقي في الدلائل من طريقين (٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، السندي ص١٠٨.

(٢) د. العمري: المجتمع المدني، تنظيماته، ص١٤٢.

(٣) انظر: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، حيث ذكروها قبل أحد.

(٤) المغازي (١/ ١٨٤ ـ ١٨٩)

(٥) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٦٨).

(٦) المغازي (١/ ١٩٤).

(٧) الطبقات (٢/ ٣٤).

ماء ذي أمر هم من غطفان من بني ثعلبة بن مُحَارِب، وكان عدد جيش المسلمين أربعمائة وخمسين رجلاً، وكان خروج المسلمين إليها لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، سنة ثلاث من الهجرة. وحددها الواقدي[١] بيوم الخميس.

وذكر الواقدي وابن سعد وقوع قصة دَعْثُور المحاربي في هذه الغزوة. وخلاصتها أن المسلمين قد أصابهم مطر في طريق عودتهم، فابتل ثوب الرسول ﷺ، فجعل وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها على شجرة لتجف، ثم اضطجع تحت الشجرة، والأعداء ينظرون إلى كل ذلك خلسة، فأغروا سيدهم الفاتك دعثور ليفتك بالرسول ﷺ وهو على هذه الحال. وعندما وقف بالسيف على رأس الرسول ﷺ قال: «من يمنعك مني اليوم؟»، قال رسول الله ﷺ: «الله»، ودفعه جبريل عليه السلام عنه حتى وقع السيف من يده، فأخذه الرسول ﷺ ووقف على رأسه قائلاً: من يمنعك مني اليوم؟ قال: لا أحد». فعفا عنه الرسول ﷺ فأسلم وعاد وحكى لقومه ما حدث، وأخذ يدعوهم إلى الإسلام، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ [المائدة: ١١][٢].

□ المبحث العاشر: غزوة بُحْرَان - أو الفُرْع من بُحْرَان: □

خرج النبي ﷺ في ثلثمائة من الصحابة يريد قريشاً كما ذكر ابن إسحاق[٣]، ويريد بني سُلَيْم، كما ذكر الواقدي[٤]. ووصل إلى بحران من ناحية الفرع، على الطريق التجارية بين مكة والشام، ولم ينشب قتال بين الفريقين.

وكان ذلك في جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من الهجرة كما

---

(١) المغازي (١/ ١٩٣).

(٢) قصة دعثور المحاربي ثابتة في الصحيحين، ولكن بغير هذا السياق، وفي غير هذه الغزوة، وبغير هذا الاسم، بل اسمه: غورث بن الحارث، وأنه لم يسلم، والمتفق عليه بين أهل السير والصحيحين هو أن الله عصمه منه، وما في الصحيح أصح. وسيأتي ذكر القصة في غزوة ذات الرقاع من رواية البخاري ومسلم وابن إسحاق، إن شاء الله.

(٣) ابن هشام (٣/ ٦٨)، بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٤) المغازي (١/ ١٩٦).

ذكر الواقدي وتلميذه ابن سعد[١].

❑ المبحث الحادي عشر: سرية القَرَدَة: ❑

خافت قريش أن تسلك طريقها الذي كانت تسلكه إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، ففكروا في أن يسلكوا طريق العراق. فخرج أبو سفيان في جمع من تجار مكة، ومعهم فضة كثيرة، وكانت عظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يدعى: فرات بن حيان، ليدلهم على الطريق. وعندما علم الرسول ﷺ بخبرهم أرسل في أثرهم زيد بن حارثة، فلقيهم على ماء بنجد يسمى القردة، فأصاب تلك العير وما عليها، وأعجزه الرجال. وكان ذلك بعد ستة شهور من غزوة بدر الكبرى[٢]، الأول من جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً من الهجرة[٣].

وذكر ابن سعد[٤] أن هذه السرية كان بها مائة رجل، وأن الفضة كانت وزن ثلاثين ألف درهم، وقيمتها مائة ألف درهم.

وعندما فشلت خطة قريش في الخروج من الحصار الاقتصادي الذي ضربه عليها المسلمون، رأت أن تعجل بعمل عسكري ضد المسلمين في عقر دارهم، لعلها تفك هذا الحصار الاقتصادي وتعيد الأمن إلى تجارتها، وتعيد سمعتها التي انحطت بهزيمتها في بدر. فكانت غزوة أحد.

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٥)، بدون إسناد، وبذلك فهو ضعيف.

(٢) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٧٣).

(٣) الواقدي (١/ ١٩٧)، وابن سعد (٢/ ٣٦)، بأسانيد ضعيفة.

(٤) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٦)، وإسناده ضعيف.

الفصل السابع

غزوة أحد

تاريخ الغزوة: اتفق كتاب السيرة على أنها كانت في شوال من السنة الثالثة الهجرية[١]، واختلفوا في اليوم الذي وقعت فيه. وأشهر الأقوال إنه السبت[٢]، للنصف من شوال[٣].

أسبابها: لقد كان السبب المباشر لها، كما أجمع على ذلك أهل السير، هو أن قريشاً أرادت أن تنتقم لقتلاها في بدر، وتستعيد مكانتها التي تزعزعت بين العرب بعد هزيمتها في بدر[٤].

أما من بين الأسباب الأخرى الهامة التي يمكن استنتاجها من مجريات الأحداث، فهي أن قريشاً تريد أن تضع حداً لتهديد المسلمين طرق تجارتهم إلى الشام، والقضاء على المسلمين قبل أن يصبحوا قوة تهدد وجودهم.

عدّة المشركين: خصصت قريش قافلة أبي سفيان التي نجت من المسلمين[٥] وأرباحها، لتجهيز جيشهم لغزوة أحد[٦]، وجمعت ثلاثة آلاف مقاتل من قريش ومن

---

(١) انظر ذلك في مكانه عندهم.

(٢) قال الواقدي (١/ ١٩٩)، وابن سعد (٢/ ٣٦)، والبلاذري في الأنساب (١/ ٣١٠) إنها كانت يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وأسانيدهم ضعيفة.

(٣) من رواية خليفة بن خياط في تاريخه ص٩٧ بإسناد مجهول، وهو مرسل، والطبري في التفسير (٧/ ٣٩٩) بإسناد فيه حسين بن عبد الله، وهو ضعيف، وابن إسحاق في السيرة ص٣٢٤، بإسناد مركب مرسل، فيه الثقات والضعفاء، ورواية الطبري هي أصح ما في الباب، (نظر الدكتور العمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص٦٥.

(٤) انظر في هذا: ابن إسحاق في السيرة، ص٣٢٢، وابن إسحاق، ابن هشام (٣/ ٨٦ـ ٨٨)، بإسناد مرسل، فيه جمع من شيوخه، منهم الثقات ومنهم الضعفاء والواقدي (١/ ١٩٩)، وابن سعد (٢/ ٣٧) من رواية الواقدي.

(٥) قاله ابن إسحاق في السيرة، ص٣٢٢، وفي سيرة ابن هشام (٣/ ٨٧) بإسناد سبق الكلام عليه.

(٦) قاله الواقدي (١/ ٢٠٠).

أطاعها من كنانة وأهل تهامة، ومعهم مئتا فرس، وسبعمائة دارع. وجعلت على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وخرجت معهم مجموعة من النساء لإثارة حماسهم وخوفهم من العار إذا فروا. وذكر ابن إسحاق أنهن كن ثمانياً، وقال الواقدي: إنهن كن أربع عشرة، وقد سمَّيناهن[١]. وقال ابن سعد: إنهن كن خمس عشرة امرأة[٢].

وأُري الرسول ﷺ في منامه ما سيحدث في أحد، وذكره لأصحابه، قائلاً: «رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين، يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد كأحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت بقراً - والله خير - فإذا هم المؤمنون يوم أحد»[٣]. وفي رواية أخرى: «ورأيت أني في درع حصينة فأوَّلتها المدينة»[٤].

وفسر الرسول ﷺ هذه الرؤيا بأن هزيمة وقتلاً سيقعان في أصحابه[٥].

عندما علم الرسول ﷺ بمجيء جيش مكة لحرب المسلمين، شاور أصحابه، بين أن يبقوا داخل المدينة أو أن يخرجوا لملاقاة العدو خارجها. فقال جماعة من الأنصار: «يا نبي الله، إنا نكره أن نقتل في طريق المدينة، وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه، فابرز إلى القوم، فانطلق رسول الله ﷺ فلبس لأمته[٦]. فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل للنبي ﷺ: «أمرنا لأمرك تبع»، فأتى حمزة فقال: «يا نبي الله، إن القوم قد تلاوموا، فقالوا: أمرنا لأمرك تَبَع. فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمَتَهُ أن يضعها حتى يُناجِزه»[٧].

---

(١) انظر: ابن هشام (٣/ ٨٧) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد، والواقدي (١/ ٢٠١).

(٢) الطبقات (٢/ ٣٧).

(٣) رواه البخاري: الفتح (١٤/ ١٢٣ - ١٢٤، ح٣٦٤٢)، مسلم (٤/ ١٧٧٩ - ١٧٨٠، ح٢٢٧٢).

(٤) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٥٠) وصحح الساعاتي إسناده. وقال محققو الموسوعة (١٤٧٨٧): صحيح لغيره، وهذا إسناد على شرط مسلم.

(٥) أحمد: المصدر نفسه.

(٦) اللأمة: الدرع الحصينة وسائر أداة الحرب. وقد تترك الهمزة للتخفيف.

(٧) البيهقي: الدلائل (٣/ ٢٠٤) بإسناد حسن، والحاكم (٢/ ١٢٨، ١٢٩، ٢٩٦، ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

١ إن ما ذكره ابن إسحاق[١] وغيره من أن عبد الله بن أبي كان موافقاً لرأي رسول الله ﷺ في البقاء داخل المدينة، فقد روى الطبري[٢] في التفسير عن السدي خلاف ذلك، وهو أثر إسناده صحيح ورجاله ثقات ولكنه مرسل، وفيه من يَهِم ويكثر الخطأ، ولذلك رجح الباكري[٣] رواية ابن إسحاق لصحتها ولإجماع أهل السير على ذلك، وأن حجة ابن سلول في الرجوع عن أحد أن الرسول ﷺ لم يطعه.

ومما ذكره أهل السير أن من دوافع الراغبين في الخروج، إظهار الشجاعة أمام الأعداء والرغبة في المشاركة في الجهاد لما فاتهم من فضل الاشتراك في بدر.

أما دوافع الرسول ﷺ ومن كان على رأيه في البقاء داخل المدينة فهو الاستفادة من حصون المدينة وطاقات كل المواطنين، مما يرجح فرصة دحر المهاجمين[٤].

- وبعد أن حسم الرسول ﷺ أمر الخروج رفعت راية سوداء[٥] وثلاثة ألوية: لواء للمهاجرين، حمله مصعب بن عمير وحمله بعد استشهاده علي بن أبي طالب، ولواء للأوس حمله أسيد بن حضير، ولواء للخزرج، حمله الحباب بن المنذر[٦]. وبلغ عدد من سار تحتها ألفاً من المسلمين ومن ظاهرهم، وكان معهم فرسان ومائة دارع[٧]. وكان الرسول ﷺ يرتدي درعين[٨].

وعندما تجاوز الرسول ﷺ في مسيره إلى أحد ثنية الوداع رأى كتيبة خَشْنَاء [كثيرة السلاح]، فقال: «من هؤلاء؟ قالوا: هذا عبد الله بن أبي بن سلول في ستمئة من موالية من اليهود من أهل قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سَلَام. قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»[٩]. وإذا

---

(١) ابن هشام (٣/ ٩١).

(٢) تفسيره (٧/ ١٦٢)، والتاريخ (٣/ ١١).

(٣) مرويات غزوة أحد: ص٦٢.

(٤) انظر: ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٩١ ـ ٩٢)، الواقدي (١/ ٢٠٩ ـ ٢١١)، ابن سعد (٢/ ٣٨).

(٥) تاريخ ابن خياط: ص٦٧، بإسناد حسن إلى سعيد بن المسيب، مرسلاً، ومراسيله قوية.

(٦) الواقدي (١/ ٢١٥)، ولم ترد رواية صالحة للاحتجاج بها في أمر الألوية.

(٧) الطبقات (٣/ ٣٩)، وتاريخ الطبري (٣/ ٥٠٤).

(٨) من حديث رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥)، وصححه ووافقه الذهبي، الواقدي (١/ ٢١٩).

(٩) ابن سعد: (٢/ ٤٨) بإسناد فيه مقال، ولكنه يتقوى بالشواهد والمتابعات.

صح هذا الخبر يكون جلاء قينقاع بعد أحد. وعندما وصل جيش المسلمين الشَّوْط[١]، انسحب المنافق ابن سلول بثلاثمئة من المنافقين، بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضاً على قرار القتال خارج المدينة، قائلاً: «أطاع الوِلْدَان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، عَلَامَ نَقْتُلُ أنفسنا»[٢].

ورأت فرقة من الصحابة قتال هؤلاء المنافقين، ورأت الفرقة الأخرى عدم ذلك، فنزلت الآية الكريمة: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨][٣].

واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام عند انسحابهم، وأخذ يقول لهم: «أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه، وقد أشار القرآن إلى هذا الحوار في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧][٤].

وكادت بنو سَلِمَة - من الخزرج - وبنو حَارِثة - من الأوس - أن تنخذل مع المنافقين لولا أن الله ثبتهم مع المؤمنين، وفيهم قال الله ﷻ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا...﴾ [آل عمران: ١٢٢][٥].

---

(١) هو مكان ملعب التعليم بالمدينة الآن. قاله العياشي في: «المدينة بين الماضي والحاضر»، ص٣٦٩، والبلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٧٠. وعند الواقدي أن مكان الانسحاب كان عند منطقة الشيخين، قريباً من أحد، المغازي (١/ ٢١٩).

(٢) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٩٢)، الواقدي (١/ ٢١٩)، ابن سعد (٢/ ٣٩)، البيهقي: دلائل النبوة (٣/ ٢٠٨) من رواية موسى بن عقبة مرسلاً. وروى البخاري وغيره أنه: «لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد، رجع ناس ممن خرج معه...»، انظر: البخاري: الفتح (١٥/ ٣٣٢، ح٤٠٥٠)، والباكري، ص٧١.

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٣٣٢، ح٤٠٥٠). وأركسهم: أي بددهم.

(٤) رواه ابن إسحاق مرسلاً: ابن هشام (٣/ ٩٣).

(٥) روى ذلك البخاري، الفتح (٥/ ٣٣٣، ح٤٠٥١)، ومسلم (٤/ ١٩٤٨، ح٢٥٠٥).

ورد الرسول ﷺ في معسكره بالشيخين جماعة من الفتيان لصغر أسنانهم، إذ كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك، منهم: عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب وأُسَيْد بن ظُهَيْر وعُرَابَة بن أَوْس وأبو سعيد الخُدْرِيّ، .. بلغ عددهم أربعة عشر صبياً، وقد ذكرهم ابن سيد الناس[١]. وقد ثبت أن ابن عمر كان منهم[٢]، وأجاز منهم رافع بن خَديج لما قيل له إنه رام، وسَمُرَة بن جُنْدُب، لأنه احتج بأنه أقوى من رافع ويصرعه[٣]. وفي تلك الليلة قام ذكوان بن عبد القيس بحراسة الجيش، ويقال كان يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه[٤].

وعندما تحرك الجيش في صباح السبت لملاقاة العدو، مروا بحائط مِرْبَع بن قَيْظي، وكان أعمى البصر منافقاً، فأخذ يحثو التراب في وجوه المسلمين، ويقول: «إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر»، وقد شجه سعد بن زيد قبل هذا النهي[٥].

وفي الطريق إلى ميدان المعركة طلب عمر من أخيه زيد أن يأخذ درعه، فقال له زيد: «إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد»، فتركه كلاهما[٦].

وعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول ﷺ ظهورهم إلى الجبل ووجوههم إلى المدينة. وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جُبَيْر، ووضعهم فوق تل عَيْنَيْن المقابل جبل أحد، خشية أن يطوق المشركون المسلمين. وأصدر أوامره إليهم قائلاً: «إنْ رَأَيْتُمُونا تَخْطَفُنَا الطيرُ فلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هذا، حتى

---

(١) عيون الأثر (٢/ ٧)، وانظرهم عند: الواقدي (١/ ٢١٦)، وابن هشام (٣/ ٩٦) دون إسناد.

(٢) رواه البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧٦، ح٤٠٩٧)، ومسلم (٣/ ١٤٩٠، ح١٨٦٨).

(٣) ابن هشام (٣/ ٩٦) بدون إسناد.

(٤) الواقدي (١/ ٢١٧)، بدون إسناد: وانظر قصته هنا.

(٥) ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (٣/ ٩٤)، الواقدي (١/ ٢١٨).

(٦) رواه الطبراني كما في المجمع (٥/ ٢٩٨) وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح»، وخرّجه الباكري، ص٩٣ وصححه.

أُرْسِلَ إليكم»[١]. وبذلك سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أُحُداً وظهره إلى المدينة.

وعند التحام الجيشين نادى أبو عامر - عبد عمرو بن صَيفي[٢] - قومه من الأوس ليتضموا معه للحرب في صفوف المشركين، الذين انضم إليهم في مكة، وحرضهم على الغزو، ولكنهم أغلظوا له في الرد قائلين له: «فَلا أَنْعَمَ اللهُ بك عَيْناً يا فاسق»، ولم يملك أن قال: «لقد أصاب قومي بعدي شر». وأخذ في قتالهم بالحجارة[٣].

وبدأ القتال بمبارزة بين علي وطَلْحَة بن عثمان، حامل لواء المشركين، فقتل علي طلحة[٤]. ثم التحم الجيشان واشتد القتال، واستبسل المسلمون حتى تمكنوا من دحر المشركين إلى معسكرهم، وأخذ الرسول ﷺ في زيادة رفع روحهم المعنوية بأن أخذ سيفاً وقال: «من يأخذ مني هذا؟ فَبَسَطُوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا. قال: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال أبو دُجَانَة: - سِمَاك بن خَرَشَة - وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه بحقه، فأخذه بحقه. فأخذه فَفَلَقَ به هَامَ المشركين[٥].

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/ ١٣٢، ح٣٠٣٩) و(١٥/ ٢٢٤ - ٢٢٥، ح٤٠٤٣)، وعنه أحمد والحاكم: «احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا»، المسند (٤/ ٢٠٩، شاكر)، وصحح إسناده. وقال محققو الموسوعة (٢٦٠٩) إنه مرسل صحيح.

(٢) كان من الأوس، خرج من المدينة إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ومعه جماعة من غلمان الأوس، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، وكان يعرف بـ«الراهب» فسماه النبي ﷺ «الفاسق». ومن مكائده يوم أحد حفر الحفر ليقع فيها المسلمون، فكان ممن وقع في أحدها الرسول ﷺ وطلحة. روى هذا ابن جرير عن قتادة كما قال الشامي في السبل (٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).
انظر تفاصيل قصته في: السبل (٤/ ٢٩٥)، والطبري: التاريخ (٢/ ٥١١ ـ ٥١٢). وفي الروايات أنه جاء مع جيش مكة على رأس خمسين غلاماً من قومه الأوس وجيشان مكة.

(٣) ابن إسحاق، مرسلاً، ابن هشام (٣/ ٩٧ ـ ٩٨)، الواقدي (١/ ٢٢٣)، ابن سعد (٢/ ٤٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨١) بإسناد صحيح ولكنه من مراسيل السدي.

(٥) مسلم (٤/ ١٩١٧، ح٢٤٧٠)، أحمد: المسند (٣/ ١٢٣)، والحاكم (٣/ ٢٣٠)، وصححه ووافقه الذهبي ولكن لم يوافقهما الباكري ص١٠٨ وعد ذلك من أوهامهما، لأن عبيد الله مجهول، وابن سعد (٣/ ٥٥٦)، وابن إسحاق، ابن هشام (٣/ ٩٧)، من دون إسناد، وفيه قوله: ... وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها، علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد الرسول ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه وجعل يتبختر -

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أمِتْ، أمِتْ[١]، فقد استماتوا تحت هذا الشعار، وسجل التاريخ استماتة حمزة وبسالته في القتال. فقد تصدى في المبارزة لسِبَاع بن عبد العزى - فقتله[٢]، ولغيره من عتاة المشركين[٣] أمثال عثمان بن أبي طلحة، أبي شيبة، أحد حملة لواء المشركين يومذاك.

وكان وَحْشِيٌ، مولى جُبَيْر بن مُطْعِم، قد اشترط عليه مولاه أن يعتقه إن هو قتل حمزة، ثأراً لعمه طُعَيْمَة بن عدي، الذي قتله حمزة يوم بدر. فكمن لحمزة تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فقتله غَدْراً[٤].

روى الواقدي[٥] أن وحشياً عندما أيقن بموت حمزة تذكر هنداً وما لقيت على أبيها وعمها وأخيها حين مصرعهم يوم بدر، ذهب خلسة إلى جثة حمزة فأخرج كبده وجاء بها إلى هند ليدلل على قتل حمزة: فمضغتها ثم لفظتها، ونزعت ثيابها وحليها

= بين الصفين، وحين رآه الرسول ﷺ قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذه المواطن»، وفي رواية الحاكم الضعيفة أن أبا دجانة قاتل به حتى انتهى إلى الجبل فوجد نسوة، إحداهن تقول: «نحن بنات طارق.. نمشي على النمارق». أهوى إليها بالسيف ليقتلها، ثم تركها إكراماً لسيف رسول الله ﷺ أن يقتل به امرأة. وذكر أهل السير بأسانيد ضعيفة أنه عندما خرج متبختراً، كان يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم للدهر في الكُبول ... أضرب بسيف الله والرسول

(١) المستدرك (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وصححه وسكت عنه الذهبي، أبو داود (٣/ ٧٤/ ك. الجهاد/ب. الرجل ينادي)، مسند أحمد (٤/ ٤٦)، الدارمي: السنن (٢/ ٢١٩)، مختصراً، ابن هشام (٣/ ٩٩)، بدون إسناد، الواقدي (١/ ٢٣٤)، قال محققا سيرة ابن هشام: «سند أحمد وأبي داود والحاكم صحيح رغم وجود عكرمة، لكن حديثه عن إياس صالح، ويشهد له حديث أبي العميس عن إياس عند الحاكم، وقال: على شرط مسلم، وعند الدارمي. وبه يكون الحديث صحيحاً».

(٢) ذكره البخاري في حديث وحشي الطويل عن قتل حمزة، الفتح (١٥/ ٢٤٧، ٤٠٧٢)، والواقدي (١/ ٢٠٨).

(٣) انظر: الواقدي (١/ ٣٠٧).

(٤) من حديث وحشي الطويل في قتل حمزة عند البخاري: الفتح (١٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩، ح٤٠٧٢)، وروى القصة كذلك: أحمد في مسنده: الفتح الرباني (٢١/ ٥٩ ـ ٦٠)، وابن إسحاق بسند البخاري وحديثه: ابن هشام (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٥). ولهنيه من يعتمد الضعيف.

(٥) المغازي (١/ ٢٨٩)، وانظر في مكانه، من هذا الفصل.

فأعطتها وَحْشِيًّا، ووعدته بدنانير حين الرجوع إلى مكة، وأراها جثته، فقطعت مذاكيره، وجدعت أنفه وأذنيه، وجعلت منها أسورة وخلاخل.

وقاتل مُصْعَب بن عُمَيْر حتى استشهد، وأخذ الراية بعده علي[١]. وصدق المسلمون في اللقاء، فأوقعوا في المشركين القتل، وقتلوا أصحاب اللواء، حتى تركه المشركون وما يدنو منه أحد منهم[٢]. وانتصروا عليهم في هذه الجولة الأولى من القتال، وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢][٣].

وعندما انهزم المشركون بنسائهم - وقد بدت سوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن - قال أصحاب ابن جبير: «الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة» ثم هرعوا إلى جمع الغنائم.

وكانت هذه فرصة مواتية لابن الوليد ليلتف حول المسلمين، فيراه المشركون فيعودوا إلى ميدان القتال مرة أخرى[٤] محيطين بالمسلمين. وارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يقدر أن يميز بعضهم المسلم من الكافر. وفي هذه اللحظات قتل المسلمون اليمان - والد حذيفة - وابنه حذيفة يصرخ فيهم: «أي عباد الله، أبي، ثم قال لهم عندما قتلوه: يغفر الله لكم»[٥]. واستشهد من المسلمين جماعة كثيرة، وغاب الرسول ﷺ عن أعينهم، وشاع أنه قد قتل[٦].

---

(١) ابن خياط في التاريخ، ص٦٧ من مرسل ابن المسيب، وهي قوية.

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ١١٢).

(٣) البخاري، الفتح (١٥/ ٢٢٥، ح٣٧٤٣). والحس: القتل.

(٤) من رواية مرسلة للسدي، ذكرها الطبري في التفسير (٧/ ٢٨١ - ٢٨٢، ح٨٠٢٤، شاكر). ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ١١٢) ولم يذكر أن الذي التف هو خالد بالذات.

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٣٩ - ٢٤٠، ح٤٠٦٥) ورواه الحاكم (٣/ ٢٠٢)، وصححه وأقره الذهبي، ومسند أحمد (٤/ ٢٠٩ - ٢١١، شاكر) وصحح شاكر إسناده وخبر اليمان وتخلفه أولاً مع الذرية في الحصون ثم لحاقه بالرسول ﷺ ثم مقتله، رواه ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ١٢٧ - ١٢٨).

(٦) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/ ٢٣٦)، وعزاه إلى الطبري من رواية السدي. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ١١٢)، ورواه من طريقه آخرون.

وفر جمع من المسلمين من الميدان. وجلس بعضهم دون قتال[١]، وتصدى آخرون للمشركين، وحرضوا المؤمنين على القتال حتى نالوا الشهادة. ومن هؤلاء أنس بن النضر، الذي كان يتشوق لتعويض ما فاته من فضل بدر. فقال عندما رأى بعض المسلمين قُعُوداً: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس». وعندما انجلت الغمة وجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة، ولم يعرفه أحد إلا أخته الرُّبَيِّع، عرفته ببنانه. ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣][٢].

وكان الفارُّون لا يلوون على شيء على الرغم من دعوة الرسول ﷺ لهم بالثبات معه. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وقد عفا الله عن الذين فروا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥][٣]. وذكر ابن الجوزي[٤] أن أحد سببي فرارهم هو سماعهم إشاعة مقتل النبي ﷺ.

وكان أول من علم بأن الرسول ﷺ حي بعد الانتكاسة، هو كعب بن مالك،

---

(١) انظر: ابن إسحاق بإسناد صحيح مرسل: ابن هشام (٣/ ١٢٠)، والواقدي (١/ ٢٨٠)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥١٧)، وتفسير الطبري (٧/ ٢٥٦).

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ٢٨٣، ح٢٨٠٥)؛ مسلم (١٩٠٣)؛ ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٠)، مختصراً، من طريقين، أحدهما مقبول والآخر ضعيف، يشهد له رواية الشيخين وغيرهما. وعن سبب النزول، انظر: الحاكم (٣/ ٢١٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) وذكر محققو زاد المسير (١/ ٤٨٣) أن الإمام أحمد وأبا يعلى والطبري والبزار، رووا بإسناد حسن حديثاً في أن الآية نزلت في الذين فروا يوم أحد.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٨٣).

فنادى مبشراً بذلك، فأسكته الرسول ﷺ حتى لا ينتبه المشركون له[١].

وتمكن بعض المشركين من الوصول إلى الرسول ﷺ وقد أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: «من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم الواحد تلو الآخر للدفاع عنه حتى استشهد الأنصار السبعة، فقال النبي ﷺ لصاحبيه القرشيين: «ما أنصفنا أصحابنا»[٢].

وممن قاتل دون الرسول ﷺ قتالاً عظيماً سجله التاريخ: طلحة بن عُبَيْدِ الله، حتى شلت يده التي وقى بها النبي ﷺ[٣]، وسعد بن أبي وقاص، الذي كان الرسول ﷺ يناوله السهام ويقول له: «يا سعد، إرْمِ فِدَاكَ أبي وأمي»[٤]، ولم يجمع النبي ﷺ أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك بن أبي وقاص كما قال علي ﷺ[٥]، وكما قال هو عن نفسه[٦]، وأبو طلحة الأنصاري، أمهر الرماة، والذي كان الرسول ﷺ إذا مر به أحد بجعبته نبل يقول له: «انثرها لأبي طلحة»، وعندما يُشْرِفُ النبي ﷺ على القوم يقول له أبو طلحة: «بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»[٧]، وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ معجباً به: «لصوتُ أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة»[٨]، وأبو دُجَانَة الذي كان يحمي

---

(١) من حديث رواه الحاكم (٣/ ٢٠١)، وصححه وأقره الذهبي، وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٤٨٢) بإسناد متصل حسن من حديث ابن إسحاق.

(٢) مسلم (٣/ ١٤١٥: ح١٧٨٩). وانظر قتاله ﷺ في السير (٤/ ٢٩٣)، بسند حسن.

(٣) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٢٩، ح٣٧٢٤)، وهو الذي جلس تحت الرسول ﷺ ليرفعه على صخرة من الجبل حين حصرهم الكفار في شعب أحد، فقال له الرسول ﷺ: «أوجب طلحة»: أي وجبت له الجنة. رواه ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٦٦)، وقال عنه الرسول ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٢): «رواه الأصبهاني بإسناد صحيح لشواهده...».

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ح٤٠٥٧).

(٥) المصدر والمكان نفساهما.

(٦) المصدر نفسه (١٥/ ٢٣٥، ح٤٠٥٧)، و(١٤/ ٢٣٠، ح٣٧٢٥).

(٧) المصدر نفسه (١٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ح٤٠٥٧).

(٨) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ٥٨٩) بإسناد رجاله ثقات. وانظر: الواقدي (١/ ٢٤٣) ولفظه: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلاً».

الرسول ﷺ بظهره، حتى كثر النبل فيه وهو مُنْحَنٍ عليه[١].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت طرفها فأخذها قَتَادَة بن النعمان، فكانت عنده.

وأصيبت يومئذٍ عين قتادة حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما[٢].

وفي هذه الظروف العصيبة اضطرت أم عُمَارَة - نَسِيبَة بنت كعب المَازِنِية - أن تدافع عن الرسول ﷺ، حتى جرحها ابن قَمِئَة جرحاً أجوف له غور على عاتقها[٣].

وقاوم الرسول ﷺ مقاومة شديدة، فأصيب إصابات كثيرة، فكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وشُجَّ في وجهه، وسال دمه، فجعل يمسحه ويقول: «كيف يُفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام»؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨][٤]. فقال رسول الله ﷺ لما طمع في إسلامهم: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٥]. وفي روايات عند البخاري[٦]: أن الرسول ﷺ كسر رباعيته يومئذٍ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه.

وقال ﷺ عندما فعل به المشركون ذلك: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا

---

(١) ابن إسحاق، بدون إسناد، ابن هشام (٣/ ١١٨ - ١١٩).

(٢) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ١١٩)، والحاكم (٣/ ٢٩٥)، وسكت عنه الذهبي: والهيثمي في المجمع (٦/ ١١٣)، وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه»، والواقدي (١/ ٢٤٢)، وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٢١٧): «وأخرجه الدارقطني وابن شاهين من طريق... عن قتادة، والدارقطني والبيهقي في الدلائل من طريق... عن قتادة». وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٩٥)، من طريق فيه عبد العزيز بن عمران، وهو متروك، انظر: دلائل البيهقي (٣/ ٢٥١ - ٢٥٣)، والباكري، ص٢٢٣ - ٢٢٧، والخلاصة أن هذا الخبر لم يرد بإسناد يحتج به منفرداً، ولكن بمجموع طرقه يدل على أن للقصة أصلاً، وساق محقق سيرة الرسول ﷺ، سيد بن عباس الجليمي، ص١٦٣ - ١٦٥، جميع الطرق، وختم دراسته قائلاً: «وجملة القول إن بعض طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضاً ويكون الحديث بها حسناً، أو أعلى، وأكثر الطرق لا يصلح للاعتبار، وفي بعضها اضطراب».

(٣) ابن هشام، بإسناد منقطع، (٣/ ١١٨)، والواقدي (١/ ٢٦٨ - ٢٦٩).

(٤) مسلم (٣/ ١٤١٧، ح١٧٩١).

(٥) مسلم (٣/ ١٤١٧، ح١٧٩١).

(٦) الفتح (١٥/ ٢٥٢، ح٤٠٧٣ - ٤٠٧٥).

بنبيه، - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله»، وفي رواية: «اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله»، وفي رواية: «اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم دَمُوا وجه نبي الله ﷺ»[1]. وكانت فاطمة ابنته تغسل دماءه وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير، وأحرقتها وألصقتها، فاستمسك الدم[2].

وقد ظهرت بطولات إيمانية كثيرة في هذه الغزوة، ومن ذلك:

قال رجل للنبي ﷺ: «أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة». فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى نال الشهادة[3].

وقال عبد الله بن جحش، قبل المعركة: «إني أقسم أن نلقى العدو، فإذا لقينا العدو، أن يقتلوني ثم يبقروا بطني، ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك سألتني: فيم هذا؟ فأقول: فيك»، وعندما لقي العدو، وفعل بهم ما فعل، وجدوه بالحالة التي وصفها[4].

وشهد عمرو بن الجَمُوح القتال مع أبنائه الأربعة، على الرغم من محاولتهم إثناءه عن الخروج بحجة أن الله يعذره لشدة عَرَجِه، وطلب منهم الرسول ﷺ أن يَدَعُوه ما دام راغباً في الشهادة، ومما قاله للرسول ﷺ: «أرأيت إن قتلت اليوم أأطأ بعرجتي هذه الجنة؟ قال نعم. قال: فوالذي بعثك بالحق لأَطَأَنَّ بها الجنة اليوم إن شاء الله. ثم قاتل حتى نال ما أراد من الشهادة[5].

---

(١) ذكر ابن إسحاق بدون إسناد، ابن هشام (٣/ ١٢٤) طرفاً من هذه الرواية، ولفظه: «اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه».

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢، ح٤٠٧٥).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٣٠، ح٤٠٤٦).

(٤) رواه الحاكم (٣/ ١٩٩) من مرسل سعيد بن المسيب، وقال: وهذا حديث على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: «مرسل صحيح».

(٥) ابن المبارك: كتاب الجهاد، ص٦٩، من مرسل عكرمة. وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٩) مختصراً من طريق ابن إسحاق ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة كما في المجمع (٩/ ٣١٥)، ويكون الحديث صحيحاً من طريق أحمد.

وروى أهل المغازي والسير[١] أن رسول الله ﷺ قال عن سعد بن الربيع: «من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟ فإني قد رأيته - وأشار بيده إلى ناحية من الوادي - وقد شُرع فيه اثنا عشر سناناً، قال: فخرج محمد بن مسلمة - ويقال أبي بن كعب - فخرج نحو تلك الناحية، قال: وأنا وسط القتلى أتعرفهم، إذ مررت به صريعاً في الوادي، فناديته فلم يُجب، ثم قلت: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك! فتنفس كما يتنفس الكير، ثم قال: وإن رسول الله لحيٌّ؟ قال: قلت: نعم، وقد أخبرنا أنه شرع لك اثنا عشر سناناً. قال: طُعنت اثنتي عشرة طعنة، كلها أجافتني - أي وصلت إلى جوفه -؛ أبلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم: الله، الله! وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة! والله ما لكم عذرٌ عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ومنكم عين تطرف! ولم أرِم من عنده حتى مات. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته. قال: فرأيت رسول الله ﷺ استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: «اللهم الْقَ سعد بن الربيع وأنت عنه راض!».

هذا نص رواية الواقدي، أما رواية ابن إسحاق فقد أبهم من أرسله الرسول ﷺ لينظر له ما فعل سعد، ولفظه: «... من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق. فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات؛ قال: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره».

وعلى الرغم من أن الله قد عذر الشيوخ الضعفاء إلا أن اليَمَان وثابت بن وَقْش أبيا البقاء مع الذرية في الحصون، فلحقا بالميدان طلباً للشهادة، وقد استشهد ثابت على يد الكفار، وقتل المسلمون اليمان خطأً، وَوَدَاهُ الرسول ﷺ، ولكن ابنه حذيفة تصدق بدية أبيه، مما زاده عند الرسول ﷺ خيراً[٢].

---

(١) ابن إسحاق، كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٣٧)، وسنده منقطع؛ الحاكم (٣/ ٢٠١)، من طريق ابن إسحاق، وصححه ووافقه الذهبي؛ الواقدي: المغازي (١/ ٢٩٢ - ٢٩٣)، بدون إسناد.

(٢) ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ١٢٧).

وكان حَنْظَلَة بن أبي عامر عَرُوساً ليلة أحد، فعندما سمع النداء، عجل بالخروج ولم يغتسل، وقاتل حتى استُشهد. وعندما رآه الرسول ﷺ قال: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة»، ولذا عرف بعد ذلك بـ: «غَسِيلُ الملائكة» أو «الغسيل»[١].

وقاتل مُخَيْرِيق مع رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان مثالاً وقدوة حسنة لليهود الذين أسلموا. وحين خرج إلى المعركة قال: «إن أصبت فمالي لمحمد ﷺ، يصنع فيه ما يشاء»[٢]. فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق خير يهود»[٣].

وكان أُصَيْرِم بني عبد الأشهل - عمرو بن أُقَيْش - كارهاً للإسلام حتى كان يوم أحد، أسلم ولحق بالمسلمين في أحد، فقاتل حتى نال الشهادة، وما صلَّى لله صلاة واحدة[٤].

وإن كان قد فات حسان بن ثابت ﷺ شرف الجهاد بالسيف في هذه الغزوة وغيرها، إلا أنه لم يفته شرف الكلمة القوية في تخليد ذكرى بطولات المسلمين في هذه الغزوة وغيرها.

لقد كان حسان من أصحاب الأعذار. فقد ذكر الكلبي[٥] أن الجبن لم يكن من عادة حسان، بل كان شجاعاً لَبِيباً، فأصابته علة منعته من شهود القتال. وأوضح الواقدي[٦] هذه العلة، وهي: أن أكحله [عرق في اليد] كان قد قطع، فلم يكن يستطيع الضرب بيد. وهذا يفسر لنا الروايات التي وردت في تخلفه عن القتال، مثل رواية الطبراني[٧] التي فيها أنه كان مع النرية في حصن فارع يوم أحد، فجاء يهودي

---

(١) ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ١٠٧ - ١٠٨)، ووصله الحاكم (٣/ ٢٠٤)، وصححه ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في الصحيحة (٤/ ٣٦، ح٣٢٦).

(٢) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ١٢٩).

(٣) رواه ابن إسحاق بلاغاً: ابن هشام (٣/ ١٣١)، وابن سعد (١/ ٥٠١) من طريق الواقدي، والواقدي (١/ ٢٦٣)، قال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٩٢): «.. نضري. ذكر الواقدي أنه مسلم..».

(٤) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ١٣١).

(٥) نقله عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ١٤٠).

(٦) نقله عنه الأصفهاني في أغانيه (٤/ ١٦).

(٧) الهيثمي: المجمع (٦/ ١١٤)، وفي سنده جعفر بن الزبير وهو متروك كذاب وضاع يروي المناكير. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٦)، ورواه الطبراني أيضاً عن شرحبيل بإسناد مرسل (المجمع ٦/ ١٣٥). ورواه أبو يعلى في مسنده (١/ ٨٤) ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣٤) وضعف إسناده، =

وأخذ يطل على الحصن، فطلبت صفية بنت عبد المطلب من حسان أن يقوم إليه فيقتله، فقال: «ما ذاك فيَّ ولو كان لكنت مع رسول الله ﷺ»، فقتلته صفية وطلبت من حسان أن يرمي برأسه إلى اليهود أسفل الحصن، فاعتذر أيضاً، فرمته إليهم، فتفرقوا لأنهم ظنوا أن بالحصن رجالاً محاربين.

وذكر البلاذري[١] واليعقوبي[٢] كذلك أن القصة كانت يوم أحد. والذي ذكره ابن إسحاق[٣] وغيره أنها كانت يوم الخندق.

ولم تأت قصة حسان مع صفية بطريق يحتج بها، ومما يجعلنا نقبل رواية الواقدي والكلبي - على ما بهما من علل - لأننا نعلم أن حساناً كان يهاجي الشعراء في الجاهلية والإسلام، ولم يرمه أحد منهم بجبن، ولو كان مثل حديث الطبراني صحيحاً لكان مما يذكر في الشعر ويذم به كما ذم هو غير واحد، وهجاه بالفرار من القتال والجبن، إضافة إلى أن عدم شهود حسان القتال كان لكبر سنه كما ذكر محققا سيرة ابن هشام[٤]. وزاد ابن عبد البر[٥] ما قيل في تفسير تخلف حسان عن المواقع، فقال: «... وَلَهُجِيَ بذلك ابنه عبد الرحمن، فإنه كان كثيراً ما يهاجي الشعراء العرب مثل النجاشي وغيره».

قلت: ولو كان الجبن من طبع حسان لما عاب الجبن في الرجال، كما في قوله:

وإنا لقوم ما نُسَوِّدُ غادراً ... ولا نَاكِلاً عند الحمالة زُمَّلاً
ولا مانعاً للمال فيما يَنُوبُه ... ولا عاجزاً في الحرب جِبْناً مغفلاً
وأصيد نَهَّاضاً إلى السيف صارماً ... إذا ما دعا داعٍ إلى الموت أرقلا[٦]

وصحح الزرقاني في المواهب (٢/ ١١) إسناده على الرغم من أن فيه جعفر بن الزبير.
ورواه البزار في الكشف (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٣٤) وضعف الهيثمي إسناده.

(١) أنساب الأشراف (١/ ٣٢٤).

(٢) تاريخه (٢/ ٤٨).

(٣) ابن هشام (٣/ ٣١٧ ـ ٣١٩)، بإسناد منقطع

(٤) انظر في هذا كلامهما وكلام الخشني عند ابن هشام (٣/ ٣١٨)، وكلام السهيلي في روضه (٣/ ٢٨١)، والباكري في رسالته: مرويات غزوة أحد، ص٢٦٠ ـ ٢٦٤.

(٥) الدرر، ص١٨٦.

(٦) انظر: شرح ديوان حسان، لعبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، =

ومعظم أبيات هذه القصيدة اللامية في الفخر بالشجاعة، فانظرها. بل لا تخلو قصيدة من قصائده في الفخر والهجاء من هذه المعاني، فانظر ديوانه كله.

وممن قاتل يوم أحد، وليس بنية الجهاد في سبيل الله، ولكن بنية حماية الأحساب، فكان من أهل النار: قُزْمَان، الذي قتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان الرسول ﷺ إذا ذكر له يقول: «إنه لمن أهل النار»، ولما كان يوم أحد قتل نفسه عندما أثخنته الجراح[1]. وكان هذا من دلائل نبوة محمد ﷺ ودليل على أن النية في الجهاد هي الأساس.

لقد رافقت بعض النسوة جيش المسلمين ليسقين العطشى، ذكر منهن أم عمارة[2]، وحَمْنَة بنت جَحْش الأسدية[3] وأم سُلَيْط[4]، وأم سُلَيْم، وعائشة أم

= ص٤٠٣ ـ ٤٠٦. والثاكل عند الحمالة: الذي ينكص على عقبيه عند تحمل الديات. والزمل: الضعيف الجبان الرذل. والجبس: الثقيل الذي لا يجيب إلى خير. وأصيد: من معانيها اصطياد الأقران في الحرب. وأرقل: أسرع.

(١) روى قصته ابن إسحاق بإسناد منقطع، ابن هشام (٣/ ١٢٩)، ووصله أبو يعلى من طريق أخرى بإسناد صحيح كما ذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٦)، ولكن لم يسم الرجل، وفيه أن النية هي الأساس. ورواه البخاري: الفتح (١٦/ ٤٨ ـ ٤٩، ح٤٢٠٢) ولم يسم الرجل في الطريقين، وفي الطريق الأولى لم يسم حتى الغزوة، وفي الثاني ذكر أنها خيبر، ورواها مسلم من طريقين (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦، ح١١١) في الطريق الأولى أن الغزوة هي حنين، وفي الثانية أبهم الغزوة، وفي الطريقين لم يسم الرجل. ورواه أحمد في المسند (٤/ ١٣٥)، وفيه أنها غزوة خيبر، ورواه الواقدي (١/ ٢٦٣) ووافق ابن إسحاق بأن اسم الرجل: قزمان، ونرى مع الباكري ص٢٤٩ أنه لا خلاف بين الروايات وأن الجمع ممكن بتعدد القصة، والله أعلم.

(٢) روى ابن هشام قصتها يوم أحد بإسناد منقطع (٣/ ١١٨) والواقدي (١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٩٢). وقد ورد بطرق ضعيفة ما يفهم من أنها لم تشهد المعركة، وأنها عندما لقيت الناس وهم رجوع من المعركة نعي إليها أخوها عبد الله وخالها حمزة فاسترجعت واستغفرت لهما، وعندما نعي إليها زوجها مصعب، صاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ: «إن زوج المرأة منها لبمكان!» لما رأى من ثباتها عند خبر إصابة أخيها وخالها وصياحها على زوجها. رواه ابن إسحاق دون إسناد، ابن هشام (٣/ ١٤٤)، وابن ماجه (١/ ٥٠٧/ ك. الجنائز/ب. ما جاء في البكاء على الميت) وفي إسناده عبد الله الحميري، وهو ضعيف. وهو في ضعيف سنن ابن ماجه للألباني، برقم ٣٤٧. وحمنة هي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٤٥، ح٤٠٧١) وفيه أنها كانت تزفر القرب يوم أحد. وهي والدة أبي سعيد الخدري. كانت زوجاً لأبي سليط فمات عنها قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت =

المؤمنين[١].

وروى مسلم[٢] أن رسول الله ﷺ كان يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى.

وقد أرسل الله تعالى جبريل وميكائيل ليقاتلا دفاعاً عن الرسول ﷺ[٣].

وكان الله قد وعد المؤمنين إن هم صبروا واتقوا وأتوا الأعداء من فورهم، فسيمدهم بالملائكة، ولما لم يحصل ذلك منهم فلم يتحقق الوعد[٤]، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥][٥].

وأنزل الله تعالى النعاس على طائفة المؤمنين الذين اغتموا بما وقع للرسول ﷺ وإخوانهم يوم أحد فناموا يسيراً ثم أفاقوا وقد قذف الله في قلوبهم الطمأنينة، التي أعادت لهم بعض نشاطهم ليواصلوا الدفاع عن نبيهم. وكان أبو طلحة الأنصاري فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفه من يده مراراً فيأخذه[٦]. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ...﴾، أما طائفة المنافقين، سواء التي انسحبت مع ابن سلول أو فلولهم التي سارت مع المؤمنين فقد قال الله عنهم في الآية نفسها: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا

= له أبا سعيد. قاله ابن حجر في شرح حديث الباب وانظر: البخاري: الفتح (١٢/ ٣١ ـ ٣٢، ح٢٨٨٠ ـ ٢٨٨٣).

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، ح٤٠٦٤)، ورواه كذلك في كتاب الجهاد ورقمه ٢٨٨٠، ومسلم (٣/ ١٤٤٣، ح١٨١١) وفيه أنهما كانتا تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم.

(٢) صحيحه (٣/ ١٤٤٣، ح١٨١٠).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ح٤٠٥٤)، ولم يسم الملكين، بل قال: رجلين.. وسماهما مسلم في روايته (٤/ ١٨٠٢، ح٢٣٠٦).

(٤) انظر عرجون: محمد رسول الله ﷺ (٣/ ٣٩٥، وما بعدها).

(٥) انظر: تفسير الآية عند الطبري (٧/ ١٣٧ ـ ١٩٠) والراجح عند الطبراني وغيره هو ما ذكرناه.

(٦) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٤٢، ح٤٠٦٨).

﴿هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٥٤][(١)].

لقد حاول المشركون جهد طاقتهم قتل الرسول ﷺ ولكن الله عصمه منهم. فقد روي أن أبي بن خلف كان يتوعد الرسول ﷺ بمكة بأنه سيقتله يوماً ما، فيقول الرسول ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»[(٢)]، فلما كان يوم أحد لحق بالنبي ﷺ في الشعب وهو يقول: «أي محمد، لا نجوت إن نجوت، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمّة، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة مال منها على فرسه مراراً[(٣)]، ورجع إلى قريش وبه خدش غير كبير، فاحتقن الدم، فقال: «قتلني والله محمد!»، وطمأنه قومه بأن ليس به بأس، فقال لهم ما قال له محمد ﷺ بمكة، ثم قال: «فوالله لو بصق علي لقتلني». فمات عدو الله بسَرِف، وهم قافلون به إلى مكة[(٤)]. وهذا من علامات ودلائل نبوة محمد ﷺ.

وعندما صمد المسلمون واستماتوا دفاعاً عن النبي ﷺ فشل المشركون في محاولات الاختراق إليه، وأعيتهم المجالدة، ولم يملك أبو سفيان إلا أن يتوعد المسلمين بحرب أخرى في العام القادم، فوافق الرسول ﷺ على ذلك[(٥)]. وقد ثبت أن أبا سفيان أشرف على المسلمين وقال: «أفي القوم محمد؟ فقال ﷺ: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يحزنك، قال أبو سفيان: اعلُ هبل، فقال النبي ﷺ:

---

(١) وانظر تفسير الآية وما ورد فيها من آثار صحيحة عند الطبري في تفسيره (٧/ ٣١٥ ـ ٣٢٣)، وابن حجر في شرح حديث الباب، وابن كثير في تفسيره (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٦).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ١٢٢)، والواقدي (١/ ٢٥١)، وابن سعد (٢/ ٤٦) مرسلاً عن سعيد بن المسيب، ووصله الواحدي في أسباب النزول، ص٥٦، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، مرسلاً عن عروة، وفي سنده ابن لهيعة، وحديثه حسن. ومرسلاً عن موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢)، ومراسيل ابن المسيب قوية، والطبري في التفسير (٧/ ٢٥٥) من مرسل السدي.

(٣) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٣/ ١١١ ـ ١١٢).

(٤) ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣). وأورده ابن كثير في البداية (٤/ ٣١) من رواية أبي الأسود عن عروة، ومن رواية البخاري عن ابن المسيب، وكلاهما مرسل.

(٥) رواه ابن إسحاق معلقاً بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ١٣٦)، الواقدي (١/ ٢٩٧).

أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عُزّى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. وتجدون مُثلة لم آمر بها ولم تسؤني»[١]، وفي رواية عند أحمد[٢] وابن إسحاق[٣] قال عمر: «لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار».

وعندما انصرف المشركون مكتفين بما نالوه من المسلمين، بعث رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب، وقال له: «أخرج آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون بمكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثم لأناجزنّهم»، وفعل علي ما أمر به، فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[٤].

وانجلت المعركة عن سبعين شهيداً من المسلمين[٥]، واثنين وعشرين قتيلاً من المشركين[٦].

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه[٧]. وقال رسول الله ﷺ حين رأى ما به: «لولا أن تحزن

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، ح٤٠٤٣). وانظر: مغازي ابن أبي شيبة، ص٢٣٨، ح٢٥٠، بإسناد متصل رجاله ثقات، كما قال المحقق د. العمري.

(٢) المسند (٤/ ٢٠٩، ٦/ ١٨١)، بإسناد حسن.

(٣) ابن هشام (٣/ ١٣٦) بدون إسناد.

(٤) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، الواقدي (١/ ٢٩٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٢)، مرسلاً عن عروة وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن. وعند الواقدي والبيهقي أن المرسل للاستطلاع هو سعد بن أبي وقاص.

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٢٦، ح٤٠٤٣)، وعند ابن إسحاق بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ١٧٩)، خمسة وستون رجلاً وذكرهم، وذكر ابن هشام أسماء خمسة تمام السبعين (٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، وعند الواقدي (١/ ٢٠٠) أربعة وسبعون. انظر الباكري، ص٣٦٧ ـ ٣٦٩.

(٦) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ١٨٤)، وقال الواقدي (١/ ٣٠٧): سبعة وعشرون، وعند أبي سعد (٢/ ٤٢): ثلاثة وعشرون. وانظر الباكري، ص٣٦٩.

(٧) ذكره ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ١٣٨).

صفية ويكون ستة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم». فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنُمَثلنَّ بهم مُثْلَة لم يمثلها أحد من العرب[١].

ونزل قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١١٦] فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثْلَة[٢].

وعن قصة التمثيل بجثة حمزة ﷺ، فقد روى موسى بن عقبة[٣] أن وحشياً بقر عن كبد حمزة وحملها إلى هند بنت عتبة فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها.

وروى ابن إسحاق[٤] أن هنداً هي التي بقرت عن كبد حمزة، وزاد أن هنداً اتخذت من آذان الرجال وأنفهم خدماً (أي خلاخل) وقلائد، وأعطت خَدَمَها وقلائدها وقِرَطها وحشياً.

وروى الواقدي[٥]: أن وحشياً عندما قتل حمزة حمل كبده إلى مكة ليراها سيده جبير بن مطعم.

وذكر الشامي[٦] أن الواقدي والمقريزي - في الإمتاع - رويا أن وحشياً شق

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، يقوى بالشواهد، وانظر تحقيق أحاديث التمثيل بحمزة يوم أحد ونزول الآية المذكورة في هذا، عند سعد بن عبد الله الحميد: مختصر تلخيص الذهبي لمستدرك الحاكم لابن الملقن، القسم الثاني من أول كتاب معرفة الصحابة إلى نهاية الكتاب، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، السنة وعلومها، ١٤٠٧هـ، مهدي رزق الله أحمد: السيرة، ط١ ص٣٩٧، حاشية رقم ١١٨.

(٢) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ١٤٠)، ورواه من غير طريق ابن إسحاق: الترمذي (٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد في المسند الفتح الرباني (١٨/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والواحدي في أسباب النزول ص١٩١ ـ ١٩٢ والحاكم ٢/ ٣٥٩ بمثل رواية الترمذي وأحمد، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٤٣)، بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٤) ابن هشام (٣/ ١٣٣)، بإسناد منقطع موقوف على شيخه ابن كيسان، فهي ضعيفة، والقُرْط أو القِرط: نوع من حلي الأذن معروف، انظر: اللسان (٧/ ٣٧٤/ مادة قرط).

(٥) المغازي (١/ ٣٣٢)، والواقدي متروك، فروايته ضعيفة جداً.

(٦) سبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٢١).

بطن حمزة وأخرج كبده وجاء بها إلى هند فمضغتها ثم لفظتها، ثم جاءت معه إلى حيث جثة حمزة، فقطعت من كبده وجَدَعَت أَنْفَهُ وقطعت أُذُنَيْهِ، ثم جعلت مُسَكَّتين ومِعْضَدَيْن وخَلَخَيْن، حتى قَدِمَتْ بذلك مكةَ.

وروى ابن أبي شيبة[1] وأحمد[2]: «... فنظروا، فإذا حمزة قد بُقِر بطنه، وأخذت هند كبده، فلاكتها، فلم تستطع أن تأكلها...».

ولعل رواية الواقدي والمقريزي التي أشار إليها الشامي تفيد الجمع بين روايتي ابن عقبة وابن إسحاق، وتوافقهما في المضمون. أما التمثيل بجثة حمزة فقد ثبت بطرق صحيحه كما ذكرنا، مما يدل على أن قصة بقر كبد حمزة - التي ذكرها بعض أهل المغازي والسير - لها أصل، ويضاف إلى هذا رواية ابن أبي شيبة.

وسجلت لبعض النساء المسلمات مواقف إيمانية رائعة في تقبلهن مصابهن في أهليهن وفرحهن بحياة الرسول ﷺ. ومن أمثلة ذلك أن الرسول ﷺ مرَّ هو وأصحابه بامرأة من بني دينار[3]، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعُوا لها قالت: «فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان. هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه فأشير إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل» - أي صغيرة[4].

---

(١) المغازي، ص٢٣٨، برقم ٢٥٠؛ وقال المحقق - د. العمري -: «سنده متصل ورجاله ثقات».

(٢) المسند (١/ ٢٦٣)، وصحح شاكر إسناده (٦/ ١٩١، ح٤٤١٤)، وهو طريق ابن أبي شيبة نفسها. وقال محققو الموسوعة الحديثية - المسند (٧/ ٤١٨، رقم ٤٤١٤): «حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، فالشعبي لم يسمع من عبد الله بن مسعود». وذكروا الشواهد التي جعلته في مرتبة الحسن لغيره، فانظرها.

قلت: أشكل عليَّ في المتن قول الرسول ﷺ: «ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار...»، وذلك حين علم بأن هنداً لم تستطع أكل كبد حمزة، وقد أسلمت هند، ولها صحبة، فكيف تدخل النار؟!

(٣) وقد صرح الواقدي باسمها، وهي السيراء بنت قيس، المغازي (١/ ٢٩٢)، ويفهم من حديث الواقدي أن عائشة لم تشهد المعركة مع المسلمين، وهذا مخالف لما في الصحيح كما ذكرنا من قبل. ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون قد جاءت إلى ميدان المعركة في الجولة الثانية، التي امتحن الله فيها المؤمنين.

(٤) ابن كثير: التاريخ (٤/ ٥٣) من حديث ابن إسحاق، بإسناد حسن.

وعندما أقبلت صفية - أخت حمزة - لتنظر إليه، طلب الرسول ﷺ من ابنها الزبير أن يرجعها حتى لا ترى ما بأخيها من مُثلة، فقالت: «ولم؟ وقد بلغني أن قد مُثِّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله». وعندما أخبر الزبير النبي ﷺ بقولها، أمره بأن يخلي سبيلها، فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به فدفن[1].

وعندما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً من أحد إلى المدينة. لقيته حَمْنَة بنت جحش، فنعي لها الناس أخاها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعِي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت. فقال رسول الله ﷺ: إن زوج المرأة منها لبمكان، لما رأى من صبرها عند ذكر أخيها وخالها وصياحها على زوجها[2].

وقد روى البخاري[3] وأبو داود[4] أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير لأحد قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا. . . ، ودفن الاثنان والثلاثة في قبر واحد[5]، وأمر الرسول ﷺ

---

(١) رواه ابن إسحاق بلاغاً: ابن هشام (٣/ ١٤١ - ١٤٢). وروى قريباً منه أحمد في مسنده (١/ ١٦٥)، والبزار في مسنده، انظر كشف الأستار (٢/ ٣٢٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٥ - ٤٦)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٩ - ٢٩٠)، وقد صحح محققا سيرة ابن هشام، وفيه أنها عندما جاءت كان معها ثوبان لتكفين حمزة، وعندما وجدوا أنصارياً بالقرب منه وفعل به ما فعل بحمزة، وجد رسول الله ﷺ غضاضة في أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري الشهيد لا كفن له، فقال: «للأنصاري ثوب ولحمزة ثوب»، ولأن أحد الثوبين كان أكبر من الآخر فقد قرعوا بينهما، فكفنوا كل واحد منهما في ثوب.

(٢) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام ٣/ ١٤٤، ورواه ابن ماجه في السنن برقم ١٥٩٠ بمعناه دون ذكر خالها حمزة، وفي سنده عبد الله بن عمر العمري، وهو ضعيف، وهو في ضعيف سنن ابن ماجه للألباني برقم ٣٤٧. سبق ذكر ذلك قبل خمس صفحات.

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٥٥، ح٤٠٧٩).

(٤) سننه (٢/ ١٧٤/ك. الجنائز/ب. في الشهيد هل يغسل) بإسناد رجاله ثقات، والأحاديث التي وردت في الصلاة عليهم لا تقوى على معارضة أحاديث نفي الصلاة عليهم.

(٥) الألباني: صحيح الترمذي (٢/ ١٤٢) (ك. الجهاد، ح١٧٨٢).

أن يدفنوا حيث صرعوا، فأعيد من أخذ ليدفن داخل المدينة[١].

وبعد الدفن، صف الرسول ﷺ أصحابه، وأثنى على ربه، ثم دعا الله أن يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة، وأن يقتل الكفرة المكذبين[٢].

وكان يتمنى أن يمضي شهيداً مع أصحابه الذين استشهدوا يوم أحد[٣]، وقد أثنى عليهم عندما سمع علياً يقول لفاطمة: «هاكِ السيف فإنها قد شفتني»، فقال له: «لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاد سَهْل بن حُنَيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت الأَقْلَح والحارث بن الصِّمَّة[٤].

وبشر الرسول ﷺ المسلمين بما نال الشهداء من عظيم الأجر، فقد قال عندما سمع بكاء فاطمة بنت عبد الله بن عمرو والد جابر: «ولم تبكي؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفِعَ[٥]»، وفي رواية قال عن بكائها: «تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»[٦].

ونزل في شهداء أحد قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩][٧]. فقد روى مسلم[٨] أن الصحابة ﷺ سألوا ابن مسعود عن هذه الآية، فقال: «أمَا إنَّا قد سألنا عن ذلك فقال: أَرْوَاحُهُم في جَوْف طَيْرٍ خُضْرٍ لها قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بالعرش، تسرح من الجنة حيثُ شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل...»، ولذا قال العلماء إن حياة الشهداء حياة محققة حسبما جاء في هذا الحديث[٩].

---

(١) أحمد: الفتح الرباني (٨/ ١٤٩).

(٢) مستدرك الحاكم (٣/ ٢٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ٥٨) بإسناد حسن.

(٤) رواه الحاكم (٣/ ٢٤) وصححه وأقره الذهبي.

(٥) مسلم (٤/ ١٩١٧ ـ ١٩١٨، ح٢٤٧١).

(٦) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٥٥، ح٤٠٨٠)، و(٦/ ١٤١، ح١٢٤٤)، مسلم (٤/ ١٩١٨، ح٢٤٧١).

(٧) الحاكم (٣/ ٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٨) صحيحه (٣/ ١٥٠٢ ـ ١٥٠٣، ح١٨٨٧).

(٩) انظر: الشوكاني: فتح القدير (١/ ٣٩٩)، استناداً إلى حديث الترمذي (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩، ح٣٠١٣ ـ ٣٠١٤).

وعندما عاد الرسول ﷺ من أحد سمع بكاء نساء الأنصار - من بني عبد الأشهل وظفر - على من استشهد من أزواجهن، فقال: «ولكن حمزة لا بواكي له»، وعندما استيقظ من نومه سمع بكاءهن وتَنْبِيهِنَّ بحمزة[1]، ونهى يومئذ عن النَّوْح[2].

ونزلت آيات قرآنية كثيرة - غير التي ذكرناها - سجلت الجوانب المختلفة لهذه الغزوة التي كانت درساً تربوياً كبيراً للمسلمين[3]، ومنها قوله تعالى:

١ - ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٢ - ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٣ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

٤ - ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٥ - ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران: ١٤٣].

٦ - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِي مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

٧ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

٨ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٧/ ٨٢)، وصحح شاكر إسناده، والحاكم (١/ ٣٨١) مختصراً من آخره، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد (٣/ ١٦) بإسناد رجاله ثقات ما عدا أسامة بن زيد الليثي، ففيه ضعف يسير، فيتقوى حديثه بالشواهد التي ذكرها ابن سعد عقب هذا الحديث، وحديث أحمد والحاكم، ورواه ابن إسحاق معلقاً، ابن هشام (٣/ ١٤٤ - ١٤٥). وفي رواية ابن إسحاق أن سعد بن معاذ وأسيد بن حضير أمرا نساءهم أن يتحزمن، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ.

(٢) قاله ابن هشام معلقاً (٣/ ١٤٥)، وابن سعد (٣/ ١٧).

(٣) انظر جزءاً كبيراً من هذه الآيات عند ابن إسحاق: ابن هشام (٣/ ١٥٤ - ١٧٤).

٩ - ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

لقد نزلت حول موضوع هذه المعركة ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران، تبتدئ بذكر أول مرحلة من مراحل المعركة: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وتترك في نهايتها تعليقاً جامعاً على نتائج المعركة وحكمتها: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ب - أحكام وحكم وعظات وعبر من غزوة أحد:

عقد ابن القيم[1] فصلاً فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام الفقهية، ننقلها هنا باختصار لتعميم الفائدة:

١ - إن الجهاد يلزم بالشروع فيه، حتى إن استعد له وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن ذلك حتى يقاتل عدوه.

٢ - إنه لا يجب على المسلمين إذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم، كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.

٣ - جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه، وإن لم يرض المالك، كما كان حال مربع بن قيظي مع الرسول ﷺ وجيشه.

٤ - إنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين، بل يردهم إذا خرجوا، كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر ومن معه.

٥ - جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن - فيما دون القتال مثل السقي والتطبيب، [إذا أمنت الفتنة].

قلت: أخرج ابن أبي شيبة[2]، بسنده إلى سعيد بن عمرو القرشي، أن أم كبشة،

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢١١ - ٢١٢)، وما بوضع بين معكوفتين فمني.

(٢) المصنف (٦/ ٥٣٨، رقم ٣٦٥٣)، بتحقيق كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد، ط١، سنة ١٤٠٩هـ، وفي النبعة الهندية (١٢/ ٥٢٦ رقم ١٥٥٠٠).

امرأة من بني عذرة - عذرة قضاعة - قالت: يا رسول الله! إني لست أريدُ أن أقاتل، إنما أريد أن أداوي الجريح والمريض أو أسقي المريض، فقال: «لولا أن تكون سنة، ويقال فلانة خرجت، لأذنت لك، ولكن اجلسي».

ذكرت هذا الحديث لأن بعض طلاب العلم يحتج به على أن الرسول ﷺ نهى في آخر حياته عن خروج النساء في الغزو. وقد علمت درجته، ولكن إذا ترجح احتمال وقوع نساء المسلمين في أسر الكفار وتعرضهن للاغتصاب، فالذي أميل إليه الاحتجاج بحديث أم كبشة على الرغم من ضعفه، لأن الاحتجاج بالضعيف في فضائل الأعمال قال به بعض العلماء، وعلى رأسهم الإمام أحمد يرحمه الله، خاصة أن حديث أم كبشة كان بعد الفتح وحنين، وهما آخر غزوتين خرجن فيهما بعض النساء كما علمت من أحداثهما وأحداث ما بعدهما من غزوات.

٦ - جواز الانغماس في العدو، كما انغمس أنس بن النضر وغيره. [ولابن تيمية كتاب في هذا].

٧ - إن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بأصحابه قاعداً، وصلوا وراءه قعوداً كما فعل رسول الله ﷺ واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته[1].

٨ - جواز دعاء الرجل وتمنيه أن يقتل في سبيل الله، وليس ذلك من تمني الموت المنهي عنه، كما فعل عبد الله بن جحش.

٩ - إن المسلم، إذا قتل نفسه، فهو من أهل النار، كما في حال قزمان.

١٠ - السنة في الشهيد أن لا يغسل ولا يكفن في غير ثيابه، بل يدفن فيها بدمه، إلا أن يسلبها العدو، فيكفن في غيرها. والحكمة في ذلك كما روى الترمذي[2]:

= لقد خرّج وحقق هذه الرواية الأستاذ الدكتور خالد الدريس، عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود. وخلص إلى أن في السند نظراً من حيث الاتصال، مع ثقة رجاله. فالمعاصرة غير ثابتة بيقين فضلاً عن ثبوت اللقاء بين سعيد بن عمرو وأم كبشة، كما قال الأستاذ الدكتور خالد جزاه الله خيراً. وسكت الحافظ ابن حجر عنه بعد إيراده من رواية ابن أبي شيبة. انظر: الإصابة (٤/٤٨٦ ـ ٤٨٧، ترجمة رقم ١٤٦٣).

(١) انظر تفاصيل ذلك في: «المغني» (٢/٢٢٠ ـ ٢٢١)، و«المحلى» (٣/٥٩)، و«نيل الأوطار» (٣/١٥٩).

(٢) السنن (٣/٤١٢ ـ ٤١٣، أبواب الجنائز، ح١٠٣٦، الدعاس).

«حتى يلقوا ربهم بكُلُومِهم - جُروحهم -، ريح دمهم ريح المسك، واستغنوا بإكرام الله لهم». وكما روى ابن إسحاق[١] أن الرسول ﷺ قال عن شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء، ما من جريح يُجرَح في الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمَى جرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك...».

١١ - أما الصلاة على الشهيد فقد اختلف فيها العلماء، وقد رجح ابن القيم[٢] أن الإمام مخير بين الصلاة عليه وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين.

وقد خَرَّجَ محققا الزاد[٣] تلك الآثار وبيَّنا درجتها من الصحة، ثم قالا: «ففي هذه الأحاديث مشروعية الصلاة على الشهداء، لا على سبيل الإيجاب، لأن كثيراً من الصحابة استشهد في غزوة بدر وغيرها، ولم ينقل أن النبي ﷺ صلى عليهم، ولو فعل لنقل عنه، وقد جنح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في «تهذيب السنن: ٤/ ٣٢٩٥» إلى هذا.

١٢ - السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم.

١٣ - إن من عذره الله في التخلف عن الجهاد، لمرض أو عرج [شديد أو شيخوخة]، يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجَمُوح وهو أعرج، [واليَمَان والد حُذَيْفَة، وثابت بن وَقْش، وهما شيخان كبيران].

١٤ - إن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونه كافراً، فعلى الإمام دفع ديته من بيت المال، كما في واقعة قتل اليمان.

وذكر ابن القيم[٤] بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أحد.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران، حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ...﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى تمام نحو ستين آية من هذه السورة. نذكر هنا باختصار ما ذكره ابن القيم:

---

(١) ابن هشام (٣/ ١٤٢ - ١٤٣)، وهو من مراسيل الصحابة، وإسناده حسن.

(٢) تهذيب السنن (٤/ ٢٩٥).

(٣) (٣/ ٢١٣ - ٢١٤)، الحاشية، فانظرها لأهميتها، جزاهما الله خيراً لما قاما به من عمل علمي قيم مفيد، تتمة للفائدة من هذا السفر العظيم، سيرة ابن إسحاق.

(٤) الزاد (٣/ ٢١٨ وما بعدها).

١ - تعريف المؤمنين بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم هو لذلك السبب، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢]. فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة، وتحرزاً من أسباب الخذلان.

٢ - إن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يُدَالوا مرة ويُدَالُ عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين، ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة، خاصة وإن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان: فهل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سِجَالٌ، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى، قال: كذلك الرسل تُبتلى، ثم تكون لهم العاقبة[1].

٣ - ميزت محنة أحد بين المؤمن والمنافق الذي دخل الإسلام ظاهراً بعد انتصار المسلمين ببدر، وفي ذلك قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

٤ - استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

٥ - لا يصلح عباده إلا السراء والضراء، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، فهو (سبحانه) إذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره، كسره أولاً، ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره، وهذا ما وقع للمسلمين ببدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وبحنين: ﴿كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥].

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/ ٧١، ح٢٩٤١)، ومسلم (٣/ ١٣٩٥، ح١٧٧٣).

٦ - إنه سبحانه هيَّأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

٧ - إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والآخرة، فإذا أراد الله بها الرحمة والكرامة قيض لها من الابتلاء ما فيه دواء وشفاء لذلك المرض.

٨ - إن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو وغيره.

٩ - إن في الابتلاء من الله تمحيص وتكفير لذنوب عباده وفرصة لهم لنيل الشهادة، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

١٠ - إن الأنبياء ﷺ إذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام - تعظيماً لأجرهم - تأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره والعاقبة للمتقين، وهذه سنة الله فيهم[1].

١١ - إن اشتراك الرسول ﷺ في القتال مثله كأي فرد من أفراد جيشه دليل على حرصه ﷺ على عدم تميزه عن جنده ومساواة نفسه بهم. وفيه دليل على شجاعته وصبره، وتحمله الأذى في سبيل دعوته.

قال الشامي في السبل (٤/٢٩٣): «وروى أبو يعلى بسند حسن، عن علي ﷺ، قال: لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، نظرت في القتلى، فلم أر رسول الله ﷺ، فقلت: والله ما كان ليفرَّ، وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله تعالى غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيه ﷺ، فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي، ثم حملت على القوم، فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم، أي يقاتلهم ﷺ».

---

(١) انظر: حسين الباكري: مرويات غزوة أحد، مرجع سبق ذكره، ص٣٧١.

وكان أبي بن خلف يقول: (يا محمد، إن عندي العَوْذُ [اسم فرسه] فرسًا أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة [مكيال يسع ستة عشر مدًا، أو اثني عشر رطلًا] أقتلك عليه ...). وسبق ذكر القصة[1].

(١) ابن هشام (٣/ ١٢٢).

الفصل الثامن

الغزوات والسرايا

والأحداث الأخرى بين غزوتي أحد والمُرَيسيع

المبحث الأول:

أ - غزوة حَمْرَاء الأَسَد:

فكر المشركون في الكرة مرة أخرى على المسلمين ليقضوا عليهم قضاء مبرماً، وعندما علم الرسول ﷺ بنيتهم ندب الناس إلى المسير إلى لقائهم، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال» فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا سمعاً وطاعة، وأذن لجابر بن عبد الله بالمسير معه لأنه لم يشهد أحداً، إذ كان أبوه قد خلفه على بناته، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد[1].

وعندما أقبل مَعْبَد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ، أمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذله، فلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، فخذله وأخبره بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد ونصحهم بالعودة إلى مكة[2].

وقال الله تعالى في هذه الغزوة: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢][3].

روى ابن إسحاق[4] أنهم في طريق عودتهم من حمراء الأسد أسروا مُعاوية بن

---

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٢) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٣/ ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠).

(٣) وروى البخاري أن الزبير وأبا بكر كانا من هؤلاء، انظر: الفتح (١٥/ ٢٥٣، ح٤٠٧٧)، ورواه مسلم (٤/ ١٨٨١، ح٢٤١٨). وفي الحديث أن الرسول ﷺ انتدب لأبي سفيان سبعين من أصحابه، قال الشامي: «والظاهر أنه لا تخالف بين هذا القول وقول أصحاب المغازي بأنهم خرجوا جميعاً لأن السبعين سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون».

(٤) ابن هشام (٣/ ١٥٢)، بإسناد معضل.

المُغيرة، جد عبد الملك بن مروان لأمه، وأبا عَزَّة الجُمَحِيّ الذي مَنَّ الرسول ﷺ عليه بغير فداء من بين أسرى بدر، فقال: «يا رسول الله! أَقِلْنِي»، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بمكة بعدها وتقول: خَدَعْتُ محمداً مرتين». وضرب الزبير عنقه بأمر الرسول ﷺ.

وروي أن الرسول ﷺ قال لأبي عزة: «إنَّ المؤمن لا يُلْدَغُ من جحر مرتين»، وأمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه[1].

لقد كانت هذه الغزوة في الثامن من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وقيل غير ذلك[2]، إذ قال ابن إسحاق[3] إنها في يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال.

ب - عبر في هذه الغزوة:

١ - إن خروج الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد، يُعَدُّ مظهراً من مظاهر الكمال المحمدي من: شجاعة وتحمل وصبر وعدم الاستسلام لأي مظهر من مظاهر الهزيمة، وحسن سياسة، وبياناً لفضل أصحاب محمد ﷺ وما كانوا عليه من طاعة وصبر وتحمل واستجابة لله والرسول. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤][4].

---

(١) رواه ابن هشام بلاغاً عن ابن المسيب (٣/ ١٥٢) والحديث في الصحيحين، ولكنه عام ولم تخصص له مناسبة معينة. انظر: الفتح (٢٢/ ٣٣٣، ح٦١٣٣) وهو من حديث ابن المسيب مما يعني أن حديث ابن هشام له أصل في الصحيح، ورواه ابن إسحاق في المغازي بدون إسناد.

(٢) الواقدي (١/ ٣٣٤)، ابن سعد (٢/ ٤٨) وأسانيدهما ضعيفة.

(٣) ابن هشام (٣/ ١٤٧)، دون إسناد، ورواه الطبري في التاريخ والتفسير من طريق ابن إسحاق وهو موقوف على عكرمة وفيه حسين بن عبد الله وهو ضعيف الحديث.

(٤) وانظر عن أسباب نزول هذه الآيات: تفسير الطبري (٧/ ٣٩٩ - ٤١٥)، وفيها طرق صحيحة.

❐ المبحث الثاني: سرية أبي سَلَمَة: ❐

عندما سمع الأعراب القاطنون حول المدينة، ما أصاب المسلمين في أحد، تجرؤوا على المسلمين، واتضح ذلك من المحاولات التي قام بها بنو أسد في نجد وبنو هذيل في عرفات وغيرهم لغزو المدينة.

فقد وصلت الأخبار إلى النبي ﷺ بأن بني أسد بن خُزَيْمَة بقيادة طُلَيْحَة الأسدي وأخيه سَلَمَة يعدون العدة لغزو المدينة طمعاً في خيراتها ومظاهرة لقريش في عداوتها للمسلمين. فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار في سرية، وأمر عليهم أبا سلمة بن عبد الأسد. فباغتوهم على ماء لهم بجبل يسمى قَطَن، ففروا في وجوههم، فاستاقوا أنعامهم إلى المدينة.

وكان ذلك في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة[1].

❐ المبحث الثالث: سرية عبد الله بن أُنَيْس: ❐

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهُذَلي بِنَخْلَة أو بِعُرَنَة من عرفات، ليقتله، وذلك لأن خالداً كان يجمع الناس ليغزو بهم المدينة. وقبل أن يتحرك طلب من الرسول ﷺ أن ينعته له، فنعته له فخرج إليه. وعندما لقيه رأى فيه ما نعته به الرسول ﷺ، فاحتال عليه حتى قتله، وجاء إلى رسول الله ﷺ، وعندما رآه الرسول ﷺ قال: «أَفْلَحَ الوجهُ...» ثم أدخله البيت وأعطاه عصا ليتخصر بها - يتكئ عليها - آية بينه وبين الرسول ﷺ يوم القيامة، وقال له: «إن أقل الناس المتخصرون يومئذ»، واحتفظ بها حتى دفنت معه[2].

---

(١) الواقدي (١/ ٣٤٠)، ابن إسحاق، معلقاً ومختصراً: ابن هشام (٤/ ٣٤٤)، ولم يرد في خبرها إسناد يحتج به.

(٢) ذكرناها مختصرة، فانظرها بتمامها عند ابن إسحاق، ابن هشام (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥)، بإسناد منقطع، وقد وصلها البيهقي: الدلائل (٤/ ٤٢ ـ ٤٣)، وفي السنن (ك. صلاة الخوف) وإسنادها حسن. رواها أحمد: المسند (٣/ ٤٩٦) من (٣/ ٢٥٦) الطريق نفسها، وإسناده حسن، وأبو داود في السنن (٢/ ٤١ ـ ٤٢/ك. الصلاة: ح٢٢٤٩)، وليس فيه قصة دفن العصا معه، وهو من طريق ابن إسحاق، ولم يصرح فيه بالسماع، وحسن ابن حجر إسناده كما في الفتح (١٥/ ٢٦٠/ك. المغازي/ب غزوة الرجيع). وانظر كذلك: الواقدي (٢/ ٥٣١)، وابن سعد (٢/ ٥٠).

وكانت هذه السرية في الخامس من محرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة[١].

المبحث الرابع: سرية الرَّجِيع:

روى البخاري[٢] أن الرسول ﷺ بعث بسرية عَيْناً وأمَّرَ عليهم عَاصِم بن ثابت[٣] فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة بين عُسْفَان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لِحْيَان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فَرْفَد - مرتفع من الأرض - وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذِمَّةِ كافر، اللهم اخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل. وبقي خُبَيْبٌ وزيدٌ ورجل آخر[٤]. فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم. فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قِسِيِّهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجروه وعالجوه

---

(١) ابن سعد (٢/ ٥٠).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥، ح٤٠٨٦). وروى القصة أهل المغازي: ابن إسحاق بإسناد مرسل: ابن هشام (٣/ ٢٤١ ـ ٢٦٠)، وابن سعد (٢/ ٥٥ ـ ٥٦) وإسناده صحيح وهند وعند ابن إسحاق أنه قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة وهم من الهون ابن خزيمة، فقالوا: «يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام». فبعث رسول الله ﷺ معهم عشرة رهط... إلخ.

(٣) وقد ورد في مغازي عروة مثلما ورد عند البخاري في سبب السرية. انظر: مغازي عروة، ص١٧٥، وعند ابن إسحاق أنهم ستة وأميرهم مرثد بن أبي مرثد، وذكرهم، وجزم الواقدي (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) أنهم كانوا سبعة فذكرهم، وذكر بصيغة التمريض أنهم كانوا عشرة، وجزم بأن أميرهم مرثد وذكر بصيغة التمريض أنه كان عاصم. وذكر أن السبب هو أن بني لحيان مشت إلى عضل والقارة وحملت لهم جعلاً ليخرجوا إلى محمد ﷺ ويطلبوا منه أن يخرج معهم من يدعوهم إلى الإسلام فيكمنوا لهم ويأسروهم ويصيبوا بهم ثمناً في مكة. ويمكن التوفيق بين روايتي البخاري وابن إسحاق بأن يكون وافق إرسالهم حيناً مجيء النفر من عضل والقارة في طلب من يعلمهم الإسلام، انظر: عرجون: «محمد رسول الله ﷺ» (٤/ ٤١).

(٤) هو عبد الله بن طارق كما في رواية ابن إسحاق: ابن هشام (٣/ ٢٤٤)، والواقدي (١/ ٣٥٧).

على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخُبَيْب وزيد حتى باعوهما بمكة. فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر[1]، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله، استعار مُوسَىً من بعض بنات الحارث ليستحد بها، فأعارته، وقالت: «فغفلت عن صبي لي، فَدَرَجَ إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى. وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قِطْفِ عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله»[2]. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: «دعوني أصلِّ ركعتين»، فأعطوه ما أراد، ففعل، ثم انصرف إليهم فقال: «لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت». فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: «اللهم أحْصِهِم عَدَداً واقتلهم بَدَداً ولا تُبْقِ منهم أحداً»، ثم قال:

ما إن أبالي حين أُقتَلُ مسلماً ... على أي شِقٍّ كان في الله مصرعي

[وفي رواية: فلست أبالي..]

وذلك في ذات الإله وإن يَشَأْ ... يُبارِك على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[3]

---

(١) يذكر بعض أصحاب المغازي أن خبيباً لم يشهد بدراً وإنما الذي شهدها وقتل الحارث بن عامر هو خبيب بن إساف، وللتوفيق بين روايات أهل السير ورواية البخاري، قال ابن حجر بأنهم قتلوا خبيباً بالحارث لكون خبيب بن إساف قتل الحارث على عادتهم الجاهلية بقتل بعض القبيلة عن بعض. وانظر مناقشة عرجون لهذه القضية: محمد رسول الله ﷺ (٤/ ٥٣ ـ ٦٥).

(٢) وخبر هذه الكرامة أيضاً عند ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٢٤٦)، وكانت قد أسلمت.

(٣) البخاري، الفتح (١٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٥، ح٤٠٨٦): وقال ابن حجر في شرحه لحديث الباب (١٥/ ٢٦٥): «وعند أبي الأسود عن عروة زيادة في هذا الشعر، ثم ذكر البيتين الآتيين:

لقد أجْمَعَ الأحزاب حولي وألَّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

إلى الله أشكو غُربتي بعد كُربتي ... وما أرْصَدَ الأحزابُ لي عند مَضْرَعِي

وروى أبو الأسود من حديث عروة: «وقال خبيب حين رفعوه إلى الخشبة:

لقد جَمَّعَ الأحزاب حولي وألَّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ

إلى الله أشكو غُربتي ثم كُربتي ... وما أرْصَدَ الأحزابُ لي عند مَضْرَعِي =

ثم قام إليه عقبة بن الحارث[١] فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قد قتل عظيماً[٢] من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء[٣].

وقال حسان بن ثابت شعراً رائعاً في رثاء خبيب ورفقائه الكرام[٤]، ومثاله قوله:

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ لَا تَرْقَا[٥] مَدَامِعُهَا ... سَحًّا[٦] على الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ القَلِقِ[٧]

= فذا العرش صَبَّرْني على ما يُرادُ بي ... فقد بَضَعُوا لَحْمي وقد يَأسَ مَطْمَعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ
لَعَمْري ما أَحْفَلُ إذا مِتُّ مسلماً ... على أي جَنْبٍ كان لله مَصْرَعي

وقال ابن حجر إن ابن إسحاق ساقها ثلاثة عشر بيتاً، والذي وقفنا عليه لابن إسحاق في سيرة ابن هشام عشرة أبيات، والأبيات الزيادة على ما ذكرناه هنا عن عروة، وهي:

وكُلُّهُمُ مبدي العداوة جاهدٌ ... عليَّ لأني في وِثاقٍ مُضَيَّعِ
وقد خَيَّرُوني الكُفْرَ والموتُ دونه ... وقد قَصَدَتْ عَيْنَايَ من غير مَجْزَعِ
وما بي جِذارُ الموت إني لَمَيِّتٌ ... ولكنَّ جِذاري جَحْمُ نارٍ مُلَفَّعِ
فَوَاللهِ ما أرجو إذا مِتُّ مسلماً ... على أي جنب كان في الله مَصْرَعي
فلستُ بمُبْدٍ للعدو تَخَشُّعاً ... ولا جَزَعاً إني إلى الله مَرْجِعي

انظر: مغازي عروة، ص١٧٧، وقال ابن هشام (٣/ ٢٥٠): وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له، أي لخبيب.

(١) وفي رواية ثانية عند البخاري أن الذي قتله هو أبو سَرْوَعَة (الفتح ١٥/ ٢٦٦) وفي رواية ثالثة أنه أبو سروعة عقبة بن الحارث، الفتح (١٥/ ١٧٧) وقال ابن حجر: أن أبا سروعة هو أخو عقبة، وليس أبو سروعة وعقبة اسماً واحداً. وفي رواية لابن إسحاق بإسناد حسن صحيح أن عقبة بن الحارث لم يقتل خبيباً لأنه كان صغيراً، وأن الذي قتله هو أبو ميسرة العبدري، أخذ الحربة فجعلها في يده، ثم أخذ بيده وبالحربة ثم طعن بها خبيباً حتى قتله.

(٢) هو عقبة بن أبي معيط، الذي أسر ببدر وقتله عاصم صبراً بأمر الرسول ﷺ كما مر بنا.

(٣) عند ابن إسحاق أن هذيل أرادت أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر... ابن هشام (٣/ ٢٤٤)، بدون إسناد.

(٤) انظره عند ابن إسحاق: ابن هشام (٣/ ٢٥٠ ـ ٢٦٠)، وعروة: المغازي، ص١٧٧، قال الأعظمي: «رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف».

(٥) لا ترقى مدامعها، أي: لا تنقطع.

(٦) والسَّحُّ: الصَّبُّ.

(٧) والقلق: المتحرك المتساقط.

على خُبَيْبٍ فتى الفتيان قد علموا ... لا فَشِلٍ حين تَلْقَاهُ ولا نَزِقِ[1]

وقوله:

يَا عَيْنُ جُودِي بدمعٍ منك مُنْسَكِبِ ... وابكي خبيباً مع الفتيانِ لم يَؤُبِ
صفراً توسط في الأنصار منصبه ... سَمْحَ السجية محضاً غيرَ مُؤْتَشِبِ[2]
قد هاجَ عيني على عِلَّاتِ عَبْرَتِها ... إذا قيل: نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخشب[3]

وهجا كذلك هذيلاً وبني لحيان - بطن من هذيل.

وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفْوَان بن أمية ليقتله بأبيه، أمية بن خَلَف. وعندما أخرجوه من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه، اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان، فقال أبو سفيان حين قدم ليقتل: «أَنْشُدُكَ الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نَضْرِبُ عنقه، وأنك في أهلك؟» قال: «والله ما أُحِبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُهُ شَوكةٌ تُؤذيه وإني جالس في أهلي»، فقال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحب أصحاب محمد محمداً». ثم قتله نِسْطَاسٌ مولى صَفْوَان»[4].

لما قُتل أصحاب الرجيع، قال ناس من المنافقين: «يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم»، فأنزل الله فيهم آية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] وما بعدها، وأنزل في أصحاب السرية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧][5].

بعث الرسول ﷺ عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيَّ وحده إلى قريش، قال: «فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون، فرقيت فيها، فحللت خبيباً، فوقع إلى الأرض،

---

(١) الفشل: الجبان، والنزق: السَّيِّئ الخُلُق.
(٢) السَّجِيَّة: الطبيعة، والمحض: الخالص النسب، والمؤتشب: المُخْتَلِط.
(٣) العِلَّات: المشقات، والعَبْرَة: الدمعة، ونص: دفع.
(٤) ابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٢٤٥)، ابن سعد (٢/ ٥٦)، من طريق ابن إسحاق، مرسلاً.
(٥) قاله ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٢٤٨)، ووصله ابن كثير في البداية (٤/ ٧٦) وإسناده ضعيف.

فانتبذت غير بعيد، ثم التفت فلم أر خبيباً، ولكأنما ابتلعته الأرض، فلم ير لخبيب أثر حتى الساعة»[١].

كانت هذه السرية في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة[٢].

❑ المبحث الخامس: سرية بئر مَعُونَة: ❑

وفي الشهر ذاته الذي أرسل فيه الرسول ﷺ سرية الرجيع، أرسل الرسول ﷺ سرية بئر معونة[٣].

فقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أرسل إلى نجد سبعين من خيار الصحابة ﷺ عُرِفُوا بالقراء، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل[٤]، وينفقون ثمن حطبهم على أهل الصُّفَّة[٥].

وذكر مسلم[٦]: أن سبب إرسالهم هو أن أناساً جاءوا إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يبعث معهم رجالاً يعلِّمونهم القرآن والسنة.

وذكر البخاري[٧] سبباً آخر لا يختلف عن هذا في جوهره، وهو: أن بطوناً من بني سُلَيم، هم: رِعْل وذَكْوان وعُصَيَّة وبني لِحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بأولئك السبعين، وقد وافق البخاري ابن سعد[٨] في هذا السبب.

وذكر بعض أئمة المغازي[٩]: أن أبا براء عامر بن مالك، المدعو «مُلَاعِبُ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٣٩)، و(٦/٢٨٧)، وابن أبي شيبة من طريق جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه، وفي سنده إبراهيم بن إسماعيل، وهو متفق على ضعفه. انظر: التقريب، ص٨٨.

(٢) الواقدي (١/٣٥٤)، ابن سعد (٢/٥٥)، وأسانيدهما ضعيفة.

(٣) قاله الواقدي (١/٣٤٦)، وابن سعد (٢/٥١)، وابن إسحاق: ابن هشام (٣/٢٦٠) وأسانيدهم ضعيفة.

(٤) البخاري: الفتح (١٥/٢٦٨، ح٤٠٩٠).

(٥) مسلم (٣/١٥١١، ح٦٧٧).

(٦) المصدر والمكان نفسهما.

(٧) الفتح (١٥/٢٦٧، ح٤٠٩٠).

(٨) الطبقات (٢/٥٣)، بإسناد صحيح.

(٩) ابن هشام (٢/٢٦٠) بإسناد مرسل، ابن سعد (٢/٥١)، بدون إسناد، الواقدي (١/٣٤٦)، وأسانيدهم ضعيفة.

الأسِنَّة» قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال: «يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جارٌ لهم».

ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن يكون كلا الأمرين قد وقعا، أي إرسال الرسول ﷺ هؤلاء السبعين بدء على طلب أبي براء وبني سليم.

عندما نزلوا ببئر معونة بين أرض عامر وحرة بني سُلَيم، بعثوا حرام بن مِلْحَان أخا سليم - بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطُّفَيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً - إيماءً - فطعن حراماً بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: «الله أكبر، فُزْتُ وَرَبِّ الكعبة»[1].

وعندما خرج الدم من حرام ﷺ نَضَحَهُ على وجهه ورأسه[2]، وكأنه يريد أن يلقى ربه وكل جسمه ملطخ بدم الشهادة، فيزيده الله من الأجر.

ثم استنفر ابن الطفيل بني عامر إلى قتال المسلمين، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء، فاستنفر بني سُلَيم فأجابته عُصَيَّة ورِعل وذَكْوَان، وخاضوا مع المسلمين معركة ضارية، قتل فيها المسلمون جميعاً، إلا كعب بن زيد بن النجار، الذي ترك وبه رَمَق، فعاش حتى استشهد في غزوة الخندق، وعمرو بن أمية، الذي كان قد تأخر عنهم هو والمُنْذِر عُقْبَة بن عامر، وعندما وجدا أصحابهما قد صرعوا قاتلا المشركين، فقتلوا المنذر وأسروا عمرا، ثم أعتقه عامر عن رقبة كانت على أمه.

وعاد عمرو بن أمية بالخبر الأليم إلى الرسول ﷺ بالمدينة، وفي الطريق فتك برجلين من بني كِلَاب، هو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ، لم يعلم به، ولذا التزم الرسول ﷺ بأداء ديتهما، فأخذ في تحصيل الدية من المسلمين وأهل الصحيفة من اليهود.

وعندما ذهب إلى اليهود للإعانة في دية الكلابيين حاولوا قتله، مما كان من

---

(١) هنا تتفق رواية أهل السير مع رواية الصحيحين، ما عدا ذكر إمارة المنذر ولقبه، فهو من رواية أهل السير.

(٢) البخاري الفتح (١٥/ ٢٧٠/ح٤٠٩٢).

أسباب غزوة بني النضير - كما سنرى.

وقد تألم الرسول ﷺ لهاتين الفاجعتين - معونة والرجيع - فأخذ يدعو في صلاة الصبح ثلاثين صباحاً على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة والرجيع: رعل وذكوان ولحيان وعصية[1].

وظهرت لعامر بن فُهَيْرَة كرامة في هذه الموقعة. فقد روى البخاري[2] أنه لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو الضمري، قال له ابن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: «لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع». وكان الذي قتله جَبَّار بن سَلْمَى الكِلابي، وقد أسلم نتيجة ما رأى من حال عامر بن فهيرة ﷺ[3]. ولم نقف على كيفية نجاة كعب بن زيد ﷺ. تقول المصادر إنه ارْتُثَّ من بين القتلى. وارتُثَّ: أي حُمل رثيثاً - أي جريحاً - وبه رمق.

---

(١) هذه الخلاصة من صحيح البخاري: الفتح (١٥/ ٢٦٦ - ٢٧٤، ح٤٠٨٨ - ٤٠٩٦)، وهي تسعة أحاديث، ومسلم (٣/ ١٥١١، ح٦٧٧).

(٢) الفتح (١٥/ ٢٧٢، ح٤٠٩٣).

(٣) الواقدي (١/ ٣٤٩)، ابن سعد (٢/ ٥٢)، من حديث الواقدي.

❐ المبحث السادس: ❐

حكم وأحكام وعبر ودروس من سريتي الرجيع ومعونة[1]:

١ - تدل هاتان الحادثتان على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة إلى الإسلام وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه. فليس أمر الدعوة موكولاً إلى الأنبياء والرسل وحدهم أو خلفائهم والعلماء دون غيرهم.

وعلى الرغم من استشعار الرسول ﷺ الخوف على القراء نتيجة لما وقع لأهل الرجيع، إلا أنه لم يتوقف عن إرسال بعث القراء، ومن بعده أرسل بعوثاً أخرى حتى تاريخ وفاته، لأنه كان يرى أن القيام بأعباء تبليغ الدعوة أهم من كل شيء، ليكن ما يريد الله في سبيل القيام بأمره وتبليغ دعوته.

٢ - إن معجزة التربية الإسلامية تتجلى في موقف خبيب بن عدي عندما لم يمس طفل آل الحارث بسوء، على الرغم من مواتاة فرصة الانتقام لنفسه من المشركين الذين حبسوه ليقتلوه، وتتجلى نذالة الكافرين في الغدر بأصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة، ولم يشفع لخبيب عندهم موقفه النبيل من طفل آل الحارث. والغدر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك.

٣ - إن للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن نفسه ولو قتل، ترفُّعاً عن أن يجري عليه حكم الكافر، كما فعل عاصم ﷺ، فإن أراد الترخص فله أن يستأمن، مترقباً الفرصة للخلاص، كما فعل زيد وخبيب ﷺ.

٤ - إن ما ظهر من أمر خارق للعادة لخبيب عندما كان أسيراً، دل على أن كل ما أمكن أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي.

٥ - مشروعية الصلاة عند القتل، وأن خبيباً هو الذي سنها، وأقر ذلك الرسول ﷺ.

٦ - تتجلى قوة إيمان ابن الدثنة في حبه لرسول الله ﷺ ورضائه بالموت ولا يصاب رسول الله ﷺ بشوكة تؤذيه، وهو آمن في أهله، وكذا كان حب أصحاب رسول الله ﷺ له، وذلك واجبهم وواجب كل مؤمن ومؤمنة، وإن ذلك من دلائل إيمان العبد.

---

(١) ملخصاً عن: فقه السيرة للبوطي، ص١٩٩ ـ ٢٠١، هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب: ص٢٨٢ ـ ٢٨٥، فقه السيرة للغزالي ص٢٩٨ ـ ٣٠١.

٧ - إن أصحاب رسول الله ﷺ هم أحب الخلق إلى الله ورسوله، ممن يضعهم الله تعالى في محك الامتحان.

٨ - مشروعية القنوت في الصلاة للدعاء على الظلمة، ولرفع البلاء النازل على المؤمنين.

❑ المبحث السابع: غزوة بني النَّضِيْر: ❑

أولاً: سبب الغزوة:

تشير المصادر إلى ثلاثة أسباب لهذه الغزوة:

الأول: أرادت بنو النضير قتل الرسول ﷺ بعد بدر الكبرى عندما حرضتهم قريش على ذلك.

الثاني: محاولتهم قتل الرسول ﷺ عندما جاءهم ليستعين بهم في دية الكلابيين اللذين قتلهما الضمري.

الثالث: حضهم قريش على قتال الرسول ﷺ، ودلوهم على العورة.

تقول المصادر عن السبب الأول: إن قريشاً أرسلت إلى اليهود وهددتهم بالحرب إن لم يقاتلوا الرسول ﷺ، فاستجاب بنو النضير لذلك، ووضعوا خطة يقتلون بها الرسول ﷺ غدراً. فقد طلبوا منه أن يخرج إليهم في ثلاثين رجلاً من أصحابه ليلتقي بثلاثين من أحبارهم في موضع وسط ليحدثهم، فإن صدقوه آمنت يهود. فلما جاءوا قريباً من المكان، اقترحوا على النبي ﷺ أن يجتمع ومعه ثلاثة من أصحابه وثلاثة من أحبارهم، وقد حمل هؤلاء اليهود الثلاثة خناجرهم، ولكن امرأة منهم أفشت سرهم لأخ لها مسلم، فأخبر النبي ﷺ، فرجع عنهم، ثم استعد وحاصرهم بجنوده حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح[1].

أما السبب الثاني فتقول عنه المصادر إن النبي ﷺ عندما ذهب إليهم في دية الكلابيين، لما كان بينه وبينهم من الحلف، جلس إلى جدار لهم في انتظارهم ليأتوا بما وعدوا به من المساهمة في الدية، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا

(١) رواها عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، بإسناد صحيح، ورواها غيره.

الرجل على مثل حاله هذه، فاتفقوا على أن يعلو عمرو بن جحاش ذلك الجدار، ويلقي صخرة على الرسول ﷺ فيقتله. فأخبر الله رسوله بما أرادوا، فخرج راجعاً إلى المدينة. وعندما تأخر عن أصحابه الذين كانوا معه، سألوا عنه، فعلموا رجوعه إلى المدينة، فأتوه فأخبرهم الخبر، ثم أمر بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم، ومحاصرتهم، فنزلوا على الصلح بعد حصار دام ست ليال، على أن لهم ما حملت الإبل[1].

أما السبب الثالث فقد انفرد به موسى بن عقبة[2]، حيث قال: «كانت [بنو] النضير قد دسوا إلى قريش وحضُّوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلُّوهم على العورة». وقال إن ذلك كان عندما نزلوا بأحد لقتال رسول الله ﷺ[3].

ولعل الدكتور العمري[4] لم يطلع على الرواية التي عند البيهقي وما فيها من الزيادة عن رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر، وهذه الزيادة هي: «حين نزلوا بأحد...»، ولذا قال العمري: إن رواية موسى بن عقبة لم تحدد وقتاً للأعمال التي ارتكبها اليهود ضد المسلمين ولعله يقصد أعمالاً معينة.

ومن المعروف أنهم حرَّضوا المشركين على قتال المسلمين فكانت أُحد، وأعانوا أبا سفيان في إغارته على أطراف المدينة مما أدى إلى مطاردة المسلمين له فيما عرف بـ«غزوة السويق»، وأنّ كعباً بن الأشرف كان يقرض الشعر في هجاء المسلمين وتحريض قريش عليهم. كل هذا يدل على حالهم مع المسلمين إلى أن كانت محاولتهم قتله، وتسبب ذلك في قرار لوضع حد لممارساتهم الإجرامية، فكان القرار طردهم من المدينة[5].

---

(١) ابن إسحاق، بإسناد مرسل: ابن هشام (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) ويقوى هذا الإسناد بالمتابعة، وقد توبع برواية موسى بن عقبة عند ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٢)، وعند البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٠ ـ ١٨٦)، وفي رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر زيادة عما عند ابن إسحاق، وهي: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضُّوهم على قتال رسول الله ﷺ، ودلوهم على العورة»، وعنوان باب حديث بني النضير عند البخاري يدل على قبوله بهذا السبب، ونص العنوان: «حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الكلابيين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ».

(٢) عند ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٣).

(٣) من رواية لموسى بن عقبة عند البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٠)، بإسناد ضعيف.

(٤) المجتمع المدني في عهد النبوة، تنظيماته...، ص١٤٢.

(٥) انظر المرجع والمكان نفسهما.

ثانيًا: الإنذار:

عندما صدر منهم ما صدر طلب منهم الرسول ﷺ الخروج من المدينة خلال عشرة أيام، فمن رأوه بعد ذلك ضربت عنقه.

وعندما استعدوا للخروج حرضهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول على عدم الخضوع، ومناهم بالوقوف إلى جانبهم، فأعلنوا العصيان، فحاصرهم المسلمون[1]، وقد أشارت آيات في سورة الحشر إلى هذا، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر: ١١][2].

ثالثًا: الجلاء وشروطه:

ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أجلى بني النضير عندما حاربوا[3]، وفصلت الكتب الأخرى، وخاصة كتب المغازي والسير، كيفية هذا الجلاء ونوعية الحرب التي حاربوها.

وصح أن الرسول ﷺ حاصرهم بالكتائب، وقال لهم: «إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك، هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة - السلاح -

---

(١) رواه الواقدي (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩) وفيه ذكر المدة، وابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٢٦٩) ولم يذكر المدة، وابن سعد (٢/ ٥٧ ـ ٥٨)، بدون إسناد مثل مضمون رواية الواقدي، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٨١ ـ ١٨٣)، بإسنادين فيهما أربعة مجاهيل وبهذا تكون كل الأسانيد ضعيفة.

(٢) وممن روى أن سبب إنزالها كان في بني النضير والمنافقين: الطبري في التفسير (٢٨/ ٤٦) بإسناد إلى ابن عباس ولكنه ضعيف، وبإسناد مرسل موقوف على مجاهد ورجاله ثقات، وابن إسحاق، بدون إسناد: ابن هشام (٣/ ٢٧٢، ٢٧٣)، فالآثار كلها ضعيفة، لكن البعض يتقوى بالمتابعة، أما نزول سورة الحشر في بني النضير فقد ثبت بطرق صحيحة، وتناولت في بعض آياتها موقف المنافقين نحو بني النضير، وثبت أن ابن عباس سماها سورة بني النضير كما روى البخاري. انظر: البخاري، الفتح (١٥/ ١٠٤/ ك. المغازي، ح٤٠٢٩).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٠١، ح٤٠٢٨).

فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها»[١].

وقد ثبت بنص القرآن[٢] أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار، وثبت في الحديث الشريف[٣] أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار.

وتذكر بعض الروايات أنهم أُجْلُوا إلى الشام[٤] والبعض الآخر يذكر أنهم توجهوا إلى خيبر[٥]. وفي رواية ابن إسحاق[٦] ما يجمع بين هذه الروايات، حيث قال: «فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سَلَّام بن أبي الحُقَيْق وكِنَانَة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق وحُيَيّ بن أَخْطَب، فلما نزلوها دان لهم أهلها». ويؤيده في ذلك الأحداث اللاحقة الثابتة بالمرويات القوية، مثل أخبار قتالهم في غزوة خيبر، وقتل كنانة وأسر صفية، وخبر سلام بن أبي الحقيق[٧].

وقد أسلم منهم اثنان، هما: يامين بن كعب وأبو سعد بن وهب، ولذا أحرزا أموالهما[٨].

أما الأموال والنخيل فكانت لرسول الله ﷺ[٩]، فكان ينفق على أهله منها نفقة

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٨ - ٣٦١)، وأبو داود في السنن (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٧/ك. الخراج/ب. في خبر النضير، ح٣٠٠٤) وصححه الألباني والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٨١ - ١٨٢).

(٢) ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ روى البخاري أنها نزلت عندما حرق وقطع الرسول ﷺ نخل بني النضير، وهي البويرة. انظر: البخاري: الفتح (٩٨/ ٢٦٦، ح٤٨٨٤)، و(١٥/ ١٠٥)، ح٤٠٣١، ٤٠٣٢)

(٣) أحاديث البخاري في باب بني النضير، المصدر نفسه، وسنن الترمذي (٥/ ١٥٧ - ١٥٨/ تحفة الأحوذي)، وسنن ابن ماجه (٣/ ٩٤٨ - ٩٤٩).

(٤) روى ذلك عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٨ - ٣٦١)، بإسناد صحيح.

(٥) ابن سعد (٣/ ٥٨)، بإسناد ضعيف.

(٦) ابن هشام (٣/ ٢٦٩)، معلقاً.

(٧) انظر: العمري: المجتمع المدني، تنظيماته، ص١٤٩.

(٨) ابن إسحاق، بإسناد منقطع، من حديث شيخه عبد الله بن أبي بكر: ابن هشام (٣/ ٢٧٠).

(٩) وذلك بنص الآية ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ...﴾ (الحشر: ٦) =

سنة: ثم يجعل ما بقي في السلاح والكُرَاع عُدَّة في سبيل الله[١].

وقسم الرسول ﷺ أرضهم بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار أحداً سوى سهل بن حُنَيف وأبي دُجَانَة، وذلك لفقرهما[٢].

ولم يتوقف زعماء بني النضير عن مكائدهم بعد كل هذا، فقد حرضوا الأحزاب، فكانت غزوة الخندق[٣].

رابعًا: تاريخ غزوة بني النضير:

روى عبد الرزاق[٤] من حديث الزهري، والحاكم[٥]، من حديث عروة، إنها كانت بعد غزوة بدر الكبرى[٦]. وذكر البخاري[٧] في رواية معلقة من الترجمة عن عروة بأنها كانت على رأس ستة أشهر من بدر، قبل وقعة أحد. وذكر ابن حجر[٨]، أن عبد الرزاق قد وصلها في مصنفه عن معمر عن الزهري بأتم مما عند البخاري، وقد رواه البيهقي[٩] من هذا الطريق. وروى البيهقي[١٠]، رواية عن الزهري عن عقيل

= ونزول سورة الحشر في بني النضير كما روى البخاري: الفتح (١٨/ ١٦٦، ح٤٨٨٢، ٤٨٨٣)، وانظر: صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨ ـ ١٣٩٠، ح١٧٦٨ ـ ١٧٦٩).

(١) روى ذلك البخاري: الفتح (١٨/ ٢٦٦، ح٤٨٨٥).

(٢) عبد الرزاق: المصنف (٥/ ٣٥٨ ـ ٣٦١)، وأبو داود (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٤، ح٣٠٠٤)، ولم يصرح باسميهما، وصححه الألباني وابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٢٧٠).

(٣) سيأتي خبر مقتل سلام بن أبي الحقيق في غزوة خيبر، لأنه حرض على غزوة الأحزاب. وذكر ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٢٩٨)، أسماء اليهود الذين حرضوا الأحزاب من بني النضير: سلام وحيي وكنانة. وممن ذكر تحريضهم: عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٧٣) وابن سعد (٣/ ٦٥ ـ ٦٦)، وابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٧٥) من رواية موسى بن عقبة، معلقاً.
والخلاصة أن الروايات في هذا الموضوع ضعيفة، ولكنها تصلح بمجموعها للاحتجاج، ويتقوى بعضها ببعض لأنها من روايات أئمة المغازي والسير، ولها شواهد.

(٤) المصنف (٥/ ٣٥٧)، بإسناد صحيح.

(٥) المستدرك (٢/ ٤٨٣)، وصححها، ووافقه الذهبي.

(٦) كانت بدر الكبرى في ١٧ رمضان، سنة ٢هـ، كما مر بنا.

(٧) الفتح (١٥/ ٢٠١/ك. المغازي/ب. حديث بني النضير)، بدون رقم.

(٨) المصدر والمكان نفساهما.

(٩) انظر: المصنف (٥/ ٣٥٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٧٨)، بإسناد إلى عائشة رضي الله عنها.

(١٠) الدلائل (٣/ ١٧٦).

بمثل رواية البخاري وعبد الرزاق.

وهكذا عند أهل الحديث أنها قبل أحد وبعد بدر، ولكن أصحاب المغازي والسير يذكرون أنها بعد أحد. فابن إسحاق[١] يذكر أنها في سنة أربع من الهجرة، ويذكر الواقدي[٢] وابن سعد[٣] أنها كانت في شهر ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة، ووافقهم ابن هشام[٤]، في أنها كانت في ربيع الأول.

وما دامت سرية بئر معونة كانت بعد أحد باتفاق، وإذا جمعنا الأسباب يظهر لنا أنها بعد أحد، وقد أشار إلى ذلك البخاري في الخبر المعلق عن ابن إسحاق، وذكر البخاري أن من جملة من كان في سرية بئر معونة عَمْراً الضمري، وذكر معونة بعد أحد، ولعمرو الضمري ذكر في سبب غزوة بني النضير، فبذلك تكون غزوة بني النضير بعد غزوة أحد وسرية بئر معونة. وهذا مما يؤيد ابن إسحاق ومن تابعه من أصحاب السير والمغازي، وهو ما مال إليه ابن حجر[٥] والسندي[٦] والعمري[٧]، وما تميل إليه معهم.

خامساً: حكم وعبر من غزوة بني النضير:

١ - إن في إخبار الله نبيه بما يبيته اليهود للغدر به دليلاً على تكرار الغدر من اليهود، والوفاء من الله تعالى بوعده القاطع لرسوله ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وفي هذه المعجزة وغيرها ما يجب أن يحمل الناس على الإيمان بنبوة محمد ﷺ.

٢ - إن قطع وإحراق الرسول ﷺ لبعض نخيل بني النضير، دليل على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة في النكاية بالأعداء. وأن ذلك من قبيل ما يدخل تحت اسم السياسة الشرعية،

---

(١) ابن هشام (٣/ ٢٦٧)، معلقاً.
(٢) المغازي (١/ ٣٦٣).
(٣) الطبقات (٢/ ٥٧).
(٤) السيرة (٣/ ٢٦٨).
(٥) الفتح (١٥/ ٢٠٣، ح٤٠٢٨).
(٦) مرويات يهود المدينة، ص١٤٢.
(٧) المجتمع المدني، تنظيماته، ص١٤٤ - ١٤٥.

وهو مذهب نافع ومالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء.

ورُوِيَ عن الليث وأبي ثور والأوزاعي القول بعدم جواز قطع شجر الكفار وإحراقه[١].

٣ - اتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم من دون قتال، وهو «الفيء» يعود النظر والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تقسم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب، مستدلين على ذلك بسياسته ﷺ في تقسيم فيء بني النضير، ونزول القرآن الكريم مصوباً ذلك[٢].

٤ - في موقف الرسول ﷺ من بني النضير تقرير لمبدأ أن نقض المعاهدة إعلان للحرب.

☐ المبحث الثامن: غزوة بدر الموعد: ☐

خرج رسول الله ﷺ في شعبان[٣] سنة أربع من الهجرة لموعده الذي التزم به لأبي سفيان يوم أحد. وكان معه ألف وخمسمائة من الصحابة وعشرة أفراس، ووصل إلى بدر، وانتظر بها المشركين ثمانية أيام.

أما المشركون فقد خرج بهم أبو سفيان حتى وصل إلى مر الظهران، ونزل بمياه مجنة على بعد أربعين كيلا من مكة، ثم عاد بهم بحجة أن العام عام جدب، وكان لهذا الموقف منه أثر كبير في استعادة هيبة المسلمين بعد انتكاسة أحد[٤].

---

(١) انظر: النووي: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٥٠)، البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٢٠٤ - ٢٠٥، والأم (٧/ ٣٢٤)، وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للبوطي، ص١٧٠ - ١٧١.

(٢) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص٢٠٥، وذكر اختلاف الفقهاء في الأراضي التي غنمت بواسطة الحرب.

(٣) هذا ما قاله ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٣/ ٢٩٢)، أما الواقدي (١/ ٣٨٤)، وابن سعد (٢/ ٥٩) وكلاهما رواه معلقاً. فقد ذكرا أنها في هلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً من الهجرة، وابن إسحاق مقدم على الواقدي وعلى ابن سعد إذا لم يسند وإذا كان في إسناده الواقدي.

(٤) انظر: المصادر المذكورة.

◻ المبحث التاسع: غزوة ذات الرِّقَاع[١]: ◻

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة، وقد جنح البخاري[٢] إلى أنها كانت بعد خيبر، وذهب ابن إسحاق[٣] إلى أنها بعد غزوة بني النضير، وقيل بعد الخندق سنة أربع، وعند الواقدي[٤] وابن سعد[٥] أنها كانت في المحرم سنة خمس، وجزم أبو معشر[٦] أنها كانت بعد بني قريظة والخندق. والراجح عند ابن حجر[٧] ما ذهب إليه البخاري وأبو معشر، لأن أبا موسى الأشعري شهدها وقد قدم من الحبشة بعد فتح خيبر مباشرة، وشهدها أبو هريرة وقد أسلم حين فتح خيبر، وصلى فيها رسول الله ﷺ صلاة الخوف، ولم تكن شرعت في الخندق، بل شرعت في عسفان أيام الحديبية، والحديبية سنة ست.

أما الدكتور البوطي[٨] فقد جزم أنها قبل الخندق، وحجته في ذلك ما ثبت في الصحيح من أن جابراً ﷺ استأذن الرسول ﷺ إلى بيته في غزوة الخندق وأخبر امرأته بما رأى من جوع رسول الله ﷺ، وفيه قصة الطعام الذي دعا إليه النبي ﷺ ومجيء كل الجيش، ومعجزة الرسول ﷺ في تكثير طعام جابر، وفيه قول الرسول ﷺ لزوجة جابر: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة»، وما ثبت في الصحيحين

---

(١) اختلف في تسميتها، والراجح ما ذكره أبو موسى الأشعري في الصحيح من أنها سميت بذلك لأنهم نفوا في أرجلهم الخرق بعد أن تنقبت خفافهم، إذ كان لكل ستة بعير يتعاقبون على ركوبه، انظر: البخاري: الفتح (١٥/ ٣٠٩، ح٤١٢٨)، وفي الحديث أنه كره الحديث في أمر كهذا لأنه من أمور العبادة التي لا يريد أن يفشيها وقد احتسبها عند الله، وفي هذا دليل على مفهوم الجهاد عند سلفنا الصالح. وقال النووي تعليقاً على هذا السلوك من الأشعري: «إنه يستحب للمسلم أن يخفي أعماله الصالحة وما قد يكابده من المشاق في طاعة الله تعالى، وألا يتعمد إظهار شيء من ذلك إلا لمصلحة، مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبيه على الاقتداء به ونحو ذلك، وعلى مثل هذا يحمل ما وجد للسلف من الأخبار ببعض أعمالهم» انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٣٠٥/ك. المغازي/ب، غزوة ذات الرقاع)، معلقاً.

(٣) ابن هشام (٣/ ٢٨٥) معلقاً.

(٤) المغازي (١/ ٣٩٥).

(٥) الطبقات (٢/ ٦١).

(٦) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٠٤).

(٧) انظر استدلالات ابن حجر على أنها بعد خيبر في الفتح (١٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ٣١١).

(٨) فقه السيرة، ص٢١٠.

أيضاً من أن الرسول ﷺ سأل جابراً في غزوة ذات الرقاع إن كان قد تزوج بعد فأجاب بنعم، مما يدل على أن الرسول ﷺ لم يكن علم شيئاً عن زواجه، وأخذ الدكتور في رد أدلة ابن حجر في كونها بعد خيبر، فقال: أما ما استدل به الحافظ ابن حجر من أنه ﷺ لم يصل صلاة الخوف في الأحزاب وصلاها قضاء فيجاب عنه بأنه ربما كان سبب تأخير الرسول ﷺ لها إذ ذاك استمرار الرمي بين المشركين والمسلمين بحيث لم يدع مجالاً للانصراف إلى الصلاة، وربما كان العدو في جهة القبلة... أو ربما أخّرها لبيان مشروعية قضاء الفائتة كيفما كانت. كما يُجاب عن استدلاله بحديث أبي موسى الأشعري بما ذكره كثير من علماء السير والمغازي من أن أبا موسى إنما قصد بها غزوة أخرى سمّيت هي أيضاً بذات الرقاع ـ بدليل أنه قال عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه... إلخ؛ وغزوة ذات الرقاع التي نتحدث عنها كان العدد أكثر من ذلك.

ومال الدكتور الحكمي[1]، والدكتور العمري[2]، إلى ما ذهب إليه البخاري وابن حجر؛ والذي نميل إليه هو ما ذهب إليه الدكتور البوطي أنها قبل الخندق لأن حجته الخاصة بزواج جابر قبل الخندق لا تدفع وهي في الصحيحين؛ إضافة إلى أن البخاري قد ذكر رأيه معلقاً، وحجته فقط مجيء أبي موسى من الحبشة بعد خيبر، وهي حجة دفعها البوطي بترجيح تعدد الغزوة.

لم يقع في هذه الغزوة قتال بين المسلمين وغطفان، ولكنهم أخافوا بعضهم بعضاً؛ فصلى المسلمون صلاة الخوف، وصفتها: أن طائفة صفّت معه، وطائفة وجاه العدو. فصلّى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلّم بهم[3]. وفي رواية: أنه صلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان[4].

---

(١) مرويات الحديبية، ص٧٣ ـ ٨٦.

(٢) المجتمع المدني، الجهاد، ص١٣٠.

(٣) البخاري: الفتح (١٥/٣٠٨، ح٤١٢٧).

(٤) مسلم (٢/٥٧٦، ح٣١١).

قال الدكتور البوطي[١]: «ووجه التوفيق بين الحديثين أنه عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه صلاة الخوف أكثر من مرة، فصلاها مرة، على النحو الأول وصلاها مرة أخرى على النحو الثاني».

وكانت هذه الصلاة بمنطقة نخل التي تبعد عن المدينة بيومين[٢].

لقد وقعت في هذه الغزوة أحداث ذات دلالات ومغزى كبير، منها:

١ - قصة الأعرابي:

روى البخاري[٣] ومسلم[٤] عن جابر - وغيرهما[٥] - عندما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضَاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر: «فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صَلْتاً، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله، فها هو ذا جالس... لم يعاقبه رسول الله ﷺ. واسم الأعرابي: غَوْرَث بن الحارث».

ويذكر قتادة[٦]، وابن إسحاق[٧]، أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١] قد نزلت في هذا الأعرابي.

---

(١) فقه السيرة، ص٢٠٧، حاشية، وانظر ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣٠١).

(٢) البخاري، الفتح (١٥/ ٣٠٥)، ترجمة الباب.

(٣) الفتح (١٥/ ٢١٥ - ٢١٦، ح٤١٣٥، ٤١٣٦) وفيه تصريح باسم الأعرابي.

(٤) صحيحه (١/ ٥٧٦/ ك. صلاة المسافرين وقصرها/ب. صلاة الخوف، ح٨٤٣).

(٥) انظر: أحمد: الفتح الرباني (٧/ ٢٠ - ٢٢)، ابن إسحاق، بإسناد متصل، ولكن فيه عمرو بن عبيد القدري، الذي قال ابن كثير: لا ينبغي الرواية عنه لبدعته. البداية والنهاية (٤/ ٩٥).

(٦) الطبري: التفسير (١٠/ ١٠٦)، وإسنادها صحيح. وفي الباب روايات أخرى في تفسير الآية وأسباب نزولها، ويرى الطبري أن الأقرب إلى الصحة أنها نزلت في يهود بني النضير عندما هموا بقتل الرسول ﷺ، التفسير (١٠/ ١٠٧ - ١٠٨) وانظر: زاد المسير (٢/ ٣٠٨).

(٧) ابن هشام (٣/ ٢٨٧ - ٢٨٨)، بإسناد متصل، ولكن فيه عمرو بن عبيد القدري.

وفي رواية مسدد[١] عن جابر أن الأعرابي غورث عاهد الرسول ﷺ أن لا يقاتله ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: «جئتكم من عند خير الناس».

دروس وعبر من هذه القصة:

وفي هذه القصة دليل على نبوة محمد ﷺ، وفرط شجاعته، وقوة يقينه، وصبره على الأذى، وحلمه على الجهال. وفيها جواز تفرق العسكر في النزول، ونومهم إذا لم يكن هناك ما يخافون منه[٢].

٢ - قصة الحراسة:

وفي مرجعهم من غزوة ذات الرقاع، سبوا امرأة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يُهْرِيقَ دماً في أصحاب محمد ﷺ، فجاء ليلاً وقد جعل الرسول ﷺ رجلين على الحراسة أثناء نومهم، وهما عَبَّاد بن بِشْر وعمار بن ياسر، فضرب عباداً بسهم وهو قائم يصلي، فنزعه، ولم يقطع صلاته، حتى رشقه بثلاثة سهام، فلم ينصرف منها حتى سلم، فأيقظ صاحبه، فقال: «سبحان الله، هلا نبهتني، فقال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذَنْتُكَ، وايْمُ الله، لولا أن أُضَيِّع ثَغْراً أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ بحفظه، لَقَطَعَ نفسي قبل أن أقطعها أو أُنْفِذَها»[٣].

دروس وعبر في هذا المقطع من السيرة:

في قصة هذين الصحابيين الجليلين كشف لطبيعة الجهاد الإسلامي، وكيف كان يمارسه ويفهمه أصحاب رسول الله ﷺ. فعباد ﷺ أراد أن يشغل شطراً من زمن حراسته الليلية بركعات خاشعة، يقف فيها أمام الله تعالى ولم يقطع صلاته لألم يشعر به، وإنما قطعها استشعاراً بمسؤولية الحراسة التي تكلف بها. وهذا درس بليغ في

---

(١) نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١٧).

(٢) انظر: ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣١٧).

(٣) رواه البخاري معلقاً بصيغة التمريض قائلاً: «ويذكر...» من حديث جابر: (صحيح البخاري: ١/ ٥٢/ك، الوضوء/ب. ٣٤: من لم ير الوضوء إلا من المخرجين)، وابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢)، ورواه غيره من طريقه.

مفهوم العبادة والجهاد عند سلفنا الصالح، ولا وجه للمقارنة بينه وبين ما عليه نحن الآن!!»[١].

٣ - قصة جمل جابر:

روى البخاري[٢] ومسلم[٣] وغيرهما من أهل الحديث، وابن إسحاق[٤] وغيره من أهل السير عن جابر أنه عندما أبطأ في السير، وهم في طريق العودة من غزوة ذات الرقاع، سأله الرسول ﷺ عن السبب فقال إن جمله قد أعياه، فنزل رسول الله ﷺ يحجنه بمحجنه، ثم دعاه فركب، فأصبح الجمل يسابق جمل رسول الله ﷺ وجابر يكفه عن ذلك. ثم سأله عن حالته الاجتماعية، فذكر أنه تزوج ثيباً، فقال له الرسول ﷺ: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟»، فعلل سبب زواجه من الثيب بأن له أخوات فأحب أن يتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن. وطلب منه الرسول ﷺ إذا قدم المدينة أن يعمل عملاً كيِّساً، ثم قال له: أتبيع جملك؟ فوافق جابر، فاشتراه منه بأوقية، وعندما أتى بالجمل من الغد إلى الرسول ﷺ أمر الرسول بلالاً أن يعطيه الأوقية. فوزن له بلال فأرجح له في الميزان، وعندما ولَّى دعاه الرسول ﷺ ورد عليه جمله.

وفي رواية ابن إسحاق أن الرسول ﷺ قال لجابر عندما علل سبب زواجه من ثيب: «أصبت إن شاء الله»، وفيها أنه قال له: «... أما أنا لو قد جئنا صِرَاراً[٥] أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها»[٦]. فقال جابر: فوالله يا رسول الله ما لنا من نمارق، فقال النبي ﷺ: إنها ستكون... وفيها قول جابر عن الأوقية التي أعطيت له: فوالله ما زال ينمى عندي، ويرى مكانه من بيتنا...».

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة ص٢١٣ - ٢١٤.

(٢) الفتح (٩/ ١٧٢، ح٢٠٩٧)، وما ذكرناه هو مضمون روايته.

(٣) الصحيح (٢/ ١٠٨٩، ح١٤٦٦).

(٤) ابن هشام (٣/ ٢٨٨ - ٢٩٠)، بإسناد حسن.

(٥) موضع على مسافة ثلاثة أميال من المدينة المنورة على طريق العراق. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣٩٨).

(٦) مفردها نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

درس وعبرة في هذه القصة:

في هذه القصة صورة كاملة ودقيقة لخُلق رسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث اللطف في المعاشرة ورقة الحديث، وفكاهة في المحاورة ومحبة شديدة لأصحابه والوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الاجتماعية مادياً ومعنوياً. فقد شعر الرسول ﷺ أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جمله الذي لا يملك غيره لبؤس حاله، حيث إن والده مات شهيداً في أحد وترك له مجموعة من البنات والأولاد ليرعاهم، وهو مقل في الرزق، فأراد الرسول ﷺ أن ينتهز هذه الفرصة ليواسيه ويقدم له ما يستطيع من مال مبارك[١].

□ المبحث العاشر: غزوة دُومَة الجَنْدَل: □

يتفق جمهور أهل المغازي والسير[٢] أنها كانت في ربيع الأول سنة خمس من الهجرة، وبالتحديد لخمس ليال بقين من ربيع الأول[٣] على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة[٤].

لم يذكر ابن إسحاق سببها، بل الذي ذكره الواقدي[٥] وابن سعد[٦]، وخلاصته: بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مر بهم من الضافطة[٧]، وكان بها سوق عظيم وتجار، وضَوَى إليهم قوم من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة. فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين، ومعهم دليل من بني عُذْرَة يسمى مَذْكُور، وقبل وصول دومة الجندل بيوم أو ليلة هجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب وهرب من هرب. وعندما

---

(١) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص٢١٢، ٢١٣، وكامل الرواية عند ابن هشام.

(٢) ابن إسحاق وابن هشام، معلقاً: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، الواقدي (١/ ٤٠٢)، ابن سعد (٢/ ٦٢)، معلقاً.

(٣) لقد حدد الواقدي هذه الليالي (١/ ٤٠٢).

(٤) حدد هذا الواقدي وتابعه تلميذه وكاتبه ابن سعد (٢/ ٦٢).

(٥) المغازي (١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤).

(٦) الطبقات (٢/ ٦٢ ـ ٦٣).

(٧) جمع ضافط، وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، وكانوا يومئذ قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت، النهاية (٣/ ٢٢).

وصل الخبر دومة الجندل، تفرقوا. وعندما وصلهم لم يجد أحداً في المكان، فأقام بها أياماً، وبث السرايا التي كانت ترجع بالإبل فقط، إلا سرية محمد بن مسلمة، فقد أخذ رجلاً منهم، وعرض عليه الإسلام، فأسلم. ثم عاد الرسول ﷺ إلى المدينة[١].

(١) زاد الواقدي سبباً آخر لهذه الغزوة وهو أن الرسول ﷺ أراد أن يدنو من الشام ليفزع قيصر: المغازي (١/ ٤٠٣).

الفصل التاسع

غزوة المُرَيْسِيع (بني المُصْطَلِق)

يتفق النسابون على أن بني المصطلق بطن من بطون قبيلة خزاعة. ويرى أكثرهم أن خزاعة قبيلة قحطانية يمنية[١]، ويلتقون في نسبهم مع الأوس والخزرج في عمرو بن عامر، الجد الثاني للأوس والخزرج والرابع لبني المصطلق[٢]. وكانوا يسكنون قديداً وعسفان[٣] في منطقة متوسطة لديار خزاعة المنتشرة على الطريق من المدينة إلى مكة، ما بين مَرّ الظهران[٤] وبين الأبواء[٥]. ولهذا الموقع أهمية كبرى في الصراع بين المسلمين وقريش على طريق القوافل التجارية. وقد عرفت بموقفها المسالم للمسلمين في هذا الصراع، على الرغم مما عليه خزاعة من الشرك ووجود صنم مناة على هضبة المُشَلَّل بقَدِيد من ديارهم، ويحج إليه العرب، وعلى الرغم من قربهم إلى مكة، وما كان بينهم وبني قريش من أحلاف قديمة وربما كان ذلك لسبب رئيس هو: لصلاتهم القديمة بعبد المطلب جد الرسول ﷺ ومحالفتهم له، إذ إن العداء القديم بينهم وبين قريش والذي انتهى بإخراجهم من مكة في العهود القديمة[٦]، قد تبلور قبل ظهور الإسلام، واتخذ شكل صراع شبه دائم بينهم وبين بني بكر من كنانة، الذين كانوا في حلف مع قريش. وقد دفعهم هذا الوضع الأمني الخطير إلى السعي لمحالفة عبد المطلب[٧]. وقد روي أن الرسول ﷺ قد أقر هذا الحلف عندما جاءته خزاعة

---

(١) انظر: النويري: نهاية الأرب (٢/ ٤٢٢)، القلقشندي، قلائد الجمان، ص٩٣، ابن هشام (١/ ١٣٦).

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات، ص٧٦ ـ ١٠٧).

(٣) الحربي: المناسك، ص٤٥٨ ـ ٤٦٣.

(٤) تبعد عن مكة ثلاثين كيلاً وشرقي مستورة بثلاثة أكيال، انظر عبد الله آل بسام: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (١/ ٥٨٤).

(٥) تبعد عن مكة ٢٤٠ كيلا، انظر القريبي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص٥٤ ـ ٥٨.

(٦) ابن هشام (١/ ١٧٣) بإسناد صحيح، ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٠/ ك، أحاديث الأنبياء، قصة خزاعة).

(٧) الواقدي (٢/ ٧٨١ ـ ٧٨٢)، اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

بنص الوثيقة يوم الحديبية في العام السادس الهجري[١].

ولعل وجود مناة في ديارهم والاستفادة من ذلك مادياً ومعنوياً هو الذي أبطأ بحركة انتشار الإسلام وسط خزاعة عامة وبني المصطلق[٢] خاصة، كما كان الحال في مكة.

وأول موقف وقفته خزاعة ضد المسلمين هو انضمامهم لجيش الأحابيش[٣] الذي ساند الجيش المكي في غزوة أحد[٤].

عندما أصابت قريش ما أصابت من المسلمين في أحد تجرأ فيمن تجرأ من الأعراب على المسلمين بنو المصطلق. فقد أخذ زعيمهم الحارث بن أبي ضِرَار في جمع السلاح والرجال وتأليب القبائل المجاورة للقيام بهجوم على المدينة.

وعندما شعر الرسول ﷺ بهذه الحركة المريبة، أرسل بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأسلمي للتأكد من نيتهم، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم، فتأكد من نيتهم، فأخبر الرسول ﷺ بذلك[٥].

وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة[٦] خرج

---

(١) انظر: المصدرين والأماكن نفسها.

(٢) انظر: العمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص٩٤.

(٣) هم من انضم إلى قريش من غيرها، وتحبشوا: أي اجتمعوا، وهم القارة (عضل والديش) أبناء الهون بن خزيمة. وقيل لأنهم اجتمعوا عند جبل حبشي.

(٤) الواقدي (١/ ٢٠٠).

(٥) ابن سعد (٢/ ٦٣) بأسانيد يصعب فيها التمييز بين ما فيها الواقدي والتي ليس فيها.

(٦) هذا هو الراجح وهو قول موسى بن عقبة الذي حكاه عن الزهري وعن عروة. انظر: البداية (٤/ ١٧٦) و(٣/ ٢٦٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٥٤)، وفي إسناده ابن لهيعة من غير طريق العبادلة، ومحمد بن فليح صدوق يهم، وأخرج قول ابن عقبة: الحاكم وأبو سعيد كما في الفتح (١٥/ ٣١٨/ك. المغازي/ب. غزوة بني المصطلق) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٤٤)، وأما نقل البخاري عن موسى بن عقبة أنها سنة أربع فكأنه سبق قلم كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١٨). وتابع ابن عقبة في هذا: الواقدي (١/ ٤٠٤)، وابن سعد (٢/ ٦٣)، وأبو معشر السندي، كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١٨).

أما ابن إسحاق فقد ذكر أنها كانت في شعبان سنة ست: ابن هشام (٣/ ٤٠١) معلقاً. ويعارض ذلك ما في الصحيحين من اشتراك سعد بن معاذ في هذه الغزوة واستشهاده في غزوة بني قريظة، =

الرسول ﷺ من المدينة في سبعمائة مقاتل[١] وثلاثين فرساً[٢] متوجهاً إلى بني المصطلق.

ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام، واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فقد روى البخاري[٣] ومسلم[٤]، أن الرسول ﷺ أغار عليهم وهم غارُّون - أي غافلون - وأنعامهم تُسْقَى على الماء، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذٍ جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرَار.

ويروي ابن إسحاق[٥] - بإسناد ضعيف - أن ثمة قتالاً قد وقع على ماء المريسيع، ثم انهزم بنو المصطلق، وقتل بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فتمت قسمة ذلك بينهم. وما في الصحيح أصح وأولى بالاحتجاج به.

ويذكر الواقدي[٦] أن المسلمين قتلوا عشرة من بني المصطلق وأسروا سائرهم ممن وجدوه على الماء، وهم مائتا أهل بيت، وغنموا ألفي بعير وخمسة آلاف شاة. ويذكر ابن إسحاق[٧] أن الأسرى كانوا مائة أهل بيت، وهو الصحيح. ويذكر الزرقاني[٨] أنهم أكثر من سبعمائة، ولا تعارض بين القولين كما قال، لأن أهل البيت الواحد يمكن أن يكونوا أكثر من واحد[٩].

أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف يدعى هشام بن صُبَابَة، أخو

- عقب الخندق مباشرة والتي كانت في شوال سنة خمس على الصحيح. وسيأتي ذكر ذلك في مكانه من الكتاب. انظر مناقشة ابن حجر في هذا الأمر، الفتح (١٥/ ٣١٩).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، المغازي، ص٢٥٩.

(٢) الواقدي: (١/ ٤٠٥).

(٣) الفتح (١٠/ ٢٦٤، ح٢٥٤١).

(٤) صحيحه (٣/ ١٣٥٦، ح١٧٣٠).

(٥) ابن هشام (٣/ ٤٠٣)، بإسناد مرسل.

(٦) المغازي (١/ ٤١٠).

(٧) ابن هشام (٣/ ٤٠٩)، بإسناد حسن.

(٨) شرح المواهب اللدنية (٢/ ١١٧) ولم يسنده، واكتفى بقوله: «وقال بعض شيوخي...»، وانظر: العمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص٩٧.

(٩) أسد الغابة (٥/ ٤٠٠).

مقيس بن صُبَابَة، وذلك أثناء المعركة، أصابه رجل من الأنصار، من رهط عُبَادَة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ. وقدم مقيس من مكة مظهراً الإسلام، وطالب بدية أخيه، فأعطي الدية، ولكنه لم يكتف بهذا، بل عدا على قاتل أخيه فقتله، وفر إلى مكة مرتداً. وقد أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله، وكان من قومه[1].

وخرج في هذه الغزوة جماعة من المنافقين، وقد سجل لهم التاريخ موقفين آخرين من مواقف الخزي في هذه الغزوة، أولهما: محاولتهم إثارة الفتنة والعصبية بين المهاجرين والأنصار. وثانيهما: السعي لإيذاء الرسول ﷺ بالطعن في عرضه، حين افتروا على عائشة ﷺ في ما يعرف بحديث الإفك.

الموقف الأول:

حكى زيد بن أرقم ﷺ وجابر بن عبد الله هذا الموقف. قال زيد: «كنت في غَزَاة[2]، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ، حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت لعمي[3] - أو لعمر - فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ، ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾ [المنافقون: ١][4] فبعث إليّ رسول الله ﷺ، فقال: إن الله قد صدّقك يا

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٣٦٣)، الإصابة (٣/ ٥٧٤، ٦٠٣)، ابن إسحاق: معلقاً، ابن هشام (٣/ ٤٠٦)، الواقدي (١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).

(٢) صرحت روايات أخرى بأنها غزوة بني المصطلق، انظر مسند أحمد: (٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (٥/ ٩٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) يعني سعد بن عبادة، رأس الخزرج، وهو ليس عمه الحقيقي، لأن عمه حقيقة ثابت بن قيس. انظر: ابن حجر: الفتح (١٨/ ٨٤).

(٤) ربما يفهم من عبارة «فجلست في البيت» الواردة في هذه الرواية أن الآية نزلت في المدينة بعد الغزوة، ولكن الثابت أنها نزلت في طريق العودة من الغزوة كما في حديث الترمذي في السنن (٥/ ٨٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وفي رواية أبي الأسود عن عروة وأبي سعيد كما في الفتح (١٨/ ٢٨٥)، وكلمة المنزل أو البيت كانت تعني مكان رحل الرجل.

زيد»[١]، ولهذا قال رسول الله ﷺ عن زيد: «هذا الذي أوفى الله بأُذُنِهِ»[٢]، وفي رواية: «وَفَّتْ أُذُنُكَ يا غُلام»[٣].

أما رواية جابر ﷺ فهي أكثر تفصيلاً، وقد أشارت إلى سبب ما قاله ابن أُبي. قال جابر: «كنا في غزاة فَكَسَعَ[٤] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار[٥]، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة. فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد»[٦].

وقد وردت روايات قوية[٧] أخرى تفيد أن ابن أُبي قال هذا الكلام في غزوة

---

(١) البخاري: الفتح (١٨/ ٢٨٤، ح٤٩٠٠)، مسلم (٤/ ٢١١٤، ح٢٧٧٢).

(٢) البخاري: الفتح (١٨/ ٢٩٢، ح٤٩٠٦).

(٣) من مرسل الحسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٨٦).

(٤) المشهور فيه: ضرب الدبر باليد أو بالرجل، انظر: القاموس المحيط (٣/ ٧٨) وابن حجر: الفتح (١٨/ ٢٨٩) وقال: إن ذلك كان شديداً عند أهل اليمن. وكذا قاله الطبري في التفسير (٢٨/ ١١٣).

(٥) اسم المهاجري عند ابن إسحاق بإسناد مرسل. جُهْجَاه بن مسعود الغِفَاري، أجير بن الخطاب، والأنصاري: سِنَان بن وَبَر الجُهني، حليف بني عوف بن الخزرج، ابن هشام (٣/ ٤٠٢)، وعند ابن حجر: جهجاه بن قيس ويقال: ابن سعيد الغفاري، الفتح (١٨/ ٢٨٩).

(٦) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٨، ح٣٥١٨) و(١٨/ ٢٨٩ - ٢٩٠، ح٤٩٠٥)، مسلم (٤/ ١٩٩٨، ح٢٥٨٤) وفي حديث مسلم أن الرسول ﷺ قال: «وانصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره»، وفي رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل رجاله ثقات أن ابن سلول قال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أُعِدُّنا وجُلَايِيب قريش إلا كما قال الأول: «سمن كلبك يأكلك...»، ابن هشام (٣/ ٤٠٢ - ٤٠٣). وجُلَايِيب قريش: لقب لمن كان أسلم من المهاجرين، وأصل الجلابيب: الأُزُر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها، فلقبوهم بذلك.

(٧) الترمذي (٥/ ٨٩/ ك. التفسير)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي: السنن (٣/ ٢٠١/ تحفة الأحوذي) ورجاله رجال الجماعة.

تبوك، وهو وهم، والصحيح أنه لم يشهد تبوك[١].

وأراد الرسول ﷺ أن يعالج هذا الموقف علاجاً عملياً، فلذا أمر بالرحيل فوراً، وسار بهم بقية يومهم ذلك والليل كله، ثم نهار اليوم التالي، حتى آذتهم الشمس، ثم نزلوا، وناموا من فورهم من شدة الإجهاد، وكل ذلك ليشغل الناس عن الخوض في حديث يمكن أن يؤدي إلى فتنة[٢].

وعندما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ما قاله والده، أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به، ونحسن صحبته، ما بقي معنا[٣]، ومنع عبد الله أباه من دخول المدينة حتى يأذن له رسول الله ﷺ بدخولها[٤].

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت، لأرغدت له أنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»[٥].

---

(١) انظر: ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٦٩)، وانظر كلام ابن حجر في: الفتح (١٨/ ٢٩٠).

(٢) ابن إسحاق بإسناد مرسل، رجاله ثقات: ابن هشام (٣/ ٤٠٤)، وله شاهد من حديث ابن أبي حاتم من مرسل عروة وعمر بن ثابت الأنصاري، وهو مرسل جيد كما قال ابن حجر في الفتح (٦٨/ ٢٨٩)، وأصله في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله، كما سبق ذكره، وبهذا يكون الحديث حسناً لغيره، كما قال الدكتور قريبي في: مرويات غزو بني المصطلق ص١٩٠.

(٣) ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦)، ورواه ابن منده كما في الإصابة (٢/ ٣٢٧)، والطبراني كما في المجمع (٩/ ٣١٨)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن عروة بن الزبير لم يدرك عبد الله بن عبد الله بن أبي، فهو مرسل، والبزار كما في المجمع (٩/ ٣١٨)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات».

(٤) الترمذي: السنن (٥/ ٩٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٤٠٦)، الواقدي (١/ ٤١٨).

الموقف الثاني: حديث الإفك:

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية. وخلاصتها:

كان قدر عائشة ﵂ أن تخرج في هذه الغزوة مع الرسول ﷺ[1]. وفي طريق العودة، وقرب المدينة، نزل المسلمون للراحة، فنزلت من هَوْدَجِهَا لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقداً لها، فرجعت تبحث عنه. وعندما عادت وجدت الرجال قد حملوا هودجها ووضعوه على بعيرها وهم يحسبونها داخله، لأنها كانت حينذاك خفيفة الوزن. فانتظرت في مكانها، فمر بها صَفْوَان بن المُعَطَّل السُّلَمِي، وعرفها، لأنه كان رآها قبل أن يفرض الحجاب، فحملها على بعيره وانطلق بها إلى المدينة ودخلها بعد دخول الرسول ﷺ.

لقد استغل المنافقون هذه الحالة ونسجوا حولها قصة الإفك، وتولى كبر ذلك عبد الله بن أبي بن سلول. وأغرى بالخوض فيه مِسْطَح بن أُثَاثَة وحَمْنَة بنت جَحْش وحسان بن ثابت.

واغتم الرسول ﷺ بهذه الإشاعة، وأعلن على الملأ وفي المسجد ثقته بزوجته وبصاحبه ابن المعطل، وأبدى سعد بن معاذ استعداده لقتل من يخوض في هذا الافتراء إن كان من الأوس، ولم يرض سعد بن عبادة هذا القول من سعد، لأن أصابع الاتهام كانت تشير إلى واحد من قوم عبادة، فكادت تقع الفتنة بين الحيين، كما يريدها المنافقون. ولكن الرسول ﷺ فوت عليهم الفرصة مرة أخرى وأطفأ نيران الفتنة.

واستأذنت عائشة النبي ﷺ لتمرض في بيت أبيها، وهناك علمت بخبر الإفك، ففارقها النوم: وهي تنتظر إعلام الله نبيه ببراءتها برؤيا صادقة، وترى أنها أقل شأناً من أن ينزل في أمرها وحي.

وبعد شهر من معاناتها ومعاناة الرسول ﷺ من هذا الحديث، نزل الوحي بآيات في براءتها وموقف الناس من هذه الفرية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...﴾ [النور: ١١].

---

(١) كان الرسول ﷺ يقرع بين نسائه فمن وقعت عليها القرعة خرجت. من رواية البزار بإسناد حسن، كما ذكر الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣٠)، ووافقه السيوطي في الدر (٥/ ٢٧).

وكان أبو بكر ينفق على قريبه مِسْطَح بن أُثاثة - ابن خال أبي بكر - فعندما خاض في تلويث سمعة عائشة أقسم ألا ينفق عليه، فنزلت الآية: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ إلى قوله: ﴿تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ﴾ [النور: ٢٢]، فعاد أبو بكر إلى النفقة عليه[١]، رغبة في المغفرة.

وعاتب القرآن أولئك النفر الذين وقعوا في حبائل المنافقين: حمنة ومسطح وحساناً، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

وسجل القرآن ذلك الموقف الرائع لأولئك النفر من المؤمنين الذين وقفوا من هذا الإفك موقف المؤمن اليقظ والواثق ثقة كبيرة بآل بيت النبوة الذين طهروا من الدنس والأرجاس، منهم أبو أيوب الأنصاري وأم أيوب، فقد نزل في هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦].

روى الواحدي[٢] بإسناد متصل إلى عائشة رضي الله عنها في سبب نزول هذه الآية: «كان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته وقالت: يا أبا أيوب ألم تسمع بما تحدث الناس؟ قال: ما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قالت: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾».

وروى البخاري[٣] أن رجلاً من الأنصار عندما سمع هذه الفرية، قال: «سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم».

وقال ابن حجر[٤] في الشرح: «وقع عند ابن إسحاق أنه أبو أيوب الأنصاري، وأخرجه الحاكم من طريقه، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، وأبو بكر الآجري في طرق الإفك من طريق عطاء الخراساني عن الزهري عن عروة عن عائشة...

---

(١) البخاري: الفتح (١٨/ ٥٧ ـ ٥٨، ح٤٧٥٠)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩، ح٢٧٧٠).

(٢) أسباب النزول، ص٢١٨؛ ابن الجوزي: زاد المسير (٦/ ٢٤).

(٣) الفتح (٢٨/ ١١٠، ٧٣٧٠).

(٤) المصدر نفسه.

ويلحظ أن الآية التي أشار إليها ابن إسحاق[١] هي التي فيها: سبحانك ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، وليست التي فيها: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]. وعموماً فالمعنى واحد، وقد نزلتا في وقت واحد وبمناسبة واحدة، فليس ببعيد أن من بين أسباب نزولها موقف أبي أيوب وأم أيوب. وقد وافق الواقدي[٢] ابن إسحاق، وزاد بصيغة التمريض أنها نزلت في أم الطفيل وزوجها أُبَي بن كعب.

وفي تفسير سُنَيد من مرسل سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة، قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦][٣].

وخلاصة الأمر أن رواية الواحدي تتقوى برواية الآجري وابن إسحاق والواقدي، ويكون الخبر على أقل تقدير حسناً لغيره[٤].

وأقام الرسول ﷺ حد القذف على حسان ومسطح وحمنة[٥]. أما عبد الله بن أبي بن سلول الذي تولى كبر الإفك فلم يقم عليه الحد، لأنه لم يترك دليلاً ضده، إذا كان يستوشيه - أي يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه، ولا يدعه يخمد[٦].

وعندما عاد الرسول ﷺ جاءته جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وذكرت له مكانتها في قومها، وطلبت منه أن يعينها في قضاء كتابها لعتق رقبتها من ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس، الذي وقعت في سهمه. فعرض عليها الرسول ﷺ أن يقضي عنها كتابتها ويتزوجها فقبلت.

فلما علم الناس بذلك أعتقوا من بأيديهم من السبي، وهم مئة أهل بيت، إكراماً لإصهار الرسول ﷺ فيهم، «فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها»[٧]. وكان

---

(١) ابن هشام (٣/ ٤١٨ - ٤١٩).

(٢) المغازي (٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥).

(٣) ابن حجر: الفتح (٢٨/ ١١٠).

(٤) انظر: قريبي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص٢٧٦.

(٥) رواه البزار بإسناد حسن، كما قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرى، بإسناد حسن (٨/ ٢٥٠).

(٦) مسلم (٤/ ٢١٣٤، ح٢٧٧٠).

(٧) الخبر بتمامه عند ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩).

عتقها صداقها، كما هو واضح من الخبر.

وقدم والدها الحارث إلى المدينة وطلب من الرسول ﷺ أن يخلي سبيلها، فأذن له أن يخيرها، فاختارت البقاء مع رسول الله ﷺ[1].

وأسلم الحارث بن أبي ضرار وقومه، وولاه الرسول ﷺ على صدقات قومه[2].

أحكام وعبر في غزوة المريسيع:

١ - مشروعية تقسيم الغنائم بين المقاتلين بعد استثناء السلب والخمس من الغنيمة.

٢ - دلت معالجة الرسول ﷺ للمشكلة التي حاول ابن سلول استغلالها على حسن سياسة الرسول ﷺ في تدبير الأمور وتجنب المشاكل وتفويت الفرص على المغرضين المندسين بين صفوف المؤمنين. وكان نتيجة ذلك أن جافى ابن سلول قَوْمُهُ، فكانوا هم الذين يحتقرونه ويفضحون دسائسه.

٣ - كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فتن الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين. وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية؛ لا سيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية. فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس التي تركها لنا لنستفيد منها ونقوم بها المواقف المماثلة.

٤ - جاءت محنة الإفك منطوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها، فلو كان الوحي أمراً ذاتياً غير منفصل عن شخصية الرسول ﷺ لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهراً كاملاً. ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته. فعندما حسم الوحي اللغط الذي دار حول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول ﷺ، وفرح الجميع بهذه

---

(١) ذكره ابن خياط في تاريخه، ص٨٠، بإسناد رجاله ثقات، لكنه مرسل.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٩)، بإسناد فيه دهثار الكوفي، وهو مقبول. وحديثه يقوى بالمتابعات والشواهد، وله شاهد من مرسل قتادة بإسناد حسن، كما رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٤٧٦)، وحسنه محققو الموسوعة الحديثية - المسند - بشواهده (٣٠/ ٤٠٣ - ٤٠٥، ح١٨٤٥٤)، فانظره.

النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية، فدل ذلك على حقيقة الوحي، وأن الأمر لو لم يكن من عند الله تعالى لبقيت رواسب المحنة في نفس الرسول ﷺ بصفة خاصة ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة رضي الله عنها. وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيراً على نبوة محمد ﷺ.

٥ - بينت هذه القصة مشروعية حد القذف الذي أقيم على من ثبتت إدانته، وبينت حرمة قذف المحصنات المؤمنات وكذا المحصن المؤمن، وإنه من كبائر الذنوب، وعقوبته ثمانون جلدة.

٦ - بيان مشروعية الاقتراع والأخذ بنتائجه بدل التخيير لما فيه من تطييب النفوس، كما في خبر اقتراع الرسول ﷺ بين نسائه عند السفر.

٧ - مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهاد إذا كانت الظروف مواتية لذلك.

٨ - إن نزول ست عشرة آية من سورة النور، تبدأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] وتنتهي بقوله تعالى: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]، وهي في تكذيب من قذف عائشة، من أبرز الأدلة على فضل عائشة رضي الله عنها. ولم يقع في القرآن الكريم التغليظ في معصية مثلما وقع في قصة الإفك - انظر ابن حجر: الفتح (١٨/٨٦).

الفصل العاشر

غزوة الخندق (الأحزاب)

تاريخ الغزوة:

وقعت هذه الغزوة في شوال سنة خمس كما قال ابن إسحاق[١] ومن تابعه، وهو قول الجمهور[٢]، وقال الواقدي[٣] إنها وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري، وقال ابن سعد[٤] إن الله استجاب لدعاء الرسول ﷺ فهزم الأحزاب يوم أربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من مهاجره. ونقل عن الزهري ومالك بن أنس وموسى بن عقبة أنها وقعت سنة أربع هجرية[٥].

ويرى العلماء أن القائلين بأنها وقعت سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، فتكون غزوة بدر عندهم في السنة الأولى، وأحد في الثانية والخندق في الرابعة، وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة[٦]، وجزم ابن حزم[٧] أنها وقعت سنة أربع لقول ابن عمر أن الرسول ﷺ رده يوم أحد - وهي في السنة الثالثة

---

(١) ابن هشام (٣/ ٦٩٨)، بدون إسناد.

(٢) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ١٠٥ - ١٠٦).

(٣) المغازي (٢/ ٤٤٠)، بدون إسناد.

(٤) الطبقات (٢/ ٦٥، ٧٣) بإسناد متصل، وفيه كثير بن زيد، وهو صدوق يخطئ، فالإسناد ضعيف، يقبله بعض العلماء الذين لا يرون بأساً من الاستشهاد بالضعيف غير الشديد الضعف في الأمور التي لا تتعلق بالأحكام أو العقائد.

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧٥/ ك، المغازي/ ب، غزوة الخندق)، حيث نقل قول موسى بن عقبة معلقاً في ترجمة الباب.

(٦) ابن حجر: الفتح، المصدر نفسه، ص٢٧٦، وابن كثير: البداية (٤/ ١٠٥).

(٧) جوامع السيرة، ص١٨٥.

باتفاق ـ وهو ابن أربع عشرة سنة[١]. ولكن البيهقي[٢] وابن حجر[٣] وغيرهما فسروا ذلك بأن ابن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة. وهو الموافق لقول جمهور العلماء.

سبب الغزوة:

لم تضع الحرب أوزارها بين مشركي مكة والمسلمين إلا بعد فتح مكة في العام الثامن الهجري، ولذا فمن البدهي أن تحاول قريش في كل مرة القضاء على قوة المسلمين التي ترى فيها تهديداً مستمراً لطرق قوافلها وخطراً على مكانتها بين العرب.

أرادت قريش في هذه المرة أن تحسم هذا الصراع مع المسلمين لصالحها، فحشدت له أكبر قوة ممكنة حيث لجأت إلى التحالف مع كل من له مصلحة في القضاء على المسلمين. ووجدوا أكبر ضالة لهم في يهود بني النضير الذين أجلوا عن المدينة، ووجد اليهود ضالتهم في قريش، فقد التقت أهداف الفريقين، وهو القضاء على المسلمين.

كان أول ما فكر فيه زعماء بني النضير الذين خرجوا إلى خيبر أن يتصلوا بقريش والقبائل الأخرى للثأر لأنفسهم والطمع في العودة إلى ديارهم وأملاكهم في المدينة. فخرج وفد منهم إلى مكة، منهم: سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن أبي الحقيق النضريون، وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليان، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم بالقتال معهم، حتى يستأصلوه، وأفتوهم بأن دينهم خير من دين محمد ﷺ، وأنهم أولى بالحق منه، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، ح٤٠٩٧).
(٢) الدلائل (٣/ ٣٩٦).
(٣) الفتح (١٥/ ٢٧٦).

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١][1]. ثم اتجهوا بعد هذا إلى قبيلة غطفان النجدية الكبرى وأغروها بالتحالف معهم ومع قريش على حرب المسلمين[2]، على أن يكون لهم نصف ثمر خيبر[3]، إذا اشتركت معهم في الحرب، وكان وافدهم إلى غطفان كِنَانة بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق، فأجابه عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَاري إلى ذلك[4].

وكتب المشركون إلى حلفائهم من بني أسد، فأقبل إليهم طلحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبو سفيان بقريش ومن تبعه من قبائل العرب، فنزلوا بمر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بني سليم مدداً لهم بقيادة سفيان بن عبد شمس والد أبي الأعور[5]، وبنو مرة بقيادة الحارث بن عوف، وأشجع بقيادة مِسْعَر بن رُخَيْلَة[6]. وسارت مع قريش الأحابيش ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة[7]، فصاروا في جمع عظيم، فهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب[8]، وذكر ابن إسحاق[9] أن

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل، ابن هشام (٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩)، وابن كثير في البداية: (٤/ ١٠٦)، والطبري في التفسير (٨/ ٤٦٩ ـ ٤٧١، شاكر) من حديث ابن عباس بإسناد فيه محمد بن أبي محمد، وهو مجهول. وذكر الطبري آراء العلماء في سبب نزول هذه الآية وخلاصة رأيه: وأولى الأقوال بالصحة ذلك قول من قال: إن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من اليهود، وجائز أن تكون كانت الجماعة الذين سماهم ابن عباس في الخبر الذي رواه محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد، أو يكون حيياً وآخر معه، إما كعباً وإما غيره» ص٤٧١، ورواه الواقدي (٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٢).

(٢) ابن كثير: التفسير (١/ ٥١٣)، من رواية ابن إسحاق، بإسناد حسن إلى ابن عباس.

(٣) عند الواقدي (٢/ ٤٤٣) فجعلوا لهم ثمر خيبر سنة.

(٤) من رواية موسى بن عقبة، بإسناده إلى الزهري، كما في الفتح (١٥/ ٢٧٥)، ودلائل البيهقي (٣/ ٣٩٨).

(٥) من رواية موسى بن عقبة في دلائل النبوة (٣/ ٣٩٩)، والفتح لابن حجر (١٥/ ٢٧٥)، وعنده أن بني سليم بقيادة أبي الأعور، ولعله خطأ، والصواب ما ذكره الواقدي وابن سعد من أنه سفيان والد أبي الأعور، من قادة معاوية ﷺ في صفين، انظر: الواقدي (٢/ ٤٤٣) وابن سعد (٢/ ٦٦).

(٦) من رواية ابن إسحاق، بإسناده إلى الزهري وغيره من مشايخه، وهو مرسل، ابن هشام (٣/ ٣٠٠).

(٧) ابن إسحاق، بأسانيده إلى مشايخه: ابن هشام (٣/ ٣٠٦).

(٨) من رواية موسى بن عقبة في دلائل البيهقي، والفتح لابن حجر: المصدرين السابقين.

(٩) ابن هشام (٣/ ٣٠٦)، معلقاً.

عدتهم عشرة آلاف بينما كان المسلمون ثلاثة آلاف[١].

تحرك هذا الجيش العرمرم من مر الظهران في طريقه إلى المدينة. فنزلت قريش ومن سار معها بمجتمع الأَسْيَال من رُومة، بين الجُرْف وزُغابة. ونزلت غطفان بذَنب نَقْمي إلى جانب أحد[٢]، ونزل معهم بنو أسد[٣].

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، استشار أصحابه، وقد أشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق[٤] في المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، أما الجهات الأخرى فكانت كالحصن تتشابك فيها الأبنية وأشجار النخيل وتحيطها الحَرَّات التي يصعب على الإبل والمشاة التحرك فيها[٥].

ووافق الجميع على هذه الفكرة لعلمهم بكثرة الجموع القادمة لحربهم، وشرعوا في حفر الخندق الذي يمتد من أجم الشيخين طرف بن حارثة شرقاً حتى المَذاد غرباً، وكان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة. وكان على كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعاً[٦]. حفر المهاجرون من ناحية جِمْشن رَاتِج في الشرق إلى حصن ذُباب، والأنصار من حصن ذُباب إلى جبل بني عُبَيْد في الغرب[٧].

---

(١) ذكر الواقدي عدد جماعة من هؤلاء الأحزاب: قريش ومن تبعها من الأحابيش = ٤٠٠٠، وبنو سليم = ٧٠٠، وبنو فزارة = ١٠٠٠، وأشجع = ٤٠٠، وبنو مرة = ٤٠٠، المغازي (٢/ ٤٤٣). وهؤلاء ستة آلاف وخمسمائة مقاتل، وتكون بقية العشرة آلاف مقاتل من بني أسد وبقية غطفان.

(٢) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٣/ ٣٠٦)، وفي ثلاثيات مسند أحمد للسفاريني (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، الغابة بدلاً عن زغابة ولا تعارض بينهما لأن الغابة شمالي زغابة ومتجاورتان.

(٣) من رواية موسى بن عقبة في دلائل البيهقي لابن حجر.

(٤) من رواية لأبي معشر السندي في مغازيه كما في الفتح ١٥/ ٢٧٥، معلقاً، والواقدي (٢/ ٤٤٥) بأسانيده إلى مشائخه وفيهم أبو معشر ـ نجيح ـ وهو ضعيف، وفيهم الثقات والضعفاء... وابن سعد (٢/ ٦٦) معلقاً.

(٥) من رواية موسى بن عقبة بإسناده إلى الزهري، كما في الفتح (١٥/ ٢٧٥)، ودلائل البيهقي (٣/ ٣٩٨).

(٦) وردت بذلك روايات ضعيفة من الناحية الحديثية، من طريق كثير بن عبد الله المزني، وهو ضعيف، فانظرها في: مجمع الزوائد (٦/ ١٣٠) وتفسير الطبري (٢١/ ٣٣) وفتح الباري (١٥/ ٢٨٠) وغيرهم، وقد وثق هارون كثير هذا.

(٧) الواقدي (٢/ ٤٤٥ ـ ٤٥٠)، ابن سعد (٢/ ٦٦ ـ ٦٧)، معلقاً. شرح ثلاثيات مسند أحمد (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

وعمل المسلمون في الحفر على عجل، يبادرون قدوم القوم[١]، وقد تراوحت مدة الحفر ما بين ستة أيام وأربعة وعشرين يوماً. فعند ابن عقبة[٢] استغرق قريباً من عشرين ليلة، وعند الواقدي[٣] أربعاً وعشرين ليلة، وفي الروضة للنووي[٤] خمسة عشر يوماً، وعند ابن سعد ستة أيام[٥].

وكان طعامهم أثناء الحفر القليل من الشعير يخلط بدهن متغير الرائحة لقدمه، ويطبخ فيأكلونه على الرغم من بشاعة طعمه في الحلق ورائحته المُنْتِنَة، وذلك لشدة جوعهم[٦]. وحتى هذا لا يجدونه أحياناً فيأكلون التمر[٧]، وأحياناً لا يجدون هذا ولا ذاك لمدة ثلاثة أيام متتالية، إلى الحد الذي يعصب فيه النبي ﷺ بطنه بحجر من شدة الجوع[٨].

وشارك جميع المسلمين في الحفر، لا فرق بين غني وفقير ومولى وأمير، وأسوتهم في ذلك الرسول ﷺ الذي حمل التراب حتى اغبر بطنه ووارى التراب جلده، وكان الصحابة يستعينون به في تفتيت الصخرة التي تعترضهم ويعجزون عنها، فيفتتها لهم[٩]. ويردد معهم الأهازيج والأرجاز لتنشيطهم للعمل، فيقول:

«اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا»

---

(١) من رواية ابن عقبة في الدلائل والفتح، سبق ذكرها.
(٢) من روايته في الفتح.
(٣) الفتح (١٥/ ٢٧٦).
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الطبقات (٢/ ٦٧)، معلقاً، وقد ذكر الدكتور العمري هذا القول دون غيره، ولعله المعتمد عنده، انظر: المجتمع المدني، الجهاد، ص١١٤، ونحن نميل إلى رواية ابن عقبة لأنه من رجال الكتب الستة وثقة وإمام في المغازي، كما ذكرنا في أول هذا الكتاب، وفي أماكن أخرى.
(٦) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧٨، ح٤١٠٠).
(٧) ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ابن هشام (٣٠٣ ـ ٣٠٤)، وانظر: البداية (٤/ ١١٢).
(٨) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧٩، ح٤١٠١).
(٩) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧٦، ٢٧٩، ح٤٠٩٨ ـ ٤١٠١)، مسلم (٣/ ١٤٣٠، ح١٨٠٣).

وكان يمد بها صوته بآخرها[١].

ويرتجز المسلمون وهم يعملون:

«نحن الذين بايعوا محمدا على الإسلام ما بقينا أبدا»

فيجيبهم بقوله:

«اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة»[٢]. وربما يبدؤهم بقوله فيردون عليه بقولهم[٣].

من دلائل النبوة أثناء حفر الخندق:

أجرى الله ﷻ على يدي نبيه محمد ﷺ عدة معجزات أثناء حفر الخندق، ومن ذلك:

١ - عندما لحظ جابر بن عبد الله ﷺ ما يعانيه الرسول ﷺ من الجوع، استأذنه وذهب إلى زوجته وأخبرها بما رأى من المَخْمَصَة على الرسول ﷺ وطلب منها أن تصنع له طعاماً، فذبح عَنَاقاً له وطحنت زوجه صاعاً من شعير بقي لهما، وصنعت بُرْمَة، وذهب جابر فدعا النبي ﷺ إلى الطعام وسارره بكمية الطعام، وأنه طُعَيم يكفي لرجل أو رجلين، فدعا النبي ﷺ كل من كان حاضراً وعددهم ألف، وتحير جابر وزوجته: لكن الله ﷻ بارك في البرمة، فأكل منها كل الناس حتى شبعوا وتركوا فيها الكثير الذي أكل منه أهل جابر وأهدوا[٤].

٢ - أخبر عمار بن ياسر، وهو يحفر معهم الخندق، بأن ستقتله الفئة الباغية، فقتل في صفين وكان في جيش علي[٥].

٣ - وعندما اعترضت صخرة للصحابة وهم يحفرون، ضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات فتفتت. قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني

---

(١) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٨٥، ح٤١٠٤) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٤٣٠ - ١٤٣٢، ح١٨٠٣ - ١٨٠٥).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٧٦ - ٢٧٨، ح٤٠٩٨)، مسلم (٣/ ١٤٣١، ح١٨٠٥).

(٣) المصدرين نفسهما.

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٨١ - ٢٨٣، ح٤٠١، ٤١٠٢)، ومسلم (٣/ ١٦١٠ - ١٦١١، ح٢٠٣٩)، ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٣٠٤ - ٣٠٥).

(٥) مسلم (٤/ ٢٢٣٥، ح٢٩١٥).

لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة[١].

وفي هذا الحديث بشارة بأن هذه المناطق سيفتحها المسلمون مستقبلاً، وكان موقف المؤمنين من هذه البشارة ما حكاه القرآن الكريم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وموقف المنافقين الذين سخروا من البشارة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٢][٢].

وصورت الآيات من ١٣ إلى ٢٠ من سورة الأحزاب نفسية المنافقين تصويراً دقيقاً، وحكت أقوالهم في الإرجاف والتخذيل، وأساليبهم في التهرب من العمل في حفر الخندق وجهاد العدو.

وعلى الرغم من تخذيل المنافقين وقلة الطعام وشدة البرد، فقد تم حفر الخندق ليكون خط دفاع متين؛ ثم جمع النساء والأطفال وأصحاب الأعذار في حصن فارع[٣]، وهو لبني حارثة، لأنه كان أمنع حصون المسلمين آنذاك[٤].

وكانت خطة المسلمين أن يكون ظهرهم إلى جبل سَلْع داخل المدينة[٥] ووجوههم إلى الخندق الذي يحجز بينهم وبين المشركين الذين نزلوا رومة بني

---

(١) من رواية أحمد والنسائي بإسناد حسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٨٠). وأصله في البخاري (٤٠٩٨) ومسلم (١٨٠٣)، أحمد (١٨٦٩٤) وضعفه محققو المسند.

(٢) قال الواحدي (٦/ ٢٥٩): «وزعم ابن السائب أن قائل هذا مُعَتِّب بن قُشَيْر».

(٣) مسلم (٤/ ١٨٧٩، ح٢٤١٦)، واسم الحصن عنده: «أطم، حصن، حسان». وذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل أن حصن فارع هو حصن حسان بن ثابت: ابن هشام (٣/ ٢١٧)، وجاء الاسم فارع مصرحاً به أيضاً في رواية البزار وأبي يعلى بإسناد ضعيف كما في المجمع (٦/ ١٣٣ - ١٣٤)، وكشف الأستار للهيثمي (١/ ٣٣٣)، وعند الواقدي (٢/ ٤٦٢).

(٤) رواه الطبراني كما في المجمع (٦/ ١٣٣) وقال الهيثمي: «رجاله ثقات»، وضعفه الدكتور العمري في المجتمع المدني، الجهاد ص١١٧، لأنه لم يقف على ترجمة لشيخ الطبراني وشيخ شيخه، وانظر: الواقدي (٢/ ٤٦٩)، وابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٣١٥).

(٥) من رواية ابن إسحاق، معلقة: ابن هشام (٣/ ٣٠٦).

الجرف والغابة ونقمى[١].

وعندما نظر الرسول ﷺ في حال العدو وحال المسلمين ورأى ضعف المسلمين وقوة المشركين، أراد أن يكسر شوكة المشركين، فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة زعيمي الأنصار، فاستشارهما في الصلح الذي عرضته عليه قبيلة غطفان ، وهو أن يعطوا ثلث ثمار المدينة لعام كي ينصرفوا عن قتال المسلمين، ولم يبق إلا التوقيع على صحيفة الصلح، فقالا له: «لا والله ما أعطيتا الدنية من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام». وفي رواية الطبراني أنهما قالا: «يا رسول الله: أوحي من السماء فالتسليم لأمر الله، أو عن رأيك أو هواك؟ فرأينا تبع هواك ورأيك، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا، فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء، ما ينالون منا ثمرة إلا شراء أو قرى». فقطع رسول الله ﷺ المفاوضة مع الأعراب الذين كان يمثلهم الحارث الغطفاني، قائد بني مُرَّة[٢].

وفي الجانب الآخر أراد يهود بني النضير أن يجروا معهم إخوانهم يهود بني قريظة إلى نقض العهد والغدر بالمسلمين والوقوف مع الأحزاب. فأوفدوا حيياً بن أخطب للقيام بهذه المهمة. فجاء حيي إلى كعب بن أسد القرظي. وبعد حوار طويل بينهما أقنعه بنقض العهد مع المسلمين بحجة قوة الأحزاب ومقدرتهم على استئصال المسلمين، وأغراه بأن يدخل معه حصنه عندما ينصرف الأحزاب، بعد أداء مهمتهم[٣].

وكان يوماً عصيباً من الدهر، ذلك اليوم الذي علم فيه المسلمون نقض بني قريظة ما بينهم وبين المسلمين من عهد. وتكمن خطورة ذلك في موقعهم الذي يمكنهم من تسديد ضربة غادرة للمسلمين من الخلف. فقد كانت ديارهم في العوالي،

---

(١) من رواية مرسلة لعروة رواها الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

(٢) رواه البزار والطبراني بإسنادين كلاهما حسن، انظر: كشف الأستار (١/ ٣٣١ ـ ٣٣٢) ومجمع الزوائد (٢/ ١٣٢)، وتشهد له طرق أخرى ولكنها ضعيفة، مثل: رواية ابن إسحاق المعلقة: ابن هشام (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) وابن سعد مرسلاً، مختصراً (٢/ ٧٣) وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٤٢٠) بسنده إلى أبي معشر. وفي رواية ابن إسحاق أن سعد بن معاذ تناول الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال: «ليجهدوا علينا».

(٣) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ٣٠٧ ـ ٣١٨)، وموسى بن عقبة فيما نقله عنه البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠٦) وهو موقوف على شيخه الزهري.

إلى الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزور[١].

لقد أثاء الزبير بما يدل على غدرهم، ويومها قال له الرسول ﷺ: «فداك أبي وأمي، إن لكل نبي حوارياً، وحواريّي الزبير»[٢]. ولزيادة الحيطة والحذر والتأكد من مثل هذه الأمور الخطيرة، أرسل الرسول ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوّات بن جُبَيْر، فجاءوا إلى بني قريظة وتحدثوا معهم، ووجدوهم قد نكثوا العهد ومزقوا الصحيفة التي بينهم وبين الرسول ﷺ إلا بني سَعْيَة[٣]، فإنهم جاؤوا إلى المسلمين وفاء بالعهد. وعاد رسل المسلمين إلى الرسول ﷺ بالخبر اليقين[٤].

وعندما شاع هذا الخبر خاف المسلمون على ذراريهم من بني قريظة[٥]، ومروا بوقت عصيب وابتلاء عظيم. ونزل القرآن واصفاً هذه الحالة: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠-١١][٦].

فالذين جاؤوهم من فوقهم هم الأحزاب، وبنو قريظة من أسفل منهم، والذين ظنوا بالله الظنونا هم المنافقون. أما المؤمنون فقد صمدوا لهذا الامتحان، واتخذوا كل الوسائل الممكنة لاجتياز الامتحان، فنظموا فرقاً للحراسة، فكان سلمة بن أسلم الأوسي أميراً لمائتي فارس وزيد بن حارثة أميراً لثلاثمئة فارس، يطوفون المدينة ويكبرون لإشعار بني قريظة باليقظة حتى لا تحدثهم أنفسهم بأن يغدروا بالذرية التي

---

(١) انظر: معجم البلدان للحموي (٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٩١، ح٤١١٢)، مسلم (٤/ ١٨٧٩، ح٢٤١٥)، وغيرهما... وتفصيل الخبر عند الواقدي (١/ ٤٥٧)، حيث ذكر أن الزبير وأهم يصالحون حصونهم ويدورون طرافهم وقد جمعوا ماشيتهم، وهذا يدل على أن الزبير نقل معلومات ظرفية.

(٣) جاء خبر بني سعية في رواية لابن إسحاق بإسناد معلق: ابن هشام (٣/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

(٤) من رواية ابن إسحاق المعلقة: ابن هشام (٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩)، وابن عقبة المنقطعة كما في دلائل البيهقي (٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠١)، والواقدي (٢/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، وابن سعد (٢/ ٦٧).

(٥) المصدران نفساهما.

(٦) رواه ابن إسحاق معلقاً، ابن هشام (٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)، والطبري في التفسير (٢١/ ١٢٨ ـ ١٥٥)، مرسلاً عن بعض التابعين، وهي عدة آثار، وهي بمجموعها تتقوى ببعضها البعض وترتقي إلى درجة الحسن لغيره.

في الحصون[١].

وعندما وصلت الأحزاب المدينة فوجئوا بوجود الخندق، فقاموا بعدة محاولات لاقتحامه، ولكنهم فشلوا لأن المسلمين كانوا يمطرونهم بوابل سهامهم كلما هموا بذلك، ولذا استمر الحصار لمدة أربع وعشرين ليلة[٢].

وذكر ابن إسحاق[٣] وابن سعد[٤] أن بعض المشركين اقتحموا الخندق، وعد ابن إسحاق منهم: عَمْرو بن عبد وُدّ وعكرمة بن أبي جهل وهُبَيْرَة بن أبي وهب وضِرار بن الخَطّاب الشاعر بن مِرْدَاس، وزاد ابن سعد واحداً على هؤلاء وهو: نَوْفَل بن عبد الله. وذكر أن علياً بارز عمرو بن عبد ود - فارس قريش - وقتله، وأن الزبير قتل نوفلاً المخزومي وأن الثلاثة الآخرين فروا إلى معسكرهم.

وظلت مناوشات المشركين للمسلمين وتراشقهم معهم بالنبل دون انقطاع طيلة مدة الحصار، حتى إنهم شغلوا المسلمين يوماً عن أداء صلاة العصر، فصلوها بعد الغروب[٥]. وذلك قبل أن تشرع صلاة الخوف، حيث شرعت في غزوة ذات الرقاع[٦] على رأي من يرى أن ذات الرقاع كانت بعد غزوة الخندق.

---

(١) ابن سعد (٢/ ٦٧) معلقاً، الواقدي (٢/ ٤٦٠).

(٢) من رواية ابن سعد (٢/ ٧٣)، بإسناد رجاله ثقات ولكنه من مراسيل ابن المسيب، ومراسيله قوية، وهو أقوى إسناد في مدة الحصار، وقال ابن إسحاق: «بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر»: ابن هشام (٣/ ٢١٠)، معلقاً، وروى الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٨)، من مرسل قتادة بإسناد حسن أن الحصار دام شهراً، وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب كما في دلائل البيهقي (٣/ ٤٠١) أنه قريب من عشرين ليلة، وقال ابن سعد (٢/ ٧٠): «خمس عشرة ليلة».

(٣) ابن هشام، معلقاً (٣/ ١١ ـ ٢١٣).

(٤) الطبقات الكبرى (٢/ ٦٨) معلقاً، وقد أورد الطبري في تاريخه (٢/ ٥٧٤)، مبارزة علي لابن عبد ود من مرسل الزهري، ومراسيله ضعيفة، ومن مرسل عكرمة بإسناد رجاله ثقات. وانظر محاولات اقتحام المشركين الخندق ومناوشاتهم ومبارزة علي وابن عبد ود عند الواقدي (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٧٣)، وهي ملحمة بطولية وإيمانية قوية لعلي، أنصح أن يقف عندها شباب الإسلام وفتيات منأية فاحصة. ولله دره من فارس مغوار.

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٩١، ح٤١١١ ـ ٤١١٢) وانظر شرح ابن حجر للحديث.

(٦) البخاري: الفتح (١٥/ ٣٠٦، ح٤١٢٥).

وقتل في هذه المناوشات ثلاثة من المشركين واستشهد ستة من المسلمين[١] منهم سعد بن معاذ، الذي أصيب في أكحَلِهِ - عِرْقٌ في وسط الذراع - رماه حِبَّان بن العَرِقَة. وقد نصبت له خيمة في المسجد ليعوده الرسول ﷺ من قريب، ثم مات بعد غزوة بني قريظة، حين انتقض جرحه[٢]. وكانت تقوم على تمريضه رُفَيدة الأسلمية[٣]. وكان قد دعا الله أن يبقيه لحرب قريش إن كان قد بقي منها شيء ليجاهد فيهم وأن يفجر جرحه فيموت إن كان الله قد وضع الحرب بين قريش والمسلمين - إشارة - إلى هذه الحرب. فانفجر جرحه، فكان سبب موته[٤] وزاد ابن إسحاق[٥] أنه دعا الله قائلاً: «ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة».

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: «حم، لا ينصرون»[٦].

لقد كفى الله المؤمنين القتال فهزم الأحزاب بوسيلتين: الأولى: تسخير الله نُعَيم بن مسعود ليخذّل الأحزاب، والثانية: الرياح الهوجاء الباردة.

١ - دور نُعَيم بن مسعود:

روى ابن إسحاق[٧] والواقدي[٨] وعبد الرزاق[٩] وموسى بن عقبة[١٠] أن نعيم بن

---

(١) من رواية ابن إسحاق والواقدي معلقاً، وذكرا العدد والأسماء والقبائل، ابن هشام (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠)، ومغازي الواقدي (٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦)، وذكر ابن سعد، معلقاً (٢/ ٧١) أسماء أربعة من الذين ذكرهم ابن إسحاق والواقدي.

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٤٩٩، ح٤١٢٢).

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد معلق، ابن هشام (٣/ ٣٢١).

(٤) البخاري: الفتح (١٥/ ٣٠١، ح٤١٢٢).

(٥) ابن هشام (٣/ ٣١٦) معلقاً. وانظر الحديث من رواية أحمد في المسند، الفتح الرباني (٢١/ ٨٢) وحسن الهيثمي إسناده كما في المجمع (٦/ ١٣٩)، رفيه الدعاء الذي أورده البخاري والذي أورده ابن إسحاق.

(٦) رواه ابن إسحاق معلقاً، ابن هشام (٣/ ٣١٤)، وأبو داود في سننه (٣/ ٧٤/ك. الجهاد/ب. في الرجل ينادي بالشعار)، والترمذي في السنن (٣/ ١١٥/ك. الجهاد/ب. الشعار) وكلاهما بالسند نفسه، وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٩) والحاكم من طرق (٢/ ١٠٧)، وصححه وسكت عنه الذهبي. ويصح الحديث بالشواهد والمتابعات كما ذكر محققا سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٥).

(٧) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٨) الواقدي (٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣).

(٩) المصنف (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) مرسلاً عن ابن المسيب.، ومراسيله قوية.

(١٠) من روايته المرسلة عن الزهري عند البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥)، وغيره.

مسعود الغطفاني، أتى النبي ﷺ مسلماً وعرض عليه أن يقوم بتنفيذ أي أمر يريده النبي ﷺ فقال له: «إنما أنت رجل واحد فينا، ولكن خذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خُدْعَة»[1].

وقبل أن يُعرف إسلام نعيم، أتى بني قريظة، فأقنعهم بعدم التورط مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن، لكيلا يولوا الأدبار، ويتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم مع المسلمين بالمدينة. ثم أتى قريشاً فأخبرهم أن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا، وأنهم قد اتفقوا سراً مع رسول الله ﷺ على أن يختطفوا عدداً من أشراف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم دليلاً على ندمهم، وقال لهم: فإن أرسلت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلاً منكم. ثم أتى غطفان وقال لهم مثل الذي قاله لقريش. وبذلك زرع بذور الشك بينهم. وأخذ كل فريق يتهم الفريق الآخر بالخيانة.

٢ - معجزة الرياح والبرد:

هبت ريح هوجاء في ليلة مظلمة باردة، فقلبت قدور المشركين واقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم ودفنت رحالهم، فما كان من أبي سفيان إلا أن ضاق بها ذرعاً فنادى في الأحزاب بالرحيل[2]. وكانت هذه الريح من جنود الله الذين أرسلهم على المشركين، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩].

وروى مسلم[3] بسنده عن حذيفة بن اليمان طرفاً مما حدث في تلك الليلة الحاسمة، قال حذيفة: «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وَقُرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، . . . (ردد ذلك ثلاثاً) ثم قال: قم يا حذيفة فأتنا

---

(١) «الحرب خدعة»، حديث للرسول ﷺ رواه البخاري: الفتح (١٢/ ١٢٦، ح٣٠٢٩، ٣٠٣٠)، ومسلم (٣/ ١٣٦١، ح١٧٣٩)، وغيرهما.

(٢) ابن سعد (٢/ ٧١) من مرسل سعيد بن جبير، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٠٦)، من رواية موسى بن عقبة الموصلة عن الزهري، ومراسيله ضعيفة.

(٣) صحيحه (٣/ ١٤١٤ ـ ١٤١٥، ح١٧٨٨). والقُرّ: البرد.

بخبر القوم، فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال: «ذهب فأتني بخبر القوم ولا تَذْعَرْهُمْ عليَّ. فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حَمَّام، حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يُصْلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كَبِدِ القوس، فأردت أن أرميَهُ، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تَذْعَرْهُمْ عليَّ»، ولو رَمَيْتُهُ لأصبته، فرجعت، وأنا أمشي في مثل الحمام. فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفَرَغْتُ، قُرِرْتُ، فألبسني رسول الله ﷺ من فَضْلِ عَبَاءَةٍ كانت عليه يصلي فيها. فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قُمْ يا نَوْمَانُ».

وزاد ابن إسحاق[1] في روايته لهذا الخبر: «... فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه؟ فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جانبي فقلت له: من أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون... فارتحلوا فإني مرتحل».

وفي رواية الحاكم[2] والبزار[3]: «... فانطلقت إلى عسكرهم فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عُصْبَة حوله، قد تفرق الأحزاب عنه، حتى إذا جلست فيهم فحسب أبو سفيان أنه دخل فيهم من غيرهم، قال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فضربت بيدي على الذي بميني وأخذت بيده، ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده، فلبثت مُتَبِهة، ثم قمت فأتيت رسول الله ﷺ... قلت: يا رسول الله، تفرق الناس عن أبي سفيان، فلم يبق إلا عصبة توقد النار قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا، ولكنا نرجوا من الله ما لا يرجون».

وختم الله هذا الامتحان الرهيب بهذه النهاية السعيدة، وجنَّب المسلمين شر القتال، قال تعالى معقباً على هذه الخاتمة: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا

---

(١) ابن هشام (٣/ ٣٢٢) بإسناد مرسل موقوف على محمد بن كعب القرظي.

(٢) المستدرك (٣/ ٢١) وصححه ووافقه الذهبي. ورواية الحاكم والبزار ومسلم وأبي نعيم والبيهقي شاهد على رواية ابن إسحاق، وتقويها. انظرها عند أبي نعيم في دلائله (٦/ ٥٠٠ ـ ٥٠١)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٤٩ ـ ٤٥٤)، من عدة طرق.

(٣) في كشف الأستار للهيثمي (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، وقال في المجمع (٦/ ١٣٦): رواه البزار، ورجاله ثقات.

وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وكانت هذه الخاتمة استجابة لضراعة النبي ﷺ إلى الله أثناء محنة الحصار: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[١].

لقد بذلت الأحزاب أقصى ما يمكنهم لاستئصال المسلمين، ولكن الله ردهم خائبين، وهذا يعني أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً في المستقبل، ولذا قال الرسول ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»[٢] وهذا عَلَمٌ من أعلام النبوة، لأن الذي حدث بعد هذا هو ما ذكره الرسول ﷺ.

حكم وعبر في غزوة الخندق:

١ - إن حفر الخندق يدخل في مفهوم المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، فينبغي على المسلمين اتخاذ وسائل القوة المتاحة مهما كان مصدرها، لأن الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها التقطها.

٢ - لقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى للحكام والمحكومين في العدالة والمساواة وعدم الاستئثار بالراحة يوم وقف جنباً إلى جنب مع أفراد جيشه ليعمل بيده في حفر الخندق. وهذه هي صفة العبودية الحقة التي تجلت في شخصية الرسول ﷺ.

٣ - أعطى الرسول ﷺ مثلاً آخر على رأفته بالمؤمنين، يوم شاركهم في حفر الخندق ويوم أشركهم معه في طُعَيم جابر، ولم يستأثر به مع قلة من الصحابة. وفي ضوء هذه المعاني يفهم قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

٤ - إن مجموعة المعجزات التي أجراها الله على يد نبيه محمد ﷺ أيام الخندق،

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٦٣، ح١٧٤٢).

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٩٠، ح٤١٠٩، ٤١١٠)، وانظر شرح ابن حجر لهذا الحديث، ورواه ابن إسحاق بلاغاً: ابن هشام (٣/ ٣٥٢)، ورواه غيره، وإشارتنا إلى رواية ابن إسحاق وغيره من أهل السير إلى جانب رواية الصحيح للدلالة على أنهم أئمة في هذا الشأن، وأن ما يروونه بلاغاً أو منقطعاً أو معلقاً أو بأي صورة من صور الضعيف يمكن أن يكون له أصل في الصحيح.

سواء التي كانت في حفر الخندق أو تكثير طعيم جابر أو الرياح التي كانت نقمة على المشركين، لهي مجموعة أخرى في سلسلة المعجزات الكثيرة التي أيد الله بها نبيه، ليقطع الحجة لدى المعاندين من المنافقين والمشركين وكل صنف من أصناف أعداء الدين. وقد أفردنا فصلاً لها.

٥ - إن الحكمة في استشارته ﷺ لبعض أصحابه في الصلح الذي اقترحته غطفان على الرسول ﷺ، هو أن الرسول ﷺ كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه على الرغم من ذلك الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة، إلى جانب خذلان بني قريظة للمسلمين ونقض مواثيقهم معهم.

٦ - وأما الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة، فهي محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ إن مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله، وأفعاله التي قام بها، ثم لم يرد اعتراض عليها من الله في كتابه العزيز.

وليس في هذه الاستشارة دليل على جواز دفع المسلمين الجزية إلى أعدائهم. أم إذا ألجئوا إلى اقتطاع جزء من أموالهم فعليهم التربص بأعدائهم لاسترداد حقهم المسلوب[1].

٧ - عندما شغل المشركون الرسول ﷺ وأصحابه عن صلاة العصر، صلوها قضاء بعد المغرب، وفي هذا دليل على مشروعية قضاء الفائتة.

---

(١) انظر هذه القضايا الفقهية عند البوطي: فقه السيرة، ص٢٣٣ - ٢٣٤.

الفصل الحادي عشر

غزوة بني قُرَيْظة

وقعت هذه الغزوة بعد غزوة الأحزاب مباشرة، في آخر ذي القعدة وأول ذي الحجة من السنة الخامسة الهجرية[١].

وواضح من سير الأحداث ومروياتها أن سبب الغزوة كان نقض بني قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، بتحريض من حُيَيّ بن أَخْطَب النَّضْرِي[٢]. وقد سبق أن ذكرنا من رواية الصحيحين أن الرسول ﷺ أرسل الزبير لمعرفة نيتهم، ثم أتبعه بالسعدين وابن رواحة وخوات لذات الهدف ليتأكد من غدرهم.

ولأن هذا النقض وهذه الخيانة قد جاءت في وقت عصيب، فقد أمر الله تعالى نبيه بقتالهم بعد عودته من الخندق ووضعه السلاح[٣]. وامتثالاً لأمر الله أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يتوجهوا إلى بني قريظة، وتوكيداً لطلب لسرعة أوصاهم قائلاً: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، كما في رواية البخاري[٤]، أو - الظهر - كما في رواية مسلم[٥].

وعندما أدركهم الوقت في الطريق، قال بعضهم: لا نصلي حتى نأتي قريظة، وقال البعض الآخر: بل نصلي، لم يُرِدْ منا ذلك، فَذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعَنِّفْ

---

(١) ابن سعد (٢/ ٧٤)، معلقًا، وعنده أنه سار إليهم يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة. وهي أصلًا رواية شيخه الواقدي في المغازي (٢/ ٤٩٦) أما ابن إسحاق فقال: إنها سنة خمس وسكت: ابن هشام (٣/ ٣٢٤)، معلقة.

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٦٨-٣٧٣) من مرسل سعيد بن المسيب، والرواية صالحة للاحتجاج بها مع المتابعة، ورواه أبو نعيم في دلائله من هذا الطريق (٢/ ٥٠٤-٥٠٥).

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٩٣، ح٤١١٧).

(٤) الفتح (١٥/ ٢٩٤، ح٤١١٩).

(٥) صحيحه (٣/ ١٣٩١، ح١٧٧٠).

واحداً منهم[١]. وهذا اجتهاد منهم في مراد الرسول ﷺ[٢].

قال ابن حجر[٣]: «... وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين - البخاري ومسلم - باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر، وبعضهم لم يصلها، فقيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر. وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الأولى: الظهر، وقيل للطائفة التي بعدها: العصر، وكلاهما جمع لا بأس به...».

خرج الرسول ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل معهم ستة وثلاثون فرساً[٤]، وضرب الحصار على بني قريظة لمدة خمس وعشرين ليلة على الأرجح[٥]، وضيق عليهم الخناق حتى عظم عليهم البلاء، فرغبوا أخيراً في الاستسلام، وقبول حكم الرسول ﷺ فيهم. واستشاروا في ذلك حليفهم أبا لبابة بن عبد المنذر ﷺ، فأشار إلى أن ذلك يعني الذبح. وندم على هذه الإشارة، فربط نفسه إلى إحدى سواري المسجد النبوي، حتى قبل الله توبته[٦].

وعندما نزلوا على حكم الرسول ﷺ أحب أن يكل الحكم عليهم إلى واحد من رؤساء الأوس، لأنهم كانوا حلفاء بني قريظة، فجعل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ، فلما دنا من المسلمين قال الرسول ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم، ثم قال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم

---

(١) البخاري ومسلم، المصدرين والمكانين نفسيهما.

(٢) ابن إسحاق بإسناد مرسل، ابن هشام (٣/ ٣٢٦). ذكرنا هنا ما زاده عن الصحيحين فقط.

(٣) الفتح (١٥/ ٢٩٤/ك. المغازي).

(٤) ابن سعد (٣/ ٧٤)، معلقاً، والمعلق كما هو معلوم من أقسام الضعيف.

(٥) من رواية أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٨١-٨٣)، ورواته ممن يحتج بهم، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٤٠): «وهذا الحديث إسناده جيد». وروى الطبري في تاريخه (٢/ ٥٨٣)، وفي الصحيح بعضه، بإسناد حسن، أن المدة بين الشهر والخمس وعشرين ليلة، بلفظ الشك، وعند ابن إسحاق خمس وعشرين ليلة، ابن هشام (٣/ ٣٢٦).

(٦) من رواية أحمد في المسند بإسناد حسن: الفتح الرباني (٢١/ ٨١-٨٣)، المسند (٢٥٠٩٧)، قال محققو الموسوعة: «بعضه صحيح، وجزء منه حسن، وهذا إسناد فيه ضعيف... وللحديث شواهد يصح بها...».

أموالهم. فقال له النبي ﷺ: قضيت بحكم الله تعالى»[١].

ونفذ الرسول ﷺ حكم الله فيهم. وكانوا أربعمائة على الأرجح. ولم ينج إلا بعضهم[٢]، وهم ثلاثة، لأنهم أسلموا، فأحرزوا أموالهم[٣]، وربما نجا اثنان آخران منهم بحصونهم على الأمان من بعض الصحابة، أو لما أبدوه من التزام بالعهد أثناء الحصار[٤]. وربما نجا آخرون لا يتجاوزون عدد أفراد أسرة واحدة، إذ يفهم من رواية عند ابن إسحاق[٥] وغيره[٦] أن الرسول ﷺ وهب لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس ولد الزُّبَيْر بن بَاطَا القُرَظِي، فاستحياهم، منهم عبد الرحمن بن الزبير، الذي أسلم، وله صحبة.

وجمعت الأسرى في دار بنت الحارث النجارية[٧]، ودار أسامة بن زيد[٨]، وحفرت لهم الأخاديد في سوق المدينة، فسيقوا إليها المجموعة تلو الأخرى لتضرب

---

(١) من رواية أحمد في مسنده، بإسناد حسن (٣/ ٣٥٠)، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان، بإسناد صحيح، وذكر ذلك ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٠١). وقد اختلف في عدتهم. انظر سيرة مهدي رزق الله، ص٤٦١، حاشية رقم (١٣).
وقام الدكتور محمد بن فارس الجميل بدراسة الروايات الخاصة بالعدد بالمقتول في كتابه: «النبي ﷺ ويهود المدينة»، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ومال إلى قول رواية الزهري التي تقول بأن القتلى كانوا أربعين فقط، ص٢٤٢-٢٤٧. والدراسة جيدة، ونؤيده في هذا - وجزاه الله خيراً.

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٠٢، ح٤٠٢٨)، ومسلم (٣/ ١٣٨٨، ح١٧٦٦)، وأبو داود في سننه (٢/ ١٤٠-١٤١)، وأبو عوانة في مسنده (٤/ ١٦٣).

(٣) ابن إسحاق بإسناد ضعيف: ابن هشام (١/ ٢٧٢)، و(٣/ ٣٢٩)، والذي يبدو أن إسناده الأول ينقرئ مع المتابعة، وقد تؤيد برواية بخاري ومسلم وأبي داود وأبي عوانة التي فيها أنه لم ينج أحد إلا بعضهم، وهذا البعض هو الذي فسرته رواية ابن إسحاق هذه.

(٤) ذكر ابن إسحاق، معلقًا: ابن هشام (٢/ ٣٣٠) منهم: عمرو بن سعدي.

(٥) بإسناد ضعيف: ابن هشام (٣/ ٣٣٥-٣٣٦)، لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٢)، من حديث ابن إسحاق عن الزهري مرسلًا، وصرح فيه بالسماع، و(٤/ ٢٠-٢١) من حديث موسى بن عقبة عن الزهري مرسلًا، والطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف: المجمع (٦/ ١٤٢)، وهذه الطرق الضعيفة تدل على أن لقصة ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا أصلاً، وعلى أقل تقدير أن ثابتًا أحسن إلى الزبير لما كانت للزبير على ثابت في الجاهلية.

(٦) مثل أبي عبيد: الأموال، ص١٤٦ بإسناد ضعيف لأنه مرسل الزهري.

(٧) من رواية ابن إسحاق، ابن هشام (٣/ ٣٣٣) معلقًا، والواقدي (٢/ ٥١٢).

(٨) من رواية عروة في مغازيه، ص١٨٧، والواقدي (٢/ ٥١٢-٥١٨).

أعناقهم فيها[١]. وقتلت امرأة واحدة منهم[٢]، لقتلها خَلَّاد بن سُوَيد ﷺ حيث ألقت عليه برحى[٣]. ولم يقتل الغلمان ممن لم يبلغوا سن البلوغ[٤].

ثم قسم الرسول ﷺ أموالهم وذراريهم بين المسلمين[٥].

مصير بعض سبي بني قريظة:

ذكر ابن إسحاق وغيره[٦] أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

وذكر الواقدي في المغازي[٧] في شأن بيع سبايا بني قريظة قولين آخرين إضافة إلى ما ذكره ابن إسحاق، والقولان هما:

---

(١) من رواية أحمد في المسند (٤/ ٣١٠)، والألباني: صحيح الترمذي (٣/ ١٠٨، ح٣٥٤٤)، وقال: «صحيح»، وغيرهما، والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص٢٨٨-٢٨٩.

(٢) من رواية أحمد في المسند (٦/ ٢٧٧)، من حديث ابن إسحاق بسند حسن. وأبي داود في السنن (٣/ ١٢٣/ك. الجهاد، ح٢٦٧١) بإسناد حسن لذاته، وعنده أن السبب لحدث أحدثته، وقال الشارح: إنها شتمت النبي ﷺ، وابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٣٣٤)، والواقدي (٢/ ٥١٦) واسمها عنده «بنانة»، وفي أصل سيرة ابن إسحاق «بنانة».

(٣) من رواية أحمد في المسند (٦/ ٢٧٧)، من حديث ابن إسحاق بسند حسن. وأبي داود في السنن (٢/ ٥٠/ك. الجهاد/ب. قتل النساء، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥-٣٦)، وصححه وسكتت عنه الذهبي، وابن هشام، معلقًا (٣/ ٣٣٥)، والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص٢٨٩، وخلاد هو الشهيد الوحيد في غزوة بني قريظة كما هو واضح من هذه الأحاديث.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٥٦١/ك. الحدود/ب. في الغلام يصيب الحد، ح٤٤٠٤، ٤٤٠٥)، والترمذي كما في صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ١١٤/ك. السير، ح١٦٤٩) ورمز له بالصحة، وابن ماجه (رقم٥٤١)، كما ذكر الألباني في صحيح الترمذي، وأحمد في مسنده (٤/ ٣١٠١) و(٥/ ٣١١-٣١٢) وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٣٣٧)، وابن سعد (٢/ ٧٦-٧٧)، بإسناد صحيح، وهو نفس طريق ابن إسحاق، ورواه غير هؤلاء.

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٠٢، ح٤٠٢٨)، مسلم (٣/ ١٣٨٨، ح١٧٦٦)، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٧].

(٦) ذكره عنه الشامي في سيرته (٥/ ٢٩) وابن عبدالبر في: الاستيعاب (٢/ ٤٧، ترجمة سعد بن زيد)، ذكره معلقًا، وذكره الواقدي (٢/ ٥٢٣).

(٧) (٢/ ٥٢٣) وانظر: السيرة الشامية (٥/ ٢٩)، والسيرة الحلبية (٢/ ٦٧٤-٦٨٥).

١ - بعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة إلى الشام بسبايا ليبيعهم ويشتري بهم سلاحاً وخيلاً.

٢ - اشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ﷺ جملة من السبايا... إلخ.

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بأن ذلك كله قد حدث.

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم رَيْحَانَة بنت عمرو بن خُنَافَة، وأسلمت. وقد توفي عنها رسول الله ﷺ وهي في ملك يمينه، وكان ذلك باختيارها[1].

أحكام وحكم ودروس وعبر من غزوة بني قريظة:

١ - جواز قتل من نقض العهد. ولا زالت الدول تحكم بقتل الخونة الذين يتواطؤون مع الأعداء حتى زماننا هذا. وهو ما يسمى بالخيانة العظمى.

٢ - جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم. كما في تحكيم ابن معاذ.

٣ - مشروعية الاجتهاد في الفروع، ورفع الحرج إذا وقع الخلاف فيها. فقد اجتهد الصحابة في تفسير قول الرسول ﷺ: «ألا لا يصلين أحد العصر - أو الظهر - إلا في بني قريظة»، ولم يخطئ الرسول ﷺ أحداً منهم.

٤ - ذكر النووي[2] أن جماهير العلماء احتجوا بقول الرسول ﷺ: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم...» وغيره على استحباب القيام لأهل الفضل، وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمثلون قياماً طوال جلوسه، وقد وافق النووي جماهير العلماء في هذا، ثم قال: «القيام للقادم من أهل الفضل مستحب وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح. وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء[3]»، وأجبت

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل: ابن هشام (٣/ ٣٣٩) ولكنه يتقوى بالمتابعة، فقد رواه ابن سعد (٨/ ١٣١) بإسناد رجاله ثقات يحتج بهم ما عدا الواقدي، وقد عدها من زوجات الرسول ﷺ، والواقدي (٢/ ٥٢٠-٥٢١) والطبري في التاريخ (٢/ ٥٩٢)، وعدها ابن عبدالبر، الاستيعاب (٤/ ٣٠٩)، بهامش الإصابة، وابن حجر: الإصابة (٤/ ٣٠٩) في زوجات الرسول ﷺ، وسيأتي ذكرها في الفصل الخاص بأمهات المؤمنين.

(٢) شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ٩٣).

(٣) وهذا الجزء المشار إليه مطبوع.

فيه عما توهم النهي عنه...».

٥ - قال الدكتور البوطي[1]: واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، لأن مشروعية إكرام الفضلاء لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته، بل إن من أبرز صفات الصالحين أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهاداً في طلب هذا الشيء... «غير أن من أهم ما ينبغي أن تعلمه في هذا الصدد أن لهذا الإكرام المشروع حدوداً إذا تجاوزها، انقلب الأمر محرماً، واشترك في الإثم كل من مقترفه والساكت عليه.

فمن ذلك ما قد تجده في مجالس بعض المتصوفة من وقوف المريدين عليهم وهم جلوس، يقف الواحد منهم أمام شيخه في انكسار وذل... ومنه ما يفعله بعضهم من السجود على ركبة الشيخ أو يده عند قدومه عليه، أو ما يفعله من الحَبْوِ إليه عندما يغشى المجلس... فالإسلام قد شرح مناهج للتربية وحظر على المسلمين الخروج عليها، وليس بعد الأسلوب النبوي في التربية من أسلوب يقرأ».

---

(١) انظر: فقه السيرة، ص٢٤٠-٢٤١.

الفصل الثاني عشر

أبرز الغزوات والسرايا والبعوث

والأحداث التي وقعت بين غزوة بني قريظة وغزوة الحديبية

□ المبحث الأول: سرية عبد الله بن عَتِيك لقتل سَلَّام بن أبي الحُقَيْق (أبي رافع): □

لقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ[1] وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه[2]. فقد أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ[3].

رغبت الخزرج في قتل أبي رافع مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وذلك بعد الفراغ من بني قريظة. وكان الله ﷻ قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فأذن لهم، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة[4].

فخرج من المدينة خمسة من الخزرج إلى حصن أبي رافع بخيبر من أرض الحجاز للقضاء عليه. وقد أمر الرسول ﷺ عليهم عبد الله بن عتيك.

فلما دنوا، وقد غربت الشمس، وراح الناس بِسَرْحِهِمْ، قال عبد الله لأصحابه: «اجلسوا مكانكم فإني منطلق فَمُتَلَطِّفٌ للبواب لعلي أدخل». «فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته. وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل لأغلق، فدخل، فكمن، فأغلق البواب الباب، وعلق الأقاليد على وَتَد، فقام ابن عتيك ففتح الباب، ثم توجه إلى بيت أبي رافع،

---

(١) انظر في مكانه من هذا الكتاب.

(٢) البخاري: الفتح (١٥/ ٢١٤، ح٤٠٣٩).

(٣) رواه ابن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة، كما ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢١٦).

(٤) هذا الجزء من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل موقوف على عبدالله بن كعب: ابن هشام (٣/ ٣٨٠).

وأخذ في فتح الأبواب التي توصل إليه، وكلما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله. فلم يمكنه تمييزه، فنادى: يا أبا رافع، فقال: من؟ فأهوى بالسيف نحو الصوت، فلم يغن شيئاً، فعاد عبد الله يناديه، وفي كل مرة يغير صوته، حتى استمكن منه وقتله دون أن يؤذي أحداً من ولده أو زوجته.

ثم خرج من البيت، وكان بصره ضعيفاً، فوقع من فوق السلم، فانخلعت رجله، فعصبها بعمامته، وتحامل على نفسه حتى جاء إخوانه فأخبرهم، فعادوا إلى الرسول ﷺ، فلما رآهم قال: «أفلحت الوجوه»، وحدثوه بما حدث، ثم قال لعبد الله: «أبسط رجلك»، فمسحها ﷺ فكأنه لم يشتكها قط[1].

وقد اختلف أهل السير في تاريخ هذه السرية: فعند الواقدي[2] أنهم خرجوا ليلة الاثنين في السحر لأربع خلون من ذي الحجة، على رأس ستة وأربعين شهراً من الهجرة وغابوا عشرة أيام، وعند ابن سعد[3] أنها في رمضان سنة ست من الهجرة وعند الطبري أنها في النصف من جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية، وقيل في ذي الحجة سنة خمس، وقيل في سنة أربع، وقيل في رجب سنة ثلاث[4].

والراجح أنه بعد الخندق وقريظة، لأنه ممن ألب الأحزاب على المسلمين. فإذا كان الرسول ﷺ قد فرغ من بني قريظة في منتصف ذي القعدة فتكون هذه السرية بعد هذا التاريخ بقليل. وعموماً فإن كل ذلك لم ترد فيه روايات صحيحة من الناحية الحديثية، حسب علمي المحدود.

□ المبحث الثاني: سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى القُرْطَاء: □

أرسل النبي ﷺ محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً لشن الغارة على القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب، وذلك في العاشر من المحرم من السنة السادسة، على رأس تسعة وخمسين شهراً من الهجرة[5] فسار إليهم يكمن النهار ويسير الليل

---

(١) من رواية البخاري: الفتح (١٥/ ٢١٥-٢١٩، ح٤٠٣٩).

(٢) المغازي (١/ ٣٩١).

(٣) الطبقات (٢/ ٩١) معلقاً.

(٤) ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢١٤).

(٥) ابن سعد (٢/ ٧٨)، معلقاً، الواقدي (٢/ ٥٣٤) وعنده أنها على رأس خمسة وخمسين شهرًا مهاجر.

حتى دهمهم على غِرَّة، فقتلوا منهم عشرة، وفر الباقون، واستاقوا الإبل والشاء.

ولقبهم ثُمَامَة بن أُثَال الحنفي، سيد بني حنيفة، وهم في طريق عودتهم إلى المدينة، فأسروه، وهم لا يعرفونه. فقدموا به المدينة، وربطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: ما عندك؟ قال: عندي يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد قال له ما قال بالأمس، فأجابه ثمامة بمثل ما أجاب. فأمر رسول الله ﷺ بإطلاقه. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد وتلفظ بالشهادتين، وذكر للرسول ﷺ أن وجهه أصبح أحب الوجوه إليه، وأن دينه أصبح أحب الدين كله إليه، وأن بلده أصبحت أحب البلاد كلها إليه، بعد أن كان ذلك كله أبغض الأشياء إليه. وقال إنه كان في طريقه إلى العمرة عندما أسر، فبشره رسول الله ﷺ وأذن له بالعمرة. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت يا ثمامة. قال: لا، ولكن أسلمت، وأقسم ألا يأتيهم من اليمامة حبة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ[1]. وأبر بقسمه. فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة ليخلي لهم حمل الطعام، فأذن النبي ﷺ في ذلك[2].

وكان له دور إيجابي في حركة الردة حين ثبت على الإسلام مع قومه بني سُحَيم، وكانوا ثلاثة آلاف رجلاً، كما ذكر السهيلي[3].

فوائد من قصة ثمامة:

١ - قال ابن حجر[4]: «وفي قصة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد،

---

(١) من رواية البخاري: الفتح (١٦/ ٢١٠-٢١١، ح٤٣٧٢)، ورواه أيضًا: مسلم (٣/ ١٣٨٦، ح١٧٦٤)، وابن شبة في تاريخ المدينة، (٢/ ٤٣٢-٤٣٩) بإسناد البخاري ولفظه. وزاد من طريق شيخه فليح بن محمد وابن إسحاق أنه لما كان في الأسر جمعوا ما كان في بيوت النبي ﷺ فلم يصب منه إلا قليلاً فتعجبوا، فقال النبي ﷺ: «إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المؤمن يأكل في معي واحد». وورد حديث الرسول ﷺ هذا في صحيح البخاري: الفتح (٢٠/ ٣٢١-٣٣؛ ح٥٣٩٣-٥٣٩٨)، ولم يذكر اسم الرجل مع اختلاف يسير في سبب قول الرسول ﷺ.

(٢) من زيادات ابن هشام على سيرة ابن إسحاق (٢/ ٣٨١) معلقًا.

(٣) الروض الأنف (٤/ ٢٥٣). وقد أبرزنا دوره في قمع الردة في كتابنا: «الثابتون على الإسلام في فتنة الردة ...».

(٤) الفتح (١٦/ ٢١٢/ك: المغازي، شرح الحديث رقم ٤٣٧٢).

والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل. وفيه الاغتسال عند الإسلام، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير. وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه. وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار، وأسر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه».

□ المبحث الثالث: غزوة بني لِحْيَان: □

بنو لحيان هم الذين غدروا بخُبَيْب وأصحابه يوم الرجيع. ولما كانت ديارهم متوغلة في بلاد الحجاز إلى حدود مكة، ولوجود ثارات بين المسلمين من جهة وقريش والأعراب من جهة أخرى، رأى رسول الله ﷺ ألا يتوغل في البلاد القريبة من العدو الرئيس. فلما وهنت عزائم الأحزاب رأى أن الوقت قد حان ليأخذ من بني لحيان ثأر أصحاب الرجيع، فخرج إليهم في مائتي صحابي، في ربيع الأول أو جمادى الأولى سنة ست من الهجرة[1]، واتبع أسلوب التعمية، إذ أظهر أنه يريد الشام، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُرَان - واد بين أَمِج وعُسْفَان - حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم. وسمعت به بنو لِحْيَان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فسار إلى عُسْفَان، فبعث فارسين[2] إلى كُرَاع الغَمِيم[3] لتسمع به قريش فيداخلهم الرعب، ويريهم من نفسه قوة[4].

---

(١) عند ابن إسحاق عن شيخيه عاصم بن عمر وعبدالله بن أبي بكر عن عبدالله بن كعب، فهو ضعيف للإرسال والعنعنة، وصرح بالتحديث في روايته عند ابن سعد (٢/ ٧٩) أنه خرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من غزوة بني قريظة، ابن هشام (٣/ ٣٨٧). وعند الواقدي (٢/ ٥٣٥) أنه خرج لهلال ربيع الأول سنة ست، ووافقه ابن سعد (٢/ ٧٨)، وإسناده معلق.

(٢) من رواية ابن إسحاق: ابن هشام (٣/ ٣٨٨)، وابن سعد (٢/ ٧٩)، وعند الواقدي (٢/ ٥٣٦) أنهم عشرة.

(٣) موضع جنوبي عسفان بثمانية أميال، وعسفان قرب مكة.

(٤) من رواية الواقدي، وإني هنا خبر هذه الغزوة رواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف: ابن هشام (٣/ ٣٨٧-٣٨٩) وابن سعد (٢/ ٧٨-٨٠) من طريق ابن إسحاق، ومختصراً من طريق غيره، الواقدي (٢/ ٥٣٥-٥٣٧).

وفي عسفان استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد، فصلى النبي ﷺ بأصحابه الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا منهم غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة[1] هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم: فنزل جبريل ﷺ على رسول الله ﷺ بهذه الآيات: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء: ١٠٢][2].

وقيل إن هذه أول صلاة خوف صلاها رسول الله ﷺ[3] وللعلماء مقال في كيفية صلاة الخوف والوقت الذي فرضت فيه[4]. ذكر ذلك في مكانه من قبل.

فوائد من هذه الغزوة:

١ - مشروعية صلاة الخوف.

٢ - مشروعية المعاقبة بالمثل بقتال، وقتل من خان وغدر.

٣ - مشروعية التورية والتعمية على العدو ليصاب منه غرة.

٤ - مشروعية إرهاب العدو بالنزول بساحته وإظهار القوة له[5].

---

(١) هي صلاة العصر.

(٢) من رواية الإمام أحمد في المسند (٤/ ٥٩-٦٠) بإسنادين على شرط الشيخين كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٩٣)، وصححه الشيخ شاكر في تفسير الطبري (٩/ ١٣١-١٣٣)، وخرج الحديث من طرق أخرى عند الآخرين، فانظره في حاشيته، ص١٣٢-١٣٣).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٩٤).

(٤) انظر ذلك في: تفسير الآيتين (١٠١، ١٠٢) من النساء عند الطبري في التفسير (٩/ ١٢٧-١٦٢، شاكر) وعند ابن كثير في البداية (٤/ ٩٣-٩٤) وفي التفسير (٢/ ٣٥٠-٣٥٦)، وقد رجح الحكمي - مرويات غزوة الحديبية، ص١١٥ ١٣٣ أن أول صلاة خوف صلاها الرسول ﷺ بعسفان في الحديبية، والإشكال كله في تشابه القصة التي في غزوة بني لحيان والتي في الحديبية، وأن رواية الصلاة بعسفان لم تقرن بالحديبية، وسيأتي ذكر ذلك في مكانه عند الكلام على غزوة الحديبية، إن شاء الله.

(٥) انظر: هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب. ص٣٢٦.

□ المبحث الرابع: سرية زيد بن حارثة إلى العيص[١]: □

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة ست من الهجرة، في سبعين ومائة راكب ليتعرض لعير لقريش بلغه أنها أقبلت من الشام، فتمكنوا من أخذها وما فيها، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا أناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدموا بهم إلى المدينة، فاستجار أبو العاص بزوجته زينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته، وقبل الرسول ﷺ إجارتها، ورد عليه ما أخذ منه[٢]. وجاء أبو العاص إلى مكة وأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم نطق بالشهادتين، وقال لهم: وما منعني أن أقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم. ثم رجع إلى المدينة، فرد عليه الرسول ﷺ زينب بالنكاح الأول[٣]، أي بنكاح جديد، ولكن دون تعديل في شروط النكاح على الأول، كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهو ما عليه العمل على ما فيه من مقال - وانظر تفاصيل هذا عند: ابن حجر[٤]، وذكر الخلاف الطويل في هذا الباب؛ ابن كثير[٥]؛ ابن قدامة[٦]

---

(١) بينها وبين المدينة أربع ليال.

(٢) ابن سعد (٢/ ٨٧)، معلقًا، وزاد ابن إسحاق: ابن هشام (٢/ ٣٦٥- ٣٦٨)، والواقدي (٢/ ٥٥٣- ٥٥٤)، خبر إسلام أبي العاص، ورد الرسول ﷺ عليه زوجته. وقصته إلى أمر الإجارة رواها ابن إسحاق بدون إسناد، وروى خبر رد ماله متقطعًا، وروى خبر رد زينب بالنكاح الأول بإسناد متصل وفيه التصريح بالسماع؛ ولكن في سنده داود بن الحصين، وفيه كلام كما في التهذيب (٣/ ٦٨١)، وممن روى حديث النكاح بإسناد ابن إسحاق: الترمذي (٢/ ٣٠٥) وقال: «هذا حديث ليس بإسناده بأس ...». ورواه من غير طريق ابن إسحاق: سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٧٣) مرسلاً عن الشعبي، ولعل حديث ابن إسحاق يتقوى بهذا، لأن مراسيل الشعبي صحيحة عند بعض كبار المحدثين، انظر: كتاب المراسيل لأبي داود، تحقيق عبدالعزيز السيروان، ص٤٤ ويرى ابن كثير في البداية (٤/ ٢٠١)، أن إسلام أبي العاص كان في سنة ثمان، سنة الفتح، لا كما ذكر الواقدي من أنه سنة ست. وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين.

(٣) ابن إسحاق، بإسناد متصل، فيه ابن الحصين، وفيه مقال، ولذا ضعف محققا سيرة ابن هشام هذا الخبر. ابن هشام (٢/ ٣٦٨).

(٤) الفتح (٢٠/ ٩٦-٩٨)، الطلاق - إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي.

(٥) البداية والنهاية (٣/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٦) المغني (١٠/ ١٠-١١).

السهيلي[١]، مغلطاي[١]، سعيد بن منصور[٣]، مهدي رزق الله[٤].

حكم من أحداث هذه السرية:

استُدِلَّ بقصة زينب ﷺ وابن الربيع على أن المرأة المسلمة إذا هاجرت إلى رسول الله ﷺ، وزوجها كافر، مقيم بدار الكفر، فإن الهجرة تفرق بينه وبين زوجته، إلا أن يقدم زوجها مسلماً مهاجراً قبل أن تقضي عدتها، فإن الهجرة في هذه الحالة لا تفرق بينهما. وكذلك الحكم إذا أسلم الزوج بعد انقضاء العدة ولو طالت المدة، فهما على شروط نكاحهما الأول، إذا اختار ذلك ولي المرأة ما لم تتزوج[٥].

قال ابن قدامة في المغني (١٠/ ١٠): «إنه إذا أسلم أحد الزوجين وتخلف الآخر حتى انقضت عدة المرأة، انفسخ النكاح، في قول عامة العلماء. قال ابن عبد البر: لم يختلف العلماء في هذا، إلا شيء روي عن النخعي من شذ فيه عن بقية العلماء، فلم يتبعه عليه أحد، زعم أنها ترد إلى زوجها، وإن طالت المدة؛ لما روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد زينب على زوجها أبي العاص بنكاحها الأول. روى أبو داود (٢/ ٥١٩) واحتج به أحمد..» قلت: وفي الأمر خلاف يطول شرحه، فراجعه في المصادر المذكورة.

فائدة: انظر هنا أحداث سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرف وسريته إلى جُذام من أرض جِسْمَى وسريته إلى وادي القُرَى، عند د. مهدي[٦].

□ المبحث الخامس: سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُوْمَة الجَنْدَل: □

في شعبان سنة ست من الهجرة دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف فأقعده بين يديه وعمَّمه بيده وقال له: «بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله! لا تغل

---

(١) الروض الأنف (٣/ ٦٩).

(٢) السيرة، ص٩٦.

(٣) السنن (٢/ ٧٢-٧٣).

(٤) السيرة ط١، ص٤٧٢.

(٥) انظر: الشيخ سيد سابق: فقه السنة (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، ففيه تفصيل هام، وفي بعضه خلاف ما ذكرنا.

(٦) السيرة، ط١، ص٤٧٢-٤٧٣.

ولا تغدر ولا تقتل وليداً! وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال له: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فجاءهم ومكث فيهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم رئيسهم الأصْبَغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وأسلم معه خلق كثير من قومه. وأقام من أقام على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن تُمَاضِر بنت الأصْبَغ، وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سَلَمَة بن عبد الرحمن[١].

❑ المبحث السادس: سرية علي بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد بن بكر بِفَدَك: ❑

بعثه الرسول ﷺ إليهم في شعبان سنة ست، عندما بلغه أن لهم جمعًا يريدون أن يمدوا يهود خيبر. وكان معه مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار. وأصاب في طريقه عينًا، فأقر له أنه بُعث إلى خيبر، ليعرض عليهم نصرهم، على أن يجعلوا لهم تمر خيبر. وعندما أمّنوه دلهم على مكانهم فأغاروا عليهم، فاستاقوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن[٢].

فائدة: انظر أحداث سرية زيد بن حارثة إلى بني فَزارة، عند د. مهدي رزق الله[٣].

❑ المبحث السابع: سرية عبد الله بن رواحة إلى اليُسَيْر بن رِزَام اليهودي: ❑

بلغ رسول الله ﷺ أن اليسير بن رزام أمير اليهود بخيبر بعد سلام بن أبي الحُقَيْق، أخذ يجمع غطفان ليغزوه بهم مع اليهود، فبعث إليه سرية في ثلاثين راكباً عليهم عبد الله بن رواحة، وفيهم عبد الله بن أُنَيس، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر، فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، وكان هو رديف عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى

---

(١) ابن سعد (٢/ ٨٩) معلقًا، ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ولم يسم وجهة السرية وزاد ابن هشام معلقًا، أنها سرية دومة الجندل، ابن هشام (٤/ ٣٦٩-٣٧١)، الواقدي (٢/ ٥٦٠)، بإسناد متصل.

(٢) الواقدي (٢/ ٥٦٢-٥٦٤)، ابن سعد (٢/ ٨٩-٩٠) معلقًا، ابن إسحاق مختصراً ومعلقًا، ابن هشام (٤/ ٣٤٤).

(٣) السيرة، ص٤٧٤-٤٧٦.

إذا كانوا بِقَرْقَرَة ثِبار، على ستة أميال من خيبر، ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله ﷺ، فأهوى بيده على سيف رديفه ابن أنيس، فقطن له، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بِمِخْرَش[١] في يده من شَوَاجِط[٢]، فضرب به وجه عبد الله فأمه[٣]، ومال كل رجل من المسلمين على رديفه من اليهود فقتله، إلا رجلاً واحداً أفلت على رجليه. فلما قدم ابن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته، فلم تقح ولم تؤذه[٤].

لم تذكر رواية الواقدي صراحة قتل اليُسَيْر ولكن جزم ابن حجر[٥] بأنه قتل في هذه الحادثة على يد ابن رواحة. وعند مغلطاي[٦] أنه قتل وقتل معه نحو الثلاثين.

وكانت هذه السرية في شوال سنة ست من الهجرة[٧].

□ المبحث الثامن: سرية كُرز بن جابر الفهري إلى العُرَنِيِّين: □

قدم على رسول الله ﷺ جماعة من عُكْل[٨] وعُرَيْنَة[٩]، في شوال من العام السادس الهجري[١٠]، وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع ولم

---

(١) المخرش: شبه المقرعة يضرب به، وهي معوجة الرأس.

(٢) الشواجط: شجر النبع، من أشجار الجبال التي يتخذ منها القسي (لسان العرب ٨/ ٣٤٥).

(٣) فأمه: أي جرحه في رأسه، والشجة المأمومة هي التي تبلغ أم الرأس والدماغ.

(٤) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، وابن سعد، معلقاً (٢/ ٩٢) ولم يذكر تفل الرسول ﷺ على شجة ابن أنيس، وعروة، رواه عنه أبو الأسود وفي سنده ابن لهيعة، وفيه مقال وحديثه حسن لولا الإرسال (مغازي عروة، ص١٩٦)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٥١٦ ـ ٥١٧)، وموسى بن عقبة عن الزهري مرسلاً، ذكره البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٩٤)، ورواه سعيد بن منصور عن مرسل بريدة بن سفيان كما في الفتح (٨/ ٣٨٣). ويلحظ أن المصادر المطبوعة تختلف في اسم أمير هذه السرية، وفي اسم هذا اليهودي. انظر: السيرة لمهدي رزق الله، ط١، ص٤٧٧، حاشية (٥٥)، ففيه تفصيل تركناه للاختصار.

(٥) الإصابة (٢/ ٣٠٦).

(٦) الإشارة، ص٢٧٤.

(٧) الواقدي (٢/ ٥٦٦).

(٨) عكل: قبيلة من تيم الرباب.

(٩) عرينة: حي من بجيلة.

(١٠) من رواية الواقدي (٢/ ٥٦٨) معلقة، وابن سعد (٢/ ٩٣)، معلقة.

نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بِذَوْدٍ[١] ورَاعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها ويتمسَّحوا بأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحَرَّة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذَّوْد. فبلغ النبي ﷺ خبرهم فبعث الطَّلَبَ في آثارهم[٢]، فقبضوا عليهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة راوي الحديث -: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المُثْلَة[٣]، وقال في رواية أخرى: إن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود[٤]. وقال أبو قِلابة في حديثه: «هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله»[٥].

قال الجمهور إن آية الحرابة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، قد نزلت في هؤلاء العرنيين[٦]. وقيلت أسباب أخرى في نزولها[٧].

ومما يستفاد من أحداث هذه السرية أيضاً، أن العلم الحديث قد كشف عن الفائدة الطبية العلاجية لأبوال الإبل وألبانها، مثلما قاله الرسول ﷺ، لأولي الألباب دليل آخر من بين مئات الأدلة على نبوة محمد ﷺ. وسنذكر هذا الكشف في مكانه من فصل المعجزات النبوية.

---

(١) الذود: الإبل إذا كانت ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل ما بين الثنتين إلى التسعة، وهي من الإناث دون الذكور.

(٢) في رواية أهل المغازي والسير أنه بعث في أثرهم كرز بن جابر الفهري في عشرين فارساً، وأن اسم الراعي يسار - ابن إسحاق - بإسناد ضعيف، ابن هشام (٤/ ٣٨٣ - ٣٨٤) وابن سعد (٢/ ٩٣)، والواقدي (٢/ ٥٦٩).

(٣) روى حديث هذه السرية: البخاري: الفتح (١٦/ ٣٤، ح٤١٩٢).

(٤) المصدر نفسه: (٢١/ ٢٥٨ - ٢٥٩، ح٥٦٨٥، ٥٦٨٦).

(٥) المصدر نفسه: (٢٥/ ٢٥٣ - ٢٥٤)، ح٦٨٠٥. وروى القصة مسلم (٣/ ١٢٩٦ - ١٢٦٨، ح١٦٧١).

(٦) انظر: سيد سابق: فقه السنة (٢/ ٤٧١).

(٧) انظر: الطبري: التفسير (١٠/ ٢٤٢ - ٢٤٤) حيث ذكر أسباباً أخرى في نزولها.

◻ المبحث التاسع: سرية عمرو بن أمية الضَّمْري لقتل أبي سفيان: ◻

أبدى أبو سفيان لقومه رغبته في إرسال من يقتل محمداً، فجاءه أعرابي فاتك باطش وقبل أداء المهمة، فزوده أبو سفيان ببعير ونفقة وأوصاه بكتمان الأمر، فجاء المدينة بعد ستة أيام، فدلوه على الرسول ﷺ في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه قال: إن هذا ليريد غدراً، والله حائل بينه وبين ما يريد، وعندما ذهب الأعرابي لينحني على الرسول ﷺ جبذه أسيد بن الحضير لينتحي عن الرسول ﷺ فإذا الخنجر بداخل إزاره، فأسقط في يد الأعرابي، وعرض عليه الرسول ﷺ الأمان إن هو صَدَقَه، فأخبره بالقصة وما جعل له أبو سفيان، فخلى عنه الرسول، فأسلم.

ولهذا بعث الرسول عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم بن جريش إلى أبي سفيان ليقتلاه، فجاءا مكة، وبعد أن طافا وصلَّيا فمن أهل مكة لعمرو وشكرا فيه، فهمُّوا بقتله مع صاحبه، ففرَّا إلى المدينة[1].

◻ المبحث العاشر: سرية الخَبَط (سيف البحر)[2]: ◻

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب قِبَل الساحل ليرصدوا عيراً لقريش. وعندما كانوا ببعض الطريق فنيَ الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان قدر مزود تمر، يقوتهم منه كل يوم قليلاً قليلاً، حتى كان أخيراً نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، ثم فنيت فلجأوا إلى أكل الخبط، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط. ثم نحروا من إبلهم حتى كادت تفنى، فنهاهم أبو عبيدة عن ذلك. وعندما انتهوا إلى الساحل بعد مسير نصف شهر، ألقى الله إليهم حوتاً ميتاً من

---

(١) ابن سعد (٢/ ٩٣ ـ ٩٤)، معلقاً، وابن هشام (٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥)، معلقاً، وليس فيه قصة أبي سفيان والأعرابي، وإسحاق بن راهويه في مسنده بإسناد فيه مجهول كما في المطالب العالية (٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٤)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢١٢)، مختصراً وبإسناد فيه الواقدي، والطبري في تاريخه (٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٥)، من طريق ابن إسحاق، وفي سنده جعفر بن الفضل، لم يترجم له أحد، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) بإسناد فيه الواقدي.

(٢) الخبط: ورق الببضاء من الكلح والسلم ونحوه يخبط بالعصا فيتساقط، وكانت تعلفه الإبل، وقد سبق ذكره ذلك في خبر المقاطعة العامة.

البحر، مثل الظَّرِب[١] يقال له العَنْبَر، فأكلوا منه وادَّهنوا نصف شهر، فصحَّت أجسامهم، وأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبها فمر الراكب من تحته. ولم يلق المسلمون كيداً، فعادوا وأخبروا الرسول ﷺ بقصة الحوت، فقال: «كلوا رزقاً أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم». فأتاه بعضهم بعضو فأكله[٢].

وكانت هذه السرية على الأرجح قبل صلح الحديبية، وليس في رجب سنة ثمان كما ذكر ابن سعد[٣]، وذلك لسببين: السبب الأول: أن الرسول ﷺ لم يغز ولم يبعث سرية في الشهر الحرام، والثاني: أن رجب سنة ثمان هو ضمن فترة سريان صلح الحديبية[٤].

وذكر ابن سعد والواقدي[٥] أن النبي ﷺ بعثهم إلى حي من جهينة، وقال ابن حجر[٦]: إن هذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح، لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيراً لقريش ويقصدون حياً من جهينة، ويحتمل أن يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة. ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم[٧] أن البعث كان إلى أرض جهينة.

إن من أبرز المسائل الفقهية التي وردت في قصة هذه السرية أن في أكل الرسول ﷺ من لحم الحوت الذي تغذى منه المسلمون مدة دليل على مشروعية أكل ميتة البحر[٨].

---

(١) الظرب: الجبل الصغير.

(٢) رواه البخاري من عدة طرق، الفتح (١٦/ ١٩٨ ـ ٢٠٣، ح٤٣٦٠ ـ ٤٣٦٢)، ومسلم من عدة طرق (٣/ ١٥٣٥ ـ ١٥٣٧، ح١٩٣٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن: (ابن هشام ٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٤١ ـ ١٤٢/ح ١٤٣٣٨) وغيرهم.

(٣) الطبقات (٢/ ١٣٢) معلقاً، وعد الذهبي ذلك زعماً، انظر: مغازي الذهبي ص٥١٩، وزعم ابنُ القيم أن سبط الناس في متابعته لابن سعد في هذا التاريخ، الزاد (٣/ ٣٨٩).

(٤) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، والعمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص١٢٥.

(٥) المغازي (٢/ ٧٧٤).

(٦) الفتح (١٦/ ١٩٩).

(٧) صحيحه (٣/ ١٥٣٧، ح١٩٣٥).

(٨) انظر ذلك في أبواب وكتب الأطعمة من أسفار الحديث والفقه.

الفصل الثالث عشر

عمرة وصلح الحُدَيْبِيَة[١]

المبحث الأول: أحداث الحُدَيْبِيَة:

خرج الرسول ﷺ وأصحابه لأداء العمرة[٢] في يوم الاثنين هلال ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية[٣].

وكان الرسول ﷺ يخشى أن تعرض له قريش بحرب أو يصدوه عن البيت الحرام، لذلك استنفر العرب المسلمين ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، فأبطؤوا عنه، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار وبمن لحق به من العرب[٤]. وقد كشف القرآن عن حقيقة نوايا الأعراب، فقال: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١١-١٢].

وقد ذكر مجاهد[٥] أن الأعراب الذين عنتهم الآية هم أعراب جهينة ومزينة،

---

(١) الحديبية اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلاً شمالي غربي مكة، وتعرف اليوم بالشميسي، وبها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان، انظر: نسيب حرب، ص٣٥٠.

(٢) أي عمرة الحديبية حيث صده المشركون، البخاري: الفتح (٨/ ٨٦، ح١٧٢٨).

(٣) الواقدي (١/ ٥٧٣)، ابن سعد (٢/ ٩٥)، معلقاً، والتصريح بيوم الاثنين وهلال ذي القعدة من رواية: ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٣/ ٤٢٦)، ورواه موسى بن عقبة والزهري وقتادة كما في دلائل البيهقي (٣/ ٩١). ورواه البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٠ ـ ٩١)، بإسناد حسن ولكنه مرسل عن نافع مولى ابن عمر، وفيها أنها في ذي القعدة سنة ست، وكونها في ذي القعدة صرح به حديث البخاري في الفتح (٨/ ٨٦)، وهكذا فالجمهور على أنها في ذي القعدة سنة ست.

(٤) ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٣/ ٤٢٧)، الواقدي (٢/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٧) بإسناد حسن إلى مجاهد، وهو مرسل، ويشهد له مرسل قتادة في أن الآية نزلت في الأعراب الذين تخلفوا عن الرسول ﷺ في غزوة الحديبية، الطبري (٢٦ ـ ٧٨).

وذكر الواقدي[١] أن الأعراب الذين تشاغلوا بأموالهم وأولادهم وذراريهم هم بنو بكر ومزينة وجهينة.

ويفهم من رواية البخاري[٢] أن المسلمين كانوا يحملون أسلحتهم استعداداً للدفاع عن أنفسهم في حالة الاعتداء عليهم.

لقد اتفق خمسة من الذين كانوا في هذه الغزوة على أن عدد من خرج فيها كانوا ألفاً وأربعمائة رجل[٣].

ولقد صلى المسلمون وأحرموا بالعمرة عندما وصلوا إلى ذي الحليفة[٤]، وقلد رسول الله ﷺ الهدي وأشعره، وعددها سبعون بدنة[٥]، وبعثها مع ناجية بن جُنْدُب بن عمير الخزاعي الأسلمي[٦]. وبعث بين يديه بشر بن سفيان الخزاعي الكعبي عيناً له إلى قريش ليأتيه بخبرهم[٧].

وعندما وصل المسلمون الرَّوحاء[٨] جاءه نبأ عدو بغَيْقَة، [موقع بين مكة والمدينة] فأرسل إليهم طائفة من أصحابه، فيهم أبو قتادة الأنصاري، ولم يكن محرماً، فرأى حماراً وحشياً، فحمل عليه فطعنه، ورفض أصحابه أن يعينوه عليه، ولكنهم أكلوا منه وهم حرم، ثم شكوا في حل ذلك، فعندما التقوا بالرسول ﷺ في السقيا[٩]، استفتوه في الأمر، فأذن لأصحابه بأكل ما جاؤوه به من بقية اللحم ما

---

(١) المغازي (٢/ ٥٧٤) بأسانيده ولم يذكر الآيتين.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٩، ح٤١٧٨ ـ ٤١٧٨).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١٥، ٤١٥١) و(١٦/ ١٧، ح٤١٥٤)، ومسلم (٣/ ١٤٣٣، ح١٨٠٧) و(٣/ ١٤٨٤ ـ ١٤٨٥، ح١٨٥٦، ١٨٥٨).

(٤) البخاري: الفتح (٨/ ١٤، ح١٦٩٤، ١٦٩٥).

(٥) مسند أحمد (٤/ ٣٣٣ و٣٢٨) بإسناد حسن، ابن إسحاق، بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٤٢٧).

(٦) من حديث ابن إسحاق بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٤٣٠ ـ ٤٣١)، ومن رواية أحمد، وبإسناد صحيح موصول إلى ناجية ﷺ (المسند ٤/ ٣٣٤، والموسوعة ٣١/ ٢٧٣ برقم ١٨٩٤٣)، وخرَّج محققو الموسوعة طرقه الأخرى.

(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٩، ح٤١٧٨، ٤١٧٩)، ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٢٨)، وفيه التصريح باسم العين الذي أرسل، وعند ابن إسحاق بشر، وقال ابن هشام: ويقال فيه بُسْر.

(٨) الروحاء: على بعد ٧٣ كيلاً عن المدينة المنورة.

(٩) السقيا: على بعد ١٨٠ كيلاً عن المدينة.

داموا لم يعيتوا على صيده[١].

وعندما وصلوا عسفان[٢] جاءهم بسر بن سفيان الكعبي بخبر قريش فقال: «يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العُوذُ المطافيل[٣] قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طُوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قدموا كُرَاع الغَمِيم»[٤]. فاستشار النبي ﷺ أصحابه في أن يغيروا على ديار الذين ناصروا قريشاً واجتمعوا معها ليدعوا قريشاً ويعودوا للدفاع عن ديارهم، فقال أبو بكر ﷺ: «يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه». فقال رسول الله ﷺ: «امضوا على اسم الله»[٥].

وعندما علم الرسول ﷺ بقرب خيل المشركين منهم صلى بأصحابه صلاة الخوف بعُسْفَان[٦].

ولتفادي الاشتباك مع المشركين، سلك الرسول ﷺ طريقاً وعرة عبر ثَنِيَّة المِرَار، وهي مهبط الحديبية؛ وقال عندما وصلها: «من يصعد الثنية ثنية المرار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل»، فكان أول من صعدها خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس[٧].

وعندما أحس بتغيير المسلمين خط سيرهم رجع إلى مكة، وخرجت قريش للقاء المسلمين، فعسكرت ببلدح[٨]، وسبقوا المسلمين إلى الماء هنا[٩].

---

(١) البخاري: الفتح (٨/ ١٣٩ ـ ١٤٦، ح١٨٢١).

(٢) على بعد ٨٠ كيلاً من مكة.

(٣) العوذ: جمع عائذ، وهو من الإبل، الحديثة النتاج. والمطافيل: جمع مطفل: التي معها أولادها، والمراد أنهم خرجوا ومعهم النساء والأولاد لئلا يفروا عنهم، وهو على الاستعارة.

(٤) سبق ذكره، وهو واد أمام عسفان على بعد ٦٤ كيلاً من مكة، البلادي ص٢٦٤.

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٩، ح٤١٧٨، ٤١٧٩).

(٦) أبو داود: السنن مع معالم السنن (٢/ ٢٨، ح١٢٣٦) وقال المحقق: وقال المنذري في مختصره: «وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح...»، الحاكم (٣/ ٣٣٨) وصححه ووافقه الذهبي والحديث لم يحدد الغزوة، ولكن ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١١) رجح أنها الحديبية. ويؤيده أن خالد بن الوليد ذكر وجوده قرب عسفان، وكان ذلك في غزوة الحديبية.

(٧) مسلم (٤/ ٢١٤٤، ح٢٧٨٠).

(٨) واد بمكة من جهة المغرب، أعلاه في وادي العشر وأوسطه منطقة الزاهر اليوم، ومصبه في مر الظهران شمالي الحديبية، (البلادي: ص٤٩، معجم البلدان (١/ ٤٨٠).

(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١١٢) من مرسل عروة بإسناد ضعيف، الواقدي (٢/ ٥٨٦) وابن سعد (٢/ ٩٥) معلقاً.

وعندما اقترب الرسول ﷺ من الحديبية بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة ﷺ: «خَلَأَتِ[١] القصواء»، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بِخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: والذي نفسي بيده، لا يسألونني خُطَّةً يُعَظِّمُون فيها حُرُماتِ الله إلا أعطيتهم إياها»، [وفي رواية ابن إسحاق: «والله لا تدعوني قريشٌ اليوم إلى خطةٍ يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها». وانظر الرواية عند أحمد (١٨٩١٠)، وحسنها المحققون]، ثم زَجَرَهَا فوثبت، ثم عدل عن دخول مكة وسار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ - بئر - قليل الماء، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كِنَانَتِهِ ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فَجَاش لهم بِالرِّيِّ فارتووا جميعاً[٢]، وفي رواية أنه جلس على شفة البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر[٣]. ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معاً وقعا، كما ذكر ابن حجر[٤]. ويؤيده ما ذكره الواقدي[٥] وعروة[٦] من أن الرسول ﷺ تمضمض في دلو وصبه في البئر ونزع سهماً من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت.

ولخصائص قريش ومكانتها بين العرب، حرص الرسول ﷺ على إسلامهم، وتحسر على عنادهم وخسارة أرواحها في الحروب مع المسلمين، فها هو يعبر عن هذه الحسرة بقوله: «يا ويح قريش، أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافِرُون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش، والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السَّالِفَة[٧]...»[٨]. قال هذا عندما قدمت خيل خالد إلى كراع الغميم.

بذل الرسول ﷺ ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حرباً معهم، وإنما يريد

---

(١) بركت وحرنت من غير علة ظاهرة، فلم تبرح مكانها.

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ١٦٢ - ١٦٣، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٣) البخاري: الفتح (١٤/ ٧٥، ح٣٥٧٧).

(٤) الفتح (١١/ ١٦٤، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٥) المغازي (٢/ ٥٨٨).

(٦) من رواية أبي الأسود عنه كما في الفتح (١١/ ١٦٤).

(٧) السالفة: صفحة العنق.

(٨) أحمد: المسند (٤/ ٣٢٣/ح١٨٩١٠)، وحسنه محققو الموسوعة. بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٤٧٨).

زيارة البيت الحرام وتعظيمه، وهو حق للمسلمين، كما هو حق لغيرهم، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا ألجئوا إليه، وطمعاً في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة.

فأتاه بُدَيل بن وَرْقَاء في رجال من خزاعة، وكانت خزاعة عَيْبَة[1] نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، وبينوا أن قريشاً تعتزم صد المسلمين عن دخول مكة، فأوضح لهم الرسول ﷺ سبب مجيئه، وذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب، واقترح عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، وإن أبَوْا فلا مناص من الحرب ولو كان في ذلك هلاكه، فنقلوا ذلك إلى قريش[2]، وقالوا لهم: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهموهم وخاطبوهم بما يكرهون، وقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تتحدث بذلك العرب»[3].

وأراد الرسول ﷺ أن يؤكد هدفه من هذه الزيارة، ويشهد على ذلك كل العرب، ولذا أرسل إلى قريش خِرَاش بن أُمَيَّة الخُزَاعي على جمله «الثَّعْلَب»، ولكنهم عقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش[4]، لأنهم من قومه[5].

ثم دعا الرسول ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال عمر: «يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان». فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه إليهم. فنزل عثمان في حماية وجوار أبان بن سعيد بن العاص الأموي، حتى

---

(١) أي خاصته وأصحاب سره، كأنه شبه الصدر الذي هو مستودع السر بالعيبة التي هي مستودع الثياب.

(٢) البخاري: الفتح، (ح٢٧٣١، ٢٧٣٦).

(٣) مسند أحمد: (٤/ ٣٢٤) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٣٢).

(٤) ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦). والأحابيش: حلفاء قريش من بني كنانة، تحالفوا تحت جبل بذي طوى يقال له: حبشي، فسموا به، وهم أحياء من القارة.

(٥) ابن سعد (٢/ ٩٧) معلقاً، ولفظه: «فمنعه من هناك من قومه».

أدى رسالته، وأذنوا له بالطواف بالبيت، فقال: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ». واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل[١]. ولذلك دعا رسول الله ﷺ أصحابه للبيعة تحت شجر سَمُرة، فبايعوه جميعاً على الموت[٢]، سوى الجَدّ بن قَيْس، وذلك لنفاقه[٣]. وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر[٤]، وفي رواية على عدم الفرار[٥]، ولا تعارض في ذلك لأن المبايعة على الموت تعني الصبر عند اللقاء وعدم الفرار[٦].

وكان أول من بايعه على ذلك أبو سِنَان عبد الله بن وهب الأسدي[٧]، فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته، فأثنى عليهم الرسول ﷺ فقال: «أنتم خير أهل الأرض»[٨]، وقال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها»[٩].

وأشار رسول الله ﷺ إلى يده اليمنى، وقال: «هذه يد عثمان»، فضرب بها على يده اليسرى، وقال: «هذه لعثمان»[١٠]. فنال عثمان بذلك فضل البيعة.

وقبل أن تتطور الأمور عاد عثمان ﷺ بعد البيعة مباشرة.

وعرفت هذه البيعة بـ«بيعة الرضوان»، لأن الله تعالى أخبر بأنه رضي عن أصحابها، في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾

---

(١) ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٢٦ ـ ٤٣٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٦٤).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤، ح٤١٦٩).

(٣) مسلم: (٣/ ١٤٨٣، ح١٨٥٦)، ونفاق الجد بن قيس فيه نظر كما حق ذلك عذاب محمود الحمش في كتابه «ثعلبة بن حاطب...» ص٩٥ ـ ١٠٢، وهي دراسة قيمة.

(٤) البخاري: الفتح (١٢/ ٧٩، ح٤١٦٩).

(٥) مسلم (٣/ ١٤٨٣، ح١٨٥٦).

(٦) انظر ابن حجر: الفتح (١٢/ ٧٩).

(٧) رواه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٩٥ ـ ٩٦) من حديث الشعبي، وقال: «وأخرجه ابن منده من طريق عاصم عن زر بن حبيش»، وفي الإصابة (٤/ ٢٦٤) أن طريق زر بن حبيش والشعبي كلاهما صحيح. ورواه ابن هشام بإسناد إلى الشعبي: السيرة (٣/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٨) البخاري: الفتح (١٦/ ١٧، ح٤١٥٤).

(٩) مسلم (٤/ ١٩٤٧، ح٢٤٩٦).

(١٠) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٠٢، ح٣٦٩٩).

[الفتح: ١٨][1].

أرسلت قريش عدداً من السفراء للتفاوض مع المسلمين، بعد سفارة بُدَيْل ابن وَرْقَاء. فقد أرسلوا عُرْوَة بن مسعود الثقفي، وقبل أن يتحرك خشي أن يناله من التعنيف وسوء المقالة ما نالَ من سبقه، فبين لهم موقفه منهم، وأقروا له بأنه غير متهم عندهم، وذكر لهم أن الذي عرضه عليهم محمد هو خطة رشد. ودعاهم إلى قبولها، فوافقوا على رأيه.

وعندما جاء إلى الرسول ﷺ قال له ما قال لبديل، فقال عروة عند ذلك: «أيْ محمد، أرأيتَ إنْ استأصلت أمْرَ قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى وجُوهاً، وإني لأرَى أشْوَاباً من الناس خَلِيْقاً أنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ». فقال له أبو بكر: «امْصصْ بَظْرَ اللاتِ، أنَحْنُ نَفِرُّ عنه وَنَدَعُه؟...»، وكان كلما تكلم كلمة أخذ بلحية الرسول ﷺ، والمُغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف، فيضربه بِنَعْلِ السيف، ويقول: «أخِّرْ عن لحية رسول الله ﷺ...»، ولحظ عروة تعظيم الصحابة للرسول ﷺ وحبهم له وتفانيهم في طاعته، فلما رجع إلى قريش، قال لهم: «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً»[2].

ثم بعثوا الحُلَيْس بن عَلْقَمَة الكِناني سيد الأحَابِيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه». فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، وذلك إعظاماً لما رأى، وقال لقريش: «رأيت البُدْنَ قد قُلِّدَتْ وأُشْعِرَت، فما أرى أن يصدوا عن البيت»[3]. فقالوا: «اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك». فغضب وقال: «يا معشر قريش: والله ما على هذا حالفناكم، أيُصَدُّ عن

(١) من رواية الطبري في تفسيره (٢٦/ ٨٦)، بإسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، ولكن يشهد له حديث جابر عند الترمذي: السنن الكبرى/ك. السير، ح١٥٩١) وفيه الآية، ولا يضر تدليس يحيى بن أبي كثير، لأن الحديث أصله عند مسلم عن جابر وغيره (٣/ ١٤٨٣، ح١٨٥٦).

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ١٦٧ ـ ١٧١، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢). وقد ذكرناه مختصراً.

(٣) البخاري: الفتح (١١/ ١٧١، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢).

بيت الله من جاءه معظماً له!! والذي نفس الحليس بيده لَتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لَأَنْفِرَنَّ بالأحابيش نَفْرَةً رجل واحد»، قالوا: «مَهْ، كُفَّ عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به».

ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هذا مِكْرَزٌ وهو رجل فاجر»... فجعل يكلم الرسول ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سُهَيْل بن عمرو رسولاً من قبل قريش، فقال النبي ﷺ متفائلاً: «لقد سهل لكم أمركم»[1]. وقال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»[2]، وكانت قريش قد قالت لسهيل بن عمرو: «ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عَنْوَة أبداً». فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح[3].

وعندما بدأ الرسول ﷺ في إملاء شروط الصلح على علي بن أبي طالب، كاتب الصحيفة[4]، اعترض سهيل على كتابة كلمة «الرحمن» في البسملة، وأراد بدلاً عنها أن يكتب «باسمك اللهم»، لأنها عبارة الجاهليين، ورفض المسلمون ذلك، ولكن الرسول ﷺ وافق على اعتراض سهيل. ثم اعترض سهيل على عبارة «محمد رسول الله»، وأراد بدلاً عنها عبارة: «محمد بن عبد الله»، فوافقه أيضاً على هذا الاعتراض.

وحجة سهيل هنا في قوله: (والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك [أي تقدمنا لخصومتك]...).

وعندما قال الرسول ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» اعترض سُهَيْل قائلاً: «لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضَغْطَةً - قهراً - ولكن ذلك في العام المقبل، فنخرج عنك فندخلها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب لا

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٢٤)، بإسناد حسن.

(٢) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٣٩).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) جاء اسم كاتب الصحيفة مصرحاً به في رواية عند البخاري: الفتح (١١/ ١٢٩، ح٢٦٩٨، ٢٦٩٩)، ومسلم (٣/ ١٤١٠، ح١٧٨٣)، وغيرهما.

تدخلها بغير السيوف في القُرُب»[١]، فوافق الرسول ﷺ على هذا الشرط. ثم قال سُهيل: (وعلى أن لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا)، قال المسلمون: «سبحان الله! كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!» فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جَنْدَل بن سُهَيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، فقال سهيل: «والله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً».

وألح الرسول ﷺ على سهيل أن يستثني أبا جندل، فرفض على الرغم من موافقة مكرز على طلب الرسول ﷺ، ولم يجد الرسول ﷺ بُدًّا من إمضاء ذلك لسهيل[٢].

ثم بعد هذا تم الاتفاق على بقية الشروط وهي:

«على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وأن بينهم عَيْبَة[٣]، مَكْفُوفة، فلا إسْلال [- سرقة -] ولا إغْلال [- خيانة -] وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه.

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم[٤].

لقد تبرم كثير من الصحابة من معظم هذه الشروط. ومن الأدلة على ذلك أن علياً اعتذر عن محو كلمة «رسول الله» التي اعترض عليها سهيل بن عمرو، فقال له رسول الله ﷺ: «أرني مكانها»، فأراه مكانها فمحاها رسول الله ﷺ. وكتب (علي مكانها) «ابن عبد الله»[٥]. وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارّين من قريش إلى

---

(١) العبارة من: «فتخرج... إلى القرب» من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٤٤١)، وفي رواية أخرى عند البخاري: الفتح (١١/ ١٣٠، ح٢٦٩٩) مختصرة: «لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب».

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ١٧٣ - ١٧٦، ح٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٣) أي صدر صاف خال من الغل والخداع، مطوي على نية الوفاء بالصلح: ابن الأثير: النهاية (٣/ ٣٢٧).

(٤) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٤٠ - ٤٤١).

(٥) مسلم (٣/ ١٤١٠ - ١٤١١، ح١٧٨٣)، البخاري: الفتح (١١/ ١٣٠، ح٢٦٩٩).

المشركين، فقالوا: «يا رسول الله، نكتب هذا؟»، قال: «نعم. إنه من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»[١].

ويحكي عمر بن الخطاب مجيئه إلى رسول الله ﷺ غاضباً عند كتابة ذلك الصلح، قال: «فأتيت نبي الله، فقلت: ألستَ نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به». وأتى عمر أبا بكر وقال له مثل ما قال للرسول ﷺ، فقال له أبو بكر: «إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إنه على الحق»[٢]. وقال عمر: «ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً»[٣]. ولم تطب نفس عمر إلا عندما نزل القرآن مبشراً بالفتح[٤].

وعندما كان أبو جَنْدَل يستنجد بالمسلمين قائلاً: «يا معشر المسلمين، أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟» والرسول ﷺ يقول: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله ﷻ جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»[٥] كان عمر يمشي بجنب أبي جندل يغريه بأبيه ويقرب إليه سيفه، لكن أبا جندل لم يفعل، فأعيد إلى المشركين[٦]. وذلك لحكمة تجلت للناس فيما بعد، يوم كان أبو جندل وأصحابه سبباً في إلغاء شرط رد المسلمين إلى الكفار، وفي إسلام سهيل وموقفه يوم كاد أهل مكة أن يرتدوا عندما مات الرسول ﷺ فثبتهم على الإسلام بكلام بليغ[٧].

وقال سَهْل بن حُنَيف يوم صفين: «اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل ولو

---

(١) مسلم (٣/ ١٤١١، ح١٧٨٤).

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ١٧٦ ـ ١٧٨، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢)، و(١٢/ ٢٧١، ح٣١٨٢).

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٤٤٠).

(٤) مسلم (٣/ ١٤١٢، ح١٧٨٥).

(٥) مسند أحمد (٤/ ٣٢٥)، بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٤٢).

(٦) المصدران والمكانان نفسهما.

(٧) انظر ذلك في: ترجمته في الإصابة وغيرها، وبحثنا عن: «الثابتون على الإسلام في فتنة الردة...».

أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته»[١].

وعندما أمرهم الرسول ﷺ بأن ينحروا الهدي ويحلقوا رؤوسهم، لم يقم منهم أحد إلى ذلك، فكرر الأمر ثلاث مرات، فدخل على أم سلمة ﷺ، وحكى لها ما حدث من المسلمين، فأشارت إليه بأن يبدأ هو بما يريد، ففعل، فقاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[٢].

فدعا الرسول ﷺ لمن حلق منهم ثلاثاً ولمن قصر مرة واحدة[٣].

وكان عدد ما نحروه سبعين بدنة[٤]، كل بدنة عن سبعة أشخاص[٥].

وكان هدي رسول الله ﷺ يومئذ جملاً لأبي جهل من غنائم بدر، نحره ليغيظ بذلك المشركين[٦]. ونحروا بعض الهدي في الحديبية في الحل[٧]، والبعض الآخر نحره نَاجِية بن جُنْدُب داخل منطقة الحرم[٨].

ولا شك أن هذا التصرف من عمر وغيره من المسلمين ما هو إلا اجتهاد منهم ورغبة في إذلال المشركين[٩].

ولم تتوقف قريش عن التحرش بالمسلمين واستفزازهم خلال مفاوضات كتابة الصلح وبعد كتابته، وقد تصرف الرسول ﷺ والصحابة بانضباط شديد إزاء هذه الأفعال. فعندما حاول ثمانون من رجال مكة مهاجمة معسكر المسلمين على غِرَّة، أسرهم المسلمون، وعفا عنهم الرسول ﷺ[١٠]. وكرر المحاولة ثلاثون آخرون من

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٧١، ح٣١٨١)، و(١٦/ ٣٣، ح٤١٨٩).
(٢) البخاري: الفتح (١١/ ١٧٨ ـ ١٨٠، ح٢٧٣١؛ ٢٧٣٢).
(٣) مسند أحمد (٢/ ٣٤، ١٥١)، بإسناد حسن.
(٤) مسند أحمد (٤/ ٣٢٤)، بإسناد حسن.
(٥) مسلم (٢/ ٩٥٥، ح١٣١٨).
(٦) أحمد (١/ ٢٣٤)، بإسناد حسن.
(٧) البخاري: الفتح (١١/ ١٣١؛ ح٢٧٠١).
(٨) الطحاوي: شرح معاني الآثار (٣/ ٢٤٢)، بإسناد صحيح.
(٩) مسند أحمد (٤/ ٣٢٥)، بإسناد حسن.
(١٠) مسلم (٣/ ١٤٤٢، ح١٨٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ٢٩٠).

قريش أثناء إبرام الصلح، فأسروا، وأطلق الرسول ﷺ أيضاً سراحهم[١].

وبعد إبرام الصلح حاول سبعون من المشركين استفزاز المسلمين، فأسروهم.

وقبض سَلَمَة بن الأكوع على أربعة من المشركين أساءوا إلى الرسول ﷺ، بعد إبرام الصلح، فعفا عنهم الرسول ﷺ. وقد نزلت في ذلك الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤][٢].

ثم رجع المسلمون إلى المدينة بعد أن غابوا عنها شهراً ونصف الشهر[٣]، منها بضعة عشر يوماً، ويقال عشرين يوماً، مكثوها بالحديبية[٤].

وفي طريق العودة تكررت معجزة النبي ﷺ في تكثير الطعام والماء، مثلما حدث في طعام جابر يوم الخندق، وتكثير ماء بئر الحديبية، فقد ذكر سلمة بن الأكوع أنهم عندما أصابهم الجوع وكادوا أن يذبحوا رواحلهم دعا الرسول ﷺ بأزواد الجيش، فلم يتجاوز رَبْضَةَ العَنْزِ، وهم أربع عشرة مائة، فأكلوا حتى شبعوا جميعاً وحشوا جربهم، ثم جيء له بإداوة وضوء فيها نطفة ماء فأفرغها في قَدَحٍ، فتوضأ منها كل الجيش»[٥].

ونزلت سورة الفتح، وهم في طريق العودة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]. وقال عنها الرسول ﷺ: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[٦]. وقال عمر متعجباً: «أو فتح هو؟» فقال له الرسول ﷺ: «نعم»، فطابت نفسه ورجع[٧]، وفي رواية: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح»[٨]. وفرح

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٨٦)، بإسناد رجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٤٥)، وصححه محققو الموسوعة (١٦٨١٠)، وقال الحاكم (٢/ ٤٦٠): «صحيح على شرط الشيخين».

(٢) مسلم (٣/ ١٤٣٤، ح١٨٠٧).

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/ ١٢٣)، من رواية ابن عائذ.

(٤) الواقدي (٢/ ٦١٦) وابن سعد (٢/ ٩٨)، معلقاً.

(٥) مسلم (٣/ ١٣٥٤، ح١٧٢٩)، والبخاري: الفتح (١٦/ ١٦، ح٤١٥٢). وربضة العنز: كفلوها وهي رابضة.

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨، ح٤١٧٧)، والآية ضمن الحديث.

(٧) مسلم (٣/ ١٤١٢، ح١٧٨٥).

(٨) الحاكم: المستدرك (٢/ ٤٥٩) وقال: «حديث كبير صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وانظر: البخاري: الفتح (١٦/ ٢٦، ح٤١٧٢)، و(١٨/ ٢١١، ح٤٨٣٤).

المسلمون بذلك فرحاً غامراً، وانجلت تلك السحابة من الغم، وأدركوا قصورهم عن إدراك كل الأسباب والنتائج، وأن الخير في التسليم لأمر الله ورسوله.

وعندما جاءته أم كُلْثُوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة لم يردها إلى أهلها عندما طلبوها لما أنزل الله في النساء ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ... وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠][1] فكان الرسول ﷺ لهذا يختبرهن، فإن كن خرجن بسبب الإسلام استبقاهن مع دفع مهورهن لأزواجهن، وكان قبل الصلح لا يعيد إليهم مهور الزوجات[2].

وهذه الآية الواردة في عدم رد المهاجرات المسلمات إلى الكفار هي التي استثنت من شرط الرد، وحَرَّمَت المسلمات على المشركين ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠][3].

□ المبحث الثاني: فقه وحكم ودروس في صلح الحديبية: □

١ - عندما وجد سبب مانع من أداء المسلمين لعمرتهم التي أحرموا لها تحللوا، وبذلك شرع التحلل المعتمر وأنه لا يلزمه القضاء[4].

٢ - أذن الرسول ﷺ لكعب بن عُجْرَة أن يحلق رأسه وهو محرم، لأذى أصابه، على أن يذبح شاة فدية أو يصوم ثلاثة أيام أو يطعم ستة مساكين. ونزلت الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦][5].

٣ - أذن النبي ﷺ للصحابة بالصلاة في منازلهم عندما نزل المطر[6].

٤ - وقعت تطبيقات عملية لمبدأ الشورى في الإسلام، حيث استشارهم في الإغارة على قراري المشركين الذين يساندون قريشاً، كما ذكرنا. واستشار أم سلمة في

---

(١) البخاري: الفتح (١١/ ١٤٠، ح٢٧١١، ٢٧١٢).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢٢٩)، وابن إسحق: ابن هشام (٣/ ٤٥٣)، بأسانيد مرسلة ضعيفة.

(٣) البخاري: الفتح (١١/ ١٤٠، ح٢٧١١، ٢٧١٢).

(٤) انظر: مباحث الإحصار في كتب فقه الحج.

(٥) البخاري: الفتح (٨/ ١٣٢، ح١٨١٦ - ١٨١٨)، مسلم (٢/ ٨٥٩ - ٨٦٢، ح١٢٠١).

(٦) ابن ماجه: السنن، كتاب إقامة الصلاة، ص٩٣٦)، بإسناد صحيح.

أمر الناس عندما أبطؤوا في التحلل، وأخذ برأيها، كما ذكرنا.

٥ - ويستنتج من مدة الصلح أن الحد الأعلى لمهادنة الكفار عشر سنين، لأن أصل العلاقة معهم الحرب وليس الهدنة.

٦ - جواز مصالحة الكفار على رد من جاء من قبلهم مسلماً.

٧ - استحباب التفاؤل لقوله ﷺ: «سهل أمركم» وذلك عندما قدم عليهم سهيل بن عمرو مفاوضاً.

٨ - كفر من يقول: «مطرنا بنَوْء[1] كذا وكذا» والصواب أن يقول: «مطرنا بفضل الله ورحمته. قال ذلك الرسول ﷺ للصحابة عندما صلى بهم الصبح إثر مطر هطل ليلاً[2].

٩ - جواز التبرك بآثار النبي ﷺ مثل التوضؤ بماء وضوئه ﷺ[3]، وهو خاص به، خلافاً لآثار الصالحين من أمته[4].

١٠ - السنة لمن نام عن صلاته أو نسيها أن يصليها وإن خرج وقتها، وذلك لأن المسلمين ناموا عن صلاة الصبح وهم في طريق عودتهم من الحديبية ولم يوقظهم إلا حر الشمس، ونام حارسهم بلال، فصلوها حين استيقظوا[5].

١١ - في الصلح اعتراف من قريش بكيان المسلمين لأول مرة، فعاملتهم معاملة الند للند.

١٢ - ذهاب هيبة قريش، بدليل مبادرة خزاعة الانضمام إلى حلف المسلمين دون خشية من قريش كما كان في السابق.

١٣ - أتاح الصلح للمسلمين التفرغ ليهود خيبر خاصة ويهود تيماء وفدك بصفة عامة.

١٤ - أتيح للمسلمين مضاعفة جهودهم لنشر الإسلام، وفي ذلك قال الزهري: «فما

---

(١) الأنواء: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، وإنما سميت نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق. النهاية (٥/ ١٢٢).

(٢) البخاري: الفتح (٤/ ٢١٣، ح٨٤٦).

(٣) البخاري: الفتح (١١/ ١٧٠، ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٤) الشاطبي: الاعتصام (٢/ ٨).

(٥) النسائي: السنن الكبرى، ص١١٩، وصححه الهيثمي كما في المجمع (١/ ٣١٩).

فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتالُ حيثُ التقى الناسُ، فلما كانت الهدنةُ وَوَضَعَتِ الحربُ، وآمن [أو: أمِنَ] الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكَلِّمْ أحدٌ بالإسلام يَعْقِلُ إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»[١]. وعلق ابن هشام على هذا قائلاً: «والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف»[٢].

١٥ - جاءت نتائج معظم - إن لم يكن كل - الشروط في صالح المسلمين من ذلك أن أبا بَصِير [عتبة بن أسيد بن جارية] عندما فر من المشركين ولجأ إلى المسلمين رده الرسول ﷺ إليهم عندما طلبوه، فعدا على حَارِسَيْهِ فقتل أحدهما، وفر الآخر، وعاد أبو بصير إلى المدينة، وقال للرسول ﷺ: «قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم» فقال النبي ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لو كان له أحدا»، ففهم أبو بصير نية الرسول ﷺ في رده إلى المشركين، فلجأ إلى سيف البحر...»[٣] وفهم المستضعفون المسلمون في مكة إشارة الرسول ﷺ: مِسْعَرَ حَرْبٍ لو كان له أحد»، ففروا من مكة، ولحقوا بأبي بصير، وعلى رأسهم أبو جندل. وتكونت منهم عصابة، أخذت تتعرض لقوافل قريش، فأرسلت قريش إلى الرسول ﷺ تناشده أن يعطيهم الأمان بالمدينة، فأرسل إليهم[٤]، وهم بناحية العيص، فجاؤوا، وكانوا قريباً من الستين أو السبعين رجلاً[٥].

---

(١) بن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٣/ ٤٤٧).

(٢) المصدر نفسه، ص٤٤٨.

(٣) البخاري: الفتح (١١/ ١٨٠ - ١٨٣، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢). وعند ابن إسحاق «... محش حرب ...» - فوقدها.

(٤) المصدر والأماكن نفسها.

(٥) بن إسحاق، بإسناد حسن، إذا اعتبرناه جزءاً من حديثه في أمر الحديبية...: ابن هشام (٣/ ٤٤٩) وعدته أنهم قريب من سبعين، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٢٧)، بإسناد فيه ابن بكير، وهو صدوق يخطئ، والحديث حسن لمتابعاته الكثيرة. وهو من طريق ابن إسحاق كما ذكرناه، وساقه البيهقي في الدلائل (٤/ ١٧٢ - ١٧٥) من رواية الزهري مرسلاً، وعنده أنهم صاروا بالعيص =

١٦ - في قصة أبي بصير وأبي جندل ورفقائهم في العيص، نموذج يقتدى به في الثبات على العقيدة وبذل الجهد في نصرتها وعدم الاستكانة للطغاة.

١٧- الكفر ملة واحدة: فقبيلة بني بكر دخلت في حلف وعهد وعقد قريش في صلح الحديبية؛ لأن الكفر ملة واحدة. فحين أصبحت المسألة فريق مسلم وفريق كافر انضموا إلى فريقهم!!

فائدة:

لقد وقعت بين صلح الحديبية وغزوة خيبر بعض الأحداث، كان من أبرزها: غزوة ذي قَرَد[١] وسرية أبان بن سعيد بن العاص. وخلاصة الغزوة في الصحيحين[٢] وغيرهما أن عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري أغار في جماعة من قومه غطفان على لِقَاح[٣] النبي ﷺ التي كانت ترعى بذي قرد. وعندما سمع سلمة بن الأكوع ما حدث، صاح منذراً الناس، ثم لحق بهم، وأخذ يرميهم بنبله، وعندما لحق به الرسول ﷺ والمسلمون وجدوه قد استنقذ اللقاح من أيديهم، فرجعوا. وقد أردف الرسول ﷺ سلمة على راحلته حتى دخلوا المدينة.

وكانت هذه الغزوة قبل غزوة خيبر بثلاث ليال[٤].

وخلاصة السرية أن الرسول ﷺ بعث أبان بن سعيد بن العاص في سرية قبل نجد، فقدم هو وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها[٥].

ولم تحدد المصادر الجهة التي سار إليها في نجد، ولا نتائج هذه البعثة أو عدد الرجال الذين كانوا فيها مع أبان بن سعيد ﷺ.

---

* ثلاثمائة، وأن كتاب الرسول ﷺ قد جاء إلى أبي بصير وهو يحتضر، فمات والكتاب في يده، فدفنه أبو جندل وعاد بقية الرجال، وروى نحوه من مرسل عروة (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(١) عرماء على نحو يومين من المدينة مما يلي بلاد غطفان. انظر: ابن سعد: الطبقات (٢/ ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٣٦ ـ ٤٠، ح٤١٩٤) ومسلم (٣/ ١٤٣٢ ـ ١٤٤١، ح١٨٠٦).

(٣) جمع لقحة، وهي الإبل ذوات اللبن.

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٣٧).

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٧٤ ـ ٧٥، ح٤٢٣٨).

الفصل الرابع عشر

غزوة خيبر

لم يبد يهود خيبر عداء سافراً للمسلمين حتى لحق بهم زعماء بني النضير عندما أُجْلُوا عن المدينة. وكما سبق وأن ذكرنا، فقد كان أبرز زعماء بني النضير الذين غادروا المدينة ونزلوا خيبر: سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها[1].

لقد نزلوها بأحقادهم ضد المسلمين، ولذا كانوا كلما وجدوا فرصة للانتقام من المسلمين انتهزوها، ووجدوا في قوة قريش وبعض قبائل العرب الوسيلة التي سيدخلون بها المدينة مرة أخرى، فألبوهم ضد المسلمين، ثم جروهم إلى غزوة الخندق[2]، وسعوا في إقناع بني قريظة للانضمام إليهم والغدر بالمسلمين[3]. ولذا كانت تلك العقوبة الرادعة التي أنزلها المسلمون بهم عندما صرف الله الأحزاب. وأرسل الرسول ﷺ سرية عبد الله بن عتيك للقضاء على رأس من رؤوسهم أفلت من العقاب يوم قريظة، وهو سلام بن أبي الحقيق، فقتلوه.

وكانت هدنة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الذي يشكل خطورة على أمن المسلمين، وقد وعد الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها إذا هزموا يهود خيبر، وإلى ذلك أشارت سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ٢٦٩)، وغيره من أهل المغازي والسير، مما يدل على أن لهذا أصلاً.

(٢) ابن إسحاق، بإسناد مرسل.: ابن هشام (٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

(٣) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩).

شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح: ١٨-٢١][١].

تاريخ الغزوة:

ذكر ابن إسحاق[٢] أنها كانت في المحرم من السنة السابعة الهجرية، وذكر الواقدي[٣] أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[٤] إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك إنها في المحرم من السنة السادسة[٥]. وظاهر أن الخلاف بين ابن إسحاق والواقدي يسير، وهو نحو الشهرين، وكذلك فإن الخلاف بينهما وبين الإمامين الزهري ومالك مرجعه إلى الاختلاف في ابتداء السنة الهجرية الأولى كما سبق الإشارة إلى ذلك. وقد رجح ابن حجر[٦] قول ابن إسحاق على قول الواقدي.

سار الجيش إلى خيبر بروح إيمانية عالية على الرغم من علمهم بمنعة حصون خيبر وشدة بأس رجالها وعتادهم الحربي. وكانوا يكبرون ويهللون بأصوات مرتفعة، فطلب منهم النبي ﷺ أن يرفقوا بأنفسهم قائلاً: «إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»[٧]. وسلكوا طريقاً بين خيبر وغطفان ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، لأنهم كانوا أعداء للمسلمين[٨].

ونزل المسلمون بساحة اليهود قبل بزوغ الفجر، وقد صلى المسلمون الفجر

---

(١) قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني فتح خيبر. انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٢). قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٤٠ ـ ٤١): وروى يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحاق في حديث المسور ومروان قالا: «انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني خيبر». وقد اختلف المفسرون في تفسير المعنى بهذه الغنيمة، فقال العوفي عن ابن عباس إنها خيبر، وقاله غيره.

(٢) ابن هشام (٣/ ٤٥٥)، معلقاً.

(٣) المغازي (٢/ ٦٣٤).

(٤) الطبقات (٢/ ١٠٦).

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق (١/ ٣٣).

(٦) الفتح (١٦/ ٤١).

(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ٥٠، ح٤٢٠٥).

(٨) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٢/ ٤٥٨).

قرب خيبر، ثم هجموا عليها بعد بزوغ الشمس، وفوجئ أهلها بهم وهم في طريقهم إلى أعمالهم، فقالوا: «محمد والخميس!!» فقال الرسول ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صَبَاحُ المُنْذَرِين»[١].

وهرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون. وقد حاولت غطفان نجدة حلفائهم يهود خيبر، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم لرجعوا، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر[٢]، فأخذ المسلمون في افتتاح حصونهم واحداً تلو الآخر. وكان أول ما سقط من حصونهم نَاعِم والصَّعْب بمنطقة النَّطَاة، وأبي النِّزَار بمنطقة الشِّقّ. وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القَمُوص المنيع في منطقة الكتيبة، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم أسقطوا حصني منطقة الوَطِيح والسُّلالِم[٣].

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد تحته محمود بن مَسْلَمَة الأنصاري، حيث ألقى عليه مَرْحَب رحى من أعلى الحصن[٤]، والذي استغرق فتحه عشرة أيام[٥]؛ فقد حمل لواءه المسلمين عند حصاره أبو بكر الصديق، ولم يفتح له، ثم أخذه من الغد عمر، ولم يفتح الله له، وعندما جهد الناس، قال رسول الله ﷺ إنه سيدفع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يُفتح له، فطابت نفوس المسلمين، فلما صلى الفجر في اليوم التالي دفع اللواء إلى علي، ففتح الله على يديه[٦].

وكان علي يشتكي من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول ﷺ، فبصق رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري: الفتح (٣/ ٢٨٨، ح٦١١٠)؛ مسلم (٣/ ١٤٢٦ ـ ١٤٢٧، ح١٣٦٥).

(٢) بن إسحاق، بلاغاً. ابن هشام (٣/ ٤٥٨)، والواقدي (٢/ ٦٥٠).

(٣) الواقدي (٢/ ٦٣٩ ـ ٦٧١)، وبن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

(٤) ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٤٦٤) وفيه استشهد، دون ذكر الكيفية، وابن إسحاق بإسناد معلق: ابن هشام (٣/ ٤٥٩)، وفيه قتله بالرحى، ولم يذكر من القائد عليه، والواقدي (٢/ ٦٤٥) وفيه: أن الذي ألقى الرحى عليه هو مرحب اليهودي.

(٥) الواقدي (٢/ ٦٥٧).

(٦) مسند أحمد (٥/ ٣٥٣)، ومستدرك الحاكم (٣/ ٣٧)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأصل الرواية عند مسلم (٤/ ١٨٧٢، ح٢٤٠٥ ـ ٢٤٠٧).

في عينيه ودعا له، فبرئ[١].

ولقد أوصى الرسول ﷺ علياً بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يداهمهم، وقال له: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٢]. وعندما سأله علي: «يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟» قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٣].

وعند حصار المسلمين لهذا الحصن برز لهم سيده ويطلبهم مَرْحَب، وكان سبباً في استشهاد عامر بن الأكوع، ثم بارزه علي فقتله[٤]، مما أثر سلبياً في معنويات اليهود ومن ثم هزيمتهم.

وقد أبلى علي بلاء حسناً في هذه الحرب. ومن دلائل ذلك: روى ابن إسحاق[٥] من حديث أبي رافع - مولى رسول الله ﷺ - أن علياً عندما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن[٦] فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ. قال الراوي - أبو رافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.

وروى البيهقي[٧] من طريقين مرفوعين إلى جابر ﷺ قصة علي والباب ويوم خيبر. ففي الطريق الأولى أن علياً ﷺ حمل الباب حتى صعد عليه المسلمون فافتتحوها، ولم يستطع أربعون رجلاً أن يحملوا هذا الباب[٨]. وفي الطريق الثانية أنه

---

(١) مسلم (٤/ ١٨٧٢، ح٢٤٠٦ بلفظ).

(٢) مسلم (٤/ ١٨٧١، ح٢٤٠٤، ٢٤٠٥).

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٧٢، ح١٤٠٥).

(٤) المصدر نفسه (٣/ ١٤٤٠، ح١٨٠٧).

(٥) ابن هشام (٣/ ٤٦٧)، بإسناد ضعيف؛ لأن فيه راوٍ لم يسمه ابن إسحاق، فالسند منقطع.

(٦) نقل البيهقي في الدلائل (٤/ ٢١٢) رواية ابن إسحاق هذه. ويبدو بعض التحريف في نقله، إذ ذكر أن علياً تناول باب الحصن فترس به عن نفسه.

(٧) دلائل النبوة (٤/ ٢١٢).

(٨) وهذا الطريق رجاله ثقات إلا الليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك. وقال البيهقي: الدلائل (٤/ ٢١٢): تابعه فضيل بن عبد الوهاب عن المطلب بن زياد.

اجتمع عليه سبعون رجلاً، فأعادوه إلى مكانه بعد أن أجهدهم[١].

توجه المسلمون إلى حصن الصَّعْب بن مُعاذ بعد فتح حصن ناعم، وأبلى حامل رايتهم الحُبَاب بن المنذر بلاءً حسناً حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، يوم كانوا في ضائقة من قلة الطعام، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود - فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، فاضطروهم إلى النزول للقتال، فهزموهم بعد ثلاثة أيام، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النَّطاة التي كان فيها أشد اليهود.

ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشِّق، وبدأوا بحصن أُبَيّ، فاقتحموه، وأفلت بعض مقاتلته إلى حصن نَزَار، وتوجه إليهم المسلمون فحاصروهم ثم افتتحوا الحصن، وفر بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القَمُوص المنيع وحصن الوَطِيح وحصن السُّلَالِم، فحاصرهم المسلمون لمدة أربعة عشر يوماً حتى طلبوا الصلح[٢].

وهكذا فتحت خيبر عنوة[٣]، استناداً إلى النظر في مجريات الأحداث التي سقناها، وما روى البخاري[٤] ومسلم[٥] وأبو داود[٦] من أن رسول الله ﷺ غزا خيبر وافتتحها عنوة.

---

(١) وهذا الطريق ضعيف أيضاً كما قال الشامي في السيرة (٥/ ٢٠١). وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٣١٢ ـ ٣١٣، أثر رقم ٤١٨) ـ دراسة وتحقيق الخشت ـ عن طريق البيهقي الأولى: «وليث ضعيف، والراوي عنه شيخي، وكذا من دونه، ولكن لمن دون متابع ذكره البيهقي». وقال عن طريق البيهقي الثانية: «وعلقه البيهقي مضعفاً له». قلت: بل كلها واهية، ولذا أنكره العلماء. ولذا فالأثر ضعيف.

(٢) الواقدي (٢/ ٦٥٨ ـ ٦٧١).

(٣) انظر مناقشة قول من قال: إن بعضها فتح عنوة والبعض الآخر صلحاً، وجزم ابن القيم في الزاد (٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤)، وابن عبد البر في الدرر، ص٢١٤ بأنها فتحت عنوة، وكذلك عوض الشهري في رسالته: مرويات خيبر، ص١٩٧ ـ ١٩٩.

(٤) الفتح (٣/ ٣٢، ح٣٧١).

(٥) صحيحه (٣/ ١٤٢٧، ح١٣٦٥).

(٦) السنن (٣/ ٤٠٨ ـ ٤١٠، كتاب الخراج، ح٣٠٠٩)، بإسناد صحيح.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك - شمالي خيبر - فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقبل ذلك منهم. فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يُوجِفْ عليها بخيل ولا رِكاب[١].

وقتل من اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعون رجلاً[٢]. وسبيت النساء والذراري، منهن صفية بنت حيي بن أخطب، التي اشتراها الرسول ﷺ من دحية، حيث وقعت في سهمه، فأعتقها وتزوجها[٣]. وقد دخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري[٤].

واستشهد من المسلمين عشرون رجلاً فيما ذكر ابن إسحاق[٥]، وخمسة عشر فيما ذكر الواقدي[٦].

وممن استشهد من المسلمين راعي غنم أسود كان أجيراً لرجل من يهود. وخلاصة قصته أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم يرعاها لبعض يهود خيبر، فطلب من الرسول ﷺ أن يعرض عليه الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم، ثم استفتاه في أمر الغنم، فطلب منه الرسول ﷺ أن يضرب وجوهها، فترجع إلى أصحابها، فأخذ الراعي حفنة من الحصى فرمى بها في وجوهها، فرجعت إلى أصحابها، وتقدم ليقاتل فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فجيء به إلى رسول الله ﷺ فسُجّي بشمله، فالتفت إليه الرسول ﷺ ثم أعرض عنه، وعندما سئل عن إعراضه قال: «إن معه الآن زوجتيه من الحور العين»[٧].

---

(١) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ٤٩٠ - ٤٩١)، وأبو داود (٣/ ٤١٤، ح٣٠١٦)، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٤/ ٢٣٩): «هذا مرسل».

(٢) الواقدي (٢/ ٧٠٠)، وأسانيد الواقدي ضعيفة كما هو معلوم؛ لأنه متروك في الحديث.

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ٥٩ - ٦٠، ح٤٢١١)، مسلم (٢/ ١٠٤٥ - ١٠٤٦، ح١٣٦٥)، وعنده أنه اصطفاها لنفسه.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) ابن هشام (٣/ ٤٧٨)، معلقاً.

(٦) المغازي (٢/ ٧٠٠).

(٧) رواه ابن إسحاق، بلاغاً: ابن هشام (٣/ ٤٧٩ - ٤٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٦)، من غير طريق ابن إسحاق، وصححه، ولم يقره الذهبي، لأن في إسناده شرحبيل بن سعد، وهو متهم؛ والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢١٩ - ٢٢٠)، من طريق موسى بن عقبة، مرسلاً: ومن حديث عروة، مرسلاً: وهذا يدل على أن للقصة أصلاً.

واستُشهد أعرابي له قصة دلت على وجود نماذج فريدة من المجاهدين. وخلاصة قصته أنه جاء إلى النبي ﷺ فأسلم، وطلب أن يهاجر مع الرسول ﷺ. فلما كانت غزوة خيبر - وقيل حنين - غنم رسول الله وأخرج له سهمه، وكان غائباً حين القسمة، ويرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوا إليه سهمه، فأخذه وجاء به إلى النبي ﷺ وقال: «ما هذا يا محمد؟»، قال النبي ﷺ: «قسم قسمته لك»، قال: «ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرْمَى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأدخل الجنة»، قال: «إن تصدق الله يصدقك»، ولم يلبث قليلاً حتى جيء به وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال الرسول ﷺ: «صدق الله فصدقه»، فكفنه الرسول ﷺ في جبة للنبي ﷺ ودفنه[١].

وبعد الفراغ من هذه الغزوة حاول اليهود قتل الرسول ﷺ بالسم. فقد أهدته امرأة [- زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، ابنة أخ مرحب -] منهم شاة مشوية مسمومة، وأكثرت السم في ذراع الشاة عندما عرفت أنه يحبه، فلما أكل من الذراع، أخبرته الذراع أنه مسموم، فلفظ اللقمة، واستجوب المرأة، فاعترفت بجريمتها، فلم يعاقبها[٢] في حينها، ولكنه قتلها عندما مات بِشْر بن البَراء بن مَعْرور من أثر السم الذي ابتلعه مع الطعام عندما أكل مع الرسول ﷺ[٣]. واختلف العلماء في هذا.

وتم الصلح في النهاية بين الطرفين وفق الأمور الآتية:

- بالنسبة للأراضي والنخيل - أي الأموال الثابتة: دفعها لهم الرسول ﷺ على أن يعملوا عليها ولهم شطر ما يخرج منها[٤].

- أن ينفقوا من أموالهم على خدمة الأرض[٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٢٧٦)، بإسناد صحيح.

(٢) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٦١، ح٣١٦٩)، مسلم (٤/ ١٧٢١، ح٢١٩٠).

(٣) الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وعبد الرزاق في المصنف بإسناده إلى أبي بن كعب كما في الفتح (١٦/ ٨١)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٥٦ - ٢٦٤)، وقد ذكر جميع الروايات في الموضوع. وانظر: النووي: مسلم (١٤/ ١٧٩).

(٤) من رواية البخاري: الفتح (١٦/ ٨٠ - ٨١، ح٤٢٤٨)، ومسلم (٣/ ١١٨٦ - ١١٨٧، ح١٥٥١).

(٥) مسلم (٣/ ١١٨٧، ح١٥٥١) وغيره.

- أما بالنسبة لوضعهم القانوني، فقد تم الاتفاق على أن بقاءهم بخيبر مرهون بمشيئة المسلمين، فمتى شاؤوا أخرجوهم منها.

وقد أخرجهم عمر بن الخطاب إلى تيماء وأريحاء[١]، استناداً إلى قول الرسول ﷺ في مرض موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[٢] وتكرر منهم الاعتداء على المسلمين. ففي المرة الأولى اتهمهم الرسول ﷺ في قتل عبد الله بن سهل، فأنكروا فلم يعاقبهم، فوداه رسول الله ﷺ من عنده[٣]. وفي هذه المرة الثانية التي أكدت الأولى - كما أشار عمر - أنهم اعتدوا على عبد الله بن عمر، وفدعوا يديه[٤].

- واتفقوا على إيفاد مبعوث من قبل النبي ﷺ إلى أهل خيبر ليَخْرُصُ ويقبضُ حصة المسلمين[٥].

أما بالنسبة للأموال المنقولة، فقد صالحوه على أن له الذهب والفضة والسلاح والدروع، ولهم ما حملت ركائبهم على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد. فغيبوا مسكاً لحيي بن أخطب، وقد كان قتل قبل غزوة خيبر، وكان قد احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت. وعندما سأل الرسول ﷺ سعية - عم حيي - عن المسك، قال: «أذهبته الحروب والنفقات»، فقال النبي ﷺ: «العهد قريب والمال أكثر من ذلك»، فدفعه النبي ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، فاعترف بأنه رآى حيياً يطوف في خربة هاهنا، فوجدوا المسك فيها، فقتل لذلك ابني أبي

---

(١) مسلم (٣/١١٨٨، ح١٥٥١)، البخاري: الفتح (١٢/٢٣٩، ٣١٥٢).

(٢) ابن سعد (٢/ ٢٤٢) بإسناد صحيح، ورواه ابن إسحاق موقوفاً عن الزهري. ابن هشام (٣/ ٤٩٥) ولفظه: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»، ورواه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٥)، بإسناد صحيح، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٢٥٧)، بإسنادين: الأول متصل عن عائشة، والثاني موقوف على ابن جريج.

(٣) رواه البخاري: الفتح (٢٢/ ٣٤٠، ح٦١٤٢، ٦١٤٣)، ومسلم (٣/ ١٢٩١ - ١٢٩٥، ح١٦٦٩)، ورواه غيرهما، واكتفينا بهما على سبيل الاختصار.

(٤) أحمد: المسند (١/ ٩٠، ح٩٠، شاكر)، بإسناد صحيح، وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٣/ ٤٩٥).

(٥) أحمد: المسند (٢/ ٢٤/ح ٤٧١٣، ٤٧٦٨)، شاكر)، بإسناد صحيح، كما قال شاكر ومحققو الموسوعة، ويخرص: يقدر تخميناً.

الحقيق، وسبي نساءهم وذراريهم، وقتل محمد بن مسلمة ابن عم كنانة هذا الذي دل على المال، قتله بأخيه محمود بن مسلمة[١].

وبالنسبة للطعام فقد كان الرجل يأخذ حاجته منه دون أن يقسم بين المسلمين أو يخرج منه الخمس ما دام قليلاً[٢] وكانت غنائم خيبر خاصة بمن شهد الحديبية من المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥][٣].

ولم يغب عن فتح خيبر من أصحاب بيعة الرضوان أحد سوى جابر بن عبد الله، ومع ذلك أعطي سهماً مثل من حضر الغزوة – غزوة الحديبية[٤].

وأعطى أهل السفينة من مهاجرة الحبشة الذين عادوا منها إلى المدينة، ووصلوا خيبر بعد الفتح، أعطاهم من الغنائم. وكانوا ثلاثة وخمسين رجلاً وامرأة، بقيادة جعفر بن أبي طالب. وتقول الرواية إنه لم يقسم لأحد لم يشهد الفتح سواهم[٥]. وهم الذين فرح الرسول ﷺ بقدومهم، وقبل جعفر بين عينيه والتزمه. وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أو بقدوم جعفر»[٦].

وربما يرجع سبب استثنائهم إلى أنهم حبسهم العذر عن شهود بيعة الحديبية، ولعله استرضى أصحاب الحق من الغانمين في الإسهام لهم، ولعله رأى ما كانوا

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٤٠٨، ح٣٠٠٦)، بإسناد صحيح.

(٢) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٤١، ح٣١٥٣)، مسلم (٣/ ١٣٩٣، ح١٧٧٢).

(٣) انظر تفسيرها عند: الطبري (٢٦/ ٥٠).

(٤) ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ٤٨٦)، البخاري معلقاً، (الفتح ١٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، وقال ابن حجر، ص٢١٤، عن هذا الخبر المعلق: «... فهو من حديث أخرجه أبو داود، وظهر من سياقه أن حديث جابر الذي ترجم به المصنف للباب طرف منه»، وانظر: سنن أبي داود (٣/ ٤١١ ـ ٤١٢، ح٣٠١١، ٣٠١٢).

(٥) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، ح٣١٣٦)، مسلم (٤/ ١٩٤٦، ح٢٥٠٢).

(٦) سنن أبي داود (٥/ ٣٩٦، ح٥٢٢٠)، وهو من مرسل الشعبي، وقد جاء مسنداً من طرق عن جابر، كما عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١١)، وقد صححه الحاكم، وقال الذهبي: إنه مرسل، وعن طريق غير جابر، كما في المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٠٧)، وكلها طرق لا تسلم من ضعف. وذكر الألباني طرق هذا الحديث وشواهده، ومال إلى تحسينه. انظر: فقه السيرة للغزالي، ص٣٦٧.

عليه من الصدق وما عانوه في الغربة، وهم أصحاب الهجرتين[١].

وأعطى الرسول ﷺ أبا هريرة وبعض الدوسيين من الغنائم برضاء الغانمين، حيث قدموا عليه بعد فتح خيبر[٢].

وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء مسلمات فأعطاهن من الفيء ولم يضرب لهن بسهم[٣].

وكذلك أعطى من شهدها من العبيد، فقد أعطى عُمَيراً، مولى أبي اللحم، شيئاً من الأثاث[٤].

وأوصى ﷺ من مال خيبر لنفر من الداريين، سماهم ابن إسحاق[٥].

وكان كفار قريش يتحسسون أخبار الرسول ﷺ مع يهود خيبر، ويسألون الركبان عن نتيجة المعركة، وقد فرحوا عندما خدعهم الحجاج بن عِلاط السُّلَمي وقال لهم إن المسلمين قد هزموا شر هزيمة وإن اليهود أسرت محمداً، وستأتي به ليقتل بين ظهراني أهل مكة ثأراً لمن كان أصيب من رجالهم، وما لبثوا قليلاً حتى علموا بأن الأمر خدعة من الحجاج بن علاط ليحرز ماله الذي بمكة ويهاجر مسلماً. فحزنوا لتلك النتيجة التي كانوا يراهنون على عكسها[٦].

وبعد الفراغ من أمر خيبر توجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وحاصرهم، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم،

---

(١) د. العمري: المجتمع المدني، تنظيماته...، ص١٧٤، وعوض الشهري: مرويات غزوة خيبر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية المدينة، ص١٨١.

(٢) عبد الرزاق: المصنف (٥/ ٢٧٦)، بسند صحيح.

(٣) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٣/ ٤٧٦)، ورواه الأوزاعي كما في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٠٦) وقال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع. أما مسلم (٣/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٥، ح٨١٢) وغيره فقد رووا أنه كان يعطي النساء اللاتي يغزين معه، ولم يقيدوه بغزوة خيبر.

(٤) من رواية أبي داود في سننه (٣/ ٧٥، ح٢٧٣٠)، الترمذي: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ١٠٦، ح١٦١٦)، أحمد (٢١٩٤٠) - صحيح على شرط مسلم، ورقم (٢١٩٤١)، وقالوا: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٥) ابن هشام (٣/ ٤٩١) معلقاً، أي بدون إسناد.

(٦) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٦٦ ـ ٤٦٩)، بإسناد صحيح.

وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانة فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، ثم قاتلهم حتى أمسوا، وفي الصباح استسلموا، ففتحت عنوة. وأقام فيها ثلاثة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها.

فلما بلغ يهود تيماء ما حدث لأهل فدك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم. فلما كان عهد عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز، وأن ما وراء ذلك من الشام[١].

وثبت في الصحيح أن مِدْعَماً - مولى رسول الله ﷺ - أصابه سهم فقتله، وذلك حين كان يحط رحل رسول الله ﷺ عندما وصلوا وادي القرى. فقال الناس: «هنيئاً له بالجنة». فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشَّمْلَة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً». فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بِشِرَاك أو بِشِرَاكَين، فقال: «هذا شيء كنت أصبته»، فقال رسول الله ﷺ: «شراك أو شراكان من نار»[٢].

بعض فقه وحكم وعبر ودروس غزوة خيبر:

١ - نهى رسول الله ﷺ عن الغُلُول، وأن من يموت وهو غالّ يدخل النار.

وقد جاء ذلك في خبر الرجل الذي قال عنه الصحابة إنه شهيد، فقال لهم الرسول ﷺ: «كلا! إني رأيته في النار في بُرْدَةٍ غَلَّهَا أو عَبَاءَة...»[٣] ولعلماء العقيدة تفصيل في خبر مدعم مع الشملة.

٢ - نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحُمُر الإنسية[٤].

٣ - نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم البِغَال[٥].

---

(١) الواقدي (٢/٧٠٩ - ٧١١)، بإسناده إلى أبي هريرة.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٧١ - ٧٢، ح٤٢٣٤)، مسلم (١/ ١٠٨، ح١١٥).

(٣) مسلم (١/ ١٠٧ - ١٠٨، ح١١٤ - ١١٥).

(٤) البخاري: الفتح (٢١/ ٦٨، ح٥٥٢٣ - ٥٥٢٩)، مسلم (٢/ ١٠٢٧ - ١٠٢٨، ح١٤٠٧).

(٥) أحمد (١٦٨١٦، ١٦٨١٧، ١٦٨١٧)، وضعفه محققو الموسوعة الحديثية لاضطرابه.

٤ - النهي عن أكل كل ذي نَابٍ من السباع وعن أكل كل ذي مِخْلَب من الطير[١].

٥ - النهي عن وطء الحُبَالَى من السبايا حتى يضعن[٢].

٦ - النهي عن ركوب الجلَّالة[٣] والنهي عن أكل لحمها[٤] وشرب لبنها.

٧ - النهي عن النهبة من الغنيمة قبل قسمتها[٥].

٨ - وأجرى الله على نبيه بعض المعجزات دليلاً على نبوته وعبرة لمن يعتبر، فإضافة إلى ما ذكرنا من قصة بصقه على عيني علي فصحَّتا، وإخبار ذراع الشاة المسمومة إياه بأنها مسمومة، فقد ثبت أنه نفث ثلاث نفثات في موضع ضربة أصابت ركبة سلمة بن الأكوع يوم خيبر، فما اشتكى بعدها[٦].

٩ - وفي خبر الإسهام لأهل السفينة أنه إذا لحق مدد بالجيش بعد انقضاء الحرب، فلا سهم لهم إلا بإذن الجيش ورضاه[٧].

١٠ - جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الأرض من ثمر أو زرع، كما عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر على ذلك، وهو من باب المشاركة، وهو نظير المضاربة، فمن أباح المضاربة، وحرم ذلك، فقد فرق بين متماثلين[٨].

١١ - عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض، لأن الرسول ﷺ دفع إليهم الأرض على أن يعملوها من مالهم.

١٢ - خَرْصُ الثمار على رؤوس النخيل وقسمتها كذلك، وأن القسمة ليست بيعاً،

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ١٦٠، كتاب الأطعمة، باب النهي عن أكل السباع، ح٣٨٠٢، ٣٨٠٣، ٣٨٠٥، ٣٨٠٦)، مسلم (٣/ ١٥٣٤، ح١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤)، ولكن دون التقييد بمكان معين. وهو بمقصد حديث ابن ماجه وأبي داود، فيكون الحديث حسناً.

(٢) رواه ابن الجارود في المنتقى: كتاب النكاح، ص٢٤٤، بإسناد صحيح.

(٣) الجلالة: حيوان يأكل العَذِرَة، [وهي الغائط]، من الإبل والغنم والدجاج وغيرها حتى يتغير ريحها.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٦١، ح٣٨٠٦)، بإسناد حسن. ورواه غيره. قال سيد سابق في فقه السنة (٣/ ٢٨٥): «فإن حبست بعيدة عن العذرة زمناً وعلفت طاهراً فطاب لحمها وذهب اسم الجلالة عنها حلت، لأن علة النهي التغير، وقد زالت».

(٥) أحمد: المسند (٤/ ٣٤٨)، بإسناد صحيح، وأخرجه غيره.

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ٥٠، ح٤٢٠٦).

(٧) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤٢)، ابن حجر: الفتح (١٦/ ٨٢، شرح الحديث رقم ٤٢٤٩).

(٨) الزاد (٣/ ٣٤٥).

والاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد.

١٣ - جواز عقد المهادنة عقداً جائزاً للإمام فسخه متى شاء.

١٤ - جواز تعليق عقد الصلح والأمان بالشرط، كما عقد لهم رسول الله ﷺ بشرط ألا يغيّبوا ولا يكتموا، كما في قصة مسك حيي.

١٥ - الأخذ في الأحكام بالقرائن والأمارات كما قال النبي ﷺ لكنانة: «المال كثير والعهد قريب»، فاستدل بذلك على كذبه في قوله: «أذهبته الحروب والنفقة». وفي المسألة تفصيل واختلاف، مكانه كتب الفقه.

١٦ - جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغنى عنهم، وقد أجلاهم عمر ﷺ بعد موت النبي ﷺ.

١٧ - لم يكن عدم أخذ الجزية من يهود خيبر لأنهم ليسوا أهل ذمة، بل لأنها لم تكن نزل فرضها بعد[1].

١٨ - سريان نقض العهد في حق النساء والذرية، وجعل حكم الساكت والمقر حكم الناقض والمحارب، كما في حالة كنانة وابني ابن الحقيق، على أن يكون الناقضون طائفة لهم شوكة ومنعة، أما إذا كان الناقض واحداً من طائفة لم يوافقه بقيتهم، فهذا لا يسري النقض إلى زوجته وأولاده[2].

١٩ - جواز عتق الرجل أمته، وجعل عتقها صداقها، ويجعلها زوجته بغير إذنها ولا شهود ولا ولي غيره، ولا لفظ نكاح ولا تزويج، وجواز البناء بالأهل في السفر، كما فعل ﷺ بصفية.

٢٠ - جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير، إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين والمشركين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب.

٢١ - إن من قتل غيره بسُم يقتل مثله قصاصاً، كما قُتلت اليهودية ببشر بن البراء.

٢٢ - جواز الأكل من ذبائح أهل الكتاب، وحل طعامهم، وقبول هديتهم، كما في

---

(١) المرجع نفسه (٣/٣٤٨).

(٢) زاد المعاد (٣/٣٤٨ - ٣٤٩).

حادثة الشاة المسمومة.

٢٣ - الإمام مخير في الأرض التي تفتح عنوة، إن شاء قسمها، وإن شاء وقفها، وإن شاء قسم البعض ووقف البعض الآخر، وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة: فقسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطراً من خيبر وترك شطرها الآخر[1].

٢٤ - جواز قتل الكفار في الأشهر الحرم، والإغارة على من بلغته الدعوة بغير إنذار.

٢٥ - قسمة الغنيمة على السهام.

٢٦ - أكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليه بشرط أن لا يدخره ولا يحوله.

---

(١) انظر: الشهري: مرويات غزوة خيبر، ص١٩٨، ابن القيم: زاد المعاد (٣/٣٢٩)، ابن حجر: الفتح (١٦/٨٣، شرح الحديث رقم ٤٢٤٩).

الفصل الخامس عشر

رسائل النبي ﷺ
إلى الملوك والأمراء والزعماء

تمهيد:

أتيحت الفرصة للرسول ﷺ بعد صلح الحديبية لتوسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، لأن الإسلام رسالة عالمية غير محدودة المكان، كما جاء التصريح بذلك في بعض الآيات القرآنية الكريمة، مثل:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولذا كان من البدهي أن يقوم الرسول ﷺ بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم المعاصرين له.

هناك اضطراب في الروايات التي تناولت تواريخ إرسال الرسائل. فقد روى ابن سعد[١]، أن الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتاباً، فخرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع.

ويذكر الطبري[٢]، أن بعث هؤلاء النفر الست كان في ذي الحجة، وهي من رواية الواقدي. وواضح من نص خبر الواقدي عند ابن سعد أن رجوع النبي ﷺ من الحديبية كان في ذي الحجة، وأن إرسال النفر الستة كان في المحرم من العام السابع، فيكون الوهم في النقل من قبل الطبري. أما ابن إسحاق[٣] فلا يحدد تاريخاً

---

(١) الطبقات (١/ ٢٥٨) من طريق شيخه الواقدي وبأسانيده.

(٢) التاريخ (٢/ ٦٤٤)، من رواية الواقدي.

(٣) ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٦٤٥)، بإسناد ضعيف.

دقيقاً لإرسال الرسل، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته، قال في رواية: «كان رسول الله ﷺ قد فرق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله ﷻ فيما بين الحديبية ووفاته». واستدرك عليه ابن هشام[١] في زيادات السيرة قائلاً بأن إرساله الرسل كان بعد عمرته التي صُدَّ عنها يوم الحديبية.

ويؤرخ ابن سعد[٢] لرسالة كسرى قبل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع، التي قتل فيها كسرى. وذكر البخاري[٣] رسالة كسرى في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري، لكن من الواضح أن البخاري لم يراع عنصر الزمن في سرد محتويات «صحيحه»، لأنه يجمع ما يقع على شرطه من البعوث والسرايا والوفود ولو تباينت تواريخهم، وقد نبه ابن حجر إلى احتمال تصرف بعض رواة صحيح البخاري في تقديم وتأخير بعض التراجم، مثل تقديم حجة الوداع على غزوة تبوك[٤].

إن الدراسة التفصيلية لتلك الرسائل تجعل النفس تميل إلى قبول ما ذكره ابن إسحاق[٥].

❑ المبحث الأول: كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي: ❑

روى مسلم[٦] - كما سبق ذكره - أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي - أصحمة - ملك الحبشة، الذي أسلم.

وروي أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي غير الذي أسلم وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب، قائلاً: «تعال إلى كلمة سواء بيننا وبينك أن لا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون». فآمن ومن

---

(١) السيرة (٣/ ٣٣٨)، وذلك ضمن خبر رواه بلاغاً، ورواه ابن عساكر والديلمي في مسنده كما في كنز العمال (١٠/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥)، والطبراني كما في السجسع (٥/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦)، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف.

(٢) الطبقات (١/ ٢٦٠)

(٣) الفتح (١٦/ ٢٥٧، ح٤٤٢٤).

(٤) انظر: الفتح (١٦/ ٢٣٧)، و(١٦/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥، ح٤٣٦٣).

(٥) انظر: عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص٥٩ ـ ٦٠.

(٦) في صحيحه (٣/ ١٣٩٧، ح١٧٧٤)، ولم يذكر نص الكتاب.

كان عنده، وأرسل إلى رسول الله ﷺ بهدية حُلَّة، فقال رسول الله ﷺ: «اتركوه ما تركتكم»[١].

وكان الذي حمل الرسالة إلى النجاشي، عمرو بن أمية الضمري[٢].

وذكر الزيلعي[٣] وغيره عن الواقدي أن الذي كتبه النبي ﷺ إلى النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري صورته:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى».

وذكر البيهقي[٤] رواية أتم من هذه، من حديث ابن إسحاق - معلقاً -. ومن زياداته قوله: «إلى النجاشي الأصحم...»، و: «وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين...»، وهي رواية فيها نظر. وانظر ما قلناه في معرض الحديث عن إسلام النجاشي.

وذكر أبو موسى المديني في التتمة لكتاب ابن منده في الصحابة، بإسناد

---

(١) رواه أبو داود: السنن (٤/ ٤٩٠، كتاب الملاحم، باب النهي عن تهييج الحبشة، ح٤٣٠٩) بلفظ: «اتركوا الحبشة ما تركوكم» (٤/ ٤٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو، وأحمد في المسند بهذا اللفظ من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن رجل من الصحابة، ورواه أبو داود أيضاً (٤/ ٤٨٥، الكتاب والباب نفساهما، ح٤٣٠٢)، والنسائي (٦/ ٤٤، كتاب الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة) حديث أبي سكينة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ بلفظ: «دعوا الحبشة ما دعوكم واتركوا الترك ما تركوكم»، وهو حديث حسن. وانظر: جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٢٢٣)، و(١١/ ٢٩٦).

(٢) انظر: أسد الغابة (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، وابن هشام (٤/ ٣٣٨) بلاغاً، وابن سعد (٢/ ٢٥٨)، من رواية الواقدي.

(٣) نصب الراية لأحاديث الهداية (٤/ ٤٢١)، وانظر: إعلام السائلين لابن طولون، ص٥٠ ـ ٥١.

(٤) دلائل النبوة (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

معلق، أن النجاشي كتب مع ولده كتاباً جواباً لكتاب النبي ﷺ وأورد نصه، وفيه إقراره بالإسلام، وإن شاء الرسول ﷺ أن يأتيه بالمدينة المنورة لأتاه، وأنه بعث إليه بابنه أرها بن الأصحم، وأن ابنه خرج في ستين نفساً من الحبشة فغرقت بهم سفينتهم في البحر[١].

وقد ثبت أن الرسول ﷺ صلى صلاة الغائب عندما أخبره جبريل بوفاة النجاشي، وذلك في العام التاسع الهجري[٢].

❑ المبحث الثاني: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى: ❑

روى البخاري[٣] بسنده إلى ابن عباس: «بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حُذافة السَّهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين[٤]، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى. فلما قرأه مزقه، قال الراوي - الزهري: فحسبت أن ابن المسيب قال: «فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق».

وكتب كسرى إلى بَاذَان عامله باليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه[٥] ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام وفرائضهما ترعد، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد». فجاءاه من الغد، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه كسرى في هذه الليلة»، لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شِيرَوَيه،

---

(١) قاله ابن طولون، ص٥٠، وانظر نص الرسالة عنده، وذكر نصها الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٤٢١)، والطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٣) معلقاً، وابن سيد الناس في العيون (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) انظر المبحث الخاص بإسلام النجاشي.

(٣) الفتح (١٦/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ح٤٤٢٤).

(٤) هو المنذر بن ساوى كما ذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية (٣/ ٣٤١)، وابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٥٧).

(٥) اسمه «بابويه»، وهو الكاتب الحاسب، واسم الرجل الآخر: خُرّ خُسْرَة كما في رواية الطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٥).

فقتله، فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء[١] الذين باليمن[٢].

ويذكر أن كسرى المعني هو إبْرويز بن هُرْمز[٣]، ويؤكد بتلر[٤] أن موت كسرى إبْرويز حدث في مارس عام ٦٢٨م، مما يجعل وصول الرسالة قبل موته بشهور توكيداً لرواية الواقدي.

وروى الطبري[٥] نص رسالة النبي ﷺ إلى كسرى، وكذلك رواها ابن طولون[٦]، وغيرهما، وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت، فإن إثم المجوس عليك».

❐ المبحث الثالث: كتاب النبي ﷺ إلى قيصر: ❐

ثبت في الصحيحين[٧] أن الرسول ﷺ قد كتب إلى هرقل مع دِحْيَة بن خَلِيفَة الكَلْبي يدعوه إلى الإسلام. وذلك في مدة هدنة الحديبية، وهو النص الثاني الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى

---

(١) اصطلاح يطلق على الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن في تلك الفترة.

(٢) ابن سعد (١/ ٣٦٠) من رواية شيخه الواقدي، ورواه مطولاً الطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٥ ـ ٦٥٧) عن طريق ابن إسحاق من رواية شيخه يزيد بن أبي حبيب المصري مرسلاً، وفيه زيادات، مثل اسمي رسولي باذان وأوصافهما وحوار الرسول ﷺ معهما. أما تاريخ قتل شيرويه لأبيه كسرى فقد عزاه الطبري إلى الواقدي.

(٣) الزرقاني (٣/ ٣٤١).

(٤) فتح مصر، ص١٢٨ ـ ١٥٣.

(٥) التاريخ (٢/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥)، من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل، وأبو عبيد في الأموال، ص٢٥٣ مرسلاً، وبذلك يكون الحديث حسناً، كما ذكر الألباني في حاشيته على فقه السيرة للغزالي، ص٣٨٨.

(٦) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص٦١ ـ ٦٢.

(٧) البخاري: الفتح (١٢/ ٦٩ ـ ٧٢، ح٢٩٤٠، ٢٩٤١)، مسلم (٣/ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧، ح١٧٧٣)، وكلاهما من حديث أبي سفيان الطويل في صفة النبي ﷺ، الطبري: التاريخ (٢/ ٦٥٠ ـ ٦٥١).

الزعماء، ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[1]. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]»

ولعل في إيراد البخاري ومسلم لنص خطاب الرسول ﷺ إلى قيصر ما يشير إلى ترجيحهما للروايات القائلة بتقدم نزول الآية المذكورة، أي قبل تاريخ إرسال هذه الرسالة، وليس في العام التاسع كما ورد في روايات ضعيفة[2].

وعندما قرأ قيصر رسالة النبي ﷺ أرسل يبحث عن بعض المتصلين بالنبي ﷺ، وفضل أن يكونوا من قومه وعشيرته، فعلم بوجود جماعة من التجار فيهم أبو سفيان، فدعاهم لمجلسه مع الترجمان، فقال: «أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟»، فقال أبو سفيان: «أنا أقربهم نسباً»، فأدناه منه وقرب أصحابه منه لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، فأخذ يسأله عن جميع أحوال النبي ﷺ كما في الحديث الطويل المشهور، حديث هرقل مع أبي سفيان، المروي في الصحيحين، واستنتج من أجوبة أبي سفيان أن محمداً ﷺ نبي، وقال في ختام كلامه مع أبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلُصُ إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه».

ثم قال للرسول (دحية الكلبي): «إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته»، ثم صرفه إلى ضَغَاطِرَ، الأُسْقُف صاحب الفتوى عندهم بحجة أنه أعلم الروم بهذا الشأن.

---

(١) اختلفوا في المراد بهم على أقوال: أصحها وأشهرها أنهم الأكارون، أي الفلاحون... انظر: الفتح (١٧/ ٨٠ ـ ٨١، ح٤٥٥٣).

(٢) انظر: د. العمري: المجتمع المدني، تنظيماته، ص١٥٢ ـ ١٥٣، د. عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص٦١ ـ ٦٣.

وروى ابن حبان[١] أن دحية عندما جاء وافى قيصر ببيت المقدس، فرمى بالكتاب على بساطه وتنحى، فلما انتهى قيصر من الكتاب، أخذه، وأمَّن من جاء به فظهر له دحية، فطلب من دحية أن يأتيه في عاصمته، فلما جاء، أمر بأبواب قصره فغلِّقت، ثم أمر مناديا ينادي: ألا إن قيصر قد اتبع محمداً وترك النصرانية، فأقبل جنده وقد تسلَّحوا حتى أطافوا به، فقال لرسول رسول الله ﷺ: «قد ترى أني خائف على مملكتي»، ثم أمر مناديه فنادى: «ألا إن قيصر قد رضي عنكم، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم، فارجعوا»، فانصرفوا، وكتب إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: «كذب عدو الله، وهو على دين النصرانية»، وقسم الدنانير.

وفي عدم إسلام قيصر دليل على أنه قد شح بالملك وطلب الرئاسة وآثرهما على الإسلام، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي، فإنه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة[٢].

▢ المبحث الرابع: كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شَمِرٍ الغساني: ▢

روى الواقدي[٣] أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً إلى المنذر بن الحارث بن أبي شَمِرٍ الغساني[٤]، مع شُجاع بن وَهْب، وأورد نصه. وقد امتعض الحارث ولم يوافق على الإسلام، وحشد قواته للزحف على المدينة، ولكن هرقل تدخل ودعاه إلى إيلياء - بيت المقدس.

وقد بعث رسول الله ﷺ شجاعاً إليه حين مرجعه من الحديبية، ومن خلال رواية شجاع في قصته معه يظهر أنه كتب إليه في نفس الوقت الذي كتب فيه إلى هرقل مع

---

(١) صحيحه: موارد الظمآن، ح١٦٢٨)، بإسناد صحيح كما قال محقق الزاد (١/ ١٢١)، طبعة مؤسسة الرسالة، ورواه أيضاً أبو عبيد في الأموال ص٢٥٥، بإسناد صحيح، لكنه مرسل.

(٢) النووي بشرح مسلم (١٢/ ١٠٧، كتاب الجهاد، باب كتب النبي ﷺ).

(٣) نقله عنه الطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٢)، والقصة عند أهل السير، وأسانيدهم ضعيفة.

(٤) من أمراء غسان في أطراف الشام، وكانت إقامته بغوطة دمشق.

دحية، لأن شجاعاً عندما جاء إلى الحارث وجد دحية مع القيصر في إيلياء[١].

وتقول رواية شجاع: إن حاجب الحارث - وهو رومي اسمه مُري - أسلم عندما أخبره شجاع بالرسول ﷺ والإسلام.

◻ المبحث الخامس: كتاب النبي ﷺ إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفي صاحب اليمامة: ◻

كتب إليه مع سَلِيط بن عمرو العامري، أحد النفر الستة الذين تحركوا في وقت واحد حين مقدم الرسول ﷺ من الحديبية، وعندما قرأ هوذة الرسالة اشترط على النبي ﷺ أن يجعل له بعض الأمر معه، فلم يقبل الرسول ﷺ بذلك، ومات حين منصرف الرسول ﷺ من فتح مكة[٢].

◻ المبحث السادس: كتاب النبي ﷺ إلى المُقَوْقِس: ◻

بعث الرسول ﷺ كتابه إلى المقوقس - جُرَيج بن مينَا - ملك الإسكندرية وعظيم القبط، مع حاطب بن أبي بلتعة، فقال خيراً، وقارب الأمر ولم يُسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ مارية وأختها سيرين وقَيسرَى، فتسرى بمارية القبطية، وهي أم ولده إبراهيم، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، فهي أم ولده عبد الرحمن، وأهداه ألف مثقال ذهب، وبغلة، اسمها دُلْدُل، وجارية أخرى سوداء اسمها بُرَيرَة، وغلاماً خصياً اسمه مَأبُور، وحماراً أشهب يقال له يَعْفُور وفرساً هو اللزاز، وعسلاً وأشياء أخرى.

وعندما جاءت رسالة المقوقس إلى الرسول ﷺ قال: «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه»[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٦١). وذكر ابن هشام أنه بعث شجاع بن وهب إلى الحارث بن شمر: ابن هشام (٤/ ٣٣٩) وإسناده ضعيف، ولم يرد عند غيره بإسناد يحتج به.

(٢) ابن سعد (١/ ٢٦٢) وعنده نص خطاب هوذة، وليس عنده نص خطاب الرسول ﷺ إليه، عيون الأثر (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، إعلام السائلين، ص١٠٥ ـ ١٠٧.

(٣) انظر: ابن سعد (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، من رواية الواقدي، وفيه قول الرسول ﷺ: «ضن الخبيث بملكه...»، وابن هشام (١/ ٢٤٧): بإسناده إلى ابن لهيعة، مختصر جداً بخصوص إهداء المقوقس مارية القبطية للنبي ﷺ، ويقويه حديث البزار الآتي ذكره، وابن حجر الإصابة (١/ ٣٠٠) =

◻ المبحث السابع: كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى العَبْدِي: ◻

روى ابن سيد الناس[١] أن النبي ﷺ كتب إلى المنذر بن ساوى العبدي، أمير البحرين، مع أبي العلاء الحضرمي، بعد انصرافه من غزوة الحديبية، ثم قال: ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة، قال: «وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس، بعد موته، فنسخته، فإذا فيه...».

وخلاصة ما ذكره ابن سيد الناس عن كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر رداً على كتابه الأول إليه، أن المنذر قبل الإسلام ومعه آخرون من أهل البحرين، ولم يورد نص رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر.

وهناك روايات أخرى تشير إلى رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر؛ ولكنها في رجب سنة تسع هجرية، منصرفه من تبوك[٢].

◻ المبحث الثامن: كتاب النبي ﷺ إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدَى: ◻

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان بكتابة إلى جيفر وعبد ابني الجلندى الأزديين بعُمان، فأسلما، وصدَّقا، وخلَّيا بين عمرو بن العاص والصدقة، وترك أمر الحكم لهما[٣].

---

* ترجمة حاطب... وقال ابن حجر في خبر إرسال حاطب إلى المقوقس: «أخرجه ابن شاهين من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده (قلت: وفي إسناد ابن شاهين سليمان بن أرقم وهو متروك)، وابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٣٥) ترجمة مأبور. وقد أورد ابن حجر أحاديث تتقوى بالشواهد والمتابعات تفيد بأن النبي ﷺ قد ارتاب في مارية وعلاقتها بمأبور وعلاقتها بمأبور فبرأ الله حرم النبي ﷺ من الريبة، وبشره بولد منها. انظرها عند: مهدي رزق الله: السيرة، ط١، ص٥٢١ ـ الحاشية.

(١) عيون الأثر (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧)، وانظر: نص الرسائل عنده وعند ابن طولون، ص٥٦ ـ ٥٧.

(٢) أورد نصها ابن طولون، ص٥٨، من رواية الواقدي التي ذكرها الزيلعي في آخر كتاب: تخريج أحاديث الهداية (٤/ ٤١٩ ـ ٤٢٠)، وذكر القلقشندي (٦/ ٣٧٦) نص الرسالة إلى النبي ﷺ إلى المنذر، والتي أوردها أبو عبيد في الأموال، كتاب الفيء ووجوهه، باب الجزية، ص٢٨.

(٣) عيون الأثر (٢/ ٢٦٧)، نصب الراية (٤/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤)، إعلام السائلين، ص٩٢ ـ ٩٦.

◻ المبحث التاسع: رسائل أخرى متفرقة: ◻

٩ - وكتب النبي ﷺ كتاباً إلى أهل دَمَا، وهي قرية من قرى عُمان، وكان عليها رجل من أساورة كسرى، يقال له: بسنجان. وروى الكتاب ابن طولون[1] بسنده إلى أبي شداد، رجل من أهل دما، ونصه:

«من محمد رسول الله إلى أهل عُمان، سلام، أما بعد: فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدُّوا الزكاة، وخُطُّوا المساجد، كذا وكذا، وإلا غزوتكم».

١٠ - وكتب رسول الله ﷺ إلى رَعِيَّة السُّحَيمي اليمامي الحنفي، فأخذ الكتاب ورفع به دلوه، فبعث إليه الرسول ﷺ سرية فأخذت ماله وأهله. فجاء المدينة نادماً، فبايع على الإسلام، وأحرز أهله[2].

١١ - وكتب إلى مسيلمة الكذاب - زعيم اليمامة - يدعوه إلى الإسلام مع عمرو بن أمية الضمري[3]. فكتب إليه مسيلمة جواباً على كتابه، ونصه «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك. أما بعد: فإني أُشرِكْتُ معك في الأمر، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون[4].

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب، فعندما قرئ عليه قال لهما: «فما تقولان أنتما؟» قالا: «نقول كما قال»، فقال ﷺ: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»[5].

ثم كتب إليه الرسول ﷺ:

---

(١) إعلام السائلين، ص٩٧ - ٩٨، وابن الأثير (٥/ ٢٢٥).

(٢) ابن حجر: الإصابة (١/ ٥١٦)، وابن طولون: إعلام السائلين، ص٩٩ - ١٠١، وكلاهما من حديث الشعبي. وجاء خبره في مسند أحمد (٥/ ٥٨٥). وقال ابن حجر في الإصابة (١/ ٥١٦): «وروى حديثه ابن أبي شيبة، وقال: قال ابن السكن: إسناد حديثه صالح». انظر: ابن أبي شيبة: المغازي، ص١٦٣، سنده متصل ورجاله ثقات، وهو من مرسل الشعبي كما قال المحقق.

(٣) ابن سعد (١/ ٢٧٣)، من رواية شيخه الواقدي، فالرواية ضعيفة، لأن الواقدي متروك.

(٤) ابن هشام (٤/ ٣٢٩، معلقاً)، والمعلق من أقسام الضعيف.

(٥) أحمد: مسنده (٣/ ٤٨٧)، وأبو داود في سننه، برقم (٢٧٦١)، وإسناده صحيح كما في حاشية الزاد (٣/ ٦١١). وصححه محقق الموسوعة (١٥٩٨٩) بطرقه وشاهده.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]»[١].

ثم كان ما كان من أمر مسيلمة، وفتنته في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وقضاء أبي بكر عليهما بعد خسارة فادحة في الأرواح بين الطرفين.

١٢ - وكتب الرسول ﷺ كتاباً إلى عظيم بُصْرَى وأرسله مع الحارث بن عُمَير الأزدي، فعرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني بمؤتة، فأوثقه رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره[٢].

١٣ - وكتب النبي ﷺ إلى بَكْر بن وائل[٣].

١٤ - وكتب إلى بني عمرو من حِمْيَر، يدعوهم إلى الإسلام[٤].

١٥ - وكتب إلى جَبَلة بن الأيْهَم، ملك غسان، يدعوه إلى الإسلام[٥].

١٦ - وبعث رسول الله ﷺ جَرير بن عبد الله البَجَلِيَّ بكتابه إلى ذي الكُلاع ابن ناكور وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وأسلمت امرأة ذي الكلاع[٦].

١٧ - وكتب إلى معدي كرب بن أبرهة، وأن له ما أسلم عليه من أرض خولان[٧].

١٨ - وكتب إلى أسقف بني الحارث بن كعب وأساقفه نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم[٨].

١٩ - وكتب إلى يحنة بن روبة صاحب أيلة[٩].

٢٠ - وإلى أبي ظبيان الأزدي من غامد، فأجابه في نفر من قومه بمكة[١٠].

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع، لأنه أبهم اسم الشيخ الأشجعي الذي حدثه: ابن هشام (٤/ ٣٢٩).

(٢) الواقدي (٢/ ٧٥٥ - ٧٥٦).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه - الموارد - برقم (١٦٢٦)، بسنده إلى أنس ﷺ.

(٤) ابن سعد (١/ ٢٦٥)، من رواية الواقدي.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٦٥ - ٢٨٤ من حديث الواقدي.

(٦-١٠) المصدر نفسه، ص٢٦٥ - ٢٦٦، وأصل الرواية في صحيح البخاري: الفتح (١٦/ ١٩٧ - ١٩٨، برقم ٤٣٥٩).

٢١ - وإلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كُلال من حمير. وبعث الكتاب مع عَيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي[١].

٢٢ - وإلى ثُمَامَة بن فَروة الدئلي ملك السَّمَاوَة[٢].

وكتب إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم ابن سعد في طبقاته وغيره من المؤرخين.

❐ المبحث العاشر: فوائد وحكم وعبر في هذا المقطع من السيرة: ❐

١ - تؤكد هذه الرسائل على حقيقة معلومة ذكرناها في أول هذا الفصل، وهي أن الإسلام دين عالمي، لذا كان واجب الرسول ﷺ إبلاغ الدعوة إلى كل من يعرف من الناس وبكل الوسائل المتاحة في ذلك الزمان.

٢ - إن رفض بعض الحكام لدعوة الإسلام نابع من حبهم لسلطتهم وتكبرهم وتجبرهم وليس لعدم قناعتهم بالإسلام.

٣ - دل اتخاذ الرسول ﷺ خاتماً من فضة يختم به رسائله على مشروعية اتخاذ الخاتم، كما دل على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه. وقد استدل كثير من العلماء بذلك على استحباب وضع خاتم من فضة في الأصبع التي كان الرسول ﷺ يضع خاتمه فيها، وهي أصبع الخنصر.

٤ - إن جعله ﷺ اسم الله أعلى في الخاتم واسمه الأدنى، فيه تعظيم كبير لله ﷻ واسمه تعالى.

٥ - إن إقراره ﷺ لمن كتب إليهم بأن يبقوا على ملكهم نابع من سياسته الرشيدة وتدبيره الحسن للأمور.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٥ - ٢٦٦، وأصل الرواية في صحيح البخاري: الفتح (١٦/ ١٩٧ - ١٩٨)، برقم (٤٣٥٩).

(٢) المصدر نفسه.

الفصل السادس عشر

السرايا بين غزوة خيبر وعمرة القضاء

◻ المبحث الأول: سرية عمر بن الخطاب ﷺ إلى تُرَبَة:

بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين راكباً إلى بني نضر بن معاوية بن بكر بن هوازن وبني جشم بن بكر بن هوازن الذين كانوا بتربة، وهو موضع قريب من مكة، وعندما علموا بمسير المسلمين إليهم هربوا، فعاد عمر وأصحابه.

وبنو نضر وبنو جُشَمُ: هم عَجُز هوازن.

وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة[١].

◻ المبحث الثاني: سرية أبي بكر الصديق ﷺ إلى نجد: ◻

بعثه الرسول ﷺ إلى بني فزارة في أرض نجد، فشن عليهم الغارة، فقتل منهم من قتل، وكان معه في السرية سلمة بن الأكوع، حيث تمكن من أسر مجموعة من الذراري، فنفله أبو بكر منهم جارية جميلة، طلبها منه الرسول ﷺ، وفدى بها أسرى من المسلمين بمكة[٢].

وكانت هذه السرية في شعبان سنة سبع من الهجرة[٣].

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٢٢)، ابن سعد (٢/ ١١٧)، معلقاً.

(٢) أخرج الخبر بتمامه مسلم (٣/ ١٣٧٥ ـ ١٣٧٦: ح١٧٥٥)، وأحمد (٤/ ٤٣٠)، ورواه الواقدي مختصراً، وابن سعد (٢/ ١١٧ ـ ١١٨)، بمثل رواية مسلم.

وفي خبر الجارية، وفداء الرسول ﷺ بها أسرى من المسلمين بمكة دليل على مشروعية فداء أسرى المسلمين بأسرى مشركين وقعوا في أيدي المسلمين.

(٣) ابن سعد (٢/ ١١٧).

❑ المبحث الثالث: سرية بشير بن سعد إلى ناحية فَدَك: ❑

أرسله الرسول ﷺ في ثلاثين رجلاً إلى بني مُرَّة بفدك، فتمكن من استباق نعمهم بينما كانوا في بواديهم. وعندما علموا بالخبر أدركوه، وأصابوا أصحابه، وولى منهم من ولى، وقاتل بشير ببسالة حتى سقط، وظنوه قد مات. ورجعوا بأنعامهم. وفي المساء تمكن بشير من اللجوء إلى فدك، وأقام عند يهودي أياماً حتى ضمدت جراحه، فرجع إلى المدينة. ونقل خبر مصابهم إلى المدينة عُلْبة بن زيد الحارثي.

وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة[١].

❑ المبحث الرابع سرية غالب بن عبد الله إلى المَيفَعَة[٢]:

الراجح أن هذه السرية هي التي عناها البخاري[٣] ومسلم[٤] وابن إسحاق[٥] في روايتهم من حديث أسامة بن زيد. قال أسامة: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَة من جهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قلت يا رسول الله، إنما كان متعوذاً، قال: أقتله بعد أن قال لا إله إلا الله؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم».

وعند ابن إسحاق أن اسم الرجل المقتول «مِرْدَاس بن نَهِيك» من الحرقة، من جهينة، وحليف لبني مرة. وعند الواقدي[٦] أن اسمه نهيك بن مرداس، ولكن السرية

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٢٣)، ابن سعد (٢/ ١١٨ ـ ١١٩)، معلقاً.

(٢) المَيفعة: وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد، وبينه وبين المدينة ثمانية برد، وهي ماء لبني عبد بن ثعلبة وبني عوال. انظر: الطبقات (٢/ ٨٦).

(٣) الفتح (١٢/ ١٢ ـ ١٣، ح٦٨٧٢) واللفظ للبخاري.

(٤) الصحيح (١/ ٩٦ ـ ٩٧، ح١٥٨، ١٥٩)، وانظره عنده من غير حديث أسامة (١/ ٩٧، ح١٦٠).

(٥) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٢٤٨)، وإسناده حسن.

والحرقة قبيلة من جهينة، يبدو أنها منسوبة إلى رجل يكنى بالحرقة، واسمه جهيش بن عامر بن ثعلبة، سمي بالحرقة لأنه حرق قوماً بالنقل فبايع في ذلك. العيني: العمدة (١٧/ ٢٧١)، القسطلاني: إرشاد الساري (٦/ ٣٨٥).

(٦) المغازي (٢/ ٧٢٤).

عنده هي سرية غالب بن عبد الله إلى مصاب بشير وأصحابه، وعند ابن أبي عاصم أن اسمه مرداس الفدكي، وأنه مات في المعركة[١]. والراجح أن اسمه مرداس بن نهيك كما هو عند ابن إسحاق، وأن الذي قتله هو أسامة بن زيد.

أما الواقدي[٢] وابن سعد[٣] فقد ذكرا أن سرية غالب بن عبد الله التي وقعت فيها قصة أسامة مع الرجل الذي قال لا إله إلا الله فقتله على الرغم من ذلك، كانت إلى الميفعة، وأن عدتها مائة وثلاثون راكباً بعثهم الرسول ﷺ إلى بني عبد بن ثعلبة وبني عُوال، وفيهم يَسَار مولى رسول الله ﷺ، الذي قادهم إلى مكان العدو، حيث أوقعوا به واستاقوا نعمه وشاءه، وقتلوا من أشرف إليهم، وذلك في رمضان سنة سبع من الهجرة.

وذكر ابن سعد أن الرسول ﷺ قال لأسامة عندما بلغه خبر قتله الرجل الذي نطق بالشهادتين: «ألا شققت قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب؟ فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله».

إن في هذا اللوم تعميماً وبلاغاً في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وإنما كلف الإنسان بالعمل الظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس للإنسان طريق إلى ما فيه.

وفيه دليل على ترتيب الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة[٤].

❑ المبحث الخامس: سرية بشير بن سعد إلى الجِنَاب: ❑

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غَطَفَان بالجناب قد واعدهم عُيَيْنَة بن حِصْن ليكون معهم ليزحفوا على المدينة، فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل، حتى أتوا إلى يُمْن وجَبَار وهم نحو الجناب، والجناب يعارض سِلاح وخيبر وواهي القرى، فنزلوا بسلاح، ثم دنوا من القوم، فأصابوا لهم نعماً كثيراً، وتفرق الرعاء وحذروا القوم، فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم. ولذا لم

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح (٢٦/ ١٢ ـ ١٣).

(٢) المغازي (٢/ ٧٢٦ ـ ٧٢٧)، بإسناده.

(٣) الطبقات (٢/ ١٩٩) معلقاً.

(٤) انظر: ابن حجر: الفتح (٢٦/ ١٣).

يجد بشير عندما حل بديارهم ومحالهم إلا رجلين، فأسرهما وقدم بهما على رسول الله ﷺ فأسلما، فأرسلهما. وكان ذلك في شوال سنة سبع من الهجرة[١]. وفي رواية أنهم عندما أتوا أسفل خيبر أغاروا على المشركين وقتلوا عيناً لعيينة، ثم لقوا جمع عيينة فناوشوهم، ثم انكشف جمع عيينة، وأسر منهم رجلان[٢].

وكانت هذه السرية سبباً في أن يفكر عيينة في أمر الإسلام لحوار دار بينه وبين حليفه الحارث بن عوف المري وفروة بن مُسيرة القشيري. وكانت خلاصة الحوار أن أخذوا يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى[٣]، ثم أصبح عيينة من المؤلفة قلوبهم كما استفاضت الأخبار في ذلك. وقد ثبت أنه حضر حنيناً مع الرسول ﷺ كما في رواية ابن إسحاق[٤].

---

(١) ابن سعد (٢/ ١٢٠) معلقاً، الواقدي (٢/ ٧٢٧ ـ ٧٢٨)، والإسنادان ضعيفان.

(٢) الواقدي (٢/ ٧٢٨)، وإسناده ضعيف جداً لأن الواقدي متروك في الحديث كما قلنا.

(٣) انظر قصتهم عند: الواقدي (٢/ ٧٢٩ ـ ٧٣١).

(٤) ابن هشام (٤/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦)، وإسناده حسن.

الفصل السابع عشر

عمرة القضاء

خرج رسول الله ﷺ والمسلمون إلى مكة في ذي القعدة من العام السابع الهجري، لأداء العمرة، حسب الشروط التي تمت في صلح الحديبية[١].

فقد روى البيهقي[٢]، وابن سعد[٣]، أن المسلمين صحبوا معهم أسلحتهم، ووضعوها بيأجج[٤]، خارج الحرم، ودخلوا بسلاح الراكب، السيوف، كما هو الشرط.

لقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان، منهم الذين شهدوا الحديبية[٥].

وعندما دخل الرسول ﷺ مكة، كان عبد الله بن رَوَاحة ينشد بين يديه:

خَلُّوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله[٦]

وعندما أشاعت قريش أن المسلمين ضعفاء بسبب حمى يثرب، أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يرملوا ويسارعوا بالعدو في الأشواط الثلاثة الأولى من طوافهم، وأن

---

(١) من رواية ابن إسحاق ـ معلقة: ابن هشام (٤/ ١٨ ـ ١٩)، وموسى بن عقبة عن الزهري، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني عن المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه، وابن لهيعة عن الأسود عن عروة ؟ما في دلائل البيهقي (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، ويعقوب بن سفيان بسند حسن عن ابن عمر كما في الفتح (١٦/ ٨٤)، كتاب المغازي: باب عمرة القضاء. وانظر: الشروط في فصل غزوة الحديبية.

(٢) الدلائل (٤/ ٣١٤)، وإسناده مرسل من حديث موسى بن عقبة عن الزهري.

(٣) الطبقات (٢/ ١٢١)، معلقاً.

(٤) واد قريب من مكة، أو مكان من مكة على ثمانية أميال: معجم البلدان (٥/ ٤٢٤).

(٥) قال الحاكم في الإكليل: إن الأخبار تواترت بذلك. ابن حجر في الفتح (١٦/ ٨٤).

(٦) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن غريب»، كما في الفتح (١٦/ ٨٦).

يسعوا بين الصفا والمروة مهرولين، ليرى المشركون قوتهم[١]. ففعلوا ما أمروا به، فرأتهم قريش وهي مُضْطَفَّة على جبل قُعيقعان، في مواجهة ما بين الركنين، فتعجبوا من قوتهم[٢]، وقالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجْلَد من كذا وكذا[٣].

وعندما فرغ رسول الله ﷺ من أداء مناسك العمرة، أمر جماعة من الصحابة أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يَأْجج فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون الذين كانوا في حراسة السلاح ليقضوا نسكهم، ففعلوا، ثم دخل ﷺ الكعبة ومكث بها إلى الظهر، ثم أمر بلالاً فأذن على ظهر الكعبة[٤].

وعندما انقضت الأيام الثلاثة، جاءت قريش في صباح اليوم الرابع إلى علي ﷺ، فقالوا: «قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل». فخرج النبي ﷺ[٥] ونزل بِسَرِف، فأقام بها إلى أن تتامَّ الناس، ثم انصرف إلى المدينة المنورة في ذي الحجة[٦].

وفي هذه العمرة تزوج ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية [- أخت أم الفضل زوج عمه العباس -] فبنى بها ﷺ بسرف[٧]. والراجح أن هذا الزواج كان بعد أن تحلل الرسول ﷺ من إحرامه[٨].

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ٩٦، ح٤٢٥٦، ٤٢٥٧)، مسلم (٢/ ٩٢٣، ح١٢٦٦).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٩٦، ح٤٢٥٦، ٤٢٥٧)، وأحمد: المسند (٤/ ٢٣٩، شاكر)، بإسناد صحيح.

(٣) مسلم (٢/ ٩٢٣، ح١٢٦٦).

(٤) ابن سعد (٢/ ١٢٢)، معلقاً.

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٨٩ ـ ٩٠، ح٤٢٥١).

(٦) ابن إسحق معلقاً: ابن هشام (٤/ ٢٢ ـ ٢٣)، ابن سعد (٢/ ١٢٢)، معلقاً.

(٧) من رواية: البخاري: الفتح (١٦/ ٩٧، ح٤٢٥٩).

(٨) قاله ابن القيم في الزاد (٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤)، واستناده في ذلك قول ابن المسيب عند أبي داود: السنن (٢/ ٤٢٥، كتاب المناسك، باب المحرم يتزوج)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٣٢، ٣٣٦)، ومسلم من حديث ميمونة (٢/ ١٠٣٢، ح١٤١١)، وأبو داود: السنن (٢/ ٤٢٢، كتاب المناسك، باب المحرم يتزوج)، وابن ماجه: السنن (١/ ٦٣٢، كتاب النكاح، باب المحرم يتزوج، ح١٩٦٤)، وأحمد (٣٣٦ ـ ٣٣٥)، وحديث أبي رافع عند أحمد (٦/ ٣٩٣)، والفتح الرباني (٢٢/ ١٧٣)، والترمذي: السنن (٣/ ١٩١ ـ ١٩٢، كتاب الحج، باب كراهية تزويج المحرم، ح٨٤١)، =

وكانت ميمونة تحت أبي رِهْم بن عبد العزى، وقيل: تحت أخيه حُوَيطب، وقيل: سَخْبُرة بن رِهْم[١].

ولما أراد الرسول ﷺ الخروج من مكة، تبعتهم الطفلة عمارة ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم، فأخذها علي ودفعها لفاطمة، وهي ابنة عمه، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهتَ خَلقي وخُلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»[٢]، وكان هذا القضاء لأن جعفر محرم لها، إذ لا يجمع الرجل بين المرأة وخالتها في الزواج[٣].

وفي هذه القصة من الفقه: أن الخالة مقدمة في الحضانة على سائر الأقارب بعد الأبوين.... وفيها حجة لمن قدم الخالة على العمة، وقرابة الأم على قرابة الأب، لأن الرسول ﷺ عندما قضى بعمارة لخالتها فقد كانت صفية عمتها موجودة إذ ذاك، وهذا قول الشافعي ومالك وأبي حنيفة، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وفي الرواية الثانية: إن العمة مقدمة على الخالة، وهو اختيار الشيخ ابن القيم[٤].

عرفت هذه العمرة بعدة أسماء، كل واحد منها يشير إلى جزء من أحداثها، فكونها عرفت بعمرة القَضَاء أو القَضِيَّة نسبة للمقاضاة التي وقعت بين المسلمين وكفار قريش بنص كتاب صلح الحديبية، أو بعمرة القضاء لأنها كانت قضاء عن العمرة التي

- وقال الترمذي: «هذا حديث حسن...»، وأبو رافع من الذين سعوا في أمر هذا الزواج، وهو الذي جاء بميمونة إلى الرسول ﷺ وهو بسرف. وأما قول ابن عباس في الصحيحين وغيرهما: «إن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال»، فقد عده ابن القيم وهماً. انظر الحديث في البخاري: الفتح (١٦/ ٩٧، ح٤٢٥٨)، ومسلم (٢/ ١٠٣١ ـ ١٠٣٢، ح١٤١٠). وقد ساق الدكتور قلعه جي في حاشيته في دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٥) أقوال العلماء في هذه المسألة.

(١) ذكره ابن حجر في الفتح (١٦/ ٩٧).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٩٠ ـ ٩٣، ح٤٢٥١)، أبو داود: السنن (٢/ ٧٠٩ ـ ٧١٠، كتاب الطلاق، باب من أحق بالولد، ح٢٢٧٨).

(٣) انظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ٩٢ وما بعدها).

(٤) زاد المعاد ٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

تحللوا منها لما حبسهم من حابس في صلح الحديبية، وعمرة القصاص. انظر في هذا كله: سيرة مغلطاي[1].

(١) الإشارة، ص٢٩٠.

الفصل الثامن عشر

السرايا والأحداث

بين عمرة القضاء وسرية مؤتة

❑ المبحث الأول: سرية الأَخْرَم بن أبي العَوْجَاء السُّلَمِي: ❑

عندما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضاء، بعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارساً، وكان معهم عين لبني سليم، فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومه فأخبرهم، فجمعوا جمعاً غفيراً واستعدوا للقاء المسلمين. وعندما جاءهم المسلمون دعوهم إلى الإسلام فرفضوا، وَأَحْدَقُوا بالمسلمين، فقتلوا عامتهم، وأصابوا ابن أبي العوجاء، وتركوه جريحاً بين القتلى، ثم تحامل حتى بلغوا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة[1].

❑ المبحث الثاني: إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ﷺ: ❑

روى أحمد[2] وابن إسحاق[3]، أن عمرو بن العاص عندما رأى علو شأن الرسول ﷺ تحدث مع من يسمعون له من رجال قريش في أمر محمد ﷺ وأقنعهم بالخروج معه إلى النجاشي؛ فهو أحب إليهم أن يكونوا عنده من أن يكونوا تحت يدي محمد إذا ظهر، وإن ظهر قومهم فلن يأتيهم منهم إلا الخير لمعرفتهم بهم. وجمعوا جلوداً ليهدوها إلى النجاشي، لأن ذلك أحب ما يهدي إليه من أرض الحجاز. واتفق أن جاؤوا النجاشي وعنده عمرو بن أمية الضمري رسولاً من

---

(١) الواقدي (٦/ ٧٤١)، بإسناده إلى الزهري، ابن سعد (٢/ ١٢٣) معلقاً، البيهقي في الدلائل (٤/ ٣٤١) مختصراً ومرسلاً من حديث موسى بن عقبة عن الزهري. فالأسانيد ضعيفة.

(٢) الفتح الرباني (٢١/ ١٣٣ ـ ١٣٦) من رواية ابن إسحاق، بإسناد حسن.

(٣) ابن هشام (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦)، بإسناد حسن، وعن ابن إسحاق رواه أحمد كما قلنا.

النبي ﷺ، فعندما خرج من عند النجاشي دخل عليه عمرو وطلب منه أن يعطيه إياه ليقتله لأنه من عدوه، فغضب منه النجاشي وضربه على أنفه، فخاف واعتذر، ثم قذف الله في قلبه الإسلام لما رأى حماسة الناس حتى العجم في الإيمان بمحمد والدفاع عنه. ولم يتردد عمرو في مبايعة النجاشي على الإسلام عندما اقترح عليه النجاشي ذلك، ثم خرج وكتم إسلامه عن أصحابه وعاد إلى بلاده.

وخرج عمرو بن العاص قُبيل الفتح[1] عامداً إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ليسلم، فلقيه خالد بن الوليد يريد ما يريد عمرو فقدما سوياً على الرسول ﷺ، فبايعا على الإسلام.

ومما يؤكد أن إسلام عمرو وخالد كان في التاريخ الذي ذكره ابن إسحاق والواقدي أن اسم خالد ظهر في سرية مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة وأن اسم عمرو بن العاص ظهر في سرية ذات السلاسل في جمادى الثانية سنة ثمان من الهجرة، كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الخاص بهما.

أما قصة إسلام خالد فقد رواها الواقدي[2]، وخلاصتها أن خالداً عندما أراد الله به ما أراد من الخير وقذف في قلبه الإيمان، كان ينصرف بعد كل موطن شهده ضد رسول الله ﷺ ويفكر، فيرى في نفسه أنه في موضع غير موضعه، وأن محمداً سيظهر، وفي غزوة الحديبية بالذات، تأكد له أن الرسول ﷺ ممنوع، لأنه عندما هم أن يغير بخيله على رسول الله ﷺ بعسفان، أطلع الله رسوله ﷺ على ما في أنفسهم، فصلى بأصحابه صلاة الخوف، ولم يترك لهم فرصة. وعندما تم الصلح بالحديبية، رأى أنه لم يبق شيء، ففكر في الذهاب إلى النجاشي وهرقل، وبينما هو يقلّب هذا الأمر في ذهنه، دخل رسول الله في عمرة القضاء، فتغيب، ودخل أخوه الوليد في الإسلام في هذه العمرة، وطلبه فلم يجده، فكتب إليه كتاباً فيه تعجبه من مثله في

---

(١) وقد حدد الواقدي تاريخ هذا الخروج باليوم الأول من صفر سنة ثمان من الهجرة (المغازي ٢/ ٧٤٥)، وهي من رواية عبد الحميد بن جعفر، شيخ الواقدي.

(٢) المغازي (٢/ ٧٤٥ ـ ٧٤٨)، وابن سعد (٤/ ٢٥٧)، معلقاً، ويبدأ القصة هنا من لقاء خالد بعثمان بن طلحة. وخبر لقائه بعمرو بن العاص في طريقه إلى المدينة ليسلم: رواه ابن إسحاق، ومن طريقه رواه أحمد ضمن خبر إسلام عمرو بن العاص كما ذكرنا، فانظر الحكم على الرواية هناك.

ذهاب عقله عن الإسلام، وذكر له سؤال الرسول ﷺ عنه وقوله عنه: «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكاينه وجده مع المسلمين على المشركين كان خيراً له ولقدَّمناه على غيره...». فلما جاء كتاب أخيه نشط للهجرة، وزده رغبة في الإسلام أنه رأى في المنام كأنه في بلاد ضيقة جدبة، فخرج منها إلى بلاد خضراء واسعة، فقال: إن هذه لرؤيا، ذكرها لأبي بكر عندما قدم المدينة، فقال: هو مَخْرَجُكَ الذي هداك الله للإسلام والضيق هو الشرك.

وعندما أجمع الهجرة أراد أن يرافقه رجال في مكانته، فاتصل بصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، فرفضا، فتركهما فخرج، وعند خروجه التقى بصديقه عثمان بن طلحة، فذكر له ما يريد، فعلم منه أنه يريد ما يريد، فأتعدا بيأجج، وخرجا سَحَراً والتقيا عند الفجر بيأجج وساروا حتى انتهيا إلى الهَدَّة، فوجدا عمرو بن العاص بها، فتعارفوا، ثم ساروا سوياً إلى المدينة فأسلموا، وكان ذلك في صفر سنة ثمان من الهجرة.

◻ المبحث الثالث: سرية غالب بن عبد الله إلى الكَدِيد: ◻

أمره رسول الله ﷺ أن يشن الغارة على بني المُلَوِّح، وهم بالكديد[1]، وفي طريقه إليهم، وفي منطقة قُدَيد[2] لقوا الحارث بن مالك، وهو ابن البَرْصَاء الليثي، فأخذوه، فأخبرهم أنه في طريقه إلى الرسول ﷺ ليسلم، فلم يطمئنوا إليه، فأوثقوه، واعتذروا إليه بأن رباط ليلة لن يُضِيرَهُ، وتركوه مع رجل أسود من أصحابهم، وأوصوه أن يقتله إذا غالبه. وأتوا الكديد عند الغروب، فكمنوا وأرسلوا جُنْدُبَ بن مَكِيث الجهني طَلِيعَةً لهم، فأتى تلًّا مشرفاً على الحاضر، فرأى رجل من الأعداء أن هناك شيئاً مريباً فأصابه بسهم فلم يتحرك،حتى لا يكشف أمر أصحابه، ونزع السهم من جسده ووضعه، وفي السحر شنوا الغارة على الأعداء واستاقوا النعم، ومضوا بها، ومروا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملوهما معهم، وفي هذا الأثناء استغاث القوم فجاءهم جمع غفير لا قِبل للمسلمين به، فساروا في إثرهم حتى قربوا منهم، ولم يكن بينهم وبين المسلمين إلا وادي قديد، فأرسل الله الوادي بالسيل من غير سحاب

---

(١) منطقة بين عسفان وقديد.

(٢) قديد: قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه. انظر: وفاء الوفا للسمهودي (٤/١٢٨٧).

ولا مطر، فلم يستطيعوا تجاوزه، ونجا المسلمون منهم[١].

وكانت هذه السرية في صفر سنة ثمان من الهجرة، وكانوا بضعة عشر رجلاً[٢].

◻ المبحث الرابع: دروس وعبر من أحداث هذه السرية: ◻

١ - إن إرسال الله تعالى الوادي بالسيل ليمنع الأعداء من الإيقاع بالمسلمين كرامة لهم.

٢ - وفي خبر إصابة جندب بسهم في جسده ومع ذلك لم يتحرك، لدليل على تفاني المسلمين الأوائل وتحملهم أشد أنواع الأذى في سبيل هذه الدعوة.

٣ - إن في خبر ربط المسلمين ابن البرصاء دليلاً على أهمية أخذ الحذر من الأعداء.

٤ - وفي إرسال الطلائع للتجسس على أخبار الأعداء دليل على أهمية اتخاذ العيون أخذاً بالأسباب في المحافظة على أرواحهم والإيقاع بالعدو، وأخذه على حين غرة ما دامت قد بلغته الدعوة، وأخذ في تهديد أمن المسلمين.

◻ المبحث الخامس: سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضاً إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك: ◻

هيأ رسول الله ﷺ الزبير بن العوام في مائتي رجل ليسير إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك. وعندما عاد غالب من سرية الكديد أرسله مكان الزبير، وقيل خرج معه في هذه السرية أسامة بن زيد وغُلبة بن زيد، فأصابوا منهم نعماً، وقتلوا منهم قتلى[٣]. وقيل كان ذلك في صفر سنة ثمان من الهجرة[٤].

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد ضعفه محققا سيرة ابن هشام (٤/ ٣٤١ - ٣٤٣)؛ لأنه فيه مسلم بن عبد الله، وهو مجهول. ورواه بإسناد ابن إسحاق هذا أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٢٨) وقال الساعاتي: وسنده جيد، وابن سعد (٢/ ١٢٤)، وأبو داود (٣/ ١٢٨ - ١٢٩، كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق، ح٢٦٧٨)، ولم يصرح عنده ابن إسحاق بالسماع، والواقدي (٢/ ٧٥٠ - ٧٥٢).

(٢) من رواية الواقدي وابن سعد. انظر الحاشية نفسها وهي ضعيفة.

(٣) الواقدي (٢/ ٧٢٣ - ٧٢٦)، ابن سعد (٢/ ١٢٦)، من رواية الواقدي بإسناده.

(٤) قاله ابن سعد (٢/ ١٢٦) معلقاً، والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

وذكر الواقدي[١] أن أسامة بن زيد قتل في هذه السرية نُهيك بن مِرداس وهو يقول لا إله إلا الله، وعنفه الرسول ﷺ لهذا المسلك. وروى بإسناده إلى المقداد بن عمرو أنه قتل رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، فعنفه الرسول ﷺ لذلك، ولم يذكر أن ذلك كان في هذه السرية.

ويبدو الاختلاف ظاهراً في قصة الرجل الذي قال لا إله إلا الله فقتله أحد الصحابة، فمرة أنه أسامة، ومرة أنه المقداد، ومرة في سرية الحرقة ويسمى القاتل ولا يسمى المقتول، ومرة في سرية الكديد، ومرة ثالثة في سرية الميفعة. والراجح كما قلنا، وكما هو ثابت في الصحيحين أن قصة قتل أسامة لرجل شهد أن لا إله إلا الله قد وقعت في سرية الحرقة من جهينة، وسمى ابن إسحاق الرجل المقتول، وهو مِرداس بن نهيك، وإسناده صحيح[٢].

◻ المبحث السادس: سرية كعب بن عُمَير إلى قُضَاعَة بذات أَطْلَاح: ◻

أرسله رسول الله ﷺ في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، من وراء وادي القرى، وذلك في ربيع الأول من العام الثامن الهجري[٣]، فكان يسير الليل ويكمن النهار، حتى دنا منهم، فرآه عين لهم فأخبرهم بقلة عددهم فجاءوهم على الخيول فقتلوهم إلا رجلاً واحداً أفلت منهم فأخبر الرسول ﷺ بما حدث، فهم بالبعث إليهم، ولكنه بلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر، فتركهم[٤].

---

(١) المغازي (٢/ ٧٢٤ ـ ٧٢٥)، والواقدي متروك، فالرواية ضعيفة جداً.

(٢) انظر: المبحث الرابع من الفصل السابع: «سرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة».

(٣) الواقدي (٢/ ٧٥٢ ـ ٧٥٣)، بن سعد (٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، من رواية الواقدي.

(٤) المصدران والمكانان نفساهما، وابن إسحاق مختصراً ومعلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧).

◻ المبحث السابع: دروس وعبر: ◻

١ ـ في هذه السرية درس بليغ للناس عما كان يقع للصحابة المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلامية. وقد تكرر مثل هذه الحادثة كثيراً كما هو واضح من سردنا لأحداث هذه السرايا الصغيرة.

◻ المبحث الثامن: سرية شُجَاع بن وَهْب إلى السَّنِّيّ من أرض بني عامر: ◻

في ربيع الأول من العام الثامن الهجري بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسني، من أرض بني عامر، ناحية رُكْبَة، فأغاروا عليهم، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء، فعادوا بها بعد غياب دام خمس عشرة ليلة، وجاء في إثرهم وفدهم إلى المدينة وأعلنوا إسلامهم، فرد المسلمون إليهم السبي. وكان في السبي جارية وضيئة اختارت المقام مع شجاع بن وهب[١].

وفي قصة هذه الجارية دليل على مدى أثر أخلاق المسلمين في غيرهم، حتى ولو كان هذا الغير هم ممن حاربوهم وأرادوا القضاء عليهم.

وقد تكون هذه السرية هي التي أشار إليها البخاري[٢] ومسلم[٣] عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها عبد الله بن عمر قبل نجد، فغنموا إبلاً كثيرة فكانت سهامهم اثني عشر بعيراً أو أحد عشر بعيراً، ونفلوا بعيراً بعيراً[٤].

وقد تكون سرية نجد التي أشار إليها البخاري ومسلم وغيرهما هي ذاتها سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خَضِرَة، وهي أرض محارب ـ من غطفان ـ بنجد، في شعبان سنة ثمان من الهجرة. وكان معه خمسة عشر رجلاً، فهجم على حاضر منهم عظيم، فقتلوا مَنْ أشرف لهم واستاقوا النعم والسبي، وكان نصيب كل رجل منهم اثني عشر بعيراً، فصارت في سهم أبي قتادة جارية وضيئة، فاستوهبها منه

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٥٣ ـ ٧٥٤)، ابن سعد (٢/ ١٢٧)، من رواية الواقدي، فهي ضعيفة.

(٢) الفتح (١٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١، ح٣١٣٤) و(١٦/ ١٧٣، ح٤٣٣٨).

(٣) الصحيح (٣/ ١٣٦٨، ح١٧٤٩). وقد ذكرها البخاري بعد غزوة الطائف، وعند أهل المغازي والسير أنها قبل التوجه لفتح مكة.

(٤) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٢٦٧).

رسول الله ﷺ، فوهبها له، فوهبها النبي ﷺ لِمَحْمِيَة بن جَزْء.

وغابوا في هذه السرية خمس عشرة ليلة[١].

◻ المبحث التاسع: سرية زيد بن حارثة إلى مَدْيَن: ◻

بعثه إليها رسول الله ﷺ ومعه ضُمَيْرة مولى علي بن أبي طالب، وأخ له، فأصاب سبياً من أهل مِينَاء، وهي السواحل، وفيها جماعات من الناس مختلطين، فبيعوا، ففرّق بينهم الأمهات والأولاد، فخرج رسول الله ﷺ إليهم وهم يبكون، فقال: «ما لهم؟»، فقيل: «يا رسول الله، فرّق بينهم»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تبيعوهم إلا جميعاً»[٢].

ولم تذكر المصادر التي بين يدي تاريخاً معيناً لهذه السرية. ويستنتج أنها وقعت قبل سرية مؤتة، لأن زيداً استشهد في سرية مؤتة.

---

(١) الواقدي (٢/٧٧٧)، ابن سعد (٢/ ١٣٢) معلقاً، الطبري. التاريخ (٣/ ٣٤)، وانظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٧٣، شرح الحديث رقم ٤٣٣٨)، والأسانيد ضعيفة.

(٢) رواه ابن هشام بإسناد منقطع (٤/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦)، وانظر: ابن حجر: الإصابة (٢/ ٢٠٦). ورواه من طريق ابن إسحاق: عبد الرزاق: المصنف (٨/ ٣١٧)، وسعيد بن منصور: السنن (٢/ ٢٤٨)، وسندهما منقطع، فيكون الحديث ضعيفاً. أما كراهية التفريق بين السبي في البيع فقد ثبت من طرق أخرى صحيحة، منها قول الرسول ﷺ: «من فرق بين والدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة». انظره في: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ٢٤ ـ ٢٥، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع) وحسن الألباني إسناده، أبو داود: السنن (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥، كتاب الجهاد، باب في التفريق بين السبي، ح٢٦٩٦)، الدارمي: السنن (٢٢٧، كتاب السير، باب النهي عن التفريق بين الوالدة وولدها)، البيهقي: السنن الكبرى (٩/ ١٢٦، كتاب السير، باب التفريق بين المرأة وولدها)، وهي عدة أحاديث بأسانيد مختلفة.

الفصل التاسع عشر

سرية مؤتة[١]

إن من أسباب هذه السرية أن رسول الله ﷺ بعث بكتاب مع الحارث بن عمير إلى ملك بُصْرَى، فلما نزل مؤتة عرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني فقتله صبراً، وكانت الرسل لا تقتل. فغضب رسول الله ﷺ وأرسل هذه السرية إلى مؤتة[٢]، في جمادى الأولى من سنة ثمان الهجرية[٣].

وكان عدة هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل[٤] وأمر عليها زيد بن حارثة، ثم قال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة[٥]، وزاد الواقدي[٦] وابن سعد[٧]: «فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم».

وعندما تهيأ الجيش وتجهزوا للخروج ودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وحينها بكى ابن رواحة، فسألوه عن السبب، فقال: «أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة

---

(١) ومؤتة الآن قرية عامرة بالسكان، شرقي الأردن، على بعد أحد عشر ميلاً جنوب الكرك.

(٢) الواقدي (٢/ ٧٥٥ ـ ٧٥٦)، وابن سعد (٢/ ١٢٨) معلقاً. إذن فالأسانيد ضعيفة.

(٣) اتفق على ذلك أهل المغازي والسير: ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة الذي أرسله. ابن هشام (٤/ ٢٣)، ابن سعد (٢/ ١٢٨) معلقاً: موسى بن عقبة وأبو الأسود عن عروة كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٩٧، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة). وذكر ابن حجر أن ابن خياط شك في ذلك، وقال: إنها سنة سبع، وعندما رجعنا إلى التاريخ المطبوع لابن خياط لم نجد ذلك كما قال، بل نقل ابن خياط رواية ابن إسحاق المرسلة المشار إليها هنا؛ ولذا ربما أخذ ابن حجر ذلك من مكان آخر، فليحرر.

(٤) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة. ابن هشام (٤/ ٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥١٢) بإسناد منقطع لأن الحكم لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها، والواقدي (٢/ ٧٥٦)، وابن سعد (٢/ ١٢٨) معلقاً.

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٩٨، ح٤٢٦١).

(٦) المغازي (٢/ ٧٥٦)، بإسناده، وهو ضعيف.

(٧) الطبقات (٢/ ١٢٨)، معلقاً.

بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله ﷻ يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود»، فقال المسلمون: «صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم صالحين، فقال ابن رواحة:

«لكنني أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذاتَ قَرْعٍ[1] تقذفُ الزَّبَدا[2]
أو طعنةً بيدي حَرَّان مجهزة ... برحبة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جَدَثي ... أرشده اللهُ من غازٍ وقد رَشِدا»[3]

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لَخْم وجُذَام وبَلْقَيْن وبَهْرَاء وبَلِّي مائة ألف، عليهم رجل من بَلِّي، يقال له: مالك بن رافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له. فشجع ابن رواحة الناس، وقال: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة». فقال الناس: «قد والله صدق ابن رواحة». فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية مَشَارف من قرى البلقاء، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، وعبؤوا أنفسهم فيها، جعلوا على الميمنة قُطْبَة بن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري. ثم التقى الناس واقتتلوا، فاستشهد زيد، وأخذ الراية جعفر، فاقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى أكرمه الله بالشهادة، وهو ينشد:

«يا حَبَّذَا الجنَّةُ واقترابها ... طيبةً وباردا شرابها
والرومُ روم قد دنا عذابها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

---

(١) أي ذات سعة.

(٢) الزبد هنا: رغوة الدم.

(٣) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف: ابن هشام (٤/ ٢٤).

عـلـيَّ إذ لاقـيـتـهـا ضِـرابُـهـا»[١]

وروى ابن هشام[٢] أن جعفراً أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء[٣].

ثم قال ابن هشام[٤]: «ويقال إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين. وقد ذكر الواقدي[٥] وابن سعد[٦] عدة روايات في الحالة التي وجد عليها جعفر بعد استشهاده. ففي رواية أنه وجد في أحد نصفيه ثلاثون أو بضعة وثلاثون جرحاً، وفي رواية ثالثة أنه وجد في بدنه أكثر من ستين جرحاً وطعنة، قد أنفذته. وثبت في الصحيح[٧]، أنه قد وجد في جسده بضع وتسعون من طعنة ورمية.

روى ابن إسحاق[٨] وغيره أنه لما قتل جعفر أخذ ابن رواحة الراية، ثم تقدم بها

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦ ـ ٣٠. إن خبر عقر جعفر فرسه الشقراء وإنشاده الشعر: يا حبذا... إلخ، فقد رواه بإسناد متصل حسن ص٣٠، وروى ابن سعد (٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩) طرفاً منه مختصراً معلقاً، ورواه مطولاً الواقدي (٢/ ٧٥٦ ـ ٧٦١) بأسانيده. وقبائل بلقين وبهراء الواردة في الخبر هي فروع من قضاعة. وانظر في هذا: الفتح الرباني (٢١/ ١٣٩).

(٢) السيرة (٤/ ٣١) بإسناد منقطع. والمنقطع من أقسام الضعيف كما هو معلوم.

(٣) أصل هذا الحديث أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) من حديث ابن عباس وقال: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن، ولفظه: أن الرسول ﷺ قال في جعفر: «إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء». وأورد ابن حجر في الفتح (١٤/ ٢٢٢، شرح الحديث ٣٧٠٩) ما رواه الطبراني من حديث عبد الله بن جعفر بإسناد حسن، أن رسول الله ﷺ قال له: «هنيئاً لك، أبوك يطير مع الملائكة في السماء» ومما يقويه أكثر، ما رواه البخاري، ولفظه: «كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين». الفتح (١٦/ ١٠٣، ح٤٢٦٤).
وساق ابن حجر أحاديث أخرى بهذا المعنى فيها الصحيح وفيها الضعيف الذي يتقوى بالشواهد ومع المتابعة، فانظرها في: الفتح (١٤/ ٢٢٢). قال السهيلي في الروض (٤/ ٨٠): «... إنما المراد أن جعفراً أعطي صفة الملائكة، وكذا أجنحة الملائكة، إنما هي صفات لا تعلم حقيقتها»، والله أعلم.

(٤) ابن هشام (٤/ ٣١)، بإسناد منقطع، والمنقطع من أقسام الضعيف.

(٥) المغازي (٢/ ٧٦١)، بأسانيده وهي ضعيفة.

(٦) الطبقات (٢/ ١٢٩)، معلقاً فهي ضعيفة.

(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ٩٩، ح٤٢٦١).

(٨) ابن هشام (٤/ ٣١ ـ ٣٢)، بإسناد حسن. وممن رواه غيره: سعيد بن منصور في سننه، باب

وهو على فرسه، ثم تردد بعض التردد، ثم قال مرتجزاً:

«أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّه ... لتنزلن أو لتكرهنَّه
إن أجلبَ[1] الناسُ وشدوا الرَّنَّة[2] ... ما لي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفةٌ[3] في شَنَّة[4]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلّا تُقْتَلِي تموتي ... هذا حِمامُ الموت قد صُلِيْتِ
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هُديتِ[5]

ثم نزل ساحة الوغى. فلما نَزل أتاه ابن عم له بعظم عليه بعض اللحم، وطلب منه أن يشد به صلبه لما لاقاه من أيامه تلك من الشدة، فلما أخذ من هذا العظم شيئاً يسيراً، سمع الكسرة من ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل، فنال الشهادة التي كان يتمناها. وقد ظهر ذلك في موقفه عندما حث الناس على لقاء العدو، على الرغم من كثرته، وعندما ترجم مشاعره في أشعاره التي ذكرنا، وفي قوله لربيبه الذي كان في حجره وردفه إلى مؤتة، زيد بن أرقم، الذي سمعه يترنم بأبيات من الشعر، يشتهي فيها الشهادة، فبكى زيد، فخفقه ابن رواحة بالدرة، وقال له: «ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله شهادة وترجع بين شُعْبَتي الرحل»[6].

ثم أخذ الراية بعده ثابت بن أَقْرَم، وطلب من المسلمين أن يصطلحوا على رجل منهم، فرشحوه: فرفض، فاصطلحوا على ابن الوليد. فأخذ الراية، وتمكن من

= جامع الشهادتين، بإسناد منقطع. انظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ٩٨، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، شرح الحديث رقم (٤٢٦١).

(١) أي صاحوا واجتمعوا.

(٢) صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

(٣) الماء القليل الصافي.

(٤) القربة القديمة.

(٥) يعني صاحبيه زيداً وجعفراً.

(٦) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع، لأن عبد الله بن أبي بكر لم يسم من حدثه عن زيد بن أرقم. ابن هشام (٤/ ٢٨ ـ ٢٩)، والمنقطع من أقسام الضعيف. ولكع: الصغير.

الانسحاب[١].

روي أنه لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد، فلما أصبح غداً، وقد جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته، أنكر الأعداء ما كانوا يعرفون من رايات وهيئة المسلمين، وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا، فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم[٢]. وانكسرت يومئذ في يد خالد بن الوليد تسعة أسياف[٣]، مما يدل على شدة القتال قبل أن ينسحب من ميدان القتال.

ومما يؤكد مباشرة المسلمين القتال قبل الانسحاب، ما رواه مسلم[٤] وغيره من حديث عَوْف بن مالك أن رجلاً من أهل اليمن رافقه في هذه السرية، فقتل رومياً وأخذ سَلَبَه، فاستكثره خالد، فشكاه اليمني إلى رسول الله ﷺ.

ومما ظهر من معجزات الرسول ﷺ في أمر هذه السرية أنه ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة قبل أن يأتيه خبرهم، وعيناه تذرفان الدموع، وأخبرهم بأخذ خالد للراية وبشرهم بالفتح على يديه، وسماه يومئذ سيف الله[٥]. وحزن رسول الله ﷺ لما وقع لهم[٦]. ثم بعد ذلك قدم بخبرهم يَعْلَى بن أمية، ولم يزد ما جاء به عما قاله الرسول ﷺ لأصحابه[٧]. وفي رواية أن عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي ﷺ بمصابهم[٨].

وعلى الرغم من ضراوة هذه المعركة، وكثرة أعداد جيش العدو، إلا أنه لم يستشهد من المسلمين سوى اثني عشر رجلاً[٩] كحد أقصى، أما الأعداء، فلم يعرف

---

(١) إلى هنا من رواية ابن إسحاق، بإسناد حسن.

(٢) الواقدي (٣/ ٧٦٤). فإسناده ضعيف جداً، لأنه متروك في الحديث كما ذكرنا مراراً وتكراراً.

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١٠٤، ح٤٢٦٥ ـ ٤٢٦٦).

(٤) الصحيح (٣/ ١٣٧٣ ـ ١٣٧٤، ح١٧٥٣).

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ١١٠، ٤٢٦٢) و(١١/ ٢٧٧، ح٢٧٩٨)؛ والطبري في التاريخ (٣/ ٤٠ ـ ٤١) من حديث أبي قتادة.

(٦) من حديث رواه البخاري كما في الفتح (١٦/ ١٠١، ٦٢٦٣).

(٧) من رواية موسى بن عقبة عند ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٥)، وابن حجر في الفتح (١٦/ ١٠١) عند شرح الحديث رقم (٤٢٦٢).

(٨) ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٠١)، من رواية الطبراني.

(٩) ذكر ابن إسحاق معلقاً أسماء عشرة منهم واستدرك عليه ابن هشام اثنين: ابن هشام (٤/ ٤٤ ـ ٤٥) معلقاً، وذكر الواقدي ثمانية (المغازي ٢/ ٧٦٩).

عدد قتلاهم، غير أن وصف المعركة يدل على كثرتهم.

وكان لشهداء مؤتة مكانة عظيمة عند الله تعالى، ولذا قال الرسول ﷺ: «ما يسرني أو قال ما يسرهم أنهم عندنا»[١].

أما ما روى ابن إسحاق[٢] من أن الناس قالوا لجيش مؤتة: «يا فرار، فررتم في سبيل الله...»، فقد قال ابن كثير[٣] عن هذه الرواية: «وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق، فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين، وهو على المنبر في قوله: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه»، فما كان المسلمون ليسموهم فراراً بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هناك، وكان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وساق ابن كثير أدلة على أن جمهور المسلمين لم يفروا، بل فرت مجموعة من المسلمين، من ذلك حديث عبد الله بن عمر عند أحمد[٤]، الذي فيه أنه كان ممن فر وخشوا القتل إن هم دخلوا المدينة، فهموا أن يركبوا البحر، ثم أخيراً قرروا عرض أنفسهم على الرسول ﷺ، واعترفوا بفرارهم، فقال لهم: «لا بل أنتم العكارون، أنا فئتكم، وأنا فئة المسلمين»، وفي رواية قال لهم: «لا بل أنتم الكرارون».

وجيء بأبناء جعفر رضي الله عنه، فداعبهم رسول الله ﷺ، وأمر بحلق رؤوسهم، ودعا لهم، وقال لأمهم عندما جاءته تذكر يتمهم: «العَيْلَةَ تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟»[٥].

ولما جاء نعي جعفر، قال رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/ ١٥٢، ح٣٠٦٣).

(٢) بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف، ابن هشام (٤/ ٣٧)، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٦): وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

(٣) البداية (٤/ ٢٧٦).

(٤) المسند (٧، ح٥٣٨٤، شاكر: وصحح شاكر إسناده، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٧): رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن زياد، وقال الترمذي: «حسن، لا نعرفه إلا من حديثه».

(٥) من رواية أحمد في المسند (٣/ ١٩٢ ـ ١٩٤، ح١٧٥١، شاكر)، وصحح شاكر إسناده.

أتاهم أمر يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم»[١].

أحكام وحكم ودروس وعبر من أحداث هذه السرية:

١ - إن في تعيين الرسول ﷺ لثلاثة أمراء على جيش سرية مؤتة، لدليل على جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب[٢].

٢ - في نعي الرسول ﷺ الأمراء الثلاثة قبل مجيء خبرهم، فيه جواز الإعلام بموت الميت ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة[٣].

٣ - في تأمير المسلمين لخالد ﷺ بعد استشهاد الأمراء الثلاثة دليل على جواز الاجتهاد في حياة الرسول ﷺ[٤].

٤ - إن ظهور الحزن على رسول الله ﷺ عندما جاءه خبر استشهاد الأمراء الثلاثة لدليل على ما جعله الله فيه من الرحمة، ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء. ويؤخذ منه ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابراً راضياً إذا كان قلبه مطمئناً، بل قد يقال إن من كان ينزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلاً[٥].

٥ - أفاد المسلمون دروساً وخبرات عظيمة من هذا اللقاء الأول مع الروم في مستقبل جهادهم معهم، حيث تعرفوا على عددهم وعدتهم وخططهم العسكرية وطبيعة أرضهم التي وقع فيها القتال[٦].

٦ - إن في مواقف الأمراء الثلاثة دليل على مدى قوة الإيمان الذي يحرك الصحابة ﷺ نحو ميادين الجهاد.

---

(١) المسند (٣/ ١٩٤، ح١٧٥١، شاكر)، وصحح شاكر إسناده، صحيح سنن ابن ماجه للألباني (١/ ٢٦٨) وحسن الألباني إسناده.

(٢) انظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٠٠، شرح الحديث ٤١٦٦).

(٣) المرجع والمكان نفساهما.

(٤) المرجع والمكان نفساهما.

(٥) المرجع والمكان نفساهما.

(٦) انظر: د. العمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص١٦٨.

الفصل العشرون

السرايا بين سرية مؤتة وغزوة فتح مكة

المبحث الأول: سرية ذات السلاسل:

بعد عودة سرية مؤتة إلى المدينة بأيام قليلة، وبالتحديد في جمادى الثانية من سنة ثمان هجرية كما ذكر ابن سعد[1]، بلغ الرسول ﷺ أن قضاعة بدأت تتجمع مرة أخرى تريد الدنو من المدينة، فأرسل إلى عمرو بن العاص، فلما جاءه قال له: «... إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلِّمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»، فقال له عمرو: «يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكن أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ»، فقال يا عمرو: «نِعم المال الصالح للمرء الصالح»[2]. ثم بعثه في ثلاثمئة من المهاجرين والأنصار ليقضي عليهم في ديارهم، وأمره أن يستعين ببعض فروع قضاعة من بَلِي وعذرة وبَلْقَيْن على ذلك العدو، لأن أم عمرو كانت من بلي، وفي ذلك استئلاف لهم. وعندما وصل في مسيره إلى ماء بأرض جذام، يقال له السَّلْسَل - وبه سميت السرية - بلغه كبر جمعهم، فأرسل رافع بن مَكِيث الجُهَني إلى الرسول ﷺ، فأمده بمائتين من

---

(١) الطبقات (٢/ ١٣١)، بدون إسناد فهي ضعيفة جداً.

(٢) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٤٠ ـ ١٤١)، بإسناد صحيح من مرسل عامر الشعبي. وقال محققو الموسوعة (١٧٧٦٣): صحيح على شرط مسلم. وانظر من خرّجه ممن ذكرهم الساعاتي ومحققوا الموسوعة. وقال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٩٦، شرح الحديث ٤٣٥٨)، عن هذا الحديث: «وروى أحمد والبخاري في الأدب (ح٢٩٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٣٧٥٦)، وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم من طريق علي بن رباح عن عمرو بن العاص»، قال: «...»، وساق الحديث بمثل ما أثبتناه هنا.

وخبر إرسال عمرو بن العاص على سرية ذات السلاسل ثابت في الصحيحين، ولكن بدون تفاصيل كما عند أهل المغازي والسير. انظر: البخاري: الفتح (١٦/ ١٥٨، كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر، ح٣٣٨٤).

المهاجرين والأنصار، عليهم أبو عبيدة عامر بن الجراح، وفيهم أبو بكر وعمر، وطلب من عمرو وأبي عبيدة أن يتطاوعا. وعندما أصر عمرو على تولي الإمامة في الصلاة، لم يرد أبو عبيدة أن يخالفه في هذا، امتثالاً لوصية الرسول ﷺ[١].

في حديث أحمد[٢] أن النبي ﷺ استعمل أبا عبيدة على المهاجرين وعمرو بن العاص على الأعراب، وأمرهم بالإغارة على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاعة لأن بكراً أخواله، فأطاعه أبو عبيدة، ولم يخالفه أبو عبيدة في ذلك لأنه لم يرد الخلاف. ويستبعد هذا التعليل الذي ساقه الشعبي.

وسار عمرو بالناس حتى وطئ بلاد بَلِّي ودوخها، حتى أتى أقصى بلادهم وبلاد عُذْرَة وبَلْقِين، ولقي في آخر ذلك جمعاً، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا، فعاد بعد هذا إلى المدينة[٣].

وفي طريق العودة احتلم عمرو في ليلة باردة فتيمم ولم يغتسل غسله للجنابة، خشية البرد، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. ثم صلى بالناس، وقد أقر الرسول ﷺ هذا الاجتهاد منه[٤].

وعندما أصابهم برد أمرهم عمرو بألّا يوقدوا ناراً ولا يتبعوا العدو، واعترض بعض المسلمين على ذلك، وعندما شكوه إلى رسول الله ﷺ[٥] قال عمرو: «كان في أصحابي قلة فخشيت أن يرى العدو قلّتهم عندما يوقدون النار، ونهيتهم أن يتبعوا

---

(١) انظر: الواقدي (٢/ ٧٦٩ ـ ٧٧١) بأسانيده، وابن سعد (٢/ ١٣١ ـ معلقاً)، وابن إسحاق -معلقاً-: ابن هشام (٤/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، ومغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص٢١٧، وكلها أسانيد ضعيفة.

(٢) الفتح الرباني (٢١/ ١٣٩ ـ ١٤٠) من مرسل الشعبي، وهو إسناد ضعيف لا يحتج به.

(٣) ابن سعد (٢/ ١٣١) معلقاً، والواقدي (٢/ ٧٦٩ ـ ٧٧١).

(٤) رواه أبو داود (رقم ٣٣٤، ٣٣٥، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد تيمم)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٦٠ ـ ٣٦١)؛ والبيهقي في دلائله (٤/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) وسنده (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وقال عنه محققا زاد المعاد (٣/ ٣٨٨): «وسنده قوي»؛ وعلقه البخاري في صحيحه (١/ ٣٥٨) ورواه الحافظ وابن حبان في صحيحه ـ الموارد ص٢٠٢ وصححه، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٧) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري، وأحمد في المسند (٤/ ٢٠٣) بإسناد فيه ابن لهيعة، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٥).

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٤ب)؛ وابن حبان في صحيحه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٩٥، شرح الحديث رقم ٣٦٦٣).

العدو مخافة أن يكون لهم كمين»، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ.

فوائد فقهية في أحداث هذه السرية:

١ - إن في خبر تأمير عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر الصديق ﷺ دليلاً على جواز تأمير المفضول على الفاضل، إذا امتاز المفضول على الفاضل بصفة تتعلق بتلك الإمارة أو الولاية[١]. فعمرو خبير حرب.

٢ - وفي حديث تيمم عمرو جواز التيمم لمن يتوقع الهلاك من استعمال الماء البارد.

٣ - وفيه جواز صلاة المتيمم بالمتوضئين.

٤ - جواز الاجتهاد في زمن الرسول ﷺ كما في خبر تيمم عمرو وصلاته وهو جنب[٢].

◻ المبحث الثاني: سرية أبي حَدْرَد إلى الغابة: ◻

بلغ رسول الله ﷺ رجلاً يقال له قيس بن رفاعة أو رفاعة بن قيس أقبل في عدد كثير حتى نزلوا الغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف في جُشَم، فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن حدرد الأسلمي ورجلين من المسلمين ليخرجوا إليه، فخرجوا وتمكن ابن حدرد من قتل رفاعة بن قيس، وهرب قومه، فأخذوا ما قدروا عليه من النساء والأولاد وما خف معهم من أموالهم واستاقوا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة. وجاءوا بها إلى رسول الله ﷺ ومع ابن أبي حدرد رأس رفاعة، فأعطاه الرسول ﷺ ثلاثة عشر بعيراً من تلك الإبل[٣].

---

(١) انظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩٦، شرح الحديث ٤٣٥٨).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٣) رواه ابن إسحاق كما عند ابن كثير في البداية (٤/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، وإسناده ضعيف لأن فيه جعفر بن عبد الله بن أسلم، حيث لم يذكر أنه سمع من أبي حدرد، ومع ذلك فهو مقبول كما قال ابن حجر، يعني حيث يتابع وإلا فهو لين، ولم يتابع هنا، ولذا ضُعِّف الإسناد. ورواه ابن هشام في السيرة (٤/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩)، من حديث ابن إسحاق، وأبهم فيه ابن إسحاق اسم من حدثه. ورواه أحمد (٦/ ١١ ـ ١٢) من غير طريق ابن إسحاق. قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٠٧): «وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات»، والواقدي (٢/ ٧٧٧)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) من طريق ابن إسحاق، كما جاء في البداية لابن كثير.

وذكر الطبري[١] أن هذه السرية كانت في شعبان سنة ثمان من الهجرة، وأميرها أبو قتادة.

□ المبحث الثالث: سرية أبي قتادة إلى بَطْن إضَم[٢]: □

بعث رسول الله ﷺ سرية إلى إضم فيها أبو قتادة ومُحَلِّم بن جَثَّامَة بن قيس، حتى إذا كانوا ببطن إضم مر بهم عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فأمسكوا عنه، ومع ذلك حمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينهما، وأخذ بعيره ومتاعه، وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤][٣]. وقيل إن رسول الله ﷺ قد رفض أن يستغفر لمحلم عندما طلب منه ذلك وهم بحنين[٤].

وقالوا إنه عندما مات بعد سبعة أيام من هذا دفنوه فلفظته الأرض مرتين فما كان من قومه إلا إن وضعوه بين جبلين، ثم رصوا فوقه الحجارة حتى واروه، فقال الرسول ﷺ عندما بلغه ذلك: «والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم بما أراكم منه»[٥].

---

(١) التاريخ (٣/ ٣٤)، معلقاً، فهو إذن ضعيف.

(٢) الوادي الذي تجتمع فيه أودية المدينة، وقالوا: ماء بطرف الطريق بين مكة واليمامة عند المدينة (معجم البلدان ١/ ٢٨١). وقالوا: واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر عند المدينة، وهو لأشجع وجهينة. وعند ابن سعد: الطبقات (٢/ ١٧٩) أن بطن إضم هي فيما بين ذي خشب وذي المروة وبينها وبين المدينة ثلاثة برد.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وعند الواقدي بإسناد متصل (٢/ ٧٩٧)، وابن سعد (٢/ ١٣٣) معلقاً، أن أمير السرية كان أبو قتادة بن ربعي الأنصاري، ويفهم ذلك من سياق ابن إسحاق. وروى الطبري في تفسيره (٩/ ٧٢، شاكر) طرفاً منه بإسناد متصل ولكن فيه عنعنة ابن إسحاق.

(٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، والطبري في تفسيره (٩/ ٧٢، شاكر) بإسناد متصل، ولكن فيه عنعنة ابن إسحاق.

(٥) رواه الطبري في التفسير (٩/ ٧٢، شاكر)، بإسناد متصل فيه عنعنة ابن إسحاق، ورواه ابن إسحاق بإسناد مرسل وضعيف لأنه أبهم من حدثه وأوقفه على البصري: ابن هشام (٤/ ٣٦٦)، ورواه البيهقي في الدلائل (٤/ ٣١٠)، مرسلاً موقوفاً على البصري من غير طريق ابن إسحاق، وفيه اختلاف يسير =

وقد ذكر المحدثون أكثر من سبب في نزول هذه الآية. فقد روى البخاري[١] أنها نزلت في مسلمين مر بهم رجل في غُنَيْمَته، وألقى إليهم السلام، فقتلوه، وأخذوا غنيمته، ورواه بنحو مثل رواية البخاري: أحمد[٢] والترمذي[٣] والحاكم[٤].

وروى البزار[٥] بسنده إلى ابن عباس أنها نزلت في المقداد بن الأسود، عندما بعث في سرية وتفرق العدو وبقي رجل معه مال كثير، وشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل».

ويبدو من هذه التفاسير أن الحادثة قد تكررت، وأن الآية نزلت في غير واحد[٦].

وكانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة[٧].

وذكر الواقدي[٨] عن سبب بعث هذه السرية أن رسول الله ﷺ عندما أراد غزو مكة بعث أبا قتادة في ثمانية إلى بطن إضم، ليظن الظان أن رسول الله ﷺ متوجه إلى

= عن حديث ابن إسحاق.

ورواه موسى بن عقبة عن الزهري، وشعيب عن الزهري متصلاً إلى قبيصة بن ذؤيب - من أبناء الصحابة، وله رؤية - إلا أنه لم يسم محلماً ولا عامراً: ابن كثير (٤/ ٢٥٢).

(١) الفتح (١٧/ ١٢٥، ح٤٥٩١).

(٢) المسند (٤/ ١٥٣، شاكر)، بإسناد صحيح.

(٣) السنن (٨/ ٣٨٦، تحفة الأحوذي)، بإسناد حسن، وانظر في صحيح الترمذي للألباني (٣/ ٤٠، ح٢٤٢٦)، وصححه الألباني.

(٤) المستدرك (٢/ ٢٣٥)، وصححه.

(٥) نقله عنه ابن كثير في التفسير (٢/ ٣٣٨).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٨)، حاشية المحققين.

(٧) من رواية ابن سعد (٢/ ١٣٣)، بدون إسناد. والواقدي (٢/ ٧٩٧)، بإسناد متصل، ومما يؤكد هذا التاريخ أن الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن اختصما في عامر بن الأضبط عند رسول الله ﷺ وهو بحنين: عيينة يطالب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، وابن حابس يدفع عن محلم لمكانه من خندف، وأخيراً قبل عيينة الدية، يدفع نصفها في سفرهم ذاك والنصف الآخر إذا رجعوا. رواه ابن إسحاق بإسناد حسن. ابن هشام (٤/ ٣٦٤ - ٣٦٥) وانظر الإصابة (٢/ ٢٩٢).

(٨) المغازي (٢/ ٧٩٦ - ٧٩٧).

تلك الناحية، ولتذهب بذلك الأخبار.

فائدة ودروس في هذه السرية:

١ - إن في قول الرسول ﷺ للمقداد: «كذلك كنت تخفي إيمانك قبل» لفتة كريمة إلى أنه لا ينبغي للإنسان إذا اجتمعت له أسباب القوة أن ينسى أيام ضعفه، فإنه إن فعل استبد به الغرور، وملكه الأشر والبطر[1].

---

(١) انظر: حاشية محققي تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٨).

الفصل الحادي والعشرون

غزوة فتح مكة

كان من ضمن شروط صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل، فدخلت خزاعة في عقد محمد ﷺ وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم. فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له «الوَتير»، وهو قريب من مكة، وقالت قريش: لما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد»، فأعانوهم على خزاعة بالكُراع والسلاح، وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ. فاستنجدت خزاعة بالمسلمين، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة، فأنشد أبياتاً من الشعر أمام رسول الله ﷺ يستنصره، فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم». فما برح حتى مرت بهم سحابة، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»[1].

ويذكر ابن إسحاق[2] أن بني بكر لم يتركوا مطاردة خزاعة وقتلهم حتى داخل

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن الذاته، انظر ابن كثير: البداية (٤/ ٣٠٩ ـ ٣١٠)، وروى البزار بإسناد حسن موصول بعض الأبيات التي قالها قائد خزاعة أمام الرسول ﷺ: كشف الأستار، ص٣٤٢، والفتح لابن حجر (١٦/ ١٠٨)، ورواه ابن أبي شيبة مرسلاً، ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٠٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٧٤) مختصراً، ومع اختلاف يسير في الألفاظ، وإسناد صحيح، ليس فيه الشعر المذكور، والشعر المذكور هو:

يا رَبِّ إني ناشدٌ محمداً ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً إيداً ... وادع عباد الله يأتوا مددا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعاً وسجدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذلُّ وأقلُّ عددا

انظر: الشامي: السبل (٥/ ٣٠٨) للوقوف على أبيات زيادة من مصادر أخرى، خاصة من الطبراني في الكبير والصغير عن ميمونة بنت الحارث.

(٢) ابن هشام (٤/ ٦٤ ـ ٤٧)، معلقاً. والمعلق من أقسام الضعيف كما هو معروف.

الحرم، وبلغ عدد قتلى خزاعة عشرين رجلاً[١].

وذكر موسى بن عقبة[٢] أن الذين أعانوا بني بكر على خزاعة من أشراف قريش: صفوان بن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو، وأن الإغاثة كانت بالسلاح والرقيق.

وفي رواية لابن حجر[٣] في المطالب العالية وأخرى في الفتح[٤] إشارة إلى أن رسول الله ﷺ أرسل إلى قريش يخيرهم بين دفع دية قتلى خزاعة أو البراءة من حلف بني بكر أو الحرب، فاختارت قريش الحرب.

ولأن هذا التصرف من قريش يعد نقضاً لمعاهدة وصلح الحديبية، فقد ندمت قريش على فعلتها، ولذا عندما انصرف ضمرة، أرسلت أبا سفيان إلى المدينة لتجديد المعاهدة[٥]. والمشهور أن قريشاً عندما خافت من نتائج فعلتها، كانت هي التي بادرت بإرسال أبي سفيان إلى المدينة قبل أن يبلغ المسلمين الخبر، وعندما جاء إلى المدينة لم يتصل بالرسول ﷺ مباشرة، بل ذهب إلى أبي بكر ثم عمر ثم فاطمة ثم علي فردوه جميعاً، وأغلظ عليه عمر فعاد إلى مكة خائباً[٦]. ونص قول عمر ﷺ: «أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به»[٧]. وفي

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٨٤)، بإسناد ضعيف جداً، لأنه مرسل، وفي إسناده عبد الله بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف، والواقدي متروك.

(٢) من روايته من دون إسناد كما عند ابن كثير في البداية (٤/ ٣١٣) وابن حجر في الفتح (١٦/ ١٠٨). والخبر غير المسند من أقسام الضعيف كما هو معلوم.

(٣) (٤/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، قال المحقق حبيب الرحمٰن الأعظمي: «هذا مرسل صحيح الإسناد».

(٤) (١٦/ ١١٤: شرح الحديث (٤٢٨٠))، من رواية محمد بن عائذ الدمشقي، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، ورواه الواقدي بإسناد ضعيف جداً إلى ابن عمر، وذلك لضعف الواقدي وانقطاع سنده: (المغازي ٢/ ٧٨٦)، وقد أنكره هو نفسه (٢/ ٧٨٧)، وعند الواقدي وابن عائذ أن اسم الرجل المرسل: ضمرة.

(٥) من رواية ابن عائذ عند ابن حجر في الفتح (١٦/ ١١٤)، والواقدي (٢/ ٦٧٨٦ ـ ٦٧٨٧)، والتي أنكرها.

(٦) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن لغيره (ابن هشام ٤/ ٥٥)، المصنف (٥/ ٣٧٥)، بإسناد صحيح. انظر: السيرة، ط١، مهدي رزق الله، ص٥٥٨. والذر: صغار النمل، أو النمل الصغير الأحمر.

(٧) ابن هشام (٤/ ٤٦)، من حديث ابن إسحاق، وقال المحققان (٤/ ٥٦/ حاشية): «ورواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٧٢ ـ ٣٧٦) ضمن حديث طويل وفيه عثمان الجزري، وفيه كلام. ورواه =

رواية الواقدي[١]: «والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم». قال أبو سفيان: جزيت من ذي رحم شراً».

وكان أبو سفيان عندما قدم إلى المدينة، دخل على ابنته أم حبيبة، زوج النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: «يا بُنَيَّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: «بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ». قال: «والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر». ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً[٢]...

وأمر رسول الله ﷺ أهله بالجهاز، ولم يسم لهم الجهة التي يقصدها، ثم أعلمهم بعد ذلك أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها». فتجهز الناس، وقال حسان في ذلك شعراً يحرض الناس ويذكر مصاب خزاعة[٣].

واستنفر الرسول ﷺ القبائل التي حول المدينة: سُلَيماً وأشجع ومزينة وأسلم وغفاراً. فمنهم من جاءه وهو بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق إلى مكة، حتى بلغ جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل[٤]، ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار[٥].

= ابن سعد (٢/ ١٣٤) معلقاً، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٨ ـ ٩) من طريق ابن إسحاق... فيكون الحديث صحيحاً». وانظر: رد أبي بكر وعمر وفاطمة ﷺ لأبي سفيان عندما طلب منهم الشفاعة لدى رسول الله ﷺ عند ابن هشام من حديث ابن إسحاق (٤/ ٥٥ ـ ٥٦).

(١) المغازي (٢/ ٧٩٣).

(٢) من رواية ابن إسحاق الطويلة في قصة الفتح بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٥٥)، والواقدي (٢/ ٧٩٢ ـ ٧٩٣).

(٣) ابن إسحاق بإسناد حسن من حديث محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة ﷺ، ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٣١٥) وبإسناد حسن أيضاً، من حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان كما يبدو لنا، ابن هشام (٤/ ٥٦ ـ ٥٧).

(٤) من رواية البخاري: الفتح (١٦/ ١١١، ح٤٢٧٦)، وابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، ابن هشام (٤/ ٦٠)، والواقدي (٢/ ٨٠١) وابن سعد (٢/ ١٣٥) معلقاً.

(٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته، ابن هشام (٤/ ٦٠).

وبلغ ما حشدته مزينة من رجالها ألف مقاتل، وسليم كذلك ألفاً أو سبعمائة[١].

ولما تهيأ الرسول ﷺ إلى الخروج، أرسل حاطب بن أبي بلتعة البدري كتاباً مع امرأة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فبعث النبي ﷺ علياً والزبير والمقداد في أثرها، وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظَعِينَة معها كتاب فخذوه منها». وعندما أدركوها في المكان المشار إليه، طلبوا منها إخراج الكتاب فأنكرت وجوده معها، فقالوا لها: «لَتُخْرِجَنَّ الكتاب أو لنلقين بالثياب»، فأخرجته من عِقَاصِها [ضفائر شعرها]. فأرسل الرسول ﷺ إلى حاطب، فقال له: يا حاطب، ما هذا؟»، قال: «يا رسول الله، لا تعجل عليَّ، إني كنت امرءاً مُلْصَقاً في قريش حليفاً، ولم أكن من أنفسها. وكان من معك من المهاجرين ممن لهم قرابات يحمون أهليهم، وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قَرَابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام». فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صَدَقَكُم»، فقال عمر: «يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق»، فقال النبي ﷺ: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً وقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: ١][٢]، وفي رواية: فدمعت عينا عمر، وقال: «الله ورسوله أعلم»[٣].

خرج رسول الله ﷺ وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى مكة، في رمضان سنة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ١٠٩ ـ ١١٠، ح٤٢٧٤)، مسلم (٤/ ١٩٤١ ـ ١٩٤٢، ح٢٤٩٤). ذكر ابن إسحاق أن شيخه ابن جعفر زعم أن المرأة من مزينة، وزعم له غيره أن اسمها سارة، ابن هشام (٤/ ٨٥)، بإسناد حسن لذاته. وفي رواية للواقدي أن اسمها سارة من مزينة، وفي رواية ثانية أن اسمها كنود، المغازي (٢/ ٧٩٨ ـ ٧٩٩)، وقيل: اسمها أم سارة، رواه ابن كثير في البداية (٤/ ٣٣٣)، من حديث البيهقي، وفيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف، ولم يصرح باسم حاطب.

(٣) البخاري: الفتح (١٥/ ١٧٢، ح٣٩٨٣).

ثمان من الهجرة، وكانوا صياماً، حتى بلغوا كُدَيْداً[١]، فأفطر، وأفطر الناس[٢].

والذي اتفق عليه أهل السير والمغازي أنه خرج في عاشر رمضان، ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه[٣]. واختلفوا في تاريخ الفتح ما بين ثنتي عشرة وثلاث عشرة وست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة وتسع عشرة، من رمضان، واتفقوا على أنه في رمضان سنة ثمان، كما جاءت بذلك الروايات عند مسلم[٤].

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رُهْم، كُلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري[٥].

وقبل دخول الرسول ﷺ مكة جاءه بعض زعماء قريش فأعلنوا إسلامهم، منهم ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، أخو الرسول ﷺ من الرضاعة، وقد جاءه بالأبواء، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وقد جاءه بين السقيا والعَرْج. وكانا من ألد خصوم الإسلام خاصة أبو سفيان الذي ظل على مدى عشرين سنة يهجو المسلمين ويقاتلهم في كافة الحروب، ولكنه عندما أسلم كانت له مواقف بطولية في الدفاع عن الرسول ﷺ، لا سيما موقفه يوم حنين، حين فر الناس، فصمد مع الرسول ﷺ صموداً مشهوداً[٦]، وسيأتي خبر ذلك في مكانه. أما عبد الله بن أبي

---

(١) هي عين جارية تبعد عن مكة ٨٦ كيلاً، وعن المدينة ٣٠١ كيلاً، بين عسفان وقديد، كما في صحيح البخاري: الفتح (١٦/ ١١١، ح٤٢٧٥)، وعند ابن إسحاق بإسناد حسن أنها بين عسفان وأمج: ابن هشام (٤/ ٦٠)، وقال ابن القيم في الزاد (٣/ ٤٠٠): «وهو الذي تسميه الناس اليوم قديداً».

(٢) البخاري: الفتح (٦/ ١٠٠ ـ ١١١، ح٤٢٧٥)، مسلم ٢/ ٧٨٤، ح١١١٣)، وفي رواية عند مسلم (٢، ح١١٤) أن الإفطار كان بكُرَاع الغميم، وفي رواية (٢/ ١١٣) أنه كان بعسفان، ابن إسحاق، بإسناد حسن، ابن هشام (٤/ ٦٠).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٦٠)، الواقدي (٢/ ٨٠١)، ابن سعد (٢/ ١٣٥) وزاد الواقدي وابن سعد أن يوم الخروج كان «أربعاء»، وانظر ابن حجر: الفتح (٩/ ٦، شرح الحديث ١٩٤٤).

(٤) انظرها في: صحيح مسلم (٢، ح١١٣، ١١٦)، وفي رواية عند ابن سعد أن ذلك كان في العاشر من رمضان.

(٥) ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته: ابن هشام (٤/ ٦٠)، وعند ابن سعد (٢/ ١٣٥) معلقاً أنه استخلف عبد الله بن أم مكتوم.

(٦) ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٦٦)، ورواه من طريقه هنا الطبري في التاريخ (٣/ ١١٤ ـ ١١٥)، والحاكم (٣/ ٤٣ ـ ٤٥)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٧ ـ ٢٨)، والطبراني كما في المجمع (٦/ ١٦٤ ـ ١٦٧).

أمية، أخو أم المؤمنين أم سلمة ﵂ لأبيها، فقد دافع عن الإسلام بقوة واستشهد في حصار الطائف[١].

ولقيه ببعض الطريق عمه العباس[٢]، وذكر ابن هشام[٣] أن ذلك كان بالجُحْفَة، وهو مهاجر بعياله إلى المدينة.

وقيل إن العباس أسلم قبل بدر[٤]، بل قيل قبل الهجرة إلى المدينة[٥]. قال ابن حجر[٦]: «وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة - يعني حين سار الرسول ﷺ إلى مكة فاتحاً -، وقيل قبل ذلك، وليس ببعيد، فإن حديث أنس في قصة الحجاج بن علاط ما يؤيد ذلك». ففي القصة أن العباس عندما سمع برواية الحجاج عن انهزام المسلمين يوم خيبر واستباحتهم وأسر الرسول ﷺ، قعد ولم يستطع القيام من هول الخبر على نفسه، وأخذ ابناً له يشبه الرسول ﷺ يقال له قُثَم، فاستلقى ووضعه على صدره، وهو يقول: «حبي قثم شبيه ذي الأنف الأشم، نبي رب ذي النعم، برغم أنف من رغم». وأرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط يستعلمه الخبر، فطمأن الحجاج الغلام. وعندما جاء الغلام وبشر العباس، وثب فرحاً، حتى قبل بين عينيه، وعندما أخبره بما قال الحجاج أعتقه، وعندما جاء المسلمون أخبرهم الخبر، وسروا بذلك سروراً عظيماً وزالت عنهم الكآبة[٧].

وقد جزم ابن عبد البر[٨] بإسلامه قبل خيبر، استناداً إلى حديث الحجاج بن

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب (٢/ ٢٦٣).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٦٠).

(٣) ابن هشام (٤/ ٦١) نقلاً عن الزهري، معلقاً.

(٤) ابن سعد (٢/ ١٠)، وفي إسناده حسين بن عبد الله الهاشمي، وهو ضعيف (٤/ ١١)، وفي إسناده الواقدي وابن أبي سبرة وهما ممن لا يحتج بهما.

(٥) ابن سعد (٢/ ٣١)، بإسناد منقطع وفيه الواقدي وابن أبي حبيبة، وهو ضعيف.

(٦) الفتح (١٤/ ٢٢٣، ح٣٧١٠)

(٧) انظر القصة عند عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٦٦ ـ ٤٦٩) وأحمد في المسند (٣/ ١٣٨ ـ المكتب الإسلامي) أو الفتح الرباني (٢١/ ١٢٢) من طريق عبد الرزاق وابن حبان في الموارد ص٤١٣، والبزار في الكشف (٢/ ٣٤١) وغيرهم. وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٤٢): «وهذا الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق به نحوه».

(٨) الاستيعاب (٣/ ٩٥)، وهو بهامش الإصابة لابن حجر.

خلاط هذا.

ويقول ابن حجر[1] في ترجيحه إسلام العباس قبل فتح مكة: «.... وأما قول أبي رافع في قصة بدر: كان الإسلام دخل علينا أهل البيت فلا يدل على إسلام العباس حينئذ، فإنه كان ممن أسر يوم بدر ففدى نفسه وعقيلاً ابن أخيه أبي طالب، ولأجل أنه لم يهاجر قبل الفتح لم يدخله عمر في أهل الشورى مع معرفته بفضله واستحقاقه به....».

والذي أرجحه هو ما ذهب إليه ابن عبد البر أن العباس أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه بأمر الرسول ﷺ لمصلحة الدعوة وخاصة تزويد الرسول ﷺ بأخبار قريش.

تجمعت جيوش المسلمين بمر الظهران - مكان بين مكة والمدينة - ولم تكن الأنباء قد وصلت قريشاً بعد، ولكنهم كانوا يتوقعون أمراً بسبب فشل سفارة أبي سفيان إلى المدينة حين أعانوا بني بكر على خزاعة، فأرسلوا أبا سفيان وحكيم بن حزام وبُديل بن وَرْقاء ليتحسسوا الأخبار عن الرسول ﷺ، فالتقى بهم العباس راكباً بغلة الرسول ﷺ وكان يريد أن يرسل إلى قريش رسولاً يطلب منهم أن يخرجوا لمصالحة الرسول ﷺ، قبل أن يدخل عليهم مكة، وكانوا ثلاثتهم يتحدثون في أمر الجيش المعكسر بمر الظهران وكثرة نيرانه، وقد ظن بديل أنها خزاعة، وعارضه أبو سفيان في هذا، فأخبرهم العباس بأنه جيش المسلمين، فوافقه، وأردفه على البغلة، ولما رآه عمر أراد قتله، ولكن الرسول ﷺ صرفه عن هذا، وعندما أدخل العباس أبا سفيان على الرسول ﷺ، أخذ يدعوه إلى الإسلام شطراً كبيراً من تلك الليلة، فالان القول وتردد، فطلب الرسول ﷺ من العباس أن يأخذه معه إلى خيمته، ويأتي به في صباح اليوم التالي.

وفي الصباح قبل أبو سفيان الإسلام بعد تردد، وطلب العباس من الرسول ﷺ أن يجعل لأبي سفيان شيئاً، لأنه يحب الفخر، فوافق، وقال في إعلانه لأهل مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.....».

وأمر الرسول ﷺ العباس أن يحبس أبا سفيان عند مضيق الجبل حتى تمر به

---

(١) الفتح (١٤/٢٢٣).

جنود الله فيراها، ففعل، حيث أوقفه على عدة وعدد المسلمين عندما كانت تمر بهما كتائب المسلمين بمر الظهران، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار، وفيهم رسول الله ﷺ، قال أبو سفيان للعباس: «والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً»، فقال العباس: «ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة»، قال أبو سفيان: «فنعم إذاً».

وعندما رأى أبو سفيان ما رأى، جاء إلى قومه وصرخ فيهم محذراً لهم بأن لا قبل لهم بما جاء به محمد، وقال لهم ما قاله الرسول ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن: فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد[1].

أما بديل وحكيم، رفيقا أبي سفيان، فقد أسلما بمجرد دخولهما على رسول الله ﷺ[2].

وعندما مرت كتيبة الأنصار بأبي سفيان، قال سعد بن عبادة، حامل رايتهم: «اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل الكعبة»[3]، فاحتج أبو سفيان على هذا القول، فقال له الرسول ﷺ: «كذب سعد - أي أخطأ - ولكن هذا يوم يعظم فيه الله الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة. وأخذ الراية من سعد ودفعها إلى ابنه قيس، ولكن سعداً طلب منه أن يصرف ابنه عن الموضع الذي هو فيه، مخافة أن يُقدم على شيء يكرهه، فصرفه عن ذلك[4]، وقيل: إنه دفع الراية إلى الزبير بن العوام، فدخل الزبير مكة بلواءين[5]، وجزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري بأنه دفعها إلى

---

(١) من رواية إسحاق بن راهويه عند ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨، ح٤٣٦٢). قال ابن حجر: «هذا حديث صحيح»، ورواه ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٦٢ ـ ٦٧)، وسياقهما أتم من سياق البخاري: الفتح (١٦/ ١١٣ ـ ١١٧، ح٤٢٨٠)، فلتقارن.

(٢) ابن سعد (٢/ ١٣٥) معلقاً: الواقدي (٢/ ٨١٥).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١١٢ ـ ١١٨، ح٤٢٨٠).

(٤) ابن حجر: مختصر زوائد البزار، ص٢٤٨، وقال: «صحيح»، والفتح (١٦/ ١٧٧، شرح الحديث (٤٢٨٠)، وقال هنا إن إسنادها على شرط البخاري.

(٥) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٢٤١)، والهيثمي في المجمع (٦/ ١٦٩) وقالا إن إسناده ضعيف جداً؛ لأن فيه محمد بن الحسن بن زبالة، علماً بأن الثابت في الصحيح إن راية رسول الله ﷺ كانت مع الزبير: البخاري: الفتح (١٦/ ١١٨، ح٤٢٨).

الزبير[١].

لقد ذكر الواقدي[٢] تفصيلاً دقيقاً لتوزيع الرايات والألوية على قادة الجيش الإسلامي، وأسماء الرسل الذين أوفدهم النبي ﷺ لاستنفار القبائل، وعدد أفراد الجيش الإسلامي وعدة كل قبيلة. وقد ثبت أن الرسول ﷺ عندما وصل مر الظهران عين القادة وقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب، فكان ابن الوليد على المجنبة اليمنى والزبير على المجنبة اليسرى وأبو عبيدة على الرجالة[٣]. وكانت راية الرسول ﷺ سوداء ولواؤه أبيض[٤].

وقد جمعت قريش جموعاً من قبائل شتى ومن أتباعها لحرب المسلمين، وقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا. فأمر رسول الله ﷺ بقتالهم، وسارت جيوشه حتى انتهت إلى الصفا، ما يعرض لهم أحد إلا قتلوه[٥]. وقاد هذا الجمع صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، واختاروا الخَنْدَمَة ليقاتلوا فيها[٦].

ودخل الرسول ﷺ مكة من أعلاها من جهة كَدَاء[٧] خاشعاً شاكراً يقرأ سورة

---

(١) ابن حجر: الفتح (١٦/ ١١٧)، شرح الحديث (٤٢٨٠)؛ وابن كثير في البداية (٤/ ٣٢٣، ٣٢٨).

(٢) المغازي (٢/ ٧٩٩ ـ ٨٠١).

(٣) مسلم (٣/ ١٤٠٦، ح١٧٨٠)، ومن رواية ابن إسحاق من حديث عبد الله بن أبي نجيح، بإسناد منقطع، ابن هشام (٤/ ٦٩، ٧٠).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/ ١٣٣)، أرقام (٢٢٧٤، ٢٨١٨)، وقال: «حسن»، وكون لوائه أبيض رواه أبو داود: السنن (٣/ ٧٢ كتاب الجهاد، باب في الرايات والألوية، ح٢٥٩١، ٢٥٩٢) بإسناد حسن، والنسائي: السنن (٥/ ٣٠٠ كتاب الحج، باب دخول مكة باللواء).

(٥) مسلم (٢/ ١٤٠٥، ح١٧٨٠).

(٦) من رواية ابن إسحاق عن اثنين من شيوخه الثقات: عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن نجيح مرسلاً: ابن هشام (٤/ ٣٧٩)، والخندمة اسم جبل بمكة.

(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ١١٩، ح٤٢٩٠، ٤٢٩١). وهنا قال ابن حجر: «وعند البيهقي [الدلائل (٥/ ٦٦)] بإسناد حسن من حديث ابن عمر، قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، (أي النساء يلطمن وجوه الخيل بالخُمُر، فتبسم إلى أبي بكر، فقال: «يا أبا بكر، كيف قال حسان؟ فأنشده قوله:

حَدِمتْ نَسِيَّتُهُنَّ إن لم تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُنَازِعْنَ الأَسِنَّةَ مُصْغِرَاتٍ ... يُلَطِّمْنَ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ =

الفتح ويرجع في قراءتها وهو على راحلته[١]، ودخل ابن الوليد من أسفلها[٢]. والتحم خالد عند الخَنْدَمَة مع بعض المشركين فاستشهد اثنان من فرسان المسلمين[٣]، وقيل: ثلاثة[٤]، وقيل: قتل من المشركين اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً - بالشك[٥]، وقيل قريب من عشرين رجلاً، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة[٦]، وقيل: أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل[٧]، وقيل سبعون قتيلاً[٨]. ومن القرائن التي ترجح رواية موسى بن عقبة - باعتبار أنه من رجال الجماعة وأوثق من ابن إسحاق وابن سعد والواقدي - قول أبي سفيان: «يا رسول الله، أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم»[٩].

والظاهر من الأحاديث أن هذا القتل الذي حدث لم يكن ليحدث لو احترم كل المشركين الأمان الذي أعلنه الرسول ﷺ لأهل مكة[١٠]، ذلك الأمان الذي فسره

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٢٣، ح ٤٢٨١).

(٢) الفتح (١٦/١٢٨)، شرح الحديث (٤٢٨٠).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١١٩، ح٤٢٨٠) وهما جيش ابن الأشعر [والأشعر لقب واسمه خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة الخزاعي، أخو أم معبد، انظر: شرح ابن حجر، وعند ابن إسحاق خنيس بن خالد بن ربيعة] وكرز بن جابر الفهري.

(٤) من رواية ابن إسحاق عن اثنين من شيوخه الثقات، موسلاً، ابن هشام (٤/ ٧١)، وهم: كرز بن جابر وسلمة بن الميلاء وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني منقذ، وذكر أن كرزاً وخنيساً قتلا عندما ضلّا الطريق، وما في الصحيح أصح.

(٥) المصدر والمكان نفساهما.

(٦) من مرسل موسى بن عقبة كما نقله عنه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٢٠)، وفيه مجاهيل.

(٧) الواقدي (٢/ ٨٢٧ ـ ٨٢٩)، ابن سعد (٢/ ١٣٦)، وكلاهما رواه معلقاً.

(٨) من رواية الطبراني كما ذكر ابن كثير في البداية (٤/ ٣٣١) بإسناد فيه شعيب بن صفوان الثقفي، وهو مقبول، وعطاء بن السائب وهو صدوق قد اختلط، فالحديث ضعيف، يتقوى بغيره، كما قال الدكتور محسن أحمد الدوم في رسالته للماجستير: مرويات غزوة فتح مكة ـ غير مطبوعة ـ ص١٢٥.

(٩) مسلم (٣/ ١٤٠٦، ح١٧٨٠).

(١٠) انظر ذلك الحديث الذي فيه: أخذ الرسول ﷺ الراية من سعد عندما علم بقوله: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة»، وقول الرسول ﷺ: «كذب سعد»، وحديث ابن إسحاق في أن الرسول ﷺ عهد إلى أمراء ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ابن هشام (٤/ ٧٢) معلقاً وكان الأمان: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»، من رواية مسلم (٣/ ١٤٠٨، ح١٧٨٠)، وفي رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام (٤/ ٦٢ ـ ٦٧) وإسحاق بن راهويه في المطالب العالية (٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨، ح٤٣٦٢)، بإسناد صحيح: «ومن دخل المسجد فهو آمن».

بعض الأنصار، بأنه رغبة لنبي ﷺ في ثريته ورأفة بعشيرته، فأخبره الوحي بما قالوا، فخاطبهم قائلاً: «كلا، إني عبد الله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله! ما قلنا الذي قلنا إلا الظَّنَّ بالله وبرسوله، فقال لهم: «إن الله ورسوله يُصَدِّقَانِكُم ويَعْذِرَانِكُم»، فأقبل بعض الناس إلى دار أبي سفيان والبعض الآخر أغلقوا عليهم أبوابهم[1].

لقد استثنى الرسول ﷺ من ذلك الإعلان أربعة رجال وامرأتين إذ أعلن إهدار دمائهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، والرجال هم: عكرمة بن أبي جهل[2]، وعبد الله بن خَطَل[3]، ومِقْيَس بن صُبَابَة[4]، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح[5]، وقد قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة[6]، وقتل مقيس في سوق مكة، واختفى عكرمة وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، حتى ضمنا الأمان من الرسول ﷺ، فجاءا مسلمين وحقنا دمهما[7]. والمرأتان هما: قَرْتَنى وسارة وقيل

---

(١) مسلم (٣/ ١٤٠٦، ح١٧٨٠).

(٢) انظر الواقدي: المغازي (٢/ ٨٢٥)، ويدل ما جاء في قصة إسلامه على ثبوت إهدار الرسول ﷺ دمه.

(٣) كان مسلماً، فأرسله الرسول ﷺ مع أحد الأنصار مصدقاً، وكان معهما مولى له مسلم يخدمه، فعدا على مولاه فقتله لأنه لم يصنع له طعاماً، ثم ارتد مشركاً: ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٧٤). وكان يهجو رسول الله ﷺ بالشعر، ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٢٦)، شرح الحديث (٤٢٨٦).

(٤) قَتَلَ أنصاريٌّ أخاه خطأ يوم المريسيع، فأُعْطِيَ الدية، ثم عدا على الأنصاري فقتله وهرب إلى مكة مرتداً، ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٧٥) والبزار في الكشف (٢/ ٣٤٣) بإسناد فيه السدي، وهو ضعيف، والطبراني في الأوسط، وفيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف، كما في المجمع (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) بإسناد فيه عثمان الجزري، وفيه كلام، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٤٩١) وفيه السدي، والنسائي (٧/ ١٠٥، كتاب الحدود، باب الحكم في المرتد)، فيكون الحديث بهذه الشواهد والمتابعات حسناً لغيره.

(٥) كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد: ابن سعد (٢/ ١٤١) مرسلاً عن سعيد بن المسيب، والطبراني في الأوسط، وعبد الرزاق في المصنف والنسائي: انظر: الحاشية السابقة رقم (٥٧)، وفيه بقية المعلومات، وابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٧٣)، وأبو داود في سننه (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤، كتاب الجهاد، باب الأسير يقتل) وفيه السدي وأسباط وهما ضعيفان. وبهذه الطرق والشواهد والمتابعات يكون الحديث حسناً لغيره.

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ١٢٦، ح٤٢٨٦)، مسلم (٢/ ٩٨٩ ـ ٩٩٠، ح١٣٥٧).

(٧) النسائي: سنن السيوطي: زهرة الربى (٧/ ١٠٥) بإسناد ضعيف، وله شاهدان: ضعيفان، أحدهما رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٦٠ ـ ٦١)، بإسناد فيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف، =

قَرْنَيْ وأخرى كانتا جارتين لابن خطل[٢]، وإن سارة كانت لعكرمة بن أبي جهل[١] وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها، فأمَّنها رسول الله ﷺ، وأما سارة فكذلك هربت حتى استؤمن لها، وعاشت إلى زمان عمر فوطئها رجل بفرس فقتلها[٣].

ويذكر ابن حجر أن عدد الذين أهدر الرسول ﷺ دماءهم تسعة من الرجال وست أو ثمانٍ من النساء، وذلك للاختلاف في القينتين، إذ يحتمل أن تكون أرنب وأم سعد هما القينتان. وممن ذكرهم من غير ما ذكرنا: الحُوَيْرِث بن نُقَيْذ، نخس بعير ابنتي رسول الله ﷺ فاطمة وأم كلثوم، يوم هجرتهما، فرمى بهما إلى الأرض فقتله علي، وهَبَّار بن الأسود الذي عَرَضَ لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت، فنخس بعيرها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها، ففر يوم فتح مكة، ثم أسلم وحسن إسلامه، والحارث بن طَلاطِل الخزاعي، فقتله علي، وكعب بن زهير، وقد جاء بعد ذلك وأسلم، ووحشي بن حرب، قاتل حمزة، هرب إلى الطائف، ثم جاء في وفد ثقيف، وأسلم وحسن إسلامه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، وقد أسلمت.

وذكر الواقدي[٤] أن الرسول ﷺ أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة: عكرمة وهبار وابن سعد ومقيس والحويرث وابن خطل وهند بنت عتبة وسارة مولاة عمرو بن هشام

= والآخر السنن الكبرى (٩/ ١٢٠) وفيه عمرو بن عثمان المخزومي، مقبول، وشاهد ثالث ضعيف جداً في الدلائل (٥/ ٩٥) بإسناد فيه أسباط والسدي، وهما ضعيفان، فيكون الحديث حسناً بطرقه.

(١) ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٧٤): وقال كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه، وروى حديث قتلهما الحارث بن أسامة في مسنده كما في المطالب العالية (٤/ ٢٤٣)، وأبو داود في سننه (٣/ ١٣٤، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير، ح٢٦٨٥) مختصراً. وفيه السدي وأسباط، والنسائي (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦، كتاب الحدود، باب الحكم في المرتد)، بإسناد ضعيف، فيكون الحديث حسناً لغيره بهذه الطرق.

(٢) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٧٦).

(٣) الفتح (١٦/ ١٢٠)، شرح الحديث (٤٢٨٠): وذكر أسماءهم ومصادره في ذلك والاختلاف بينها، وسبب إهدار دم كل فرد منهم، ومن قتل ومن عُفي عنه، وانظر في هذا أيضاً: ابن إسحاق واستدراكات ابن هشام، كلاهما معلقاً: ابن هشام (٤/ ٧٣ ـ ٧٤)، وقد اضطربت الروايات في هذا الأمر، انظر: رسالة النوم، ص١٢٧ ـ ١٣٨.

(٤) المغازي (٢/ ٨٢٥).

وقينتين لابن خطل.

وسبب إهدار النبي ﷺ دم هؤلاء كما هو واضح من سيرتهم، ما ألحقوه من أذى شديد وتنكيل بالمسلمين، وكان في إهدار دمهم عبرة للطغاة والمستهترين بأرواح الأبرياء في كل زمان ومكان.

أحل الرسول ﷺ لخزاعة أن تثأر من بني بكر في اليوم الأول من الفتح حتى العصر، وذلك لما كان منهم بالوتير. وعندما دخل العصر أمر بكف السلاح عن بني بكر، وبيّن حرمة مكة، وعندما قتلت خزاعة رجلاً من بني بكر في اليوم التالي بمزدلفة غضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، ودفع دية البكري، وقال: إن من يقتل بعد ذلك قتيلاً فأهل القتيل بالخيار بين القصاص والدية[1].

وذكر ابن إسحاق[2] تفاصيل مقتل هذا البكري، واسمه ابن الأشوع الهذلي، وقتله خِرش بن أمية، ولقتله أحد فرسان خزاعة، واسمه أحمر.

وأعلن الرسول ﷺ العفو عن عامة أهل مكة، عندما اجتمعوا إليه قرب الكعبة ينتظرون حكمه فيهم، فقال لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: «خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم». فقال: «لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم»[3]. وفي رواية،

---

(١) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٥٩) بإسناد حسن لذاته، وحسنه محققو الموسوعة (٦٦٨١)، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته، من حديث أبي شريح الخزاعي في حرمة مكة: ابن هشام (٤/ ٨٢ ـ ٨٣)، ورواية ابن إسحاق في المسند: الرباني (٢١/ ١٦٢)، ومعها رواية أخرى في المسند، الرباني (٢١/ ١٦٠) فيها مسلم بن زيد السعدي، مقبول، وقد توبع، فقويت روايته وارتفعت إلى درجة الحسن لغيره، وحديث أبي شريح في حرمة مكة، رواه البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٦، ح٤٢٩٥) وفي أماكن أخرى، ومسلم (٢/ ٩٨٧ ـ ٩٨٨، ح١٣٥٤)، ورواه غيرهما.

(٢) ابن هشام (٤/ ٨١ ـ ٨٢)، بإسناد حسن، إذا ثبت أن الرجل المبهم صحابي.

(٣) أبو عبيد: الأموال، ص١٤٣، بإسناد حسن لكنه مرسل، ابن إسحاق، بإسناد فيه جهالة، ابن هشام (٤/ ٧٧ ـ ٧٨)، ابن سعد (٢/ ١٤١ ـ ١٤٢)، بإسناد فيه جهالة، من حديث الزهري، ولو ثبت أنه صحابي صح الحديث، وفي سياقه اختلاف يسير عن مرسل أبي عبيد وابن إسحاق، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب كما في كنز العمال (١٠/ ٣٨٩) باختصار، وابن السني في: «عمل اليوم والليلة»، عن عمر، ص٩٩، وفي سنده عبد الله بن المؤمل، وهو ضعيف كما في الكامل لابن عدي (٤/ ٤٥٤ ـ ٤٥٦)، والحديث يتقوى بهذه الطرق، ولكن في متنه نكارة، إذ كيف يستغفر لهم رسول الله ﷺ وهم كفار؟!

أنه قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١]، ولذا عرفوا في التاريخ بـ«الطلقاء».

وكان هذا الموقف من الرسول ﷺ لما نزل من القرآن: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال: «نصبر ولا نعاقب»، مختاراً العفو والصبر، تفضُّلاً واحتساباً[٢].

وبيّن الرسول ﷺ للناس حرمة مكة وأنها لا تُغْزَى بعد الفتح[٣]، وأعلى من مكانة قريش، وأمر ألا يقتل قرشي صبراً بعد يوم الفتح إلى يوم القيامة[٤].

واستثنى الرسول ﷺ مكة من معاملة البلاد التي تفتح عَنْوَة، وذلك لقدسيتها، فحرم القتل أو السبي فيها، وأبقى الأموال الثابتة والمنقولة في أيدي أصحابها، ولم يفرض عليها خراجاً، ولهذا ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها، يسكن أهلها فيما يحتاجون إليه من دورها، وما زاد عن حاجتهم فهو لسكنى الحجاج والمعتمرين والقاصدين المسجد الحرام، وذهب آخرون إلى جواز بيع أراضيها وإجارة منازلها، واستدلوا في ذلك بآثار قوية، بينما أدلة المانعين لذلك آثار مرسلة وموقوفة[٥].

ونزل رسول الله ﷺ بقبة ضربت له بالحَجُون، في المكان الذي تعاقدت فيه قريش على مقاطعة بني هاشم والمسلمين، وهو خَيْف بني كِنَانَة، ويعرف بالمُحَصَّب، لأن داره قد أخذها عقيل بن أبي طالب، وهو لا يرثه لأنه كافر[٦]، ولم يرث علي وجعفر شيئاً من الدور، لأنهما مسلمان، وقد مات أبوهما كافراً. إضافة إلى أن عقيلاً وطالباً باعا كل الدور[٧].

---

(١) من رواية ابن إسحاق بإسناد فيه جهالة، من حديث الزهري: ابن هشام (٤/ ٧٨).

(٢) أحمد: المسند (٥/ ١٣٥) والألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٦٧، التفسير، ح٣٣٤٩) وقال: «حسن صحيح الإسناد»، وقال الحاكم (٢/ ٣٥٩): «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٣) أحمد: المسند (٤/ ٤١٢) بإسناد حسن للمائة، سنن الترمذي (٣/ ٨٣) وقال: «حسن صحيح».

(٤) مسلم (٣/ ١٤٩، ح١٧٨٢)، وأحمد: المسند (٣/ ٤١٢)، بإسناد حسن.

(٥) باختصار عن ابن القيم في الزاد (٣/ ٤٣٥ ـ ٤٤١)، وذكر أن الأئمة المانعين هم: مجاهد وعطاء بمكة، ومالك بالمدينة وأبو حنيفة بالعراق والثوري وأحمد وابن راهويه، ومال ابن القيم إلى الفريق المجوز.

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ١٢٤، ح٤٢٨٢) و(٧/ ٢٤٣، ح١٥٨٩، ١٥٩٠)، مسلم (٢/ ٩٨٤، ح١٣٥١).

(٧) البخاري: الفتح (٧/ ٢٤١، ح١٥٨٨).

وأمر الرسول ﷺ بتطهير البيت الحرام بإزالة الأصنام عنه، وشارك بيده في تكسيرها، وهو يقرأ: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩]، و﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١][1]، وكان عددها ستين وثلاثمئة[2]. وكان بداخل الكعبة صُوَرٌ لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وهم يستقسمون بالأزلام، فلطخت بالزعفران، ولم يدخل الكعبة إلا بعد إخراجها منها وقال: «قاتلهم الله، ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام»[3]، وفي رواية قال: «هذا إبراهيم مصور، فما له يستقسم؟»[4]، وفي رواية أن صورة مريم أيضاً كانت داخل الكعبة[5]. ووجد حمامة من عيدان فكسرها، ورمى بها خارج الكعبة[6]. وعندما طهرت الكعبة دخلها وصلى بها ركعتين[7]، ثم خرج فأعطى مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة، وأبقى الحجابة في أيدي بني شيبة كما كانت في الجاهلية[8]. ثم استلم الحجر الأسود، وطاف بالبيت من غير إحرام، وكان على رأسه المغفر يوم دخل مكة، ثم لبس عمامة سوداء[9]. وكان يستلم الركن بمحجنه[10]، كراهة أن يزاحم

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٢٧، ح٤٢٨٧)، وفيه آية سبأ فقط، ومسلم (٣/ ١٤٠٨، ح١٧٨١)، وفيه الآيتان، وفي روايتين أخريين له، ذكر فقط آية الإسراء، ابن هشام، بإسناد فيه جهالة من حدثه، ورجاله ثقات (٤/ ٨٤ ـ ٨٥)، وذكر آية الإسراء.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ١٢٦، ح٤٢٨٧)، مسلم (٣/ ١٤٠٨، ١٧٨١).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١١٧، ح٤٢٨٨)، وأحمد في المسند (١/ ٣٦٥) بإسناد صحيح، وقال محققو المسوعة (٣٤٥٥): صحيح على شرط البخاري، وابن قانع في معجمه كما في شفاء الغرام (١/ ٢٣٠) بتحقيق الدكتور تدمري، وفيه أنه طينها ثم لطخها بالزعفران.

(٤) البخاري: الفتح (١٣/ ١٢٩، ح٣٣٥١).

(٥) المصدر والمكان نفساهما.

(٦) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن كما عند الذهبي في مغازيه (ص٥٥٢).

(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٣٢، ح٤٤٠٠)، وفيه تفاصيل عن مكان وكيفية صلاته داخل الكعبة.

(٨) روى عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٨٣ ـ ٨٥، ح٩٠٧٣، ٩٧٠٤، ٩٠٧٦)، (وفيها أن الرسول ﷺ طلب من عثمان أن يعيبوا المفتاح)، وابن حجر في الفتح (١٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩) شرح الحديث ٤٢٨٩)، رويا عدة أحاديث ضعيفة، ولكن تتقوى بمجموعها وطرقها.

(٩) البخاري (١٦/ ١٢٥، ح٤٢٨٦)، وليس فيه لبس العمامة السوداء، ومسلم (٢/ ٩٩٠، ح١٣٥٨).

(١٠) البخاري: الفتح (٧/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، ح١٦٠٢)، ومسلم (٢/ ٩٢٦، ح١٧٢)، وأبو داود السنن (٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٢، كتاب مناسك الحج، باب: الطواف الواجب، ح١٨٧٧، ١٨٧٨)، بإسناد حسن للمائة، والطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح، كما ذكر الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٤٤).

الناس في طوافهم، وتعليماً للأمة الإسلامية.

وأمر بلالاً أن يؤذن، فعلا بلال على ظهر الكعبة فأذن عليها؛ فقال بعض بني سعيد بن العاص: «لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة»[١]. وقال بعض زعماء قريش بنحو هذا[٢].

وعندما تم تطهير البيت الحرام من الأصنام أرسل الرسول ﷺ بعوثاً إلى مناطق مختلفة لإزالة أكبر الأصنام التي بها. فقد أرسل خالد بن الوليد في ثلاثين رجلاً إلى بطن نخلة من ديار ثقيف لهدم العزى، صنم مضر وقريش وكنانة، فهدمها[٣]. وكان ذلك لخمس ليال بقين من رمضان[٤]. وأرسل سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً إلى صنم مناة بالمُشَلَّل من ناحية قديد - وهو القديدية الآن - وهو صنم يعظمه العرب وخاصة الأوس والخزرج قبل إسلامهم، فهدمها[٥]، وذلك لست بقين من رمضان[٦]. وأرسل عمرو بن العاص إلى سُوَاع، صنم هُذَيل، فهدمها[٧]. وهذه الأصنام هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

واجتمع الناس لمبايعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة لله ورسوله، فلما فرغ

---

(١) الذهبي: المغازي، ص٥٥٥، بإسناد حسن إذا ثبت أن الذي حدث يساراً من الصحابة، وروى خبر أذان بلال على الكعبة عروة مرسلاً، كما عند الذهبي في مغازيه، ص٥٥٥ والبيهقي في الدلائل (٥/ ٧٨)، بإسناد صحيح، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٣٤ - ٢٣٥) مرسلاً ورجاله ثقات، وفيه الحارث بن هشام وصفوان بن أمية هما اللذان علقا على الأذان فقال أحدهما: «انظر إلى هذا الحبشي»، وقال الآخر: «إن يكرهه الله يغيره». ورواه البيهقي في الدلائل من طريق عبد الرزاق مرسلاً (٥/ ٧٩)، وبهذا يتقوى الحديث، ورواه الواقدي (٢/ ٨٤٦) بأسانيده.

(٢) انظر: أقوالهم عند الواقدي في مغازيه (٢/ ٨٦٤)، بأسانيده، وعند ابن هشام بإسناد منقطع، السيرة (٤/ ٨٠).

(٣) ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ١١٢)، وفيه أن سدنتها وحجابها من بني شيبان ومن بني سليم، حلفاء بني هاشم، وابن سعد (٢/ ١٤٥)، معلقاً، والواقدي (٢/ ٨٧٣)، والمزي: تحفة الأشراف (٤/ ٢٣٥، ح٥٠٥٤)، نقلاً عن السنن الكبرى للنسائي، وفيه الوليد بن جميع، صدوق يهم.

(٤) ابن سعد (٢/ ١٤٥) معلقاً، والواقدي (٢/ ٨٧٤).

(٥) ابن سعد (٢/ ١٤٦)، معلقاً، وقيل إن الذي هدمها هو علي، انظر: الكلبي: الأصنام، ص١٥.

(٦) ابن سعد (٢/ ١٤٧)، معلقاً.

(٧) المصدر نفسه، ابن سعد (٢/ ١٤٦)، معلقاً.

من بيعة الرجال بايع النساء. واجتمع إليه نساء قريش فيهن هند بنت عتبة، زوج أبي سفيان، منتقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة ﷺ يوم أحد، فلما دنون منه ليبايعنه، قال رسول الله ﷺ: «تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً»، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما أخذته على الرجال سنؤتيكه. قال: ولا تسرقن، قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك حلًّا لي أم لا؟ فقال أبو سفيان وكان شهداً لما تقول: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، فقال عليه السلام: «وإنك لهند بنت عتبة؟»، فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعف عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزنين، قالت: وهل تزني الحرة؟ قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً، فأنت وهم أعلم، فضحك عمر من قولها حتى اسْتَغْرَب[1]، قال: ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، فقالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل. قال: ولا تعصينني في معروف، فقال رسول الله ﷺ لعمر: بايعهن، واستغفر لهن رسول الله ﷺ، فبايعهن عمر. وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ولا يمس امرأة ولا تمسه، إلا امرأة أحلها الله له[2].

وقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ كان يبايع النساء بالكلام، بالآية: ﴿لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢]، وما مست يده يد امرأة أجنبية[3].

ذكرنا في فصل الشمائل، مبحث: تواضعه ﷺ حديث البخاري الذي فيه: «وكانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»، قول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف»، وقوله: والمقصود من الأخذ باليد هو الرفق والانقياد».

وروي في غير الصحيحين قوله ﷺ: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة»[4].

---

(١) استغرب: استلقى على قفاه، كما في رواية أخرى. انظر: السيرة الشامية (٥/ ٣٧٢).

(٢) رواها الطبري في التاريخ (٣/ ٦١ - ٦٢) بلاغاً، وابن سعد، بسند صحيح من مرسل الشعبي وميمون بن مهران، كما قال ابن حجر في الإصابة، ترجمة هند بنت عتبة، الحاكم (٢/ ٤٨٦)، بسند صححه ووافقه الذهبي.

(٣) البخاري: الفتح (٢٠/ ٩٨ - ٩٩، ح٥٢٨٨)، مسلم (٣/ ١٤٨٩، ح١٨٦٦).

(٤) أحمد (٦/ ٣٥٧)، الترمذي (١٥٩٧)، النسائي (٤٩٨١)، ابن ماجه (٢٨٧٤)، ومالك في الموطأ (١٨٤٢)، وغيرهم، وإسناده صحيح.

وكان من أبرز نتائج هذا الفتح أن أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم، لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش. فقد روى البخاري[١]، من حديث عمرو بن سَلَمَة الجَرْمي، قوله: «وكانت العرب تَلَوَّمُ بإسلامِهِمُ الفَتْحَ، فيقولون: اتركوه وقَوْمَهُ فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم...». وكانت هذه النظرة لقريش لأنها كانت زعيمة العرب وحامية البيت وصريح ولد إسماعيل وناصبة الحرب لرسول ﷺ، فلما افتتحت مكة، ودانت قريش لرسول ﷺ ودوخها الإسلام عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ وعداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً، كما قال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾ [النصر: ١-٣][٢].

وخطب الرسول ﷺ أثناء إقامته بمكة عدة خطب، بيّن فيها أموراً وأحكاماً مختلفة، ففي الخطبة الأولى، التي كانت على باب الكعبة، بيّن دية الخطأ شبه العمد، وألغى مآثر الجاهلية وثاراتها، واستثنى من أمور الجاهلية سقاية الحاج وسدانة البيت[٣].

وأعلن في الخطبة الثانية: «ألا إنه لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لا يزيده إلا شدة. والمؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، يرد سراياهم على قعيدتهم. لا يقتل مؤمن بكافر. دية الكافر نصف دية المسلم. لا جلب ولا جنب ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في دورهم»[٤].

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٣ - ١٣٤، ح٤٣٠٢).

(٢) انظر: ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٧٣)، وتفسير ابن عباس تضمون سورة النصر من رواية البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٠، ح٤٢٩٤).

(٣) مسند أحمد (٣/ ٤١٠)، بإسناد حسن لذاته، وأبو داود: السنن (٢/ ٤٩٢)، بإسناد صحيح.

(٤) أخرج أوله مسلم (٤/ ١٩٦١، ح٢٥٣٠) إلى قوله: «شدة»، وأخرج أحمد مقطعاً في مواضع مختلفة من المسند وكاملاً في مسنده: انظر: الرباني (٢١/ ١٦٠ - ١٦١)، وقال الساعاتي: «وهو حديث صحيح، صححه الترمذي وغيره، وله شواهد كثيرة تعضده». والجلب: أن يأتي الرجل بمن يصيح على فرسه ويزجره حثاً له على الجري حتى يسبق، والجنب: أن يسابق الرجل على فرسين يركب الأول فإذا فتر تحول إلى الثاني.

وأعلن في الخطبة الثالثة تحريم مكة، وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولُقَطَتها وتحريم القتال فيها، وقال إن الله تعالى أحلها له ساعة من نهار، وهو وقت الفتح[١]. وقال: لا هجرة بعد الفتح، ويبقى الجهاد والنية، ولذلك بايع النبي ﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد، ولم يبايعهم على الهجرة[٢].

وبين في الخطبة الرابعة أن من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يودى وإما أن يقاد[٣].

ومما يروى من أحداث الفتح أن أبا بكر جاء بأبيه إلى رسول الله ﷺ ورأسه ولحيته كالثَّغَامة [شجرة بيضاء الثمر والزهر، ينبت غالباً بالجبال] بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: «غيروهما وجنبوه السواد»[٤].

الأحكام والدروس والعظات والعبر المستفادة من أحداث غزوة الفتح:

١ - جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، فقد أفطر الرسول ﷺ عندما بلغ كديداً، كما ذكرنا.

٢ - صلى النبي ﷺ صلاة الضحى ثمان ركعات خفيفات[٥]، فاستدل قوم بهذا على أنها سنة مؤكدة[٦].

٣ - إن أحق المصلين بالإمامة أكثرهم حفظاً للقرآن، كما في حديث عمرو بن سلمة[٧].

٤ - قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة[٨].

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣١، ح٤٢٩٥)، مسلم (٢/ ٩٨٧، ح٣٥٤).
(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٧ ـ ١٣٨، ح٤٠٣٥ ـ ٤٣١٢)، مسلم (٣/ ١٤٨٧ ـ ١٤٨٨، ح١٨٦٤).
(٣) البخاري: الفتح (٢٦/ ٢٧ ـ ٢٨، ح٦٨٨٠)، مسلم (٢/ ٩٨٨، ح١٣٥٥).
(٤) مسلم (٣/ ١٦٦٣، ح٢١٠٢)، أحمد (٣/ ١٦٠)، وغيرهما.
(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٠، ح٤٢٩٢)، مسلم (١/ ٤٩٧، ح٣٣٦).
(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٤، ح٤٣٠٢).
(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٢، ح٤٢٩٨، ٤٢٩٩).
(٨) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٦٢، ح٣١٧١)، مسلم (١/ ٤٩٨، ح٣٣٦).

٥ - إقرار أمان وجوار النساء، حيث أمضى الرسول ﷺ جوار أم هانئ لرجلين من أحمائها[١].

٦ - تحريم نكاح المتعة إلى الأبد بعد إباحته لمدة ثلاثة أيام[٢]. ويرى النووي[٣] أنه وقع تحريمه وإباحته مرتين، إذ كان حلالاً قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أبيح يوم الفتح، ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبد. ويرى ابن القيم[٤] أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمها فقط يوم الفتح، وله في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح. والمتفق عليه أنها حرمت إلى الأبد بعد الفتح.

٧ - قرر الرسول ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما جاء ذلك في حديث ابن وليدة زمعة بن زمعة. فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة، فقضى فيه رسول الله ﷺ لعبد بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه[٥].

٨ - اعتبار عقد النكاح قائماً بين الزوج المشرك والزوجة المسلمة، إذا أسلم الزوج قبل انقضاء عدة الزوجة، وذلك من خلال قصة صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، إذ أسلمت زوجتاهما قبلهما، ثم أسلما قبل انقضاء عدتيهما[٦].

٩ - عدم جواز الوصية بأكثر من ثلث المال، كما في قصة سعد بن أبي وقاص حين مرضه بمكة واستشارته الرسول ﷺ في أن يوصي بأكثر من الثلث[٧].

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٦٢، ح٣١٧١)، مسلم (١/ ٤٩٨، ح٣٦٦).

(٢) مسلم (٢/ ١٢٣، ح١٤٠٥) وانظر ح١٤٠٦).

(٣) النووي: شرح مسلم (٩/ ١٨١).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٣٤٣ - ٣٤٥ و٤٥٩ - ٤٦٤).

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٥، ح٤٣٠٣).

(٦) مالك: الموطأ، شرح الزرقاني: (٣٦١٣ - ٣٦٣٨)، كتاب النكاح، باب نكاح المشرك إذا أسلم زوجته قبله، مرسلاً، من رواية الزهري، وقال الزرقاني: «وقال ابن عبد البر: لا أعلمه يتصل من وجه صحيح، وهو حديث مشهور معلوم عند أهل السير، وابن شهاب إمام أهلها وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده»، وابن عساكر في تاريخ دمشق (تراجم النساء: بتحقيق سكينة الشهابي، ص٥٠٢، ابن إسحاق، بإسناد مرسل، من حديث الزهري: ابن هشام (٤/ ٨٧).

(٧) البخاري: الفتح (١١/ ٢٠٧ - ٢٠٨، ح٢٧٤٤، ٢٧٤٣) وانظر: مناقشة ابن حجر لأقوال العلماء في هذا استناداً إلى أحاديث هذا الباب، وخلاصته ورأيه ص٢٠٦، والترمذي: السنن (٣/ ٢٩١) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

١٠ - يجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها لنفقتها ونفقة عياله بالمعروف دون علمه إذا امتنع عن النفقة، كما في خبر هند بنت عتبة[١].

١١ - تحريم بيع الخمر والميتة والأصنام[٢].

١٢ - جواز خضاب الشيب بالحناء أو الصفرة وتحريم خضابه بالسواد كما في قصة أبي قُحَافة - والد أبي بكر الصديق ﷺ - حين أمر الرسول ﷺ بتغيير شيبه[٣]. ومن حكمة ذلك أنه مخالفة لليهود والنصارى.

١٣ - النهي عن الشفاعة في حدود الله بعد رفعها للإمام كما في قصة المرأة المخزومية التي سرقت فتشفع فيها أسامة بن زيد، فغضب الرسول ﷺ منه، ثم قال: «إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٤].

١٤ - نهى رسول الله ﷺ عن قتل المرأة ما دامت لا تقاتل كما جاء مبيناً في قصة مروره بامرأة مقتولة يوم الفتح، فقال: «ما كانت هذه تقاتل...»[٥]، وجاء النهي عن قتل النساء والصبيان مطلقاً غير مقيد بغزوة أو سرية معينة[٦].

١٥ - إبداء الرسول ﷺ تقديره لأبي بكر ﷺ وذلك عندما أتى أبو بكر بأبيه يقوده،

---

(١) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧، ح٣٨٢٥)، مسلم (٣/ ١٣٣٨، ح١٧١٤).

(٢) البخاري: الفتح (٩/ ٢٩٧، ح٢٢٣٦).

(٣) مسلم (٣/ ١٦٦٣، ح٢١٠٢)، ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٦٧ - ٦٨)، ورواه غير واحد من طريق ابن إسحاق، مثل: أحمد: الرباني (٢١/ ١٥١ - ١٥٢) وقال الساعاتي: «وسنده صحيح ورجاله ثقات». وانظر: المغني لابن قدامة (١/ ١٢٥).

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٦، ح٤٣٠٠ - ٤٣٠٤)، ومسلم (٣/ ١٣١٥ - ١٣١٦، ح١٦٨٨ - ١٦٨٩).

(٥) من رواية أحمد في المسند (٢/ ١١٥)، بإسناد ضعيف؛ لأن ليث شريك بن عبد الله النخعي الكوفي، وهو صدوق، سيء الحفظ، ولكنه يتقوى بتعدد مثل حديث الطبراني في الأوسط بنحوه - من حديث ابن عمر - كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٢/ ١١٤) شرح الحديث (٣٠١٢)، وانظر: كلام ابن حجر في جواز قتل المرأة التي تباشر القتل: الفتح (١٢/ ١١٥) شرح الحديث (٣٠١٣).

(٦) البخاري: الفتح (١٢/ ١١٥، ح٣٠١٤، ٣٠١٥)، مسلم (٣/ ١٣٦٤، ح١٧٤٤)، وغيرهما وروايات البخاري ومسلم عن خبر المرأة التي وجدت مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ توضحها روايتا أحمد والطبراني في الحاشية السابقة، وتدلان على أن ذلك كان في فتح مكة.

وهو كفيف، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟» فقال أبو بكر ﷺ: «يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت»، ثم أجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له: أسلم، فأسلم[١]. ويروى أن رسول الله ﷺ هنأ أبا بكر بإسلام أبيه[٢].

١٦ - جواز دخول مكة بغير إحرام لمن لا يريد العمرة أو الحج، لأن الرسول ﷺ دخل مكة يوم الفتح محارباً وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[٣].

١٧ - إن أهل العهد إذا حاربوا - بعضهم أو جميعهم - من هم في ذمة الإمام وجواره وعهده صاروا حرباً له بذلك، ولم يبق بينهم وبينه عهد، فله أن يبيتهم في ديارهم، ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء، وإنما يكون الإعلام إذا خاف منهم الخيانة، فإذا تحققها، صاروا نابذين لعهده[٤].

١٨ - إن قتل الجاسوس راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين، قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح، أو وجدت علة مانعة، استبقاه كما في قصة حاطب[٥].

١٩ - جواز تجريد المرأة كلها وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة كما في قصة المرأة التي كانت تحمل رسالة حاطب، وموقف علي والمقداد منها[٦].

٢٠ - إن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ﷺ ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب على نيته وقصده[٧].

٢١ - جواز قتل المرتد الذي تغلظت ردته، ومن غير استتابة، كما في قصة عبد الله بن أبي السرح.

---

(١) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٦٧ - ٦٩) ورواه من طريقه آخرون.
(٢) رواه الذهبي في مغازيه، مرسلاً، ص٥٥٩.
(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١٢٥، ح٤٢٨٦)، ومسلم (٢/ ٩٩٠، ح١٣٥٨).
(٤) ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٤٢٠).
(٥) المرجع نفسه (٣/ ٤٢٢ - ٤٢٣).
(٦) المرجع نفسه (٣/ ٤٢٣).
(٧) المرجع والمكان نفساهما.

٢٢ - أما ما يتعلق بأحكام الهجرة، فقد سبق ذكرها في فصل هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي فصل هجرة المسلمين إلى الحبشة.

سرايا وبعوث الرسول ﷺ أيام الفتح وهو بمكة:

١- بعثة خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة[1] من كِنَانة:

بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة في شوال سنة ثمان من الهجرة، بعد مرجعه من هدم العزى، وذلك خلال إقامة الرسول ﷺ بمكة أيام الفتح[2]. وقد خرج ثلاثمئة وخمسين رجلاً، من المهاجرين والأنصار وبني سُلَيم، ليدعوهم إلى الإسلام[3].

وعندما ذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: «صبأنا» فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل من السرية أسيره، ثم أمرهم ذات يوم أن يقتل كل رجل منهم أسيره، فأبى جماعة منهم ذلك، فيهم عبد الله بن عمر، حيث قال: «والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، وعندما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه بما حدث، رفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، مرتين[4].

وذكر ابن سعد[5]، أن بني سُلَيم هم الذين قتلوا من بأيديهم من الأسرى، أما الأنصار والمهاجرون فلم يفعلوا ذلك، وأطلقوا أسراهم.

ودار كلام بين خالد وعبد الرحمن بن عوف حول هذا الموضوع، حتى كان بينهما شر، فقد خشي ابن عوف أن يكون ما صدر عن خالد ثأراً لعمه الفاكه بن المغيرة،

---

(١) كانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يلملم (ابن سعد ٢/ ١٤٧)، وقالوا إن يلملم جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث، وقيل هو واد. معجم البلدان (٨/ ٥١٤)، وهو جنوبي مكة بثمانين كيلاً.

(٢) ابن سعد (٢/ ١٤٧) معلقاً، والمعلق من أقسام الضعيف، كما ذكرنا من قبل.

(٣) ابن سعد (٢/ ١٤٧) معلقاً، ابن إسحاق بإسناد مرسل ضعيف؛ لأن فيه حكم بن حكيم، وفيه كلام: ابن هشام (٤/ ١٠٠)، ولكن أصل سبب البعث وما حدث فيه فقد رواه البخاري كما في الفتح (١٦، ح٤٣٣٩).

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ١٤٧٤، ح٤٣٣٩)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٦٦ - ١٦٧) بإسناد ولفظ البخاري.

(٥) الطبقات (٢/ ١٤٨)، معلقاً فهو ضعيف.

الذي قتله بنو جذيمة في الجاهلية[١]، ولعل هذا الذي وقع بينهما هو ما أشار إليه الحديث المروي عند مسلم[٢] وغيره: «كان بين ابن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه».

وبعث رسول الله ﷺ علياً فَوَدَى لهم قتلاهم، وزادهم فيها، تطييباً لنفوسهم وبراءة من دمائهم[٣].

وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولاً منه واجتهاداً خاطئاً، وذلك بدليل أن الرسول ﷺ لم يعاقبه على فعله[٤].

وقد روى ابن إسحاق[٥] قصة فتى أسير من بني جذيمة، إذ طلب من ابن أبي حَدْرَد أن يقوده من حبله وهو مقيد ليتكلم مع نساء لهم ثم يعيده ليصنع به ما يراه، فأجابه إلى طلبه، فجاء به فوقف عليهن ثم قال: «اسلمي خُبَيْش على نَفَدٍ من العَيْش»، ثم قال شعراً عاطفياً قوياً يخاطب به فتاة يعشقها بين تلك النسوة، فردت عليه قائلة: «وأنت فحييت سبعاً وعشراً، وتراً وثمانياً تترى»، ثم انصرف به ابن أبي حدرد، فضربت عنقه. فقامت

---

(١) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٠٤ ـ ١٠٥) وانظر القصة فيه.

(٢) صحيحة (٤/ ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ح٢٥٤١).

(٣) ابن إسحاق بإسناد مرسل ضعيف لأنه موقوف على ابن جعفر محمد بن علي، وفي سنده حكيم بن حكيم، وفيه كلام: ابن هشام (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، وابن سعد (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨) معلقاً مختصراً. ومعناه صحيح، لأن الرسول ﷺ كان يفعل هذا في القتل الخطأ.

(٤) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٧٤)، شرح الحديث (٤٣٣٩).

(٥) بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٠٧ ـ ١٠٩) إلى حديث ضرب عنق الفتى، أما موت الفتاة فقد رواها بإسناد منقطع من آخره لجهالة الأشياخ، ولو ثبتت صحبتهم لصح الخبر: ابن هشام (٤/ ١٠٩)، ويشهد لهذا الجزء المنقطع بالصحة أن القصة رواها البيهقي في الدلائل (٥/ ١١٦ ـ ١١٨) من حديث ابن عيينة بروايتين بسنده إلى والد ابن عصام المزني ومن حديث النسائي بإسناده إلى ابن عباس، كلاهما بإسناد صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٧٥)، شرح الحديث (٤٣٣٩)، وابن حبان في صحيحه: موارد الظمآن، ص١٦٠، حديث رقم (٦٦٩٧) من حديث عصام المزني، وعزاه ابن حبان للطبراني في الكبير والبزار، وحسن المحقق إسناده كما في المجمع والزوائد (١٦/ ٢١٠)، وفي روايات البيهقي وابن حبان اختلاف في السياق عن رواية ابن إسحاق. فروايات البيهقي لم تذكر أن القصة وقعت في بعث خالد لبني جذيمة، وتختلف رواية ابن عيينة عن رواية النسائي، ولكن الروايات كلها تتحد في موقف الفتى من الفتاة والفتاة من الفتى.

إليه معشوقته، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده. وعندما أخبر الرسول ﷺ بقصتها قال: «أما كان فيكم رجل رحيم»[١].

ومن البعوث التي أرسلها الرسول ﷺ خلال إقامته بمكة؛ للإغارة على المشركين، بعث هشام بن العاص في مائتين من الصحابة إلى جهة يَلَمْلَم. وبعث خالد بن سعيد بن العاص في ثلثمائة من الصحابة قِبَلَ غُرَنَة[٢].

---

(١) ورد هذا الحديث في رواية النسائي المشار إليها، بإسناد صحيح كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٧٥)، وقد رواها البيهقي في الدلائل (٥/ ١١٨)، وابن حبان في صحيحه: موارد الظمآن، ص١٥٩، حديث رقم (٦٦٩٦) وعزاه إلى الطبراني في الكبير والأوسط، وقال المحقق، محمد عبد الرزاق حمزة: «وإسناده حسن، كذا في مجمع الزوائد (٦/ ٢١٩)».

(٢) الواقدي (٣/ ٨٧٣)، والواقدي متروك، فمروياته ضعيفة جداً. ويلملم: هو ميقات إحرام أهل اليمن ومن في حكمهم.

الفصل الثاني والعشرون

غزوتا حُنَين والطائف

المبحث الأول: غزوة حُنَين:

أقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح (تسعة عشر يوماً)[١]، حتى جاءت هوازن وثقيف، فنزلوا بحنين يريدون قتال النبي ﷺ، وكانوا قد جمعوا له قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة، وهم يظنون أنه إنما يريدهم، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة، أخذوا في الاستعداد وحشد القوات لمواجهته[٢]، وقبل أن يهاجمها، وقد أرادوها موقعة حاسمة، ولذا حشدوا الأموال والنساء والأبناء حتى لا يفر أحدهم ويترك أهله وماله. وكان يقودهم مالك بن عَوف النصري؛ واستنفروا معهم غطفان وغيرها[٣]. وممن جمعهم ابن عوف: بنو نصر - قومه - وبنو جُشَم وبنو سعد بن بكر وجماعات متفرقة من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر وعوف بن عامر، وثقيف كلها في أحلافها، وبنو مالك[٤]، وتخلف عنهم من هوازن كعب وكلاب[٥].

وخرج على رأس بني جُشَم يومذاك دُرَيْد بن الصِّمَّة، وكان شيخاً كبيراً، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه، لأنه كان شيخاً مجرباً عارفاً بالحرب، فأنكر على مالك

---

(١) هذه الجزئية من رواية البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٢، ح٤٢٩٨ و٤٢٩٩).

(٢) إلى هنا من رواية الطبري في تاريخه (٣/ ٧٠)، بإسناد مرسل موقوف على عروة، وله شاهد من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، كما ذكره الذهبي في مغازيه، ص٥٧١، قال الحافظ في تعريف حنين: أنه وادٍ قريب من الطائف، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات. الفتح (١٦/ ١٣٩).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٧٢، ح٤٣٣٧)، مسلم (٢/ ٧٣٥، ح١٠٥٩).

(٤) من رواية ابن إسحاق، وإسناده حسن، ذكره الذهبي في مغازيه، ص٥٧١، والحاكم (٣/ ٤٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١١٤)، ومن روايته بإسناد حسن من حديث جابر كما نقله عنه الذهبي في مغازيه، ص٥٧٣.

النصري الخروج بالنساء والأطفال والأموال، إذ يرى أن المنهزم لا يرده شيء، فلم يعمل مالك برأي دريد. وقال دريد في شأن غياب كعب وكلاب: «غَابَ الحَدُّ والجد ولو كان يَوْمَ عَلاءٍ ورِفْعَة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، وَلَوَدِدْتُ أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب...» وذكرت له أقوال أخرى تدل على تجربته في الحروب وتوقعه الهزيمة لقومه، لأن الرأي كان لمالك، وهو صغير السن - ٣٠ سنة - غير مجرب، بل اتهم مالك دريداً بأنه كبر وقل علمه، وأقسم على هوازن بأن تطيعه هو وإلا انتحر، فأطاعوه، فأمرهم أن يكسروا جفون سيوفهم إذا رأوا المسلمين، ثم يشدوا شدة رجل واحد[١].

وكانت خطة مالك في الحرب أن رتب جيشه في صفوف حسنة، وقدم الخيل ثم الرجالة ثم النساء ثم الأغنام ثم الإبل[٢]، وقد بلغ جيشه عشرين ألفاً[٣]، فسار بهم إلى الرسول ﷺ.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي ليأتيهم ويدخل فيهم ويعلمه خبرهم، فجاءهم ومكث فيهم يوماً أو اثنين، ونقل خبرهم إلى الرسول ﷺ[٤].

ولعل هذا الخبر الذي نقله ابن أبي حدرد إلى الرسول ﷺ هو الذي تبسم له الرسول ﷺ وعلق عليه بقوله: «تلك غنيمة المسلمين غداً - إن شاء الله». وذلك عندما اقتربوا من العدو[٥].

وبعد جمع المعلومات العسكرية المطلوبة استعد الرسول ﷺ لمواجهتهم، فاستعار من يَعْلَى بن أمية ثلاثين بعيراً وثلاثين درعاً[٦] واستعار مائة درع من

---

(١) انظر: المصدرين والمكانين نفسيهما.

(٢) مسلم (٢/ ٧٣٦، ح١٠٥٩).

(٣) الواقدي (٢/ ٨٩٣).

(٤) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، انظر: مغازي الذهبي ص٥٧١ - ٥٧٢، والحاكم (٣/ ٤٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وعنده أن المرسل هو عبد الرحمن بن أبي حدرد.

(٥) أبو داود في سننه (٣/ ٣٠ - ٣١، ح٢٥٠١)، وهو حديث صحيح الإسناد، وعنده أن الرجل المرسل هو عبد الله بن أبي حدرد.

(٦) انظر ترجمته في: الاستيعاب (٣/ ٦٦١ - ٦٦٥)، والإصابة (٣/ ٦٦٨)، أسلم يوم فتح مكة، =

صَفْوَانَ بن أمية وأعادها إليه بعد غزوة حنين، وشكره على ذلك[١]. ويروى أنه استقرض من حُوَيْطِبَ عبد العُزَّى أربعين ألف درهم[٢]، وتقبل معونة قدرها ثلاثة آلاف رمح من نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب[٣].

وبعد أن أقام الرسول ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً[٤]، خرج إلى حنين لستٍّ خلت من شوال، وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال وكان وصوله إليها في عاشره[٥] واستعمل عَتَّاب بن أَسِيْد بن أبي العِيْص أميراً على مكة[٦].

وقد ثبت في الصحيحين[٧] أن الطلقاء قد خرجوا معه إلى حنين، دون تحديد لعددهم، وقال أهل المغازي إنه خرج معه ألفان من أهل مكة - الطلقاء - مع عشرة آلاف، من أصحابه الذين خرجوا معه لفتح مكة، فأصبحوا اثني عشر ألفاً[٨]، وهو أكبر

= وشهد حنيناً والطائف وتبوك، وروى خبر الإعارة: أبو داود في السنن (٢/ ١٤٦)، كتاب البيوع، باب تضمين العارية.

وانظر تخريجه في: الإرواء (٥/ ٣٤٨ - ٣٤٩)، وقد صحح الألباني إسناده.

(١) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: رواها الذهبي في المغازي ص٥٧٢، والحاكم (٣/ ٤٩) وصححها ووافقه الذهبي، (٤٤٦) كتاب العارية. وكان صفوان من المؤلفة قلوبهم.

(٢) الاستيعاب (١/ ٣٨٥) معلقاً، والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(٣) الاستيعاب (٣/ ٥٣٧) معلقاً، والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٢، ح٤٢٩٨، ٤٢٩٩).

(٥) انظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٣٩)، شرح حديث ترجمة الباب، والبيهقي: السنن الكبرى (٣/ ١٥١)، والنسائي: السنن (٣/ ١٠٠).

(٦) أخرجه ابن حجر: الإصابة (٢/ ٤٥١)، من رواية الطيالسي، والبخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٥٤)، وفيه أيوب بن عبد الله بن يسار، سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٩) وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (٢/ ٢٥١)، وقال ابن حجر: «وإسناده حسن»، وابن هشام (٤/ ١١٨)، بإسناد يعتضد بغيره.

(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ١٧٠، ح٤٣٣٣)، مسلم (٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦، ح١٠٥٩)، وانظر: أحمد: المسند (٣/ ١٥٧ - ١٩٠).

(٨) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١١٨)، وابن إسحاق مرسلاً عن الزهري، وقد صرح بالتحديث كما في مغازي الذهبي، ص٥٧٢، وابن خياط في تاريخه، والحاكم (٢/ ١٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وأعله الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨٦) لوجود عبد الله بن عياض، الذي لم يوثقه، ورواه غير هؤلاء بأسانيد ضعيفة.

جيش إسلامي يخرج في حياة الرسول ﷺ إلى ذلك الحين، ولهذا ساد شعور عند بعض الناس أنهم لن يغلبوا من قلة، وعبر أحدهم[١] عن هذا الشعور جهرة، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فعاتبهم القرآن وذكرهم بعدم الاتكال إلا على الله وحده، وإلا وكلهم إلى أنفسهم، ولقنهم درساً بليغاً في هذا الشأن، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ [التوبة: ٢٥][٢] وحكى لهم الرسول ﷺ قصة نبي أعجبته كثرة أمته، فسلَّط الله عليهم الموت[٣].

وعندما اقترب الرسول ﷺ من حُنين وحضرتهم صلاة العشاء، أمر أحد الصحابة بمراقبة العدو من فوق أحد الجبال المطلة على وادي حنين، فأدى الصحابي المهمة، ونقل إلى الرسول ﷺ خبرهم، وأنهم قد خرجوا بظعنهم ونعمهم وشائهم واجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً - إن شاء الله تعالى»، وعندما حانت ساعة النوم تطوع أنس بن أبي مَرْثَد الغَنَوي بحراستهم إلى الفجر، فأثنى عليه النبي ﷺ ووعده بالجنة[٤].

وفي الطريق إلى حنين رأى بعض الطلقاء شجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم تعرف بذات أَنْوَاط، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والذي نفسي بيده لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم»[٥] وفي هذا

---

(١) قيل: إن القائل: سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل: العباس، وقيل: أبو بكر، وقيل: رسول الله ﷺ وقيل: رجل من بكر وقيل: غلام من الأنصار، انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٨٩٠)، والهيثمي في كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧)، وابن إسحاق، ابن هشام (٤/ ١٢٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٢٣)... إلخ. وكلها روايات ضعيفة كما ذكر المحققون، وتتفق في شيء واحد وهو حصول هذا القول من أحد أفراد الجيش المسلم، وهي بمجموعها يؤيد بعضها بعضاً ويزيده قوة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤١٤) وتفسير الطبري (١٠/ ١٠٠) ومحمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد صادق عرجون (٤/ ٣٦٧ - ٣٧٠) والدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص٢١٠ - ٢١٩.

(٢) رواه البيهقي في دلائله (٥/ ١٢٣) بإسناد ضعيف، ورواه غيره بإسناد ضعيف، ولكن يشهد له ويقويه الآية ووضوح معناها وإشارتها إلى أصل القصة زماناً ومكاناً.

(٣) سنن الدارمي (٥/ ١٣٥)، مسند أحمد (٤/ ٣٣٣) و(٦/ ١٦).

(٤) أبو داود: السنن (١/ ٢١٠) و(٢/ ٩) بإسناد صحيح، سبق ذكر حكم ابن حجر عليه.

(٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٢٠ - ١٢١)، ورواه من غير طريق ابن إسحاق: أحمد في المسند (٥/ ٢١٨)، وابن حبان في صحيحه، موارد الظمآن ص٤٥٤).

دليل على أن قلوب هؤلاء لم تتشرب الإسلام بعد، لحداثة عهدهم به، بل روي أن ثمانين من الطلقاء قد خرجوا وهم على الكفر[١]، وإذا كان الحال كذلك فلا غرابة من أن يعبر كَلَدة بن الحَنْبَل، أخو صفوان بن أمية لأمه، وهو أحد الطلقاء، عن فرحته بإدبار المسلمين في الجولة الأولى، قائلاً: ألا بطل السحر اليوم!! فقال له أخوه صفوان - وهو على شركه آنذاك - اسكت، فض الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني[٢] رجل من قريش أحب إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هوازن[٣]!!، وكان يقف زعماء مكة خلف الجيش ينظرون لمن تكون الدائرة، منهم: أبو سفيان وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام[٤]. وكان صفوان في المؤخرة، ويرسل غلاماً له ليأتيه بالأخبار من المقدمة[٥].

وعندما انهزم المسلمون في الجولة الأولى، كان أبو سفيان ينظر إليهم، وهو يحمل الأزلام، ويقول: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر»[٦].

بادرت هوازن إلى حنين، فأدخلوا جيشهم بالليل في الوادي، وفرقوا كُمَنَاءهم في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق، وأصدر إليهم قائدهم أمره بأن يرشقوا المسلمين بالسهام عند دخولهم وادي حنين المنحدر، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد[٧]، وشجعهم زاعماً بأن المسلمين لم يلقوا من قبل مثلهم في الشجاعة والعدة والعدد والدراية بالحرب[٨].

وعبأ رسول الله ﷺ جيشه بالسحر، وعقد الألوية والرايات، ورتب الجند في

---

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية (١/ ١٦٢)، والزرقاني في شرحه عليه (٣/ ٥) من طريق ضعيفة.

(٢) أي يكون لي رباً، أي ملكاً عليَّ.

(٣) الهيثمي: المجمع (٦/ ١٧٩ - ١٨٠)، وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية أبي يعلى»، وابن حبان في صحيحه، كما في الموارد ص٤١٧، والطبري في التاريخ (٣/ ١٢٨)، وكلاهما من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٤) من رواية موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري - مرسلاً - ورواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، كما في البداية والنهاية (٤/ ٣٦٨).

(٥) من رواية عروة المذكورة.

(٦) من رواية ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٢٢)، والواقدي (٣/ ٩١٠).

(٧) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٢١).

(٨) الواقدي (٣/ ٨٩٣).

هيئة صفوف منتظمة[١]، واستقبل بجيشه وادي حنين في غَمَايَةِ الصبح، أو غَلَسٍ، وانحدروا فيه[٢]، تتقدمهم على المجنبة الخيالة بقيادة خالد بن الوليد[٣] وفي طليعتها بنو سليم منذ خروجه من مكة[٤].

وعند دخول المسلمين الوادي حملوا على هَوَازِن فانكشفوا، فأكب المسلمون على ما تركوه من غنائم، وبينما هم على هذه الحال، استقبلتهم هوازن وأمطرتهم بوابل من السهام التي لا تكاد تخطئ أحدا[٥].

ولم يكن المسلمون يتوقعون هذا، فضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ، فولوا مدبرين، لا يلوي أحد على أحد[٦]. وانحاز الرسول ﷺ ذات اليمين وهو يقول: «أين الناس؟ هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله»[٧]. ومما يدل على عدم توقع المسلمين لمثل هذه الخدعة، أن بعضهم قد خرجوا خِفَافاً عَجِلِين دون استعداد حربي كامل، لا سيما بعض الشباب الذين خرجوا حاسري الرؤوس، وليس معهم السلاح الكافي[٨].

وكان أول من أدبر خيالة المسلمين، ثم المشاة، وفر معهم الطلقاء والأعراب، ثم بقية الجيش، حتى أنه لم يثبت مع الرسول ﷺ أحد سوى أبي سفيان بن الحارث[٩] وجماعة قليلة[١٠].

---

(١) الواقدي (٣/ ٨٩٥ ـ ٨٩٧)، وقد انفرد بتفاصيل عن عدد الألوية وحملتها من قبائل العرب.

(٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٢١).

(٣) انظر: مسلم (٢/ ٧٧٣، ح١٠٥٩)، والمجنبة هي الكتيبة التي تأخذ جانب الطريق. وهما مجنبتان، ميمنة وميسرة، بجانب الطريق، والقلب بينهما وعند ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٤١) أن المجنبة هي الميمنة، وانظر: الواقدي المغازي (٣/ ٨٩٦ ـ ٨٩٧).

(٤) الواقدي المغازي (٣/ ٨٩٦ ـ ٨٩٧).

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ١٤٤، ح٤٣١٧)، مسلم (٣/ ١٤٠٠ ـ ١٤٠١، ح١٧٧٦).

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ١٤٠، ح٤٣١٥)، مسلم (٣/ ١٣٩٨، ح١٧٧٥ ـ ١٧٧٦)، ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(٧) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(٨) البخاري: الفتح (١٢/ ٦٤، ح٢٩٣٠)، مسلم (٣/ ١٤٠٠ ـ ١٤٠١، ح١٧٧٦).

(٩) البخاري: الفتح (١٢/ ٦٤، ح٢٩٣٠) و(١٦/ ١٤٠، ح٤٣١٥)، مسلم (٢/ ٧٣٧، ح١٠٥٩).

(١٠) هذا قول بعض أهل الحديث وأهل السير انظر: ابن إسحاق، بإسناد حسن، ابن هشام (٤/ ١٢٢).

ومما يدل على الدور الكبير للطلقاء في هذه الهزيمة أن أم سُلَيم بنت مِلْحان طلبت من الرسول ﷺ أن يقاتلهم بحجة: أنهم انهزموا عنه، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن»[1].

كان الرسول ﷺ يمتطي بغلة له بيضاء - أو شهباء - تسمى دلدل، وهو يركضها وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركاب رسول الله ﷺ وعمه العباس آخذ بلجام البغلة، يكفانها عن الإسراع نحو العدو[2]. وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه، وهو على بغلة، وليست سريعة الجري، ولا تصلح للكرّ ولا للفرّ ولا للهرب، وهو مع هذا أيضاً يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من يعرفه، وما هذا إلا ثقة بالله وتوكلاً عليه وعلم منه بأنه سينتصر ويظهر دينه على سائر الأديان[3].

وأمر الرسول ﷺ عمه العباس - وكان قوي الصوت - أن ينادي الناس بالثبات، وخص منهم أصحاب بيعة الرضوان، فأسرعوا إليه كما تسرع الأمهات إلى أولادها، ثم خص الأنصار بالنداء، ثم بني الحارث بن الخزرج، فطفقوا إليه قائلين: لبيك لبيك، وعادت المعركة قوية ضد هوازن[4]، ونزل الرسول ﷺ عن بغلته وهو يدعو[5] الله أن ينصرهم، وقال: «أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب»[6]، وأخذ يقاتل والصحابة يقاتلون معه ويعلون به لشجاعته وثباته كعادتهم في مثل هذه المواقف العصيبة[7]. وعندما رأى الفارون موقفه وثباته وسمعوا صوت العباس

---

(١) مسلم (٣/ ١٤٤٢، ح١٨٠٩). وفي الحديث: أن أم سليم كانت تحمل خنجراً في يدها الغزوة، فرآها زوجها أبو طلحة، فأخبر الرسول ﷺ، فسألها الرسول ﷺ عن سبب حملها له، فقالت: «اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فضحك رسول الله ﷺ».

(٢) مسلم (٣/ ١٣٩٨، ح١٧٧٥). وانظر حاشية المحقق، محمد فؤاد.

(٣) انظر ابن كثير: التفسير (٤/ ٦٠).

(٤) مسلم (٣/ ١٣٩٨)، ح١٧٧٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن وبقريب منه. ابن هشام (٤/ ١٢٥)، وعبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٨٠ - ٣٨١)، بإسناد صحيح.

(٥) ويدعو عائد أيضاً في تلك اللحظات: «اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم»، رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢١) ويقال عنه ابن كثير في البداية (٤/ ٣٦٦): «إسناده ثلاثي على شرط الشيخين، ولم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه»، وصححه محققو الموسوعة (١٢٢٢٠).

(٦) البخاري. الفتح (٦/ ١٤٢، ح٢٩١٥)، مسلم (٣/ ١٤٠٠، ح١٧٧٦).

(٧) مسلم (٣/ ١٣٩٨ - ١٣٩٩، ح١٧٧٤)، ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٢٥).

يناديهم جاؤوا مسرعين ملبين الدعوة قائلين لبيك لبيك، حتى إن من لم يستطع أن يثني بعيره يتركه ويأخذ درعه وسيفه ورمحه حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ويجالد الأعداء. قال الرسول ﷺ عندما رأى المعركة تشتد: «هذا حين حَمِيَ الوَطِيسُ»[1]، ثم أخذ حَصَيَات، أو تراباً، فرمى به وجوه الكفار، وهو يقول: «شاهت الوجوه»، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، والرسول ﷺ يقول: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ محمد»، وفي رواية أخرى: «انهزموا ورب الكعبة - مرتين»[2].

وفي ضوء هذه الكيفية التي انهزم بها المشركون والمعجزة التي أجراها الله على يد نبيه محمد ﷺ يفهم قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٢٦][3]. فقد حكى أحد أفراد جيش هوازن أنهم عندما أرادوا الوصول إلى الرسول حال بينهم وبينه رجال حسان الوجوه، فقالوا: شاهت الوجوه، فارجعوا، فهزموا من ذلك الكلام[4].

وحكى شيبة بن عثمان أنه عندما أراد قتل الرسول ﷺ ثأراً لأبيه وعمه اللذين قتلهما علي يوم بدر، رفع له شواظ من نار حال بينه وبين الرسول ﷺ، كأنه البرق، فخاف أن يحرقه، فوضع يده على بصره وتقهقر، والتفت إليه الرسول ﷺ وطلب منه أن يدنو منه، فدنا منه، فقال: اللهم أذهب عنه الشيطان، فقذف الله الإيمان في قلبه، وطلب منه الرسول ﷺ أن يقاتل الكفار[5]. وفي رواية أخرى: أن شيبة قال للرسول ﷺ: يا رسول الله، إني أرى خيلاً بُلْقاً، فقال له الرسول: «يا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر»، فضرب على صدره ثم قال: «اللهم اهد شيبة - ثلاثاً»، فانقلب بغض

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٩٩، ح١٧٧٥)، ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٣٥)، وعنده: «الآن حمي الوطيس».

(٢) مسلم (٣/ ١٣٩٩، ح١٧٧٥، ١٧٧٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٨٦ ـ ١٨٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٠ ـ ٧٢).

(٤) أخرجه الذهبي في مغازيه ص٥٨٣، من رواية جعفر بن سليمان، وقال: «إسناده جيد».

(٥) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص٥٨٣، من رواية الوليد بن مسلم، وقال: غريب جداً، وفيه أبو بكر الهذلي وهو متروك، وابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٥٠)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٥)، وابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٢٤)، والواقدي (٣/ ٩٠٩ ـ ٩١٠)، وهذا يدل على أن للقصة أصلاً، وتشهد لها رواية جعفر بن سليمان الجيدة.

الرسول حباً عظيماً»[١].

وروى ابن إسحاق[٢] من حديث جُبير بن مُطْعِم أنه رأى قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الكِسَاءِ الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بينهم وبين القوم، فنظر فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم يشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

سَرِيَّةُ أَوْطَاس:

لم يثبت المشركون طويلاً في هذه الجولة الثانية من القتال، ففروا في نهاية اليوم مخلفين وراءهم كثيراً من القتلى والأموال[٣]، وكان الرسول ﷺ قد أمر بتعقب الفارين وجزْهم[٤] لكسر شوكتهم حتى لا يجتمعوا للحرب مرة أخرى، ولذا عندما فرغ من حنين بعث أبا عامر - عُبَيْد بن سليم بن حضار الأسلمي - على جيش إلى أَوْطَاس[٥] لقتال الكفار الذين عليهم دريد بن الصمة، فجالدهم أبو عامر الأشعري حتى استُشهد، وطلب من أبي موسى الأشعري، الذي خلفه في القيادة أن يبلغ الرسول ﷺ سلامه، وأن يطلب منه أن يستغفر له، فأكمل الأشعري المهمة وهزم الله على يديه الأعداء، وبلغ رسالة أبي عامر، فدعا الرسول ﷺ لأبي عامر[٦].

وفي رواية أنه عندما انهزم المشركون انحاز دريد بن الصمة في ستمئة نفس إلى جبيل أو أكمة، فلحق بهم الزبير بن العوام وجماعة من المسلمين فقتلوا على ثلاثمئة منهم، منهم دريد بن الصمة نفسه[٧].

---

(١) أخرجه النحي في مغازيه، ص٥٨٤، والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، وفي إسناد هذه الرواية أبو بكر الهذلي، وهو متروك، فالإسناد ضعيف جداً.

(٢) رواه بإسناد منقطع: ابن هشام (٤/ ١٣١)، والمنقطع ضعيف كما قلنا.

(٣) انظر مثلاً: ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

(٤) من رواية البزار في كشف الأستار (٢/ ٣٤٩) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨١): «ورواه البزار ورجاله ثقات».

(٥) أوطاس: واد في ديار هوازن، كما في معجم البلدان (١/ ٢٨١).

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ١٥٦، ح٤٣٢٣)، مسلم (٤/ ١٩٤٣، ح٢٤٩٨).

(٧) كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨٧): «رواه البزار، وفيه علي بن عاصم وهو ضعيف لكثرة غلطه وتناقضه فيه، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات». وحسن ابن حجر هذا الحديث كما في الفتح (١٦/ ١٥٦).

والذي نرجّحه أن الزبير بن العوام كان في جماعة أبي عامر، فباشر قتل ابن الصمة، لأن رواية البخاري لم تبين القاتل، وقيل: إن الذي قتله رَبِيْعَة بن رُفَيع[١]، وقيل عبد الله بن قُنَيْع بن أَهْبَان بن ثَعْلَبَة بن رَبِيعَة[٢].

لقد انجلت المعركة عن نصر مبين للمسلمين، ومقتل وجرح عدد كبير من هوازن وثقيف. فقد روي أن قتلى بني مالك من ثقيف لوحدها قد بلغ سبعين قتيلاً[٣]، ولم يقتل من الأحلاف سوى رجلين، أحدهما من بني فِهْرَة والآخر من بني كُنَّة[٤]. وقتل بأوطاس من بني مالك ثلاثمئة، ومعهم دريد بن الصمة، كما ذكرنا، وقتل خلق كثير من بني نصر بن معاوية ثم من بني رِئاب، حيث استحر فيهم القتل، حتى قال عبد الله بن قيس - وكان مسلماً: «يا رسول الله، هَلَكَتْ بنو رِئاب، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجبر مُصِيبَتَهُم»[٥].

وعندما لجأ المشركون إلى أوطاس ولحق بهم المسلمون، قتل أبو عامر وحده تسعة إخوة منهم قبل أن يستشهد، وقتل أبو موسى الأشعري أخوين من بني جُشَم بن معاوية[٦]. وقتل أبو طلحة وحده يوم حنين عشرين رجلاً من المشركين وأخذ سلبهم، لأن رسول الله ﷺ قد أباح سلب المشرك لقاتله[٧].

ونهى رسول الله ﷺ يومذاك عن قتل النساء والأطفال والأجراء وكل من لا يحمل السلاح، وذلك عندما مرَّ بامرأة قتلها خالد بن الوليد[٨] والناس متزاحمون عليها، وقال: «ما كانت هذه تقاتل»[٩].

---

(١) ابن إسحاق، بإسناد معلق: ابن هشام (٤/ ١٣٦) وقد جزم بذلك.

(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٣٨)، ورواه بصيغة التمريض «ويقال».

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٢) ونسبه إلى البخاري في التاريخ الكبير، عن أبي عاصم، وفيه أن من قتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر.

(٤) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٣٣).

(٥) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٣٩)، وابن سعد (٢/ ١٥٢) معلقاً، والواقدي (٣/ ٩١٦).

(٦) ابن هشام، بإسناد منقطع (٤/ ١٤٢).

(٧) أبو داود: السنن (٣/ ١٦٢، ح٢٧١٨)، وقال: «هذا حديث حسن».

(٨) ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ابن هشام (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٩) من رواية الحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٢)، وصححه وأقره الذهبي ولكن لم يعين الغزوة، وأحمد في المسند: الرباني (١٤/ ٦٤)، وأبي داود في السنن (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢، كتاب الجهاد، باب في =

أما بالنسبة للسبي والغنائم، فقد روي أن سبي حنين قد بلغ ستة آلاف من النساء والأبناء[١]، وأن الأموال كانت أربعة آلاف أوقية فضة، وأن الإبل كانت أربعة وعشرين ألفاً، وأن الشياه أكثر من أربعين ألف شاة[٢].

وحبس الرسول ﷺ هذا السبي والغنائم بالجِعْرَانَة ليتصرف فيها بعد الفراغ من أمر الطائف، كما سنرى.

وروي أن الشَّيماء بنت الحارث كان ممن وقع في الأسر، فادعت أنها أخت الرسول ﷺ من الرضاعة، فقال لها الرسول ﷺ: «وما علامة ذلك؟»، قالت: عَضَّة عَضِضْتَنيها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ، فعرف الرسول ﷺ العلامة، فمتعها وردها إلى أهلها كما طلبت»[٣].

وروي أن أمه من الرضاعة – حليمة السعدية – جاءته، فأكرمها وبسط لها ثوبه لتجلس عليه[٤].

وكانت خسارة المسلمين طفيفة جداً. فقد استشهد أربعة منهم، هم: أبو عامر

= قتل النساء، ح٢٢٦٩) والبوصيري في المصباح (٢/ ٤١٨) وقال: «هذا إسناد صحيح، المرقع بن صيفي ذكره ابن حبان في الثقات ولم أر من جرحه»، فيكون الحديث حسناً لحال المرقع هذا، علماً بأن الغزوة لم تعين من هذه الطرق. وفي الحديث النهي عن قتل الأصناف المذكورة.

(١) عبد الرزاق: المصنف (٥/ ٣٨١)، وابن سعد (٢/ ١٥٥) من رواية الزهري عن ابن المسيب، مرسلاً، الطبري: التاريخ (٤/ ٨٢)، من رواية ابن هشام وعروة عن أبيه، مرسلاً، وبصيغة التمريض «يزعمون» وابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٨٣).

(٢) ابن سعد (٢/ ١٥٢)، معلقاً، وقال ابن إسحاق عن الإبل والشاء إنه لا يدري كم عددها: ابن هشام (٤/ ١٨٢).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد منقطع: ابن هشام (٤/ ١٤٤)، والذهبي: المغازي، ص٦١٠، من مرسل قتادة، وفيه الحكم بن عبد الملك، ضعفه ابن معين: التاريخ (٢/ ١٥٢، رقم ١٣٢٢)، إذ قال فيه: «ليس بشيء».

(٤) الطبري: التفسير (١٠/ ١٠١)، من مرسل قتادة بإسناد حسن، وابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ٢٧٠) من مرسل عطاء بن يسار، البخاري: الأدب المفرد (٤٤٠)، وأبو داود: السنن (٥/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤، ح٥١٤٤ ـ ٥١٤٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٨)، (١٦٤) وصححه، أبو داود: المراسيل بإسناد معضل كما في البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٤٠٨)، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٤٠٨): «وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه، والله أعلم بصحته».

الأسلمي، وأيمن بن عُبَيد، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود، وسُرَاقَة بن الحارث[١]. وجرح عدد منهم، منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي[٢]، وعبد الله بن أبي أوفى[٣]، وخالد بن الوليد[٤].

عندما انهزمت هوازن وثقيف وأحلافهم تفرقوا في الأودية والجبال، فلجأت ثقيف بقيادة مالك بن عوف إلى حصونها بالطائف، ولجأ آخرون إلى وادي أوطاس، وانحاز بنو غيرة إلى نخلة. وقد تبعت خيل المسلمين من سلك إلى نخلة، ولم تتبع من سلك إلى الثنايا[٥].

◻ المبحث الثاني: غزوة الطائف: ◻

بعد أن تعقب المسلمون فلول الهاربين من هوازن في أوطاس ونخلة، توجهوا للقضاء على ثقيف التي فرت من حنين وأوطاس وتحصنت بحصونها المنيعة في الطائف، وأغلقت أبوابها بعد أن جمعت ما يكفيها من المؤن الغذائية للصمود لمدة عام، واتخذت وسائل دفاعية تمكنها من الصمود مدة طويلة، ورممت حصونها وأوقدت عُرْوَة بن مسعود وغَيْلان بن سَلَمَة إلى جُرَش ليتعلما صنعة الدَّبَّابَات[٦] والمَجانيق[٧]، والضُّبُور[٨]، ولذا لم يحضرا حنيناً مع قومهما[٩].

ووصل المسلمون إلى حصون الطائف في نحو نهاية الأسبوع من شوال كما

---

(١) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٤٥).

(٢) البزار، كشف الأستار للهيثمي (٣/ ٣٤٦) وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٥٦) شرح الحديث (٤٣٢٣)، ووصف متنه بأنه منكر.

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠، ح٤٣١٤).

(٤) الحميدي: المسند (٢/ ٣٩٨)، بإسناد صحيح.

(٥) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٢٦).

(٦) الدبابات: آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود، ويدخل فيها الرجال، ويتصلون بحائط فينقبون من أهله.

(٧) انظر: وصفها في كتاب: «الرسول القائد» للواء ركن محمود شيت خطاب، ص٢٥٤.

(٨) الضبور: شيء يُتَّقى به عند الانصراف.

(٩) ابن إسحاق معلقاً، ابن هشام (٤/ ١٧٠ ـ ١٧١)، ابن سعد (٢/ ١٥٨)، معلقاً والمعلق ضعيف.

يستنتج من وقائع الأحداث[١]، ونزلوا قريباً من حصونهم، ثم تحولوا إلى منطقة أكثر بعداً من مدى سهام ثقيف، التي تسببت في استشهاد اثنى عشر مسلماً وجرح عدد منهم[٢]، وبنوا فيها مسجداً، يعرف اليوم بمسجد عبد الله بن عباس، وكانت الطائف آنذاك جنوبي غربي المسجد[٣].

ولما كان القتال تراشقاً بالسهام على بُعد، استخدم المسلمون «الدبابة»[٤] ليحتموا بها من السهام، حتى يصلوا إلى الحصن فيثقبوه، وعندما رأتهم ثقيف، ألقت عليهم قطعاً من حديد محماة فأحرقت «الدبابة»، فخرج أصحابها من تحتها فأصابوهم بالسهام، فقتلوا منهم رجالاً[٥].

واستخدم المسلمون المجانيق في رمي أهل الطائف، وهم أول من رمى في الإسلام بالمجانيق[٦]. وقد بذلوا الوسع في الرمي به، لا سيما وقد وعدهم الرسول ﷺ درجة في الجنة عندما قال لهم: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ في سبيل الله فَلَهُ درجةٌ في الجنة، ومن رَمَى بِسهم في سبيل الله عز وجل فَهُوَ له عَدْلُ مُحَرَّرٍ [أي مثل ثواب تحرير رقبة]، ومن أصابه شيب في سبيل الله عز وجل فهو له نور يوم القيامة»[٧].

وقد تباينت الروايات الضعيفة فيمن جاء بالمجانيق أو صنعها، فهناك من يذكر أنه خالد بن سعيد، ومن يذكر أنه سلمان الفارسي، ومن يذكر أنه الطفيل بن

(١) سبق القول إنهم وصلوا حنيناً في العاشر من شوال، وكانت المعركة في اليوم الحادي عشر منه، وتعقبوا فلول المنهزمين لمدة أسبوع تقريباً، ثم ساروا إلى الطائف عبر طريق طويلة، فيكون وصولهم إليها في نحو نهاية الأسبوع الثالث.

(٢) بن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب: ابن هشام (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦)، ابن سعد (٢/ ١٥٨) معلقاً، وقد حدد عدد القتلى بينما أطلقه ابن إسحاق.

(٣) البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة ص٢١٣ ـ ٢١٤، ٣١٦.

(٤) كة من الخشب السميك المغلف بالجلود مركبة على عجلات مستديرة، يدخل فيها الرجال، فيدبون بها الأسوار لينقبوها، كما سبق ذكره.

(٥) بن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٦) بن هشام، بإسناد منقطع (٤/ ١٧٦)، أبو داود: «المراسيل»، طبعة محمد علي صبيح، مصر، ص٣٧، بإسناد صحيح إلى مكحول، وبإسناد آخر إلى عكرمة مولى ابن عباس، وقد احتج الشافعي بهذه الواقعة، انظر الشافعي: الأم (٤/ ١٦١).

(٧) أحمد: المسند (٤/ ١١٣، ٣٨٤)، بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (٥/ ٣٠٤، ح١٦٣٧ ـ ١٦٣٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، النسائي: السنن (٦/ ٢٧).

عمرو[١].

وفي محاولة لإضعاف معنويات ثقيف شرع المسلمون في حرق بساتين نخيلهم وعنبهم، فناشدوه أن يدعها لله وَلِلرَّحِمِ، فاستجاب لهم، بعد أن حققت المحاولة أهدافها[٢].

ونادى منادي رسول الله ﷺ: «أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فنزل إليهم ثلاثة وعشرون، منهم أبو بَكْرَة - نُفَيع بن مَسْرُوح - الثقفي، فأسلموا، فأعتقهم النبي ﷺ ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم[٣].

وعندما استعصى الحصن على المسلمين واستشهد اثنا عشر رجلاً[٤]، بينما لم يقتل من المشركين سوى ثلاثة[٥]، دعا رسول الله ﷺ إلى فك الحصار، فثقل ذلك على المسلمين واستنكروه، وعندما كثرت فيهم الجراحات، ودعاهم الرسول ﷺ إلى فك الحصار مرة أخرى، أعجبهم ذلك، فتبسم الرسول ﷺ، فارتحلوا[٦]، والرسول ﷺ يطمع في هدايتهم ويرفض طلب بعض المسلمين في الدعاء عليهم ويدعو لهم قائلاً: «اللهم اهد ثقيفاً»[٧]، ويروى أن الله لم يأذن له في أهل

---

(١) جزم الواقدي (٣/ ٩٢٧ - ٩٢٣) مرة بأن سلمان الفارسي عمل المنجنيق بيده ومرة أخرى بأن الطفيل بن عمرو قدم بدبابة ومجانيق عندما عاد من مهمته الخاصة بهدم صنم عمرو بن حممة: ذي الكفين، ثم ساق أقوالاً أخرى بصيغة التمريض فقال: «ويقال قَدِمَ بالمنجنيق يزيد بن زمعة ودبابتين: ويقال الطفيل بن عمرو!! ويقال خالد بن سعيد قدم من جرش بمجانيق ودبابتين». والمنجنيق آلة ترمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها لدك الحصون ومن فيها، وهي لفظة معربة.

(٢) البيهقي: السنن (٩/ ٨٤) بإسناده مرسلاً إلى موسى بن عقبة وعروة وغيره مجاهيل، وابن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب: ابن هشام (٤/ ١٧٧).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١٦١، ح٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، ولم يذكر إسلامهم، عبد الرزاق: المصنف (٥/ ٣٠١، ح٦٩٨٢) والطبراني كما في المجمع (٤/ ٢٤٥)، وقال: «رجاله رجال الصحيح»، وسُمّي نفيع بن مسروح بأبي بكرة لأنه نزل من الحصن ببكرة.

(٤) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٧٩)، أحمد: المسند (١/ ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٨) وفي إسناده الحجاج بن أرطاة، صدوق مدلس، وقد عنعن.

(٥) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٨٠ - ١٨٢)، وقد سماهم ونسبهم.

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ١٥٩ - ١٦٠، ح٤٣٢٥)، مسلم (٣/ ١٤٠٢ - ١٤٠٣، ح١٧٧٨).

(٧) الترمذي: السنن (٩/ ٤٢٣، ح ٣٩٣٧) وقال: «حسن صحيح غريب»، وقال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص٤٣٢: «صحيح على شرط مسلم لولا عنعنة ابن الزبير - راويه - وهو مدلس»، =

الطائف[١].

لقد تباينت الروايات حول المدة التي قضاها الرسول ﷺ في حصار الطائف. فيرى عروة وابن عقبة[٢] أنها كانت بضع عشرة ليلة، وفي رواية عن عروة أنها كانت نصف شهر[٣]. ويذكر ابن إسحاق[٤] مرة أنها بضع وعشرون ليلة، ومرة أنها ثلاثون ليلة أو قريب من ذلك[٥]. ويذكر ابن هشام[٦] أنها سبع عشرة ليلة، ويروي مسلم[٧] وأحمد[٨] أنها أربعون يوماً.

والذي يكاد يتفق مع مجريات الأحداث هو ما ذكره موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن هشام، وما في الصحيح أصح.

عاد الرسول ﷺ مرة أخرى إلى الجعرانة حيث ترك غنائم حنين قبل أن يتحرك لحصار الطائف. وعندما عاد لم يقسم هذه الغنائم سوى بعض الفضة[٩]، واستأنى بها بضع عشرة ليلة، آملاً في قدوم هوازن عليه ودخولها في الإسلام[١٠]، ثم وزعها

= ابن سعد (٢/ ١٥٩) معلقاً، ابن إسحاق ـ معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٨٣) وزاد فيه: «... وأنبه بهم» وفي حديث عروة من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود مرسلاً، كما في مغازي الذهبي، ص٥٩٦، وقال: «اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم».

(١) من حديث عروة، من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود، ومن حديث موسى بن عقبة من رواية ابن أخيه ـ مرسلاً ـ كما في مغازي الذهبي، ص٥٩٢، ورواية ابن سعد (٢/ ١٩٥) من حديث الحسن البصري ـ مرسلاً ـ وابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ١٧٨).

(٢) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ١٧٥)، والسنن الكبرى (٩/ ٨٤) بإسناد مرسل، وفي سند عروة أبو علاثة ـ محمد بن عمرو بن خالد ـ وفي سند موسى بن عقبة أبو عتاب، محمد بن عبد الله، ولا توجد لهما ترجمة.

(٣) الطبري: التاريخ (٣/ ٨٢) بإسناد مرسل حسن.

(٤) ابن هشام (٤/ ١٧٦) مرسلاً من حديث عمرو بن شعيب.

(٥) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ١٦٩) بإسناد مرسل حسن إلى شيخه، ولم يسم شيخاه من حدثهما.

(٦) السيرة (٤/ ١٧٦) معلقاً وبصيغة التمريض: «يقال».

(٧) الصحيح (٢/ ٧٣٦، ح١٠٥٩) من رواية السمط.

(٨) المسند (٣/ ١٥٧) من رواية السمط، ولم يوافق ابن كثير على هذه المدة، فقال: «وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة»: البداية والنهاية (٤/ ٣٩٩).

(٩) الحاكم: المستدرك (٢/ ١١١) وصححه وسكت عنه الذهبي.

(١٠) البخاري: الفتح (١٦/ ١٤٦، ح٤٣١٨، ٤٣١٩)، وقد أورد الذهبي في مغازيه، ص٦٠٥، هذا الحديث وفيه أنه انتظرهم تسع عشرة ليلة، ولم نجد هذا التحديد في المطبوع من الصحيح، =

بعد ذلك على المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً. فقد أعطى مائة من الإبل لكل من عُيَيْنة بن حِصْن - من زعماء غطفان - والأقرع بن حابس - من زعماء تميم - وعَلْقَمَة بن عُلاثة والعباس بن أمية - من زعماء قريش[١]. وقد أحصى ابن إسحاق[٢] اثنى عشر رجلاً ممن نال مائة من الإبل، ستة منهم ذكرهم البخاري ومسلم. وممن زادهم على ما في البخاري ومسلم: معاوية بن أبي سفيان، والحارث بن الحارث، ومالك بن عوف، والعلاء بن جَارِيَة، والحارث بن هشام، وحُويطب بن عبد العزى، ولم يذكر من قائمة البخاري ومسلم: عَلْقَمة بن عُلاثة والعباس بن مِرْدَاس، وذكر خمسة من أعطوا أقل من مائة[٣].

وأورد ابن هشام[٤] قائمة بأسماء تسعة وعشرين رجلاً من المؤلفة قلوبهم ممن أعطوا من غنائم حنين، ولم يحدد عدد الإبل التي نالها كل واحد منهم. وهناك من أوصل عددهم إلى سبعة وخمسين رجلاً[٥].

بل عندما رأى صفوان منبهراً بأنعام حنين، وبعد إعطائه مائة من الإبل، قال له ﷺ: «أبا وهب: يعجبك هذا الشِّعب؟» - أي الوادي بين جبلين مملوءاً إبلاً وشياه - فقال: (نعم، فقال ﷺ: «هو لك وما فيه»[٦].

وكان هذا الموقف تجاه المؤلفة قلوبهم لحكمة وضحها الرسول ﷺ للأنصار عندما غضبوا من هذا التوزيع وحرمانهم من الغنيمة، وبلغ الرسول ﷺ قول بعض أحداثهم: «إذا كانت الشدة نُدْعَى، وتُعطى الغنائمُ غيرَنا»، أو «يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم!»[٧]، فجمعهم وقال لهم: «أما ترضون

وعند الواقدي (٣/ ٩٥٨) أنها ثلاث عشرة ليلة.

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٧١، ح٤٣٣٥)، مسلم (٢/ ٧٣٧، ح١٠٦٠)، وانظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٧٢).

(٢) ابن هشام (٤/ ١٩٠)، معلقاً.

(٣) ابن هشام (٤/ ١٩٠ ـ ١٩١)، معلقاً.

(٤) السيرة (٤/ ١٩٢ ـ ١٩٤) بإسناد منقطع، إذا لم يسم من حدثه، وبقية رجاله ثقات.

(٥) انظر: الدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص٦٤٩.

(٦) الواقدي: المغازي (٣/ ٩٤٦).

(٧) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٣٧، ح٣١٤٧)، مسلم (٢/ ٧٣٣ ـ ٧٣٥، ح١٠٥٩).

أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبوا برسول الله ﷺ تَحُوزُنَه إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، يا رسول الله رضينا. فقال: «لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار شِعْباً، لأخذت شِعْب الأنصار»[١]، وقال في رواية: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ الأنصار شِعَار والناس دِثَار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار...»[٢]، وقال: «إني أعطي قوماً أخاف ظلعهم وجزعهم، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تَغْلِب، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمُرُ النَّعَم»[٣]، وقال: «إني لأعطي رجالاً حَدِيثٌ عهدهم بكفر»[٤]، وفي رواية: «إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم»[٥]، وقال: «أَوَجَدْتُم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم... اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»[٦]، وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه، خشية أن يُكَبَّ في النار على وجهه»[٧].

وعندما سمع الأنصار ما قاله لهم الرسول ﷺ، عرفوا الحكمة من ذلك التقسيم، وبكوا حتى ابتلت لحاهم بدموعهم، وقالوا: «رضينا برسول الله قَسْماً وحَظّاً»[٨].

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٧٠، ح٤٣٣١ ـ ٤٣٣٤، ٤٣٣٧)، مسلم (٢/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦، ح١٠٥٩)، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته: ابن هشام (٤/ ٢٠٠).

(٢) مسلم (٢/ ٧٣٩، ح١٠٦١)، والشعار الثوب الذي يلي الجسد، والدثار ثوب فوقه، يعني أن الأنصار هم الخاصة والبطانة والأصفياء، وألصق الناس به من سائرهم.

(٣) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، ح٣١٤٥).

(٤) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٣٨، ح٣١٤٧)(مسلم (٢/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤، ح١٠٥٩).

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ١٧١، ح٤٣٣٤)، مسلم (٢/ ٧٣٥، ح١٠٥٩).

(٦) من رواية ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته: ابن هشام (٤/ ١٩٩)، وروى الدعاء البخاري: الفتح ٢٩١، وما بعدها كتاب مناقب الأنصار ومسلم (٤/ ١٩٤٨، ح٢٥٠٦)، وأحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، ويتقوى بالشواهد والمتابعات المذكورة هنا مع اختلاف في اللفظ عند البخاري.

(٧) مسلم (٢/ ٧٣٣، ح١٠٥٠).

(٨) مسلم (٢/ ٧٣٤، ح١٠٥٩)، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته: ابن هشام (٤/ ٢٠٠)، وأصله في البخاري: الفتح (١٦/ ١٦٩، ح٤٣٣١)، ومسلم (٢/ ٧٣٤، ح١٠٥٩).

واتضحت لهم الحكمة عملياً عندما رغب هؤلاء المؤلفة قلوبهم في الإسلام وحسن إسلامهم وانخرطوا في الجهاد، إلا القليل جداً منهم، مثل عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس. وقد عبر عن هذه الظاهرة الإمام مالك بن أنس[١] قائلاً: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها». وعبر صفوان بن أمية عن التحول الذي حدث نتيجة لهذا الموقف الكريم من الرسول ﷺ فقال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأَبْغَضُ الناسِ إليّ، ما بَرِحَ يُعْطِيني حتى إنه لأَحَبُّ الناس إليّ»[٢]. وكان حَكِيم بن حِزَام كلما أعطاه سأله المزيد، فوعظه الرسول ﷺ قائلاً: «يا حكيم، إن هذا المال خَضِرٌ حُلْوٌ، فمن أخذه بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ له فيه، ومن أخذه بِإِشْرَافِ نفس لم يُبَارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكل وَلَا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، فقال حكيم: «والذي بعثك بالحق لا أَرْزَأُ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا»، فلم يأخذ عطاءه من بيت المال حتى توفي[٣].

وعندما لم تتضح حكمة هذا التقسيم لدى بعض جُفَاةِ الأعراب - أيضاً - قال أحدهم للرسول ﷺ: «يا محمد! اعدل»، فقال له الرسول: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فاستأذن عمر النبي ﷺ في ضرب عنقه، فقال له النبي ﷺ: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي! إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يُجَاوِزُ حناجرهم، يَمْرُقُون منه كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة»، واللفظ لمسلم. وفي رواية ثانية له زاد: «... إن من ضِئْضِئِ[٤] هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان... لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». وجاء وصف هيئته في هذه الرواية: كث اللحية، مشرف[٥]، غائر العَيْنَين، ناتئ[٦] الجبين، محلوق الرأس. وزاد مسلم في رواية

---

(١) مسلم (٤/١٨٠٧، ح٢٣١٢).

(٢) مسلم (٤/١٨٠٦، ح٢٣١٣).

(٣) البخاري: الفتح (١٢/٢٣٥، ح٣١٤٣)، مسلم (٢/٧١٧، ح١٠٣٥)، ويبدو أن الدكتور العمري قد سها عندما ذكر صفوان بن أمية بدلاً من حكيم بن حزام، انظر: المجتمع، الجهاد، ص٦١٦. وأرزأ أحداً: أي أسأل أحداً.

(٤) إن من ضِئْضِئِ: أي أصل.

(٥) مشرف: غليظها

(٦) ناتئ: بارز.

ثالثة: «... مُشَمَّرُ الإزار»[١]. وازدحموا على الرسول ﷺ وهو يقسم الغنائم، حتى علق رداؤه بغصن شجرة، فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاه - شجر الشوك - نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»[٢]. وجبذه أحدهم جبذة شديدة أثرت في عاتقه لخشونة البرد الذي كان عليه، وقال: «مر لي من مال الله الذي عندك»، فالتفت إليه الرسول ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء[٣]. ودل هذا الموقف من الأعراب على أن معظمهم إنما خرج للمغنم، ودل موقف الرسول ﷺ من تصرفاتهم على صبره وحكمته في تربية أمثال هؤلاء الأعراب.

بعدما فرغ الرسول من توزيع الغنائم، قدم عليه وفد هوازن يعلن إسلامهم، ويطلب رد الأموال والسبي إليهم، فخيرهم بين المال والسبي، فاختاروا السبي. فاستشار الرسول ﷺ أصحابه في الأمر، ومما قال لهم: «من أحب أن يُطَيِّبَ فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حَظِّهِ حتى نُعْطِيَهُ إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله لهم. فقال: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يَرْفَعَ إلينا عُرَفَاؤُكم أمركم»، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا فأذنوا[٤]، سوى الأقرع بن حابس، الذي تكلم باسم قبيلته تميم، وعيينة بن حصن الذي تكلم باسم قبيلته فزارة، فوعدهم الرسول ﷺ بتعويضهم عنها[٥].

وسأل الرسول ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف، وطلب منهم أن يخبروه إن

---

(١) مسلم (٢/ ٧٤٠، ح١٠٦٢)، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، وابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ١٩٥) واسم الرجل عنده: ذو الخُوَيصِرَة التميمي، أصل الخوارج، الذين خرجوا على علي ﷺ، ثم قتله أحدهم، وهو عبد الرحمن بن ملجم، الذي رثاه شاعرهم قائلاً:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله إنسانا
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم ... لم يخلطوا ميتهم بغياً وعدوانا

انظر في هذا: الذهبي: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٥)، وانظر الرد على هذه الأبيات - معارضة - من شعر بكر بن حماد التاهرتي، من معاصري البخاري.

(٢) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٣٨، ح٣١٤٨).

(٣) المصدر نفسه (ح٣١٤٩).

(٤) المصدر نفسه (١٢/ ٢١٩، ح٣١٣١، ٣١٣٢).

(٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته: ابن هشام (٤/ ١٨٥)، ورواه غيره.

أتاه مسلماً رد عليه أهله وماله ومنحه مائة من الإبل، وعندما أخبروه بذلك احتال في الخروج من الطائف، خشية أن يقتله قومه ثقيف، ولحق بالرسول ﷺ بالجِعْرَانة أو بمكة، فأعطاه الرسول ﷺ ما وعد به، وأسلم، وحسن إسلامه، فاستعمله الرسول ﷺ على من أسلم من قومه: فكان يقاتل بهم ثقيفاً[١].

ومال بعض زعماء ثقيف للإسلام، منهم عُروة بن مسعود الثقفي، فلحق بالرسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة بعد أداء العمرة، فأعلن إسلامه، وعاد داعياً إلى الإسلام في قومه، فقتلوه، ودفن مع شهداء المسلمين في حصار الطائف حسب وصيته[٢].

وبعد عودة الرسول ﷺ من تبوك في رمضان من العام التاسع، جاء وفد ثقيف معلناً إسلامهم، كما سنرى في خبر الوفود.

◻ المبحث الثالث: أهم الأحكام المستنبطة من غزوتي حنين والطائف ◻

١ - جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، جاء ذلك عندما سأل الصحابة الرسول ﷺ في سبي أوطاس فنزلت الآية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤][٣].

٢ - النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين[٤]. وقد تكرر هذا النهي في عدة مناسبات.

---

(١) ابن إسحاق، مرسلاً، ابن هشام (٤/ ١٨٧)، الطبراني: من طريق ابن إسحاق، كما في المجمع (٦/ ١٨٩)، ورجاله ثقات، الطبري: التاريخ (٣/ ٨٨ - ٨٩)، من طريق ابن إسحاق موصولاً، وفيه ابن حميد، فيه ضعف، ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله ثقات، وموسى بن عقبة في مغازيه كما في الإصابة (٣/ ٣٥٢)، وأبو الأسود عن عروة في مغازي ابن عائذ باختصار ومرسلاً كما في الإصابة (٣/ ٣٥٢)، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٤٦ - ٣٤٧).

(٣) انظر في تفسيرها: ابن كثير: التفسير (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤). وانظر في هذا الأحاديث: مسلم (٢/ ١٠٧٩ - ١٠٨٠، ح٣٣ - ٣٥، ١٤٥٦) وغيرها.

(٤) أحمد: المسند (٣/ ٤٨٨)، وقد حسن الألباني إسناده في الإرواء (٥/ ٣٥)، الحاكم (٢/ ١٢٣) وصححه ووافقه الذهبي، أبو داود: السنن (٣/ ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ح٢٦٦٩، ٢٦٧٢).

٣ - إقامة الحد في دار الحرب، فقد فعل ذلك النبي ﷺ بشارب الخمر في حنين[١].

٤ - منع المخنثين من الدخول على النساء الأجنبيات، وذلك عندما سمع الرسول ﷺ أحد المخنثين - في بيت أم سلمة - يصف بَادِيَة بنت غَيْلان الثقفي لأخيها عبد الله، ويطلب منه أن يحصل عليها، وذلك قبيل حصار الطائف، فقال ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن»[٢].

٥ - جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم، إذا رأى الإمام أن في ذلك سبباً لدخولهم في الإسلام، أو كف أذاهم، أو فيه مصلحة للمسلمين.

٦ - تشريع العمرة من الجعرانة للداخل إلى مكة، كما فعل الرسول ﷺ بعد الفراغ من توزيع غنائم حنين[٣]. أما الخروج من مكة إلى الجعرانة للإحرام منها فهو ما يفعله العوام وليس بسنة[٤].

٧ التأكيد على إباحة سَلَب المشرك لقاتله.

٨ - جواز الاستفادة من أدوات الحرب التي يمتلكها المشركون، كما فعل الرسول ﷺ عندما استعار دروعاً من صفوان بن أمية مع ضمانه لها، على أن لا يكون في ذلك أي تأثير على صيغة الحرب.

٩ - جواز نصب المنجنيق على الكفار، ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية[٥].

١٠ - جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويغيظهم، وهو أنكى لهم.

١١ - من كمال رأفته ورحمته ﷺ أن يدعو بالهداية لمن حاربوه وقتلوا جماعة من أصحابه، كما فعل الرسول ﷺ مع أهل الطائف - ثقيف[٦].

---

(١) أحمد: المسند (٤/ ٣٥٠)، أبو داود: السنن (٤/ ٦٢٧ - ٦٢٨، كتاب الحدود، باب إذا تتابع في شرب الخمر، ح٤٤٨٧، ٤٤٨٨)، وقال المحققان «في هذين الطريقين انقطاع» قلت: لم يصرح في الطريق الأول باسم الغزوة وصرح باسمها في الطريق الثاني، ح٤٤٨٨)، وروى الدارقطني في السنن (٣/ ١٥٧ - ١٥٨)، وفي إسناده عبد الله بن عبد الرحمن بن زاهر، وهو مقبول.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ١٥٨ - ١٥٩، ح٤٣٢٤)، واللفظ له، مسلم (٤/ ١٧١٥، ح٢١٨٠)، وغيرهما.

(٣) البخاري: الفتح (٨/ ٨٦، ح١٧٧٨)، مسلم (٣/ ٩١٦، ح١٢٥٣)، وغيرهما.

(٤) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٠٤).

(٥) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٠٣ - ٥٠٦).

(٦) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٠٣ - ٥٠٦).

١٢ - لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً بعد يوم، فإنها شعائر الكفر، وهي أعظم المنكرات[١]، كما فعل الرسول ﷺ مع ذي الكفَّين وإرسال أبي موسى الأشعري لهدمه - سيأتي ذكره في أول الفصل التالي.

١٣ - إن وادي وَجّ - هو واد بالطائف - ليس بحرم، وإن الأحاديث الواردة في أنه حرم ضعيفة[٢].

١٤ - جواز خروج بعض النساء مع أزواجهن في الغزو، لعلاج الجرحى وسقيهم، بدليل خروج أم سُلَيم بنت ملحان مع زوجها أبي طلحة إلى غزوتي فتح مكة وحنين، كما ثبت في صحيح مسلم (٣/ ١٤٤٢/ ح١٠٨٩).

ولا يعارضه حديث أم كَبْشَة العُذْرية القُضَاعية التي روى ابن أبي شيبة وغيره أنها قالت: يا رسول الله، إني لست أريد أن أقاتل، إنما أريد أن أداوي الجريح والمريض أو أسقي المريض.

فقال رسول الله ﷺ: «لولا أن تكون سنة ويقال فلانة خرجت لأذنت لك ولكن اجلسي».

فالحديث كما حققه الدكتور خالد الدريس، فيه انقطاع، لعدم ثبوت اللقاء بين سعيد بن عمرو وأم كبشة، ورجاله ثقات.

---

(١) انظر: الدكتور العمري: المجتمع المدني، الجهاد، حاشية ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) ابن سعد (٢/ ١٥٧) معلقاً، من رواية شيخه الواقدي: الواقدي (٣/ ٩٢٢ ـ ٩٢٣).

الفصل الثالث والعشرون

السرايا والأحداث التي وقعت بين غزوتي الطائف وتبوك

◻ المبحث الأول: سرية الطُّفَيل بن عمرو إلى ذي الكَفَّين ◻

عندما أراد الرسول ﷺ المسير إلى الطائف، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين: صنم عمرو بن حُمَمَة الدوسي ليهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف. فخرج سريعاً إلى قومه، فهدم ذا الكفين، وحرقه وانحدر معه من قومه أربعمائة، فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه إليها بأربعة أيام، ومعه دباية ومنجنيق[1].

◻ المبحث الثاني: إسلام كَعب بن زُهير عند منصرف الرسول ﷺ من الطائف ◻

كان كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى المُزَنِيّ من الشعراء المخضرمين المرموقين، وأبوه زهير بن أبي سلمى صاحب إحدى المعلقات السبع المعروفة. وكان ممن يهجو النبي ﷺ ويؤذيه. وروى قصته وقصة أخيه بُجَير ابن إسحاق[2] والبيهقي[3]، بإسناد متصل إليه، وفيها أنه خرج مع أخيه بُجَير حتى أتيا أَبْرَقَ العَزَّافِ[4]، طلب بجير من أخيه كعب أن يبقى في هذا المكان حتى يأتي محمد ﷺ ويسمع ما يقول، فعندما

---

(١) ابن سعد (٢/ ١٥٧) معلقاً، من رواية شيخه الواقدي: الواقدي (٣/ ٩٢٢ ـ ٩٢٣).

(٢) ابن هشام (٤/ ٢٠١ وما بعدها)، وإسناده منقطع، إذ لم يسم عاصم بن عمر من حدثه. وانظر قصيدة «بانت سعاد» عنده، وعند الذهبي في مغازيه، ص٦١٨ ـ ٦٢١.

(٣) دلائل النبوة (٥/ ٢٠٧ وما بعدها)، وفي إسناده ثلاثة رجال لم يترجم لهم، وهم: ذو الرقيبة والحجاج بن ذي الرقيبة وعبد الرحمن بن كعب بن زهير.

(٤) مكان قريب من المدينة. وهذا الجزء من رواية الذهبي في المغازي، ص٦١٧.

جاء عرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعباً فأنشد قائلاً:

ألا إبلغا عني بجيراً رسالة ... على أي شيء غير ذلك دلّكا
على خُلُقٍ لم ألفِ أمّاً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكرٍ بكأس رَوِيّةٍ ... وأنهلك المأمون منها وعلّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه، فكتب إليه أخوه بجير يخبره بذلك وينصحه بالنجاء، ثم كتب إليه بعد ذلك وأعلمه أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد مسلماً إلا قبل ذلك منه، وطلب منه أن يُسلم ويُقبل على النبي ﷺ، فأسلم، ونظم قصيدته التي يمتدح فيها رسول الله ﷺ وقدم على الرسول ﷺ فأمّنه، فأنشده قصيدته التي مطلعها:

بانَتْ سُعاد فقلبي اليوم مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ عندها لم يُفدَ مَكْبُولُ[1]

وذكر موسى بن عقبة في مغازيه[2] أن كعب بن زهير أنشد النبي ﷺ قصيدته «بانت سعاد» في المسجد، فلما بلغ قوله:

إن الرسولَ لَنُورٌ يُستضاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زُولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليأتوا فيسمعوا منه.

قال الساعاتي[3]: «وفي المواهب اللدنية، قال أبو بكر بن الأنباري، إنه لما وصل إلى قوله:

---

(١) قال العراقي، كما في نيل الأوطار للشوكاني (٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠): «وهذه القصيدة قد رويناها من طرق لا يصح فيها شيء، وقد رواها ابن إسحاق بسند منقطع».

(٢) ذكره البيهقي في الدلائل (٥/ ٤١١) وإسناده مرسل وفيه محمد بن فليح: صدوق يهم.

(٣) الفتح الرباني (٢١/ ١٨٧).

وروى قصة إسلام كعب الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٩ ـ ٥٨٣) وقال: «هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي»، وسكت عنه الذهبي، وعن رواية إعطاء الرسول ﷺ بردته لكعب، قال ابن كثير في البداية (٤/ ٤١٩): «وهذا من الأمور المشهورة جداً، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله أعلم». وانظرها عند ابن إسحاق والذهبي بألفاظها المختلفة في الروايتين.

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه النبي بردة كانت عليه، وإن معاوية ﷺ بذل فيها عشرة آلاف، فقال كعب: «ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً». فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته عشرين ألفاً، فأخذها منهم، قال: «وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم».

❐ المبحث الثالث: المصدقون ❐

شرع رسول الله ﷺ في بعث المصدِّقين إلى المناطق المختلفة في مطلع المحرم من العام التاسع الهجري. فبعث: بُرَيْدَة بن الحُصَيْب إلى أسلم وَغِفَار، ويقال كعب بن مالك، وعَبَّاد بن بِشر الأشهلي إلى سُلَيم ومُزَيْنَة، ورافع بن مَكِيْث إلى جُهَيْنَة، وعمرو بن العاص إلى فَزارة، والضَّحَّاك بن سُفيان الكِلابي إلى بني كِلاب، وبُسْر بن سفيان الكَعْبي إلى بني كعب، ويقال: نُعَيم بن عبد الله النَّحام العَدَوي، وابن اللُّتْبِيَّة الأزدي إلى بني ذُبيان، ورجلاً من بني سعد بن هُذَيْم إليهم[1]، والمهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، وزياد بن لَبيد إلى حَضْرَمَوت، وعَدِيّ بن حاتم الطائي إلى طيء وأسد، ومالك بن نُوَيرة إلى بني حَنْظَلة، والزِّبرِقَان بن بدر وقيس بن عاصم إلى بني سعد، كل منهما على ناحية، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وعلي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم[2].

❐ المبحث الرابع: سرية عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر إلى بني العَنْبَر ❐

بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العَنْبَر من تميم في المحرم سنة تسع من الهجرة في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري. فلما وصلوا إلى مكانهم ورأوهم هربوا، وتمكن عيينة وأصحابه من أخذ أحد عشر رجلاً، ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً، فجلبهم إلى المدينة،

---

(١) الواقدي: المغازي (٣/ ٩٧٣) بإسناده مرسلاً، ابن سعد: الطبقات (٢/ ١٠٦) من رواية شيخه الواقدي. والواقدي متروك ولذا فأسانيده ضعيفة.

(٢) ابن إسحاق، دون إسناد: ابن هشام (٤/ ٣٢٨)، وغير المسند من أقسام الضعيف كما تعلم. ولكن يقبله العلماء إذا لم يتعلق بالعقائد والأحكام، كما قلنا.

فأمر بهم رسول الله ﷺ فحبسوا في دار رَمْلة بنت الحارث، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم، ومنهم: عُطارِد بن حَاجِب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس، . . . فلما رأتهم النساء والذراري بكوا، فعجلوا فجاؤوا إلى باب النبي ﷺ فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا، فخرج، وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه، فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد، فقدموا عُطارد بن حاجب فتكلم وخطب، فأجابه ثابت بن قيس، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝﴾ [الحجرات: ٤][1]، فرد عليهم رسول الله ﷺ السبي والأسرى[2]. وذكر ابن إسحاق[3] أنهم رُدُّوا بالعتق والفداء، وإن لم تشر رواية الواقدي وابن سعد إلى تفريق السبي بين رجال السرية.

وذكر الواقدي[4] أن سبب بعث عيينة أن بني تميم أغاروا على ناس من خزاعة بن كعب، أرادوا أن يؤدوا الصدقة إلى المصدق الذي بعثه إليهم رسول الله ﷺ، بشر بن سفيان الكعبي، فأخرجوهم من محالهم، وتحرشوا بهم، وحذرهم الخزاعيون من مغبة هذا التصرف، وعاد المصدق وأخبر الرسول ﷺ خبرهم.

ويلحظ أن ابن إسحاق[5] ذكر أن عيينة بن حصن كان مع وفد بني تميم، وفي هذا إشكال، إذ كيف يكون سبباً في مجيء الوفد، لأنه هو الذي كان على رأس سرية سبي نساء وأطفال بني تميم، ثم يكون مع الوفد. . . ، فلعل ذلك وهم من ابن

---

(١) وذكر غير واحد أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي، فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فقال: «يا محمد، يا محمد»، وفي رواية: يا رسول الله، فلم يجبه، فقال: «يا محمد، يا محمد»، وفي رواية: يا رسول الله، فلم يجبه، فقال: يا رسول الله: إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال: «ذاك الله ﷻ»، انظر: أحمد: المسند (٣/ ٤٨٨) و(٦/ ٣٩٤)، وانظر الأحاديث الأخرى في هذا الشأن عند: الطبري: التفسير (٢٦/ ٧٧) وابن كثير: التفسير (٧/ ٣٤٩).

(٢) ابن سعد (٢/ ١٦٠ ـ ١٦١) معلقاً، الواقدي (٣/ ٩٧٥ ـ ٩٨٠)، ابن إسحاق، معلقاً ومختصراً جداً، ابن هشام (٤/ ٣٥٧)، وعنه ذكره البخاري معلقاً، انظر: البخاري، الفتح (١٦ كتاب المغازي، باب قال ابن إسحاق. . .)

(٣) بإسناد منقطع، ابن هشام (٤/ ٣٥٧)، والمنقطع من أقسام الضعيف كما علمت.

(٤) المغازي (٣/ ٩٧٤)، والواقدي متروك كما علمت، ولذا فأسانيده ضعيفة.

(٥) ابن هشام (٤/ ٢٧٥) معلقاً. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

إسحاق.

روى ابن إسحاق[١] أنه قبل وصول سبي بني العنبر المدينة قالت عائشة لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، إن عليّ رقبة من ولد إسماعيل»، فقال لها النبي ﷺ: «هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم إنساناً فتعتقينه».

ولعل هذا ما أشار إليه أبو هريرة في الحديث الذي رواه البخاري[٢]: لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم، قال: «... وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل...».

ولعل ذلك مما يفيد بأن سبي بني العنبر كان وزع على الغانمين، وأن عائشة ﵂ ملكت هذه الجارية بالشراء أو الهبة، ثم أعتقتها عندما جاء قومها يطلبونها. والله أعلم.

◻ المبحث الخامس: سرية قُطْبَة بن عامر إلى ناحية تَبَالَة[٣] ◻

بعثه رسول الله ﷺ في عشرين رجلاً إلى حي من خَثْعَم بناحية تَبَالَة أو بِيشَة، قريباً من تُرَبَة، فخرجوا على عشرة أبعرة يتعقبونها، قد غيبوا السلاح، يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى وصلوا مكان العدو فأغاروا عليهم ليلاً، ودار قتال عنيف، فهزموا المشركين، واستاقوا النعم والشاء والنساء، وفي الصباح تقاطر جمع الخثعميين، وساروا في أثرهم. وعندما أدركوهم أتى الله بسيل حال بينهم وبين المسلمين، فما قدر رجل واحد منهم أن يمضي حتى نجا المسلمون إلى المدينة.

لقد اضطربت روايات الواقدي في تعيين تاريخ هذه السرية، فمرة ذكر أنها في ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة[٤]، ومرة ثانية قال إنها في صفر سنة تسع[٥]، وقال:

---

(١) ابن هشام (٤/ ٣٥٧) وفي إسناده انقطاع، إذ لم يثبت سماع عاصم بن عمر من عائشة ﵂، انظر ابن حجر: الفتح (١٨/ ٢٣٢).

(٢) الفتح (٣٠٦، كتاب المغازي، باب قال ابن إسحاق، غزوة عيينة بن حصن، ح٤٣٦٦) و(١٠/ ٢٦٦ ك، العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً، ح٢٥٤٣)، والجارية هي بريرة كما في البخاري: الفتح (١٠/ ٢٦٠، ح٣٥٣٦)، وانظر أسماء من أسر معها في شرح ابن حجر هنا (١٠، ح٢٥٤٣).

(٣) تبالة: موضع بقرب الطائف، وهي لبني مازن، معجم ما استعجم: ص١٩١.

(٤) المغازي (٢/ ٧٥٣ ـ ٧٥٤).

(٥) المصدر نفسه (٣/ ٩٨١).

«وخبر هذه السرية داخل في سرية شجاع بن وهب»[١].

أما ابن سعد[٢] فقد ذكر أنها في صفر سنة تسع من الهجرة، وهذا يعني موافقته الواقدي في روايته الثانية، ولهذا السبب رجحنا أن تكون هذه السرية في صفر سنة تسع من الهجرة.

وبعدها في ربيع الأول كانت سرية الضحاك إلى القُرْطاء[٣].

◻ المبحث السادس: سرية عبد الله بن حُذَافَة السَّهْمِيّ ◻

روى البخاري[٤] ومسلم[٥] أن الرسول ﷺ استعمل رجلاً من الأنصار على سرية وأمرهم أن يطيعوه. فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوه، وأمرهم فأوقدوه، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فسكن غضبه، وطفئت النار. فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف».

والراجح عندي أن أمير هذه السرية هو عبد الله بن حذافة السهمي. فقد روى الشيخان[٦] وبقية الجماعة[٧]: أن الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، نزلت فيه عندما أرسله الرسول ﷺ في سرية. وصرح به في رواية أحمد[٨]

---

(١) المصدر والمكان نفساهما، وسرية شجاع ـ كما ذكر هو ـ كانت في ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة. والذي لاحظته أن مضمون خبر هذه السرية هو نفسه مضمون خبر سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد، بل ويشتركان في تاريخ واحد كما حدده الواقدي، والله أعلم، إن كانت كل واحدة منهما سرية مختلفة أم هما سرية واحدة.

(٢) الطبقات (٢/ ١٦٢)، معلقاً، والمعلق ضعيف كما تعلم.

(٣) مسلم (٣، ح١٨٤٠).

(٤) البخاري: الفتح (٢٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤ كتاب الأحكام، ح٧١٤٥)، واللفظ له.

(٥) مسلم (٣/ ١٤٦٩، كتاب الإمارة، ح١٨٤٠).

(٦) البخاري. الفتح (١٧/ ١١٩، ح٤٥٨٤)، مسلم (٣/ ١٤٦٥، ١٨٣٤).

(٧) انظر: ابن كثير: التفسير (٢/ ٣٠٢)، الطبري: (٨/ ٤٩٧، شاكر) الحاشية.

(٨) المسند (٣/ ٦٧).

وابن ماجه[١]. وذكر القصة بمثل مضمون رواية البخاري في كتاب الأحكام ومسلم في كتاب الإمارة.

أما الرواية المرجوحة فهي التي رواها ابن كثير[٢] والطبري[٣]، وفيها أنها نزلت في خالد بن الوليد عندما بعثه الرسول ﷺ في سرية فيها عمار بن ياسر، فعندما سمع بهم العدو هرب إلا رجلاً واحداً، جاء إلى معسكر المسلمين في جنح الليل، وسأل عن عمار بن ياسر، فدلوه عليه، فأخبره أنه مسلم، واستفتاه إن كان ذلك ينفع وإلا هرب مع قومه، فطلب منه عمار البقاء، وفي الصباح أغار خالد على مكان العدو فلم يجد إلا هذا الرجل، فأخذه وماله، فاعترض عمار على هذا الإجراء، فتلاحا واستبّا، ولام الرسول ﷺ خالداً، فاعتذر إلى عمار، فأنزل الله تعالى الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ...﴾ الآية.

وخلاصة رأيهما أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء. وقد استشكل العلماء وصف أمير هذه السرية بأنه أنصاري، لأن ابن حذافة مهاجري، ولذا قال ابن حجر[٤]: «ويحتمل الحمل على المعنى الأعم: أي أنه نصر رسول الله ﷺ في الجملة». وجنح إلى تعدد القصة لاختلاف سياقي القصة واسم أميرها. وأما ابن الجوزي[٥] فقال: «قومه من الأنصار، وهم من بعض الرواة، وإنما هو سهمي». ولعلي أرجح تعليل ابن الجوزي.

وذكر الواقدي[٦] وابن سعد[٧] في سببها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراءاهم أهل جُدَّة، فبعث إليهم عَلْقَمَة بن مُجَزِّز، في ربيع الآخر من سنة تسع، في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فلما خاض البحر إليهم هربوا، فلما

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/ ١٤٢، ح٢٨٦٣)، وقال الألباني: «حسن» وقال محققا زاد المعاد (٣/ ٣٦٩) عن سند الحديث عند أحمد وابن ماجه: «وسنده قوي» وصححه ابن خزيمة وابن حبان (٥٥٢)، والحاكم (٣/ ٦٣٠، ٦٣١).

(٢) التفسير (٢/ ٣٠٣).

(٣) التفسير (٨/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩، شاكر) بإسناد مرسل وموصول.

(٤) الفتح (١٦/ ١٧٦ كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي).

(٥) هكذا ذكر ابن حجر: انظر المرجع والمكان نفسيهما، ولم أقف على مكانه عند ابن الجوزي.

(٦) المغازي (٣/ ٩٨٣).

(٧) الطبقات (٢/ ١٦٣) معلقاً، من رواية شيخه الواقدي.

رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم، فأمَّر عبد الله بن حذافة على من تعجل.

وذكر ابن إسحاق[١] في سببها أن وقاص بن مجزز كان قد قتل يوم ذي قرد، فأراد علقمة بن مجزز أن يأخذ بثأره، فأرسله رسول الله ﷺ في هذه السرية.

ويمكن الجمع بين الأمرين[٢].

◻ المبحث السابع: من فوائد هذا المقطع ◻

إن الحكم في حالة الغضب يُنَفَّذ منه ما لا يخالف الشرع، وإن الأمر المطلق لا يعم بالأحوال، لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب، وفي حال الأمر بمعصية، فبين لهم ﷺ أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية[٣].

◻ المبحث الثامن: سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلْس، وإسلام عَدِيّ بن حاتم الطائي ◻

في ربيع الآخر من العام التاسع الهجري أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل إلى الفلس ـ صنم طيء ليهدمه ـ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه وأخذوا ما به، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء. وهرب عدي إلى الشام[٤].

روى أحمد[٥] والترمذي[٦] من حديث سماك بن حرب بإسناد إلى عدي بن حاتم أنه عندما جاءت خيل رسول الله ﷺ كان هو بقُرْب[٧]، فأخذوا عمته[٨] وناساً، فلما

---

(١) ابن هشام (٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، وهو دون إسناد.

(٢) الفتح (١٦/ ١٧٦).

(٣) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٣٦٩)، حاشية المحققين ومتن ابن القيم.

(٤) الواقدي (٩٨٤ ـ ٩٨٩)، ابن سعد (٢/ ٦٤) من رواية الواقدي.

(٥) المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٨٩ ـ ١٩١) بإسناد حسن.

(٦) السنن (٨/ ١٥١ ـ ١٥٣، ح٢٩٥٦) بمثل رواية أحمد، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٢٠).

(٧) ويقال العقرباء، منزل من أرض اليمامة. وقعت فيها موقعة عظيمة بين المسلمين ومسيلمة.

(٨) عند الواقدي (٣/ ٩٨٧) وابن سعد (٢/ ١٦٤) وابن إسحاق: ابن هشام (٤/ ٢٩٨) معلقاً: «أخته»، واعتمدت ما صح سنده عند أحمد والترمذي.

أتوا بهم رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله نأى الوافد وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك، فسألها عن والدها، فقالت: عدي بن حاتم، فقال: «الذي فر من الله ورسوله؟»، فمَنَّ عليها رسول الله ﷺ وجهزها فأتت ابن أخيها عديًا وهو هارب بالشام، وأخبرته خبر الرسول ﷺ وطلبت منه أن يأتي الرسول ﷺ راغباً أو راهباً، فأتاه فأسلم، فسُرَّ بذلك النبي ﷺ[1].

◻ المبحث التاسع: سرية عُكَّاشَة بن مِحْصَن إلى الجِباب ◻

بعث الرسول ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي في سرية إلى الجباب، أرض عُذْرَة وَبَلِي، في شهر ربيع الآخر، سنة تسع من الهجرة[2].

---

(١) وروى ابن إسحاق القصة بتفاصيل أكثر، وهي في مضمون رواية أحمد، ولكنها معلقة: ابن هشام (٤/ ٢٩٨ ـ ٣٠١)، قال ابن كثير: البداية (٥/ ٧٥) بعد أن ساق رواية ابن إسحاق: «هكذا أورد ابن إسحاق هذا السياق بلا إسناد، وله شواهد من وجوه أخر»، وانظر شواهده عنده (٥/ ٧٥ ـ ٧٨)، وعند ابن إسحاق: «هلك الوالد» بدلاً من «انقطع الولد».

(٢) ابن سعد (٢/ ١٦٤) معلقاً، والمعلق ضعيف كما علمت.

الفصل الرابع والعشرون

غزوة تبوك (أو العسرة)

أصل التسمية "تبوك":

روى مسلم[١]، بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي». فهذا رسول الله ﷺ سماها تبوكاً قبل أن يأتيها أحد، فلا وجه لقول غير هذا[٢].

التسمية بغزوة العسرة:

جاءت تسميتها بغزوة جيش العسرة من الحديث الذي رواه البخاري[٣]، بسنده إلى أبي موسى الأشعري قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك...»، وعنون البخاري[٤] لهذه الغزوة بقوله: (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة). وحديث الأشعري واضح الدلالة على ما كان عليه الصحابة ﷺ من العسر الشديد في المال والزاد والركائب.

وروى مسلم[٥]، بسنده إلى أبي هريرة، ما وقع للمسلمين في طريق هذه الغزوة من نقص في الزاد حتى مصوا النوى وشربوا عليه الماء. وفي رواية أخرى له أنهم استأذنوا الرسول ﷺ في نحر مطاياهم ليأكلوا[٦].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٤، ح٧٠٦)، وغيره.

(٢) انظر تفصيل ذلك عند السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك: ص٣٨ وما بعدها، وهي رسالة ماجستير مطبوعة.

(٣) الفتح (١٦/ ٢٣٨، ح٤٤١٥).

(٤) الفتح (١٦/ ٢٣٧).

(٥) (١/ ٥٥ ـ ٥٦، ح٢٧).

(٦) مسلم (١/ ٥٦، ح٢٠٧).

ودل على هذه الضائقة الاقتصادية الآية الكريمة: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧][١].

تاريخ الغزوة:

خرج الرسول ﷺ لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري[٢]، بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر[٣].

سبب الغزوة:

ذكر الواقدي[٤] وابن سعد[٥] أن هرقل جمع جموعاً من الروم وقبائل العرب الموالية لها، فعلم بهم الرسول ﷺ فخرج إليهم. وذكر اليعقوبي[٦] أن سببها أخذ الثأر لجعفر بن أبي طالب.

وروى ابن عساكر[٧] في سبب الخروج إلى تبوك أن اليهود أتوا الرسول ﷺ وقالوا له إن كنت صادقاً بأنك نبي فالحق بالشام فإنها أرض المحشر والأنبياء، تغريراً بالمسلمين ليخرجوهم من المدينة، ويعرضوهم لخطر المواجهة مع الروم، وعندما وصل تبوكاً نزلت عليه آيات من سورة بني إسرائيل، منها ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦]، تفضح موقف اليهود، وأمره الله بالرجوع إلى المدينة حيث الممات والمحشر.

وقال ابن كثير[٨]: فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) وانظر تفسيرها عند الطبري: التفسير (١٤/ ٥٤٠ ـ ٥٤٢) والآثار الواردة في ذلك.

(٢) ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٢١٥)، ابن سعد (٢/ ١٦٥) معلقاً.

(٣) انظر: ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٣٧).

(٤) المغازي (٣/ ٩٨٩ ـ ٩٩٠) عن مجموعة من شيوخه.

(٥) الطبقات (٢/ ١٦٥)، من رواية الواقدي.

(٦) التاريخ (٢/ ٦٧).

(٧) تاريخ دمشق (١/ ١٦٧ ـ ١٦٨)، بإسناد مرسل ضعيف.

(٨) البداية والنهاية (٥/ ٣)، والتفسير (٥/ ٩٨)، وانظر بقية أقواله في هذا المعنى في هذين المكانين.

مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ [التوبة: ١٢٣].

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب إلى الصواب. إضافة إلى أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة، بما فيهم أهل الكتاب، الذين وقفوا في طريق الدعوة، وظهر تحرشهم بالمسلمين، كما روى أهل السير.

الإنفاق في هذه الغزوة:

حث الرسول ﷺ الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان بن عفان أكثر المنفقين. ووردت في ذلك عدة أحاديث وآثار، منها:

روى البخاري[1]: وقال النبي ﷺ: «... من جهز جيش العسرة فله الجنة»، فجهزه عثمان. وروى من حديث أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ أن عثمان ﷺ قال لمحاصريه أيام الدار: «ألستم تعلمون أنه قال: من جهز العسرة فله الجنة؟ فجهزته»، فصدَّقوه بما قال[2]، وروى من هذا الطريق وبنحوه الترمذي[3]، ولفظه: «أذكركم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة؟ والناس مجهدون معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم...». ومن طريق آخر له من حديث ثُمامة بن حَزْن: «... أنشدكم الله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم»[4].

وبلغت هذه المشاركة من عثمان ألف دينار. وعندما نثرها في حجر النبي ﷺ أخذ يقلبها ويقول مراراً: «ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم»[5].

وقيل إن عثمان ﷺ قدم أشياء عينية كالإبل وعدتها، وأنه تصدق بثلاثمئة بعير بأحلاسها وأقتابها[6]، وليس هناك ما يمنع ذلك، ما دام قد ثبت أن الصحابة قد

---

(١) الفتح (١١/ ٢٥٠/ح ٢٧٧٨)، كتاب الفضائل، باب مناقب عثمان، ترجمة الباب)، معلقاً.

(٢) البخاري. الفتح (١١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١، ح٢٧٧٨).

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٨، كتاب المناقب، ح٢٩١٩، ٣٩٦٥).

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

(٥) الألباني: صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٩، ح٢٩٢٠، ٣٩٦٧) وحسنه الألباني، الحاكم: المستدرك (٣/ ١٠٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) الحاكم: المستدرك (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي، ولكن فيه فرقد أبو طلحة، وهو مجهول، =

أقروا له بتجهيز جيش العسرة، كما هو ظاهر الأحاديث والآثار التي ذكرناها.

وروي أن عبد الرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم، وهي نصف أمواله، لتجهيز جيش العسرة[١]، وفي أنه تصدق بأربعة آلاف دينار، وهي أيضاً نصف ماله[٢]. وأن عمر تصدق بمائة أوقية[٣].

وتصدق العباس وطلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة وعاصم بن عدي، كما ذكر الواقدي[٤].

وتصدقت النساء بكل ما قدرن عليه من الأسورة والخلاخل والخاتم والأقراط، كلّ يضعنه على ثوب مبسوط بين يدي رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها[٥].

= كما في تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٤)، ولا يسلم لهما بهذا التصحيح، ولعل هذا هو السبب في عدم تخريج الألباني له في صحيح سنن الترمذي. وانظر ما روي من أقوال في نفقة عثمان رضي الله عنه النقدية والعينية عند ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٥٢) وحكمه ومناقشته لها. الترمذي: السنن (٩/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠/ ح٣٧٠٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث المسكن بن المغيرة». والأحلاس: جمع حلس، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة أو البعير تحت الرحل أو السرج. والأقتاب: جمع قتب، وهو الرحل.

(١) انظر الروايات في هذا عند الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٨٢ ـ ٣٩١، شاكر) عند تناوله تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ...﴾ [التوبة: ٧٩]، والروايات التي ساقها ضعيفة ولكنها تعتضد لتقوية الخبر تاريخياً.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١٩٤ ـ ١٩٨)، وأقوى رواياته بإسناد صحيح ولكنها موقوفة على قتادة (١٠/ ١٩٥). وانظر كذلك الروايات في: عبد القادر السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك ـ رسالة ماجستير منشورة (١/ ٢١٣ ـ ٢٢٣). وقد ذهب إلى تقويتها على الرغم من الاختلافات الموجودة بينها، ولكن يستأنس بها في فضائل الأعمال.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق (١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩) بإسناد ضعيف، ويستبعد أن يحث الرسول ﷺ على النفقة في هذه الغزوة ولا ينفق الصحابة أمثال عمر. فقد ثبت أنه أراد أن يسابق أبا بكر في التصدق عندما أمرهم الرسول ﷺ بها، فجاء بنصف ماله، ثم جاء أبو بكر بكل ماله، فأقسم ألا يسابقه إلى شيء أبداً، رواه الترمذي في السنن (٩/ ٢٧٧ كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر، ح٣٦٧٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ورواه غيره. ولم يذكر الحديث أن ذلك كان في غزوة تبوك، وإن كان لا يستبعد أن يكون ذلك كان فيها.

(٤) المغازي (٣/ ٩٩١).

(٥) المغازي (٣/ ٩٩١ ـ ٩٩٣).

وقدم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء، ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين. فقد جاء أبو عُقَيل بنصف صاع من تمر وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوهما قائلين: «إن الله لغني عن صدقة هذا!! وما فعل هذا الآخر إلا رياء»، فنزلت الآية: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩][1].

وجاء أبو خَيْثَمَة الأنصاري بصاع تمر فلمزه أيضاً[2]، ولعله هو المعني أيضاً في حديث الطبري[3] في إنفاق ابن عوف، وفيه أن رجلاً من الأنصار قال: «... وإن عندي صاعين من تمر: صاعاً لربي وصاعاً لعيالي»، فلمزه المنافقون، وقالوا: «ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء»، وقالوا: «أو لم يكن الله غنياً عن صاع هذا؟» فأنزل الله الآية: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.

وواضح من هذا أنهم يتهمون الأغنياء بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء.

وروي أن عُلْبَة بن زيد بن حارثة عندما لم يجد ما يتصدق به، جاء إلى الرسول ﷺ فقال: «اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق بِعِرْضِي على من ناله من خلقك»، فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى أين المتصدق بعرضه البارحة، فقام علبة، فقال الرسول ﷺ: «قد قُبِلَتْ صَدَقَتُكَ»[4].

لقد كان علبة بن زيد [الحارثي الأنصاري] واحداً من سبعة رجال من المؤمنين عرفوا بـ«البَكَّائِين»، أتوا رسول الله ﷺ يطلبون منه ما يخرجون عليه معه في هذه الغزوة، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون[5].

---

(١) البخاري: الفتح (١٤/ ٢١١ ـ ٢١٣، ح٤٦٦٨).

(٢) مسلم (٢١٢١ ـ ٢١٢٢، ح٢٧٦٩).

(٣) التفسير (١٤/ ٣٨٦، ح١٧٠١٠، شاكر) بإسناد حسن لغيره، لما له من شواهد ومتابعات ذكرها الطبري عند تفسير الآية المذكورة.

(٤) انظر: ابن حجر: الإصابة (٢/ ٥٠٠) وقد صححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص٤٣٩. وعلبة المذكور ليس من ولد زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ. وفي رواية: (... خرج من الليل فصلى وبكى، وقال: «اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض».

(٥) ابن هشام (٤/ ٢١٩) من حديث ابن إسحاق بدون إسناد، انظر: أسماءهم عنده وعند ابن سيد =

وأرسل جماعة من الأشعريين أبا موسى الأشعري إلى الرسول ﷺ يطلبون منه ما يركبونه، فكان في لحظة غضب، فلم يحصل لهم منه على شيء، فعاد إليهم حزيناً. وبعد قليل أرسل الرسول ﷺ بلالاً إلى أبي موسى، فجاءه، فأعطاه ستة أبعرة ابتاعهن من سعد ليركبها مع أصحابه الأشعريين[1]، وفي رواية أنه أعطاهم خمس ذَوْد عندما أُتِيَ بِنَهْبِ إبل[2].

وذكرت بعض الروايات أنه نزل في البكائين والأشعريين قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩١-٩٢][3].

إنها صورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد على عهد الرسول ﷺ، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباته، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لمرض أو كبر سن أو غير، يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين، وهم الذين عناهم الرسول ﷺ عندما قال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله،

= الناس في العيون (٢/ ٢١٦): «سالم بن عميرة وعلبة بن زيد وأبو ليلى المازني وعمرو بن غَنَمَة وسلمة بن صخر والعرباض بن سارية، وقال: «وفي بعض الروايات: وعبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار. وعند ابن عائذ فيهم مهدي بن عبد الرحمن. وبعضهم يقول البكاؤون بنو مقرن السبعة، وهم من مزينة، وابن إسحاق يعد فيهم عمرو بن الجموح. وقال وبعض الناس يقول عبد الله بن عمرو المزني بدل ابن المغفل وهرفي بن عبد الله الواقفي». انظر تفاصيل ذلك عند الطبري في: التفسير (١٤/ ٤١٩/ شاكر)، والشامي في السبل (٥/ ٦٣٣ وما بعدها).

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، ح٤٤١٥).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢١٣، ح٤٣٨٥).

(٣) انظر: الطبري: التفسير (١٤/ ٤١٩ ـ ٤٢٣، شاكر)، وقد أورد عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وأصح الأقوال أنها نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه إذ أخرج ذلك أحمد في مسنده: (٤/ ٣٩٨/ ١٩٥٥٨) بسند صحيح، وذكر ابن جرير أثراً بإسناد حسن: التفسير (١٤/ ٤٢٢، ح١٧٠٨٦) بأنها نزلت في العِرْباض بن سارية، وقال السندي: النحب المسبوك، ص٢٤٠، إنه لا مانع من أن تكون نزلت في جملة من البكائين ومنهم العرباض بن سارية.

وهم بالمدينة؟! قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر[(١)].

موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلم الرسول ﷺ النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس، قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١][(٢)].

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم - وهو في جهازه لتبوك - لِلجَدِّ بن قَيْس: «يا جَدُّ! هل لك العام في جِلَادِ بني الأصفر؟» فقال: «يا رسول الله أَوَ تَأْذَنُ لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عَرَفَ قومي أنه ما من رجل بأشد عُجْبًا بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر»، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «قد أذنت لك»، ففيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩][(٣)].

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٥٦، ح٤٤٣٣).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد مرسل: ابن هشام (٤/ ٢١٧)، وقد روى هذا المعنى من طرق أخرى صحيحة، كما قال الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص١٥٥، وانظر في ذلك: السيوطي: الدر المنثور (٣/ ٣٦٥)، والقرطبي: التفسير (٨/ ٢١٦)، والشوكاني: فتح القدير (٢/ ٣٧١)، والطبري: التفسير (١٤/ ٣٩٩ - ٤٠٠).

(٣) رواه ابن إسحاق معلقاً: ابن هشام (٤/ ٢١٦ - ٢١٧) والطبري: التفسير (١٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨)، مرة من طريق ابن إسحاق وقد عنعنه بإسناد منقطع وموقوف على أئمة شيوخه: الزهري وابن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، ومرة من طريق غيره بأسانيد، إمّا من مرسل قتادة، وسنده ضعيف، أو من مرسل مجاهد، وسنده ضعيف، أو من حديث ابن عباس وسنده ضعيف، ورواه أبو نعيم وابن مردويه فيما عزاه إليهما ابن حجر في الإصابة (١/ ٢٢٨)، وضعف إسنادهما، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٠٨) والأوسط، وفيه يحيى بن الحماني وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٣٠) وحديث الطبراني إذا عضده حديث الطبري عن ابن عباس، وورود هذه الآثار عن التابعين، يشعر بأن للحديث أصلاً، ولعل هذا الذي جعل الطبري يقول بأن الأخبار تظاهرت عن أهل التأويل بنزولها في الجد بن قيس، ويقول: فكفى بالجد بن قيس وأشكاله من المنافقين يصلى النار خزياً. ولا يسلم له الأستاذ عتاب الحمش في كتابه: ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، ص١٠١ - ١٠٢ بهذه النتيجة، وقال: إن الجزم بنفاق الجد بن قيس تسرع يربأ بنفسه عنه لأن الكبائر لا تجعل صاحبها منافقاً، إلا إذا عنى به النفاق العملي، علماً بأن ابن عبد البر ذكر بصيغة التمريض أن الجد بن قيس تاب فحسنت توبته، الاستيعاب (١/ ٢٥١)، قلت: وتهمة كهذه لا بد لها من إسناد يحتج به.

وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبدين أعذاراً كاذبة، ليأذن لهم بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣][1].

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناساً منهم يجتمعون في بيت سُوَيْلِم اليهودي يثبطون أناس عن رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم[2].

ووصلت بهم الجرأة على الله ورسوله أن يبنوا مسجداً قُبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه ويديروا حلقات تآمرهم على المسلمين، ويأملوا في مجيء أبي عامر الفاسق من عند الروم بجيش يغزو المدينة. وزعموا أنهم بنوه للمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المسير إلى مسجد الرسول ﷺ للصلاة فيه، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه خداعاً للناس، ولكن الله فضح حقيقة نواياهم عندما أنزل في هذه الآيات: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨][3]. فامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة فيه، ثم أحرقه عندما عاد من تبوك ومنعه الله من الصلاة على أمواتهم بعد أن صلى على عبد الله بن أبي بن سلول عقب عودته من تبوك، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤][4].

وقد تخلف منه جماعة كما ثبت في حديث كعب بن مالك في قوله: «فكنت إذا خرجت في الناس... أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموساً بنفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء...»[5].

وخرج بعضهم مع الرسول ﷺ لعلهم يتحينون الفرص للتخذيل، كما سترى.

---

(١) الطبري: التفسير (١٤/ ٢٧٣، شاكر) من مرسل مجاهد بإسناد صحيح إليه.

(٢) رواه ابن هشام بإسناد منقطع (٤/ ٢١٧ - ٢١٨)، فهو ضعيف.

(٣) الطبري: التفسير (١٤/ ٤٧٠، ح١٧٨٧، شاكر)، بإسناد صححه الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص٣١٦، وقال: «وقد احتج به أهل الصحيح، ورجاله ثقات ما عدا المثنى وعبد الله بن صالح».

(٤) البخاري: الفتح (٦/ ١٦٨، ح١٢٦٩)، مسلم (٤/ ٢١٤١، ح٢٧٧٤).

(٥) من حديث كعب بن مالك المتفق عليه، كما سيأتي ذكره، وقد سبق الإشارة إليه.

لقد استنفر الرسول ﷺ المسلمين لخروج في هذه الغزوة، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨]، وكان تثاقلهم بسبب مجيء وقت جني التمر وطيب ثمره واشتهاء الظل لشدة الحر[1]، وبعد المسافة ومشقة السفر، كما ذكرت الآية: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢][2].

وتخلف عن الغزوة كثير من الأعراب والمنافقين، وعدد قليل من الصحابة من أهل الأعذار، وثلاثة ممن لم يكن لهم عذر عن الجهاد، وسيأتي ذكرهم.

موقف المؤمنين من الخروج إلى تبوك:

عندما كشف الرسول ﷺ للمسلمين عن وجهته خلافاً لما كان يفعل في مثل هذه الغزوات الكبيرة، لينهيأ المسلمون إلى الجهاد[3]، سارع المؤمنون إلى مرافقة الرسول ﷺ ولم ينظروا إلى ما سيلاقونه من مشقة، ولم تفتنهم طيبات الحياة الدنيا بالمدينة، فها هو علي بن أبي طالب لا يرضى أن يخلفه الرسول ﷺ في أهله، فيلحق بالرسول وهو نازلٌ بالجُرْف، ويقول: «يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟» فقال له الرسول ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»[4].

---

(١) من مرسل مجاهد كما رواه الطبري في التفسير (١٠/ ١٣٣)، ورجاله ثقات، ولكن فيه عنعنة عبد الله بن أبي نجيح المكي وهو مدلس. وذكر الواقدي في المغازي (٣/ ٩٩١) أن الرسول ﷺ أرسل رسلاً إلى القبائل يستنفرها للخروج إلى تبوك، ولا يستبعد ذلك لأن ظاهر الآية يدل على عموم الاستنفار لمن كان داخل المدينة أو خارجها، إضافة إلى أن الرسول ﷺ كان قد استنفر القبائل لفتح مكة كما ثبت في الصحيح، وذكرناه في مكانه.

(٢) انظر: الطبري: التفسير (١٤/ ٢٧٢، ١١٧٦٠ ـ ١١٧٦١) بإسناد حسن إلى قتادة، لكنه مرسل.

(٣) من رواية البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤٢، ٤٤١٨).

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤٠، ح٤٤١٦)، ومسلم (٤/ ١٨٧٠ ـ ١٨٧١، ح٢٤٠٤) وغيرهما، وذكر الجرف عند ابن إسحاق، بإسناد مرسل: ابن هشام (٤/ ٢٢١)، وهو موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، معجم البلدان (٢/ ١٨٧).

وها هو أبو خيثمة الأنصاري وقد سارع إلى حسم الصراع الدائر في نفسه بين البقاء والخروج، ثم يؤثر الخروج رغبة في ما عند الله، وفي ذلك يقول: «تخلفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطاً لي بستاناً فرأيت عريشاً قد رُشّ بالماء، ورأيت زَوْجَتَيّ فقلت: ما هذا بإنصاف، رسول الله ﷺ في السَّموم والحرور وأنا في الظل والنعيم، فقمت إلى ناضح لي وتمرات فخرجت، فلما طلعت على العسكر فرآني الناس، قال النبي ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فجئت فدعا لي»[1].

ويروى أن أبا ذر عندما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، وعندما نزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، رأى أحد المسلمين رجلاً يمشي وحده، فأخبر الرسول ﷺ فقال: «كُنْ أبا ذر»، فعندما وصل كان هو أبا ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَثُ وَحْدَهُ»[2].

---

(١) أخرجه الطبراني كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٤)، ابن إسحاق، مرسلاً: ابن هشام (٤/ ٢٢٢)، وابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٤)، الواقدي (٣/ ٩٩٨ ـ ٩٩٩)، والحديث من هذه الطرق ضعيف ولكن يشهد له ورود بعض القصة في صحيح مسلم في أثناء قصة كعب (٤/ ٢١٢٢، ٢٧٦٩)، وأبو خيثمة هو عبد الله بن خيثمة السالمي كما عند الواقدي (٣/ ٩٩٨)، وعند الزهري: مالك بن قيس كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٠ ـ ٥١) وصححه ووافقه الذهبي، ثم قال: «وفيه إرسال»، والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، وفي سنده بريدة بن سفيان، وفيه كلام، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٠٦)، ورواه ابن كثير في البداية (٥/ ١٠ ـ ١١) من هذا الطريق وحسنه، وقد ساق خبر إبطاء بعيره به وخبر موته مسوقاً واحداً، وفي سيرة ابن هشام، ذكر ابن إسحاق خبر الإبطاء معلقاً، وساق خبر الوفاة بمثل إسناد البيهقي وابن كثير.

وروى خبر الوفاة أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، من غير طريق ابن إسحاق، مع اختلاف يسير عن رواية الحاكم. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٣٢): رواه أحمد من طريقين إحداهما هذه والأخرى مختصرة عن إبراهيم بن الأشتر عن أم ذر، ورجال الطريق الأولى رجال الصحيح. قال محققا سيرة ابن هشام: «ولولا ابن الأشتر لكان سند الثانية حسناً»، وهو ممن لم يوثقه غير ابن حبان، انظر: تعجيل المنفعة: ص٢٠.

ورواه ابن سعد (٤/ ٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤)، بمثل رواية أحمد، وحسنه الدكتور المسندي: الذهب المسبوك، ص٣٠٧ ـ ٣٠٩.

والخلاصة: إن المسندي ومحققا سيرة ابن هشام قد حسنوا سند خبر الوفاة لطرقه، فانظرهم.

وعندما أقام أبو ذر بالرَّبَذَة في عهد عثمان ﷺ لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما بأن يغسلاه ويكفناه إذا مات، ثم يضعاه على قارعة الطريق ويطلبا الإعانة على دفنه من أول ركب يمر بهما، ففعلا، ويومها أقبل ابن مسعود ﷺ في رهط من أهل العراق عُمَّاراً، وكادت إبلهم أن تطأ الجنازة، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبو ذر، صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فبكى ابن مسعود وقال: «صدق رسول الله ﷺ: تمشي وحدك وتموت وحدك، وتبعث وحدك»، ثم نزل هو وأصحابه فدفنوه، ثم حدثهم حديثه، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك[١].

وهذه معجزة من معجزات الرسول ﷺ الكثيرة في هذه الغزوة وغيرها، كما هو معلوم. وأفردنا لذلك فصلاً فيما بعد.

عدد الصحابة في جيش تبوك:

تباينت الروايات في ذلك. ففي رواية معقل عن كعب بن مالك، عند مسلم قال: «وغزا رسول الله ﷺ بناس كثير يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان حافظ»[٢]. وفي رواية أخرى له عنه: «المسلمون مع رسول الله كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك الديوان»[٣]. وقال ابن حجر[٤]: وللحاكم في الإكليل من حديث معاذ: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً، وبهذا العدد جزم ابن إسحاق». وروى الواقدي[٥] عن زيد بن ثابت أنهم كانوا ثلاثين ألفاً، وفي رواية أخرى له: «وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً ومن الخيل عشرة آلاف فرس»[٦]، وقد نقل عن أبي زُرعة الرازي أنهم كانوا أربعين ألفاً[٧]، وقال ابن

---

(١) انظر: الحاشية نفسها.

(٢) مسلم (٤/ ٢١٢٩، ح ٢٧٦٩).

(٣) مسلم (٤/ ٢١٢١، ح٢٧٦٩).

(٤) الفتح (١٦/ ٢٤٢) ولا توجد رواية ابن إسحاق في المطبوع المتداول والمحفوظ، انظر في هذا: السندي: الذهب المسبوك، ص١٢٨.

(٥) المغازي (٣/ ٩٩٦) بإسناد موصول.

(٦) المغازي (٣/ ١٠٠٢) بإسناده عن شيوخه، ابن سعد (٢/ ١٦٦) من رواية شيخه الواقدي.

(٧) قاله ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٢).

حجر[١] في تعليقه على بعض هذه الروايات: «فتحمل رواية معقل عن كعب على إرادة عدد الفرسان». وقال أبو زرعة الرازي: «وكانوا سبعين ألفاً». وجمع بعض الأئمة بين قوله وقول ابن إسحاق بأن أبا زرعة عد التابع والمتبوع، وابن إسحاق عد المتبوع فقط[٢].

والمشهور والراجح أن جيش تبوك كان ثلاثين ألفاً، وهو ما اتفق عليه أئمة المغازي والسير: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، وليس هناك تعارض مع ما جاء في الصحيح، والله أعلم.

المتخلفون عن غزوة تبوك:

لقد تخلف عن غزوة تبوك، من غير ذوي الأعذار والمنافقين، ثلاثة من خيار الصحابة، وهم: كَعْبُ بن مالك، ومُرَارَة بن الربيع العَمْرِي، وهِلَال بن أُمَيَّة الواقِفِيّ، فقد غلبهم التسويف والميل إلى الراحة. وروى كعب ﷺ قصته في هذا التخلف، في حديث طويل، رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] وغيرهما، وجاء فيه:

«كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر منه حين تخلفت عنه في تلك الغزاة... وطفقت أغدو لكي أتجهز مع المسلمين، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد ولم أقض من جهازي شيئاً. ولم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو - أي فاتوا - وهممت أن أرتحل فأدركهم. فيا ليتني فعلت. فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموساً بنفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.. ولما بلغني أنه توجه قافلاً حتى حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بماذا سأخرج من سخطه غداً؟!... واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، ولما قيل إن رسول الله ﷺ قد أقبل، زاح عني الباطل وأجمعت أن أصْدُقَهُ، فجئته، فلما سلَّمت عليه تبسَّم تبسُّم

---

(١) الفتح (١٦/ ٢٤٢).

(٢) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة، الجزء الخمسون، ص١٢٣.

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤١ ـ ٢٤٢، ح٤٤١٨).

(٤) مسلم (٤/ ٢١٢٠، ٢١٢٨، ح٢٧٦٩).

المُغْضَب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطِيتُ جَدَلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله. والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك! فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤنبونني (أي يعتبون عليه أنه لم يعتذر كالآخرين) فقلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ فقالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من هما؟ فقالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية. فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرا[1]، لي فيهما أسوة... ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أي الثلاثة - فَاجْتَنَبَنَا الناسُ وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي الأرض، فما هي بالتي أعرفها. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم. فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه أسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني. وبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نَبَطِيٌّ من أَنْبَاط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يَدُلُّني على كعب بن مالك؟ فَطَفِقَ الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غَسَّان، فإذا فيه: «أما بعد فإنه قد بَلَغَني أن صاحبك قد جفاك، ولم يَجْعَلْكَ الله في دار هوان ولا مَضْيَعَة، فالحق بنا نُوَاسِك»، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التَّنُّور فسجرته بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل

---

(١) قال ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٧٧): «هذا الموضع مما عد من أوهام الزهري راوي هذا الخبر، فإنه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسير البتة ذكر هذين الرجلين في أهل بدر... ! قلت: ذكر ابن حجر في الإصابة (٤/ ٦٠٧) أن هلال بن أمية شهد بدراً، وأن مرارة بن الربيع كذلك شهدها على الصحيح: الإصابة (٤/ ٣٩٦) وابن حجر ليس من أهل المغازي والسير.

اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لي خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سَلْع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجداً، وعرفت أنه قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلَ صاحِبَيَّ مبشرون... ولما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة. فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله. فقلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: يا رسول الله، إنما نجّاني الصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت. وأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾... وكنا تُخُلِّفْنَا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِلَ منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾، وليس الذي ذَكَرَ الله مما خُلِّفْنَا عن الغزو، إنما هو تَخْلِيفُهُ إيانا وإرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عمن حَلَفَ له واعتذر إليه فَقَبِلَ منه».

وجاء في حديث كعب هذا أن الذين تخلفوا عن هذه الغزوة كانوا بضعة وثمانين رجلاً، اعتذروا للرسول ﷺ عن تخلفهم فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، ويتطابق هذا العدد مع ما ذكره الواقدي[1]، وقد زاد الواقدي: بأن المُعَذِّرِينَ من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلاً من بني غفار وغيرهم، وأن عبد الله بن أبي بن سلول ومن تابعه من قومه كانوا من غير هؤلاء،

(١) المغازي (٣/ ٩٩٥)، والواقدي متروك في الحديث مع سعة علمه، وأسانيده ضعيفة.

وكانوا عدداً كثيراً، وروى هو وابن سعد[١] وابن إسحاق[٢] أن ابن أبي خرج حتى وصل جبل ذُباب - وفي رواية عند ثنية الوداع - بالمدينة ومعه حلفاؤه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين، فلما سار الرسول ﷺ تخلف عنه فيمن تخلف من المنافقين، وكل هذا لم يثبت بطرق صحيحة.

وكان من يتخلف يظن أن لا أحد يفتقده لكثرة أفراد الجيش، ولكن الرسول ﷺ تفقد، وهو في طريقه إلى تبوك بعض من تخلف، فقد سأل أبا رِهم كلثوم بن حصين الغفاري عمن تخلف من بني غفار وأسلم[٣]، وعندما وصل تبوك سأل عن كعب بن مالك[٤].

المسلمون في تبوك:

قيل إن الرسول ﷺ خطب الناس خطبة طويلة في تبوك، قال فيها: «أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهُدَى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب...»[٥].

---

(١) الطبقات (٢/ ١٦٥)، من رواية شيخه الواقدي، والواقدي متروك، فأسانيده ضعيفة.

(٢) ابن هشام (٤/ ٢١٩) بإسناد مرسل، وساق هو والواقدي وابن سعد هذه الجزئية بصيغة التمريض، مما يدل على عدم قبولهم لها، ولهم أن يشكوا في هذا خاصة ذكر اليهود وبهذا العدد الذي لا يتمشى مع منطق الأحداث التي وقعت بين المسلمين واليهود. ويستبعد أن يكون لهم وجود يذكر دعك من أن تكون لهم مثل هذه الشركة والعداء والتخذيل السافر، إضافة إلى أن الخبر لم يأت بطرق صحيحة.

(٣) من رواية ابن إسحاق، موصولاً من حديث الزهري، ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وفيه ابن أخي أبي رهم الذي لم يعرفه الهيثمي كما في المجمع (٦/ ١٩٢)، انظر ابن هشام (٤/ ٢٣٤ - ٢٣٦)، وورد من طريق معمر عن الزهري كما في موارد الظمآن، ص٤١٨، فبذلك تقوى الرواية إلى الحسن لغيره كما قال السخاوي: الذهب المسبوك، ص٢٤٥.

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤٤، ح٤٤١٨).

(٥) انظرها في أحمد: المسند (٣/ ٣٧)، أبو عبيد: الأموال، ص٢٥٥ - ٢٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ١٥ - ١٦)، وفي إسناد أحمد وأبي عبيد: أبو الخطاب المصري، مجهول، وفي إسناد ابن كثير: عبد العزيز بن عمران، متروك.

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُوْمَة الجندل فأخذوه، فأتوا به النبي ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية[١].

وعندما أخذوه كان يصيد البقر خارج حصنه، وهي الهيئة التي ذكرها الرسول ﷺ لخالد - أنهم سيجدونه عليها[٢]. وقد تعجب المسلمون من قَبَاء كان يلبسه أكيدر، واستلبه منه خالد وأرسله إلى النبي ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»[٣].

وفي الصحيح أن أكيدر أهدى رسول الله ﷺ حلة من حرير[٤]، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده...» الحديث بمثل ما عند ابن إسحاق. والراجح أن حصول الرسول ﷺ على الحلة كان عن طريق الإهداء كما في الصحيح وليس عن طريق الاستلاب كما ذكر ابن إسحاق. ويؤيد ذلك ما رواه أبو يعلى بإسناد قوي، أنه لما قدم أكيدر، أخرج قباء من ديباج منسوجاً بالذهب، فرده النبي ﷺ عليه، ثم إنه وجد في نفسه من رد هديته فرجع به، فقال له النبي ﷺ: «ادفعه إلى

---

(١) من رواية ابن إسحاق عن عاصم عن أنس كما ذكر ابن حجر في الإصابة (١/ ٤١٣) في ترجمة خالد بن الوليد، والحديث يتقوى بالشواهد. وقد ثبت له شاهد من حديث ابن إسحاق الذي ذكرناه بعد هذا مباشرة، ورواه ابن إسحاق بنفس سند أبي إسحاق، وقد صرح بالسماع، فيكون حسناً، انظر: ابن هشام (٤/ ٢٣٢)، وهو شاهد على حديث أبي إسحاق.

(٢) من رواية ابن إسحاق، مرة معلقاً ومقولاً، ابن هشام (٤/ ٢٣١) ومرة موصولاً ومختصراً بإسناد حسن، ابن هشام (٤/ ٢٣٢).

(٣) روى ابن إسحاق قصة أسره بإسناد معلق، وروى قصة القدوم بقباء أكيدر وتعجب المسلمين منه، وحديث الرسول ﷺ في ذلك، رواه بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)، ورواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة مرسلاً وليس فيه حديث مناديل سعد وفيه اختلاف يسير، والترمذي: السنن (٦/ ٤٥، كتاب اللباس، باب ما جاء في الرخصة في لبس الحرير، ١٧٢٣) من غير طريق ابن إسحاق، وقال: «هذا حديث صحيح»، ورواه بمثله النسائي في سننه (٨/ ١٩٩، كتاب الزينة، باب لبس الديباج المنسوج)، وفي لفظه: «وأنه بعث إلى النبي ﷺ جبة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها...» الحديث، هكذا مبنياً على المجهول، ولم يذكر أنها جبة أكيدر، والرواية تخالف الصحيح من الأحاديث في حرمة لبس الذهب والحرير، أما حديث الرسول ﷺ عن مناديل سعد فقد رواه الشيخان كما في الحواشي الآتية.

(٤) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٧٥، ح٣٨٠٢)، ومسلم (٤/ ١٩١٦ ـ ١٩١٧، ح٢٤٦٨، ٢٤٦٩).

عمر»، الحديث[١]. وفي رواية عند البخاري أن الرسول ﷺ لم يعطها عمر ليلبسها، ولذا كساها عمر لأخ له كان بمكة مشركاً[٢]. وفي رواية عن علي أنه أهدي إلى النبي ﷺ حُلَّةَ سيراء فلبسها، فرأى الغضب في وجه النبي ﷺ، فشقها بين نسائه[٣].

ويفهم من مجموع هذه الأحاديث أن الحلة التي أهديت إلى الرسول ﷺ ليست واحدة[٤]، وأن الرسول ﷺ والصحابة لم يكونوا يلبسون الحرير، لأن ذلك محرم بالأحاديث الصحيحة كما هو معروف.

وقيل إن الرسول ﷺ أرسل خالداً إلى أكيدر في أربعمائة وعشرين فارساً، وأن غنائمه كانت ثمانمائة من السبي، وألف بعير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح[٥].

روى البخاري[٦] أن الرسول ﷺ عندما كان بتبوك جاءته هدية ملك أَيْلَة، وهي بغلة بيضاء، وكساه برداً[٧]، وصالحه على الجزية.

وأتاه أهل جَرْبَاء وأَذْرُح، فأعطوه الجزية، فكتب لهم كتاباً، فهو عندهم[٨].

وفي ذات يوم من أيام تبوك تخلف رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر لحاجة، وعندما انتهى إلى مكان المسلمين، كانوا قد قدموا عبد الرحمن بن عوف إماماً لهم وشرعوا في الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ خلف ابن عوف، ثم أكمل صلاته[٩].

---

(١) قاله ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٣) شرح الحديث (٢٦١٥)، ورواه الذهبي في مغازيه، ص٦٤٦. وانظر: أحمد (٣/ ٢٣٩)، بسند حسن، وحسنه محققو الموسوعة (٢١/ ١٤٥).

(٢) البخاري: الفتح (١١/ ٤٠، ح٢٦١٢) و(١١/ ٤٥، ح٢٦١٩)، واسم هذا الأخ عثمان بن حكيم، انظر: ابن حجر: الفتح (١١/ ٤٥).

(٣) البخاري: الفتح (١١/ ٤١، ح٢٦١٤).

(٤) انظر في ذلك بالتفصيل: البخاري: الفتح (١١/ ٤٠، ح٢٦١٢).

(٥) من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، وهو مرسل، وفي إسناده ابن لهيعة، صدوق، انظر: ابن كثير: البداية (٥/ ٢٠).

(٦) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٥٤، ح٣١٦٦)، واسم ملك أيلة يُحَنَّة بن رُؤبة، كما ذكر أهل السير، انظر: ابن إسحاق، ابن هشام (٤/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، الواقدي (٣/ ١٠٣١).

(٧) قال ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٥٤) شرح الحديث (٣١٦٦)، إن فاعل كسا هو النبي ﷺ.

(٨) ابن إسحاق معلقاً، ابن هشام (٣/ ٢٣٠).

(٩) مسلم (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، ح٢٧٤) ولم يذكر أن ذلك كان في تبوك، وذكر غيره أنه في تبوك، انظر مثلاً: مالك: الموطأ (١/ ١٥٧ ـ ١٥٨) وأحمد: المسند (٢/ ٢٩٣) و(٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥١)، =

ويروى أن الرسول ﷺ أرسل دِحْيَة بن خليفة الكَلبي إلى هرقل، وهو بتبوك، وأن هرقل أرسل التَّنُوخي ليتعرف له على بعض علامات نبوة محمد ﷺ[١]. ولو ثبت هذا فيكون إرسال دحية للمرة الثانية.

وتوفي حين مقام الرسول ﷺ بتبوك ذو البِجَادَيْنِ[٢] - عبد الله بن عبد نهم بن عفيف المزني، فنزل رسول الله ﷺ في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه إليه. فلما هيأ لشقه قال: «اللهم إني أمسيت راضياً عنه، فارض عنه». وقال الراوي - عبد الله بن مسعود: «يا ليتني كنت صاحب الحفرة»[٣].

الرجوع إلى المدينة:

لم يلق الرسول ﷺ حرباً من الأعداء، فرجع إلى المدينة منتصراً، بعد أن أقام بتبوك عشرين ليلة[٤]. وفي الطريق أتوا على الحِجْر من ديار ثَمُود، الذين غضب الله عليهم لعصيانهم أمره بعدم ذبح ناقة نبي الله صالح[٥]، وعندما سارع الناس إلى دخول مساكن أهل الحجر، نهاهم الرسول ﷺ[٦]، وقال لهم: «لا تدخلوا مساكن

= أبا داود: السنن (١/ ١٠٣ - ١٠٤)، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، ح١٤٩)، ابن سعد (٣/ ١٢٨ - ١٢٩)، بإسناد رجاله ثقات ولكن في تحديد زمان ومكان الواقعة سأل ابن سعد شيخه الواقدي فأفاده أنها في تبوك.

(١) أحمد: المسند (١/ ٢٠٣)، (٣/ ٤٤٢)، (٤/ ٧٤)، (٥/ ٢٩٢)، قال ابن كثير في البداية (٥/ ١٩) عن هذا الحديث: «هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد» وقال السندي: اللهب المسبوك، ص٣٢٨: «إسناده جيد، رفيد سعد بن أبي راشد، مقبول، وعبد الله بن خثيم، صدوق، ويحيى بن سليم، صدوق، وإسحاق بن عيسى، صدوق».

(٢) البجادين: مفرده: البجاد، وهو الكساء الغليظ الجافي أو الوشح - كساء من شعر أسود. وذكر ابن هشام (٤/ ٢٣٤) سبب هذه التسمية، فقال: «لأنه كان ينازع إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك ويطيقون عليه حتى تركوه في بجاد واحد ليس عليه غيره، فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريباً منه شق بجاده باثنتين، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين لذلك».

(٣) ابن هشام (٤/ ٢٣٣ - ٢٣٤) بإسناد مرسل، وجود إسناده إبراهيم العلي: صحيح السيرة، ص٤٧٦، وذكر القصة بتفصيل أكثر الواقدي في المغازي (٣/ ١٠١٣).

(٤) موارد الظمآن، ص١٤٥، بإسناد صحيح.

(٥) البخاري: الفتح (١٣/ ١١٧ - ١١٨، ح٣٣٧٧)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٥ - ٢٢٨٦، ح٢٩٨٠).

(٦) أحمد: المسند (٤/ ٢٣١) وأورده ابن كثير، البداية (٥/ ١٣)، وقال: «إسناده حسن ولم يخرجوه».

الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي[١]، وعندما نزلوا الحجر استقوا من آبارها وعجنوا من مائها العجين، فنهاهم عن ذلك، وأمرهم بطرح ذلك العجين للإبل ويُهْرِيقوا ذلك الماء، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة[٢].

وعندما اشتكى المسلمون إلى النبي ﷺ ما أصاب إبلهم من الإجهاد، دعا الله أن ينشطها، فنشطت بهم حتى بلغوا المدينة[٣].

وحاول جماعة من المنافقين الملثمين أن يطرحوا الرسول ﷺ عن راحلته من رأس عَقَبَة بالطريق، في عَتَمَةٍ من الليل، فشعر بمؤامرتهم، فأمر بإبعادهم عنه[٤].

فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة، خرج الصبيان إلى ثنية الوداع لتلقيه[٥]، ومعهم النساء والولائد يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع[٦]

وكان أول ما فعله الرسول ﷺ عند دخوله المدينة أن صلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس فجاءه المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى الأعذار، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم لله[٧]، وجاء الثلاثة المخلفون، وكان من خبرهم ما سبق ذكره.

---

(١) البخاري: الفتح (١٣/ ١١٩، ح٣٣٧٨)، مسلم (٤/ ٢٢٨٦، ح٢٩٨١).
(٢) البخاري: الفتح (١٣/ ١١٩، ح٣٣٧٨ ـ ٣٣٧٩)، مسلم (٤/ ٢٢٨٦، ح٢٩٨١).
(٣) أحمد: المسند (٦/ ٢٠) بإسناد حسن، وموارد الظمآن، ص٤١٨.
(٤) أحمد: المسند (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) بإسناد حسن، ويشهد للقصة بالصحة ما رواه مسلم (٤/ ٢١٤٤، ح٢٧٧٩) من حديث حذيفة عنهم، وروي من طريقين أخريين ضعيفين، انظر البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٢٦٠).
(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٥٩، ح٤٤٢١ ـ ٤٤٢٧).
(٦) قال ابن حجر في شرح الحديثين المذكورين (٤٤٢٦ ـ ٤٤٢٧): «وقد روينا بسند منقطع في الحليات قول النسوة لما قدم النبي ﷺ المدينة: طلع البدر علينا . . . فقيل: كان ذلك عند قدومه من الهجرة وقيل: عند قدومه من غزوة تبوك». وانظر الكلام على هذه المسألة في مكانها من حديث الهجرة.
(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، ح٤٤١٨)، مسلم (٤/ ٢١٢٣، ح٢٧٦٩).

وقفة مع بعض الآيات التي نزلت بمناسبة غزوة تبوك:

نزلت آيات كثيرة من سورة براءة - التوبة - حول موضوع هذه الغزوة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج وهو مسافر، وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة. وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة، وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين المخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين، الخارجين منهم في الغزوة والمتخلفين.

١ - قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢].

قال الطبري[١]: «وقد اختلف أهل التأويل في المعني بهذه الآية، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه. فقال بعضهم: نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، منهم أبو لبابة، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى سواري المسجد عند مقدم النبي ﷺ من تبوك، توبة منهم من ذنبهم... وقال آخرون: الذين ربطوا أنفسهم كانوا ثمانية... وقال آخرون: كانوا سبعة... وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك. وقال بعضهم: عنى بهذه الآية الأعراب...». وذكر الطبري المرويات فيمن قال بكل قول من الأقوال المذكورة... وكلها روايات لا تقوم بها الحجة حسب دراسة الدكتور السندي[٢] لها، ولذا قال الطبري[٣]: «وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله ﷺ، وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم، حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل فيهم جماعة، أحدهم أبو لبابة... فقد تبين أن هذه الصفة لم تكن إلا لجماعة فعلت ذلك، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك... منهم أبو لبابة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

---

(١) التفسير (١٤/ ٤٤٦ - ٤٥٣، شاكر).

(٢) الذهب المسبوك، ص١١٢ - ١٣٣.

(٣) التفسير (١٤/ ٤٥٣، شاكر).

٢ - قال الله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥].

لقد روى الطبري[١] عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، منها أثر صحيح عن ابن عمر مضمونه أن رجلاً قال في مجلس في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل القرآن، قال ابن عمر: فأنا رأيته متعلقاً بِحَقَبِ[٢] ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبُهُ[٣] الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم». واستدل بعضهم بهذه الآية على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك[٤].

ويقول الله تعالى تحقيباً على ما صدر من هذا الرجل: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٦].

إن أصح ما روي في تفسير هذه الآية أن الذي عُفِيَ عنه هو وحشي بن حمير الأشجعي، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع[٥].

معجزات وقعت للرسول ﷺ في أحداث تبوك:

شكا الصحابة ﷺ إلى النبي ﷺ ما يواجهون من جهد، فأمر أن يمروا بها عليه عند مكان ضيق، فأخذ ينفخها ويقول: «اللهم احمل عليها في سبيلك إنك تحمل

---

(١) التفسير (١٤/ ٣٣٣ ثم رقم ١٦٩١٢) بإسناد صحيح.

(٢) الحقب: حبل يشد به الرحل على بطن البعير.

(٣) تنكبه: تصيبه.

(٤) انظر مثلاً ابن الجوزي: زاد المسير (٣/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).

(٥) من رواية ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك بإسناد حسن كما جاء عند السيوطي: الدر المنثور (٣/ ٢٥٤)، وعن بقية التفاسير، انظر: السيوطي: الدر المنثور، والطبري: التفسير (١٤/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧)، وابن كثير: التفسير (٤/ ١١٢).

على القوي والضعيف وعلى الرطب واليابس في البر والبحر»، فما بلغوا المدينة حتى جعلت تنازعهم أزمتها، فقال الرواي - فُضَالة بن عُبيد الأنصاري: «هذه دعوة النبي ﷺ على القوي والضعيف، فما بال الرطب واليابس، فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرص في البحر، فلما رأينا السفن في البحر وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي ﷺ»[١].

روى الواقدي عدة آثار عن معجزات وقعت للرسول ﷺ ضمن أحداث غزوة تبوك، ولكن كلها ضعيفة، مثل الحية التي اعترضت سبيل المسلمين في غزوة تبوك[٢]، ومعجزة نبع الماء من أصابعه[٣]، ومعجزة تكثير الطعام[٤].

وكذلك روى السيوطي آثاراً عن معجزات وقعت للرسول ﷺ وكلها ضعيفة، مثل نزول المطر بدعاء الرسول ﷺ في غزوة تبوك[٥]، ولقاء إلياس ﷺ بالرسول ﷺ في هذه الغزوة[٦]، وكل هذه المعجزات التي وردت عند الواقدي والسيوطي بأسانيد ضعيفة، وقع مثلها بأسانيد صحيحة، جاء ذكرها في ثنايا هذا الكتاب، اللهم إلا قصة إلياس ﷺ، فهي لم ترد من قبل بإسناد صحيح أو سقيم. وقد أفردنا فصلاً خاصاً للكلام عن معجزات النبي ﷺ.

الأحكام والفوائد والدروس المستنبطة من أحداث غزوة تبوك:

١ - إن في صلاة النبي ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف ﷺ تكريماً لأحد أصحابه، ودليلاً على جواز إمامة المفضول وصلاة الأفضل خلفه.

٢ - سأل معاذ بن جبل ﷺ الرسول ﷺ عن عمل يدخله الجنة، وهم في طريق العودة من تبوك، فأجابه الرسول ﷺ بأن رأس هذا الأمر الشهادة وقوامه الصلاة والزكاة وذروة سنامه الجهاد[٧].

---

(١) أحمد: المسند (٦/ ٢٠) بإسناد حسن.

(٢) المغازي (٣/ ١٠٠٨ - ١٠١٥)، بإسناد منقطع.

(٣) المصدر نفسه (٣/ ١٠٤٠ - ١٠٤٢).

(٤) المصدر نفسه (٣/ ١٠١٧ - ١٠١٨).

(٥) الخصائص الكبرى (٢/ ١٠٦).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ١٠٩)، بإسناد موضوع ومتن منكر.

(٧) أحمد: المسند (٥/ ٢٤٥ - ٢٤٦)، بإسناد حسن.

٣ - كان الرسول ﷺ يجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وبين صلاتي المغرب والعشاء[١]. وأصبحت سنة لأصحاب الأعذار.

٤ - سئل النبي ﷺ عن سترة المصلي، فأجاب بأنها مثل مُؤخرة الرحل[٢].

٥ - أقام ﷺ بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة[٣]. وبهذا استدل بعض العلماء على جواز القصر ما دام المرء في حالة سفر ولم ينو الإقامة، وانظر الفقرة ١٧ بعد تالي

٦ - قال ﷺ عن جِلْدِ الميتة: «دِبَاغُها طهورها»، وذلك عندما طلب ماء من بيت بتبوك فأتي له به في فرة من جلد فشرب[٤].

٧ - أهدى الرسول ﷺ ثنية رجل عضي يد رجل آخر فانتزعها بقوة ومعها الثنية[٥].

٨ - جواز الهجر أكثر من ثلاث ليالٍ لسبب شرعي، كما في أمر الرسول ﷺ بمقاطعة الذين خلفوا لمدة خمسين ليلة.

٩ - إن من يمر بديار المغضوب عليهم والمعذبين، لا ينبغي له أن يدخلها، [إلا لضرورة]، ولا أن يقيم بها، بل عليه أن يسرع، ويتقنع بثوبه حتى يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكياً معتبراً، كما فعل الرسول ﷺ وأمر به عندما مر بديار ثمود بالحجر، وكما فعل في وادي محسر بين منى وعرفة، فإنه المكان الذي أهلك الله فيه الفيل وأصحابه[٦].

١٠ - تصريح الإمام للرعية، وإعلامهم بالأمر الذي يضرهم ستره وإخفاؤه ليتأهبوا له، وجواز ستر غيره عنهم والكتابة عنه للمصلحة، كما فعل الرسول ﷺ في أمر الإعلام بوجهته حين عزم على غزوة تبوك[٧].

١١ - إذا استنفر الإمام الناس للجهاد لزمهم النفير جميعاً، ولا يشترط في وجوب

---

(١) الزرقاني: شرح موطأ مالك (٢/ ٥٥ ـ ٥٨).

(٢) النسائي: السنن (٦/ ٦٢، كتاب القبلة، باب سترة المصلي)، بإسناد صحيح.

(٣) الهيثمي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ص١٤٥، بإسناد صحيح.

(٤) أبو داود: السنن (٤/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩، كتاب اللباس، باب في أهب الميتة، ح٤١٢٥) بإسناد حسن.

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٤٠، ح٤٤١٧)، مسلم (٣/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١، ح١٦٧٣ ـ ١٦٧٤).

(٦) انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٦٠).

(٧) انظر: المرجع نفسه (٣/ ٥٥٨).

ذلك تعيين كل واحد منهم بعينه، وهو أحد المواضع الثلاثة التي يصبح فيها الجهاد فرض عين، والثاني: إذا حضر العدو البلد، والثالث إذا حضر بين الصفين[١]، [أي حين لقاء العدو].

١٢ - وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، وهذه إحدى روايتي أحمد، قال ابن القيم[٢]: «وهو الصواب الذي لا ريب فيه».

١٣ - إن في قول الرسول ﷺ لعثمان ﷺ عندما رأى سخاء بذله: «ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم»، منقبة كبرى لعثمان ﷺ، تضاف إلى مناقبه الأخرى الكثيرة، والتي أعظمها البشرى له بالجنة.

١٤ - إن العاجز عن الجهاد والذي لا حرج عليه إذا تخلف عنه هو الذي يبذل جهده ويتحقق عجزه، كما في حالة الذين جاءوا يسألون الحملان فلم يجد الرسول ﷺ ما يحملهم عليه، فرجعوا يبكون لما فاتهم من شرف وأجر الجهاد.

١٥ - مشروعية استخلاف الإمام، إذا سافر، رجلاً من الرعية على الضعفاء والنساء والذرية، كما في حالة علي ﷺ، ويكون نائبه من المجاهدين، وهي خلافة خاصة، أما الاستخلاف العام والخاص بالشؤون الأخرى فكان لمحمد بن مسلمة[٣].

١٦ - لا يجوز شرب ماء آبار ثمود ولا الطبخ منه ولا العجن به، ولا الطهارة به، ويجوز أن يسقى منه البهائم، إلا ما كان من بئر الناقة، فيجوز الاستفادة من مائها في كل شيء[٤].

١٧ - أقام النبي ﷺ عشرين يوماً يقصر الصلاة، ولم يقل للأمة: لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك، وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر، سواء طالت أم قصرت إذا كان غير مستوطن ولا عازم على الإقامة بذلك الموضع، وكان ذلك عمل بعض أئمة السلف، مثل سعد بن أبي وقاص

---

(١) انظر: المرجع والمكان نفسهما.

(٢) انظر: المرجع والمكان نفسهما.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٦٠.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٦٠.

وابن عمر وأنس بن مالك وعبد الرحمن بن سَمُرة، وهو الصواب كما قال ابن القيم[١].

١٨ - إن من مراتب الجهاد الأربعة: الجهاد بالقلب، كما في حال الذين حبسهم العذر، وقال عنهم الرسول ﷺ: «إن بالمدينة أقواماً... الحديث» والمراتب الأخرى: اللسان، والمال، والبدن، كما في الحديث: جاهدوا المشركين بألسنتكم وقلوبكم وأموالكم»[٢].

١٩ - جواز إحراق وهدم أمكنة المعصية، كما فعل الرسول ﷺ بمسجد الضِّرار.

٢٠ - جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله، كما في رواية كعب لقصة تخلفه عن غزوة تبوك.

٢١ - جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير، إذا لم يكن ذلك على سبيل الفخر والترفع، كما فعل كعب ﷺ.

٢٢ - إن بيعة العقبة الكبرى كانت من أفضل مشاهد الصحابة، حتى إن كعباً كان لا يراها دون مشهد بدر.

٢٣ - لا ينبغي للإمام أو المطاع أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب، كما فعل الرسول ﷺ عندما سأل عن كعب وغيره بتبوك.

٢٤ - إن رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكل سريرته إلى الله، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما لم يعلم من سره، كما فعل الرسول ﷺ مع الذين جاؤوه يعتذرون له عن تخلفهم.

٢٥ - إن في سجود كعب حين سمع صوت المبشر دليلاً ظاهراً على أن تلك كانت عادة الصحابة، وهو سجود الشكر عند حدوث النعم المتجددة، والنقم

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٦١ - ٥٦٣، وانظر فيه اختلاف السلف والخلف في ذلك، ص٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود: السنن (٣، كتاب الجهاد، ح٢٥٠٤)، وأحمد: المسند (٣/ ١٢٤، ١٥٣)، والنسائي: السنن (٦/ ٧، كتاب الجهاد، ح٣٠٩٨)، والدارمي: السنن (٢/ ٢١٣، كتاب الجهاد)، والحاكم: المستدرك (٢/ ٨١) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان: موارد الظمآن (ح١٦١٨)، ولفظ ابن حبان: «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم».

المندفعة، وقد سجد أبو بكر ﷺ لما جاءه خبر مقتل مسيلمة الكذاب[٣]، وسجد علي عندما وجد ذا الثُّدَيَّة أو المُخْدَجُ مقتولاً في الخوارج[٤] وهم في هذا يقتدون بالرسول ﷺ. فقد سجد رسول الله ﷺ عدة مرات لأحداث سارة، وقال أبو بَكْرَة: «كان رسول الله ﷺ إذا أتاه أمر يسره خرَّ لله ساجداً»[٥]، ومن أمثلة ذلك سجوده عندما أتاه خبر إسلام همدان على يد علي بن أبي طالب[٦].

٢٦ - استحباب الصدقة عند التوبة بما قدر عليه من المال، كما جاء في موقف كعب وحواره مع الرسول ﷺ عندما أراد التصدق بكل ماله، ولكن الرسول ﷺ استحب له الثلث، فأمسك فقط سهمه الذي بخيبر[٧].

٢٧ - مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب، وأنهم يحرزون بذلك دماءهم وأموالهم، فقد رأيت أن الروم اختفوا وتفرقوا عن مواجهة رسول الله ﷺ حينما وصل تبوك، وجاء نصارى العرب فصالحوه على الجزية.

٢٨ - إن موقف كعب من رسالة ملك غسان وتعليقه على طلبه، فيه صورة رائعة لما ينبغي أن يكون عليه إيمان المسلم بربه تعالى، وإن الابتلاء لا بد أن يكشف عن المزيد من الإيمان وشدة الإخلاص.

٢٩ - لقد وطدت هذه الغزوة سلطان الإسلام في شمالي شبه الجزيرة العربية،

---

(٣) أخرجه البيهقي: السنن الكبرى (٢/ ٣٧١، كتاب الصلاة، باب سجود الشكر).

(٤) أحمد: المسند (٢، ح٨٤٨، شاكر) وصحح شاكر إسناده، وذكر مسلم (٢/ ٧٤٦ ـ ٧٤٩، ح١٠٦٦) قصته مع علي ﷺ أيام حربه مع الخوارج وإخبار النبي ﷺ عن صفته وما في هذا من أدلة على نبوة محمد ﷺ.

(٥) أبو داود: السنن (٣/ ٢١٦، كتاب الجهاد، ح٢٧٧٤)، وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود، رقم ٢٤٧٩، الترمذي: السنن (٥/ ٣٠٤، ح١٥٧٨، الدعاس)، وقال: حسن غريب، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٣٣، كتاب الصلاة، ح١٣٩٤)، وقال: «حسن»، وقال ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٨٤)، عن هذه الآثار المذكورة في سجود الشكر: «وهي آثار صحيحة لا مطعن فيها».

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ١٨٤، ح٤٣٤٩) وستأتي قصة علي مع همدان في الفصل السابع والعشرين، المبحث الثاني: «بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن».

(٧) أخرجه أبو داود: السنن (٣/ ٦١٤، كتاب الأيمان والنذور، ح٣٣٢١)، بإسناد صحيح، ولمزيد من الفوائد والتفاصيل، انظر: ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٥٨ ـ ٥٩٢)، ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٥١ ـ ٢٥٤).

ومهدت لفتوح الشام التي استعد لها الرسول ﷺ بإعداد جيش أسامة قبيل وفاته، فأنفذه أبو بكر ﷺ، ثم أتبعه أبو بكر بجيوش الفتح الأخرى التي انساحت في بلاد الشام والعراق، وكانت بداية تحرير شعوب تلك المناطق من عبودية القيصرية والكسروية.

الفصل الخامس والعشرون

الوفـود

عندما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، قدمت إليه وفود العرب من كل وجه[١]، حتى إن سنة تسع كانت تسمى سنة الوفود[٢]، وقد سبق القول إن أبرز نتائج فتح مكة أن أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش[٣].

ولقد ذكر البخاري وابن إسحاق والواقدي وابن سعد والبيهقي وفوداً تقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع، بل وعلى فتح مكة[٤]. وهو أمر سنراه ظاهراً عند الوقوف على أخبار الوفود في المصادر المختلفة، ومن خلال تناولي لها في هذا الكتاب، على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود لم يستقصوها جميعها، ولذا استدرك عليهم ابن كثير، وذكر ما أهملوه[٥]، مستفيداً في هذا من المصادر الأخرى التي ضاع معظمها، ولكن وجدت منها روايات مبثوثة في كتب الذين جاؤوا من بعدهم. وقد تكلمنا عن هذا في المباحث الخاصة بمصادر السيرة.

وبلغ مجموع ما ذكره هؤلاء الأئمة ما يزيد على الستين وفداً، وقد سردهم الشامي في سيرته، فزادوا على مائة، فلعل هؤلاء الأئمة اقتصروا على ذكر المشهور منهم أو الذين أتوا لترتيب مصالحهم[٦]. وكان ابن سعد صاحب أكبر إسهام في إيراد أخبار تلك الوفود، ويعاب عليه وعلى شيخه الواقدي وابن إسحاق إهمال الإسناد إلا نادراً، وحتى معظم هذه الأسانيد النادرة لا يخلو معظمها من مطعن من حيث ضعف

---

(١) انظر: ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٢٧٣).

(٢) ابن هشام (٤/ ٢٧٣) بإسناد منقطع.

(٣) انظر ذلك في مكانه من هذا الكتاب عند الكلام عن أبرز نتائج فتح مكة.

(٤) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٤٦ ـ ٤٧).

(٥) المرجع نفسه (٥/ ٤٧).

(٦) انظر: أبو تراب الظاهري: وفود الإسلام، ص٨.

الرجال أو الإرسال.

وسأشير في كتابي هذا إلى أسماء معظم الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ، دون الدخول في تفاصيل أخبارها، لأن ذلك مما يطول الكلام فيه. وقد أفرد له أبو تراب الظاهري كتاباً مفيداً[١]. وهاكها:

١ - **وفد مُزَينة**: قدموا على رسول الله ﷺ في رجب سنة خمس[٢] وكان عددهم أربعمائة. وانظر خبرهم في المسند[٣]. ففيه معجزة تكثير التمر.

٢ - **وفد بني تميم**: ذكر البخاري قدوم هذا الوفد، كما حكت سورة الحجرات عنهم من تصرفات مجافية لآداب الاستئذان والمخاطبة، حيث آذوا الرسول ﷺ بصياحهم له من وراء حجراته، طالبين منه أن يخرج إليهم ليفاخروه، ولم يستأذنوا عليه[٤].

وكان قدومهم على الرسول ﷺ في أول السنة التاسعة الهجرية[٥].

٣ - **وفد عبد القيس**: ممن ذكر خبرهم البخاري ومسلم[٦] وغيرهما. وفيه خبر أشج عبد القيس وثناء الرسول ﷺ على حلمه.

٤ - **وفد بني حنيفة**: روى البخاري[٧] من حديث ابن عباس أن مسيلمة الكذاب قدم على النبي ﷺ في بشر كثير من قومه بني حنيفة، فجعل يقول: «إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته»، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مُسَيْلِمَة في أصحابه، فقال: «لو سألتني

---

(١) المرجع نفسه، وهو في خمس ومائتي صفحة، وذكر فيه أكثر من ستين وفداً.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى (١/ ٢٩١) من رواية الواقدي، وفيه كثير بن عبد الله المزني.

(٣) أحمد: المسند (٥/ ٤٤٥) ورجاله ثقات وسنده حسن، وأخرجه غيره، انظر في هذا: البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٦٥ - ٣٦٧)، وقارن بين الروايات.

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٠٦، ح٤٣٦٥).

(٥) انظر: الدياربكري: تاريخ الخميس (٢/ ١١٨ - ١١٩)، وانظر خبرهم عند الكلام عن سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر.

(٦) الفتح (١٦/ ٢٠٨، ح٤٣٦٨، ٤٣٦٩)، مسلم (١/ ٤٦ - ٥٠، ح١٧ - ١٨) وغيرهما. وانظر: السيرة لمهدي أحمد، ط١، ص٦٤١ - ٦٤٢.

(٧) الفتح (١٦/ ٢١٣، ح٤٣٧٣، ٤٣٧٤، ٤٣٧٥).

هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت في ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني»، ثم انصرف عنه.

وقد سأل ابن عباس أبا هريرة عن قوله ﷺ: «وإني لأراك الذي أُرِيتُ في ما أريت»، فأخبره أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحي إليّ في المنام، أن أنفخهما فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي، أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة»[1].

واسمه عَبْهَلَة أو عَيهَلَة بن كعب، والعَنْسِيّ نسبة إلى قبيلة عنس - بطن من مذحج - ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ باليمن، وحاربه الذين ثبتوا على الإسلام باليمن وقتلوه هو وزوجته، وقضوا على فتنته قبل وصول جيوش الخليفة أبي بكر ﷺ. وقد فصلنا القول في فتنته بكتابنا: الثابتون على الإسلام.

٥ - **وفد نجران**: ثبت في الصحيح أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه - أي يباهلانه -، فقال أحدهما لصاحبه: «لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا». وقالا: «إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً». فقال: «لأبعثن رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح». فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»[2]، فخرج معهم أبو عبيدة ليقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه[3].

٦ - **وفد الأشعريين**: ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري أنه عندما بلغهم مخرج النبي ﷺ وهم باليمن خرجوا مهاجرين إليه ومعهم أخوان له، هو أصغرهم، أحدهما أبو بُردة والآخر أبو رهم، وهم في بضعة أو في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومه، فركبوا سفينة، فألقتهم إلى النجاشي بالحبشة، ووافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فطلب منهم جعفر أن يقيموا معهم لأن

---

(١) جاء ذكر المباهلة، وهي الدعاء باللعنة، في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢١٨، ح٤٣٨٠، ٤٣٨١)، مسلم (٤/ ١٨٢٢، ح٢٤٢٠) مختصراً.

(٣) ابن إسحاق، من حديث محمد بن جعفر، منقطعاً: ابن هشام (٢/ ٢٦٦). وانظر التفاصيل في السيرة لمهدي، ط١، ص٦٤٤ - ٦٤٧.

رسول الله ﷺ بعثهم إلى هاهنا وأمرهم بالإقامة، فأقاموا معه، حتى قدموا جميعاً، فوافقوا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لهم[١].

٧ - **وفد الحِمْيَريين من أهل اليمن**: وهؤلاء الحميريون هم الذين جاء ذكرهم في الصحيح، وذلك عندما جاءت بنو تميم إلى الرسول ﷺ فقال: «أبشروا يا بني تميم»، فقالوا: «أما إذا بشرتنا فأعطنا». فتغير وجه رسول الله ﷺ، فجاء ناس من أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: «قد قبلنا يا رسول الله»[٢].

وكان ذلك في العام التاسع، عام الوفود[٣].

٨ - **وفد طيِّء**: قدموا على رسول الله ﷺ، وفيهم زيد الخيل، الذي سمَّاه الرسول ﷺ زيد الخير، وهو سيدهم، فأسلموا وحسن إسلامهم، وأقطع الرسول ﷺ زيداً أرضاً، وكتب له كتاباً بذلك، ومات بالحمى في طريق عودته. ولما مات أحرقت زوجته ما كان معه من كتب لجهلها[٤].

٩ - **وفد بني عامر**: ثبت في الصحيح أن عامر بن الطفيل أتى النبي ﷺ فقال: أخيِّرك بين خصال ثلاث: «يكون لك أَهْلُ السَّهْلِ وَلِيَ أهلِ المَدَرِ، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان، بألف أشقر وألف شقراء»، فَطُعِنَ في بيت امرأة، فقال: «أَغُدَّةٌ كغدة البعير، في بيت امرأة من آل بني فلان، ائتوني بفرسي»، فركب، فمات على فرسه[٥].

وروى الطبراني[٦] في الكبير تآمر ابن الطفيل وإربد على قتل النبي ﷺ، وكانت

---

(١) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٢٢ - ٢٢٣، ح٣١٣٦)، وانظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٢٢). وقد ضعف قول من قال: إنهم قدموا عن الرسول ﷺ بمكة قبل الهجرة، مسلم (٤/ ١٩٤٦، ح٢٥٠٢)، وغيرهما. وذكرنا خبرهم في غزوة خيبر.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٢٣، ح٤٣٨٦).

(٣) انظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٢٢).

(٤) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧)، ابن سعد (١/ ٣٢١).

(٥) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٦٨، ح٤٠٩١) وقال ابن حجر: الفتح (١٥/ ٢٦٩): إن الطبراني قد نسب المرأة من حديث سهل بن سهد، فقال: «امرأة من آل سلول. . .». وطعن: أصابه الطاعون.

(٦) ابن كثير: التاريخ (البداية والنهاية)، (٥/ ٦٨ - ٦٩)، والتفسير (٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧) في إسناده عبد العزيز بن عمران، وهو متروك. وانظر السيرة لمهدي رزق الله، ط١، ص٦٤٨ - ٦٤٩، ففي القصة تفصيل، حذفناه هنا على سبيل الاختصار.

خطتهما أن يشغل ابن الطفيل الرسول ﷺ بالحديث فيضربه إربد فيقتله، فلا تكون إلا الدية، لأن الناس ستكره الحرب، ولكن الله عصمه منهما، إذ لم يستطع إربد أن يفعل شيئاً، وأهلك الله عامراً بالغدة وإربداً بالصاعقة، فأنزل الله فيهما: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ [الرعد: ٨] - إلى قوله - ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ يعني محمداً، و﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾.

١٠ - **وفد جُذَام:** قدم رفاعة بن زيد الجذامي في عشرة من قومه على رسول الله ﷺ في زمن هدنة الحديبية وقبل خيبر، فأسلم وحسن إسلامه، وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً وبعثه إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا[1].

١١ - **وفد بني سعد بن بكر:** بعث بنو سعد بن بكر ضِمَام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد بين أصحابه، فأخذ يسأل الرسول ﷺ عن أركان الإسلام التي سمع بها، وينشده الله أن يصدقه عند ذكر كل فريضة، والرسول ﷺ يجيبه، حتى إذا فرغ من ذلك نطق بالشهادتين، وأسلم، ثم عاد إلى بعيره، فانطلق به إلى قومه، فأخبرهم خبر الرسول ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام ونبذ اللات والعزى، فأسلموا جميعاً حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة»[2]. وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح لأن العزى خربها خالد أيام الفتح[3].

وتدل قصة إسلامه على مدى انتشار تعاليم الإسلام في وسط القبائل العربية.

---

(١) ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٣٢٢ - ٣٢٣)، ابن حجر: الإصابة (٣/ ٤٤١) من حديث ابن إسحاق الطبراني، متصلاً ومنقطعاً مختصراً من طريق ابن إسحاق، وفي المتصل جماعة مجهولون، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٠٩ - ٣١٠)، ومما يقوي هذا الحديث ما ثبت في الصحيحين أن رفاعة بن زيد أهدى لرسول الله ﷺ غلاماً أسوداً اسمه مدعم، وذكرت قصة مقتله في وادي القرى حين منصرف الرسول ﷺ من خيبر، كما في الصحيح.

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٢٩١ - ٢٩٣)، ومن رواه من غير طريق ابن إسحاق، ابن ماجه: صحيح ابن ماجه، الألباني (١/ ٢٣٥ - ٢٣٦، ح١٤٠٢)، وصححه وأحال إلى تصحيحه في: صحيح أبي داود رقم (٥٠٤).

(٣) قاله ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٧٠).

حتى جاء ضمام لا ليسأل عنها ولكن جاء ليستوثق منها، معنداً لها الواحدة تلو الأخرى، مما يدل على استيعابه لها قبل مجيئه إلى الرسول ﷺ.

١٢ ـ وافد دوس ـ الطفيل بن عمرو ـ وقصته: روى ابن إسحاق[١] من حديث الطفيل بن عمرو الدوسي أنه قدم مكة رسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، لأنه كان رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، وأرادوا أن يصرفوه عن الاستماع إلى الرسول ﷺ وحاولوا إقناعه بشتى الحجج حتى أجمع ألا يسمع من الرسول ﷺ، وحشا أذنيه قطناً ثم أتى المسجد، وأقام قريباً من الرسول ﷺ وأبى الله إلا أن يسمع منه بعض قوله، فسمع كلاماً حسناً ثم قال في نفسه إنه ما دام رجلاً لبيباً شاعراً ما يخفى عليه الحسن من القبيح فلماذا لا يسمع من الرسول ﷺ، فمكث حتى انصرف الرسول ﷺ إلى بيته فجاءه وحكى له ما حدث من قريش وسمع منه فأعجبه ما قال فأسلم، وطلب أن يدعو الرسول ﷺ الله ليجعل له آية تكون عوناً له على دعوة قومه. فكان أن جعل الله له نوراً في رأس سوطه. وعندما عاد كان أول من أسلم على يديه والده وأمه، وأبطأت عليه دوس، فعاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو الله عليهم، ولكن الرسول ﷺ قال: «اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». فرجع وأخذ يدعو إلى الإسلام إلى ما بعد غزوة الخندق، ثم قدم بمن أسلم من قومه على رسول الله ﷺ وهو بخيبر، وهم نحو سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقوا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لهم مع المسلمين[٢]، فلم يزل مع الرسول ﷺ حتى إذا فتح مكة طلب أن يبعثه إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة، فأحرقه[٣].

أما حديث الرسول ﷺ: «اللهم اهد دوساً...» فأصله في الصحيح من رواية البخاري ومسلم[٤]. ومما يثبت أن الطفيل قد قدم على الرسول ﷺ وهو بمكة ما

---

(١) ابن هشام (٢/ ٢٥ ـ ٢٩)، معلقاً، وقال محققا دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٢٣٨): «ووصله ابن إسحاق في بعض نسخ المغازي من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو، وهو في سائر النسخ بغير إسناد». ولم نقف ـ حتى الآن ـ على هذا الإسناد لنحكم عليه.

(٢) سبق ذكر ذلك عند الكلام عن تقسيم غنائم غزوة خيبر.

(٣) سبق ذكره في خبر السرايا بين غزوة حنين وتبوك، الفصل٢٣ المبحث رقم١.

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٢٧، ح٤٣٩٢) ولفظه: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: «إن دوساً قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوساً وأتِ بهم»، مسلم (٤/ ١٩٥٧، ح٢٥٢٤) وفيه: «قدم الطفيل بن عمرو وأصحابه... إن دوساً قد كفرت وأبت... فقيل: هلكت =

رواه مسلم[١] من حديث جابر أن الطفيل أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! هل لك في حصن حصين ومنعة؟ حصن كان لدوس في الجاهلية ـ فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل وهاجر معه رجل من قومه...» الحديث.

١٣ ـ وفادة فَرْوَة بن مُسَيْك المُرَادي: روى أهل المغازي والسير في خبر طويل أن فروة بن مسيك المرادي قدم على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم، فأسلم، فاستعمله النبي ﷺ على مراد وَزُبَيْد وَمَذْحِج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ[٢].

وروى بعض أهل الحديث ما يثبت هذه الوفادة[٣].

١٤ ـ وفد كِنْدة: روى ابن إسحاق[٤] أنه قدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة في ثمانين راكباً.

١٥ ـ وفد زُبَيْد: ذكر أهل السير أن عمرو بن مَعْدِ يَكْرِبَ قدم على رسول الله ﷺ في أناس من بني زبيد، فأسلم، وله قصة في حروب الردة، حيث ارتد[٥]، ثم عاد

دوس...». ورواه أحمد: المسند (١٣/ ٣٩، ح٧٣١٣، شاكر) وصححه، وقال ابن كثير: البداية (٢/ ١١٠): «إسناده جيد ولم يخرجوه، وهذا مما يدل على أن لرواية ابن إسحاق أصلاً. ويؤيد ذلك ما ذكرته بأسانيد صحيحة عن قدومهم إلى الرسول ﷺ بخيبر وإسهامه لهم. فانظره في مكانه من الكتاب.

(١) الصحيح (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩، ح١١٦).

(٢) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤)، ورواه الطبري: التاريخ (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٦) من طريق ابن إسحاق بإسناد منقطع؛ إذ لم يسم عبد الله من حدثه، ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وابن سعد (١/ ٢٣٧) مختصراً من طريق الواقدي، ويشهد لرواية ابن إسحاق ما ثبت في الروايات الصحيحة عند أهل الحديث عن خبر وفادة فروة.

(٣) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٩٥ ـ ٩٦، ح٣٤٥٢) وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٤) ابن هشام (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) من مرسل الزهري. وانظر: السيرة لمهدي، ط١، ص٦٥٣.

(٥) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦)، الطبري: التاريخ (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٤) من رواية ابن إسحاق عن شيخه عبد الله بن أبي بكر، ولم يصرح فيه بالسماع، ابن سعد (١/ ٣٢٨) من رواية الواقدي.

إلى الإسلام وحسن إسلامه[١].

وكان وفوده إلى النبي ﷺ سنة تسع[٢]، وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدي[٣].

١٦ ـ ١٧ وفد الأزد ـ أزد شَنُوءة ـ ثم وفد أهل جُرَش: قدم صُرَد بن عبد الله الأزدي في وفد من الأزد على رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قبل اليمن، ففعل، فنزل جُرَش، وهي يومئذ مدينة حصينة، وبها قبائل من اليمن، وقد انضمت إليهم خَثْعَم، فتحصنوا بها عندما سمعوا بمسير المسلمين، فحاصرهم صرد قريباً من شهر، ثم تركهم، وعندما بلغ جبلاً لهم يقال له كَشَر ظنوا أنه ولى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه كر عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ ينظران أمره، فبينما هما عنده نعى لهما قومهما، فسألاه أن يرفع الله عنهم القتل، وجاءا إلى قومهما فوجدا أن ما قاله لهما الرسول ﷺ قد وقع في الزمان والمكان الذي ذكره لهما الرسول ﷺ، فقدم وفد منهم على رسول الله ﷺ فأسلموا[٤].

وكان ممن وفد على النبي ﷺ في وفد الأزد خباوة بن مالك الأزدي[٥].

١٨ ـ قدوم رسول ملوك حِمْيَر بكتابهم: قدم على رسول الله ﷺ رسول حمير يحمل كتاباً منهم فيه إعلان إسلامهم، وذلك عند مقدمه من تبوك، وهم: الحارث بن

---

(١) ابن سعد (١/ ٣٢٨) من طريق الواقدي، وانظر ترجمته في: الإصابة (١٨١٣ ـ ١٨٢١)، والاستيعاب (٢/ ٥٢٠). وانظر: السيرة النبوية للدكتور مهدي أحمد، ط١، ص٦٥٤.

(٢) ابن كثير: البداية (٥/ ٨٢ ـ ٨٣) وعزاه إلى ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عنه.

(٣) ابن كثير: البداية (٥/ ٨٢) معلقاً.

(٤) من رواية ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٠٩ ـ ٣١١)، ورواه الطبري في التاريخ (٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩) من طريق ابن إسحاق بإسناد منقطع من حديث شيخه عبد الله بن أبي بكر، وقد صرح بالسماع، وابن سعد (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)، من حديث الواقدي.

(٥) ابن الأثير: أسد الغابة (١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠). انظر السيرة لمهدي، ص٦٥٥، ط١.

عبد كُلال، ونُعَيم بن عبد كُلال، والنُّعمان ـ صاحب ذي رُعَيْن ومَعَافِر وهَمْدَان، وبعث إليه زُرْعَة ذو يَزَن مالك بن مرة الرَّهَاوِي بإسلامهم، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً فيه ما لهم وما عليهم، وبالذات أنصبة الزكاة والجزية على من بقي على يهوديته أو نصرانيته، وسمى لهم من أرسله إليهم: معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وغيرهم، وأميرهم معاذ، وأوصى بهم برسله خيراً[١].

وكان ذلك في رمضان سنة تسع من الهجرة[٢].

١٩ ـ **قدوم جَرير بن عبد الله البَجَلي**: كان رسول الله ﷺ يخطب في المسجد عندما دخل جرير المدينة، وذكره الرسول ﷺ في خطبته قبل أن يدخل عليهم المسجد، فقال: «يدخل عليكم من هذا الباب ـ أو من هذا الفج ـ من خير ذي يمن، إلا أن على وجهه مسحة ملك»[٣]. فأسلم على يدي الرسول ﷺ وبايعه[٤]. وأكرمه الرسول ﷺ بأن ألبسه حلته، وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[٥].

والظاهر أن إسلامه كان متأخراً عن الفتح، فإن الإمام أحمد روى عنه قوله: «أسلمت بعدما أنزلت المائدة، وأنا رأيت رسول الله ﷺ يمسح بعدما أسلمت»[٦].

---

(١) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣١١ ـ ٣١٣)، ابن سعد (١/ ٢٥٦) مختصراً من طريق الواقدي، وعبد الرزاق في المصنف (٤/ ١٣٦)، والبيهقي: السنن (٤/ ١٣٠)، كلاهما مختصراً من طريق واحد وبإسناد صحيح.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٨٦) من رواية الواقدي.

(٣) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٦)، والطبراني، ورجالهما ثقات، وثبت أيضاً قدوم وفد بجيلة من حديث أبي داود الطيالسي بإسناد صحيح، كما ذكر ابن حجر: الإصابة (٢/ ٢٢١) وفيه أن الرسول ﷺ قال: «ابدؤوا بالأحمسيين»، ودعا لهم.

(٤) البخاري: الفتح (١١/ ١٤٠، ح٢٧١٤، ٢٧٩٥)، مسلم (١/ ٧٥، ح٥٦) وغيرهما، انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٨٩).

(٥) البيهقي: الدلائل (٥/ ٣٤٧)، وغيره، وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٨٩): «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

(٦) ابن كثير: البداية (٥/ ٩٠) وقال ت: «تفرد به أحمد وهو إسناد جيد، اللهم إلا أن يكون منقطعاً بين مجاهد وبينه».

وذكر ابن سعد[١] أن إسلامه وإسلام من كان معه في الوفد وعددهم مائة وخمسون رجلاً[٢]، كان في العام العاشر، في رمضان[٣]. وهناك روايات أخرى تقول بأن جريراً قدم على النبي ﷺ في مائة رجل من بني بجيلة وبني قُشَيْر[٤]، وقيل وفد في سبعمائة[٥]، وقيل في خمسمائة[٦].

٢٠ ـ **وافد حَضْرَمَوت**: وفد على رسول الله ﷺ وائل بن حُجْر، أحد أقيال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم، ويقال إن رسول الله ﷺ بشر أصحابه قبل قدومه به، وقال: «يأتيكم بقية أبناء الملوك»، فلما دخل عليه رحب به وأدناه من نفسه، وقرب مجلسه وبسط له رداءه، وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»، واستعمله على الأقيال من حضرموت وأقطعه الرسول ﷺ أرضاً[٧].

٢١ ـ **وفد بني المُنْتَفِق**: قدم على رسول الله ﷺ لَقِيط بن عامر بن المنتفق ومعه صاحب له يدعى نهيك بن عاصم. وسأل الرسول ﷺ عن علم الغيب، فأجابه في حديث طويل[٨].

---

(١) الطبقات (١/ ٣٤٧) من طريق الواقدي.

(٢) وهذا العدد ثابت في: البخاري: الفتح (١٦/ ١٩١ ـ ١٩٢، ح٤٣٥٦ ـ ٤٣٥٧).

(٣) ابن شبة: تاريخ المدينة (٢/ ٣١١ ـ ٣١٣) من طريق الواقدي.

(٤) رواه الحاكم في الإكليل من حديث البراء بن عازب، كما ذكر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩١).

(٥) الطبراني: بإسناد ضعيف كما ذكر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩١).

(٦) ذكره ابن السكن في كتاب الصحابة، كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٩١) وانظر توجيه ابن حجر لهذه الروايات ومحاولة التوفيق بينها.

(٧) ابن عبد البر: الاستيعاب (٣/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣)، وابن حجر: الإصابة (٣/ ٦٢٨ ـ ٦٢٩)، معلقاً. أما قصة إقطاع الرسول ﷺ إياه أرضاً فقد رواها أبو داود: السنن: (٣/ ٤٤٣، كتاب الخراج، ح٣٠٥٨)، والترمذي: صحيح الترمذي للألباني (٢/ ٥٢، كتاب الطعام، ح١٤١٢). وانظر تفاصيل أكثر عند د. مهدي أحمد: السيرة، ط١، ص٦٥٧ ـ ٦٥٨.

أما تبشير الرسول ﷺ به أصحابه قبل مقدمه فقد رواه البيهقي: الدلائل (٥/ ١٧٥ ـ ١٧٦) والطبراني كما أشار إليه محقق دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٤٩)، وابن حبان كما أشار إليه ابن حجر، والبزار كما أشار إليه محقق دلائل البيهقي (٥/ ٣٤٩)، والبخاري: التاريخ الكبير (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٨) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد كما في المسند: (٤/ ٢١١ ـ ٢١٢)، ونقله عنه ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٩١ ـ ٩٤)، وقال عنه ابن كثير: «هذا حديث غريب جداً وألفاظه في بعضها نكارة...». انظر: السيرة لمهدي، ط١، ص٦٥٨.

٢٢ ـ **وفد صُدَاء**: روى البيهقي[١] بإسناده إلى زياد بن الحارث الصدائي أنه أتى رسول الله ﷺ فبايعه على الإسلام. وعاد إلى قومه وجاءه بإسلامهم.

٢٣ ـ **وفد ثقيف**: أرسلت ثقيف وفداً إلى رسول الله ﷺ في رمضان من العام التاسع بعد عودة الرسول ﷺ من تبوك، برئاسة عَبْد يَالِيل بن عمرو ومعه ثلاثة من بني مالك واثنان من الأحلاف، فأعلنوا إسلامهم وإسلام قومهم، وطلبوا من الرسول ﷺ تأخير هدم صنمهم اللَّات لمدة ثلاثة سنين، مخافة غضب قومهم، فرفض ذلك الطلب، وما زالوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً، فأبى أن يدعها شيئاً مسمى كما يروي ابن إسحاق، ولكنه أعفاهم من القيام بذلك، وأوكل أمر ذلك إلى أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، وطلبوا إعفاءهم من الصلاة بحجة عدم استساغتهم الركوع والسجود، فأبى عليهم ذلك قائلاً: «لا خير في دين لا صلاة فيه»[٢]، واشترطوا إعفاءهم من الزكاة والجهاد، فوافقهم على ذلك، وهو يقول: «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»[٣]. وسألوه أن يعفيهم من الوضوء بحجة أن بلادهم باردة، وأن ينتبذوا في القرع، وأن يعيد إليهم أبا بكرة الثقفي، فأبى عليهم هذا كله[٤]. وقال عن أبي بكرة: «هو طليق الله ورسوله».

وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، لكنه كان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين[٥].

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧)، وقال المحقق: «رواه البغوي، وابن عساكر، وحسبه، عن زياد بن الحارث الصدائي، وروى بعضها ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، وله شواهد ضعيفة في: أبي داود: السنن (٢/ ٢٨١، كتاب الزكاة، ح١٣٦٠)، وفيه عبد الرحمن الإفريقي، وقد تكلم فيه غير واحد، فهو ضعيف». الترمذي: السنن (١/ ٢٥٣، كتاب الصلاة، ح١٩٩)، ابن ماجه: السنن رقم ٧١٧، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٣١٢، ط لبدن. ولمزيد من التفاصيل انظر: السيرة لمهدي، ط١، ص٦٥٩.

(٢) ابن إسحاق، بإسناد معضل: ابن هشام (٤/ ٢٤٩).

(٣) أبو داود: السنن (٢/ ١٤٦)، بإسناد حسن.

(٤) أحمد: المسند (٤/ ١٦٨)، بسند صحيح كما قال محققو الموسوعة (١٧٥٣٠). وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٤٥): رجاله ثقات.

(٥) أحمد: المسند (٤/ ٢١٨)، ابن ماجه: السنن (١/ ٣١٦)، مسلم (١/ ٣٤٢، ح٤٦٨)، حيث أشار إلى إمارته.

٢٤ ـ وفادة عبد الرحمنَ بن أبي عَقِيل مع قومه: روى البيهقي[١] بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي عَقِيل قصة وفادته مع قومه على رسول الله ﷺ. وفيها أنه طلب من الرسول ﷺ أن يطلب من ربه ملكاً كملك سليمان، فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: «فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان، لأن الله ﷻ لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن وفادة عبد الرحمن كانت مع وفد قومه ثقيف.

٢٥ ـ وافد بكر: وفد على رسول الله ﷺ الحارث ـ أو خُرَيث ـ بن حسان البكري في قضية خاصة، وهي إرادته شكوى العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ لأمر لم تبينه الرواية[٢].

٢٦ ـ وفادة طارق بن عبد الله وقومه: قدم طارق بن عبد الله المُحَارِبيّ ﷺ المدينة، بُعَيْدَ الهجرة، ومعه جماعة من قومه ليمتاروا من تمرها. وعندما دنوا من حيطان المدينة لقيهم الرسول ﷺ وهم لا يعرفونه، وعرض عليهم بيع جملهم بشيء من تمر، فوافقوا، فأخذه ودخل به المدينة، ثم عاد إليهم بالثمن، بعد أن ندموا على مفارقته خشية ألا يعود إليهم وهم لا يعرفون عنه شيئاً. وطمأنتهم المرأة التي كانت معهم بحجة أن وجهه ليس وجه كذاب. وعندما دخلوا المسجد وجدوه يخطب في أمر فضل الصدقة، فعرفوه[٣].

ويبدو أن هذه الرواية غير مكتملة، فالذي أرجحه أن هدف طارق وجماعته كان

---

(١) دلائل النبوة (٥/ ٣٥٨)، وقال المحقق، الدكتور عبد المعطي قلعه جي: «رواه ابن منده والطبراني والبزار، ورجال ثقات...».

(٢) رواها أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، كما ذكر ابن كثير في البداية (٥/ ٩٦ ـ ٩٧) ونقل رواية الإمام أحمد، وهو خبر صحيح، وحسنه الألباني في: صحيح الترمذي (٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩، كتاب التفسير، ح٣٥٠٤). وانظر تفاصيل أوفى عند مهدي: السيرة، ط١، ص٦٦١ ـ ٦٢٢.

(٣) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) ويونس بن بكير في زيادات السيرة كما نقله البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٨١)، وقال محقق زاد المعاد (٣/ ٦٥٠): «وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١١ ـ ٦١٢)، وسنده قابل للتحسين، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي».

الإسلام والبيع والشراء، وذلك بدليل أنهم كانوا ضمن المسلمين الذين شهدوا خطبة الرسول ﷺ، وأن طارق بن عبد الله من رواة حديث فضل الصدقة الذي سمعه يومذاك[١].

٢٧ ـ **ولقوم طارق ـ بني مُحَارِب ـ**: وفادة أخرى إلى رسول الله ﷺ في العام العاشر الهجري، عام حجة الوداع. وكان هدفها الأساسي البيعة على الإسلام، وكان عددهم عشرة نفر، فيهم سواد بن الحارث وابنه خزيمة، فأسلموا، وقالوا: «نحن على من وراءنا». وكان في الوفد رجل عرفه الرسول ﷺ لِمَا كان منه ومن قومه من فظاظة أيام كان لرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم بمكة[٢].

٢٨ ـ **وافد فَرْوَة بن عمرو الجُذَامي ـ صاحب بلاد مُعَان**: قدم على رسول الله ﷺ مسعود بن سعد وافداً من قبل فروة بن عمرو الجذامي، عامل الروم على معان. وبعث معه فروة هدايا، منها بغلة بيضاء وفرس وحمار، وكتب إليه الرسول ﷺ يبلغه وصول رسوله بخبر إسلامه، وأهدى إليه هدايا. وعندما بلغ ملك الروم خبر إسلام فروة أرسل إليه وأمره بالرجوع عن الإسلام، فرفض فروة، فحبسه ثم صلبه وضرب عنقه[٣].

٢٩ ـ **وفادة تميم الداري**: كان تميم الداري نصرانياً، وقدم المدينة فأسلم، وذكر للنبي ﷺ قصة الجَسَّاسَة[٤] والدجال، فحدث النبي ﷺ عنه بذلك على المنبر، وعد ذلك من مناقبه[٥]، وقال ابن السكن[٦] أسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم. وقال ابن إسحاق[٧]: قدم المدينة وغزا مع النبي ﷺ.

---

(١) انظره في: النسائي وغيره، كما في الإصابة (٢/ ٢٢٠)، وفي الحديث أنه قدم على النبي ﷺ ثم قصة الحديث في فضل الصدقة واليد العليا.. إلخ.

(٢) ابن سعد (١/ ٢٩٩) من رواية الواقدي.

(٣) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣١٥ ـ ٣١٦)، ابن سعد (١/ ٢٨١) بإسناد منقطع. وابن منده وابن شاهين بسند ضعيف، فيما عزاه إليهما ابن حجر: الإصابة (٣/ ٢١٣).

(٤) الجساسة: دابة تكون في الجزر والجزائر تجس الأخبار فتأتي بها الدجال.

(٥) من رواية مسلم (٤/ ٢٢٦١ ـ ٢٢٦٥، ح٢٩٤٢) مطولاً ومختصراً، ورواه غيره.

(٦) أورده ابن حجر: إصابة (١/ ١٨٤)، معلقاً.

(٧) انظر المصدر والمكان نفسيهما.

٣٠ ـ وفد بني أسد: ذكر ابن سعد[١] أنهم قدموا في أول السنة التاسعة، وكانوا عشرة، منهم: ضِرَار بن الأزور ووابِصَة بن معبد وطُلَيحة بن خويلد الأسدي، وقال رئيسهم ـ حَضْرَمِيّ بن عامر ـ : «يا رسول الله! أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثاً»، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

وروى البزار[٢] بإسناده إلى ابن عباس، قال: «جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك». فقال رسول الله ﷺ: «إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم، ونزلت هذه الآية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾ الآية»[٣].

٣١ ـ **وفد بني قُشَيْر بن كعب**: قدم وفدهم على رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع وبعد حنين، فأسلموا، وكان فيهم: قُرة بن هُبَيْرة، وقد أعطاه رسول الله ﷺ شيئاً وكساه برداً، وولاه صدقة قومه، وثَوْر بن عُروة، وقد أقطعه الرسول ﷺ قطيعة وكتب له بها كتاباً، وحَيْدَة بن معاوية بن قشير[٤].

٣٢ ـ **وفد بني الحارث بن كعب**: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ـ ثلاثاً ـ قبل أن يقاتلهم، ونجح خالد ﷺ في مهمته، إذ أسلموا بدعوته بلا قتال، ومكث فيهم يعلمهم الإسلام، ثم كتب إليه الرسول ﷺ أن يقدم ومعه وفدهم، ففعل[٥].

---

(١) الطبقات (١/ ٢٩٢) من رواية الواقدي.

(٢) ذكره ابن كثير: التفسير (٧/ ٣٦٩) وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) قال ابن حجر: الإصابة (١/ ٣٤١): «وروى عمر بن شبة بإسناد صحيح إلى أبي وائل، قال: وفد بنو أسد، فقال لهم النبي ﷺ: «من أنتم؟» قالوا: «نحن بنو الرثية أحلاس الخيل»، قال: «بل أنتم بنو الرشدة»، فقالوا: «لا تدع اسم أبينا»، فذكر قصة طويلة: قلت: وفي هذا دليل آخر على ثبوت وفادة بني أسد بطريق صحيح.

(٤) ابن سعد (١/ ٣٠٣) بإسناد منقطع، والمنقطع كما تعلم من أقسام الضعيف. وانظر تفاصيل أزيد عند د. مهدي رزق الله: السيرة النبوية، ط١، ص٦٦٤.

(٥) روى ابن إسحاق قصتهم مطولة بإسناد معلق، ابن هشام (٤/ ٣١٦ ـ ٣٢٢)، والطبري: =

وعندما جاء وفدهم، ثم عاد إلى بلاده، أرسل الرسول ﷺ إليهم عمرو بن حَزم ليفقههم في الدين، ويأخذ منهم الصدقات، وكتب له كتاباً بذلك[٦].

٣٣ ـ **وفادتا هَمْدَان**: كان لهمدان وفادتان على النبي ﷺ: الأولى بمكة قبل بيعة العقبة الأولى[٧].

أما الثانية فقد قدم وفد همدان مسلمين على رسول الله ﷺ بالمدينة[٨].

٣٤ ـ **قدوم الحَكَم بن حَزْن الكُلْفِي التميمي**: قدم على رسول الله ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة. وشهدوا الجمعة ورأوا الرسول ﷺ يخطب متوكئاً على قوس أو عصا، وسمعوه يقول: «يا أيها الناس إنكم إن تفعلوا، ولن تطيقوا، كلَّ ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا»[٩].

٣٥ ـ **وفد عبس**: وكانوا تسعة وهط، منهم: ميسرة بن مسروق والحارث بن الربيع...[١٠].

٣٦ ـ **وفد بني فزارة**: قدم وفدهم في سنة تسع بعد مرجع الرسول ﷺ من تبوك، وكانوا بضعة عشر رجلاً، فيهم خَارِجَة بن حِصْن والحرُ بن قيس بن حصن[١١].

= التاريخ (٣/ ١٦٢ ـ ١٣٠) من طريق ابن إسحاق موقوفاً على شيخه عبد الله بن أبي بكر ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع. ورواه غير ابن إسحاق بأسانيد تنتهي إلى الحسن لغيره: انظر: السيرة النبوية لمهدي رزق الله، ط١، ص٦٦٥ ـ ٦٦٧.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) روى خبرهم ابن إسحاق بإسناد فيه جهالة: ابن هشام (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٧). وابن سعد (١/ ٣٤١) بإسناد منقطع.

(٨) انظر: القصة كاملة عند ابن سعد (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) من طريق الواقدي، وفيه الكلبي وكلاهما متروك. وانظر: علي رضوان الأسطل: الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، ص١٣٢ ـ ١٣٦. لمزيد معلومات انظر السيرة لمهدي، ص٦٦٧.

(٩) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٤٥)، أبو داود: السنن (١/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩)، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على القوس، ح١٠٩٦)، أحمد: الفتح الرباني (٦/ ٩٢ ـ ٩٣)، وقال الساعاتي: «أخرجه أبو داود في سننه وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في السنن الكبرى، وسنده جيد وصححه ابن خزيمة وابن السكن وحسن إسناده الحافظ ابن حجر»، وانظر أحمد: المسند (٤/ ٢١٢).

(١٠) انظر قصتهم عند ابن سعد (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) من طريق الكلبي والواقدي.

(١١) ابن سعد (١/ ٢٩٧ ـ ٣٠٠) من طريق الواقدي.

٣٧ ـ **وفد بني مرة**: قدموا المدينة حين مرجع الرسول ﷺ من تبوك، وهم ثلاثة عشر رجلاً، رأسهم الحارث بن عوف[١].

٣٨ ـ **وفد بني ثعلبة**: قدموا عليه حين مرجعه من الجِعْرَانة، سنة ثمان، وهم أربعة عشر رجلاً[٢].

٣٩ ـ **وفد بني كِلَاب**: قدموا سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً، فيهم لَبِيد بن ربيعة وجَبَّار بن سُلْمَى، وأخبروا الرسول ﷺ بمجهود الضحاك بن سفيان في الدعوة بينهم[٣].

٤٠ ـ **وفد بني عَقِيل بن كعب**: وفيهم: ربيع بن معاوية بن خَفَاجَة ومُطَرِّف بن عبد الله... فبايعوا وأسلموا وبايعوه على من وراءهم من قومهم[٤].

٤١ ـ **وفد جَعْدَة**: جاء عنهم الرُّقَاد بن عمرو، فأعطاه رسول الله ﷺ ضيعة[٥].

٤٢ ـ **وفد بني البَكَّاء**: وفد منهم سنة تسع ثلاثة نفر: معاوية بن ثور وابنه بِشر والفُجَيْع بن عبد الله، وكتب للفجيع كتاباً...[٦].

٤٣ ـ **وافد كِنَانة**: هو وائِلَة بن الأسْقَع الليثي: قدم على رسول الله ﷺ مسلماً، والرسول ﷺ يتجهز إلى تبوك، ثم عاد إلى قومه فلم يتبعوه، وأقسم والده ألا يكلمه، وآمنت به أخته فجهزته فعاد إلى المدينة ووجد الرسول ﷺ قد صار إلى تبوك، فلحق به، وبعثه الرسول ﷺ مع خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة[٧].

٤٤ ـ **وفد بني عبد بن عَدِي**: كان فيهم الحارث بن أعبان... فأسلموا[٨].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن سعد (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٣)، بإسناد ضعيف.

(٥) المصدر نفسه (١/ ٣٠٣)، بإسناد ضعيف.

(٦) ابن سعد (١/ ٣٠٣ ـ ٣١٥)، بإسناد ضعيف.

أما خبر وفادة بني عبد بن عدي فقد رواه أيضاً المدائني وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، كما ذكر الشامي في السيرة (٧/ ٥٥٧).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

٤٥ ـ **وفد أشجع**: قدموا عام الخندق، وهم مائة، رأسهم مسعود بن رُخَيْلَة، وقيل قدموا بعد فراغه من بني قريظة، وهم سبعمائة، فوادعهم الرسول ﷺ، ثم أسلموا بعد ذلك[١].

٤٦ ـ **وافد باهِلَة**: أوفدت باهلة مُطَرِّف بن الكاهن الباهلي إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح، فأسلم وأخذ لقومه أماناً، فكتب له رسول الله ﷺ كتاباً في فرائض الصدقات، ثم قدم نَهْشَل بن مالك الوائلي من باهلة، فأسلم، وكتب له الرسول ﷺ ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام[٢].

٤٧ ـ **وفد بني سُلَيم بن جابر الهُجَيْمي**: قدم منهم قيس بن نُسَيْبَة ليسمع من الرسول ﷺ فسمع، فدعاه إلى الإسلام، وعاد إلى قومه ووافى رسول الله ﷺ منهم سبعمائة، ويقال ألف، فيهم غاوي بن عبد العزى الذي سماه الرسول ﷺ راشد بن عبد ربه، فلقوه بقديد، وهو في طريقه لفتح مكة، فأسلموا وشهدوا معه الفتح وحنيناً والطائف، وأعطى رسول الله ﷺ راشد بن عبد ربه رهاطاً وفيها عين يقال لها عين الرسول، وكان راشد يسدن صنماً لبني سليم، فرأى يوماً ثعلبين يبولان عليه، فقال:

أَرَبٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعالب

فكسره وجاء إلى الرسول ﷺ مسلماً[٣].

٤٨ ـ **وفد بني هلال بن عامر**: كان فيهم عبد عوف بن أصرم، فسماه النبي ﷺ عبد الله[٤].

٤٩ ـ **وفد بني بكر بن وائل**: إنهم لما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن قُس بن ساعدة، فقال: ليس ذاك منكم، ذاك رجل من إياد تحنف في الجاهلية، فوافى عكاظ والناس مجتمعون، فكلمهم بكلامه الذي حفظ عنه[٥].

---

(١) ابن سعد (١/ ٣٠٣ ـ ٣١٥)، بإسناد ضعيف.
أما خبر وفادة بني عبد بن عدي فقد رواه أيضاً المدائني وابن عساكر عن ابن عباس ﷺ وغيره، كما ذكر الشامي في السيرة (٧/ ٥٥٧).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المرجع السابق نفسه، ابن سعد (١/ ٣٠٣ ـ ٣١٥)، بإسناد ضعيف.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

٥٠ ـ **وفد تغلب**: وكانوا ستة عشر رجلاً، مسلمين ونصارى، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم[١].

٥١ ـ **وافدة بني العنبر**: قدمت عليه قَيْلَة بنت مَخْرَمة التميمية ثم من بني العنبر في أول الإسلام، في صحبة الحارث ـ أو حريث ـ بن حسان الشيباني وافد بني بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت، وكتب لها رسول الله ﷺ كتاباً. ولها قصة طويلة عن هجرتها إلى الرسول ﷺ مع الحارث بن حسان[٢].

٥٢ ـ **وفد تَجِيْب**: قدم وفدهم سنة تسع، وهم ثلاثة عشرة رجلاً، وساقوا معهم صدقات أموالهم فسر رسول الله ﷺ بهم، وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد[٣].

٥٣ ـ **وفد خَوْلان**: وكانوا عشرة، وكان قدومهم في شعبان سنة عشر، فذكروا أنهم مسلمون وأنهم على من وراءهم من قومهم، وسألهم النبي ﷺ عن صنمهم "عم أنس"، فقالوا: إن الله أبدلهم به ما جاء به الرسول ﷺ وأنهم سيهدمونه عندما يرجعون، وفعلوا ذلك[٤].

ومن بين الوفود التي قدمت على رسول الله ﷺ غير التي ذكرنا:

٥٤- وفد ثَقِيف، ٥٥- وفد زُبَيْد، ٥٦- وفد الصَّدِف، ٥٧- وفد خشبين، ٥٨- وفد سَعْد هُذَيْم، ٥٩- وفد بَلِّيّ، ٦٠- وفد عذرة، ٦١- وفد سَلَامان، ٦٢- وفد بَهْراء، ٦٣- وفد جهينة، ٦٤- وفد كلب، ٦٥- وفد جرم، ٦٦- وفد غسان، ٦٧- وفد سعد العشيرة، ٦٨- وفد عنس، ٦٩- وفد الرهاويين من مذحج، ٧٠- وفد غامد، ٧١- وفد النخع، ٧٢- وفد أزد عمان، ٧٣- وفد خثعم، ٧٤- وفد غافق، ٧٥- وفد بارق، ٧٦- وفد ثمالة والحدان، ٧٧- وفد أسلم، ٧٨- وفد جذام، ٧٩- وفد مهرة، ٨٠- وفد جيشان، ٨١- وفد جماعة جبل تهامة، وكانوا جماعة من العبيد من كنانة

---

(١) من رواية ابن سعد (١/ ٣١٦ ـ ٣٥٩)، بإسناد ضعيف أو ضعيف جداً.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الوفود من رقم (٥٣) إلى رقم (٨٠) من رواية ابن سعد (١/ ٣١٦ ـ ٣٥٩)، بإسناد ضعيف أو ضعيف جداً، وثبتت وفادة أزد عُمان من غير طريق ابن سعد، بإسناد حسن، كما قال الشامي في السبل (٧/ ٤٠٢).

رمزيئة والحكم والقارة ومن اتبعهم، غصبوا المارة، وكتب إليهم الرسول ﷺ كتاباً أمنهم فيه، وقال فيه: «فعبدهم حر ومولاهم محمد، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها...»[١]، ٨٢- وفد مذحج[٢]، ٨٣- وفد بني نهدى من فور تهامة[٣]، ٨٤- وفد بني نمير[٤]، ٨٥- وفد السباع[٥]، ٨٦- وفد الجن[٦]، الذين قدموا عليه بمكة، ٨٧- وفد هوازن، الذي قدم على الرسول ﷺ بالجعرانة حين منصرفه عن الطائف[٧]، ٨٨- وفد ثعلبة[٨]، ٨٩- وفد أسيد بن أبي أناس، وقد جاء النبي ﷺ تائباً بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه[٩]، ٩٠- وفد بني سحيم[١٠]، ٩١- وفد بني سدوس[١١]، ٩٢- وفادة أبي صفرة[١٢]، ٩٣- وفد غَنْزَة، وفيهم سلمة بن سعد[١٣]،

---

(١) ابن سعد (١/ ٢٧٨) من طريق الواقدي، أي بإسناد ضعيف.

(٢) عمر بن شبة: تاريخ المدينة المنورة (٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٩)، من مراسيل الشعبي.

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٩) بإسناد فيه عمرو بن واقد وهو متروك وعروة بن رويم، وهو صدوق، يرسل.

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٥٩٢) بإسناد ضعيف للانقطاع، وقال ابن حجر: الإصابة (٣/ ٢٣٣): إن البخاري روى في تاريخه بعض حديث وفد نمير هذا، وإسناد البخاري في تاريخه ضعيف، لضعف فضيل بن سليمان، يخطئ كثيراً، وشيخه سكت عليه ابن أبي حاتم.

(٥) ابن سعد (١/ ٢٥٩) من حديث الواقدي، ومما يدل على أن معجزة تكليم السباع للإنس قد تكررت، لقد أورد ابن كثير في البداية (٥/ ١٠٨) حديثاً رواه أحمد والترمذي في خبر الذئب الذي أقعى على ذنبه وأخذ يكلم الراعي: وفيه إخباره الراعي بأن محمداً بالمدينة يحكي خبر الأوائل، وقال الترمذي: «حسن غريب صحيح»، وقال ابن كثير: «وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه». وانظر: سيرة مغلطاي: ص٣٤٣ في تخريج الخبر.

(٦) انظر خبرهم في ابن كثير: التفسير (٧/ ٢٧٢ ـ ٢٨٢)، الآية (٢٩) من سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقد ثبت خبر وفادتهم بطرق صحيحة عند البخاري ومسلم وأحمد وغيرهما، مثلاً. البخاري: الفتح (١٥/ ١٥، ح٣٨٦٠)، مسلم (١/ ٣٣١ ـ ٣٣٣، ح٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٧) سبق ذكره عند الكلام على غنائم حنين.

(٨) انظر: ابن سعد الطبقات (١/ ٢٩٨) من رواية الواقدي.

(٩) انظر ذلك في ترجمته عند ابن الأثير: أسد الغابة (١/ ٨٩ ـ ٩٠) وابن حجر: الإصابة (١/ ٤٧).
وقال ابن حجر: «روى قصته ابن شاهين من طريق المدائني عن رجاله من طرق كثيرة إلى ابن عباس وغيره...».

(١٠) من رواية المرشاطي عن أبي عبيدة ﷺ كما قال الشامي في سيرته (٦/ ٥٢١).

(١١) من رواية البزار عن عبد الله بن الأسود ﷺ كما نقله الشامي في سيرته (٦/ ٥٢٢).

(١٢) من رواية ابن منده وابن عساكر والديلمي... كما نقله الشامي في سيرته (٧/ ٥٣٧).

(١٣) ورد خبر وفادتهم في ترجمة سلمة بن سعد في أسد الغابة (٢/ ٣٣٦)، و الإصابة (٢/ ٦٥).

وقال عنهم رسول الله ﷺ ذات يوم: «... حي ههنا مبغي عليهم منصورون»[١]، ٩٤- وفادة ربيعة بن رواء العنسي[٢]، ٩٥- وفادة قيس بن عاصم[٣]، ٩٦- وفد نصارى الحبشة، وقد قدموا إليه وهو بمكة[٤]، وكانوا عشرين رجلاً أو قريباً من ذلك.

أحكام وعبر وفوائد من أخبار الوفود:

١ ـ إن في أخبار وفود هذه القبائل على الرسول ﷺ لدليلاً واضحاً على مدى انتشار الإسلام في الجزيرة العربية في حياة الرسول ﷺ، وتوحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة هي راية الإسلام والدولة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢ ـ إن في تدفق هذه الوفود على المدينة لدليلاً على وفاء الله بوعده النصر الذي وعده نبيه.

٣ ـ إن من حسن السياسة وأدب الإسلام وأخلاقه احترام ممثلي الشعوب أو القبائل وإكرامهم، وذلك بدليل ما كان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من الضيافة وحسن الاستقبال وإجزال العطاء.

٤ ـ جواز إنزال المشرك في المسجد إذا كان يرجى إسلامه وهدايته: فقد علمنا أن النبي ﷺ كان يستقبل وفد ثقيف في مسجده لمحادثتهم وتعليمهم: وإذا كان هذا جائزاً للمشرك، فجوازه للكتابي أولى. وقد استقبل النبي ﷺ وفد نصارى نجران بالمسجد. قال الزركشي[٥]: واعلم أن الرافعي والنووي (رحمهما الله) أطلقا أنه يجوز للكافر أن يدخل المساجد غير الحرم بإذن المسلم، بقيود:

---

(١) رواه أبو يعلى برجال ثقات والبزار والطبراني والإمام أحمد، كما قال الشامي في السيرة (٦/ ٥٩٣).

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة (٢/ ١٦٨)، ابن حجر: الإصابة (١/ ٥٠٨) وقال ابن حجر: «ذكره الطبراني وغيره وأخرج من طريق عيسى بن محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر بن محمد عن أبيه عن عبد العزيز عن أبيه»، وانظر: ابن سعد (٣/ ١٠٦).

(٣) من رواية الطبراني بسند جيد عن قيس بن عاصم، كما ذكر الشامي في السيرة (٦/ ٦١٣) وانظر ترجمته في: أسد الغابة (٤/ ٢١٩ ـ ٢٢١)، والإصابة (٣/ ٥٢) وابن سعد (٢/ ٦٠).

(٤) قاله ابن إسحاق بإسناد معلق: السير والمغازي، ص٢١٨ ـ ٢١٩، وقال: (ويقال إن النفر النصارى من أهل نجران).

(٥) إعلام الساجد في أحكام المساجد، ص٣١٩ ـ ٣٢١، باختصار.

أولها: أن لا يكون قد شرط عليه في عقد الذمة عدم الدخول.

ثانيها: أن يكون المسلم الذي أذن له مكلفاً، كامل الأهلية.

ثالثها: أن يكون دخوله لسماع القرآن أو علم ورجي إسلامه، أو دخل لإصلاح بنيان ونحوه.

الفصل السادس والعشرون

الأحداث والسرايا والبعوث

بين غزوة تبوك والوفاة

❑ المبحث الأول: حجة أبي بكر ﷺ ❑

أَمَّرَ الرسول ﷺ أبا بكر على الحج في العام التاسع الهجري، فخرج في ذي الحجة إلى مكة[1]، ومعه ثلاثمئة من الصحابة[2].

وعندما فَصَلَ رَكْبُ الحجاج عن المدينة نزلت سورة براءة، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدرها ليعلنها على الناس في يوم النحر بمنى، وقال: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي»[3].

وعندما رأى أبو بكر علياً قال له: «أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور»، ثم مضيا[4]. وكان معه من الصحابة، منهم أبو هريرة، يساعد علياً في النداء بآيات براءة المطلوب تبليغها للناس، ويعلنون في الناس أمر الرسول ﷺ: «أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج البيت بعد العام مشرك»[5].

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٠٤، ح٤٣٦٣)، مسلم (٢/ ٩٨٣، ح١٣٧٤).

(٢) ابن سعد (٢/ ١٦٨) من رواية الواقدي.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن لكنه من مرسل محمد بن علي الباقر، ابن هشام (٤/ ٢٥٦)، وله شاهد يتقوى به وهو حديث الإمام أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٢) عن أنس، وذكر الساعاتي أن الترمذي رواه أيضاً، وقال: «حسن غريب».

(٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ولكنه مرسل، ابن هشام (٤/ ٢٥٦).

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٠٤، ح٤٣٦٣)، مسلم (٢/ ٩٨٢، ح١٣٤٧)، وقد اقتصروا على ذكر عدم الإذن بحج المشركين والعُرْيِ في الطواف، ورواه كاملاً أحمد، الفتح الرباني (٢١/ ٢١١)، بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (٤/ ١١٦)، وصححه.

وقد ذكر الإمام البغوي[١] قول العلماء في سبب بعث النبي ﷺ عليًا ليقرأ صدر سورة براءة على الناس في الحج ويعلمهم بأمر الرسول ﷺ في ذلك، هو أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم أو رجل من رهطه، فبعث علياً دفعاً للعلة ولئلا يقولوا: هذا خلاف ما نعرفه فينا في إلغاء العهد.

□ المبحث الثاني: بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن □

بعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، كل منهما على جهة، وأوصاهما قائلاً: «يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا»[٢]، وقال لمعاذ: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[٣].

وعندما خرج معاذ، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ، عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري»، فبكى معاذ جزعاً لفراق رسول الله ﷺ، وفي لفظ، فقال النبي ﷺ: «لا تبك يا معاذ، لنبكاء أوان، إن البكاء من الشيطان»، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال: «إن أولى بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»[٤]، وبين له أنصبة الزكاة[٥].

---

(١) التفسير (٣/ ٤٩)، بهامش تفسير الخازن، ونقله عنه الساعاتي: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٢).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ١٧٩ ـ ١٨١، ح٤٣٤١ ـ ٤٣٤٥) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٥٨٧، ح١٧٣٣).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ١٨٢، ح٤٣٤٧)، قال ابن كثير في البداية (٥/ ١١٣): «وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة».

(٤) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٥) وقال الساعاتي: «وسنده جيد ورجاله ثقات...».

(٥) ممن رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن معاذ، انظر مثلاً: الترمذي (ح٦٢٣) وقال: «حسن».

وقال الرسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟ قال: «أقضي بما في كتاب الله»، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟»، قال: «فبسنة رسول الله ﷺ»، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟»، قال: «اجتهد رأيي لا آلو»، فضرب رسول الله ﷺ صدره ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ»[1].

◻ المبحث الثالث: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن ◻

بعث الرسول ﷺ خالداً بن الوليد إلى اليمن، ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه. وكان من ضمن مهامه أن يقبض الخمس. وعندما أخبر النبي ﷺ علياً بما يريد قال علي: «يا رسول الله، إنك تبعثني إلى قوم هم أسن مني لأقضي بينهم»، فقال النبي ﷺ: «اذهب، فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك»[2]، ثم أوصاه قائلاً: «إذا تقدم إليك خصمان فلا تسمع كلام الأول حتى تسمع كلام الآخر، فسوف ترى كيف تقضي، فقال علي: فما زلت بعد ذلك قاضياً»[3].

ثم قال النبي ﷺ لعلي: «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يُعَقِّبَ معك فَلْيُعَقِّبْ، ومن شاء فَلْيُقْبِلْ»[4]، ومكث علي ومن معه باليمن إلى أن قدم حاجاً إلى مكة فوافى النبي ﷺ في حجة الوداع[5].

وقد ضرب علي ﷺ أروع الأمثلة في أداء الأمانة التي أنيطت به، ومن أمثلة ذلك أن أصحابه عندما طلبوا منه أن يركبوا من إبل الصدقة ويُرِيْحُوا إبلهم بحجة أن

---

(١) سنن أخرجه أبو داود: السنن (١٨/ ١٩، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ح٣٥٩٢)، الترمذي: السنن (٥/ ٨ كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، ح١٣١٧) من حديث شعبة به، وللعلماء كلام عن صحته، والراجح صحته. انظر في هذا الدعاس محقق سنن الترمذي.

(٢) أبو داود: السنن (١٤/ ١١ ـ ١٢، كتاب الأقضية، باب كيف القضاء، ح٣٥٨٢)، أحمد: المسند (٢/ ٧٣، ح٦٦٦، شاكر). وقال شاكر: «إسناده صحيح».

(٣) أحمد: المسند (٢/ ٨٣، ح٦٩١، شاكر)، وقال شاكر: «إسناده صحيح».

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ١٨٤ ـ ١٨٥، ح٤٣٤٩).

(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ١٩٠، ح٤٣٥٣ ـ ٤٣٥٤)، مسلم (٢/ ٨٨٨، ح١٢١٨).

بإبلهم خللاً وضعفاً، أبى عليهم ذلك، وقال: «إنما لكم منها سهم كما للمسلمين». وعندما ذهب إلى الحج سأل أصحابه خليفته ما كان علي منعهم إياه، فوافق على ذلك، فلما جاء علي عرف أن الإبل قد ركبت، فذم خليفته ولامه، وعد بعض أصحاب علي ذلك منه غلظة وتضييقاً، فشكاه أبو سعيد الخدري إلى النبي ﷺ، فوافق الرسول ﷺ على هذا المسلك من علي، فندم الخدري على شكواه، وقال: «... والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية»[1]، وعندما اشتكى الجند علياً بحجة اشتداده في معاملتهم، قال: «أيها الناس، لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكى»[2]، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[3]، وفي رواية «فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[4]، وكان ذلك عندما استرجع عليّ حللاً وزعها عليهم نائبه، فاشتكوه، فقام الرسول ﷺ خطيباً في الناس في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بغدير خُم حين منصرفه من الحج، وقال كلاماً فيه ثناء عليه[5].

لقد نجح علي ﷺ في المهمة التي لم ينجح فيها خالد ﷺ. فقد أقام خالد ستة أشهر يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجيبوه، وعندما قدم علي اليمن ودعا همدان إلى الإسلام أجابوه جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه، فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان»[6].

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، مطولاً، أحمد: المسند (٣/ ٨٦)، مختصر، وأورده ابن كثير في البداية (٥/ ١٢٠)، رواية البيهقي وقال عنها: «وهذا إسناد جيد على شرط النسائي ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة».

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٣٣٣).

(٣) ابن كثير: البداية (٥/ ٢٣٤) وعزاه لأحمد وقال: «وكذا رواه النسائي... بإسناده نحوه، وهذا إسناد جيد قوي، ورجاله كلهم ثقات».

(٤) رواه ابن كثير في البداية (٥/ ٢٣٥) من عدة طرق، قال في إحداها: «تفرد به النسائي من هذا الوجه قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح» وقال في أخرى (٥/ ٢٣٨): من رواية أحمد: «وهذا إسناده جيد ورجاله ثقات على شرط السنن».

(٥) وللعلماء وقفات عند هذه الخطبة، بينوا ما ألحق بها من زيادات أراد واضعوها أن يثبتوا الوصية لعلي ﷺ في الخلافة بعد النبي ﷺ.

(٦) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، وقال: «أخرجه البخاري، مختصراً من وجه آخر =

❑ المبحث الرابع: سرية جرير بن عبد الله البَجَلي إلى ذي الخَلَصَة ❑

كان لخثعم وبجيلة بيت في الجاهلية يقال له «ذو الخلصة» و«الكعبة اليمانية» و«الكعبة الشامية». فعندما قدم جرير بن عبد الله البجلي في وفد قومه، إلى الرسول ﷺ بالمدينة قال له الرسول: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» فشكا إليه جرير أنه لا يثبت على الخيل، فضرب ﷺ بيده على صدره، وقال: «اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً». فنفر جرير في مائة وخمسين راكباً فكسروه وقتلوا من عنده، وأرسل جرير أبا أرطاة حصين بن ربيعة الأَحْمَسِي بالخبر إلى النبي ﷺ، فدعا لهم عامة ولأحمس، إخوة بجيلة - رهط جرير - بصفة خاصة[1].

فوائد من هذه السرية:

١ - إن في خبر هذه السرية ما يدل على مشروعية إزالة ما يفتن الناس من بناء وغيره[2].

٢ - ينبغي لأهل الخير أن يدعوا بالثبات لمن لا يثبت على الخيل[3]، أو غيرها من وسائل الجهاد، مثل استخدام الصواريخ وما يشبهها من أدوات الحرب في زماننا هذا وغيره.

٣ - وفيه إشارة إلى فضيلة ركوب الخيل والثبات عليها[4]. ويمكن أن يقاس على ذلك فضيلة ركوب الدبابة والطائرة وغيرهما من وسائل الحرب في زماننا هذا.

٤ - استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك كثيراً،

= عن إبراهيم بن يوسف»، وأصل هذا الحديث في: البخاري: الفتح (١٦/ ١٨٤، ح٤٣٤٩)، وقال محقق زاد المعاد (٣/ ٦٢٣): «وسجود الشكر في تمام الحديث صحيح على شرطه».

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٩٠ - ٢٩٣، ح٤٣٥٥ - ٤٣٥٧)، مسلم (٤/ ١٩٢٥، ح٢٤٧٦)، ويمانية باعتبار كون ذي الخلصة كانت باليمن وشامية باعتبار جعلهم بابها مقابل الشام، انظر: ابن حجر: (١٦/ ١٩٠ - ١٩١).

(٢) انظر فيه ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩٤).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وكذلك الاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح[١].

□ المبحث الخامس: حجة الوداع □

ذكروا أن الله تعالى فرض الحج في العام العاشر أو التاسع أو السادس، وقيل الهجرة، وهو غريب[٢]. وجزم ابن القيم[٣] بأن فرضه كان في العام العاشر لقوة الأدلة على ذلك، وهو اللائق بهديه في عدم تأخير ما هو فرض، لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقد نزلت عام الوفود، أواخر سنة تسع.

ولم يحج الرسول ﷺ من المدينة غير حجته التي كانت في العام العاشر، وعرفت هذه الحجة بحجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع، لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ولم يحج بعدها، وحجة البلاغ، لأنه ﷺ بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عليه وهو واقف بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣][٤].

وعندما أعلن الرسول ﷺ عزمه على الحج في العام العاشر، قدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله[٥].

وخرج من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة[٦]، ووقعت له في مسيره هذا ورجوعه أحداث كثيرة[٧]، مكانها أبواب الحج من كتب فقه العبادات، وقد أفرد لها العلماء قديماً وحديثاً كتباً خاصة[٨]، تناولوا ما جاء فيها من مناسك الحج وأحكامه،

---

(١) انظر فيه ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩٤).

(٢) ابن كثير: البداية (٥/ ١٢٣).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥٩٥).

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٣٥، ح٤٤٠٧)، وانظر: ابن كثير البداية (٥/ ١٢٣).

(٥) مسلم (٢/ ١٨٨٧، ح١٢١٨).

(٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٣٣٠)، وجود ابن كثير في البداية (٥/ ١٢٥) هذا الإسناد.

(٧) انظر في ذلك مثلاً ابن كثير: البداية (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٣٣).

(٨) من القدماء: ابن حزم، ومن المحدثين المعاصرين الشيخ الألباني، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والدكتور فاروق حمادة، تحت عنوان: (الوصية النبوية للأمة الإسلامية)، فقد جمع من

ووصايا الرسول ﷺ للأمة. ومن أشهر خطبه في هذه الحجة تلك الخطبة التي ألقاها في وسط أيام التشريق، ومما قاله فيها: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - (كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل) - وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال اللهم اشهد» - ثلاث مرات[1].

وقال ﷺ في خطبة خلال تلك الحجة: «... ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[2]، وقال: «... إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاورون من أعمالكم، فاحذروا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله، وسنة نبيه، إن كل مسلم أخو المسلم، المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه من طيب نفس...»[3].

- المصادر الأدبية والحديثية وكتب أهل السير ثمانية وثلاثين بنداً، ثم قام بتحليلها وتخريجها وتوثيق نصوصها بميزان الجرح والتعديل الذي اعتمده أئمة المسلمين منذ الصدر الأول، لأن الأمر دين وشرع كما قال: وقد أجاد وأفاد. جزاه الله خيراً.

(١) مسلم (٢/٨٨٩ - ٨٩٠، ح١٢١٨) من حديث جابر الطويل المشهور في حجة الوداع.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ١٣٣، ح٤٤٠٣)، مسلم (١/ ٨٢، ح٦٥ - ٦٦).

(٣) من رواية البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣) من حديث ابن عباس، وروى الترمذي بعضه كما في السنن (٣/ ٥٤، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، ح٣٢٩٥، اختصار وتصحيح الألباني) من حديث عمرو بن الأحوص، وقال الألباني: «حسن»، وعزاه أيضاً لابن ماجه رقم ١٨٥١ - وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢٨٠)، وقال الساعاتي في تخريجه: «أورده ابن كثير في تاريخه بطوله وعزاه للإمام أحمد ثم قال: «وروى أبو داود بعضه، ورواه أئمة الحديث في كتبهم مقطعاً في أبواب متفرقة من طرق صحيحة، والله أعلم»، والبزار: كشف الأستار، برقم ١٥١٤.

فائدة: روي أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: «ذهبت لقبر أمي، فسألت الله أن يحييها لي، فأحياها، فآمنت بي». ضعف العلماء هذا الحديث كما جاء في تحقيق «حدائق الأنوار»[١].

قلت: وصح أنه زار قبر أمه وقال: «استأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي، فاستأذنته أن استغفر لها فلم يأذن لي»[٢].

□ المبحث السادس: أحكام ومبادئ وعبر من حجة الوداع □

١ - أراد الرسول ﷺ أن يتعلم الناس منه كيفية أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، الحج، بعد أن حرم التقاليد الجاهلية المتوارثة أيام الحج من تصدية وصفير وعري أثناء الطواف، وقضى على الأوثان وطهر البيت الحرام منها.

٢ - وأراد أن يلتقي في هذه الحجة بالمسلمين الذين تقاطروا إليه من كل حدب وصوب، ويلخص لهم تعاليم الإسلام ونظامه في كلمات جامعة مختصرة، ويحملهم أمانة تبليغها إلى من لم تبلغه من البشر في كل أصقاع الدنيا في الحاضر والمستقبل، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ويؤدي فريضة الحج ليبين للناس عملياً هذا الركن الخامس من أركان الإسلام. ولذا فقد تضمنت خطبه ﷺ في هذه الحجة لكل أحكام الحج، وأوصى الأمة بأهم مبادئ الإسلام وأسسه.

وأهم حديث وردت فيه أحكام حجة النبي ﷺ ووصاياه فيها، هو حديث جابر، الذي رواه مسلم، وقال عنه النووي[٣]: «وهو حديث عظيم ومشتمل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو من أفراد مسلم، لم يروه البخاري في صحيحه، ورواه أبو داود كرواية مسلم. قال القاضي (عياض) وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا، وصنف فيه أبو بكر ابن المنذر جزءاً كبيراً، وخرج فيه من الفقه مائة ونيفاً وخمسين نوعاً، ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه...»[٤].

---

(١) لمحمد بن عمر بَحْرَق الحضرمي، طبعة دار الحاوي: الأولى ١٤١٩هـ، ص١١٣ ـ ١١٥.

(٢) مسلم برقم (٩٧٦/ ١٠٨)، وعموماً فأبواه من أهل الفترة، وهم ناجون إلا من استثني، كما حققه ذلك العلماء الأفاضل، كما في تحقيق محقق الأنوار ص١١٤ حاشية (٤).

(٣) مسلم: بشرح النووي (٨/ ١٧٠).

(٤) وقد لخص الألباني فقه حجة الوداع في المئتين وسبعين مسألة، ولأن الكتاب متيسر، وحرصاً منا =

أما أهم وأبرز المبادئ التي أكدها الرسول ﷺ وأوصى أمته بها، فهي:

١ - الإعلان عن حقوق المسلم، وأنه محرم الدم والمال والعرض[١].

٢ - الإعلان عن تحريم الظلم والربا، وكل عادات الجاهلية الضارة[٢].

٣ - الإعلان عن حقوق النساء، والأمر بالاعتراف بها وأدائها، وكذا حقوق الزوج على زوجته[٣].

٤ - تحريم الوصية للوارث، وتقرير قانون التوارث كما في القرآن الكريم[٤].

٥ - حرمة التبني والانتساب لغير الأب أو تولي غير الموالي، رغبة عنهم[٥].

٦ - تقرير أن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه، وأن العاهر لا حق له فيه وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالزنى[٦].

٧ - أخبرهم أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى[٧]. وطلب ممن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها[٨].

= على الاختصار، فقد رأيت عدم نقلها عنه، وأكتفي بالإحالة إليه لتمام الفائدة والشرح والتعليق الذي زين به الشيخ كتابه المفيد المختصر. وزيادة في تمام الفائدة فقد ألحق الشيخ ذيلاً سرد فيه بدع الناس في الحج وزيارة المدينة المنورة وبيت المقدس، لأن كثيراً من الناس لا يعرفونها فيقعوا فيها، وعد منها خمساً وسبعين ومائة بدعة.

ومن الكتب الهامة في فقه حجة الوداع، كتاب زاد المعاد، وزاده فائدة تحقيق العالمين الجليلين: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط.

(١) مسلم (٢/ ٨٨٩، ح١٢١٨)، من حديث جابر الطويل في حجة الوداع، وغيره.

(٢) المصدر والمكان نفساهما.

(٣) المصدر والمكان نفساهما، وأبو داود (٣/ ٨٢٤، ح٣٥٦٥)، والترمذي (٣/ ٥٤، ح٢٢٩٥) اختصار وتصحيح الألباني، وحسنه الألباني.

(٤) عبد الرزاق: المصنف (٩/ ٤٨، ح١٦٣٠٨)، أحمد: المسند (٥/ ٢٤٨)، أبو داود (٣/ ٨٢٤، ح٣٥٦٥).

(٥) انظر: المصادر والأمكنة نفسها، إضافة إلى أبي داود: (٥/ ٣٣٩، ح٥١١٥)، ابن ماجه: رقم ٢٧١٣.

(٦) انظر: المصادر والأمكنة نفسها.

(٧) أخرجه ابن حبان: موارد الظمآن، رقم ٢٥، بإسناد رجاله ثقات.

(٨) أحمد: المسند (٥/ ٧٣)، البزار: المسند، كشف الأستار (٢/ ٣٤)، وفيه موسى بن عبيد الربذي، وهو ضعيف.

٨ - حذر من الكذب عليه، فقال: «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»[١].

٩ - وأوصاهم بالاعتصام بالكتاب والسنة، فقال: وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به: كتاب الله، وسنة نبيه[٢].

١٠ - وأوصاهم بأن المؤمنين إخوة، وأنه لا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه[٣].

١١ - أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر مهما كان جنسهم أو لونهم أو وضعهم الاجتماعي، ما داموا يقيمون فيهم كتاب الله ﷻ[٤].

١٢ - قرر أن التفاضل بين الناس يكون بالتقوى وليس بأي اعتبار آخر[٥].

١٣ - الوصية بالأرقاء[٦].

١٤ - وأوصاهم بأن ثلاثاً لا يغل عليهن قلب المسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين[٧].

◻ المبحث السابع: سرية أسامة بن زيد إلى الشام ◻

رجع النبي ﷺ من حجة الوداع في أواخر ذي الحجة من العام العاشر، وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر ندب الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين، وفيهم

---

(١) ابن ماجه، رقم ٣٠٥٧، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح»، وأحمد: المسند (٥/ ٤١٣).

(٢) مسلم (٢/ ٨٩٠، ح١٢١٨).

(٣) مسلم (٢/ ٩٤٤، ح١٢٩٨).

(٤) الترمذي (٣/ ٥٤، ح٣٢٩٥)، وحسنه الألباني.

(٥) انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد (٣/ ٣٧٦) وقال: «رواه الطبراني في الكبير بأسانيد وهذا ضعيف، وتقدم له إسناد صحيح في الخطبة يوم عرفة»، انظر: جمع الفوائد (١/ ٥١٠)، والتعليق على هذا النص، وحديث: «إن أباكم واحد، وإن دينكم واحد، أبوكم آدم وآدم من تراب» رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح كما في كشف الأستار (٢/ ٤٣٥).

(٦) أحمد: المسند (٤/ ٣٥)، وقال ابن حجر: الإصابة (٣/ ٦٥٣): «أخرجه البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن منده والأزدي وغيرهم»، وإسناده صحيح.

(٧) أحمد: المسند (٤/ ٨٠ - ٨٢)، الدارمي: السنن رقم (٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤)، ابن ماجه: السنن رقم (٣٠٥٦)، الطبراني في الكبير (٢/ ١٣٠ - ١٣١)، والحاكم (١/ ٨٧) وقال: «على شرطهما»، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠٩)، وحسنه.

كبار المهاجرين والأنصار[١]، ودعا ﷺ أسامة بن زيد، فأمره على هذا الجيش، فطعن بعض الناس في إمارته، فقام ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايْمُ الله إن كان لَخَلِيْقاً للإمارة وإنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ بَعْدَهُ»[٢].

وكان سبب طعن بعض الناس في إمارة أسامة لكونه صغير السن، إذ كان ابن ثمان عشرة سنة[٣].

ومرض رسول الله ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين ولذا لم يتحرك هذا الجيش، وظل معسكراً بالجُرف، ورجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم أنفذه أبو بكر ﷺ عندما استخلف، وكانت عدته ثلاثة آلاف[٤].

عظات وعبر:

١ - بيان فضل أسامة بن زيد وأبيه زيد ومكانتهما عند الرسول ﷺ فلا صغر السن ولا الرق القديم الذي وقع على أبيه زيد منع رسول الله ﷺ من أن يجعله أميراً على جيش فيه عامة الصحابة في غزوة كبرى. وهكذا حطمت شريعة الإسلام قيم الجاهلية ومقاييسها التي كانوا يتفاضلون بها.

---

(١) ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٧، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد...)، الواقدي (٣/ ١١١٧ ـ ١١١٨)، ابن سعد (٢/ ٢٤٨) من طريق الواقدي ومرسلاً، ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٣٣٧).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨٧، ح٤٤٦٩).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ولكنه مرسل: ابن هشام (٤/ ٣٩٦)، الواقدي (٣/ ١١١٨) وذكر السهيلي سبباً ثانياً وهو لكونه مولى، انظر: الروض الأنف (٤/ ٢٤٨)، ولم نقف على مصدره في هذا، ويبدو أنه استنتاج اجتهادي.

(٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن ولكنه مرسل: ابن هشام (٤/ ٣٩٦)، وابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، والواقدي (٣/ ١١٢٠ ـ ١١٢٢)، وقد انفرد الواقدي بذكر عدد هذا الجيش.

الفصل السابع والعشرون

المرض والوفاة

اشتكى رسول الله ﷺ بعد عودته من حجة الوداع في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر الهجري[١].

وطلب يومئذ من مولاه أبي مُوَيهِبَة أن يصحبه في جوف الليل إلى البقيع، لأنه أمر أن يستغفر لأهل البقيع، وعندما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»، ثم أقبل على أبي مويهبة قائلاً: «يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». فقال أبو مويهبة: «بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة»، فقال رسول الله ﷺ: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف[٢] إلى بيت عائشة، وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى اشتد به وجعه في بيت ميمونة[٣]، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة ﵂[٤]، واستغرق مرضه عشرة أيام[٥]، ثم

---

(١) ابن إسحاق، مطلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٨٥)، وانظر: اختلاف أهل المغازي والسير في تاريخ ابتداء شكواه وتاريخ وفاته عند ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧). قال ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠): «وقع في السيرة لأبي معشر: في بيت زينب بنت جحش، وفي السيرة لسليمان التيمي: في بيت ريحانة، والأول المعتمد ـ أي في بيت ميمونة».

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤، ح٤٤٤٢ ـ ٤٤٥٠)، ابن إسحاق، بإسناد حسن، ابن هشام (٤/ ٣٨٧).

(٥) قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦٠): «واختلف في مدة مرضه، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً، وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه، وقيل عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٢٣٤-٢٣٥)، بإسناد صحيح».

توفاه الله يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول[١]. وقد تم له من العمر ثلاثة وستون عاماً[٢].

وكانت عائشة ﵂ تقرأ بالمعوذتين والأدعية الكثيرة التي حفظتها من رسول الله ﷺ، وتنفث بذلك على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة[٣].

ويوم زادت درجة حرارة جسمه، طلب أن يصبوا عليه سبع قرب من ماء حتى يخرج للناس فيعهد إليهم، ففعلوا، حتى طفق يقول: «حسبكم حسبكم»، وعند ذلك أحس بخفة، فعصب رأسه ثم قام فدخل المسجد وجلس على المنبر، وخطب الناس قائلاً: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وفي رواية: «قاتل الله اليهود والنصارى...»[٤]، وقال: «لا تتخذوا قبري وثناً يعبد»[٥]. وكانت هذه الوصية الخاصة بعدم اتخاذ القبور مساجد قبل أن يموت بخمس.

وعرض نفسه للقصاص قائلاً: «من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه»، ثم نزل فصلى الظهر، ثم عاد لمنبره لمواصلة حديثه في الحقوق وغيرها، فقال رجل: «إن لي عندك ثلاثة دراهم»، فقال: «أعطه يا فضل». وقال آخر إنه غل ثلاثة دراهم، فقال: «خذها يا فضل»[٦].

---

(١) وهو قول الجمهور كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦١)، وقد اعتمد ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) قول أبي مخنف أنه مات في الثاني عشر من ربيع الأول، وقال إن الآخرين زادوا «عشر» بعد الثاني، واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضاً من غير تأمل... قلت: وأبو مخنف لوط بن يحيى ضعيف لا يحتج به.

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨٦، ح٤٤٦٦)، وروى أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٩، ٢١٠) و(٢١/ ٢٦١)، بإسناد صحيح أنه توفي عن ثلاثة وستين عاماً. وانظر مناقشة الساعاتي للروايات التي قالت بغير هذا.

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٦٢، ٢٨٧، ح٤٤٢٩، ٤٤٥١)، وشرح ابن حجر للحديث الأول: مسلم (٤/ ١٧٢١ ـ ١٧٢٤، ح٢١٩١، ٢١٩٢).

(٤) البخاري: الفتح (٣/ ٩٨ ـ ٩٩، ح٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧) و(٦/ ٢٤٤، ح١٣٣٠)، مسلم (١٠/ ٤٧٥٦ ـ ٣٧٨، ح٥٢٩ ـ ٥٣٢)، مالك: الموطأ: ص٣٦٠.

(٥) مالك: الموطأ، ص٣٦٥.

(٦) البيهقي: الدلائل (٧/ ١٧٧ ـ ١٧٨)، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٦٠) وقال: «وفي إسناده ومتنه غرابة شديدة».

ثم أوصى الناس بالأنصار، قائلاً: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيبَتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من مُحسنهم، وتجاوَزوا عن مسيئهم». وقال في رواية أخرى: «إن الناس يكثرون، وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم»[1].

ثم قال في آخر خطبة له: «إن عبداً خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله»، قال الراوي: «فبكى أبو بكر ﷺ فعجبوا لبكائه، فكان المخير رسول الله ﷺ وكان أبو بكر أعلمهم بذلك»، فقال النبي ﷺ: «لا تبك يا أبا بكر، إن أَمَنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر»[2].

وعندما حضرته الوفاة واشتد به الوجع، وذلك يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام، قال للصحابة الذين كانوا حوله بالمنزل، وفيهم عمر: «هلموا أكتب إليكم كتاباً لن تضلوا بعده»، فقال عمر: «قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله»، فاختلفوا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: «قوموا عني»[3].

وأوصى في ذلك اليوم بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، ونسي الراوي الوصية الثالثة، ولعلها عامة وصيته حين حضره الموت وهي: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»[4]، وفي لفظ:

---

(١) البخاري: الفتح (١٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥، ح٣٧٩٩ ـ ٣٨٠١)، مسلم (٤/ ١٩٤٩/ ح٢٥١٠) وغيرهما.

(٢) البخاري: الفتح (٣/ ١٣٣، ح٤٦٧)، مسلم (٤/ ١٨٥٤، ح٢٣٨٢).

(٣) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٦٦، ح٤٤٣٢).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ١١٧)، بإسناد صحيح على شرط الشيخين كما قال محققو الموسوعة الحديثية ـ المسند (١٩/ ٢٠٩، ح١٢١٦٩)، من حديث التيمي عن قتادة عن أنس. ورواه التيمي موصولاً إلى أنس ﷺ كما ذكر الذهبي في السيرة، ص٥٥٧.

«الله الله، الصلاة وما ملكت أيمانكم»، كان يتكلم به وما يكاد يفيض[١]، وفي رواية أحمد: حتى جعل يُغَرْغِرُ بها صدره، وما يكاد يفيض بها لِسَانُه.

وقبل الوفاة بثلاث أوصى قائلاً: «أحسنوا الظن بالله ﷻ»[٢]، ثم أخذ يثقله المرض ويمنعه من الخروج للصلاة بالناس فقال: «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس»، فقالت عائشة: «يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف - أي رقيق - وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر»، فقال: «مروا أبا بكر أن يصلي»، فقالت عائشة لحفصة: «قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى... فقال ﷺ: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس...» ولما لم يكن أبو بكر موجوداً في تلك اللحظات، دعا عبد الله بن زمعة عمر ليصلي بالناس، فعندما سمع الرسول ﷺ صوته، قال: «يأبى الله ذلك والمسلمون - مرتين -» فبعث إلى أبي بكر، فجاء فصلى بالناس[٣].

وظل أبو بكر يصلي بالناس تلك الأيام، وفي أحدها وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، وعندما رآه أراد أن يتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، فأجلسه بجانبه، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر[٤].

وقبل يوم من وفاته، أعتق غلمانه[٥]، وتصدق بدنانير - ما بين التسعة والسبعة -

---

(١) رواه الذهبي في السيرة، ص٥٥٧، وقال: «هذا أصح»، يعني من حديث التيمي. ورواه ابن ماجه. انظر: الألباني: صحيح ابن ماجه (١/ ٢٧١، كتاب الجنائز، ح١٦٢٥)، وقال: «صحيح». وصححه أيضاً الهيثمي: المجمع (٤/ ٢٣٧) وفيه عبيد الله أبو الوليد الوصافي، وهو متروك.

(٢) رواه الذهبي في السيرة، ص٥٥٧، وقال: «هذا حديث صحيح من العوالي».

(٣) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢٢٦ - ٢٢٧) من طريق ابن إسحاق، قال الساعاتي: «وحديث الباب صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي»، أبو داود، السنن (٥/ ٤٧ - ٤٨) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن، ويونس بن بكير من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، كما نقله عنه ابن كثير في البداية (٥/ ٢٦١).

(٤) البخاري (٥/ ١٧٥، كتاب الصلاة، باب الرجل يأتم بالإمام) رقم (٦٨) واللفظ للبخاري، مسلم (١/ ٣١٣ - ٣١٤، ح٤١٨).

(٥) ابن سعد (٢/ ٣١٦ - ٣١٧) من عدة طرق تتقوى بعضها ببعض. ولها شاهد من حديث البخاري أن الرسول ﷺ لم يترك عند موته عبداً ولا أمة.

كانت عنده[١]، وقال: «لا نورث ما تركنا صدقة...»[٢]، وفي رواية: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»[٣]. ولذا لم يترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة[٤].

واستعارت عائشة رضي الله عنها في الليل الزيت للمصباح من جارتها[٥]، وكانت درعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير[٦]. ولعل باقي هذه الثلاثين صاعاً هو ما ذكرته عائشة رضي الله عنها في قولها: «لقد توفي النبي ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فأكلته ففنيَ»[٧]. ولم تشر الروايات إلى ما بقي من الثلاثين صاعاً في بيوت زوجاته الأخريات.

وكانت الأشياء مثل البغلة والحربة والكسوة والسلاح والسرير وقفاً يتجمل به الأئمة المسلمون بعده، ويتبركون به كما كان يتجمل به، وكان ذلك في أيدي الأئمة واحداً بعد واحد[٨].

وفي اليوم الذي مات فيه، فاجأ الرسول ﷺ المسلمين بكشف ستر حجرة عائشة. فنظر إليهم وهم يصلون الصبح، ثم تبسم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل

---

(١) ابن سعد (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨٩) من عدة طرق تتقوى ببعضها البعض.

(٢) البخاري: الفتح (٢٥/ ٢١٢٧ ـ ٢١٣٠، ح٦٧٣٦ ـ ٦٧٢٨، ٦٧٣٠).

(٣) البخاري: الفتح (٢٥/ ١٢٩، ح٦٧٢٩).

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨٣، ح٤٤٦١). وفي هذا الحديث دليل على أن من ذكر من رقيق للنبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتق قبل وفاته. واستدل به على عتق أم الولد بناء على أن مارية أم إبراهيم عاشت بعد النبي ﷺ وأما على قول من قال إنها ماتت في حياة الرسول ﷺ فلا حجة فيه، انظر: ابن حجر: الفتح (١١/ ٩٥)، قلت: إنما الحجة في قوله ﷺ عندما ولدت له إبراهيم: «أعتقها ولدها...» رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٦) ويتقوى بالشواهد والمتابعات التي ذكرها الماردبني في الجوهر النقي في ذيل السنن الكبرى.

(٥) قاله ابن رجب الحنبلي في: «مجالس من سيرة النبي ﷺ» بتحقيق ياسين الأسواس ومحمود الأرناؤوط، ص١٠٤، بدون إسناد.

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨٦، ح٤٤٦٧) و(١٠/ ١٣٠، ح٢٥٠٩).

(٧) البخاري: الفتح (٢٤/ ٦٣ ـ ٦٤، ح٦٤٥٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٣، ح٢٩٧٣).

(٨) حماد بن إسحاق بن إسماعيل: تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها، تحقيق الدكتور أكرم العمري، ص١١٣.

الصف، ظناً منه أن الرسول ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[١].

وعند الضحى دعا إليه ابنته فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، فسئلت عن ذلك بعد وفاته ﷺ، فقالت: «سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه - يلحقه - فضحكت»[٢]، وفي رواية أن سبب ضحكها كان لقول الرسول ﷺ لها: «يا فاطمة، أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة...؟»[٣].

والحديث دليل من دلائل نبوته ﷺ لأن فاطمة رضي الله عنها كانت أول الناس لحوقاً به ﷺ من أهله.

ولما رأت فاطمة ما بأبيها من الوجع الشديد، قالت: «واكرب أباه»، فقال لها الرسول ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»[٤].

وكان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علبة ماء، يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»[٥].

وبعد هذا ثقل عليه المرض فأصبح لا يتكلم، ولذا فعندما دخل عليه أسامة بن زيد رضي الله عنه دعا له بالإشارة[٦].

ويبدو أن ذلك كان الوقت الذي لُدّه فيه، أي جعلوا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وهو يشير إليهم بألا يفعلوا ذلك، وهم يظنون أن ذلك كان منه كراهية المريض للدواء[٧]، ولكنه كان ينفي عنه تهمة الإصابة بمرض ذات الجنب الذي

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٧٧، ح٤٤٤٨).
(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، ح٤٤٣٣ ـ ٤٤٣٤)، مسلم (٤/ ١٩٠٤، ٢٤٥٠).
(٣) البخاري: الفتح (١٤/ ١٢٤: ح٣٦٢٣)، مسلم (٤/ ١٩٠٥، ح٢٤٥٠).
(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤، ح٤٤٦٦).
(٥) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٧٨، ح٤٤٤٩).
(٦) ابن إسحاق بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٣٩٨).
(٧) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨١ ـ ٢٨٢، ح٤٤٥٨).

ظنوه[١] به، وهو نوعان: أحدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن، وهو المنفي عنه هنا، وثانيهما: ريح محتقن بين الأضلاع[٢].

وقد روى أبو يعلى بسند فيه ابن لهيعة من وجه آخر عن عائشة أن النبي ﷺ مات من ذات الجنب. ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الجنب المنفية هنا هي الريح المحتقنة بين الأضلاع[٣].

ثم بدأت اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ. فبينما كان في حجر عائشة، دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك، فنظر إليه الرسول ﷺ، فعلمت عائشة أنه يريد السواك، فتناولته ولينته له فاستاك به؛ وعندما فرغ منه رفع يده وأصبعه وشخص ببصره نحو السقف، وتحركت شفتاه؛ فأصغت إليه عائشة، وهو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»، كررها ثلاثاً[٤] وكان هذا آخر ما تكلم به[٥]، ثم مالت يده ولحق بالرفيق الأعلى[٦].

وكان ذلك حين اشتد الضحى[٧] أو في منتصف النهار[٨]، فقالت فاطمة: «يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه، مَنْ جَنَّةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه»[٩].

وأصح ما جاء في مدة مرضه الأخير عشرة أيام[١٠].

---

(١) رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن أسماء بنت عميس، كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٨٢)، وابن سعد (٢/ ٢٣٥) بإسناد فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق، ويقويه حديث عبد الرزاق، وغيره من الشواهد الأخرى التي ساقها ابن سعد.

(٢) ابن حجر. الفتح (١٦/ ٢٨٣).

(٣) قاله ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٤) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٧٨، ح٤٤٤٩).

(٥) البخاري. الفتح (١٦/ ٢٨٥، ح٤٤٦٣)، ومسلم (٤/ ١٨٩٤، ح٢٤٤٤)، وغيرهما.

(٦) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٧٨، ح٤٤٤٩).

(٧) ابن إسحاق، بإسناد متصل ولكن لم يصرح فيه بالسماع: ابن هشام (٤/ ٤٠٤).

(٨) الطبري: التاريخ (٣/ ٢٠٠) من رواية في إسنادها الكلبي وأبو مخنف وهما متروكان في الحديث.

(٩) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٨٤، ح٤٤٦٢).

(١٠) البيهقي: الدلائل (٧/ ٢٣٤)، بإسناد صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦٠)، وقال: «وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه».

ولم يصدق عمر بن الخطاب ﷺ نبأ وفاة الرسول ﷺ، فأخذ يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فمكث عن قومه أربعين ليلة. والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون - أو قال: يقولون - إن رسول الله ﷺ قد مات»[١].

وجاء أبو بكر من السُّنح، فكشف عن وجه النبي ﷺ، ثم قبله وبكى وقال: «بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتب عليك فقد متها»، ثم خرج إلى الناس، وهم بين منكر ومصدق، لهول الأمر، فرأى عمر وهو يكلم الناس منكراً موت الرسول ﷺ، فطلب منه أن يجلس، فأبى، فأقبل الناس إلى أبي بكر وتركوا عمر، فحدثهم أبو بكر قائلاً: «أما بعد: من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فهدأ الناس وكأنهم لم يسمعوا الآية من قبل، وقعد عمر على الأرض لا تحمله رجلاه لما علم بموت الرسول ﷺ[٢].

وفي يوم الثلاثاء، وهو اليوم التالي لوفاته ﷺ، غسلوا رسول الله ﷺ في ثيابه[٣]، غسله العباس وعلي والفضل وقُثَم ابنا العباس وشُقْران مولى رسول الله وأسامة وأوس بن خولي[٤].

وكان ماء غسله من بئر يقال له: الغَرْسُ، لسعد ابن خيثمة، كان يستعذب للرسول ﷺ منها[٥].

---

(١) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢٤١ - ٢٤٢)، ابن سعد (٢/ ٢٦٦)، عبد الرزاق: المصنف (٥/ ٤٣٣ - ٤٣٤)، وجميعهم من طريق الزهري عن أنس، وإسنادهم صحيح. ورواه ابن إسحاق بإسناد متصل من طريق الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، ولم يصرح فيه بالسماع، ويتقوى بالشواهد والمتابعات المذكورة: ابن هشام (٤/ ٤٠٦).

(٢) البخاري: الفتح (١٦/ ٢٧٩ - ٢٨٠، ح٤٤٥٢ - ٤٤٥٤).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٤١٦) ورواه غيره من هذا الطريق.

(٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن فيه حسين بن عبد الله، وهو ضعيف: ابن هشام (٤/ ٤١٥).

(٥) ابن شبة: أخبار المدينة (١/ ١٥٨)، بأسانيد تقوى ببعضها البعض.

وقالت عائشة ﵂ عن كيفية غسله: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري كيف نصنع، أنُجَرِّدُ رسول الله ﷺ كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا أرسل الله عليهم السِّنَةَ حتى والله ما من القوم من رجل إلا ذَقَنُهُ في صدره نائماً، قالت: ثم كلمهم من ناحية البيت، لا يدرون من هو، فقال: اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، قالت: فثاروا إليه، فغسلوا رسول الله ﷺ وهو في قميصه يفاض عليه الماء والسدر، ويدلكه الرجال بالقميص، وكانت تقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه[1].

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة نقية أو من سحول اليمنية من كُرْسُف، (قطن) ليس فيها قَمِيصٌ ولا عِمَامَةٌ[2].

ثم حفروا له قبراً في حجرة عائشة[3].

وصلى عليه الناس أرسالاً أرسالاً، يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد[4]. وقيل صلى عليه أولاً بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الناس حتى فرغوا، ثم النساء، ثم الصبيان[5]، ثم

---

(١) ابن هشام (٤/ ٤١٦): من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، ورواه عنه آخرون، منهم الإمام أحمد (٦/ ٢٦٧)، واللفظ له.

(٢) البخاري: الفتح (٦/ ١٦٤، ح١٢٦٤، مسلم (٢/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠، ٩٤١)، ابن إسحاق، بإسناد حسن: ابن هشام (٤/ ٤١٦)، وسحولية يعني نقية أو منسوبة إلى سحول وهي مدينة باليمن، تحمل منها هذه الثياب، والكرسف: القطن.

(٣) ابن إسحاق بإسناد فيه حسين بن عبد الله: ابن هشام (٤/ ٤١٦ ـ ٤١٧) ابن سعد (٢/ ٢٩٢) بأسانيد مختلفة، والتي من طريق ابن الوليد الطيالسي صحيحة. وهو خبر مشهور، وممن رواه: ابن ماجه في السنن (١/ ٥٢١، كتاب الجنائز)، قال ابن عبد البر: (... ولكنه صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جمعها». نقله فؤاد عبد الباقي في حاشية الموطأ (١/ ٢٣١) فيكون الحديث صحيحاً من طريق الطيالسي، وتتقوى الطرق الأخرى الضعيفة وتعتضد بعضها ببعض ويشهد لها حديث الطيالسي. ويكفي دلالة على هذا الواقع المشاهد.

(٤) أحمد الفتح الرباني (٣٢١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، وقال الساعاتي: ... ورواه الهيثمي وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» ورواه ابن سعد (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٢) من عدة طرق أحدها طريق أحمد هذا، وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٢٩٩): «وهذا الصنيع ـ وهو في صلاتهم عليه فرادى ـ أمر مجمع عليه لا خلاف فيه».

(٥) ابن سعد (٢/ ٢٩١) من رواية الواقدي.

العبيد[١].

ثم دفنوه في ليلة الأربعاء[٢].

إنا لله وإنا إليه راجعون! إنا لله وإنا إليه راجعون!!.

ولا يملك المرء المسلم إلا أن يبكي مع حسان[٣]، وهو ينشد:

فَبُكِّي رسول الله يا عينُ عبرةً ... ولا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَا لَكِ لا تَبْكِينَ ذا النِّعْمَةِ التي ... على الناس منها سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودِي عليه بالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الذي لا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ
وما فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ محمد ... ولا مِثْلُهُ حتى القِيامَةِ يُفْقَدُ

ويبكي مع ابن عمه أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب حين بكى منشداً:

أرِقْتُ فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طولُ
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عظُمتْ مصيبتنا وجلت ... عَشِيَّةَ قيل قد قُبِض الرسولُ
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحيَ والتنزيل فينا ... يروحُ به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تميلُ
نبيٌّ كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فما نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليلُ
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول[٤]

---

(١) الطبري: التاريخ (٣/ ٢١٣)، من رواية ابن إسحاق، ولم يصرح بالسماع؛ وفيه حسين بن عبد الله، وهو ضعيف.

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ابن هشام (٤/ ٤١٨).

(٣) من داليته في رثاء الرسول ﷺ عن أبي زيد الأنصاري وهي قصيدة طويلة من ستة وأربعين بيتاً، انظر: ابن هشام (٤/ ٤٢٤).

(٤) انظر: السهيلي: الروض (٤/ ٢٧٥)، بدون إسناد، وأصح ما جاء في مدة مرضه الأخيرة عشرة أيام، البيهقي: الدلائل (٧/ ٢٣٤)، بسند صحيح، كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦٠)، وقال: وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه.

ونقول باكين كما قالت ابنته وحبيبته فاطمة رضي الله عنها:

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطور المعظم جوه ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه ... صلى عليك منزل القرآن[1]

عظات وعبر وأحكام ووصايا:

١ - كفى بالموت عظة وعبرة... لقد شاء الله تعالى أن يكون الموت نهاية كل إنسان مهما طال عمره، ومهما كان موقعه من الحياة، وتلك سنة الحياة كما عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]. فها هو محمد بن عبد الله خير البشر، يموت بعد أن عانى من سكرات الموت وآلام المرض... وإذا وعى الناس هذه الحقيقة استشعروا معنى العبودية والتوحيد، وخضعوا لله الواحد القهار، واستعدوا للموت بالإكثار من العمل الصالح وطاعة الله وإخلاص العبادة له في كل مجال من مجالات الحياة، لا سيما عبادة الله في تحكيم شرعه والجهاد في سبيل ذلك، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، لأن الله تعالى الذي خلق البشر خبير بما يصلحهم في الدنيا والآخرة... ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

٢ - مشروعية الرقية - التعويذ - ما ثبت في ذلك في الصحيحين. وقد نقل النووي[2] وابن حجر[3] وغيرهما الإجماع على مشروعية الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط: «أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وأن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله

---

(١) السهيلي: الروض، (٤/ ٢٧٥)، بدون إسناد.
(٢) شرح مسلم (١٤/ ١٦٩).
(٣) فتح الباري (٢١/ ٣١٠ كتاب الطب، شرح أحاديث باب الرقى بالقرآن والمعوذات).

تعالى...». واللفظ لابن حجر.

٣ - بيان فضل أبي بكر الصديق عندما أصر الرسول ﷺ على أن يؤم الناس.

٤ - النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

قال العلماء عن تكراره ﷺ عبارة «إلى الرفيق الأعلى»: «لأن التخيير لم يزل يُعادُ عليه، وهي كلمة تتضمن لقاء الله، الذي هو لُبَابُ التوحيد وسر الذكر باللسان والقلب، ومنه يستفاد أنه لا يشترط في نجاة المحتضر أن يتلفظ بـ«لا إله إلا الله»، إذا مات وقلبه مطمئن بالإيمان. والله أعلم»[1].

٥ - لقد تضمن ما سقناه من أحاديث في خبر مرض وفاته ﷺ دروساً وعظات وعبراً وأحكاماً يستطيع المرء أن يستنبطها بيسر.

(١) قاله محمد بحرق في الأنوار، ص٣٨٨.

الفصل الثامن والعشرون

أمهات المؤمنين

المشهور أن الرسول ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة[١]، دخل بثلاث عشرة منهن، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع[٢]، فأما اثنتان منهن فأفسدتهما النساء فطلقهما، وذاك أن النساء قلن لإحداهما: إذا دنا منك فتمنعي، فتمنعت فطلقها، وأما الأخرى فلما مات إبراهيم قالت: لو كان نبياً ما مات ابنه، فطلقها؛ منهن خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم سلمة وسودة وأم حبيبة، ومن غير قريش: ميمونة الهلالية، وجُويرية الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية وصفية الخيبرية. وهؤلاء التسع هن اللاتي قبض عنهن[٣]. وقد سبق الكلام عن زواجه من خديجة ﷺ، وقد ماتت قبله بمكة كما ذكرنا وسأتناول هنا بإيجاز قصة زواجه من الثماني الباقيات، ومن تسرى بهن.

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ٢٨٨)، من مرسل قتادة.

(٢) أبو عبيدة بن المثنى: تسمية أزواج النبي ﷺ، ص٧٧، ابن حبيب. المحبر، ص٩٨. وانظر تفاصيل أخبار من تزوج رسول الله ﷺ من النساء فلم يجمعهن ومن فارق منهن وسبب مفارقته إياهن، وذلك عند ابن سعد (٨/ ١٤١ ـ ١٥٠) وانظر تفاصيل من خطب النبي ﷺ من النساء فلم يتم نكاحه، ومن وهبت نفسها من النساء لرسول الله ﷺ عند ابن سعد (٨/ ١٥٠ ـ ١٦١).

وذكر مغلطاي في السيرة ص٤٠٥ ـ ٤١٣ الزوجات اللاتي لم يدخل بهن رضي الله عنهن وزوجاته اللاتي عقد عليهن أو خطبهن أو عرضن عليه ولم يدخل بهن، وعددهن عنده ٣٥ امرأة، وذكر المحقق المصادر التي ورد فيها ذكر هؤلاء السيدات، فلينظر لنفاسته.

ومن ورد ذكرهن بأسانيد يحتج بها: أُمَيْمَة بنت شراحيل، البخاري برقم (٥٢٥٦، ٥٢٥٧) معلقاً، وخولة بنت حكيم، ويقال خويلة السُّلَمِيَّة. البخاري برقم (٥١١٣)، وسودة القرشية، أحمد (١/ ٣١٨) وصححه شاكر، برقم (٢٩٣٦)، وفاختة بنت أبي طالب، مسلم برقم (٢٥٢٢)، وقُتَيْلَة بنت قيس بن معدي كرب، الحاكم (٤/ ٣٨). وانظر في هذا: ابن كثير: البداية، تحقيق د. عبد الله التركي، (٨/ ٢٠١ ـ ٢٣٦). فقد كاد أن يستوعب الروايات عن زوجاته وسراريه.

(٣) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ٢٨٩).

٢ - سودة بنت زمعة بن قيس:

كانت من المؤمنات المهاجرات في سبيل الله. فقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها السَّكْرَان بن عمرو، ابن عم أبيها، فأغضب ذلك أهلها. وعندما عادت مع زوجها من هجرتها توفي زوجها السكران، وقيل توفي عنها في الحبشة[١]. وتركها من غير عائل، فخشي الرسول ﷺ أن يبطش بها قومها، وكانوا أشداء وأعداء ألداء للإسلام، وأراد أن يجزيها على إسلامها ومصابها خيراً، فلم يجد غير أن يتزوجها في رمضان سنة عشر من النبوة[٢]، بعد وفاة خديجة ﵂ بلا خلاف والراجح زواجه بها في شوال بعد عائشة[٣].

وعندما طعنت في السن وذهبت حاجتها في الرجال، خشيت أن يطلقها الرسول ﷺ، وحرصت على أن تحشر في أزواجه، ولذا وهبت ليلتها لعائشة ﵂[٤]. ولذا كانت عائشة ﵂ تقول: «ما من امرأة أَحَبَّ إليَّ من أن أكونَ في مِسْلاخِها من سودة بنت زمعة، إلا أنها امرأة فيها حِدَّة، فلما كَبُرَتْ قالت: يا رسول الله! قد جعلت يومي منك لعائشة». فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها، ويوم سودة[٥].

وروي أن الآية الكريمة: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ

---

(١) وردت روايتان في مكان موت السكران بن عمرو، الأولى أنه مات بالحبشة والثانية أنه مات بعد عودته من الحبشة إلى مكة، وقد حكاهما ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ١٤٥)، ترجمة السكران، وعلى القول الأول موسى بن عقبة وأبو معشر، وعلى القول الثاني: ابن إسحاق: السير والمغازي، ص٢٥٤، ابن هشام (٢/ ٩)، والواقدي فيما حكاه عنه ابن سعد (٨/ ٥٣) قال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥٩): «وزعم أبو عبيدة في كتابه «تسمية أزواج النبي ﷺ» أنه رجع إلى الحبشة فتنصر بها ومات. وقال البلاذري: «الأول أصح»، يعني موته مسلماً بمكة.

(٢) ابن سعد (٨/ ٥٢ - ٥٣) من طريق الواقدي.

(٣) كما حققه ابن كثير في البداية (٣/ ١٤٩).

(٤) البخاري: الفتح (١٩/ ٢٧٣، ح٥٢١٢)، مسلم (٢/ ١٠٨٥، ح١٤٦٣)، أبو داود (٢/ ٦٠٢، كتاب النكاح: ح٢١٣٥)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٨)، بإسناد صحيح، و(٦/ ٢٣٩): صحيح ابن ماجه (١/ ٣٣٤، ح١٩٧٢) وقال: «صحيح».

(٥) مسلم (٢/ ١٠٨٥، ح١٤٦٣). والمسلاخ: الجلد.

عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] نزلت في هذا السبب[١].

والروايات التي تذكر أن النبي ﷺ طلقها ثم ردها عندما وقفت في طريقه تطلب منه ردها؛ فهذه الروايات التي فيها مسألة وقوع طلاق، ضعيفة الإسناد، لا يحتج بها، وما في الصحيح أصح.

وكانت بدينة الجسم ثقيلة الحركة، قالت ذات يوم للرسول ﷺ: «صليت خلفك البارحة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم»، فضحك رسول الله ﷺ من قولها[٢]. ولثقلها وكبرها أذن لها الرسول ﷺ ولمن في حالها أن يدفعوا ليلة مزدلفة قبل الناس[٣].

وأصح ما روي في تاريخ وفاتها أنها توفيت في خلافة عمر ﷺ[٤].

ولم نقف على رواية يحتج بها تحدد عمرها حين تزوجها النبي ﷺ. ومن تلك الروايات الضعيفة عن عمرها حين وفاتها، قول البلاذري[٥]: «ويقال إنها توفيت في خلافة عثمان ﷺ ولها نحو من ثمانين سنة».

٣ - عائشة بنت أبي بكر:

كانت لأبي بكر ﷺ مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ، لما كان له من مواقف في سبيل الله في أدق اللحظات وأحرجها من مسيرة الدعوة، فلعل الرسول ﷺ أراد

---

(١) انظر: الطبري: التفسير (٩/ ٢٧٦ - ٢٧٨)، بإسناد صحيح، أبو داود (٢/ ٦٠٢، كتاب النكاح، ح١٢٣٥) الألباني: صحيح الترمذي (٣ كتاب التفسير، ح٢٤٣٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني أيضاً، وانظر البيهقي: دلائل النبوة (٣/ ٢٩٧). وسودة القرشية ذات الخمس صبية ليست هذه: قاله شاكر في تحقيق المسند (٤/ ٢٩١٥).

(٢) ابن سعد (٨/ ٥٤) ورجاله رجال الصحيح، ولكنه مرسل. انظر ترجمتها في الإصابة (٤/ ٣٣٨ - ٣٣٩).

(٣) البخاري: الفتح (٧/ ٣٢٥ - ٣٣٦، ح١٦٨٠ - ١٦٨١).

(٤) البخاري: التاريخ الأوسط (٢/ ١٣٣، رقم ١٤٩)، دراسة وتحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، وصحح إسنادها ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٦، شرح الحديث رقم ١٤٢١)، وقال: «وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بأنها ماتت في آخر خلافة عمر ﷺ».

(٥) أنساب الأشراف (١/ ٤٠٧)، تحقيق د. محمد حميد الله، سلسلة ذخائر العرب. رقم (٢٧)، بدون تاريخ.

أن يكرم صاحبه الوفي الأمين، ويوثق عرى المحبة بينه وبين أخيه في الإسلام أبي بكر، وذلك برباط المصاهرة، فتزوج من ابنته عائشة.

وكانت عائشة ﵂ صغيرة السن عندما عقد عليها الرسول ﷺ، في شوال من السنة العاشرة للبعثة النبوية، ولم يدخل بها إلا في شوال من السنة الثانية للهجرة[١].

قالت عائشة ﵂: «تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة، قبل الهجرة وأنا بنت ست، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع سنين...»[٢] وفي رواية أنه تزوجها وهي ابنة سبع[٣].

ولقد رأى رسول الله ﷺ في المنام - ورؤيا الأنبياء حق - أن رجلاً يحملها إليه في سَرَقَةٍ من حرير[٤]، فيقول: «هذه امرأتك، فيكشف فيراها، فيقول: إن كان هذا من عند الله يمضه»[٥]. وهذا من فضائلها الكثيرة.

ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها[٦].

ومن يقف على سيرة هذه السيدة العظمى تأخذه الدهشة لذكائها وفطنتها وغزارة علمها وفقهها وسمو أخلاقها، وسيعلم حينها، لماذا كانت بتلك المكانة الكبيرة عند رسول الله ﷺ[٧].

---

(١) ابن سعد (٨/ ٥٨ ـ ٥٩) بأسانيد من طريق الواقدي، وزواجه وبناؤه بها في شوال ثابت في الصحيح: مسلم (٢/ ١٠٣٩، ح١٤٢٣).

(٢) البخاري: الفتح (١٩/ ٢٢٨، ح٥١٣٣)، مسلم (٢/ ١٠٣٨ ـ ١٠٣٩، ح١٤٢٢)، وغيرهما مسلم (٢/ ١٠٣٩، ح١٤٢٢)، وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينهما بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يجبره ومنهم من يحذفه: انظر الساعاتي: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩).

(٣) مسلم (٢/ ١٠٣٩، ح١٤٢٢) وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينهما بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يجبر الكسر ومنهم من يحذفه: انظر: الساعاتي: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩).

(٤) سَرَقَةٌ بيضاء من الحرير جيدة.

(٥) البخاري: الفتح (١٩/ ١٤٦، ح٥٠٧٨)، مسلم (٤/ ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠، ح٢٤٣٨).

(٦) البخاري: الفتح (١٩/ ١٤٥، ح٥٠٧٧، وحديث ترجمة الباب)، انفرد به البخاري.

(٧) انظر ترجمتها في الإصابة، وأبواب المناقب من كتب الحديث وما جمعه الساعاتي من أحاديث المسند: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩ ـ ١٢٨)، والأحاديث المتفرقة في كتب الأحاديث الأخرى، وهو من أهم مصادر المعرفة بحياة عائشة ﵂.

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب:

لقد توفي عنها زوجها خُنَيس بن حُذَافَة السَّهمي المهاجري البدري، صاحب الهجرتين - الحبشة والمدينة[١] -، إذ أصابته جراحة يوم أحد، فمات منها[٢]. وروي أنه توفي بعد بدر[٣].

وتزوجها رسول الله ﷺ للحكمة ذاتها التي تزوج من أجلها عائشة وسودة رضي الله عنهما، إضافة إلى حزنها الشديد على زوجها المجاهد، وحزن عمر لحزنها، فعرض زواجها على حبيبيه أبي بكر وعثمان، لعل في الاقتران بهما مواساة لها وإخراجها من أحزانها. فاعتذر عثمان بحجة عدم حاجته في النساء، وسكت أبو بكر، ولذا وجد عمر في نفسه عليه أكثر مما وجد على عثمان. وما لبث ليالي حتى خطبها رسول الله ﷺ، ولقيه أبو بكر وأوضح له سبب سكوته، وهو أن الرسول ﷺ كان قد ذكرها، فكره إفشاء سر رسول الله ﷺ وقال: «لو تركها رسول الله ﷺ قبلتها»[٤]. وفي هذا دليل على أن الرسول ﷺ كان يشعر بما تعانيه حفصة من تأيم، فأراد أن يواسيها، ويواسي أباها لمكانته عنده.

وروي أن الرسول ﷺ طلقها ثم راجعها[٥]. ودخل عليها عمر وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك؟ إن النبي ﷺ طلقك وراجعك من أجلي، والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا كلمتك كلمة أبداً»[٦].

---

(١) البخاري: الفتح (١٩/ ٢١١، ح٥١٢٢) الإصابة (١/ ٤٥٦ - ٤٥٧).
الطبري: حوادث سنة ٥٨هـ، الاستيعاب (٤/ ١٨٨٥).

(٢) ابن حجر: الإصابة (١/ ٤٥٦)، ابن عبد البر: الاستيعاب (١/ ٤٣٨).

(٣) ابن سعد (٨/ ٨١ - ٨٢) من طريق الواقدي، وقد جزم بذلك.

(٤) البخاري: الفتح (١٩/ ٢١١ - ٢١٣، ح١٥٢٢)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٠)، وإسناده صحيح.

(٥) أبو داود: السنن (٢/ ٧١٢، كتاب الطلاق، باب في المراجعة، ح٢٢٨٣)، بإسناد صحيح، ابن ماجه: السنن (١/ ٦٥٠، كتاب الطلاق ح٢٠١٦) والدارمي (٢/ ١٦١، كتاب الطلاق، باب في المراجعة)، النسائي: السنن (٦/ ٢١٣، كتاب الطلاق، باب الرجعة).

(٦) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٠ - ١٣١)، وقال: «قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٣٣) ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، انظر المسند (٣/ ٤٧٨)، حسن، ورواه ابن إسحاق: السير والمغازي، ص٢٥٧، بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه، برقم ١٣٢٥ بإسناد صحيح كما قال الألباني في إرواء الغليل (٧/ ١٥٨).

وعندما طلقها الرسول ﷺ أتاه جبريل ﷺ فقال له: «راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»[١].

وفي هذه الأحاديث ما يكفي للدلالة على حكمة زواج الرسول ﷺ من حفصة.

٥ - زينب بنت خُزَيمة الهِلالية:

كانت زوجة للطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، فطلقها[٢]، وقيل كانت عند جَهم بن عمرو بن الحارث[٣]، فتزوجها بعده عُبيدة بن الحارث، فقتل ببدر شهيداً[٤]، وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش، وقتل عنها يوم أحد شهيداً[٥]، وكانت تدعى أم المساكين في الجاهلية لرحمتها إياهم ورقتها عليهم[٦]. فقد روى الزبير بن بكار[٧] أن الرسول ﷺ عندما تزوجها أَوْلَمَ عليها جزوراً، فكثر المساكين، فتركهم الناس والطعام..

وهي أخت أم المؤمنين مَيْمُونة بنت الحارث ﷺ لأمها[٨]، هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة الحميرية[٩].

إن امرأة تعاقب عليها هذا العدد من الأزواج، منهم شهيدان، وما عرف عنها من الصلاح والرأفة على المساكين، لجديرة بأن تحظى بعطف الرسول ﷺ وتقديره لظروفها، ولم يكن هناك أفضل من تكريمه لها بالزواج منها، فتزوجها الرسول ﷺ

---

(١) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (٢٢/ ١٣١) وقال: «قال الهيثمي: ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٢) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي، وابن بكار، ص٤٩، بإسناد ضعيف، وذكره ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥) بصيغة التمريض «قيل...» وهي ضعيفة.

(٣) ابن إسحاق، معلقاً: ابن هشام (٤/ ٣٩١)، والمعلق من أقسام الضعيف كما نعلم.

(٤) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ٣١٣) معلقاً، ولم يعزه لأحد، ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥) معلقاً، وقد جزم به.

(٦) ابن إسحاق، معلقاً، ابن هشام (٤/ ٣٩١)، ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.

(٧) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، ص٤٨، وإسناده ضعيف.

(٨) ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ٣١٣)، ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥).

(٩) ابن حبيب: المحبر، ص١٠٥ - ١٠٩.

في رمضان، على رأس واحد وثلاثين شهراً من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الأول، على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة[١]. ولم يمت من أزواجه في حياته ﷺ غيرها وغير خديجة بنت خويلد.

وقيل إن عمرها كان نحو ثلاثين عاماً عندما توفيت[٢]، ويستبعد ذلك، لأن امرأة كانت تدعى في الجاهلية بأم المساكين، ثم عاشت في الإسلام خمس عشرة سنة، لا بد أن يكون عمرها عندما ماتت أكثر من ذلك بكثير. وقد ذكر الصواف[٣] أنها بلغت الستين من العمر عندما تزوج بها النبي ﷺ، ولكنه لم يبين لنا مصدره، ولو ثبت ذلك لكان هو الأقرب إلى الصواب، والله أعلم.

ولم تهتم المصادر بسيرتها في بيت الرسول ﷺ، لا سيما علاقاتها بزوجاته: سودة وعائشة وحفصة، مما يدل على أنه لم يكن بها ما يدعو لغيرة النساء عليها، فلم يأبه بها أحد، ولم تأبه بأحد، ولعل قصر مدة إقامتها في بيت النبوة كان سبباً في ذلك.

٦ - أم سلمة - هند بنت أبي أمية - المخزومية:

لقد حفظ التاريخ لهذه السيدة ذكراً مجيداً، إذ كانت من شهيرات المؤمنات، العاملات وراء صفوف المجاهدين في غزوة أحد، كما ذكرنا، وكان لها رأي سديد كما ذكرنا في قصتها مع النبي ﷺ يوم الحديبية. ومن أبرز مجاهداتها أنها هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة، عبد الله بن عبد الأسد، ابن عمة النبي ﷺ وأخيه من الرضاعة.

وكان لزوجها بلاء حسن يوم أحد، حتى جرح جرحاً كبيراً، اندمل بعد فترة، ثم عاوده وأشتد عليه ألمه، وكان سبباً في وفاته كما ذكرنا.

لقد مات ﷺ وخلف وراءه أربعة من الأولاد، هم: زينب وسلمة وعمر ودرة[٤]. وقد حرص الرسول ﷺ على مواساتها عملياً بأن يكرمها بضمها إلى نسائه

---

(١) ابن سعد (٨/ ١١٥)، من طريق الواقدي.

(٢) ابن سعد (٨/ ١١٦)، من طريق الواقدي.

(٣) زوجات النبي ﷺ الطاهرات، ص٤٩.

(٤) ابن سعد (٨/ ٨٧، ٨٩).

والقيام بأمرها، لأنها من المهاجرات، ولم يكن لها أهل بالمدينة، غير أبنائها.

وروي عنها أنها قالت: «أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ قولاً فسررت به، قال: «لا تصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع[1] عند مصيبته ثم يقول: اللهم اؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك به، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم اؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منه، ثم رجعت إلى نفسي، قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ... وأذنت له... فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة في، ولكني امرأة فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به، وأنا امرأة دخلت في السن، وأنا ذات عيال، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله ﷻ منك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، قالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فقالت: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه، رسول الله ﷺ»[2].

وفي رواية أنه لما انقضت عدتها من أبي سلمة خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: «مرحباً برسول الله ﷺ إني امرأة غيرىٰ، وإني مُصْبِيَة[3]، وليس أحد من أوليائي حاضراً، فبعث إليها رسول الله ﷺ: أما قولك إني مصبية فإن الله يكفيك صبيانك، وأما قولك إني غيرىٰ فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني، فقالت: «يا عمر: قم فزوج رسول الله ﷺ...»[4].

وكان زواج الرسول ﷺ بها في شوال سنة أربع[5].

---

(١) أي يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) مسلم (٢/ ٦٣٢ ـ ٦٣٣، ح٩١٨، ١٩١٩)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦٧)، الألباني: صحيح الترمذي (١/ ٢٨٨، كتاب الجنائز، ح٩٩٠)، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤٥، ١٤٤٧)، ابن سعد (٨/ ٨٩)، بإسناد صحيح.

(٣) أي عندي صبيان.

(٤) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦٧ ـ ٦٨)، وإسناده صحيح، وذكر الساعاتي من أخرجه غير أحمد.

(٥) ابن سعد (٨/ ٨٧) من طريق الواقدي.

وكانت آخر من توفي من زوجات النبي ﷺ، كما في الإصابة وغيرها.

٧ - جُوَيْرية بنت الحارث:

لقد سبق الكلام عن قصة زواجها في غزوة بني المصطلق.

أراد الرسول ﷺ إكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات، فسوى بينهن وبين الحرائر، وضرب للناس أصدق الأمثال على سماحة الإسلام. فأزال من الأذهان ما كان قد علق بها من احتقار للإماء، واتخاذهن فقط للبيع أو للخدمة، وحرمن من نعمة العتق إلا بالمكاتبة وشراء أنفسهن من مالكهن. فتعلم المسلمون من هذه الزيجة كيفية صيانة سيدات الأسر الكريمة بين قومهن ورحمة عزيز قوم ذل، وغنى قوم افتقر. وقد زخر التاريخ الإسلامي بعد هذا بالسبايا اللائي تزوجهن أسيادهن من الخلفاء والأمراء والسادة والكبراء، وأنجبن الخلفاء والأمراء والقادة العظماء والعلماء، وتأمل في ذلك تاريخ خلفاء بني العباس[1].

٨ - زينب بنت جحش:

هي ابنة عمة الرسول ﷺ أُميمة. وقد زوجها الرسول ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، الذي أعتقه وتبناه إلى أن أبطل الله عادة التبني. ونزل في قصة زواجها من زيد ﷺ ثم الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧][2].

فقد روى البخاري[3] أن زيداً جاء يشكو زوجته، فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

---

(١) ومن أمثلة المراجع في هذا الجانب: زكريا كتابجي: الترك في مؤلفات الجاحظ.

(٢) البخاري: الفتح (١٨/ ١٣٩ - ١٤٠، ح٤٧٨٧).

(٣) البخاري: الفتح (٢٨/ ١٩١ - ١٩٢، ح٧٤٢٠)، الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٩٢ - ٩٣) وصححه.

لقد كان زواج الرسول ﷺ منها لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري، وهي بنت خمس وثلاثين[١] لحكمة، وهي إبطال عادة التبني كما هو واضح من آية سورة الأحزاب المذكورة.

وخلاصة ما ورد في تفسير هذه الآية أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه[٢]، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني، وليس أبلغ في إبطاله من تزوج امرأة الذي يُدْعى ابناً، ووقوع ذلك أمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم[٣].

هذا الذي ذكرناه من الصحيح يغنينا عن مناقشة الروايات الكثيرة الساقطة التي نسجت حول قصة زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، لا سيما روايات الواقدي، التي كانت مرتعاً خصباً لأهل الأهواء في القديم والحديث، من زنادقة ومستشرقين ومن على شاكلتهم.

٩ - رَيحانة بنت زيد بن عمرو بن خُنَافة:

قيل: ومن أزواجه ريحانة بنت عمرو النضرية[٤]، وقيل: القرظية[٥]، سبيت يوم غزوة بني قريظة، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوجها[٦]، ثم طلقها

---

(١) ابن سعد (٨/ ١٤).

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]» انظر: الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٩٣) وصححه.

(٣) ابن حجر: الفتح (١٨/ ١٤٠)، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] شرح حديث الباب، من تفسير السدي عن ابن أبي حاتم، وقتادة عند عبد الرزاق، والترمذي في سننه، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٠ - ٤٢١).

(٤) لأنها كانت من بني النضير ومتزوجة في بني قريظة، قاله الواقدي (٢/ ٥٢٠)، وانظر تفصيله في الإصابة (٤/ ٣٠٩)، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ٣١٠): «والأكثر أنها من بني قريظة».

(٥) المصدر نفسه.

(٦) قاله الواقدي في أحد قوليه (٢/ ٥٣١) من مرسل الزهري، وعلق عليه قائلاً: «فهذا أثبت الحديثين عندنا»، وابن بكار: منتخب أزواج النبي ﷺ، ص٥٥ - ٥٦، مرسلاً من حديث أيوب بن عبد الله بن صعصعة، وهو صدوق، وفيه ابن زبالة، وهو متروك في الحديث.

تطليقة، ثم راجعها[١].

وقالت طائفة: بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين، فهي محدودة عندهم في السراري[٢]، واختلفوا في تاريخ وفاتها، هل كان قبل الرسول ﷺ أم بعده؟ ولم يرجحوا قولاً على آخر[٣]، والذي نميل إليه أنها ماتت في حياة الرسول ﷺ لقوة أسانيد القائلين بهذا، وهو ما جزم به ابن عبد البر[٤].

١٠ - أم حبيبة - رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب:

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي إلى الحبشة، ولما توفي زوجها، فارقها.

وعندما علم الرسول ﷺ بوفاة زوجها وثباتها على الإسلام أرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها له، فزوجها إياه بصفته وكيلاً عن النبي ﷺ، فوكلت هي خالد بن سعيد بن العاص، ابن عم أبيها. وبعث بها النجاشي إلى المدينة مع شُرَحْبيل بن حَسَنَة، وكان مهرها وجهازها من عند النجاشي[٥].

وكان ذلك سنة سبع، وكان لها بضع وثلاثون سنة. ولدت لابن جحش ابنته

---

(١) ابن سعد (٨/ ١٣٠) ومن رواية الواقدي.

(٢) قاله ابن إسحاق، من حديث أيوب بن عبد الرحمٰن بن صعصعة، المشار إليه، مرسلاً، انظر: ابن هشام (٤/ ٣٣٩)، والواقدي (٢/ ٥٢٠ - ٥٢١)، وابن سعد (٨/ ١٣١) من طريق الواقدي، وبقية رجاله ممن يحتج بهم، ورواية ابن إسحاق تقوي رواية ابن سعد، وقد اختار هذا ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣١).

(٣) قال الواقدي (٢/ ٥٢١): إنها ماتت عند الرسول ﷺ، ورجاله ممن يحتج بهم ما عدا الواقدي، ابن سعد (٨/ ١٣٠ - ١٣١) روايتان من طريق الواقدي، وفي رواية لابن سعد (٨/ ١٣١) من طريق الواقدي أنها توفيت بعده.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب (٤/ ٣١٠)، ويقال: كانت وفاتها سنة عشر مرجعه من حجة الوداع، قاله ابن سعد (٨/ ١٣٠)، من طريق الواقدي، وابن بكار، منتخب أزواج النبي ﷺ. ص٥٦، بإسناد ضعيف جداً.

(٥) انظر في هذا: الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٣)، وقال الساعاتي: «وسنده جيد وأخرجه أبو داود والنسائي»، وابن هشام (٤/ ٣٨٩) مختصراً وبإسناد حسن، لأن فيه زياداً البكائي وهو صدوق، ثبت في المغازي، ابن سعد (٨/ ٩٦ - ٩٩)، من رواية الواقدي، وفيه من الزيادة على حديث أحمد وابن هشام أن الرسول ﷺ أرسل عَمْراً الضمري إلى النجاشي ليخطبها له.

حبيبة، قيل بالحبشة وقيل بمكة[١].

للأستاذ محمد بن عبدالله العوشن بحث بعنوان: «تحقيق دعوى ردة عبيدالله بن جحش»، نشر بمجلة: «البيان»، العدد ١٨٢، السنة: (١٧)، شوال ١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م، صفحة ٢٢-٢٤، خلص فيه إلى عدم ثبوت قصة ردة عبيدالله بن جحش، رواية ودراية، ومما قاله في هذا: «١- إنها لم ترو بسند صحيح متصل؛ فالموصول من طريق الواقدي - وهو متروك الحديث - والمرسل جاء عن عروة بن الزبير، ولا يمكن أن نحتج بالمرسل (عند من يرى الاحتجاج به) في مسألة كهذه عقدية؛ فيها الحكم على أحد الصحابة السابقين الأولين إلى الإسلام - ﷺ بالردة».

وحكمة هذا الزواج لا تخفى على أحد يعلم ثبات أم حبيبة ﷺ على دينها عندما مات زوجها بالحبشة، وموقف والدها من الدعوة الإسلامية وقيادته لكل حروب قريش ضد المسلمين ما عدا غزوة بدر، لأنه كان صاحب القافلة التي جعلها الله سبباً في تلك الغزوة. ففي زواجه منها مواساة لها في مصيبتها في زوجها وغربتها، وقطع الطريق أمام شماتة الأعداء، وفيه تخفيف من غلواء عداوة قومها بني أمية للإسلام ونبي الإسلام، وقد حرص الرسول ﷺ على ذلك كما هو واضح من موقفه من أبي سفيان يوم فتح مكة، وعند تقسيم غنائم حنين، وغيرها من المواقف، إلى أن هداهم الله تعالى إلى الإسلام، فأصبحوا قوة وعزة ونصرة للإسلام في مستقبل أيامه.

١١ - صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية:

عندما افتتح المسلمون خيبر، سبيت النساء، منهن صفية، فاشتراها الرسول ﷺ من دِحْيَة، حيث وقعت في سهمه، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها[٢]. ودخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري، خوفاً منه على الرسول ﷺ أن تغدر به[٣]، ولكن اتضح أنه لم يكن في قلبها يومذاك أي حقد على الرسول ﷺ، لأنها آمنت بالرسول ﷺ من أول وهلة، يوم اصطفاها له

(١) ابن سعد (٨/ ٩٦ - ٩٩)، من رواية الواقدي.

(٢) مسلم (٢/ ١٠٤٥ - ١٠٤٦، ح١٣٦٥)، وعند البخاري أنه اصطفاها لنفسه، انظر: الفتح (١٥/ ٥٩ - ٦٠، ٤٢١١).

(٣) ابن سعد (٨/ ١٢١)، من رواية الواقدي بأسانيده.

أصحابه يوم خيبر، أو يوم اشتراها من دحية. ومن أدلة ذلك أن الرسول ﷺ عندما أراد أن يدخل عليها وهم على بعد ستة أميال من خيبر، أبت عليه، وعندما وصل إلى الصَّهْبَاء، على بعد بريد من خيبر، وافقت، فسألها عن سبب الامتناع في المرة الأولى، فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده محبة[1]. وقال لها الرسول ﷺ: «لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله»، فقالت: «يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]»، فقال لها رسول الله ﷺ: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك»، فقالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أَرَبٌ، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي». فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

كانت أمها إحدى نساء بني قينقاع، فتزوجها سَلَّام بن مِشْكَم النضيري، ثم فارقها فتزوجها كِنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر. ولم يسمع النبي ﷺ ذاكراً أباها بحرف مما تكره.

لقد كان في زواج الرسول ﷺ منها ذات الحكمة من زواجه من جويرية. فهي ابنة زعيم من زعماء اليهود، مات هو وزوجها وأخوها في صراعهم ضد الرسول ﷺ، فكان لا بد من إكرامها لمكانها عند اليهود.

ودل هذا الزواج على أن تهمة العنصرية ضد اليهود لم تكن واردة في قاموس الرسول ﷺ السياسي والاجتماعي، وليفهم اليهود أن قضيتهم مع الرسول ﷺ والمسلمين ليست قضية عنصرية كما أشاعوا.

عاشت صفية ﵂ في بيت النبوة معززة مكرمة. وكان الرسول ﷺ يلقنها الحجج عندما يقع بينها وبين بعض بقية نسائه ما يقع بين الضرائر. فقد أخرج الترمذي[2] من

---

(١) ابن سعد (٨/ ١٢٣)، من طريق الواقدي.

(٢) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٢٤٤ ـ ٤٤٥، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، ح٤١٦٦)، وقال: «صحيح». وقوله: «ابنة نبي ـ يريد إسحاق ﵇ ـ وعمك نبي» ـ يريد إسماعيل ﵇ ـ. رواه أحمد: المسند (٣/ ١٦٣) بإسناد صحيح، وفي رواية عند الترمذي: السنن (٩/ ٣٩٨ كتاب في المناقب، باب أزواج النبي ﷺ ح٣٨٩١) أن عائشة ﵂ اشتركت مع حفصة في =

طريق أنس، قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة إني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك»، ثم قال: «اتقي الله يا حفصة».

وهجر الرسول ﷺ زينب بنت جحش ثلاثة شهور، لأنها عيرت صفية باليهودية. ولما رفع الرسول ﷺ عنها الهجران أهدته جارية لها فرحاً بهذا العفو وندماً على تلك الزلة[1]. وكان ذلك في حجة الوداع كما يفهم من سياق القصة في هذا الحديث الصحيح وفي غيره من الأحاديث.

١٢ - ميمونة بنت الحارث الهلالية:

تكلمنا عن قصة زواجها عند الحديث عن عمرة القضاء. وما يمكن إضافته هنا هو أن مما رغب الرسول ﷺ في الزواج منها ما عرفه عنها من الصلاح والتقوى، فقد قالت عائشة عنها: «... أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم»[2]. وقال رسول الله ﷺ عنها وعن أخواتها: «الأخوات مؤمنات ميمونة وأم الفضل وأسماء»[3].

وكان عمه العباس حريصاً على أن يقترن الرسول ﷺ بها، فقد قال له: «يا رسول الله، تأيمت ميمونة بنت الحارث.. هل لك في أن تتزوجها؟»[4] ولا شك أن العباس ﷺ كان من أعرف الناس بها، لأنها أخت زوجه أم الفضل.

= هذه المقولة، والرواية ضعيفة لضعف هاشم بن سعد الكوفي.

ورواه الترمذي: (٩/ ٣٩٨، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، ح٣٨٩١ وفي سنده هاشم بن سعيد الكوفي، وهو ضعيف، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هاشم الكوفي وليس إسناده بذلك» كذا في جامع الأصول (٩/ ١٤٤).

(١) أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٤٤)، وقال الساعاتي: «لم أقف عليه لغير أحمد وسنده جيد»، ورواه أحمد من طريق ثان، وإسناده حسن، لأن فيه شمبسة وهي مقبولة، ورواه ابن سعد (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧) بمثل هذا الطريق الثاني بإسناد جيد ورجاله ثقات، كما قال الساعاتي.

(٢) ابن سعد (٨/ ١٣٩)، وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة (٤/ ٤١٣).

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤١٢)، وعزاه إلى ابن سعد، وصحح إسناده.

(٤) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ٤٠٧)، من حديث شرحبيل بن سعد، مرسلاً.

وامرأة هذا شأنها لجديرة بأن يضمها الرسول ﷺ إلى بيت النبوة مواساة لها في فقدها زوجها واعترافاً منه بفضلها وتحبيباً لقومها في الإسلام.

١٣ - السراري:

لم يتسر رسول الله ﷺ بغير مارية القبطية[١]، أم ولده إبراهيم، وجارية أخرى أصابها في بعض السبي[٢]، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش[٣]، وريحانة بنت زيد التي اختلف في أمرها، والراجح أنه كان يطؤها بملك اليمين، وروي أن الرسول ﷺ قال عن مارية عندما ولدت له إبراهيم: «أعتقها ولدها»[٤].

ولو أراد الرسول ﷺ أن تكون له عشرات الجواري والسراري لما انتقص ذلك من حقه في مجتمع كان لا يرى بأساً من التعدد في الزوجات واتخاذ السراري متى ما

---

(١) انظر: خبرها في فصل رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء: المقوقس.

(٢) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٣٤٤)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٤٨)، ابن القيم: زاد المعاد (١/ ١١٤)، ولم يذكر مصادرهم.

(٣) ذكرنا ذلك في قصة صفية وتعيير زينب لها باليهودية، من حديث أحمد بإسناد جيد.

(٤) نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٣٤١) عن الدارقطني بإسناده إلى ابن عباس، وقال ابن كثير: «رواه ابن ماجه (كتاب ١٩، باب ٢٠): من حديث حسين بن عبد الله... بمثله، ورويناه من وجه آخر...» وقال البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٦) عن سند هذا الحديث: «وفي الحديث أبو بكر بن أبي سبرة ضعيف لا يحتج به، إلا أنه قد روي عن غيره عن حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس بهذا اللفظ، وحسين ضعفه أكثر أصحاب الحديث...» كذا رواه أبو أويس مرسلاً (وقيل) عن أبي أويس موصولاً بذكر ابن عباس فيه.. ورواه سعيد بن كليب وعبد الله بن سلمة بن أسلم عن حسين بن عبدالله: كما رواه ابن أبي سبرة، ثم رواه البيهقي من حديث علي بن عمر الحافظ، من طريق زياد بن أيوب موصولاً إلى ابن عباس وقال: «علي تفرد بحديث ابن أبي حسين زياد بن أيوب وزياد ثقة...» وقال ابن التركماني في الجوهر النقي بذيل السنن الكبرى للبيهقي ص٣٤٧: «وقد أخرج الحاكم في المستدرك الرواية المرفوعة وقال: صحيح الإسناد، ثم ذكر لها متابعة، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي عاصم عن أبي بكر النهشلي عن حسين» والنهشلي أخرج له مسلم ووثقه جماعة. وقد جاء للحديث متابعة من وجه آخر بسند جيد. وقال ابن حزم: روينا من طريق قاسم بن أصبغ... ثم قال ابن حزم: هذا خبر جيد السند، كل رواته ثقات وقال في كتاب البيوع: صحيح السند...» وخلاصة القول أن الحديث يتقوى بالمتابعات.

وانظر الحكم الفقهي في أمهات الأولاد عند ابن قدامة: المغني (٩/ ٥٢٧ وما بعدها) وعند البيهقي: السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٢ - ٣٤٩): كتاب: «عتق أمهات الأولاد».

تيسر له ذلك مادياً وجسدياً، وما سمعنا أن اليهود والنصارى قد جعلوا من كثرة زوجات وسراري سليمان ﷺ[1] قضية كما فعلوا مع تعدد الزوجات عند الرسول ﷺ. . ولا شك أن الغرض الباطل هو المحرك لهذه القضية في زماننا هذا. . .

حكمة هذا التعدد:

وخلاصة القول: إن أمهات المؤمنين اللاتي توفي عنهن رسول الله ﷺ كن معلمات ومفتيات لنساء الأمة الإسلامية ورجالها في القضايا النسائية والأحكام الشرعية والآداب الزوجية والحكم النبوية، وكن قدوة صالحة في الخير والبر والإحسان، كما كان الرسول ﷺ المثل الأعلى في حسن الخلق وطيب العشرة مع نسائه. فقد عاشرهن بالمعروف، وعدل بينهن وعلمهن الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء. وسياسة النبي ﷺ في تعدد الزوجات هي السياسة الرشيدة التي اقتضتها ظروف الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت، ومن الصعب أن تقوم زوجة واحدة بمهام تبليغ تلك الأحكام إلى الناس»[2].

ولم يكن هناك ما يغريهن بالبقاء في بيت الرسول ﷺ سوى هذه المهمة الجليلة، لأن الأخبار قد تواترت لتقطع بأن زوجات الرسول ﷺ كن يعشن في شظف من العيش إلى الحد الذي طالبنه فيه بزيادة النفقة عليهن، فخيرهن الرسول ﷺ بين الطلاق وبين قبول هذه المعيشة الصعبة معه[3]، وذلك في قصة طويلة وثابتة بنص

---

(١) وردت روايات عند البخاري ومسلم وأحمد أنه كان لسليمان ﷺ عدة زوجات عددهن في بعض الروايات يصل إلى المائة، وأقل عدد ذكرته إحدى الروايات أنهن كن ستين. انظر في هذا، مثلاً: البخاري: الفتح (١٣/ ٢١٥، ح٣٤٢٤)، وابن حجر: الفتح ١٣/ ٢١٧ ـ ٢١٨، شرح الحديث ٣٤٢٤)، ومما قاله ابن حجر هنا: «وقد حكى وهب بن منبه في المبتدأ أنه كان لسليمان ألف وثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية، ونحوها مما أخرج في المستدرك من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب، قال: بلغنا أنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب منها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية» قلت: وروايتا ابن وهب وأبي معشر ضعيفتان.

(٢) انظر: الصواف: زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، ص١٧.

(٣) انظر: تفاسير الآية رقم ٢٨ من سورة الأحزاب والآثار الواردة في ذلك.
وانظر أحاديث البخاري: الفتح (١٨/ ١٣٦ ـ ١٣٩، ح٤٧٨٥ وما بعده)، ومسلم (٢/ ١١٠٣، ١١١٣، ح١٤٧٥ ـ ١٤٧٨) وغيرهما.

القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

ويلحظ أن من بين زوجات الرسول ﷺ، الصغيرة التي ما تزال تلعب مع أترابها بلعب الأطفال، والمسنة، وابنة عدو لدود، وابنة صديق حميم، ومنهن من كانت تشغل نفسها بتربية الأيتام، ومنهن من تميزت على غيرها بكثرة الصيام والقيام... إنهن نماذج لأفراد الإنسانية، ومن خلالهن قدم رسول الله ﷺ للمسلمين تشريعاً فريداً في كيفية التعامل السليم مع كل نموذج من هذه النماذج البشرية.

وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة لم يكن أمر العداء قاصراً على قريش، بل تعداها إلى غيرها من قبائل العرب، فاقتضت الحكمة أن يجمد الرسول ﷺ بعض أطراف هذا العداء، وذلك بالإصهار إلى قبائل شتى، لأن أعراف العرب كانت تقضي بأن يحمي أهل المرأة زوج امرأتهم، كما تفيد ذلك لغتهم، إذ يسمون أنفسهم بالأحماء من الحماية .

ولما كانت هذه المصلحة يمكن أن تستغل استغلالاً سيئاً، نظراً لأن الأمور الجنسية تتبعها النفوس اللاهثة، فقد جعل الله تعالى ذلك التعدد بتلك الكيفية خاصاً برسول الله ﷺ، وحدد عدد الزوجات لغيره بأربع زوجات كحد أقصى[1].

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن من دلائل سمو أهداف تعدد زوجات الرسول ﷺ ما رواه ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة، فاعتذرت [وهي غير سودة بنت زمعة أم المؤمنين، لم يعرف نسبها، ولذلك ترجمها الحافظ في الإصابة (٤/٣٣٩) باسم سودة القرشية]، وكانت مُصْبِيَة، لها خمسة صبية أو ستة، من بعل لها مات، فقال رسول الله ﷺ عندما اعتذرت: «ما يمنعك مني؟»، قالت: والله يا نبي الله، ما يمنعني منك أن لا تكون أحبَّ البَرِيَّة إليَّ، ولكني أكرمك أن يَفْغَرَ هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية، قال: «فهل منعك مني غير ذلك؟»، قالت: لا والله، قال لها رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُكِ الله، إن خير نساء ركبن أعجاز

---

(١) انظر: الدكتور محمد رواس قلعه جي: قراءة جديدة للسيرة النبوية، ط٢، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٤م، ص٣٤ ـ ٣٥.

الإبل صَالِحُ نساء قريش، أحناه على ولد في صِغَرٍ، وأرعاه على بَعْلٍ بذات يد»[١].
وقال ابن حجر[٢] بعد سياقه هذا الحديث: «وأصله في البخاري من وجه آخر، لكن لم يسمها». وأشار كذلك إلى أصله عند مسلم[٣].

(١) أحمد: المسند (٤/ ٣٣٢ - ٣٣٣، ح٢٩٢٦)، وصحح شاكر إسناده، وحسن محققو الموسوعة الحديثية، المسند (٥/ ٩٢، ح٢٩٢٣) إسناده، وخرّجوه بسنيقاه، كعادتهم في التحقيق.
(٢) انظر: البخاري (الفتح (١٩/ ١٥٠، ح٥٠٨٢)، وهو المكان المعني عنده.
(٣) انظر: مسلم (٤/ ١٩٥٨، ح٢٥٢٧)، ورواه غيرهما في فضائل نساء قريش.

الفصل التاسع والعشرون

بعض شمائل الرسول ﷺ

لقد تميز الرسول ﷺ بصفات خلقية وأخلاقية كثيرة. وأريد هنا أن أقف عند بعض صفاته الأخلاقية أو الخلقية بصفة خاصة وذلك لحاجة الناس الماسة إليها في كل زمان ومكان، لمعرفة هذه الصفات والاقتداء بها.

ولما كانت صفات الرسول ﷺ الأخلاقية انعكاساً لما في قلبه من قيم ومبادئ، كان لا بد لكل مسلم ومسلمة أن يلم بها ويتحلى بمحاسنها. ولما رأيت تعطش الناس إلى المزيد من شمائله الأخلاقية، ردت في الأمثلة عليها في هذه الطبعة الثانية من الكتاب تلبية لرغباتهم الملحة.

وإليك أيها القارئ الكريم أبرز الأمثلة على شمائله ﷺ:

١ - التقشُّف في الطعام:

قال أنس ﷺ، خادم النبي ﷺ: (إن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف[١])[٢]. وفي رواية عن مالك بن دينار ﷺ، قال: (ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط ولا لحم إلا على ضفف)[٣]. وقالت عائشة ﷺ: (ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ)[٤]. وفي رواية أخرى عنها: (ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة، من طعام بر ثلاث ليالٍ تباعاً

---

(١) ضفف: أي عندما ينزل عليه الضيوف، فيشبع حينئذ لضرورة الإيناس والمجاملة.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني في مختصره لشمائل الترمذي، ص٨٤: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، ص٣٠٠ بتحقيق عصام النير الصيابطي، وقال: «أخرجه أحمد (٣/ ٢٧٠)، وابن حبان في صحيحه ٨/ ٦٣٢٥؛ وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح».

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني في المختصر، ص٧٦: «إسناده مرسل صحيح».

(٤) مسلم (٥/ ٢٢٨٢، ح٢٩٧٠)، وأبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ، (ص٢٨٧، ح٨٣٨) بإسناد صحيح.

حتى قبض)[١]. وقال ابن عباس ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله، لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)[٢].

وذكرت عائشة ﷺ أنه كان يأتيها، فيقول: «أعندك غداء؟» فتقول: لا، فيقول: «إني صائم...»[٣]. وقالت ﷺ لعروة: (إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ. فقلت - أي عروة ابن أختها -: ما كان يُعيشكُمْ؟ قالت: (الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح[٤]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناهُ)[٥].

وقال قتادة ﷺ قال: (كنا نأتي أنس بن مالك وخبازه قائم، ويقول: كلوا، فما أعلمُ النبيَّ ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سَمِيطاً[٦] بعينه قط)[٧].

وقالت عائشة ﷺ: (لقد توفِّيَ النبي ﷺ وما في وَفْي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطرُ شعير في رفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طال عليَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ)[٨].

وقالت ﷺ: (لقد مات رسول الله ﷺ، وما شبع من خبز وزيت، في يوم واحد مرتين)[٩].

---

(١) البخاري، الفتح (٢٠/٢٤٩، ح٥٤١٦)، مسلم (٤/٢٢٨١، ح٢٩٧٠)، وغيرهما.

(٢) الترمذي، وصححه الألباني في مختصره لشمائل الترمذي، ص٨٧.

(٣) مسلم (٢/٨٠٨، ح١١٥٤)، الألباني، مختصر شمائل الترمذي، ص١٠٢.

(٤) مفردها منحة، وهي العطية. والأصل فيها ما يمنح من بهيمة الأنعام الحلوب، يحتلبها المحتاج ثم يردها إلى مانحها.

(٥) البخاري، رقم (٦٤٥٩) من الفتح، واللفظ له، مسلم، برقم (٢٩٧٣)، أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ وآدابه، الصابطي، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٦) التي أزيل شعرها بالماء الحار.

(٧) البخاري، برقم (٦٤٥٧) من الفتح.

(٨) البخاري، برقم (٦٤٥١)، واللفظ له، مسلم، برقم (٢٩٧٣). وكلته ففني: أي قسته ففرغ، وفيه أن الطعام المكيل يكون قفازه معلوماً للعلم بكيله.

(٩) مسلم، برقم (٢٩٧٤).

وقالت ﵂: (لم يأكل النبي ﷺ على خِوَانٍ (كالطاولة) حتى مات...)[١].
وقالت ﵂: (ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر)[٢].

وقال سِمَاكُ بن حرب أنه سمع النعمان بن بشير ﵁ يقول على المنبر: (ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَلِ[٣] ما يملأ به بطنه)[٤]. وفي رواية أنه قال: (ذكر عمرُ ما أصاب الناس من الدنيا. فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يَلْتَوِي، ما يجد دَقَلاً يملأ به بطنه)[٥].

وعن أنس في رواية أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أوذيت في الله، وما يؤذى أحد، وأخفت في الله، وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثة من بين يوم وليلة وما لي وبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال»، وعنه في رواية أنه قال: «أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة...» الحديث[٦].

وقال أنس ﵁: (جاءت فاطمة ﵂ إلى النبي ﷺ بكسرة خبز، فقال لها: من أين لك هذه الكسرة؟ قالت: قُرْصاً خبزتُ، فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة، فقال النبي ﷺ: أما إن هذا أول شيء دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام)[٧].

ومات ﷺ ودرعه مرهونة ليهودي على ثلاثين صاعاً من شعير[٨]. وفي رواية أبي

---

(١) البخاري، برقم (٦٤٥٠)، والخُوان أو الخِوان: هو ما يؤكل عليه كالطاولة.
(٢) البخاري، برقم (٦٤٥٥)، واللفظ له، مسلم، برقم (٩٩١)
(٣) الدقل: التمر الرديء اليابس.
(٤) مسلم، برقم (٢٩٧٧)، أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ، ص٢٩٧، برقم (٨٥٥).
(٥) مسلم، برقم (٢٩٧٨).
(٦) أحمد (٣/ ١٢٠)، والموسوعة الحديثية (١٩/ ٢٤٥، ح١١٢١٢، ١١٢١٣)، بإسناد صحيح على شرط مسلم، وانظر التخريج.
(٧) أبو الشيخ: الأخلاق، ص٢٩٧، برقم (٨٥٦) بهذا اللفظ، ومختصراً، ص٢٨٦، برقم (٨٢٥)، وقال المحقق عصام الدين الصبابطي: «أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣ عن عبد الصمد بن عبد الوارث بهذا الإسناد بمثله، وإسناده حسن... والحديث في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٢)، معزواً لأحمد والطبراني من حديث أنس، وقال الهيثمي: ورجالهما ثقات».
(٨) أحمد: المسند (٤/ ٢٥٦، ح٢٧٣٤، شاكر)، وصحح شاكر إسناده، أبو الشيخ: الأخلاق، ص٢٩٩، برقم (٨٦٣)، وص٢٨٥، برقم (٨٢٢)، وهو حسن لغيره لشواهده. وقال المحقق: «... وقصة رهن درعه ﷺ عند يهودي على شعير مروية في الصحيح».

الشيخ[١] من حديث أنس ﷺ: (لم يشبع من هذه البُرّة الحمراء حتى كان قبل موته بثلاث، وأن رسول الله ﷺ قبض وإن درعه لرهن عند يهودي في طعام أخذه لأهله).

لقد صعبت هذه المعيشة على زوجاته وبناته رضي الله عنهن، فطالبت زوجاته رضي الله عنهن بالتوسعة قليلاً في العيش، فنزلت في هذا آيات التخيير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]. فاخترن رضي الله عنهن حياة الشظف المعيشي مع الرسول ﷺ وما عند الله والدار الآخرة[٢].

وروى أبو هريرة ﷺ، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر. فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله! قال: «وأنا». والذي نفسي بيده! لأخرجني الذي أخرجكما. قوموا» فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً! وأهلاً! فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، فلم يلبثوا أن جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه. ثم قال: الحمد لله. ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني. قال: فانطلق فجاءهم بعِذقٍ[٣] فيه بُسْرٌ ورُطَبٌ وتمر. فقال: كلوا من هذه. وأخذ المُدْيَة. فقال له رسول الله ﷺ: «إياك! والحلوب». فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده! لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»[٤].

وذكرنا في أحداث غزوة الخندق ما رآه جابر بن عبد الله ﷺ من الجوع الذي أوصل النبي إلى أن يربط على بطنه حَجَراً من الجوع. فدعاه إلى خبز شعير ولحم

---

(١) الأخلاق، ص٣٠٠، برقم (٨٦٥)، وضعف المحقق إسناده، ولكن يشهد له ما ذكرناه.

(٢) انظر في هذا حديث البخاري رقم (٤٧٨٥)، وسبق الكلام عن هذا

(٣) عذق: غصن من النخل.

(٤) مسلم، برقم (٢٠٣٨). وفي رواية الترمذي: أن اسم الأنصاري الذي استضافهم هو أبو الهيثم بن التيهان، الشمائل بتحقيق ماهر فحل، ص٢٠٥، وسنده صحيح. والمدية: السكين.

عناق، أراد الله أن يجري معجزة تكثيره ليكفي كل أهل الخندق[١].

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: (كان رجل من الأنصار، يقال له: أبو شعيب، وكان له غلام لحام، فرأى رسول الله ﷺ فعرف في وجهه الجوع، فقال لغلامه: ويحك! اصنع لنا طعاماً لخمسة نفر، فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة. قال: فصنع. ثم أتى النبي ﷺ فدعاه خامس خمسة...)[٢].

وروى عن أنس بن مالك أنه سمع أبا طلحة يقول لزوجته أم سُلَيم: (قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير...). وتقول الرواية: أن الرسول ﷺ عندما دعي إلى طَعَام أبي طلحة، دعا معه جميع من بالمسجد يومذاك، فأكل معه سبعون أو ثمانون رجلاً حتى شبعوا، وظل الطعام الذي صنع له لوحده كما هو[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني مجهود[٤]، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق! ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا. والذي بعثك بالحق! ما عندي إلا ماء. فقال: «من يُضيفُ هذا، الليلة، رحمه الله». فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحله. فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فَعَلِّلِيهِمْ بشيء، فإذا دخل ضيفنا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فإذا أَهْوَى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ، فقال: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة». وفي رواية أن آية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] نزلت بهذه المناسبة[٥].

وفي رواية لمسلم، أن رسول الله ﷺ لم يجد ما يطعم به المقداد وصاحبين له، عندما حلوا عليه ضيوفاً، إلا حليب أعنزة له[٦].

---

(١) مسلم، برقم (٢٠٣٩). الخصص: خلاء البطن من الطعام.

(٢) مسلم، برقم (٢٠٣٦).

(٣) مسلم، برقم (٢٠٤١). وفي إحدى هذه الروايات أنه كان يعصب بطنه بحجر من الجوع.

(٤) مجهود: أي جوعان.

(٥) مسلم، برقم (٢٠٥٤).

(٦) مسلم، برقم (٢٠٥٥).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: (دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي جالساً، فقلت: ما أصابك يا رسول الله؟، قال: «الجوع». فبكيت. قال: «لا تبك يا أبا هريرة، فإن شدة الجوع لا تصيب الجائع، يعني في القيامة إذا احتسب في دار الدنيا»[١].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأثر المروي عن أبي طلحة: (شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين، لم يرد بإسناد يحتج به؛ لأن في إسناده سيار بن حاتم العنزي، وهو ضعيف[٢].

وفي إحدى طرق رواية قصة طعام أبي طلحة من حديث أنس قال: (جئت رسول الله ﷺ يوماً، فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة - قال أسامة: وأنا أشك - على حجر، فقلت... إلخ القصة[٣]. وقال جابر ﷺ حين فتت الرسول ﷺ الصخرة يوم الخندق، إن الرسول ﷺ شدَّ بطنه بحجر[٤].

٢ - تقشُّفه في الفراش والمركب:

قالت عائشة ﷺ: (إنما كان فراش الرسول ﷺ الذي ينام عليه، أدَماً حَشْوُهُ ليف)[٥]. وفي رواية عنها: (كان فِنجاع النبي ﷺ الذي ينام عليه بالليل من أدَم محشواً ليفاً)[٦].

---

(١) ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٤٨٦، وقال المحقق: «أخرجه الخطيب في تاريخه ٣/ ١٥٥، وابن عساكر في تاريخه ٦/ ٣٢٩، وأورده الهندي في كنز العمال ١٦٩٤٣، ١٦٩٢٨».

(٢) الترمذي: الشمائل، تحقيق فحل، ص٢٠٤.

(٣) مسلم، برقم (٢٠٤٠).

(٤) البخاري، برقم (٤١٠١)، وأحمد (٣/ ٣٠٠)، والدارمي (١/ ٤٢)، أبو الشيخ، ص٦٠، ح١١٧، بأسانيد صحيحة.

(٥) البخاري، برقم (٤٦٥٦)، مسلم برقم (٢٠٨٢)، واللفظ لمسلم، الألباني: المختصر، ص١٠٢. والأدم: الجلد المدبوغ.

(٦) أحمد (٦/ ٤٨، ٥٦، ١٠٨، ٢٠٧)، وصححه محققو الموسوعة على شرط الشيخين (٢٤٢٠٩). أبو داود (٤/ ٤١٤٦، ٤١٤٧)، ابن ماجه (٢/ ٤١٥١)، أبو الشيخ: الأخلاق، ح٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، وإسناده صحيح كما قال محقق الأخلاق.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن النبي ﷺ صعد مَشْرُبَة له، وعلى الباب وصيف له، فقلت: استأذن لي، فاستأذن لي، فإذا رسول الله ﷺ على حصير قد أثر في جنبه، وإذا تحت رأسه مِرفَقَةٌ من أدم حشوها ليف)[١].

ودخل عمر ذات يوم على النبي ﷺ ووجده على حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وعند رجليه قَرَظاً مَصْبُوراً[٢]، وعند رأسه أَهَبٌ مُعَلَّقة[٣]، ورأى أثر الحصير في جنبه فبكى، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك؟» فقال عمر: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة[٤]؟».

وقالت عائشة ﷺ: (كان لنا حَصِيرٌ نَبْسُطُهَا بالنهار، ونَحْتَجِرُهَا[٥] علينا بالليل)[٦].

وقال المغيرة بن شعبة ﷺ: (أن النبي ﷺ كان يصلي على الحُصرِ والفَرْوَةِ المدبوغة)[٧].

وقال عبد الله ... ﷺ: (نام رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط تحتك ألين منه؟ فقال: «ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا، كمثل راكب سار في يوم صائف، فَقَالَ تحت شجرة ثم راح وتركها»[٨].

---

(١) البخاري، برقم (٥٨٤٣، ٧٢٦٣)، أبو الشيخ: الأخلاق، ح٤٩١، بإسناد البخاري.

(٢) مصبوراً: أي مجموعاً. والقرظ: ثمار شجر السنط الذي يُدْبَغُ به الجلد، ويسميه أهلنا العامة في السودان: القَرَضُ، وهو تحريف طبعاً.

(٣) أهب معلقة: جمع إهاب: وهو الجلد قبل الدبغ.

(٤) مسلم (٢/ ١٤٠٩، ح٣١ من كتاب الطلاق، البخاري، برقم (٤٩١٣).

(٥) نحتجرها: أي مقصورة عليهما عند النوم، أو يتخذانها حاجزاً بينهما وبين غيرهما وكأنهما في حجرة منفصلة.

(٦) البخاري، برقم (٧٣٠)، أحمد (٦/ ٤٠، ٢٤١)، النسائي (٢/ ٦٨)، أبو الشيخ: الأخلاق، ص١٧٦، ح٤٩٩، واللفظ له.

(٧) أبو الشيخ، برقم (٥٠١)، أحمد (٤/ ٢٥٤)، أبو داود (١/ ٦٥٩)، بأسانيد ضعيفة.

(٨) أحمد: المسند (٥/ ٢٦٤)، شاكر، رقم (٣٧٠٩)، وصحح شاكر إسناده، أبو الشيخ، برقم (٥٠٢)، الترمذي (٤/ ٢٣٧٧)، وقال: حسن صحيح. وقال: من المقبل.

وقال أنس عن صفة مركبه: (حج رسول الله ﷺ على رَحْلٍ رَثٍّ، وعليه قَطِيفَة لا تساوي أربعةَ دراهم)[١].

٣ - تقشُّفه في اللباس:

أورد الإمام مسلم عدة آثار عن لباس الرسول ﷺ، تحت عنوان: (باب التواضع في اللباس، والاقتصار على الغليظ منه واليسير، في اللباس والفراش وغيرهما). ومن تلك الآثار:

قال أبو بُرْدَة: (دخلت على عائشة، فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساء من التي يسمونها المُلَبَّدَة[٢]. قال: فأقسمت بالله؛ إن رسول الله ﷺ قُبِضَ في هذين الثوبين)[٣].

وقالت عائشة ﵂ أيضاً من طريق آخر: (خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مِرْطٌ[٤] مُرَحَّلٌ[٥] من شعر أسود)[٦].

وروى أبو نعيم وابن عدي وابن الأعرابي من طريق الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت ﵁ قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ في شَمْلَة[٧]، أراد أن يَتَوَشَّحَ بها فضاقت، فعقدها في عنقه هكذا، وأشار عبادة إلى قفاه، ليس عليه غيرها)[٨].

وروى أبو داود عن جابر بن سُلَيم الهُجَيْمي ﵁، قال: (أتيت رسول الله ﷺ، وهو مُحْتَبٍ بشملة قد وقع هُدْبُها على قدميه)[٩].

---

(١) الألباني في مختصره لشمائل الترمذي، برقم (٢٨٨)، وصححه.
(٢) الملبدة: المرقعة، وقيل: التي ثخن وسطها حتى صار كاللبد.
(٣) البخاري، برقم (٥٨١٨)، مسلم، برقم (٢٠٨١).
(٤) المرط: كساء من صوف أو شعر أو كتان أو خز.
(٥) مرحل: عليه صورة رحال الإبل، أو مخطط ـ يعني به خطوط ـ.
(٦) مسلم، برقم (٢٠٨١).
(٧) الشملة: البردة المخططة، وقيل: كساء أسود مربع فيه صفرة، تلبسها الأعراب، وجمعها بُرْد. وفي السودان، هي البردة من الوبر.
(٨) الشامي: السبل (٧/ ٤٨١).
(٩) الشامي: السبل (٧/ ٤٨١). ومحتب أي متلفع، والهدب: الطرف.

وروى ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان طول ثوب رسول الله ﷺ أربعة أذرع وشبراً في ذراع وشبر)[١].

لقد كان عليه الصلاة والسلام متقشفاً في كل جوانب حياته، وهو القائل: «البَذَاذَةُ[٢] من الإيمان»[٣].

وهَوَّنَ من أمر الدنيا كثيراً، ومن ذلك ما روى جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق، داخلاً من بعض العالية والناس كَنَفَتَهُ[٤]، فمر بجدي أَسَكَّ[٥] ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟». فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟. قال: «أتحبون أنه لكم؟». قالوا: والله لو كان حياً، كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟. فقال: «فوالله! للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[٦].

وقال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٧].

وقال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جَنَاحَ بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[٨].

وقال: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس»[٩].

وقال: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجِلْفُ[١٠] الخبز والماء»[١١].

---

(١) الشامي: السبل (٧/ ٤٨١).

(٢) البذاذة: التواضع في ترك الزينة.

(٣) رواه أبو داود، برقم (٤١٦١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٢٤).

(٤) كنفته: من جانبيه.

(٥) أسك: صغير الأذنين.

(٦) مسلم، برقم (٢٩٥٧).

(٧) مسلم، برقم (٢٩٥٦).

(٨) الترمذي، برقم (٢٣٢٠)، واللفظ له، وقال: حديث صحيح غريب من هذا الوجه، ابن ماجه، برقم (٤١١٠)، وحسنه محقق جامع الأصول (٤/ ٥١٠)، والألباني في الصحيحة (١٤٠).

(٩) البخاري، برقم ٦٤٤٦، مسلم، برقم ١٠٥١، واللفظ له. والعَرَضُ: المتاع الدنيوي.

(١٠) جلف: الخبز بلا إدام أو غليظة.

(١١) الترمذي، برقم (٢٣٤١)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/ ٦٢)، وصححه شاكر، =

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير[١] فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وِطَاءً[٢]، فقال: «ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٣].

٤ - تقشُّفه في المسكن:

ذكرنا صفة غرف زوجاته، أما ما جاء في تنفيره من إنفاق المال على البناء، قوله: «إن الرجل ليؤجر في كل شيء، إلا البناء»[٤]، وفي رواية: «إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في التراب»[٥] - يعني البناء.

٥ - تواضعه ﷺ:

نهى عليه الصلاة والسلام عن إطرائه، فقال: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عَبْدٌ، فقولوا عَبْدُ اللهِ ورسُولُه»[٦].

وعن أنس ﷺ أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: (يا رسول الله، إن لي إليك حاجة)، فقال: «يا أم فلان، انظري أي السِّكك شئت، حتى أَقْضِيَ لك حاجتك»، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها[٧].

وقال النووي في شرحه لهذا الحديث ما خلاصته: «فخلا معها في بعض الطرق، أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة». قلت: ومن العلماء من عدَّ هذا من خصائصه، مثل السيوطي في الخصائص (٢/ ٤٣٢).

وكانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث

= برقم (٤٤٠)، الحاكم: المستدرك (٤/ ٣١٢): وصححه وأقره الذهبي، السيوطي: الجامع الصغير، برقم (٧٦٦١)، وصححه السيوطي، وأقره المناوي في فيض القدير (٥/ ٣٨٠).

(١) حصير: فراش من الخوص.

(٢) وطاء: الفراش اللين.

(٣) الترمذي، برقم (٢٣٧٧)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤) البخاري: الأدب المفرد (١/ ٢٢٨، ح٤٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٣١).

(٥) البخاري: الأدب المفرد (١/ ٢٣١، ح٤٥٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٣١).

(٦) البخاري، برقم (٣٤٤٥).

(٧) مسلم، برقم (٢٣٢٦)، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص١٧٦.

شاءت[١].

قال ابن حجر هنا: «والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف». وقال: «والمقصود من الأخذ باليد لازمه هو الرفق والانقياد...».

وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السَّنِخَة[٢] فيجيب[٣]. وقال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كُرَاع لقبلت»[٤].

وركب حماراً مَرْشُوناً بغير سَرْج مُوكَفٌ عليه قطيفةٌ جزرية، ثم دعا معاذ بن جبل فأردفه[٥].

وعن أنس قال: (كان رسول الله ﷺ يعود المريضَ، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خيبر، ويوم قريظة، والنضير على حمار مَخْطُومٌ بحبل من ليف، تحته إكافٌ من ليف)[٦].

وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟، قالت: (كما يصنع أحدكم في بيته، يَخْصِفُ النَّعْلَ، وَيَرْقَعُ الثوب)[٧].

وقال أبو بردة لعائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟، قالت: (كان في مهنة أهله)[٨].

وكان إذا مر على صبيان أو نساء سلم عليهم[٩].

---

(١) البخاري، برقم (٦٠٧٢).

(٢) الإهالة: الدهن الجامد، أو ما أذيب من الشحم والألية. والسَّنِخَة: المتغير الرائحة من طول التكث.

(٣) البخاري، برقم (٢٥٠٨)، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص١٧٧.

(٤) البخاري، برقم (٢٥٦٨)، الألباني والدعاس: المصدر نفسه، ص١٧٩.

(٥) أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ، ص٦١، وإسناده ضعيف كما ذكر المحقق. والوِكاف والوِكاف والإكاف: يكون للبعير والحمار والبغل، كاللبدة من السرج.

(٦) المصدر نفسه، ص٦٢، يتقوى إسناده بالمتابعة إلى درجة الحسن لغيره. انظر: آثار ركوبه الحمار.

(٧) المصدر نفسه، ص٦٢، وسنده صحيح كما قال المحقق.

(٨) البخاري، برقم (٦٧٦) و(٥٣٦٣) و(٦٠٣٩)، وغيره: أبو الشيخ، ص٦٢، ح١٢٤، الترمذي حديث رقم (٢٤٨٩).

(٩) انظر: البخاري، برقم (٦٢٤٧)، مسلم، برقم (٢١٦٨)، الترمذي، برقم (٢٦٩٦)، ابن ماجه، برقم (٣٧٠٠). وعن سلامه على النساء. انظر: أبي داود، برقم (٥٢٠٤)، ابن ماجه، برقم (٣٧٠١)، والترمذي، برقم (٢٦٩٧)، وإسناده حسن، أبو الشيخ: الأخلاق، ص٦٥، ح١٣٥، وحسن المحقق سنده.

واسترضع ابنه إبراهيم في دار أبي سيف القَيْن[١] وكان يزوره، ويأتيه ابنه إبراهيم، وعليه أثر الغبار، فيلتزمه ويقبله ويشمه[٢].

وعن أبي مسعود، قال: (أتى النبي ﷺ رجل يكلمه، فأَرْعَدَ - أي خاف - فقال: «هَوِّنْ عليك، فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القَديد[٣]»)[٤].

وقال أبو هريرة وأبو ذر رضي الله عنهما: (كان النبي ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه، فَيَجِيءُ الغريب ولا يدري أيهم هو؟ حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكاناً من طين، فكان يجلس عليه، ونجلس بجانبيه[٥].

وقال أنس: (لم يكن يأكل رسول الله ﷺ على خِوَانٍ، ولا على سُكُرُّجة قَطُّ حتى لحق بالله ﷻ)[٦] ويشرب من القربة البالية[٧].

وعلى الرغم من أنه لم يكن شخص أحب إلى الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ، إلا أنهم كانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهته لذلك[٨].

وقال في الثناء على التواضع وذم الاستكبار: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٍ جَوَّاظ

---

(١) القين: أي الحداد.

(٢) البخاري، برقم (١٣٠٣)، مسلم، برقم (٢٣١٦)، أحمد (٣/١١٢).

(٣) القديد: أي اللحم اليابس.

(٤) أبو الشيخ: الأخلاق، ص٦٦، ح١٣٩، بإسناد صحيح كما قال المحقق ـ الصبايطي ـ، ابن ماجه، برقم (٣٣١٢)، بإسناد صحيح، كما قال الصبايطي، محقق الأخلاق لأبي الشيخ، ص٦٦.

(٥) أبو الشيخ: الأخلاق، ص٦٦، وصحح المحقق الصبايطي إسناده، أبو داود، برقم (٤٦٩٨)، بإسناد صحيح كما قال الصبايطي.

(٦) البخاري، برقم (٥٣٨٦، ٤٢١٥). والخِوان: المائدة. والسكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم.

(٧) البخاري، برقم (٦٦٨٦).

(٨) الألباني والدعاس: مختصر الشمائل للترمذي، ص١٧٨، بإسناد صحيح، البخاري: الأدب المفرد، ص٩٤٦، أبو الشيخ: الأخلاق، ص٦٣، ح١٢٧، بإسناد صحيح.

مستكبر»[١]. وقال: «... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٢].

ولأن الكبرياء من صفات الله ﷻ، لذا حرم ذلك على عباده المؤمنين. وقال ﷺ في هذا: «... العِزُّ إِزَارُهُ، والكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ - أي الله ﷻ - فمن يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»[٣].

٦ - خُلُقُه ﷺ: [والحث على محاسن الأخلاق والنهي عن سيِّئها]

قال سعد بن هشام لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإنَّ خُلُقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآن...)[٤].

ونعته الله ﷻ بعظيم الخلق، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، ولا يستطيع أصحابه رضي الله عنهم أن يزيدوا على هذا إلا الشرح والتوضيح والبيان لما أجمله الله ﷻ في هذه الآية الكريمة. وكل ما سنذكره هنا هو من هذا الجانب، ومن ذلك:

كان يقبل بوجهه وحديثه على أشرّ القوم، يتألفهم بذلك[٥].

خدمه أنس بن مالك رضي الله عنه نحو عشر سنين، فما قال له أُفٍّ قط، وما قال له لشيء صنعه: لِمَ صنعته، ولا لشيء تركه لِمَ تركته؟[٦].

وما كان فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صَخَّاباً في الأسواق، ولا يجزئ بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، كما نقل ذلك عنه أصحابه[٧]. وقال: «خياركم أحسنكم

---

(١) البخاري، برقم (٦٠٧١)، والجواظ: المجموع المتنع كما في اللسان. والعُتُل: الجافي الغليظ اللئيم الشديد الخصومة كما في التنزيل ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١٣].

(٢) مسلم، برقم (٢٥٨٨).

(٣) مسلم، برقم (٢٦٢٠).

(٤) مسلم، برقم (٧٤٦)، أبو الشيخ: الأخلاق، ص١٩، رقم (٩) بإسناد حسن، أحمد (٦/ ٥٤، ٩١، ١٦٣، ١٨٨، ٢١٦)، أبو داود (٢/ ١٣٤٢)، الدارمي (١/ ١٤٧٥)، واللفظ لمسلم.

(٥) طرف من أثر رواه الترمذي بإسناد حسن كما في مختصر الشمائل للترمذي: الألباني والدعاس، ص١٨١.

(٦) البخاري، برقم (٦٠٣٨)، مسلم، برقم (٢٣٠٩)، الترمذي: مختصر الشمائل، ص١٨١، بإسناد صححه الألباني والدعاس.

(٧) الترمذي: السنن، برقم (٢٠١٧)، وقال: حسن صحيح، وصحح إسناده كذلك الألباني والدعاس -

أخلاقاً»[١]. وقال لعائشة رضي الله عنها: «إن شر الناس من تركه الناس - أَوْ وَدَعَهُ الناس - اتقاء فحشه»[٢].

وقال ﷺ: «كَرَمُ المؤمن دينه، ومروءته عقله، وحسبه خُلُقُه»[٣].

ونهى عن اللعن، فقال: «لا ينبغي لِصِدِّيقٍ أن يكون لَعَّاناً»[٤]. وقال: «ولا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[٥].

وعندما قيل له: ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»[٦].

ونهى حتى عن لعن الدَّوَاب وغيرها[٧].

ولم يَرْضَ عن سب الغامدية التي حُدَّتْ بالرجم في الزنا[٨].

وقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنةَ تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[٩]. وقال: «أنا زعيم ببيت[١٠] في رَبَضِ الجنة[١١] لمن ترك المِرَاءَ[١٢] وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقُهُ»[١٣].

= في مختصر شمائل الترمذي، ص١٨٢ - ١٨٣، وصححه الألباني في: صحيح الترمذي، برقم (٢١٠٢)، أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ: ص٣٦، برقم (٥٦)، بإسناد صحيح.

(١) البخاري، برقم (٦٠٣٥)، وهو الشطر الثاني من رواية أبي الشيخ المذكورة بالحاشية السابقة.

(٢) البخاري، برقم (٦٠٥٤)، مسلم، برقم (٢٥٩١).

(٣) الحاكم: المستدرك (١/ ١٢٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، المنذري: الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٥)، وقال: رواه ابن حبان في صحيحه.

(٤) مسلم، برقم (٢٥٩٧).

(٥) مسلم، برقم (٢٥٩٨).

(٦) مسلم، برقم (٢٥٩٩).

(٧) مسلم، برقم (٢٥٩٥، ٢٥٩٦).

(٨) مسلم، برقم (١٦٩٥).

(٩) الترمذي، برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(١٠) زعيم ببيت: أي ضامن.

(١١) ربض الجنة: أي خارجها وما حولها.

(١٢) المراء: الجدل.

(١٣) أبو داود، برقم (٤٨٠٠)، وإسناده صحيح.

قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٢]. وقال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون[٣] والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[٤]. وقال: «البرُّ حسن الخلق...»[٥]. وقال عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفَرْجُ»[٦].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغَرْزِ[٧] - أن قال: «أَحْسِنْ خُلُقَكَ للناس يا معاذ بن جبل»[٨].

وقال أبو الدرداء: سمعت النبيَّ ﷺ قال: «ما شيءٌ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حَسَنٍ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»[٩]. وقال في رواية أخرى: سمعت النبي ﷺ يقولُ: «ما من شيءٍ يوضع في الميزان أثقلُ من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلُغُ به درجةَ صاحب الصوم والصلاة»[١٠].

---

(١) أبو داود، برقم (٤٧٩٨)، واللفظ له، ابن حبان في صحيحه برقم (١٩٢٧)، الحاكم (١/ ٦٠) وصححه، وإسناده حسن لغيره لشواهده.

(٢) أحمد (٢/ ٣٨١)، واللفظ له، الحاكم (٢/ ٦١٣)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٣) المتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه.

(٤) الترمذي، برقم (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن، ابن حبان في صحيحه برقم (١٩١٧).

(٥) مسلم، برقم (٢٥٥٣).

(٦) الترمذي، برقم (٢٠٠٤)، وقال: هذا حديث صحيح غريب، وقال محقق جامع الأصول (١١/ ٦٩٤): حديث صحيح بشواهده.

(٧) الغرز: ركاب الجمل.

(٨) مالك: الموطأ (٢/ ٩٠٢)، واللفظ له، ولم يسنده، لكن ورد معناه كما قال ابن عبد البر في جامع الأصول (٤/ ٤)، وقال محقق جامع الأصول: الحديث حسن بطرقه وشواهده.

(٩) الترمذي (٤/ ٢٠٠٢)، واللفظ له، وقال: حسن صحيح، وحسن محقق جامع الأصول إسناده (٤/ ٦)، وصححه مراجع رياض الصالحين (٢٣٢).

(١٠) الترمذي (٤/ ٢٠٠٣)، أبو داود، برقم (٤٧٩٩)، وحسن محقق جامع الأصول إسناده (٤/ ٦).

وقال أنس ﷺ: (ما رأيت رجلاً الْتَقَمَ أُذُنَ رسول الله ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده، حتى يكون الرجل هو الذي يدعُ يَدَهُ)[١]. وفي رواية قال أنس: (كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده، حتى يكون الرجل الذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، ولم يُرَ مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له)[٢]. وفي روايته عند أبي الشيخ[٣]، قال: (وكان إذا لقيه أحد من أصحابه قام معه، فلم ينصرف حتى يكون الرجل ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه، فتناول يده، ناولها إياه، فلم ينزع منه، حتى يكون الرجل هو الذي ينزع عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول أذنه، ناولها إياه، فلم ينزعها عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها منه).

ذكرنا أنه نهى عن اللعن، أما من حدث ولعنه الرسول ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان ذلك زكاة وأجراً ورحمة، لأن الرسول ﷺ قال في هذا: «إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي ﷻ، أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته، أن يكون ذلك له زكاة وأجراً»[٤]. وفي رواية قال لعائشة عندما سمعته سب ولعن رجلين دخلا عليه، وخشيت عليهما من هذا، قال لها: «أوما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قالت: اللهم! إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً»[٥].

وعقد الإمام مسلم في صحيحه باباً لهذا الموضوع، من كتاب البر والصلة والآداب، برقم (٢٥٠٥)، وعنونه بـ«باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجراً ورحمة». وذكر فيه أمثلة لمن فعل معهم الرسول ﷺ ذلك، منهم معاوية بن أبي سفيان ﷺ، حين قال: «... لا أشبع الله بطنه»[٦].

---

(١) أبو داود، برقم (٤٧٩٤)، وحسن محقق جامع الأصول إسناده.

(٢) الترمذي، برقم (٢٤٩٠)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢٨٤٥): حسن.

(٣) وإسناده هنا، رقم (١٩) ضعيف، وأخرج بعضه من طرق أخرى ضعيفة أيضاً رقم (٢٩، ٣٠، ٤٠)، ولكن يشهد له ما جاء في روايات أبي داود والترمذي.

(٤) مسلم، برقم (٢٦٠٢).

(٥) مسلم، برقم (٢٦٠٠).

(٦) مسلم، برقم (٢٦٠٤)، وانظر بقية أحاديث الباب: (٢٦٠١، ٢٦٠٣).

ومن أمثلة كمال خلقه ﷺ الحث على بر الوالدين، وإعلائه من شأن هذه الشيمة. فعندما سأله عبد الله بن مسعود ﷺ: أي العمل أحب إلى الله ﷻ؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[1]. وقال معاوية بن حَيْدَة ﷺ للرسول ﷺ: من أَبَرُّ؟ قال: «أمك»، قلت: ثم من؟، قال: «أمك»، قلت: ثم مَنْ؟ قال: «ثم أباك، ثم الأقربَ فالأقرب»[2].

وعندما جاءه معاوية بن جَاهِمَة السُّلَمِي ﷺ طالباً الجهاد معه وألح في هذا، قال له الرسول ﷺ عندما علم أن أمه حية: «ويحك الزم رجلها، فثَمَّ الجنة»[3].

وعن أنس ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. قال: «هل بقي من والديك أحد؟»، قال: أمي، قال: «فابلِ الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، فإذا رضيت عنك فَاتَّقِ وَبِرَّهَا»[4].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أُوَيس، وله والدة، وكان به بياض - إلا موضع درهم - فَمُرُوهُ فليستغفر لكم»[5]. وفي رواية قال عمر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قَرَنٍ كان به برص فَبَرأ منه، إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر

---

(١) البخاري، برقم (٥٩٧٠)، مسلم، برقم (١٥) من كتاب الإيمان، واللفظ له.

(٢) الترمذي، برقم (١٨٩٧)، وقال: حديث حسن، أبو داود، برقم (٥١٣٩)، وحسّن محقق جامع الأصول إسناده (١/ ٣٩٩)، الحاكم: المستدرك (٤/ ١٥٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) النسائي (٦/ ١١)، الألباني: صحيح ابن ماجه (٢٤٤١)، أحمد: المسند (٣/ ٤٢٩)، وحسن محقق جامع الأصول إسناده، الحاكم: المستدرك (٤/ ١٥١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، واللفظ لابن حبان.

(٤) الهيثمي: المجمع (٨/ ١٣٨)، واللفظ له، وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٥): وإسنادهما جيد.

(٥) مسلم، برقم (٢٥٤٢).

لك فافعل»[١]. وقد استغفر لعمر ﷺ[٢].

وقال ﷺ: «ودخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان كذلكم البر، كذلكم البر»، وكان أبر الناس بأمه[٣].

وقال عبد الله بن عمر ﷺ إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أبر البر صلةُ الولد أهل ودِّ أبيه»[٤].

وقال رجل: يا رسول الله، إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي توبة؟ قال: «هل لك من أم؟»، قال: لا. قال: «هل لك من خالة؟»، قال: نعم، قال: «فبِرَّها»[٥]. وقال: «الخالة بمنزلة الأم»[٦].

وقال ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البِرُّ، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها»[٧].

وقال ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»[٨]. وقال: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريَهُ فيُعْتِقَهُ»[٩].

ويسط رداءه لأمه من الرضاعة، حليمة السعدية، يوم الجعرانة، بعد غزوة

---

(١) المصدر والمكان نفساهما.

(٢) المصدر والمكان نفساهما.

(٣) الحاكم: المستدرك (٣/ ٢٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي، شرح السنة للبغوي (١٣/ ٧)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٤) مسلم، برقم (٢٥٥٢).

(٥) الألباني: صحيح سنن الترمذي، برقم (١٥٥٤)، الحاكم: المستدرك (٢/ ١٥٥)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٦) البخاري، برقم (٤٢٥١).

(٧) أحمد (٥/ ٢٧٧)، (٢٨٢)، الترمذي، برقم (٢١٣٩)، وقال: حديث حسن غريب، ابن ماجه (٩٠)، واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٧٣)، الحاكم (١/ ٤٩٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٨) الترمذي، برقم (١٨٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٤٩)، الحاكم (٤/ ١٥١)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٩) مسلم، برقم (١٥١٠).

حنين[١]. وزار قبر أمه آمنة بنت وهب، فبكى وأبكى من حوله، وقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها، فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت»[٢].

ومن أمثلة كمال خُلُقه: أنه ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله[٣]. وما سئل قط فقال: «لا»[٤].

ونهى عن أن يتناجى اثنان دون الثالث، فقال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه»[٥].

وقال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[٦].

ونهى عن الجلوس في الطرقات، وإن كان لا بد فإعطاء الطريق حقها. فقال: «إياكم والجلوس في الطرقات». فقالوا: يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[٧].

وما ضرب شيئاً قط بيده ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله[٨].

وحث على إفشاء السلام، فقال حين سئل عن أي الإسلام خير: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٩].

وحث على إماطة الأذى عن الطريق، فقال: «بينما رجل يمشي في الطريق إذا

---

(١) أبو داود، برقم (٥١٤٤)، الحاكم (٤/ ١٦٤)، وصححه وأقره الذهبي.
(٢) مسلم، برقم (٩٧٦).
(٣) البخاري، برقم (٦٧٨٦)، مسلم، برقم (٢٣٢٨).
(٤) مسلم، برقم (٢٣١١).
(٥) البخاري، برقم (٦٢٨٨)، مسلم، برقم (٢١٨٤)، واللفظ له.
(٦) أبو داود، برقم (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني.
(٧) البخاري، برقم (٦٢٢٩)، مسلم، برقم (٢١٢١)، واللفظ له.
(٨) مسلم، برقم (٢٣٢٨)، الألباني: مختصر الشمائل للترمذي، ص١٨٧، بإسناد صحيح.
(٩) البخاري، برقم (١٢)، مسلم، برقم (٣٩).

وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له»[١].

وحث على الصدقة ولو بالكلمة الطيبة، فقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم يكن فبكلمة طيبة»[٢]. وقال: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تُفْرِغَ في إناء أخيك»[٣]. وقال: «... وتبسمك في وجه أخيك لك صدقة...»[٤]. وقال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[٥].

وكان أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتعجباً مما تحدثوا به وخلطاً لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه. وروى في هذا الترمذي في الشمائل[٦] من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء أنه قال: (ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ). وفي رواية أخرى عنه قال: (ما كان ضحكُ رسول الله ﷺ إلا تبسماً)[٧]. وروى الترمذي[٨] من حديث علي ﷺ: (يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه). وروى مسلم[٩] من حديث جابر بن سمرة: (كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم).

---

(١) الترمذي، برقم (١٩٥٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري، برقم (٦٠٢٣)، واللفظ له، مسلم برقم (١٠١٦).

(٣) البخاري، برقم (٦٠٢١)، مسلم، برقم (١٠٠٥)، الترمذي، برقم (١٩٧٠)، وحسنه.

(٤) الترمذي، برقم (١٩٥٦)، واللفظ له، وقال: حسن غريب، البيهقي: الشعب (٦/٥٠٣، ٥٠٤)، برقم (٣٠٥٦)، وحسن مخرجه إسناده، الألباني: السلسلة الصحيحة، برقم (٥٧٢)، وقال: حسن لغيره، وعزاه لابن حبان، رقم (٨٦٤).

(٥) مسلم، برقم (٢٦٢٦).

(٦) بإسناد كما قال الشيخ فحل، لضعف ابن لهيعة عند التفرد. انظر: الشمائل، تحقيق فحل، ص١٣٤، ح٢٢٧. وقال سميح عباس، الذي اختصر وشرح وخرج أحاديث شمائل الترمذي، طبعة دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت، وسمى عمله هذا بـ«أوصاف النبي ﷺ»، قال: «وحسنه الترمذي ربما للشواهد... وضعفه الألباني في مختصر الشمائل»، وصححه في «صحيح الترمذي»، برقم ٣٦٤١، وصححه الضياء في المختارة (٩/٢٠٥ ـ ٢٠٦)، ولفظه: (ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً).

(٧) المصدر نفسه والصفحة، برقم (٢٢٨)، بإسناده حسنه المحقق الشيخ فحل، وصححه سميح عباس: أوصاف النبي ﷺ ص١٨٤ برقم ٢٢٩، متابعة لتصحيح الترمذي له في الجامع الصحيح.

(٨) الشمائل: ح٣٥، تحقيق فحل، وهو جزء من أثر طويل، وضعف المحقق إسناده.

(٩) برقم ٢٣٢٢.

ونهى عن الهجران فقال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[١].

ونهى عن الأنانية، فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

ونهى عن هَيْشَاتِ الأسواق، أي اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها، فقال: «... وإياكم وَهَيْشَاتِ الأسواق»[٣].

ونهى عن تعيير الناس بآبائهم أو أمهاتهم، فقال لأبي ذر ﷺ عندما عير بلالاً ﷺ بأن قال له: يا ابن السوداء!، قال له: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية..»[٤].

ونهى عن السِّبَابِ، فقال: «المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان»[٥].

ونهى عن الفضول، فقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٦].

ووضع قواعد لآداب السلام، فقال: «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير والراكب على الماشي»[٧].

ونهى عن الصلاة بحضرة الطعام، ولا عند مدافعة الأخبثين[٨].

وكان يعجبه أن يدعُوَ الرجل بأحب أسمائه إليه وأحب كُنَاه[٩].

---

(١) البخاري، برقم (٦٠٧٧)، واللفظ له، مسلم، برقم (٢٥٦٠).

(٢) البخاري، برقم (١٣)، واللفظ له، مسلم، برقم (٤٥).

(٣) مسلم، برقم (٤٣٢).

(٤) البخاري، برقم (٣٠)، واللفظ له، مسلم، برقم (١٦٦١).

(٥) مسلم، برقم (٩٤)، كتاب الجنة، البخاري: الأدب المفرد (١/ ٢١٩، ح٤٢٧، ٤٢٨)، واللفظ له، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٧٠).

(٦) مالك: الموطأ (٢/ ٦٨٩)، واللفظ له، والزرقاني في شرح الموطأ: والحديث حسن، بل صحيح، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٨): رواه أحمد والطبراني في معاجمه الثلاثة والترمذي (٢٣١٨)، ورجال أحمد والكبير ثقات.

(٧) البخاري، برقم (٦٢٣١، ٦٢٣٢، ٦٢٣٣).

(٨) مسلم، برقم (٥٦٠). ومدافعة الأخبثين: مقاتلة البول والغائط..

(٩) الهيثمي: المجمع (٨/ ٥٦)، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

ونهى أن يجلس الرجل بين رجلين إلا بإذنهما[١].

وحث التجار على التقوى والبر والصدق، فخاطبهم قائلاً: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فُجّاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق»[٢].

وحث على الصدق وعدم الكذب، وقال في هذا: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يَصْدُقُ ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[٣].

ودعا إلى نبذ العصبية والتمسك بوحدة الجماعة وطاعة ولي الأمر، فقال في هذا: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة، يغضب لِعَصَبَة، أو يدعو إلى عَصَبَة، أو يَنْصُرُ عَصَبَةً، فقتل، فَقِتْلَةٌ جاهلية. ومن خرج على أمتي، يضربُ بَرَّها وفاجرها ولا يتحاش[٤] من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عَهْدَهُ، فليس مني ولستُ منه»[٥]. وقال: «ما يدخل في رجل من العصبية شيء إلا خرج من الإيمان مثل ما دخل فيه من العصبية»[٦]. وقال عندما بعث أبا موسى الأشعري، ومعاذاً بن جبل ﷺ إلى اليمن للدعوة: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[٧]. وقال: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زَبِيبَةٌ»[٨]. وقال أبو ذر ﷺ: (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطراف)[٩]. وقال عليه الصلاة والسلام: «...

---

(١) أبو داود، برقم (٤٨٤٤)، الترمذي، برقم (٢٧٥٢)، وقال المحقق والمخرج لصحيح الجامع: إسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩١٨، ح٤٠٥٤).

(٢) ابن ماجه، برقم (٢١٤٦)، وصححه الألباني.

(٣) البخاري، برقم (٦٠٩٤)، مسلم، برقم (٢٦٠٧)، واللفظ له. والبر: قل الخير.

(٤) لا يتحاش: أي لا يخاف وباله وعقوبته.

(٥) مسلم، برقم (١٨٤٨). ومية جاهلية: أي على صفة موتهم من حيث عيشهم على فوضى لا أمير لهم.

(٦) أبو داود السجستاني، المراسيل، تحقيق الشيخ السيروان، ص٢٢٣، من مرسل الزهري.

(٧) البخاري، برقم (٣٠٣٨)، مسلم، برقم (١٨٣٣)، واللفظ له.

(٨) البخاري، برقم (٧١٤٢).

(٩) مسلم، برقم (١٨٣٧) ومجدع الأطراف: أي مقطوعها.

وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جُثَا جهنم». فقال رجل: يا رسول الله؛ وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»[١].

وعن وائل بن حُجْر ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ ورجل سأله فقال: أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلُوا، وإنما عليكم ما حملتم»[٢]. وقال في إحدى خطبه أيام حجة الوداع: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم»[٣]. وقال: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حُجَّةَ له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٤]. وقال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّةٌ يُقَاتَلُ من ورائه، ويتقى به. فإن أمر بتقوى الله وعدل؛ فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه»[٥].

وكان يقول للمأمومين قبل الدخول في الصلاة: «استووا، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»[٦].

---

(١) الترمذي، برقم (٢٨٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، أحمد: المسند (٤/ ١٣٠ و٢٠٢)، وصححه محققو الموسوعة الحديثية، ابن خزيمة (٣/ ١٩٥)، ابن منده: الإيمان (١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) حديث رقم (٢١٢). وربقة الإسلام: رباطه، جثا جهنم: الجماعة المحكوم عليهم بدخول النار، ومفردها: جثوة.

(٢) مسلم، برقم (١٨٤٦)، الترمذي، برقم (٢١٩٩)، واللفظ له، وقال: حسن صحيح.

(٣) الترمذي، برقم (٦١٦)، واللفظ له، وقال: حسن صحيح، أحمد: المسند (٥/ ٢٥١)، وصححه محققو الموسوعة الحديثية (٢٢١٦١). الحاكم: المستدرك (١/ ٩، ٣٨٩) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(٤) مسلم، برقم (١٨٥١).

(٥) البخاري، برقم (٢٩٥٧)، مسلم، برقم (١٨٤١)، واللفظ للبخاري.

(٦) مسلم، برقم (٤٣٢)، كتاب الصلاة.

ونبه إلى أن هلاك الأمم يكون باختلافها، كما في قوله: «... فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»[١].

ووصف أهل الجنة قائلاً: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد»[٢].

ونبذ العنصرية. وانطلاقاً من هذا المبدأ أمر فاطمة بنت قيس - طليقة أبي عمرو بن حفص - أن تتزوج أسامة بن زيد، وأمه حبشية، ومس أباه رِقٌّ في الجاهلية، ولم يرشح لزواجها معاوية بن أبي سفيان وأبا جَهْم[٣]. وقالت في قصة هذا الزواج: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا حللت فآذنيني»، فآذنته[٤] فخطبها معاوية وأبو جهم وأسامة بن زيد. فقال: «أما معاوية فرجل تَرِبٌ[٥] لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضَرَّابٌ للنساء، ولكنْ أسامةُ بن زيد». فقالت بيدها هكذا: أسامة، أسامة. فقال لها رسول الله ﷺ: «طاعةُ الله وطاعةُ رسوله خير لك». قالت: (فتزوجته فاغتبطتُ). وزوج أباه زيد بن حارثة ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية[٦]. وزوج أخت عبد الرحمن بن عوف القرشي لبلال الحبشي ﷺ[٧].

وأمر صهيباً الرومي أن يخطب إلى ناس من الأنصار، فأتاهم فخطب إليهم، فقالوا: لا نزوجك، لأنك عبد، وانتقوا منه، فقال: لولا رسول الله ﷺ أمرني ما فعلت، فقالوا: أو أمرك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فَأْمُرْهَا في يدك،

---

(١) البخاري: الفتح (٥/ ٧٠، ح٢٤١٠).

(٢) البخاري: الفتح (٦/ ٣١٨، ح٣٢٤٥).

(٣) مسلم، برقم (١٤٨٠). والاغتباط، كما ورد في الأثر، الفرح بالنعمة، كما رواه الدارقطني (٣/ ٣٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٣٦)، وعبد الرزاق في المصنف (٦/ ١٥٣)، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٦١).

(٤) آذنته: أي أعلمته.

(٥) ترِبٌ: فقير.

(٦) كما رواه الدارقطني (٣/ ٣٠١) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٣٦)، وعبد الرزاق في المصنف (٦/ ١٥٣)، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٦١).

(٧) البخاري: الكنى: برقم (١٧٢)، الدارقطني: السنن (٣/ ٣٠١، رقم ٢٠٧)، البيهقي (٧/ ١٣٧، برقم ١٣٥٦٤)، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (٩/ ٣٥٧، رقم ١٦١٥)، ابن حجر: الإصابة، رقم (١١٨٢٩)، وعنده أن اسمها هالة بنت عوف الزهرية؛ والتلخيص الحبير له (٣/ ١٥٦)، تاريخ ابن معين برواية الدوري (٣/ ١٢، رقم ٥١٢)، ويقول الدوري: أن يحيى بن معين أعلّ هذه الرواية، ولم يعلها غيره.

فزوجوها منه، فأخبر رسول الله ﷺ، فأمر له بقطعة من ذهب، وقال له: «سق هذا إلى أهلك»، وقال لأصحابه: «اجمعوا لأخيكم في وليمته»[١].

وجعل التفاضل بين الناس باللين والتقوى والخلق، وقال في هذا: «إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»، قالوا: يا رسول الله! وإن كان وإن كان؟ قال: «نعم»[٢].

ومن الأمثلة التطبيقية في حياة الصحابة لهذا المبدأ، أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة تبنى سالماً، وأنكحه ابنة أخيه هِنْدَ ابنة الوليد بن عتبة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، وذلك قبل نزول آية تحريم التبني[٣].

وتزوج زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط القرشية، وخلفها عليه الزبير، ثم عبد الرحمن بن عوف، ثم عمرو بن العاص، فماتت عنده[٤].

---

(١) سعيد بن منصور: السنن (١/ ١٦١ ـ ١٦٢، ح٥٨٨)؛ ابن أبي شيبة: المصنف (٣/ ٥٦١، رقم ١٧١٦١)، أبو داود: المراسيل، ص١٩٣ ـ ١٩٤، رقم (٢٢٦). قال الدكتور خالد الدريس في مخطوطته غير المنشورة عن إسناد هذا الخبر: «مرسل، من حديث الحكم بن عُتَيبة، وهو من الثقات الأثبات، لكنه في طبقة صغار التابعين، وعليه فلم يدرك صهيباً ولا بلالاً ﷺ، والمرسل من أنواع الحديث الضعيف» ـ يعني مرسل غير الصحابي ـ.

(٢) سعيد بن منصور: السنن (١/ ١٦٢، ح٥٩٠)، الترمذي (٣/ ٣٩٥، رقم ١٠٨٥)، أبو داود: المراسيل، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦، تحقيق الزهراني، ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني (٢/ ٣٥١)، الطبراني: المعجم الكبير (٢٢/ ٢٢٩، رقم ٧٦٢)، أبو نعيم: معرفة الصحابة (٥/ ٢٨٦٨)، البيهقي: السنن الكبرى (٧/ ٨٢)، الدولابي: الكنى (١/ ٢٥)، ابن قانع: معجم الصحابة (٢/ ٣١٣): حسّنه الترمذي. وقال الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٢٦٦): «ولعل تحسين الترمذي المذكور، إنما هو باعتبار شواهده الآتية...». وخلص الدكتور الدريس في دراسته وتخريجه لهذا الحديث ـ مخطوط ـ إلى تضعيف الحديث، وأنه مرفوع، ولا يصلح للتقوية، وإن كان معناه مما تشهد له أصول الشريعة. وانظر: شواهد تحسين رواية أبي حاتم المزني ـ التي أخرجها الترمذي والبيهقي والدولابي عند الألباني في الإرواء (٦/ ٢٦٦ ـ ٢٦٨).

(٣) البخاري، برقم (٥٠٨٨).

(٤) إن خبر زواج أم كلثوم بنت عقبة ﷺ من زيد بن حارثة ﷺ يدور على أسانيد مرسلة ضعيفة، ولم نجده متصلاً إلى أم كلثوم ﷺ إلا في أخبار المدينة لابن شبة (٢/ ٤٩٢)، تحقيق فهيم شلتوت، (م٦/ جـ٢/ ص٩٢)، تحقيق عبد الله الدويش: ولكن في الإسناد عبد العزيز =

وقال ابن مسعود لأخته: (أنشدك الله أن تتزوجي مسلماً، وإن كان أحمر رومياً، أو أسود حبشياً)[١].

ولما بلغ النبي ﷺ استهانة أحد المنافقين بسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، قام مغضباً، وخطب الناس في المسجد، فقال: «يا أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد وأن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي»[٢].

وقال ﷺ في ذم هذه السلوكيات الجاهلية: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[٣] الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب،

= ابن عمران، وهو متروك. ومن الأسانيد المرسلة ما جاء في المصادر الآتية: أخبار المدينة لابن شبة (٢/ ٤٩٤/ شلتوت)، (م٦/جـ٢/ص٩٣/ الدويش)، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف؛ الحاكم: المستدرك برقم (٦٩٢٧) ط. مصطفى عطا (٤/ ٧٤)، وفيه الواقدي، وهو متروك مع سعة علمه؛ ابن سعد: الطبقات (٣/ ٤٤ ـ ٤٥)، وفيه الواقدي وهشام الكلبي وأبيه محمد، وكلاهما متروك أيضاً؛ وغيرهم.

قلت: وهذه الروايات الضعيفة تدل على أن للقصة أصلاً، خاصة أن أصل حديث ابن شبة الذي فيه ابن عمران ثابت في صحيح البخاري (٢٧١١، ٣٧١٢). واعتمدها علماء أجلاء أمثال: ابن حجر: الإصابة (٤/ ٤٩١/ ترجمة ١٤٧٥)؛ ابن كثير: التفسير (٣/ ٤٩٠)؛ ابن معين: التاريخ (٣/ ٦٠، ٢٤٧)؛ الخطيب البغدادي: الكفاية في علوم الرواية، ص١٦٣؛ ط. أحمد عمر هاشم؛ وغيرهم. ويأتي عرض أبي قرة الكندي أخته على سلمان.

(١) سعيد بن منصور: السنن (١/ ١٦١)، برقم (٥٨٤)، بإسناد رجاله ثقات، ولكنه منقطع، لأن إبراهيم بن يزيد التيمي لم يدرك زمان ابن مسعود، كما قال د. الدويش.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٢١/ ٤٠٧)، (٢٤/ ٢٢٤، ٢٣٥)، بسنده إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن: وقال ابن عساكر معلقاً عليه: «وهذا حديث مرسل، وهو مع إرساله غريب، تفرد به أبو بكر سلمى بن عبد الله الهذلي، ولم يروه عنه غيره». وذكر الصالحي في السبل (١٠/ ١١٩): أن الخطيب البغدادي أخرجه في «الرواة عن مالك» عن أبي سلمة به. قال الدكتور الدويش بعد هذا التخريج له: «وأبو سلمة تابعي لم يدرك رسول الله ﷺ، ولا معاذاً بن جبل ﷺ ـ الوارد ذكره في المتن ـ فالحديث مرسل بسبب ذلك، ولكن الأهم أن أبا بكر الهذلي ـ أحد رجال الإسناد ـ متروك عند النقاد»، وذكر آراء النقاد فيه، ثم قال: «وتفرد هذا المتروك بالحديث عن مالك عن الزهري يجعل الحديث يحكم عليه بالوضع أو البطلان على أحسن الأحوال. . . وفي الحديث أيضاً فرة بن عيسى، لم أجد له ترجمة، فتفرد مثله أيضاً مريب جداً، فالحديث أحسن أحواله أن يقال فيه باطل أو ضعيف جداً، والله أعلم».

(٣) عُبِّيَّة: أي فخرها.

لَيَدَعَنَّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فَحْمٌ من فحم جهنم، أو لَيَكُونُنَّ أهونَ على الله من الجُعْلان[١] التي تدفع بأنفها النَّتَنَ»[٢]. وقال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[٣]. وفي رواية: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»[٤].

وقال عن علم الأنساب: «علم لا ينفع وجهالة لا تضر»، قال هذا عندما قيل: يا رسول الله! ما أعلم فلاناً، قال: «بِمَ؟»، قالوا: بأنساب الناس[٥].

ومن آثار هذه القيم وسط الصحابة ﷺ - إضافة إلى ما سبق - أن أبا قُرَّة الكندي عرض على سلمان الفارسي أخته، ولكنه اختار مولاة له يقال لها بُقَيْرة[٦].

ومن مكارم الأخلاق التي تمثلها الرسول ﷺ وحث عليها: الإنفاق والتصدق بجميع أنواعه، ومثال ذلك أقواله:

«إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة»[٧].

«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[٨]. ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «... ورجل تصدق بصدقة

---

(١) الجعلان: حشرة سوداء تعيش في فضلات الإنسان والحيوان.

(٢) أبو داود، برقم (٥١١٦)، واللفظ له، الترمذي، برقم (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن. وقال المنذري في المختصر: أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح (٨/ ١٦)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٦٩).

(٣) مسلم برقم (٩٣٤).

(٤) مسلم (برقم ٦٧)؛ أبو داود السجستاني: المراسيل؛ تحقيق الشيخ السبروان، ص٢٣٣، من مرسل زيد بن أسلم؛ البخاري: الأدب المفرد (١/ ٢٠٣/ح٣٩٥)، بإسناد صحيح.

(٥) مسلم (١/ ٨٢، ح١٢١)، البخاري: الأدب المفرد (١/ ٢٠٣، ح٣٩٥) بإسناد صحيح كما في الصحيحة للألباني (١٨٩٦).

(٦) البخاري: الأدب المفرد (١/ ١٢٢، رقم ٢٣٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٧٥٨)، وكان الكندي ﷺ أحد أشراف العرب. وانظر: ابن سعد (٤/ ٩٢).

(٧) البخاري، برقم (٤٠٠٦)، مسلم، برقم (١٠٠٢)، واللفظ له.

(٨) مسلم، برقم (٩٩٥).

فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه...»[١]. وقال لسعد بن أبي وقاص عندما أراد التصدق بثلثي ماله: «...ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ بها، حتى اللُّقْمَةَ تجعلها في فِيِّ امرأتك...»[٢].

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[٣].

«من أنفق نفقة في سبيل الله كُتِبَتْ له بسبعمائة ضِعْفٍ»[٤].

«إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصِلَة»[٥].

«ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: فأما الثلاث الذي أقسم عليهن فإنه ما نقصَ مالَ عبدٍ صدقةٌ ولا ظلم عبد بمظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله ﷻ بها عزاً، ولا يفتح عبد بابَ مسألة إلا فتح الله له باب فقر...»[٦].

«ما تصدق أحد بصدقة من طَيِّبٍ - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتَرْبُو في كَفِّ الرحمن حتى تكونَ أعْظَمَ من الجبل، كما يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[٧] أو فَصِيلَهُ[٨]»[٩].

«من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»[١٠].

---

(١) البخاري، برقم (١٤٢٣)، مسلم، برقم (١٠٣١)، واللفظ للبخاري.

(٢) البخاري، برقم (١٢٩٥)، مسلم، برقم (١٦٢٨)، واللفظ له.

(٣) البخاري، برقم (١٤٤٢)، مسلم، برقم (١٠١٠).

(٤) النسائي (٦/ ٤٩)، وقال الألباني (٢/ ١٧١) صحيح، وذكره في صحيح الجامع برقم (٦١١٠)، الترمذي في صحيحه (١٦٩١)، وصححه محقق مجامع الأصول (٩/ ٤٩٤).

(٥) النسائي (٥/ ٩٢)، وقال الألباني في صحيح النسائي (٢/ ٥٤٦، ح٢٤٢٠): صحيح، ابن ماجه (١٨٤٤)

(٦) جزء من حديث طويل رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح، أحمد (٤/ ٢٣١)، واللفظ له، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٦١) برقم (٣٠٢١)، وعزاه للإمام أحمد.

(٧) فَلُوُّه: ولد الفرس.

(٨) فصيلُهُ: ولد الناقة.

(٩) البخاري، برقم (١٤١٠)، مسلم، برقم (١٠١٤)، واللفظ له.

(١٠) مسلم، برقم (١٠١٦).

«... فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[١].

«يا نساء المسلماتِ لا تَحْقِرَنَّ جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة»[٢].

والأحاديث كثيرة في باب الإنفاق، وتطبيقاتها العملية في حياة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كثيرة كذلك.

ومن الأخلاق اللعيمة التي نهى عنها وحذر منها: الخيلاء، وقال في هذا: «... وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المَخِيلَة[٣]، وإن الله لا يحب المَخِيلَةَ...»[٤].

وقال: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، كَبَّهُ الله لوجهه في النار»[٥].

وقال: «إياكم والكِبْرَ، فإنَّ الكِبْرَ يكون في الرجل وإنَّ عليه العباءة»[٦].

وقال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، ومَلِكٌ كذاب، وعَائِلٌ[٧] مُسْتَكْبِرٌ»[٨].

وقال: «من مات وهو بريءٌ من الكِبْرِ والغُلُول[٩]، والدَّين دخل الجنة»[١٠].

وقال: «... والاختيال الذي يحب الله ﷻ اختيالُ الرجلِ بنفسه عند القتال

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري، برقم (١٤١٣).

(٢) البخاري، برقم (٢٥٦٦)، مسلم، برقم (١٠٣٠). والفرسن: الظلف.

(٣) المَخِيلَة: أي الكِبْرُ.

(٤) جزء من حديث طويل رواه أبو داود، برقم (٤٠٨٤)، وذكره الألباني في صحيح أبي داود (٢/٧٦٩)، وقال: صحيح

(٥) أحمد (٢/٢١٥) بإسناد صحيح.

(٦) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٥٦١): رواه الطبراني في الأوسط، ورواته ثقات. وقال ابن حجر في الفتح (١/٤٩١): رواته ثقات.

(٧) والعائل: هو الفقير.

(٨) مسلم، برقم (١٠٧).

(٩) الغلول: الخيانة، خاصة الأخذ من الغنائم قبل قسمتها.

(١٠) أحمد (٥/٢٧٦)، الترمذي (١٥٧٢)، واللفظ له، ابن ماجه (٢٤١٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٨٥)، الحاكم (٣/٢٦)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وعند الصدقة، والاختيال الذي يُبْغِضُ اللهُ ﷻ الخُيَلاءُ في الباطل»[١].

وقال: «بينما رجل يتبختر، يمشي في بردته قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض، فهو يَتَجَلْجَلُ فيها إلى يوم القيامة»[٢].

وقال: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبرُ منه، العُجْبُ»[٣].

وقال: «لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خُيَلاء»[٤].

وقال: «من سرَّهُ أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار»[٥].

وقال: «... بل ائتمروا بمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رَأَيْتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوى مُتَّبَعاً، ودنيا مُؤْثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه فعليك - يعني بنفسك - ودع عنك العوامَّ، فإن من ورائكم أيامَ الصَّبْرِ، الصبر فيه[٦] مثل قَبْضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون عمله»[٧].

ونهى عليه الصلاة والسلام عن التبذير، وحث على الاقتصاد. والأمثلة على هذا في قوله: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»[٨].

وفي قوله: «إن الله ﷻ حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات، وكَرِه لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٩].

ونهى عليه الصلاة والسلام عن الشح، فقال: «... واتقوا الشح، فإن الشح

---

(١) أبو داود (٢٦٥٩)، النسائي (٥/ ٧٨)، واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٢٣٩٨)، والإرواء (١٩٩٩)، أحمد (٥/ ٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) البخاري، برقم (٥٧٨٩)، مسلم، برقم (٢٠٨٨)، واللفظ له.

(٣) قال المنذري في الترغيب (٣/ ٥٧١): رواه البزار بإسناد جيد. والعجب: التكبر.

(٤) البخاري، برقم (٥٧٨٤)، مسلم، برقم (٢٠٨٥).

(٥) صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢١٢). أبو داود (٥٢٢٩).

(٦) الصبر فيه: أي في تلك الأيام.

(٧) أبو داود (٤٣٤١)، واللفظ له، ابن ماجه (٤٠١٤).

(٨) الترمذي، برقم (١٠١٠)، وقال: حديث حسن غريب.

(٩) البخاري، برقم (١٤٧٧)، مسلم، برقم (٥٩٣)، واللفظ له.

أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[١].

وقال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله، وما هي؟ قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٢].

وقال: «شر ما في رجل شحٌ هالعٌ وجبن خالع»[٣]. وقال: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشحُ والإيمان في قلب عبد أبداً»[٤]. وقال: «يا ابن آدم، إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»[٥].

وورد ذم الشح أو البخل في أحاديث ذكرت من قبل.

وحث على الجهاد ووسع أبوابه، لأنه أقوى سياج لحفظ أخلاق وكيان ووحدة الأمة الإسلامية. وقد تكلمنا عن هذا في القسم الثاني من الفصل الرابع - المبحث الأول.

وللحفاظ على طهارة المجتمع حث على عدم الاختلاط بين الجنسين، لما يجره الاختلاط من مفاسد ومداخل شيطانية. ومن أقواله عليه الصلاة والسلام في هذا:

قوله: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحَمْوَ؟ قال: الحَمْوُ[٦] الموتُ»[٧].

وحث على حسن الظن بالله والابتعاد عن الشكوك والرِّيَبَة، فقال: «إن حسن

---

(١) مسلم (٢٥٧٨).

(٢) النسائي (٦/ ٢٥٧)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٤٣٢).

(٣) أبو داود (٢٥١١)، واللفظ له، أحمد (٢/ ٣٠٢، ٣٢٠)، وصحح إسناده أحمد شاكر (١٥/ ١٦٤، ح٧٩٩٧)، ابن حبان (٥/ ١٠٣)، وجود إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٣٠٦).

(٤) النسائي (٦/ ١٣)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢/ ٦٥٢، ح٢٩١٣ - ٢٩١٨)، وصححه أحمد شاكر في المسند لأحمد (١٣، ح٧٤٧٤)، وحسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٣٠٦).

(٥) مسلم (١٠٣٦).

(٦) الحمو: قريب الزوج.

(٧) البخاري (٥٢٣٢)، واللفظ له، مسلم (٢١٧٢).

الظن بالله تعالى من حسن العبادة»[١]. وقال قبل موته بثلاثة أيام: «لا يَمُوتَنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»[٢]. وقال: «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله»[٣].

ومن مكارم الأخلاق ومحاسنها التي حث عليها الرسول ﷺ، العدل بين الأبناء، فقال في هذا الشأن، عندما أتى بشير بابنه النعمان إلى الرسول ﷺ وقال: إني نَحَلْتُ - أعطيت - ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نحلته مثل هذا؟»، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «فَأَرْجِعْهُ». وفي رواية: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»[٤]. وفي لفظ قال: «فاردده»، وفي لفظ قال: «فأرجعه»، وفي لفظ: «تُشْهِدُني على جَوْرٍ»، وفي لفظ: «فأشهد على هذا غيري»، وفي لفظ: «سَوِّ بينهم»[٥].

كل هذا لأن تفضيل بعضهم يورث بينهم العداوة والبغضاء وقطيعة الرحم، فَمُنِعَ، كتزويج المرأة على عمتها أو خالتها أو أختها[٦].

وحدد مواصفات المرأة الصالحة للزواج لما لها من دور في تربية الأبناء على مكارم الأخلاق الإسلامية النبوية. ومثال ذلك قوله: «تُنْكَحُ المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فَاظْفَرْ بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك»[٧]. وقوله: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة، إذا أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»[٨].

---

(١) أبو داود (٤٩٩٣)، الترمذي (٣٦٧٩)، أحمد (١٠٣٦٩) وحسّن شاكر إسناده، وكذلك حسنه محقق جامع الأصول (١١/ ٦٩٣).

(٢) مسلم (٢٨٧٧).

(٣) أحمد (٢/ ٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٥)، وأصله في الصحيحين كما جاء في جامع الأصول (٤/ ٤٧٦) و(٩/ ٥٥٥).

(٤) البخاري (٢٥٨٦) و(٢٥٨٧)، مسلم (١٦٢٣).

(٥) البخاري: الصحيح (٣/ ٢٠٦، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة)، مسلم: (٣/ ١٢٤٢ ـ ١٢٤٤، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، كتاب الهبة)، أبو داود (٢/ ٢٦٢)، أحمد (٤/ ٢٦٨).

(٦) راجع المغني (٨/ ٣٥٧، د. التركي والحلو).

(٧) صحيح البخاري (٦٧)، النكاح (١٥)، باب الأكفاء في الدين (٣/ ٣٤٢)، مسلم (٤/ ١٧٥).

(٨) ابن ماجه (١/ ٥٩٦/ رقم ١٨٥٧)، واللفظ له، وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة -

وحذر من المرأة الحسناء المتربية في أسرة سيئة الخلق، فقال: «إياكم وَخَضْرَاء الدِّمَنِ»، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء»[١].

وحث كذلك على تزويج الرجل المرضي في دينه وأمانته وخلقه، لأن في فساد الزوج فسادٌ للمرأة والأبناء، فقال: «إذا خَطَبَ إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض[٢]».

وحث على الدعاء وذكر الله في كل الأحوال، لما في هذا من ربط للإنسان بخالقه وشغله عن مجلبات الذنوب والمحافظة على مكارم الأخلاق الإسلامية، ومثاله قوله: «ادعوا وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيبُ دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ»[٣]. وقوله: «ادعوا، فإن الدعاء يَرُدُّ القضاء»[٤]. وقوله: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة»[٥]. وقوله: «إنَّ أَعْجَزَ الناس من عَجِزَ عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»[٦]. وقوله: «من سره أن يستجاب له عند الكَرْبِ والشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء»[٧].

= برقم (٤٤٢١)، أحمد (٢/ ٢٥١، ٤٣٢، ٤٣٨)، وقوى إسناده محققو الموسوعة الحديثية (١٢/ ٣٨٣، ح٧٤٢١)، وخرَّجوه مفصلاً. وقال شاكر (١٣/ ١٥٣، ح٧٤١٥): «إسناده صحيح»، والنسائي (٢/ ٧٢)، البيهقي (٧/ ٨٢)، الحاكم (٢/ ١٦١ ـ ١٦٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الألباني في الإرواء: حسن (٦/ ١٩٧).

(١) التبريزي: مشكاة المصابيح (٢/ ١٦٠)، تحقيق الألباني، وإسناده حسن، كما قال الألباني.

(٢) الترمذي (٣/ ٣٨٥، ٣٨٦)، وقال: «حسن غريب». وعند أحمد شاكر برقم (١٠٨٤)، ابن ماجه: صحيح ابن ماجه للألباني (١/ ٣٣٣)، وحسنه الألباني هنا وفي السلسلة الصحيحة برقم (١٠٢٢)، وفي الإرواء، برقم (١٨٦٨).

(٣) الترمذي (٣٤٧٩)، وقال: حديث غريب، الحاكم (١/ ٤٩٣)، وقال: حديث مستقيم الإسناد، الألباني: الصحيحة، برقم (٥٩٤). أحمد (٢/ ١٧٧)، وصحح شاكر إسناده

(٤) البغوي: شرح السنة (٥/ ١٦٥). وقال مخرجاه: إسناده حسن، الطبراني في الدعاء (٣/ ٧٩٨)، أحمد (٣/ ١٥٥، ٢٥٥)، (٥/ ٢٧٧).

(٥) الترمذي (٣١٢)، وقال: حسن صحيح، المسند (٣/ ٢٢٥). وحسن إسناده محققو الموسوعة الحديثية (١٣٣٥٧).

(٦) الطبراني: الدعاء (٢/ ٨١١)، برقم (٦٠)، وقال مخرجه: إسناده حسن.

(٧) الحاكم (١/ ٥٤٤)، وصححه ووافقه الذهبي، الطبراني: الدعاء (٢/ ٨٠٥، ح٤٤) بإسناد حسن. . .

والأحاديث الواردة في الدعاء كثيرة، وقد أفرد لها الطبراني مؤلفاً زاده فائدة محققه ومخرِّج أحاديثه وآثاره. أما ما جاء في الحث على الذكر وأهميته:

قوله: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[١]. وقوله: «إن الله يقول أنا مع عبدي إن هو ذكرني وتحركت بي شفتاه»[٢]. وقوله: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكرُ اللهَ كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط»[٣]. وقوله في الحديث القدسي: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خيرٌ منهم، وإن تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلَة»[٤].

وحث على العدل لأن فيه حفظ حقوق الإنسان، التي هي في كل زمان ومكان من القيم الحضارية التي تدل على رقي وإنسانية الدول والمجتمعات وتتشدق الحضارة الغربية بحمايتها في زماننا هذا، فقال فيما قال: «إذا حكمتم فاعدلوا...»[٥]. وقال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»[٦]. وقال: «إن أحب الناس إليَّ يومَ القيامة، وأدناهم منه مجلساً: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلساً: إمام جائر»[٧]. وقال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى

---

(١) الحاكم (١/ ٤٩٨)، وصححه ووافقه الذهبي، الترمذي (٣٣٨٣)، وقال: حديث غريب، وحسنه الألباني (٣/ ١٤٠٠)، رقم (٢٦٩٤)، ابن ماجه (٣٨٠٠)، الموطأ (١/ ١٨٥).

(٢) الحاكم (١/ ٤٩٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) البيهقي. شعب الإيمان (١/ ٤١٩)، برقم (٥٥٨)، (٦/ ١١، ح٧٣٥٨)، الألباني: الصحيحة (١٢١١)، وحسنه.

(٤) البخاري (٧٥٣٦)، مسلم (٢٦٧٥)، واللفظ له.

(٥) الألباني: صحيح الجامع (١/ ١٩٤)، الألباني: السلسلة الصحيحة (٤٦٩)، وقال: حسن، = = الهيثمي: مجمع الزوائد (٥/ ١٩٧)، واللفظ له، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٦) مسلم (١٨٢٧)، واللفظ له، النسائي (٨/ ٢٢١، ٢٢٢)، وقال الألباني: في صحيحه برقم (٤٩٧٢): صحيح. وَلُوا: أي كانت لهم عليه ولاية.

(٧) الترمذي (١٣٢٩)، واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٢١٧٤). وضعفه عبد الله الدويش في تحقيقه الجامع الصغير برقم (٢١٨٩).

يُفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وَتُفْتَحُ لها أبواب السماء، ويقول: بعزتي، لأنصرنك ولو بعد حين»[١]. ويقول: «سبعة يُظِلُّهُمْ الله - تعالى - في ظله يوم لا ظل إلا ظِلُّهُ: إمام عادل...»[٢]. وقال: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار: فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار»[٣]. وقال: «لا يقدس الله أُمَّةً لا يُقضى فيها بالحق، ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير مُتَعْتَعٍ»[٤]. وقالت عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ يقسمُ فيعدلُ، ويقول: «اللهم هذا قَسْمِي فيما أملكُ، فلا تلمني فيما تملكُ ولا أملك»، يعني الميل القلبي[٥]. وبايع أهل العقبة الثانية على العدل أين كانوا[٦]. وعندما كان يقسم غنائم حنين بالجِعْرَانة، وقال له رجل: اعدل، قال: «لقد شقيتُ إن لم أعدل»[٧]، وفي رواية قال الرجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أريد بها وجه الله، وأخبر رجل آخر النبي ﷺ بهذا القول، فقال: «فمن يعدل إذا لم يعدلِ اللهُ ورسولُهُ؟ رحم الله موسى، فقد أوذِيَ بأكثر من هذا فصبر»[٨].

وسبق ذكر بعض الأحاديث بمناسبات عدة، مثل العدل بين الأبناء وسيأتي ذكر

---

(١) الترمذي (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن، أحمد (١٥/ ١٨٧) (٨٠٣٠)، وصححه محققه أحمد شاكر، ابن ماجه (١٧٥٢)، واللفظ له.

(٢) البخاري (١٤٢٣)، واللفظ له، مسلم (١٠٣١).

(٣) الحاكم (٤/ ٩٠)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، أبو داود (٣٥٧٣)، واللفظ له، وصححه محقق جامع الأصول (١٠/ ١٦٧)، وعزاه إلى الطبراني وأبي يعلى.

(٤) الطبراني: الكبير (٢٩/ ٣٨٥، ح٩٠٣) و(١٩/ ٣٨٧، ح٩٠٨)، مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٩)، واللفظ له، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٥) أبو داود (٢١٣٤)، واللفظ له، الترمذي (١١٤٠)، النسائي (٧/ ٦٤)، ابن ماجه (١٩٧١)، البيهقي (٧/ ٢٩٨)، أحمد (٦/ ١٤٤)، الحاكم (٢/ ١٨٧)، وصححه وأقره الذهبي، ابن حبان: في صحيحه (٦/ ٢٠٣)، وقوى محققا الزاد إسناد ابن ماجه (٥/ ١٤٩)، وصححه محقق جامع الأصول (١١/ ٥١٤).

(٦) النسائي (٧/ ١٣٩)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٨٧٢)، ابن ماجه (٢٨٦٦).

(٧) البخاري (٣١٣٨)، مسلم (١٠٦٣).

(٨) البخاري (٣١٥٠)، واللفظ له، مسلم (١٠٦٢).

العدل والإنصاف والمساواة في أحاديث وآثار أخرى، إن شاء الله.

وحث عليه الصلاة والسلام على التكافل والتضامن، لأن ذلك من قيم المروءة والإنسانية، فقال: «إن الأشعريين إذا أرْمَلُوا[1] في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسَّوِيَّة، فهم مني، وأنا منهم»[2].

وما كانت فريضة الزكاة وتطبيقاتها العملية في حياة الرسول ﷺ إلا للقيام بهذه الخاصية التي تحفظ ماء وجه الضعفاء وتزيل من نفوسهم الغل أو الحسد تجاه أصحاب الأموال الفائضة عن حاجياتهم الضرورية في الحياة.

وحث ﷺ على العفو، لما في ذلك من فتح القلوب لقبول قيم ومبادئ الإسلام، فقال: «... وما زَادَ اللهُ عبداً بعفوٍ إلا عزاً...»[3]. وقال - حتى في أمر حدود الله -: «تعافوا فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب»[4]. وقال: «من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه ما على صاحب مَكْس»[5].

وهو الذي عفا عن أعدائه الذين حاربوه، أفراداً وجماعات. فقد عفا عن قريش يوم فتح مكة، كما ذكرناه في مكانه من أحداث سيرته في فتح مكة. وعفا عن رجال حاولوا اغتياله، سبق وأن ذكرنا منهم غورث بن الحارث ودعثور المحاربي[6]. وعفا عن جفاة الأعراب الذين آذوه في مناسبات متعددة متفرقة، يأتي ذكرها حين الكلام عن حلمه، وأتى ذكرها من خلال أحداث السيرة.

---

(١) أرملوا: أي نَفِي طعامهم.

(٢) البخاري (٢٤٨٦)، مسلم (٢٥٠٠).

(٣) مسلم (٢٥٨٨). وقالت عائشة: (... وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه أو أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله ﷻ)، مسلم (٢٨).

(٤) أبو داود (٤٣٧٦)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٨/ ٧٠، ح٤٥٣٨، ٤٥٣٩)، الحاكم (٤/ ٣٨٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أبو داود السجستاني: المراسيل، تحقيق الشيخ السيروان، ص٢٤٥، من مرسل الحسن البصري وزيد بن أسلم ومحمد بن جردان.

(٦) ومحاولات: سراقة بن مالك وعمير بن وهب وشيبة بن عثمان وفضالة بن عمير بن الملوك الليثي... الخ. وانظر: مسلم (٢٧٣٩، ٢٣٢٨)، البخاري (٤٠٨٦).

وحث عليه الصلاة والسلام على طلب العلم والتفقه في الدين، لأن من أكبر المصائب على الأمة الجهل بالدين. ومثال هذا قوله: «إن فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»[١]. وقال: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، أو عالماً أو متعلماً»[٢].

وعندما ذكر له رجلان، أحدهما عالم، والآخر عابد، قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[٣]. وروى عنه حذيفة بن اليمان ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة»[٤]. وقال لأبي ذر: «يا أبا ذر، لأن تغدوَ فتَعَلَّمَ آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مئة ركعة، ولأن تغدوَ فتعلَّم باباً من العلم عُمِلَ به أو لم يُعمل خير من أن تصلي ألف ركعة»[٥]. وقال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[٦]. وقال: «من سلك طريقاً يطلبُ فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالم لَيَسْتَغْفِرُ له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء وَرَثَةُ الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»[٧].

---

(١) الحاكم (١/ ٩٣)، واللفظ له، وصححه ووافقه الذهبي على شرط الشيخين، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥٢/ برقم ٢٦٩٢): «رواه الطبراني في الأوسط والبزار بإسناد حسن». انظر: مسند البزار - كشف الأستار - أو - البحر الزخار - (٧/ ٣٧١، ح٢٩٦٩) وفي لفظه: «ملاك دينكم الورع». قلت: ومعظم العلماء يضعف هذا الحديث، أمثال: ابن الجوزي في الواهيات، الترمذي في العلل، ص٣٤١، برقم (٦٣٣)، الدارقطني: العلل (٤/ ٣١٨، برقم ٥٩١). ومن حسنه - إضافة إلى الطبراني والبزار - العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١١١، رقم ١٨٢٧)، فانظر شواهد من أحاديث فضل العلم عند ابن عبد البر في بيان فضل العلم وأهله.

(٢) الترمذي (٢٣٢٢) وقال: حسن غريب، ابن ماجه (٤١١٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». البخاري (٧١).

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، كما في الترغيب، حديث رقم (١٣٠).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط والبزار بإسناد حسن، كما في الترغيب، رقم (١٠٣).

(٥) ابن ماجه (٢١٩)، واللفظ له، وذكره المنذري في الترغيب (٩٨١)، وحسنه.

(٦) مسلم (١٦٣١).

(٧) الترمذي (٢٦٨٢)، واللفظ له، أبو داود (٣٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢/ ٦٩٤)، وحسن محقق جامع الأصول إسناده (٨/ ٦).

وحذر من زلة العالم ونهى عن تتبع عثرته[١].

وقد ألف ابن عبد البر كتاباً من جزءين في العلم وبيان فضله.

وهذه الأحاديث وما جاء في معناها هي التي جعلت كثيراً من السلف يعدُّون العلم أفضل ما يتطوعون به متقربين لله تعالى. وذكر ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: باب تفضيل العلم على العبادة أقوالاً لهم في هذا: مثل قول ابن مسعود: (الدراسة صلاة)، وأبي الدرداء: (مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة)، وأبي هريرة: (لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحب إليَّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح)، وقتادة: (باب من العلم يحفظه الرجل لعلاج نفسه، وصلاح من بعده، أفضل من عبادة حول)، والثوري: (ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم)، والزهري: (ما عُبِدَ الله بمثل الفقه)، والشافعي: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)[٢].

وحث ﷺ على الابتعاد عن سفاسف الأمور، فقال: «إن الله تعالى يحب معاليَ الأمور، وأَشْرَافَهَا، ويكره سفاسفها»[٣].

وحث على القناعة والزهد، لما في هذا من صلاح للفرد والمجتمع، لأن الجشع وعدم الرضا بما قسم الله على الفرد يؤدي إلى كثير من الفساد في جميع مجالات الحياة. ومما قاله في هذا:

«طوبى لمن هُدِيَ إلى الإسلام، وكان عَيْشُهُ كفافاً وقَنَعَ»[٤]. و«قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه»[٥]. وقال لأبي هريرة ﷺ: «يا أبا هريرة، كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وأقلَّ الضحك، فإن كثرة

---

(١) أبو داود: المراسيل، تحقيق الشيخ السيروان، ص٢٤٨، من مرسل محمد بن كعب القرظي ومكحول.

(٢) وللإمام مالك وأبي حنيفة مثل ما نقل عن الشافعي في تفضيل العلم على سائر النوافل. انظر مرجعنا في هذا. الدكتور يوسف القرضاوي: «الرسول ﷺ والعلم»، ص٢٧ ـ ٢٨، تحت عنوان: (الاشتغال بالعلم أفضل ما يتطوع به).

(٣) الألباني: صحيح جامع الترمذي (١٨٨٦)، السلسلة الصحيحة (١٣٨٨).

(٤) الترمذي (٢٣٤٩)، واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، الحاكم (١/ ٣٥)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) مسلم (١٠٥٤).

الضحك تميت القلب»[١]. وقال: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»[٢]. وقال: «ليس الغنى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغنى غنى النفس»[٣].

وما ذكرناه عن حياة الزهد والتقشف التي كان يحياها الرسول ﷺ لدليل عملي تطبيقي لما جاء من أحاديث وآثار في هذا المجال.

ونهى عن إفشاء أسرار العلاقات الزوجية في الفراش. ومما قاله: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشرُ سرها»، وفي رواية: من أشر الناس»[٤]. وقال عن هذا الفعل: «... فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثلُ شيطانٍ لقِيَ شيطانةً فغشيها والناس ينظرون»[٥].

ونهى عن إفشاء الأسرار عامة، فقال: «من غسل ميتاً فأدَّى فيه الأمانة ولم يُفْشِ عليه ما يكون منه عند ذلك خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، قال: لِيَلِهِ أقربُكُمْ منه إن كان يَعْلَمُ، فإن كان لا يعلم فمن ترون أن عنده حظاً من ورع»[٦].

وحذر من التهاون في التثبت من حل أو حرمة أكل المال، فقال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن الحلال أم من حرام»[٧]. وقال: «يا أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رَبِّ! يا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حرامٌ، وَمَشْرَبُهُ حرام، وَمَلْبَسُهُ حرام، وَغُذِيَ بالحرام، فأنى يستجاب

---

(١) ابن ماجه (٤٢١٧)، واللفظ له، وفي الزوائد إسناده حسن.

(٢) البخاري (٦٤٩٠)، مسلم (٢٩٦٣)، واللفظ له.

(٣) البخاري (٦٤٤٦)، مسلم (١٠٥١). والعرض: مَتَاعُ الدنيا.

(٤) مسلم (١٤٣٧)، واللفظ له، أبو داود (٤٨٧٠).

(٥) مسلم (١٤٢٧)، أحمد (٢/ ٥٤١)، أبو داود (٢١٧٣)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٨٦) في باب إفشاء السر. ومعنى فغشيها: واقعها مرتكباً معها الفاحشة.

(٦) أحمد (٦/ ١١٩ ـ ١٢٠) بإسناد ضعيف يتقوى بالشواهد التي ذكرها الهيثمي في المجمع (٣/ ٢١)، والحاكم (١/ ٣٥٤، ٣٦٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٧) البخاري (٢٢٣٦).

لذلك؟»[١]. وقال لكعب بن عُجْرَةَ ﷺ: «إنه لا يربو لحم نبت من سُحْتٍ إلا كانت النار أولى به»[٢]، وقال: «... فمن يأخذ مالاً بحقه يُبَارَكْ له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الذي يَأْكُلُ ولا يَشْبَعُ»[٣].

وأعطى المثل والقدوة في التثبت حتى لا يؤخذ الناس بالشبهات، ومثاله قوله: «لو كنت راجماً أحداً بغير بينة، لرجمت فلانة، فقد ظهر فيها الريبة، في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها»[٤]. وقوله لعلي ﷺ عندما أرسله إلى اليمن قاضياً: «... فإذا جلس بين يديك الخصمان، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»[٥]. وقوله: «لو يعطى الناس بدعواهم، لذهب دماءُ قوم وأموالهم»[٦]. وعندما اتهم الصحابة اليهود بقتل أحد الصحابة، طالبهم الرسول ﷺ بالبينة، فلم يقدموها، ولم يقبلوا بحَلْفِ اليهود - أي أداء القسم - فاضطر الرسول ﷺ أن يدفع ديته، ولم يعاقب اليهود بلا بينة[٧]، وعندما ادعى حضرمي على كندي بأنه غصبه أرضه، قال ﷺ للحضرمي: «ألك بينة؟»، قال: لا، قال: «فلك يمينه»، قال: يا رسول الله، إن الرجل فاجر، لا يباني على ما حلف عليه، وليس يتورع من شيء، فقال: ليس لك منه إلا ذلك»[٨].

ونهى أن يكون المسلم إمَّعة، فقال: «يذهب الصالحون الأوَّلُ فالأول، ويبقى حُفَالَةٌ كحفالة الشعير، أو التمر، لا يُبَالِيهُمُ الله باله»[٩]. وقال: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن

---

(١) مسلم (١٠١٥).

(٢) الترمذي (٦١٤)، واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب، النسائي (٧/ ١٦٠)، الحاكم (٤/ ٤٢٢)، وصححه ووافقه الذهبي. والسُّحْتُ: الحرام.

(٣) البخاري (٦٨٤٢)، مسلم (١٠٥٢)، واللفظ له.

(٤) الألباني: صحيح ابن ماجه (٢/ ٨٢، ح٢٠٧٣، ٢٥٥٩)، وقال: روى الشيخان شطره الأول.

(٥) الألباني: صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٨٤، ح٣٠٥٧).

(٦) البخاري، برقم (٤٥٥٢).

(٧) البخاري، برقم (٦٨٩٨).

(٨) مسلم، رقم (١٣٩).

(٩) البخاري (٦٤٣٤)، والحفالة والحثالة: الرديء من كل شيء، والحفالة أيضاً: بقية القشور والأقماع في التمر والحبوب، ولا يباليهم: لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً.

أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»[١].

وذم البغض والحسد وسوء الظن لما فيها من خراب النفوس، فقال: «إياكم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديث، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تجسَّسُوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»[٢]. وقال: «دَبَّ إليكم داء الأمم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة. لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يُثْبِتُ ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم»[٣]. وقال: «إنه سيصيب أمتي داء الأمم»، قالوا: وما داء الأمم؟، قال: «الأَشَرُ والبَطَرُ والتكاثُرُ والتنافُسُ في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكونَ البغيُ ثم الهَرْجُ»[٤]. وقال: «... ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحَسَدُ»[٥]. وقال: «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»[٦]. وعندما قدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت به الأنصار، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صَلَّى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟» فقالوا: أجل، يا رسولَ الله. قال: «فأبشروا وأمِّلُوا ما يَسُرُّكُم، فَوَالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تُبْسَطَ الدنيا عليكم كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فَتَنَافَسُوْها كما تَنَافَسُوها، وتُهْلِكُكُمْ كما أهلكتهم»[٧].

وحذر من التبرج، ونهى عنه، لما يجره من الفتنة بين الرجال والنساء، فقال في

---

(١) الترمذي (٢٠٠٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وحسنه محقق جامع الأصول (١١/٦٩٨).

(٢) البخاري (٦٠٦٤)، واللفظ له، مسلم (٢٥٦٣).

(٣) الترمذي (٢٥١٠)، واللفظ له، وحسنه محقق جامع الأصول (٣/٦٢٦) لما له من شواهد عند مسلم (٤٥)، وذكر المنذري في الترغيب (٣/٥٤٨)، وقال: رواه البزار بإسناد جيد، والبيهقي وغيرهما، الحاكم (٤/١٦٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وهو شاهد كذلك لحديث الترمذي.

(٤) قال الحافظ العراقي في الإحياء (٣/١٩٩): أخرجه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

(٥) حسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩١٢).

(٦) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٥٤٧): رواه الطبراني ورواته ثقات.

(٧) البخاري (٣١٥٨)، مسلم (٢٩٦١)، واللفظ له. والمنافسة أول درجات الحسد.

هذا: «سيكونُ آخِرَ أمتي نساءٌ كاسياتٌ[١] عارياتٌ على رؤوسِهِنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ[٢]، العَنُوهُنَّ، فإنَّهُنَّ ملعونات»[٣]. وفي رواية: «صِنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها لَيُوجَدُ من مسيرة كذا وكذا»[٤].

ونهى كذلك عن خروجهن إلى الشارع أو العمل أو السوق أو غيره وهن متعطرات أو متبخترات. فقال: «إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها في كذا وكذا»، وقال قولاً شديداً[٥]. وقال في رواية النسائي[٦]: «... فهي زانية». وقال: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[٧].

وذم الشماتة والتعيير وحذر من عواقبها، فقال: «لا تُظْهِرِ الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويَبْتَلِيكَ»[٨] وقال: «... وإن امرؤٌ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تُعَيِّرْهُ بما تعلمُ فيه؛ فإنما ويال ذلك عليه»[٩]. وقال: «من عَيَّرَ أخاه بذنب لم يمت حتى يَعْمَلَهُ»[١٠].

---

(١) الكاسية العارية: المرأة التي تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها، أو التي تلبس ثوباً رقيقاً يصف لونها ومفاتنها، فهي حقيقة عارية.

(٢) البخت: الإبل الخراسانية، والمعنى أنهن يكبرن شعورهن بلف عصابة أو عمامة أو غير ذلك إظهاراً للجمال والفتنة.

(٣) الطبراني: الصغير، برقم (١١٢٥)، وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة (٥٦).

(٤) مسلم (٢١٢٨).

(٥) أبو داود (٤١٧٢)، واللفظ له، النسائي (٨/ ١٥٣)، الترمذي (٢٧٨٦)، وقال: حسن صحيح، الحاكم (٢/ ٣٩٦)، وصححه ووافقه الذهبي، أحمد (٤/ ٤١٤، ٤١٨). وجود محققو المرسوعة الحديثية إسناده (١٩٧١١).

(٦) في سننه (٨/ ١٥٣).

(٧) أبو داود (٤١٧٥)، النسائي (٨/ ١٥٤)، واللفظ لهما، وصححه الألباني (٣/ ١٠٤٩، ح٤٧٣٩).

(٨) الترمذي (٢٥٠٦)، وقال: حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول (١١/ ٧٢٦): حديث حسن بشواهده، ووافق المنذري (٣/ ٣١٠)، الترمذي في تحسينه، أبو داود (٤٠٨٤)، وصححه الألباني (٣٤٤٢) في صحيح أبي داود (٢/ ٧٦٩)، الترمذي (٢٧٢٢).

(٩) أبو داود (٤٠٨٤) وصححه الألباني (٣٤٤٢) في صحيح أبي داود (٢/ ٧٦٩)، الترمذي (٢٧٢٢).

(١٠) الترمذي (٢٥٠٥)، وقال: حسن غريب.

وكان النبي ﷺ يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء[١].

وذم طول الأمل في الدنيا، فقال: «اللهم من آمن بك، وشهد أني رسولك فحبب إليه لقاءك، وسهل عليه قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومن لم يؤمن بك، ولم يشهد أني رسولك فلا تحبب إليه لقاءك، ولا تسهل عليه قضاءك، وأكثر له من الدنيا»[٢]. وفي رواية ابن ماجه[٣]: «اللهم من آمن بي وصدقني، وعلم أن ما جئت به الحقُّ من عندك فأقلل ماله وولده، وحبب إليه لقاءك، وعجل له القضاء، ومن لم يؤمن بي، ولم يصدقني، ولم يعلم أن ما جئتُ به الحقُّ من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عُمُرَهُ». وقال: «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل»[٤]. وقال: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل»[٥]. وقال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغْلِكَ[٦]، وحياتك قبل موتك»[٧].

وذم المنَّ، وقد ذكرنا في أحداث وفد بني أسد، أنهم قالوا: يا رسول الله: أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأنزل الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾ [الحجرات: ١٧]. وذلك من قلة فقههم كما قال عليه الصلاة والسلام[٨]. وقال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا مَنَّهُ، والمنفق سلعته بالحلفِ الفاجر، والمُسْبِلُ إزاره»[٩].

---

(١) البخاري (٦٣٤٧)، واللفظ له، مسلم (٢٧٠٧).

(٢) المنذري: الترغيب والترهيب (٤/ ٣٣٥)، وقال: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وابن حبان في صحيحه.

(٣) برقم (٤١٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣١١).

(٤) البخاري (٦٤٢٠)، واللفظ له، الترمذي (٢٣٣٨، ٢٤٥٥).

(٥) البخاري (٦٤١٦).

(٦) أي فراغك في الدنيا قبل الانشغال بأهوال القبر.

(٧) الحاكم (٤/ ٣٠٦)، واللفظ له، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، الترمذي (٢٣٣٣).

(٨) ذكره ابن كثير في التفسير (٧/ ٣٦٩)، وإسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال في الدر المنثور (٧/ ٥٨٥): أخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه بسند حسن.

(٩) مسلم (١٠٦). وفي رواية للنسائي (٥/ ٨٠)، ذكر من لا يدخلون الجنة المنان بما أعطى، =

وحذر من الغضب، وقال فيه: «ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[١]. وعندما قال له رجل: أوصني، قال: «لا تغضب»، ورددها مراراً[٢]. وقال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»[٣].

وذم تحقير المسلم، فقال: «... المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التقوى هاهنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، «بحسب امرئٍ من الشر أن يَحْقِرَ أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[٤]. وقال: «إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير الحق»[٥]. وعندما قالت عائشة للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[٦].

وذم الرياء، فقال: «من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به»[٧]. وأمرنا أن نتعوذ منه لسوء عاقبته، فقال: تعوذوا بالله من جُبِّ الحُزْنِ» (أو الحَزَنِ)، قالوا: يا رسول الله، وما جُبُّ الحزن؟ قال: «وادٍ في جهنم يَتَعَوذ منه جهنم - أي أهل جهنم - كل يوم أربعمئة مرة»، قالوا: يا رسول الله، ومن يدخله؟ قال: «أُعد للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء»، قال المحاربي - الراوي -: (أي الجورة)[٨]. وقال: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي

= وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٤٠٢)، وفي رواية للترمذي (١٩٦٣)، ذكر أن ممن لا يدخلون الجنة المنان، وحسنه هو والمنذري في الترغيب (٣/ ٣٨٠).

(١) البخاري (٦١١٤)، مسلم (٢٦٠٩).

(٢) البخاري (٦١١٦).

(٣) مسلم (١٧ ـ ١٨).

(٤) مسلم (٢٥٦٤).

(٥) أبو داود (٤٨٧٦)، وصححه الألباني (٣/ ٩٢٣)، أحمد (١/ ١٩٠)، واللفظ له، برقم (١٦٥٤)، وصحح إسناده محقق جامع الأصول (٨/ ٤٤٩).

(٦) أبو داود (٤٨٧٥)، واللفظ له، وصححه الألباني (٣/ ٩٢٣)، الترمذي (٢٥٠٢، ٢٥٠٣)، وقال: حسن صحيح، وصحح إسناده محقق جامع الأصول (٨/ ٤٤٨).

(٧) البخاري (٦٤٩٩)، مسلم (٢٩٨٦)، الترمذي (٢٣٨١).

(٨) ابن ماجه (٢٥٦)، واللفظ له، الترمذي (٢٣٨٣)، وقال: حسن غريب.

فقد أشرك، ومن يصدِّق يراني فقد أشرك...»[١]. وقال: «لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»[٢].

وحذر من النفاق وعواقبه الأخروية، ووضح للناس صفات المنافقين. ومثاله: قوله: «ليس صلاةٌ أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً. لقد هممت أن آمر المؤذنَ فيقيم، ثم آمرَ رجلاً يؤم الناس، ثم آخذ شُعْلاً من نار فأُحَرِّقَ على من لا يخرج إلى الصلاة بَعْدُ»[٣]. وقال: «آيةُ المنافق ثلاثٌ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»، وزاد مسلم: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم». وفي رواية أنهن أربع: «... إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»[٤]. وسميت إحدى سور القرآن باسمهم «سورة المنافقون»، بينت صفاتهم وسلوكهم بين الناس.

وذم الزنا، وجعله من الكبائر، فقال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ وملك كذاب...»[٥].

وقال: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا»[٦].

وقال ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ﷻ ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»[٧]. وقال: «لا يحلُّ دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني،

---

(١) أحمد (٤/١٢٦). وضعف محققو الموسوعة الحديثية إسناده، والقراء: حملة القرآن.

(٢) ابن ماجه: مقدمة (٢٥٤)، وفي الزوائد رجال إسناده ثقات، الحاكم (١/٨٦).

(٣) البخاري الفتح (٢/٦٥٧)، واللفظ له، مسلم (٦٥١).

(٤) متفق عليه. انظر المصدرين أعلاه.

(٥) مسلم (١٠٧)، سبق ذكره كاملاً.

(٦) البخاري (٨٠)، واللفظ له، مسلم (٢٦٧١).

(٧) ذكره المنذري في الترغيب، وقال: رواه أحمد ورواته ثقات والطبراني في الكبير والأوسط (٣/٢٨٧، ٢٧٩)، واللفظ له، أحمد (٦/٨). وجود محققو الموسوعة الحديثية إسناده (٢٣٨٤٥).

والمفارق لدينه التارك للجماعة»[١]. وقال: «لا ينظر الله ﷻ إلى الأُشَيْمِط[٢] الزاني، ولا العائل المزهو»[٣]. وقال: «... من حفظ فرجه فله الجنة»[٤].

وعن أنس، أنه قال: قيل يا رسول الله: متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم». قلنا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم، والعلمُ في رُذَالَتِكُمْ»[٥].

وقال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ - الفرج - والحرير والخمر والمعازف...»[٦]. وقال: «من زنى وشرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يَخْلَعُ الإنسان القميص من رأسه»[٧].

وذم الغش بجميع أنواعه وحذر منه؛ ومما قاله فيه: «... من غش فليس مني»[٨]. وقال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[٩]. وقال: «... ولعن الله من غير مَنَارَ الأرض[١٠]»[١١]. ونهى عن النَّجَشِ[١٢]، أي الزيادة في سعر السلعة وهو لا يريد شراءها ليغري غيره بشرائها. ولعن المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ له[١٣].

---

(١) البخاري (٦٨٧٨)، واللفظ له، مسلم (١٦٧٦).

(٢) الأشيمط: تصغير أشمط، وهو من اختلط شعر رأسه الأسود بالأبيض، مما يدل على دخوله سن الشيخوخة. والعائل: الفقير المتكبر.

(٣) ذكره المنذري (٣/ ٢٧٥)، وقال: رواه الطبراني، ورواته ثقات.

(٤) الحاكم (٤/ ٣٥٨)، وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٥) ابن ماجة (٤٠١٥)، واللفظ له، وقال في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، أحمد (٣/ ١٨٧). وقوى محققو الموسوعة الحديثية إسناده (١٢٤٣).

(٦) البخاري (٥٥٩٠).

(٧) الحاكم (١/ ٢٢)، واللفظ له، وصححه على شرط مسلم.

(٨) مسلم (١٠٢).

(٩) البخاري (٧١٥٠)، مسلم (١٤٢)، واللفظ له.

(١٠) منار الأرض: الحدود.

(١١) مسلم (١٩٧٨).

(١٢) البخاري (٢١٤٢)، مسلم (١٥١٦).

(١٣) الترمذي (١١٢٠)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٨٩٣).

وذم الغيبة وتتبع العورات، فقال في هذا: «أتدرون ما الغيبة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلمُ، قال: «ذِكْرُكَ أخاك بما يكره»، قيل: أرأيتَ إن كان في أخي ما أقولُ؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه»[1][2]. وقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يَتْبَعِ الله عورته، ومن يتبع الله عورته يَفْضَحْهُ في بيته»[3]. ومرَّ النبي ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فيعذب في البول، وأما الآخر فيعذب في الغِيبَة»[4].

وعن أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: ثلاثاً - أي ثلاث مرات -: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين». وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقولُ الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور»، فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت - يعني الراوي أبي بكر[5] -. وفي رواية بشر بن المفضل عند مسلم: (حتى قلنا ليته سكت)[6].

وذم الكذب في الشهادة، لأن شهادة الزور يمكن أن تؤدي إلى إزهاق الأرواح وإضاعة الأموال والأعراض، ولذا قال فيه الرسول ﷺ أقوالاً شديدة، منها قوله: «آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[7]. والمنافقون في الدرك الأسفل من النار كما قال الله تعالى. وقد جاء ذمه مقروناً بكثير من الرذائل والمحرمات كما تلاحظه من الأحاديث والآثار التي ذكرناها في هذا الفصل.

وشدد في الوصية بالجار، ومما قاله في ذلك:

---

(١) البهتان: الباطل.

(٢) مسلم (٢٥٨٩).

(٣) أبو داود (٤٨٨٠)، واللفظ له، وقال الحافظ العراقي في الإحياء (٣/ ١٠٤): سنده جيد.

(٤) أحمد (٥/ ٣٥ - ٣٦)، ابن ماجه (١/ ٣٤٩)، واللفظ له، وصححه ابن حجر في الفتح (١/ ٤٨٥)، من حديث أحمد والطبراني.

(٥) البخاري (٥٩٧٦)، واللفظ له، مسلم (٨٧).

(٦) مسلم (٨٧).

(٧) البخاري (٣٢)، مسلم (٥٩). وفي رواية للبخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً...» ذكر منهن: «... وإذا حدث كذب...».

- «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[١].

- وقال لأبي ذر ﷺ: «يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»[٢]. وفي رواية: «... ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»[٣].

- وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤْذِ جاره...»[٤]. وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...»[٥].

- عن عمرو بن الحَمِق ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً عَسَّلَهُ». قيل: وما عسله؟ قال: «يُحَبِّبُهُ إلى جيرانه»[٦].

- وقال: «خير الأصحاب عند الله: خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله: خيرهم لجاره»[٧]. وقال لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة. قال - الراوي - المقداد بن الأسود: فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أَيْسَرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره». قال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام. قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره»[٨].

وتعوذ من جار السوء، قائلاً: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المُقَامَة؛ فإن جار البادية يتحولُ»[٩].

وقال: «ليس المؤمن الذي يشبعُ وجاره جائع»[١٠]. وفي رواية: «ما آمن بي من

---

(١) البخاري (٦٠١٤)، مسلم (٢٦٢٤ - ٢٦٢٥)، وغيرهما.

(٢) مسلم (٢٦٢٥)، وتعاهد جيرانك: أي تفقدهم لتعطيهم منها.

(٣) مسلم (٢٦٢٥).

(٤) البخاري (٦٠١٨).

(٥) الألباني: صحيح ابن ماجه (٢/ ٢٩٦، ح٣٦٧٢).

(٦) أحمد (٤/ ٢٠٠)، ذكره الغزالي في الإحياء (٢/ ٢١٥)، وجود العراقي إسناده.

(٧) الترمذي (١٩٤٤)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه محقق جامع الأصول إسناده (٦/ ٦٤٠).

(٨) المنذري: الترغيب (٣/ ٣٥٢)، وقال: رواه أحمد واللفظ له، ورواته ثقات، والطبراني في الكبير والأوسط.

(٩) الحاكم (١/ ٥٣٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(١٠) الحاكم (٤/ ١٦٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في الصحيحة (١٤٩).

بات شبعانَ وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[١].

وقال: «أتدري ما حق الجار؟: إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطلْ عليه بالبنيان فتحجب عنه الريحَ إلا بإذنه، ولا تؤذه بقُتارِ ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدُك ليغيظ بها ولدَهُ»[٢].

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...»[٣].

وقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[٤]. وعندما قال رجل إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار»، قال: فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط[٥]، ولا تؤذي جيرانها. قال: «هي في الجنة»[٦].

وقال: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاة»[٧].

وقال: «من سعادة المرء الجار الصالح والمركبُ الهنيءُ والمسكن الواسع»[٨].

وقال: «الجار أحَقُّ بِسَقَبِهِ[٩]»[١٠]. وفي هذا دليل على أحقية الجار بالشفعة،

---

(١) الهيثمي: المجمع (٨/ ١٦٧)، وقال: رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار حسن.

(٢) المنذري في الترغيب (٣/ ٣٥٧)، الهيثمي (٨/ ١٦٥)، ونحوه عند البخاري: الأدب (٢٩)، ومسلم: الإيمان (٧٣٠)، بدون أوله.

(٣) مسلم (٤٨).

(٤) البخاري (٦٠١٦)، والبوائق: الأذى.

(٥) القطع من الأقط: أي اللبن الناشف.

(٦) المنذري (٣/ ٣٥٦)، وقال: رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة. وقال: بإسناد صحيح أيضاً.

(٧) البخاري (٦٠١٧)، مسلم (١٠٣٠). والفرسن: عظم قليل اللحم كالظلف وغيره.

(٨) الحاكم (٤/ ١٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي، الهيثمي: المجمع (٨/ ١٦٣)، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٩) السقب: القرب والملاصقة.

(١٠) البخاري (٢٢٥٨).

أي شراء ما يعرضه جاره للبيع من دار أو أرض زراعية وما في حكم هذا.

وقال: «كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا ربِّ! هذا أغلق بابه دوني، فمنع معروفه»[١].

وذم الوسخ، ومثاله: فعن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره، فقال: «أما كان يجد هذا ما يُسَكِّنُ به شعره؟». ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وَسِخة، فقال: «أما كان هذا يجد ماءً يغسل به ثوبه؟»[٢]. وعندما مر بقبرين قال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير: أما هذا فكان لا يستنزه [يتنظف] من بوله...»[٣]. وعندما أم رجل قوماً وبصق في القبلة، قال رسول الله ﷺ: «لا يصلي لكم»، فمنعوه وأخبروه بقول الرسول ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «نعم»، وقال الراوي: وحسبت أنه قال: «إنك آذيت الله ورسوله»[٤]. وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «عُرضت عليَّ أعمال أمتي، حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النُّخَاعَةَ تكون في المسجد لا تدفن»[٥] وقال: «... إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر، فإذا رأى في نعليه خبثاً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما»[٦]. وقال: «السواك مَطْهَرَةٌ للفم، مرضاةٌ للرب»[٧]. وقال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم [الراكد] ثم يغتسل منه»[٨].

٧ - إعراضه بما يكرهه، وعدم ذكره عيب الطعام واستحباب مدحه:

ومن مكارم أخلاقه الإعراض عما يكرهه. فقد روي عن أنس ﷺ أنه قال:

---

(١) البخاري: الأدب المفرد (١/ ٦٠)، بإسناد حسن لغيره. انظر: الألباني: الصحيحة (٢٦١٦).

(٢) النسائي (٨/ ١٨٣)، وصححه الألباني (٣/ ١٠٦٤، ح٤٨٣٢)، أبو داود (٤٠٦٢) واللفظ له، أحمد (٣/ ٣٥٧)، وقال محققو الموسوعة الحديثية (٢٣/ ١٤٢، ح١٤٨٥٠): إسناده جيد، وخرجوه.

(٣) البخاري: الفتح (١/ ٢١٦، ح)، مسلم (٢٩٢)، النسائي (١/ ٣٠٢٩)، واللفظ له.

(٤) أبو داود (٤٨١)، وحسنه الألباني (١/ ٩٥).

(٥) مسلم (٥٥٣).

(٦) أبو داود (٦٥٠ - ٦٥١) واللفظ له، أحمد (٣/ ٢١)، وقال محققو الموسوعة الحديثية (١٨/ ٢٤٣، ح١١١٥٣)، إسناده صحيح على شرط مسلم، وخرجوه

(٧) النسائي (١/ ١٠)، وصححه الألباني (١/ ٤).

(٨) البخاري: الفتح (١/ ١٦٨)، مسلم (٢٦٨).

كان عنده رجل به أثر صُفْرَةٍ. وكان ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه. فلما قام الرجل، قال النبي ﷺ للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة»[١]. لأن الصفرة من أثر طيب النساء، ويكره للرجل أن يتطيب بما له لون. بل يتطيب بما له رائحة فقط.

ومثال عدم ذكره عيب الطعام واستحبابه مدحه، قول أبي هريرة ﷺ: (ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه)[٢].

وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ سأل أهله الأُدُمَ، فقالوا: ما عندنا إلا خَلٌّ، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نِعْمَ الأُدُمُ الخل، نعم الأُدُمُ الخل»[٣].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن الرسول ﷺ أُتِيَ له بقدر فيها خضروات من بُقُولٍ، فوجد لها ريحاً، فسأل، فأخبر بما فيها من البقول، فقال: «قرِّبوها» إلى بعض أصحابه، فلما رآه كَرِهَ أكلَها، قال: «كُلْ، فإنِّي أُناجِي من لا تُناجِي»[٤].

٨ - شجاعة النبي ﷺ:

قال أنس بن مالك ﷺ: (كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ الناسِ، وكان أَشْجَعَ الناس، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينة ذاتَ ليلةٍ، فانْطَلَقَ ناسٌ قِبَلَ الصوت، فالتقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تُرَاعُوا لم تُرَاعُوا»، وقال عن الفرس: «وجدناه بحراً»، أو: «إنه لبحر»، قال الراوي: وكان فرساً يُبَطَّأُ)[٥].

وقال علي ﷺ: (لما حضر البَأْسُ يومَ بدر اتقينا برسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس ما كان، أوَلم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه). وعنه من طريق ثانٍ، قال: (رَأَيْتُنَا يَوْمَ بدر ونَحْنُ نَلُوذُ برسول الله ﷺ، وهو أَقْرَبُنَا إلى العدو، وكان من أَشَدِّ الناسِ بَأْساً)[٦].

---

(١) أبو داود: ح٤٧٨٩، الترمذي: الشمائل (٢٣٩)، أحمد (٣/ ١٥٤، ١٦٠)، وإسناده صحيح.
(٢) البخاري (٥٤٠٩).
(٣) مسلم (٢٠٥٢).
(٤) البخاري (٥٤٥٣)، مسلم (٥٦٤)، واللفظ له.
(٥) مسلم (٢٣٠٧)، البخاري (٢٨٦٦، ٢٨٦٧)، مختصراً.
(٦) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٣٦)، أحمد: المسند (٢/ ٦٤، ح٦٥٤، شاكر)، وصحح الساعاتي وشاكر إسناده.

وقد وقفت على موقفه يوم بدر وأُحد وحنين، حين امتحن الله المسلمين.

٩ - حياؤه ﷺ:

قال أبو سعيد الخدري ﷺ: (كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)[١]. وقال عن الحياء: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[٢]. وروى ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ مر على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: (إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضرَّ بك)، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان»[٣].

وقال ﷺ: «إن مما أدْرَكَ الناسُ من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[٤].

أما الحق فلم يكن الرسول ﷺ يستحي منه، لأن ذلك من التفقه في الدين. فقد روت أم سلمة ﷺ أن أم سليم ﷺ جاءت إلى الرسول ﷺ فقالت: (يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟)، فقال: «نعم، إذا رأت الماء»[٥]. وقال: «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح»[٦]. وقال: إن لكل دين خُلُقاً، وخُلُقُ الإسلام الحياء»[٧].

وأمر بالاستحياء من الله، وعَرَّفَ هذا بقوله: «الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وَلْتَذْكُرِ الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[٨]. وقال: «الإيمان

---

(١) البخاري (٦١٠٢)، ورواه غيره.

(٢) البخاري (٦١١٧).

(٣) البخاري (٦١٨).

(٤) البخاري (٦١٢٠).

(٥) البخاري (٦١٢١).

(٦) الترمذي (١٠٨٠)، حسن لغيره بشواهده التي ذكرها الترمذي، مثل الطريق الأخرى التي عند أحمد (٦/ ٢٩٢/ ح٢٦٥٠٣)، وصححه محققو الموسوعة على شرط الشيخين، وحسنه السيوطي الجامع الصغير (٩١٩).

(٧) ابن ماجه (٤١٨١) و(٤١٨٢)، وقال محقق جامع الأصول (٣/ ٦٢٢): حسن بطرقه.

(٨) الترمذي (٢٤٥٨)، وقال: غريب، الحاكم (٤/ ٣٢٣)، وصححه ووافقه الذهبي ومحقق جامع الأصول (٣/ ٦١٦)، فإن له شواهد يقوى بها كما قال.

بضعٌ وستون شعبة[١]، والحياء شعبة من الإيمان»[٢]. وقال: «ما كان الفُحشُ في شيء قط إلا شانَهُ، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانَهُ»[٣].

وقالت عائشة ﵂: (كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيءٌ لم يقل: لِمَ قلت كذا وكذا؟ ولكنه يَقُمُّ فيقولُ: «ما بالُ أقوام قالوا كذا وكذا؟...»[٤].

١٠ - التيسير والحلم والرفق في حياته ﷺ:

جاء في الأثر المروي عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أن الرسول ﷺ ما خيِّر بين أمرين قَطُّ إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه[٥]. وقال: «... إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»، وقال في لفظ آخر: «إنكم أمة أريد بكم اليسر»[٦]. وقال: «علِّموا ويسِّروا ولا تعسِّروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت»[٧]. وقال: «حُرِّمَ على النار كُلُّ هين لين سهل قريب من الناس»[٨]. وقال: «دخل رجل الجنة بسماحته قاضياً ومتقاضياً»[٩]. وقال: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[١٠]. وقال: «من أنظَرَ معسراً - أو وضع عنه - أظله الله في ظله»[١١]. وقال: «من سره أن يُنجِيَهُ الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو

---

(١) شعبة: أي خصلة.

(٢) البخاري (٩)، واللفظ له، مسلم (٣٥)، ورواه أيضاً بلفظ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة».

(٣) الترمذي (١٩٧٤)، وحسنه، ابن ماجه (٤١٨٥)، واللفظ له، وحسنه محقق جامع الأصول (٣/ ٦٢٣)، وعزاه لأحمد والبخاري في الأدب المفرد.

(٤) السيوطي: صحيح الجامع الصغير بتحقيق الألباني (٥/ ، ح٥٤٤٨)، ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق (٧٠)، ورواته ثقات، وذكر من أخرجه.

(٥) البخاري (٦١٢٦)، واللفظ له، مسلم (٢٣٢٧).

(٦) أحمد (٥/ ٣٢)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١، ح٩٤).

(٧) أحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٣، ح٢١٣٦، ٢٥٥٦)، وقال شاكر في تحقيق المسند (٣/ ١٢، ١٩١): إسناده صحيح.

(٨) الترمذي (٢٤٨٨). وقال: حسن غريب، أحمد (١/ ٤١٥، ح٣٩٣٨)، وصححه شاكر (٦/ ١٨ - ١٩)، واللفظ له.

(٩) أحمد، وصحح شاكر إسناده (١١/ ١٦٠).

(١٠) البخاري (٢٠٧٦).

(١١) مسلم (٣٠٠٦). والإنظار: الإرجاء.

يضع عنه»[١]. وقال: «يسّروا ولا تعسّروا، وسكنوا ولا تنفروا»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن أعرابياً بَالَ في المسجد، فَثَارَ إليه الناس لِيَقَعُوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأَهْرِيقُوا على بوله ذَنُوباً من ماء، أو سَجْلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[٣].

وقال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[٤]، «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[٥]. وقال: «... وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شيء إلا شَانَهُ»[٦].

وعن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، فقال: «من هذه؟»، قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: «مَهْ، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ اللهُ حتى تملوا، وكان أحبُّ الدِّين إليه ما داوم عليه صاحبه»[٧].

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ رأى شيخاً يُهَادَى بين ابنيه، قال: «ما بالُ هذا؟»، قالوا: نذر أن يمشي، قال: «إن الله عن تعذيب هذا نَفْسَهُ لغنيٌّ»، وأمره أن يركب[٨].

عن معاوية بن الحكم السُّلمي ﷺ: صليت مع رسول الله ﷺ، فعطس رجل من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القومُ بأبصارهم، فقلت: وَاثُكْلَ أُمِّياه[٩]، ما شأنكم تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون أيديهم على أفخاذهم، فعرفت أنهم يُصَمِّتُونني، لكنني سَكَتُّ. فلما صلى رسول الله ﷺ؛ بأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا

---

(١) مسلم (١٥٦٣).
(٢) البخاري (٦١٢٥).
(٣) البخاري (٦١٢٨).
(٤) مسلم (٢٥٩٢).
(٥) مسلم (٢٥٩٢).
(٦) مسلم (٢٥٩٤).
(٧) البخاري (٤٣).
(٨) البخاري (١٨٦٥)، مسلم (١٦٤٢)، واللفظ له. وَيُهَادَى: يمشي بينهما متوكئاً عليهما لضعفه من كبر السن أو المرض.
(٩) وا: للندبة (النداء بالندبة)، والثكل: الفقد، وأمياه: أصلها أمي، والمعنى كأنه يتمنى أن يكون قد فقدته أمه ولم يأت بما أتى به.

بعده أَحْسَنَ تعليماً منه. فوالله! ما كَهَرَني[١] ولا ضربني ولا شتمني. قال: «إن هذه الصلاة لا يَصْلُحُ فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتي رسول الله ﷺ برجل قد شَرِبَ، فقال رسول الله ﷺ: «اضربوه» فمنا الضاربُ بيده، ومنا الضارب بِنَعْلِهِ، ومنا الضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا هكذا ولا تعينوا الشيطان عليه، ولكن قولوا: رحمك الله»[٣].

وعندما جاءه رجل واقع زوجته في نهار رمضان، وليس عنده الكفارة، أعطاه عَرَقاً[٤] فيه تمر ليتصدق به، فقال: أعلى أفقر منا؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «أطعمه عيالك»[٥].

وعن الحسن ﷺ أن أبا بَكْرَةَ ﷺ جاء رسول الله ﷺ راكع، فركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف، فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال: «زادك الله حرصاً، ولا تَعُدْ»[٦].

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه، قال: أظنها عائشة، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بِقَصْعَةٍ - أو صَحِفَة - فيها طعام، قال: فضربت الأخرى بيد الخادم فكسرت القَصْعَةَ بنصفين، قال: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «غارت أمكم»، قال: وأخذ الكِسْرَتَيْنِ فضم إحداهما إلى الأخرى، فجعل فيها الطعام، ثم قال: «كلوا» فأكلوا، وحَبَسَ الرسولَ ﷺ والقصعة حتى فَرَغُوا، فدفع إلى

---

(١) كهرني: أي ما قهرني ولا نهرني.

(٢) مسلم (٥٣٧)، أبو داود (٩٣٠)، أحمد (٥/ ٥٤٧، ٥٤٨)، الدارمي (١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤)، ابن خزيمة (٨٥٩)، عبد الرزاق (٣٥٧٧)، البغوي: الأنوار (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، وفي شرح السنة (٧٢٦)، الطيالسي: المسند (٤٨٦).

(٣) البخاري (٦٧٧٧، ٦٧٨١)، أبو داود (٤/ ٤٤٧٧)، أبو الشيخ: الأخلاق (٨٤).

(٤) عَرَقاً: أي بِكَتَلٍ ضَخْمٍ.

(٥) البخاري (٦٧٠٩)، مسلم (١١١١)، الترمذي (٧٢٤)، ابن ماجه (١٦٧١)، أحمد (٢/ ٢٤١، ٢٨١)، الدارمي (١٩٤٤ و١٩٤٥)، البيهقي: السنن (٤/ ٢٢١، ٢٢٤)، البغوي: الأنوار (٢٣٧).

(٦) البخاري برقم (٧٨٣)، أبو داود (٦٨٤)، النسائي (٢/ ١١٨)، أحمد (٥/ ٤٢، ٤٦، ٥٠)، البغوي: الأنوار (٢٣٨).

الرسول قصعة أخرى، وترك المكسورة مكانها[١].

وعن أبي أمامة ﷺ أن فتىً من قريش أتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله! ائذن لي في الزنى، فأقبل القوم عليه وَزَجَرُوه، فقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: «ادْنُهْ»، فدنا منه قريباً، فقال: «أتحبه لأمك؟»، قال: لا والله! جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». وأخذ الرسول ﷺ يعدد له أقاربه: الابنة والأخت والعمة والخالة... ثم وضع الرسول ﷺ يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فَرْجَهُ»، فلم يكن - أي الفتى - بعد ذلك، يلتفت إلى شيء[٢].

وعن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ كان يسمع بكاء الصبي وهو في الصلاة، فيقرأ بالسورة القصيرة، والسورة الخفيفة[٣].

وروي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ﷺ، قالا: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الغداة، وسمع بكاء صبي فخفف الصلاة، فقيل: يا رسول الله، خففت هذه الصلاة اليوم، فقال: «إني سمعت بكاء صبي، فخشيت أن يَفْتِنَ أُمَّهُ»[٤].

وقال مالك بن الحويرث ﷺ: كان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، أقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا قد اشتقنا، فسألنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال النبي ﷺ: «ارجعوا إلى أهاليكم، فأقيموا فيهم»[٥].

وقال أنس ﷺ: (كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبهُ جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت

---

(١) البخاري (٥٢٢٥)، أحمد (٣/ ١٠٥)، أبو داود (٣٥٦٧)، الترمذي (١٣٥٩)، النسائي (٧/ ٧٠)، ابن ماجه (٢٣٣٤)، الدارمي (٢/ ٢٥٩٨).

(٢) أحمد: المسند (٥/ ٢٥٧)، الهيثمي: المجمع (١/ ١٢٩)، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) مسلم (١٩١)، أحمد (٣/ ١٥٦).

(٤) البخاري (٦٢٨، ٢٣١)، مسلم (٢٩٢)، النسائي (٢/ ٩)، أحمد (٥/ ٢٥٣، ٤٣٦).

(٥) رواه أبو الشيخ في الأخلاق بإسناد ضعفه محققه - الصنابحي - وقال: ولكن الحديث قريباً من معناه في الصحيح وغيره من حديث أنس. ففي البخاري: «ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن يفتن أمه».

فضحك، ثم أمر له بعطاء)[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يُحَجِّرُهُ من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يُصَلُّون بصلاته، وَيَبْسُطُهُ بالنهار، فَثَابُوا ذات ليلة فقال: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تُطِيقُونَ فإن الله لا يَمَلُّ حتى تملوا، وإن أَحَبَّ الأعمال إلى الله ما دُوِمَ عليه وإن قَلَّ»، وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أَثْبَتُوه)[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (فما زال رسول الله ﷺ يعتذر إلى صفية، ويقول: «يا صفية إن آباك ألَّب عليَّ العرب»، وفعل، حتى ذهب ذلك من نفسها)[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ابتاع رسول الله ﷺ من رجل من الأعراب جَزُوراً[٤] أو جَزَائِرَ بِوَسْقٍ من تمر الدَّخْرَةِ[٥] فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمرَ فلم يجده، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال له: «يا عبد الله! إنا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسق من تمر الذخرة فالتمسناه فلم نجده»، قال: فقال الأعرابي: واغَدْرَاهُ، قالت: فَتَهَمَّهُ[٦] الناس وقالوا: قاتلك الله، أيَغْدِرُ رسول الله ﷺ؟. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «دعوه، فإن لصاحب الحَقِّ مقالاً»، ثم عاد له رسول الله ﷺ، فقال ما قال له من قبل، وكرر الرجل ما قال، وكرر الصحابة ما قالوا... فلما رآه لا يفقه عنه، قال لرجل من أصحابه: «اذهب إلى خُوَيْلَة بنت حكيم بن أمية فقل لها: رسول الله ﷺ يقول لك: إن كان عندك وسق من تمر فَأَسْلِفِينَاهُ حتى نُؤَدِّيَهُ إليك إن شاء الله». فذهب إليها الرجل، ثم رجع الرجل، فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله، فابعث من يَقْبِضُه، فقال رسول الله ﷺ للرجل: «اذهب به فأوفه الذي له». قالت: فذهب به فأوفاه الذي له. قالت: فمر الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه، فقال: جزاك الله خيراً، فقد أوفيت وأَطْيَبْتَ. قالت: فقال

---

(١) البخاري (٣١٤٩، ٥٨٠٩، ٦٠٨٨)، أحمد (٣/ ٢١٠) و(٣/ ٢٢٤)، أبو الشيخ (١٦٨).

(٢) البخاري (٥٨٦١)، مسلم (٧٨٦)، واللفظ له.

(٣) أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ (ص٧٣، ح١٦١)، بإسناد صحيح كما قال المحقق. وقال أخرجه أبو يعلى وابن عساكر كما في كنز العمال (١٣/ ٣٧٦،٣٠٩)، من حديث صفية بمعناه، الهيثمي: المجمع (١/ ١٥).

(٤) جزوراً: بعيراً.

(٥) الدَّخْرَة: العجوة. وفي السبل (٧/ ٤٠): الذُّخيرة، نوع من التمر.

(٦) تهمه: زجره.

رسول الله ﷺ: «أولئك خيارُ عِبَادِ الله عند الله يَوْمَ القيامة الموفون المُطَيَّبُونَ»[١].

وعن عروة بن الزبير قال: أقبل أعرابي على ناقة له حتى أناخ بباب المسجد، فدخل على نبي الله، وحمزة بن عبد المطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم النُّعَيْمَان، فقالوا للنعيمان: ويحك إن نَاقَتَهُ نَاوِية، يعني سمينة، فلو نحرتها فإنا قد قَرِمْنَا إلى اللحم، ولو قد فعلت غَرِمَهَا رسول الله ﷺ، وأكلنا لحماً، فقال: إني إن فعلت ذلك، وأخبرتموه بما صنعت، وَجَدَ عليَّ رسول الله ﷺ، قالوا: لا نفعل، فقام، فضرب في لَبَّتِهَا[٢]، ثم انطلق، فمر المقداد بن عمرو وقد حفر حفرة، وقد استخرج منها طيناً، فقال: يا مقداد غيبني في هذه الحفرة، وأطبق علي شيئاً، ولا تدل عليَّ أحداً، فإني قد أحدثت حَدَثاً، ففعل، فلما خرج الأعرابي رأى ناقته فصرخ، فخرج نبي الله ﷺ، فقال: «من فعل هذا؟»، قالوا: نعيمان، قال: «وأين توجه؟»، فتبعه رسول الله ﷺ، ومعه حمزة وأصحابه، حتى أتى على المقداد، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «هل رأيت لي نعيمان؟»، فصمت، فقال: «لتخبرني أين هو؟»، فقال: ما لي به علم؟ وأشار بيده إلى مكانه، فكشف رسول الله ﷺ فقال: «أي عدوُّ نفسه ما حملك على ما صنعت؟»، قال: والذي بعثك بالحق لأمرني به حمزة وأصحابه، وقالوا: كيت وكيت، فأرضى رسول الله ﷺ الأعرابي من ناقته، وقال: «شأنكم بها، فأكلوها». وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر صنيعه ضحك حتى تبدو نواجذه[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر

---

(١) أحمد (٦/ ٢٦٨)، واللفظ له. وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٤٠٠): إسناد أحمد صحيح. وحسن إسناده محققو الموسوعة الحديثية ـ المسند (٤٣/ ٢٦٣١٢)، ورواه غيره مختصراً: البخاري (٢٣٩٠)، مسلم (١٦٠١).

(٢) اللَّبَّة: وسط الصدر والمنحر، والجمع لَبَّات ولِبَابٌ ـ انظر اللسان، مادة: لبب.

(٣) أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ وآدابه، ص٨٣، ح١٨٠. قال المحقق: حديث مرسل، وفيه تدليس ابن إسحاق، وقد عنعنه، وفيه من لم أعرفهم. وقد أخرج الزبير بن بكار القصة في كتابه «الفكاهة والمزاح»، وذكره ابن حجر في الإصابة (٣/ ٥٧٠)، في ترجمة نعيمان.

ورسول الله ﷺ يضحك؛ فقال: أضحك الله سنَّك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابْتَدَرْنَ الحجاب». قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتَهَبْنَني ولا تَهَبْنَ رسولَ الله؟ فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيهًا يا ابنَ الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجًا قطُّ إلا سلكَ فجًا غيرَ فجِّك»[1].

وقد شمل حلمه حتى المنافقين، وقد وقفنا على موقفه من ابن أبيّ في حديث الإفك[2].

وكان يصلي على موتاهم حتى نُهي عن ذلك. فقد روي أنه استجاب لطلب عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول حين طلب قميص النبي ﷺ ليكفن فيه أباه عبد الله زعيم المنافقين وحين طلب أن يصلي عليه، قام النبي ﷺ ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوبه، فقال: يا رسول الله! أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيّرني الله، فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠][3]، وسأزيده على السبعين. قال: إنه منافق. قال: فصلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤][4]

وشمل حلمه اليهود فيما يتعلق بالحق الخاص به، ومن أمثلة ذلك: موقفه من زيد بن سُعْنَة - أحد أحبار اليهود - حينما جاءه يطلبه ديناً له، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ، وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي؟ إنكم يا بني عبد المطلب قوم مَطْلٌ، وشدد له في القول، فنظر إليه عمر بن الخطاب ﷺ وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، اتقول لرسول الله ما أسمع وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه

---

(١) البخاري (٣٦٨٣، ٦٠٨٥)، مسلم (٢٣٩٦)، واللفظ له.

(٢) انظر: أحداث غزوة المريسيع وتبوك و: البخاري (٤٩٠٥)، مسلم (٢٥٨٤). فقد كان عليه الصلاة والسلام يأخذهم بالظاهر.

(٣) من تكملتها: ﴿...فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ...﴾.

(٤) البخاري (٤٦٧٠)، مسلم (٢٧٧٤) والآية ٨٤ من سورة التوبة.

لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤدَة، وتبسم، ثم قال: «أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فأقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر - نظير ترويعه له -». فكان هذا سبباً في إسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: لم يبق شيءٌ من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل إلا حلماً)[1].

وشمل حلمه المؤلفة قلوبهم، ومن الأدلة على هذا: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بعث علي ﷺ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهيبة في أديم مقروظ[2] لم تُحصَّل[3] من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس التميمي، وزيد الخيل، والرابع إما عَلْقَمَة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً؟ قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز[4] الجبهة، كَثُّ اللحية، محلوق الرأس، مُشَمِّرُ الإزار، فقال: يا رسول الله! اتق الله، قال: «ويلك: أوَلستُ أحقَّ أهل الأرض أن يَتَّقِيَ الله؟ قال: ثم وَلَّى الرجل». فقال خالد بن الوليد ﷺ: يا رسول الله، ألا أضربُ عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي»، فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقبَ قُلوبَ الناس ولا أشُقَّ بطونهم». قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ، فقال: «إنه يخرج من ضِئْضِئِ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما

---

(١) الحاكم (٣/ ٦٠٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من غرر الحديث، ابن حبان: صحيحه (٢١٠٥ - موارد)، وأبو الشيخ: الأخلاق، ص٨١، ح١٧٩، وحسنه المحقق، وهو مروي هنا مطولاً. وفيه أنه تصدق بشطر ماله صدقة على أمة محمد، وكان أكثر اليهود مالاً، الهيثمي: المجمع (٨/ ٢٤٠)، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. . . .

(٢) مقروظ: أي جلد مدبوغ بالقرظ، وهو ورق السَّلَم.

(٣) تحصل: لم تخلص من ترابها.

(٤) ناشز: مرتفع.

يمرق السهم من الرَّمِيَّة». وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[١].

وقد دعا رسول الله ﷺ لأهل السماحة في التعامل، فقال: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى - [وفي رواية «قضى] -»[٢]. وضرب لأصحابه مثلاً بنتائج السماحة في التجارة، فقال: «كانه تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً، قال لفتيانه: تجاوزوا عنه؛ لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»[٣]. وقال: «من يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»[٤].

ولئن يتهم المسلم بالعجز خير له من أن يقع في الفجور في المخاصمة واللجاج، فقال: «يأتي عليكم زمان يخيَّر فيه الرجل بين العجز والفجور، فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور»[٥]. وقال محذراً عن الجدل المفضي إلى الخصومة: «أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ»[٦]. فالخصومة تفضي إلى الكذب، وهي نقيض السماحة والعفو، والسماحة من الإيمان، كما في قوله: «الإيمان: الصبر والسماحة»[٧].

١١ - الوصية بصلة الأرحام:

لقد أمر عليه الصلاة والسلام بالإحسان إلى ذوي القربى في كثير من الأحاديث، من ذلك قوله: «... وكل رحم آتية يوم القيام أمام صاحبها، تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها»[٨].

---

(١) البخاري: الفتح (١٦/ ١٨٧ - ١٨٩/ ح٤٣٥١)، مسلم: (٢/ ٧٤١/ ح١٠٦٤).

(٢) البخاري: الفتح، برقم (٢٠٧٦).

(٣) البخاري: الفتح (٢٠٧٨).

(٤) مسلم: (٢٦٩٩)، ابن ماجه: (١٤٦٧)، واللفظ له.

(٥) أحمد: المسند (١٣، ح٧٧٤٤ - الموسوعة)، و(١٤، ح٧٧٣٠ - شاكر)، وإسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي رواه عن أبي هريرة، كما قال محققو المسند في الموسوعة، وعينه الحاكم (٤/ ٤٣٨) بأنه سعيد بن أبي خيرة، ولكن لم يوثقه أحد غير ابن حبان، وهو متساهل في التوثيق.

(٦) البخاري: الفتح: (٢٧/ ١١٠/ ح٧١٨٨).

(٧) الألباني: صحيح الجامع، برقم (٢٧٩٥).

(٨) البخاري: الأدب المفرد مع شرحه (١/ ١٥٦، ح٧٣)، ورجاله ثقات، واللفظ له، المستدرك (٤/ ١٦١)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وقال: «إن أبرَّ البرِّ صلة الولد أهل ود أبيه»[١].

وعندما قال رجل للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «... تعبُدُ الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصِلُ الرَّحِمَ»[٢].

وقال: «إن الله لَيُعَمِّرُ بالقوم الديار، ويُثَمِّرُ لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم»، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «بصلتهم لأرحامهم»[٣].

وقال: «إن الرحم شُجْنَةٌ[٤] متمسكة بالعرش تَكَلَّمُ بلسان ذُلَقٍ[٥]، اللهم صِلْ من وصلني واقطع من قطعني، فيقول الله - تبارك وتعالى -: أنا الرحمن الرحيم، وإني شققت للرحم من اسمي، فمن وصلها وَصَلْتُهُ، ومن نكثها[٦] نكثته»[٧].

وقال: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطعَ من قطعك؟ قالت: بلى يا رَبِّ. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝﴾ [محمد: ٢٢-٢٤]»[٨].

وقال أبو ذر ﷺ: أوصاني خليلي أن لا تأخذني في الله لومة لائم، وأوصاني بصلة الرحم وإن أدْبَرَتْ»[٩].

---

(١) مسلم (٢٥٥٢)، وسبق ذكره في الحث على بر الوالدين.

(٢) البخاري (١٣٩٦)، واللفظ له، مسلم (١٤).

(٣) الحاكم (٤/ ١٦١)، وقال: صحيح غريب، ووافقه الذهبي، الهيثمي: المجمع (٨/ ١٥٢)، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٤) الشُّجْنَة: في الأصل الشعبة في غصن من أغصان الشجرة، والمعنى: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق. ويقال: شُجْنَة، بضم الشين.

(٥) ذلق: أي فصيح. وفي رواية: ذُلَق.

(٦) نكثها: أي قطعها.

(٧) الهيثمي: المجمع (٨/ ١٥١)، واللفظ له، وقال: رواه البزار وإسناده حسن، وأصله في البخاري (٥٩٨٨)، والأدب المفرد (١/ ٣٢ـ ٣٤، ح٥٣، ٥٤، ٥٥).

(٨) البخاري (٥٩٨٧)، مسلم (٢٥٥٤)، واللفظ له.

(٩) الهيثمي: المجمع (٨/ ١٥٤)، وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير والبزار في الزوائد، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير سلام بن المنذر وهو ثقة.

وقال: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»[١].

وقال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»[٢].

وقال: «صلة الرحم وحسن الجوار، أو حسن الخلق، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»[٣].

وعندما قال له أبو هريرة ﷺ: (أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة. قال: «أفشِ السلام، وأطعم الطعام، وصِلِ الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام»[٤].

وقال: «ليس شيءٌ أُطِيعَ اللهُ فيه أعْجَلَ ثواباً من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بَلاقع...»[٥].

وقال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها»[٦].

وقال: «من سره أن يبسط[٧] له في رزقه ويُنْسَأَ[٨] له في أثره[٩] فليصل رحمه»[١٠].

وقال: «من سره أن يُمَدَّ له في عمره ويوسع له في رزقه، ويُدْفَعَ عنه مِيتَةُ السوء فليتق الله، وليصل رَحِمَهُ»[١١].

---

(١) النسائي (٥/ ٩٢)، واللفظ له، الترمذي (٦٥٨)، وحسنه، ابن ماجه (١٨٤٤)، وحسنه محقق...

(٢) البخاري (٥٩٨٩)، مسلم (٢٥٥٥)، واللفظ له.

(٣) البخاري: الفتح (٤٢٩).

(٤) الحاكم (٤/ ١٦٠)، وصححه وأقره الذهبي، ومن حديث ابن سلام في الترمذي (٢٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والألباني في الصحيحة (٥٦٩).

(٥) البيهقي: السنن الكبرى (١٠/ ٦٢)، الألباني: صحيح الجامع (٢/ ٩٥٠، ح٥٣٩١).

(٦) البخاري (٥٩٩١).

(٧) يبسط له: يوسع له.

(٨) يُنْسَأ: يؤخر.

(٩) أثره: أجله.

(١٠) البخاري (٥٩٨٦)، مسلم (٥٢٥٧).

(١١) عبد الله بن أحمد بن حنبل: الزوائد على المسند (٣/ ١٥٦)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٢/ ٢٩٠، ح١٢١٦).

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[١].

وجمع عشيرته بمكة: بني كعب بن لؤي وبني مرة بن كعب وبني عبد شمس وبني عبد مناف وبني هاشم وبني عبد المطلب وابنته فاطمة، قائلاً لهم: «أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبُلُّهَا بِبِلالِهَا»[٢].

وكثيراً ما حث على صلة الوالدين المشركين والأقارب المشركين[٣]. ومن ذلك: عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم[٤]، إذ عاهدوا النبي ﷺ، مع أبيها، فاستفتيت النبي ﷺ، فقلت: إن أمّي قدمت وهي راغبة[٥]، قال: «نعم، صلي أُمَّكِ»[٦].

وقال في إعالة الأخوات: «لا يكون لأحد ثلاثُ بنات، أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن، إلا دخل الجنة»[٧].

١٢ - رحمته ﷺ:

رحمته بالأطفال:

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه، وهو صغير. وذلك عندما زاره وهو مُسْتَرْضَعٌ عند ظِئْرِهِ أبي سَيْفٍ الحَدَّاد[٨].

---

(١) البخاري (٦١٣٨)، واللفظ له، مسلم (٤٧).

(٢) مسلم (٢٠٤).

(٣) انظر: البخاري (٥٩٧٨، ٥٩٧٩، ٥٩٨١).

(٤) مدتهم: تعني أثناء سريان صلح الحديبية.

(٥) راغبة: يعني في صلتها.

(٦) البخاري (٥٩٧٩).

(٧) ممن رواه أبو داود، كتاب الأدب، ص١٢١، باب فضل من عال يتيماً، الترمذي، كتاب البر والصلة، ص١٣، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، البخاري: الأدب المفرد (١/ ٤٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٤).

(٨) البخاري (١٣٠٣)، مسلم (٢٣١٥).

وبشر عليه الصلاة والسلام بالجنة لمن يموت وله ثلاث من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ، بفضل رحمته إياهم[١].

وكانت تفيض عيناه لموتهم. وقد سَأَلَهُ مرة سعد بن عبادة: يا رسول الله ما هذا؟ فقال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[٢].

وحينما ذرفت عيناه لوفاة ابنه إبراهيم، قال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟، فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة لمن اتبعها بأخرى»، وقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٣].

وخرج ذات يوم على الصحابة ﷺ وأُمَامَةُ بنت ابن الربيع، ابنة ابنته زينب ﷺ، على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها[٤].

وَقَبَّلَ الحسن بن علي وعنده الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»[٥].

وجاء أعرابي فقال: أتقبّلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لك أن نَزَعَ الله من قلبك الرحمة»[٦].

وقال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»[٧].

وكان يحضر مجلسه بعض الغلمان العقلاء، فيحفظ لهم حقهم في مجلسه، ومن

---

(١) البخاري (١٣٨١). والحِنْثُ: البلوغُ أو الحلم.

(٢) البخاري (١٢٨٤).

(٣) البخاري (١٣٠٣).

(٤) البخاري (٥٩٩٦).

(٥) البخاري (٥٩٩٧).

(٦) البخاري (٥٩٩٨).

(٧) أبو داود (٤٩٤٣)، وعنده بدل «شرف»: «حق»، الترمذي (١٩٢٠)، واللفظ له، وقال: حسن صحيح، وحسن محققو رياض الصالحين (١٤٨) سنده، أحمد (٥/ ٣٢٣)، وزاد فيه: «ويعرف لعالمنا»، ولفظه: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». ورجح محقق الأدب المفرد - سمير الزهيري - حين قال: ليس في شيء من الكتب الستة. قال محققو الموسوعة الحديثية (٢٣٧٥٥): صحيح لغيره، دون قوله: «ويعرف لعالمنا».

الأدلة على هذا: عن سهل بن سعد ﷺ: أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب فشرب منه - وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ - فقال للغلام: «أَتَأْذَنُ لي أن أُعْطِيَ هؤلاء؟»، فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أُوثِرُ بنصيبي منك أحداً. قال: فَتَلَّهُ[1] رسولُ الله ﷺ في يَدِهِ[2].

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ يأخذني فَيُقْعِدُني على فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الحسنَ بن علي على فخذه الأخرى، ثم يَضُمُّهُمَا، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»)[3].

وقال أنس ﷺ: كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عُمَيْر - قال أحسبه فَطِيماً - وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير، ما فعل النُّغَيْرُ؟ نُغَرٌ كان يلعب به[4].

قال يوسف بن عبد الله بن سلام: (سماني رسول الله ﷺ يوسف وأقعدني في حجره ومسح على رأسي)[5].

وكان يردف الأطفال معه على الدابة. قال ابن الزبير لابن جعفر ﷺ: (أتذكر إذ تَلَقَّيْنا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال: نعم، فحملنا وتركك)[6]. وفي رواية: أن القائل هو عبد الله بن جعفر لعبد الله بن الزبير ﷺ[7].

وعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال: (رأيتني وقُثَم وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي ﷺ على دابة، فقال: «ارفعوا هذا إليَّ»، فحملني أمامه، وقال لقثم: «ارفعوا هذا إليَّ»، فحمله وراءه)[8].

---

(١) فتله في يده: أي ألقاه في يده. وفي التنزيل: ﴿فَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣].

(٢) البخاري (٥٦٢٠)، مسلم (٢٠٣٠)، واللفظ للبخاري.

(٣) البخاري (٦٠٠٣).

(٤) البخاري (٦٢٠٣)، مسلم (٢١٥٠).

(٥) الترمذي: الشمائل، ص١٩٠، برقم ٣٣٩، وقال المحقق: إسناده صحيح، الحميدي (٨٦٩)، أحمد (٤/ ٣٥)، و(٦/ ٦)، البخاري: الأدب المفرد (٣٦٧ و٨٣٨).

(٦) البخاري (٣٠٨٢)، مسلم (٢٤٢٧).

(٧) مسلم (٢٤٢٧).

(٨) أحمد (٣/ ١٧٦٠)، وقال المحقق: إسناده صحيح، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ورجاله ثقات، الحاكم (٣/ ٥٦٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

وفي رواية لمسلم[١]: أنه أردف مع ابن جعفر أحد ابني فاطمة، وصرح في رواية إنهما الحسن أو الحسين.

وفي رواية: أنه أردف ذات يوم عبد الله بن جعفر وأسر إليه حديثاً، قال عبد الله إنه لن يبوح بسر النبي ﷺ[٢]. وأردف عبد الله بن عباس، وغيره[٣].

وكان يَصُفُّ أبناء عمه العباس للسباق: عبد الله وعبيد الله وكُثَير، ويقول: «من سبق إليَّ فله كذا وكذا»، فيسبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم[٤].

وكان عندما يزور أصحابه الأنصار يسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم[٥].

قال أبو هريرة ﷺ: (سمع أذناي هاتان، وبصر عيناي هاتان، رسول الله ﷺ أخذ بيديه جميعاً بكفيْ الحسن أو الحسين، وقدميه[٦] على قدم رسول الله ﷺ، ورسول الله يقول: «ارْقَهْ»، قال: فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: «افتح فاك»، ثم قبَّله، ثم قال: «اللهم أحبَّه فإني أُحِبُّهُ»[٧]. وفي رواية أنه كان يُرَقِّصُهُ ويقول: «حُزُقَّة حُزُقَّة، تَرَقَّ عينَ بقَّة»[٨]، فترقى الغلام حتى وضع قدميه على صدره[٩].

---

(١) برقم (٢٤٢٨).

(٢) مسلم (٢٤٢٩).

(٣) الترمذي (٢٥١٦).

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ١٧)، وقال: رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن الحارث.

(٥) زوائد ابن حبان، عن أنس ﷺ.

(٦) أي جعل قدميه.

(٧) البخاري: الأدب المفرد (١/ ١٣١، ح٢٤٩)، تحقيق سمير الزهيري، وضعفه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣٤٨٦).

(٩) ابن أبي شيبة: المصنف (٦/ ٣٨٠، رقم ٣٢٩٣)، ابن أبي الدنيا: العيال، ص٢٠٩، من دون لفظة «حزقة»، الطبراني: الكبير (٣/ ٤٩، رقم ٢٦٥٣)، ابن أبي السني: عمل اليوم والليلة، ص٤٢٣، الرامهرمزي: أمثال الحديث، ص١٢٩، الضبي: الزوائد على فضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/ ٧٨٧)، ابن ماكولا: مستمر الأوهام، ص٦٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق (١٣/ ١٩٤)، (٢٤/ ٤٦٠)، البخاري: الأدب المفرد، ص٢٧٠، مختصراً. هذا تخريج الدكتور الدريس، حذفنا ذكره أسانيد كل مصدر، وذلك للاختصار. وذكر حكم العلماء على هذا الحديث، وهو قوله: «قال الهيثمي =

وعن أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ كان يأخذه والحسن، فيقول: «اللهم أحبهما فإني أحبهما»[١].

وعن البراء ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»[٢].

وعن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أم خالد بنت خالد، قالت: أُتِيَ النبي ﷺ بثياب فيها خميصة[٣] سوداء صغيرة، فقال: «من ترون أن نكسو هذه؟»، فسكت القوم، فقال: «ائتوني بأم خالد»، فأتي بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها إياها، وقال: «أبلي وأخلقي»[٤]. وكان فيها علم أخضر وأصفر، فقال: «يا أم خالد: هذا سَنَاه»، وسناه في لسان الحبش: الحسن[٥].

ونهى عن قتل الأطفال في الحروب[٦].

= في المجمع (٩/ ١٧٦): (رواه الطبراني، وفيه أبو مزرد، ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح). وقال المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير (١/ ٤٩٦): (وفي إسناده مجهول، وبقيته ثقات). وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٧/ ٤٨٣): (ورجاله كلهم ثقات معروفون غير أبي مزرد... أشار الذهبي إلى جهالته بقوله: (تفرد عنه ولده)، وأورد هذا الحديث في ضعيف الجامع الصغير (٣/ ٩٦، رقم ٢٧٠٨). وأما الدميري في حياة الحيوان (١/ ١٥٤) فقد قال: (رواه الطبراني بإسناد جيد). ووافق الشيخ عبد الله الغماري الدميري في حكمه على الحديث بجودة الإسناد كما في كتابه «إعلام النبيل بجواز التقبيل»، ص٦). ثم لخص الدكتور خالد الدريس حكمه على الحديث في قوله: (والراجح هو القول بضعف الحديث لجهالة أبي مزرد، لأنه لم يرو عنه إلا ابنه كما ذكر المزي في تهذيب الكمال (٣٤/ ٢٨٦، ترجمة رقم ٧٦٢٣)... ». والحزقة: الضعيف المتقارب الخطو من الضعف، وقيل: القصير العظيم البطن، ذكرها للمداعبة، وترق: بمعنى أصعد، وعين بقة: صغيرة. انظر: معرفة الحديث لأبي عبد الله الحاكم، ص٩٠، المناوي: في شرحه للحديث في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ٣٨٢).

(١) البخاري (٣٧٣٥).

(٢) البخاري (٣٧٤٩).

(٣) الخميصة: ثوب خز أو صوف معلَّم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا إذا كانت سوداء معلَّمة.

(٤) أبلي وأخلقي: دعاء لها بطول العمر حتى يبلى الثوب ويخلق، أي يرقع، وفي رواية: «وأخلقي»، أي إذا أبلته أو نفعته بطول الاستعمال يخلف الله لها عليها بآخر. انظر: ابن حجر في شرحه.

(٥) البخاري (٥٨٢٣، ٥٩٩٣)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ٤٣٢).

(٦) البخاري (٣٠١)، مسلم (١٧٤٤).

وكان إذا مر بصبيان سلَّم عليهم[١].

ومن عظيم خلقه، ما روى أنس ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنس، أذهبت حيث أمرتك؟»، قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته لِمَ فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته، هلا فعلت كذا وكذا)[٢].

وفي رواية عنه: أنه كان لا يعنفه، قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ، ولا: لِمَ صنعت؟ ولا: ألا صنعت؟[٣].

ومن رحمته بالأطفال أو الصبيان أنه كان يعاملهم معاملة الكبار، فيحرص على تعلمهم الآداب وأسس العقيدة. فعن عبد الله بن عباس ﷺ قال: (كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحُفُ»)[٤].

وعن عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: (كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة[٥]، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، قال: فما زالت تلك طُعْمَتي بعد)[٦].

وكان يحملهم الأمانات لقضاء الحاجات ليتعلموا تحمل المسؤولية منذ الصغر.

---

(١) مسلم (٢١٦٨)، البخاري (٦٢٤٧).
(٢) مسلم (٢٣٠٩، ٢٣١٠).
(٣) البخاري (٦٠٣٨).
(٤) الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم (٢٠٤٣).
(٥) الصحفة: الصحن، أو إناء الطعام الذي يؤكل فيه.
(٦) البخاري (٥٣٧٦)، مسلم (٢٠٢٢).

قال أنس ﷺ: (أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت، قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رسول الله ﷺ أحداً، قال: والله لو حَدَّثْتُ به أحداً لَحَدَّثْتُكَ به يا ثَابِتُ البناني[1]).

١٣ - رحمته ﷺ بالمرضى:

عندما مرض سعد بن عبادة ﷺ ذات مرة، عاده فوجده في حضرة أهله، فقال: «قد قضى؟»، قالوا: (لا يا رسول الله)، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم»[2].

وذكرنا عدة أحاديث عن رحمته بالمرضى عند الكلام عن رحمته بالضعفاء عموماً - الفقرات: ٢١ - ٢٨، ص٤١١، ٤١٢.

١٤ - رحمته ﷺ بالإناث:

شبه النبي ﷺ النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة والرقة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن، ولذا فإنهن بحاجة إلى الرحمة والرفق. وله توجيهات كثيرة ومواقف عملية في هذا المجال. ومن أبرز الأمثلة على هذا:

١ - كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وكانت معه نساء منهن أم سُلَيْم، وغلام أسود يقال له أَنْجَشَة يحدو، فقال له النبي ﷺ: «يا أنجشة رُوَيْدَكَ، سَوْقَكَ بالقَوَارِير»[3].

٢ - وقد عثرت ناقته ذات يوم، ومعه عليها زوجته صفية ﷺ، فطرحتها على الأرض، فلحق بهما أبو طلحة ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «عليك بالمرأة»[4].

---

(١) البخاري (٦٢٨٩)، مسلم (٢٤٨٢)، وعند أحمد (٣/ ١٧٤) بإسناد صحيح ما يدل على أن الحاجة المعنية سر، إذ طلب منه حين عودته ألا يخبر أحداً. وثابت هو ثابت البناني.

(٢) البخاري (١٣٠٤).

(٣) البخاري (٦١٤٩، ٦١٦١، ٦٢٠٢، ٦٢٠٩، ٦٢١١).

(٤) البخاري (٦١٨٥).

٣ - روى أنس أن النبي ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو»، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ[١].

٤ - وقال عليه الصلاة والسلام: «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سِتْراً من النار»[٢].

٥ - وقال ﷺ: «أفضل الصدقة إعانتك ابنتك الفقيرة التي رفضها زوجها، وليس لها غيرك»[٣].

٦ - وكان عليه الصلاة والسلام يحب بناته حباً جماً. فقد روي أن ابنته فاطمة كانت عندما تأتيه يقوم لها، ويأخذ بيدها ويقبلها ويجلسها في مكانه الذي كان يجلس فيه[٤].

٧ - وقال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»[٥].

٨ - عن إياس بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله». فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: ذَئِرْنَ[٦] النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن. فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم»[٧].

٩ - وقال: «خيركم خير للنساء»[٨].

١٠ - وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»؛ وزاد ابن عساكر في روايته: «ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن

---

(١) مسلم (٢٦٢٩).
(٢) البخاري (٥٩٩٥)، مسلم (٢٦٣١).
(٣) البخاري (٧/ ٧٥، كتاب الأدب، باب ١٨)، ابن ماجه (٣٦١١).
(٤) أبو داود (٥٢١٧).
(٥) البخاري (٧٠٧)، مسلم (٤٧٠).
(٦) ذَئِرْن: تَجَرَّأْنَ.
(٧) أبو داود (٢١٤٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٤٠٣).
(٨) الحاكم: المستدرك (٤/ ١٧٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

إلا لئيم»[١].

١١ - وعنها - عائشة ﵂ - أن النبي ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً؛ وخياركم خياركم لنسائهم»[٢]، وفي رواية: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»[٣].

١٢ - وقال: «من أعظم الأمور أجراً النفقة على الأهل»[٤].

١٣ - وقال ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قُرَّةُ عيني في الصلاة»[٥].

١٤ وكان يهدي إلى خلائل خديجة ﵂ بعد مماتها. وقد أقرت عائشة ﵂ بأنها كانت تغار من هذا المسلك منه عليه الصلاة والسلام[٦].

١٥ - روي أنه وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية ﵂ رجلها حتى تركب على بعيرها[٧].

١٦ - وقال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»[٨].

١٧ - ومما قاله في خطبة الوداع: «... فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن

---

(١) رواه ابن عساكر عن علي ﵁، والترمذي عن عائشة ﵂، وابن ماجه عن ابن عباس ﵄ (١/ ٦٣٦، ح١٩٧٨)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده على شرط الشيخين.

(٢) أحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢) بإسناد حسن، الترمذي (٤، ح١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أحمد (٦/ ٤٧)، صحيح لغيره، كما قال محققو الموسوعة (٣٤٢٠٤). الترمذي (٧/ ٢٧٧، ح٢٦١٥)، وقال: حسن صحيح.

(٤) مسلم (٩٩٥، ٩٩٤).

(٥) أبو الشيخ: الأخلاق، ص١٠١، برقم (٢٣٢)، بإسناد ضعيف يتقوى بالشواهد والمتابعات، أحمد (٣/ ١٩٩، ٢٨٥)، واللفظ له، وحسن محققو الموسوعة إسناده (١٣٠٥٧). الحاكم (٢/ ١٦٠)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٦) البخاري (٣٨٢١).

(٧) البخاري (٤٢١١).

(٨) البخاري (٥١٨٦) و(٣٣٣١)، مسلم (١٤٦٨) و(٥١٨٦)، واللفظ للبخاري.

خيراً، فإنهن عوان عندكم، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاعقلوا أيها الناس، واسمعوا قولي، فإني قد بلغت...»[١].

١٨ - وقال في النهي عن ضرب الزوجة: «لِمَ يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الفَحْلِ ثُمَّ لَعَلَّهُ يُعَانِقُهَا»، وفي رواية: «... جَلْدَ العَبْدِ...»[٢].

١٩ - وعندما رأى الرسول ﷺ يعقد المجالس العلمية التربوية للرجال، طالبن بمجلس خاص لهن معه ليَقُلْنَ ما يُرِدْنَهُ في أُمُورِهِنَّ الخاصة والعامة[٣].

٢٠ - وكان يخصهن بالوعظ حين يحضرن معه صلاة العيد. وعندما قال ذات مرة في إحدى هذه المناسبات: «... تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»، فقالت امرأة من سِطَةِ[٤] النساء سَفْعَاءُ[٥] الخدين، فقالت: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «لأنكن تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ»، قال - الراوي - جابر: «فجعلن يتصدقن من حُلِيِّهِنَّ يُلْقِينَ في ثوب بلال من أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِيمِهِنَّ»[٦].

٢١ - وعن جابر ﷺ قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يَطْرُقَ الرجلُ أهلَهُ ليلاً، يَتَخَوَّنَهُمْ، أو يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ)[٧].

٢٢ - عن معاوية القُشَيْرِيِّ ﷺ قال: (قلت: يا رسول الله، ما حَقُّ زوجة أحدنا عليه؟، قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا

---

(١) الترمذي (١١٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح، ابن ماجه (١٨٥١) و(٣٠٧٤)، وله شاهد عند الإمام أحمد في المسند (٥/٧٢، ٧٣)، مسلم (٨٨٩)، أبو داود (١٩٠٥)، ابن الجارود: المنتقى (٤٦٩)، الدارمي (١٨٥٧).

(٢) البخاري (٦٠٤٢).

(٣) البخاري (٧٣١٠)، مسلم (٢٦٣٣).

(٤) سِطَة: أي من خيارهن، والوسط: العدل والخيار.

(٥) سفعاء: فيها سواد مشرب بحمرة، والذكر: أسفع.

(٦) مسلم (٨٨٥). والشكاة: الشكوى، وكفران العشير عند الأكثر هو الزوج، وقال آخرون: المعنى كل مخالط لهن، والقرط: ما يعلق في الأذن.

(٧) البخاري (١٨٠١، ٥٢٤٣)، مسلم (١٩٢٨)، واللفظ له.

تضرب الوجه، ولا تُقَبِّح[١] ولا تَهْجُر إلا في البيت»[٢].

٢٣ ـ ومن دلائل كريم خلقه وحسن عشرته ورحمته بالنساء عامة وزوجاته بصفة خاصة، إصغائه إلى حديث عائشة ﵂، وهي تحدثه عن قصة وقعت في الجاهلية، من نساء اجتمعن وتعاقدن على أن تخبر كل واحدة منهن عن مواقف زوجها معها، من حيث الأخلاق والمعاملة والمعاشرة. وعرف هذا الحديث بحديث أُمِّ زَرْعٍ. وفيه مُلَحٌ وفُكَاهَةٌ يَسْتَأْنِسُ بها القلبُ، وتدل على الملاطفة والسَّمَرِ البَرِيء المفيد. ونصه:

روى الشيخان[٣] والترمذي[٤] ـ واللفظ له ـ عن عائشة ﵂، قالت: (جلست إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يَكْتُمْنَ من أخبار أزواجهن شيئاً:

* فقالت الأولى: زوجي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ، على رأس جبل وَعِرٍ، لا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى، ولا سَمِينٌ فينتقل[٥].

* قالت الثانية: زوجي لا أَبُثُّ ـ أو أُثِيرُ ـ خبره، إني أخاف ألا أَذَرَهُ، إنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ[٦].

* قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق إن أَنْطِقْ أُطَلَّقْ، وإن أَسْكُتْ أُعَلَّقْ[٧].

* قالت الرابعة: زوجي كَلَيْلِ تِهَامَةَ، لا حَرٌّ ولا قَرٌّ، ولا مخافةَ ولا سآمةَ[٨].

---

(١) ولا تقبح: أي لا تقول لها: قبحك الله، كما في رواية أبي داود.

(٢) أبو داود (٢١٤٢)، واللفظ له، وقال الألباني (٣/ ٤٠٢): حسن صحيح. وقال محقق جامع الأصول (٦/ ٥٠٥): إسناده حسن.

(٣) البخاري (٥١٨٩)، مسلم (٢٤٤٨).

(٤) مختصر الشمائل، ص١٣٤ ـ ١٤٢، رقم ٢١٥، وصححه محققه الألباني.

(٥) تشبه زوجها في رداءته بلحم جمل شديد الهزال، على رأس جبل وعر. والمعنى: أن زوجها متكبر سيء الخلق، لا يوصل إليه إلا بمشقة، ولا ينفع زوجته في عشرة ولا في غيرها.

(٦) تعني: أنها لا تنشر ولا تظهر خبره، ثم علللت ذلك بقولها: إني أخاف أن لا أذره، أي أن لا أتركه، يعني: تخاف أن يطلقها إذا ذكرته. وقيل: إنها تخاف أن لا تذره بعد الشروع في خبره. والعجر والبجر: العيوب الظاهرة والخفية.

(٧) العشنق: يعني السيئ الخلق، السفيه.

(٨) تهامة: هي مكة وما حولها من الأغوار، والمعنى: أنها تصفه بكمال الاعتدال في أموره، وسهولة أخلاقه. والقر: البرد.

* قالت الخامسة: زوجي إن دخل فَهِدَ، وإن خرج أَسِدَ، ولا يسأل عمَّا عَهِدَ[١].

* قالت السادسة: زوجي إن أكل لَفَّ، وإن شرب اشْتَفَّ، وإن اضطجعَ الْتَفَّ، ولا يُولِجُ الكَفَّ لِيَعْلَمَ البثَّ[٢].

* قالت السابعة: زوجي عَيَايَاءُ - أو غَيَايَاءُ - طَبَاقَاءُ، كلُّ داءٍ له داء، شَجَّكِ أو فَلَّكِ، أو جَمَعَ كُلًّا لَكِ[٣].

* قالت الثامنة: زوجي المَسُّ مَسُّ أرنب، والريح ريح زَرْنَب[٤].

* قالت التاسعة: زوجي رفيعُ العماد طويلُ النِّجَاد، عظيم الرَّمَادِ، قريبُ البيت من النَّادِ[٥].

---

(١) تعني: أنه كالأسد في الحروب: قوة وشجاعة، أما في البيت فلا يسأل عن أمور الطعام والشراب وغيرهما لجوده وكرمه، ويكثر من النوم كالفهد.

(٢) قال محمد عبد الباقي، محقق صحيح مسلم: قال العلماء: اللف في الطعام الإكثار منه مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقي منها شيء. والاشتفاف في الشرب أن يستوعب جميع ما في الإناء: مأخوذ من الشفافة، وهي ما بقي في الإناء من الشراب، فإذا شربها قيل: اشتفها وتشافها. وقولها: ولا يولج الكف ليعلم البث. قال أبو عبيد: أحسبه كان بجسدها عيب أو داء كُنَّتْ به، لأن البث الحزن، فكان لا يدخل يده في ثوبها ليمس ذلك فيشق عليها، فوصفته بالمروءة وكرم الخلق. قال الهروي: قال ابن الأعرابي: هذا ذم له. أرادت وإن اضطجع ورقد التف في ثيابه في ناحية ولم يضاجعني ليعلم ما عندي من محبته. قال: ولا يك هناك إلا محبتها الذي من زوجها.

(٣) عياياء: أي عاجز عن إحكام أموره وتدبيرها، وقيل: العِنِّين: الذي يعجز عن المضاجعة. وغيايا: ذو ضلالة وغي أو خيبة. وطباقاء: أحمق، إذا اجتمعت عليه الأمور، فلا يهتدي لها. وقيل: الذي يعجز عن الكلام. وكل داء له داء: أي جميع أدواء الناس مجتمعة فيه. شجك: جرحك في الرأس. والفل: الكسر والضرب. ومعناه: أنه معها بين شج رأس وضرب وكسر عضو، أو جمع بينهما. وقيل: المراد بالفل: الخصومة.

(٤) تمدحه بأن مسه كمس الأرنب في اللين والنعومة، وبأنه طيب الرائحة كريح الزرنب: وهو نبات طيب الرائحة.

(٥) رفيع العماد: كناية عن علو حسبه وشرف نسبه، وقيل: إن بيته الذي يسكنه رفيع العيدان التي تعمد بها البيوت ليراه الضيوف وأصحاب الحوائج فيقصدوه. والنجاد: حمائل السيف، فالطويل يحتاج إلى طول حمائل سيفه، وهو مدح عند العرب. وعظم الرماد: كثرته، وهو دليل كرمه وكثرة من يقصده ويطبخ لهم الطعام، فيكثر الرماد، أو يكثر لأن ناره تظل مشتعلة طوال الليل في مكان عالٍ *

* قالت العاشرة: زوجي مالكٌ، وما مالكٌ؟ مالكٌ خيرٌ من ذلك، له إبل كثيراتُ المَبَارِكِ، قليلاتُ المَسَارِحِ، إذا سمعن صَوْتَ المِزْهَرِ، أيقن أنهن هَوَالِكُ[1].

* قالت الحادية عَشْرَةَ: زوجي أبو زرعٍ. فما أبو زرعٍ؟ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وملأ من شحم عَضُدَيَّ. وبَجَّحَنِي فَبَجَحَتْ إليَّ نفسي، وَجَدَنِي في أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ. فجعلني في أهلِ صَهِيلٍ وأطيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ. فعندَه أقول فلا أُقَبَّحُ، وأرقد فَأَتَصَبَّحُ، وأشرب فَأَتَقَنَّحُ، أم أبي زرعٍ، فما أُمُّ أبي زرعٍ؟ عُكُومُهَا رواحٌ وبيتُها فَسَاحٌ، ابن أبي زرعٍ، فما ابن أبي زرعٍ؟ مَضْجِعُهُ كَمِسَلِّ شَطْبَةٍ، ويشبعه ذراعُ الجَفْرَةِ، بنت أبي زرعٍ فما بنت أبي زرعٍ؟ طَوْعُ أبيها وطوعُ أُمِّهَا، وملءُ كِسَائِهَا وغَيْظُ جارتِها، جاريةُ أبي زرعٍ فما جارية أبي زرعٍ؟ لا تَبُثُّ حديثنا تَبْثِيثاً، ولا تَنْقُثُ ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً. قالت: خرج أبو زرعٍ والأوطاب تُمْخَضُ، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفَهْدَيْنِ. يلعبان من تحت خَصْرِها برمانتين. فطلقني ونكحها. فنكحت بعده رجلاً سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا. وأخذ خَطِّيًّا. وأراح عليَّ نَعَماً ثَرِيًّا. وأعطاني من كل رائحة زوجاً. وقال: كُلِي أم زرعٍ وميري أَهْلَكِ. قالت: فلو جمعت كل شيءٍ أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرعٍ. قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «كنت لك كأبي زرعٍ لأم زرعٍ»[2].

---

* ليراها الضيوف فيقصدون صاحبها. والنادي والندي: مجلس القوم، يأخذون حاجاتهم لمجلسهم من أقرب البيوت إلى النادي، ولا يسكن قرب النادي إلا الكريم.

(١) أي: أن زوجها مالك له إبل كثيرة باركة بفناء داره، لا تسرح إلا قليلاً، لتكون هي كل وقت في متناول يده للحلب منها للضيف وللذبح له كذلك. والمزهر: آلة الطرب، يقربها للضيوف مع الشراب، فإذا سمعت الإبل صوت المزهر علمت أنها منحورة لا محالة بحكم عادة سيدها.

(٢) النوس: الحركة من كل شيء متدلٍ، أي حلاني بأقراط ومثلها، فهي تتحرك لكثرتها. ملأ من شحم عضدي: أي ملأ بدني شحماً. وبجحني فبجحت إلى نفسي: أي فرحني ففرحت، أو: وعظمني فعظمت عند نفسي. وجدني في أهل غنيمة بشق: غنيمة: تصغير غنم. أرادت أن أهلها كانوا أصحاب أغنام، لا أصحاب خيل وإبل، لأن الصهيل أصوات الخيل، والأطيط: أصوات الإبل وحنينها، والحرب تعتد بالخيل والإبل. وبشق: يعني بجانب جبل لقلتهم وقلة غنمهم. دائس ومنق: الدائس هو الذي يدوس الزرع في بيدره. ومنق: من نقى الطعام ينقيه، أي يخرجه من تبنه ونشوره. والمقصود أنه صاحب زرع يدوسه وينقيه فعنده أقول فلا أقبح: لا يقبح قولي فيرد. أتصبح: النوم بعد الصباح =

جاء في رواية الهيثم بن عدي: (كنت لك كأبي زرع لأم زرع، في الألفة والوفاء، لا في الفرقة والجلاء).

وزاد الطبراني في روايته: (إلا أنه طلقها، وإني لا أطلقك).

وزاد النسائي في عُشْرَة النساء ـ والطبراني: قالت عائشة ﵂: (يا رسول الله، بل أنت خيرٌ من أبي زرع).

= لوجود من يكفيها مؤونة الخدمة. فأتقنح: أنطع الشرب وأنهل فيه، يعني تشرب حتى تروى وتدع الشراب من شدة الري. عكومها رداح: العكوم: الأعدل، جمع عكم، والرداح العظيمة. والمعنى: أن أعدالها وأوعية طعامها عظيمة ثقيلة. وبيتها فساح: واسع، ويحتمل إرادتها كثرة الخيل والنعم.

مضجعه كمسل شطبة: أي مهفهف خفيف اللحم كالشطبة، وهو ما يمدح به الرجل، والشطبة: ما شطب من جريد النخل، أي شق، وهي السعفة، أرادت أنه كالسيف سل من غمده. تشبعه ذراع الجفرة: الأنثى من أولاد المعز، وقيل من الضأن، وهي ما بلغت أربعة أشهر وفصلت من أمها، والمراد أنه قليل الأكل، والعرب تمدح به. وغيظ جارتها: أي ضرتها، يغيظها ما ترى من حسنها وجمالها وعفتها وأدبها. لا تبث حديثنا تبثيثاً: لا تشيعه وتظهره، بل تكتم سرنا وحديثنا كله. ولا تنقث ميرتنا تنقيثاً: الميرة: الطعام المجلوب، معناه: لا تفسده ولا تفرقه ولا تذهب به، ومعناه: وصفها بالأمانة. ولا تملأ بيتنا تعشيشاً: لا تترك الكناسة والقمامة فيه متفرقة كعش الطائر، بل هي مصلحة للبيت معتنية بتنظيفه وترتيبه.

والأوطاب تمخض: الأوطاب: مفردها وطب، وهي أسقية اللبن التي يستخرج منها الزبدة بوضع الماء فيه وتحريكه. نسميه في السودان: خضُّ اللبن، وقيل: وطبة المفرد، ومخضت اللبن مخضاً: إذا استخرجت زبده. أرادت أن الوقت الذي خرج فيه كان في زمن الخصب وطيب الربيع. قال الحافظ في الفتح: قلت: وكأن سبب ذكر ذلك توطئة للباعث على رؤيه أبي زرع للمرأة على الحالة التي رآها عليها، أي أنها من مخض اللبن نبت فاستلقت تستريح فرآها أبو زرع على ذلك.

يلعبان من تحت خصرها برمانتين: أي أنها ذات كفل ـ عجيزة ـ عظيم، فإذا استلقت على قفاها نتأ الكفل بها من الأرض حتى تصير تحتها فجوة يجري فيها الرمان.

رجلاً سريًا ركب شريًا: سريًا: سيداً وشريفاً، وقيل: سخياً. وشريًا: هو الفرس الذي يستشري في سيره، أي يلح ويمضي بلا فتور. وأخذ خطياً: الخطي: الرمح، منسوب إلى الخط، وهي قرية من ساحل البحر، أي ساحله. عند عمان والبحرين. وأراح عليَّ نعماً ثريًا: أتى بها إلى مراحها، وهو موضع مبيتها. والنعم: الإبل والبقر والغنم، ويحتمل أن المراد هنا الإبل. الثري: الكثير المال وغيره.

وأعطاني من كل رائحة زوجاً: والرائحة: ما يروح به من النعم. وزوجاً: اثنين، ويحتمل أنها أرادت صنفاً واحداً منها، والزوج يقع على الصنف. وميري أهلك: أي أعطيهم وأفضلي عليهم وصليهم.

كنت لك كأبي زرع: هو تطييب لنفسها وإيضاح لحسن عشرته إياها. ومعناه: أنا لك كأبي زرع.

وفي رواية النسائي: أنه ﷺ هو الذي ابتدأ الحديث، فقال لعائشة رضي الله عنها: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»، فقالت رضي الله عنها: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وما كان أبو زرع؟ فقال: «اجتمع نساء...» الحديث بتمامه)[١].

٢٤ - وكان يهتم بمعرفة أحوالهن. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما رجع النبي ﷺ من حجته، قال لأم سنان الأنصارية: «ما منعك من الحج؟» قالت: أبو فلان - تعني زوجها - كان له نَاضِحَان[٢]، حج على أحدهما، والآخر يسقي أرضاً لنا. قال: «فإن عمرة في رمضان تقضي حجة معي»[٣].

٢٥ - ومن دلائل حسن عشرته ورحمته لنسائه، قالت عائشة رضي الله عنها: (دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي: «يا حُمَيْرَاءُ، أَتُحِبِّين أن تنظري إليهم؟»، فقلت: نعم، فقام بالباب، وجئته، فوضعت ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طَيِّباً، فقال رسول الله ﷺ: «حَسْبُكِ». فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي، ثم قال: «حسبك». فقلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: وما لي حب النظر إليهم، ولكني أَحْبَبْتُ أن يَبْلُغَ النساءَ مقامه لي، ومكاني منه)[٤].

وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عما كان يصنع في أهله، قالت: (كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[٥]. وعنها قالت: (كان يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه)[٦].

٢٦ - وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، قالت: فسابقته فسبقته

---

(١) هذا النقل عن: عبد الله سراج الدين: سيدنا محمد رسول الله ﷺ، شمائله الحميدة، خصاله المجيدة، ص١٣٩ - ١٤٠، ومختصر شمائل الترمذي للألباني، ص١٣٤ - ١٤١.

(٢) الناضح: الجمل.

(٣) البخاري (١٨٦٣)، مسلم (١٢٥٦).

(٤) البخاري (٩٥٠)، النسائي: كتاب عشرة النساء، ص٩٩، واللفظ له، قال الحافظ في الفتح (٢/ ٥١٥): إسناده صحيح، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا. والحميراء: الشديدة البياض.

(٥) البخاري: الفتح (٢٢/ ٢٤٩، ح٦٠٣٩، ورواه غيره، وانظر: ابن سعد: الطبقات (١/ ٣٦٥) من غير طريق الواقدي.

(٦) الغزالي: إحياء علوم الدين (١/ ١٥٠)، وسنده مرسل، ومعناه في الصحيح الذي قبله.

على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: «هذه بتلك السبقة»[١].

٢٧ - وقالت ﵂: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ[٢] مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ[٣] إليَّ فيلعبن معي)[٤].

٢٨ - وعندما وضعت زوجه أم سلمة ابنتها زينب - رضي الله عنهن - وتزوجها النبي ﷺ، كانت ترضع زينب، فجعل يأتيها ويقول: «أين زُنَاب؟...»، يسأل عن الرضيعة، ولم يتضجر من وجودها في حجر وصدر أمها العروسة الجديدة[٥].

٢٩ - وكانت النساء لا تهاب الجلوس معه ورفع أصواتهن عنده عندما يأخذن عنه العلم والإرشاد، وعندما دخل عليه عمر ﵁ ذات يوم ومن معه على هذا الحال، ابتدرن الحجاب وصمتهن، فضحك الرسول ﷺ من فعلهن[٦]. وقد سبق ذكر هذه القصة.

١٥ - رحمته ﷺ بالضعفاء عموماً:

لقد بُعِثَ الرسول محمد ﷺ رحمة[٧] لكل العالمين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ويقول عن هذه الرحمة الإلهية المهداة إلى كل المخلوقات: «ولما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»[٨].

فإضافة إلى ما سبق ذكره من أدلة على عظيم رحمته، فإننا نضرب هنا أمثلة إضافية على رحمته تتعلق بقطاعات أخرى من مخلوقاته الضعيفة، والأمثلة هي:

---

(١) أبو داود (٢٥٧٨)، واللفظ له، ابن ماجه (١٩٧٩).

(٢) يتقمعن: أي يدخلن وراء الستار.

(٣) فيسربهن: يرسلهن.

(٤) البخاري (٦١٣٠).

(٥) مسلم (١٤٦٠)، النسائي: كتاب عشرة النساء، ص٤٠، وذكرنا منه هنا مكان الشاهد فقط، فهو أطول من هذا.

(٦) البخاري (٣٦٨٣ و٦٠٨٥)، مسلم (٢٣٩٦).

(٧) طرف من حديث رواه مسلم (٢٥٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٢١).

(٨) البخاري (٣١٩٤).

١ - شملت رحمته الضعفاء حتى وهو في الصلاة. فقد أوصى أئمة الصلاة قائلاً: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»، وفي رواية: «إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة»[١]. وشملت رحمته الخدم والأرقاء وأهل الذمة وغيرهم من أصناف الضعفاء من الناس والحيوان والطير. ومما جاء في سيرته عن هؤلاء:

٢ - أمر المسلمين أن يعاملوا خدمهم أو مواليهم أو أرقائهم كإخوان لهم في الدين أو الإنسانية إذا لم يكونوا مسلمين. فقد روى أبو ذر أن الرسول ﷺ قال: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[٢].

٣ - روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاء به، وقد وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ[٣]، فليقعد معه، فليأكل، فإن كان الطعام قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين» - أي لقمة أو لقمتين[٤] -.

٤ - وكان الرسول ﷺ يوصي - حتى وهو على فراش الموت - بحسن معاملة الأرقاء، فقال: «الله الله، الصلاة وما ملكت أيمانكم» كان يتكلم بها وما يكاد يفيض[٥].

٥ - وروي عن أبي بكر ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «من أساء معاملة من هم تحت يديه فلن يدخل الجنة»[٦].

٦ - وقال ﷺ: «من كانت له أمة فأدبها ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران»[٧].

---

(١) البخاري (٧٠٤)، مسلم (٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨).

(٢) مسلم (١٦٦٣).

(٣) وَلِيَ حره ودخانه: الولي: القرب. أي ومن حق من ولي حر شيء وشدته لمواجهته نار الطبخ وشم رائحة الطعام التي تتعلق بها النفس، من حقه أن ينال منه شيئاً لإطفاء توق إليه.

(٤) مسلم (١٦٦٣).

(٥) الذهبي: السيرة، ص٥٥٧، وصححه، ابن ماجه، كما في صحيح ابن ماجه للألباني (٦، ح١٦٢٥)، وصححه، الهيثمي: المجمع (٤/ ٢٣٧)، وصححه لشواهده.

(٦) الترمذي (١٩٤٧)، ابن ماجه (٣٧٣٥).

(٧) البخاري (٦/ ١٢٠ - ١٢١، كتاب النكاح، باب ٢١)، مسلم (١٤٢٩).

٧ – وأمر عليه الصلاة والسلام بأن يعامل المماليك مثل معاملة الأبناء[١].

٨ – وقال ﷺ: «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه»[٢].

٩ – وقال لأبي مسعود ﷺ عندما رآه يضرب مملوكاً له: «اعلم أبا مسعود!! أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»، فانتهى أبو مسعود عن ضربه، وأعتقه لوجه الله تعالى حتى لا يمسه الله بعذاب نتيجة هذا الفعل الذي ذمه الرسول ﷺ. لأن الرسول ﷺ قال له: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لَمَسَّتكَ النارُ»[٣].

١٠ – عن أبي علي، سُوَيد بن مُقَرِّن ﷺ قال: «لقد رَأَيْتُنِي سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها»[٤].

١١ – وحث على كفالة الأيتام لضعفهم وحاجتهم للرعاية، فقال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة، هكذا، وقال – أي أشار – بأصبعه السبابة والوسطى»[٥].

١٢ – وقال: «اللهم إني أُحَرِّجُ[٦] حَقَّ الضعيفين اليتيم والمرأة»[٧].

١٣ – وقال للسائب بن عبد الله ﷺ عندما جيء به إليه يوم فتح مكة: «يا سَائِبُ: انْظُرْ أَخْلَاقَكَ التي كُنْتَ تَصْنَعُهَا في الجاهلية فَاجْعَلْهَا في الإسلام: أَقْرِ الضَّيفَ، وأَكْرِمِ اليتيمَ، وَأَحْسِنْ إلى جَارِكَ»[٨].

١٤ – وعد أكل مال اليتيم من السبع المُوبِقَات المنْهِي عنها[٩].

١٥ – وقال لأبي ذر ﷺ: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب

---

(١) ابن ماجه (٣٧٣٥).

(٢) مسلم (١٦٥٧).

(٣) مسلم (١٦٥٩).

(٤) مسلم (١٦٥٨).

(٥) البخاري (٦٠٠٥).

(٦) أحرج: المعنى: أحرج عن هذا الإثم، بمعنى أن نضيّع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيراً شديداً بليغاً، وأزجره زجراً أكيداً. قاله النووي.

(٧) أحمد (٢/ ٤٣٩)، ابن ماجه (٣٦٧٨) في الزوائد: وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٨) أحمد (٣/ ٤٢٥)، أبو داود (٤٨٣٦)، وصححه الألباني (٣/ ٩١٧).

(٩) البخاري (٢٧٦٦)، مسلم (١٤٥).

لنفسي، لا تأمّرنّ على اثنين ولا تولين مال يتيم»[١].

١٦ - وكفل الرسول ﷺ عدداً من الأيتام، مثل أبناء جعفر بن أبي طالب ﷺ حين استشهد في سرية مؤتة[٢]؛ وأبناء أبي سلمة الأربعة عندما تزوج أم سلمة بعد وفاة زوجها إثر جرح أصابه يوم أحد[٣]؛ ويتيمة أم حبيبة ﷺ عندما تزوجها وهي بالحبشة[٤].

١٧ - وحث على إعالة الأرامل والمساكين، فقال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»[٥]. وقال: «ابغوني الضعفاء، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم»[٦].

١٨ - عن أبي هريرة ﷺ أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد[٧] أو شاباً، ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات. قال: «أفلا كنتم آذنتموني[٨]؟» فكأنهم صغروا أمرها، أو أمره، فقال: «دلوني على قبرها، أو قبره»، فدلوه، فصلى عليها، أو عليه، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله تعالى يُنَوِّرُها لهم بصلاتي عليهم»[٩].

١٩ - عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قَسْوَةَ قلبه، فقال له: «إن أردت تَلْيينَ قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»[١٠].

٢٠ - عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله!

---

(١) مسلم (١٨٢٦)، النسائي (٣٦٦٧)، وقال العلماء: أن ضعفه المعني هنا نسبة لزهده في الدنيا، ومن كان هذا حاله يخشى عليه من التفريط في أمور العباد.

(٢) أحمد (١/ ٢٠٤، ٢٠٥)، وصححه شاكر، الهيثمي: المجمع (٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(٣) انظر خبرها عند: مسلم (٩١٨، ٩١٩)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦٧)، وانظر: فصل أمهات المؤمنين، عن أم سلمة ﷺ.

(٤) انظر ترجمتها في فصل أمهات المؤمنين.

(٥) البخاري (٦٠٠٦).

(٦) أبو داود (٢٥٩٤)، أحمد (٥/ ١٩٨)، وإسناده صحيح.

(٧) تَقُمُّ المسجد: تكنسه وتنظفه.

(٨) آذنتموني: أعلمتموني.

(٩) البخاري (١٣٣٧)، دون قوله: «إن هذه القبور»، مسلم (٩٥٦).

(١٠) الحاكم: المستدرك (٢/ ٢٦٣)، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني، برقم (٨٥٤).

كَمْ نَعْفُو عَنِ الخادم؟ فصمت! ثم أعاد عليه الكلام، فصمت! فلما كان في الثالثة، قال: «اعفو عنه في كل يوم سبعين مرة»[١]. وحث على زيارة المريض؛ لأن الإنسان يكون في أدنى مراحل الضعف في حالة المرض، فقال في هذا الشأن:

٢١ - «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني[٢]»[٣].

٢٢ - «عودوا المرضى، وَاتْبَعُوا الجنائز، تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ»[٤].

٢٣ - وعن البراء ﷺ أمرهم بسبع ونهاهم عن سبع، فقال: (أمرنا بعيادة المريض...)[٥].

٢٤ - وذكر أن عيادة المريض من الأمور الستة أو الخمسة الواجبة للمسلم على أخيه المسلم[٦].

٢٥ - وقال عثمان ﷺ في خطبة له: (إنا - والله - قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير)[٧].

٢٦ - وقال: «ما من مسلم يعود مسلماً غُدْوَةً[٨] إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية[٩] إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف[١٠] في الجنة»[١١].

---

(١) أبو داود (٥١٦٤)، واللفظ له، وقال الألباني (٣/ ٩٧٠): صحيح وعنده في الترمذي (٢٠٣٦)، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول (٨/ ٤٨): إسناده حسن.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) البخاري (٥٦٤٩)، أحمد (٤/ ٣٩٤)، أبو داود (٢١٠٥)، بلفظ البخاري.

(٤) أحمد (٣/ ٤٨)، وصحح شاكر إسناده، رقم (١١٩٧)، البيهقي: السنن (٣/ ٣٧٩)، بإسناد صحيح.

(٥) البخاري (٦٢٢٢)، أحمد (٤/ ٢٨٤، ٢٩٩).

(٦) مسلم (٢١٦٢).

(٧) أحمد (١/ ٧٠)، وصححه أحمد شاكر (١/ ٣٧٨، ح٥٠٤).

(٨) غُدْوَة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.

(٩) عشية: آخر النهار.

(١٠) خريف: أي ثمر مجتنى.

(١١) الترمذي (٩٦٩)، وقال: حسن غريب، أبو داود (٣٠٩٨)، موقوفاً على علي ﷺ.

٢٧ - وكان ﷺ يعود مرضى المنافقين. فقد زار زعيمهم عبد الله بن أبيّ بن سلول في مرض موته، وقال له: «كنت أنهاك عن حب يهود»، قال: فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فَمَهْ؟ فلما مات أتاه ابنه عبد الله فقال: يا رسول الله إن عبد الله بن أُبيّ قد مات فأعطني قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فيه، فنزع رسول الله ﷺ قميصه فأعطاه إياه[١].

٢٨ - وشملت رحمته في عيادة المرضى أن زار غير المسلمين. ففي رواية عن أنس أن غلاماً من اليهود مرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه، فقال له أبوه: أطِعْ أبا القاسم، فأسلم، فقام النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[٢].
وشملت رحمته حتى البهائم والكلاب والطيور وكل ذات كبد رطبة. ومما قاله في هذا الشأن:

٢٩ - قال: «ما من مسلم غَرَسَ غَرْساً فَأَكَلَ منه إنْسَانٌ أو دابة إلا كان صدقة»[٣].

٣٠ - وقال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خُفَّهُ، ثم أَمْسَكَهُ بِفِيْهِ، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[٤].

٣١ - عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ[٥] كاد يقتله العطش، إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقَهَا[٦] فسقته، فَغُفِرَ لها به»[٧].

---

(١) أبو داود (٣٠٩٤)، وضعف الألباني إسناده في صحيح أبي داود، وصحح فقط قصة القميص.
(٢) البخاري (١٣٥٦، ٥٦٥٧).
(٣) البخاري (٦٠١٢).
(٤) البخاري (٦٠٠٩).
(٥) يطيف بركية: أي يدور حول بئر.
(٦) مُوقها: خفها.
(٧) البخاري (٣٤٦٧)، مسلم (٢٢٤٥).

٣٢ - عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتِ امرأة في هِرَّةٍ سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكُلُ من خَشَاشِ الأرض»[١].

٣٣ - عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرَةً[٢] معها فَرْخَانِ، فأخذنا فَرْخَيْهَا، فجاءت الحمرة فجعلت تَفَرَّشُ[٣]، جاء النبي ﷺ فقال: «من فَجَعَ هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حَرَّقَ هذه؟». قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يُعَذِّبَ بالنار إلا ربُّ النار»[٤]. ونهى أن أُتَّخَذَ الحيوانات أو الطيور هَدَفاً أو غَرَضاً يَتَعَلَّمُ الناسُ فيه الرَّمَايَةَ. ومثال هذا:

٣٤ - عن أنس ﷺ أنه دخل دار الحكم بن أيوب فرأى غلماناً - أو فتياناً - نصبوا دجاجة يرمونها، فقال أنس: «نهى النبي ﷺ أن تُصْبَرَ[٥] البهائم»[٦]. ونهى عن التحريش بين البهائم[٧].

٣٥ - ونهى عن تجويع البهائم وإتعابها في العمل، وجاء في هذا عن عبد الله بن جعفر ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل ذات يوم حائطاً لرجل من الأنصار لقضاء حاجته، فإذا جمل، فلما رأى الجمل النبي ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ[٨]، فقال: «من رَبُّ هذا الجمل. لمن هذا الجمل؟». فجاء

---

(١) البخاري (٣٤٨٢). وخشاش الأرض: هوامها وحشراتها ودوابها وما شابه ذلك مما تتغذى عليه مثل هذه الحيوانات. اللسان: مادة: خشش. وروى الواقدي في مغازيه أن الرسول ﷺ رأى عند العرج (واد من نواحي الطائف) في طريقه لفتح مكة. رأى كلبة ترضع أولادها، فأمر جُعَيْلَ بن سُرَاقة أن يقوم حذاءها حتى لا يعرض أحد من الجيش لها ولا لأولادها [الواقدي: المغازي (٢/ ٨٠٤)].

(٢) حمرة: طائر يشبه العصفور.

(٣) تَفَرَّشُ: تفرش جناحيها وتقرب من الأرض وترفرف. انظر: اللسان: مادة فرش.

(٤) أبو داود (٥٢٦٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩٨٨)، برقم (٤٣٨٨)، والسلسلة الصحيحة (٢٥).

(٥) تُصبر البهائم: أي تحبس لترمى حتى تموت.

(٦) البخاري (٥٥١٣)، مسلم (١٩٥٩).

(٧) أبو داود (٢٥٦٢)، وفي مختصر سنن أبي داود للمنذري، تحقيق شاكر والفقي، (٣/ ٢٩١، ٢٤٥٢)، وقال المحققان أن الترمذي أخرجه مرفوعاً وحكى أن المرسل أصح.

(٨) ذفراه: الموضع الذي يعرق من قفاه.

فتىً من الأنصار فقال: لبيك، يا رسول الله. فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكى إليّ أنك تُجيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[١]»[٢].

٣٦ - ونهى أن تتخذ الدواب منابر: فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخرها لكم لِتُبَلِّغَكُمْ إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض، فعليها فاقضوا حاجتكم»[٣].

٣٧ - ونهى عن ضرب الحيوان في وجهه، ووسمه فيه. فعن جابر، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوَسْم[٤] في الوجه»[٥]. وفي رواية أخرى عنه قال: أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وُسِمَ في وجهه، فقال: «لعن الله الذي وسمه»[٦]. أما الوسم في غير الوجه فجائز[٧].

١٦ - مزاحه ﷺ:

عن أنس ﷺ أن رجلاً من أهل البادية اسمه زَاهِر، كان يُهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى البادية، فقال النبي ﷺ: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه». وكان النبي ﷺ يحبه، وكان زاهراً رجلاً دَمِيْمًا[٨]، فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يُبْصِرُهُ، فقال زاهر: من هذا؟ أَرْسِلْنِي[٩]، فالتفت زاهر، فعرف أنه النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما أَلْصَقَ ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، فَجَعَلَ النبي ﷺ يقول: «من يشتري هذا العبد؟»، فقال زاهر: يا رسول الله، إذاً تجدني كاسداً، فقال النبي ﷺ: «لكن عند الله لست

---

(١) تُدْئِبُهُ: تتعبه وتشقيه بكثرة العمل وصعوبته.

(٢) أبو داود (٢٥٤٩)، وصحح إسناده محقق جامع الأصول (٤/٥٢٧).

(٣) أبو داود (٢٥٦٧)، وحسن محقق جامع الأصول إسناده (٤/٥٢٨).

(٤) الوسم: هو وضع علامة على الحيوان بالنار أو القصد ليعرف مالكها إذا ضاعت أو شُرِقَتْ أو اختلطت بغيرها مما يشبهها من الحيوانات.

(٥) مسلم (٢١١٦).

(٦) مسلم (٢١١٧).

(٧) مسلم (٢١١٩).

(٨) دميماً: قبيحاً في شكله.

(٩) أرسلني: اتركني.

بكاسده، أو قال: «أنت عند الله غالٍ»[١].

وقال أنس ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ يَسْتَحْمِلُهُ - أي يطلب منه دابة تحمله - فقال له النبي ﷺ: إني حاملك على ولد الناقة، فقال الرجل: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ: «وهل يلد الإبل إلا النوق؟»[٢].

وعن مجاهد، قال: دخل النبي ﷺ على عائشة ﷺ وعندها عجوز، فقال: «من هذه؟»، قالت: هي من أخوالي، فقال النبي ﷺ: «إن العُجُزَ لا تدخل الجنة»، فشق ذلك على المرأة، فلما دخل النبي ﷺ قالت له عائشة، فقال: «إن الله ﷻ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقاً غَيْرَ خَلْقِهِنَّ»[٣]. وفي رواية المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: أتت عجوز إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: «يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز». قال: فولت تبكي، فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]»[٤].

روى الزبير بن بكار في كتاب الفاكِه عن زيد بن أسلم مرسلاً أن امرأة يقال لها أم أيمن، جاءت النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك، قال: من هو؟ أهو الذي بعينيه بياض؟ فقالت: أيَّ يا رسول الله؟ والله ما بعينيه بياض، فقال رسول الله ﷺ: «بل إن بعينيه بياضاً»، فقالت: لا والله، فقال النبي ﷺ: «وهل من أحد إلا وبعينيه بياض؟»[٥].

---

(١) عبد الرزاق: المصنف، برقم (١٩٦٨٨)، وصحح محقق شمائل النبي ﷺ الشيخ ماهر فحل، إسناد عبد الرزاق: الترمذي: الشمائل (٢٣٩)، أحمد (٣/ ١٦١)، البغوي: شرح السنة (٣٦٠٤)، البغوي: الأنوار (١/ ٢٥٧).

(٢) الترمذي (١٩٩١، ١٩٩٢)، وقال: صحيح غريب، أبو داود (٤٩٩٨). وفيهما «رجلاً» بدل «امرأة»، وقال محقق جامع الأصول (١١/ ٥٤، ٥٥): صحيح، أبو الشيخ: الأخلاق، رقم (١٨٤). وصحح المحقق إسناده، الترمذي: الشمائل، وصحح المحقق إسناده، أبو داود (٤٩٩٨)؛ البخاري: الأدب المفرد (٢٦٨)؛ أبو يعلى (٣٧٧٦)، البغوي (٣٦٠٥).

(٣) أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ وآدابه، برقم (١٨٦)، وهو مرسل.

(٤) الترمذي: شمائل النبي ﷺ، تحقيق الشيخ ماهر فحل، رقم (٢٤١)، وقال المحقق: إسناده ضعيف، وهو مرسل، المبارك بن فضالة يدلس ويسوي، وقد عنعن.

(٥) ذكر هذه القصة الشامي في السبل (٧/ ١٨٢). وعزاها إلى الزبير بن بكار في «الفكه». وجاء لي =

وروى قاسم بن ثابت في دلائله عن صهيب ﷺ قال: دخلت مع رسول الله ﷺ بقباء وبين أيديهم تمر وبُسْر تَمْر، وأنا أشتكي إحدى عيني، فرفعت التمر آكله، فقال رسول الله ﷺ: أتأكل التمر على عينيك وأنت رَمِد؟ فقلت: إنما آكل على شقي الصحيح، وأنا أمزح مع رسول الله ﷺ، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه[١].

وأورد الشامي في السبل[٢] عدة قصص أخرى عن مزاحه ﷺ.

١٧ ـ من جوامع خَلْقِهِ وخُلُقِهِ:

نورد في هذا الجانب الأثر الذي رواه الترمذي في الشمائل[٣]:

عن الحسن بن علي ﷺ قال: سألت خالي هند بن أبي هالة[٤]، وكان وَصَّافاً، عن حِلْيَةِ النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، فقال: (كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يتلألأ وجهُهُ تَلألُؤَ القمر لَيْلَةَ البدر، أَطْوَلَ من المربوع[٥] وأَقْصَرَ من المُشَذَّبِ[٦]، عظيمَ الهامَةِ[٧]، رَجِلَ الشَّعْرِ[٨]، إن انْفَرَقَتْ عَقِيصَتُهُ[٩] فَرَقَها، وإلا فلا يُجاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إذا وَفَّرَهُ[١٠]، أَزْهَرَ

---

(١) أورده الشامي في السبل (٧/ ١٩٤)، وفيه انقطاع، لأن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي، توفي سنة ٣٠٢هـ، وتوفي صهيب عام ٣٨ أو ٣٩هـ.

(٢) (٧/ ١٧٦ وما بعدها).

(٣) تحقيق ماهر فحل، ص٣٨ ـ ٣٩، إلى قوله: ويبدأ من لقيه بالسلام. قال المحقق: «إسناده ضعيف جداً»، لأن فيه سفيان بن وكيع، الذي ضعفه العلماء، وفيه مجهولان. وضعفه كذلك الألباني في مختصر الشمائل، (ح٦)، وفي السلسلة الصحيحة والضعيفة.

(٤) أخو أبيه الرسول ﷺ من خديجة ﷺ، فهو خال الحسن والحسين ﷺ.

(٥) المربوع: المعتدل القامة، أي متوسط طول القامة.

(٦) المشذب: البائن الطول، الخفيف اللحم، والمعنى تناسق طوله مع عرضه.

(٧) عظيم الهامة: الهامة: الرأس، وعظم الرأس دليل على وفور العقل.

(٨) رجل الشعر: ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطة، بل بينهما.

(٩) العقيصة: الشعر المجموع كهيئة الضفور. وفي بعض النسخ: «عقيقته»، وهو شعر رأسه الذي على ناصيته. وانفرقت: جعلت فرقتين.

(١٠) وفره: أي إذا أعفاه عن الفرق. والمعنى: أن شعره إذا فرقه تجاوز شحمة أذنيه، وإذا ترك فرقه لم يجاوزها.

اللون[١]، واسع الجبينين[٢]، أَزَجُّ الحواجب[٣]، سَوَابِغَ في غير قَرَنٍ[٤]، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغضب[٥]، أقنى العِرْنَين[٦]، له نور يعلوه، يَحْسَبُهُ من لم يتأمَّلْهُ أَشَمَّ[٧]، كثُّ اللحية[٨]، سَهْلَ الخَدَّين[٩]، ضَلِيعَ الفم[١٠]، أَشْنَبَ[١١]، مُفَلَّجَ الأسنان[١٢]، دَقِيقَ المَسْرُبَةِ[١٣]، كأن عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ[١٤]، في صفاء الفضة، معتدل الخَلْقِ[١٥]، بَادِنًا مُتَمَاسِكًا[١٦]، سواءَ البَطْنِ والصَّدْرِ[١٧]، عريض الصَّدْرِ، بَعِيدَ ما بين المنكبين[١٨]، ضخم الكَرَادِيسِ[١٩]، أَنْوَرَ المُتَجَرَّدِ[٢٠]، موصول ما بين اللَّبَّةِ[٢١] والسُّرَّة بشعر يجري

---

(١) ازهر اللون: أي أن لونه أبيض مضيء مستنير.

(٢) واسع الجبينين: واسع جانبي الجبهة من مقدم الرأس.

(٣) أزج: أي مقوس الحاجبين، وهو ما تفعله بعض النساء تكلفاً وصناعة.

(٤) سوابغ في غير قرن: أي كاملات. والقرن: اقتران الحاجبين بحيث يلتقي طرفاهما.

(٥) يدره الغضب: يحركه ويظهره، أي يصيره الغضب ممتلئاً دماً، فيظهر واضحاً.

(٦) أقنى العرنين: أي طويل الأنف مع دقة أرنبته. والعرنين: ما صلب من الأنف، وقيل: الأنف كله.

(٧) أشم: والشمم: ارتفاع رأس الأنف وإشراف الأرنبة قليلاً، واستواء أعلى القصبة.

(٨) كث اللحية: كثيف شعر اللحية من غير طول ولا رقة.

(٩) سهل الخدين: أي ليس فيهما نتوء وارتفاع، وقيل: أراد أن خديه أسيلان، قليلا اللحم، رقيقا الجلد.

(١٠) ضليع الفم: أي واسع الفم، ويدل على الفصاحة عند العرب.

(١١) أشنب: دقيق الأسنان رقيقها.

(١٢) مفلج الأسنان: متباعد ما بين ثناياها ورباعياتها.

(١٣) دقيق المسربة: أي دقيق الشعر الذي من الصدر إلى السرة.

(١٤) جيد دمية: الجيد العنق، والدمية: الصورة المتخذة من عاج وغيره، وقيل: المصورة في جدار أو غيره.

(١٥) اعتدال الخلق: تناسب الأعضاء والأطراف.

(١٦) بادناً متماسكاً: البادن المعتدل السمنة، ومتماسك: أي قوي ومعتدل الجسم.

(١٧) سواء البطن والصدر: متساويهما.

(١٨) المنكب: أعلى الكتف، وبعدهما عن بعض يدل على سعة الظهر والصدر.

(١٩) الكراديس: رؤوس الأعضاء، كالكتف والركبة والمرفق.

(٢٠) أنور المتجرد: نير الجسم المتجرد عن الشعر أو عن الثوب.

(٢١) اللبة: موضع النغرة فوق الصدر، أي الوَهْدَة التي في أعلى الصدر، وفي أسفل الحلق بين الترقوتين، أو وسط الصدر، انظر اللسان: مادة: لبب.

كالخَطِّ[١]، عاريَ الثَّدْيَيْنِ والبطن مما سوى ذلك[٢]، أَشْعَرَ الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ[٣]، رَحْبَ الرَّاحَةِ[٤]، سَبْطَ القَصَبِ[٥]، شَثْنَ[٦] الكفين والقدمين، سَائِلَ - أو شائل - الأطراف، خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ[٧]، مَسِيحَ القدمين يتبو عنهما الماء[٨]، إذا زال زال قَلْعاً[٩]، يخطو تَكَفُّؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المِشْيَةِ[١٠]، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَبٍ[١١]، وإذا التفت التفت جميعاً[١٢]، خافض الطَّرْف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام..).

قال: فقلت: صف لي منطق رسول الله ﷺ، قال: (كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى[١٣]، ويتكلم بجوامع الكَلِمِ، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير.

ليس بالجافي ولا المُهِينِ[١٤]، يعظم النعمة، وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير

---

(١) الأشعر: الذي عليه الشعر من البدن.

(٢) عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك: أي أن ثدييه وبطنه ليس عليهما شعر سوى المسربة.

(٣) الزندان: العظمان اللذان يليان الكف من الذراع، رأس أحدهما يلي الإبهام، ورأس الآخر يلي الخنصر.

(٤) الراحة: الكف، ورحب: واسع، ورحابة الكف دليل الكرم.

(٥) سبط القصب: السبط: الممتد في استواء، يوصف به الشعر والأعضاء والجلد، والقصب: مفردها قصبة، وفي كل عظم أجوف فيه مخ.

(٦) شثن: الغليظ الأطراف والأصابع، وسائلة: أي ليست بمتعقدة ولا متجعدة.

(٧) خمصان الأخمصين: الأخمص من القدم هو الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخمصان: المبالغ منه.

(٨) مسيح القدمين: أي ملساوان بلا تكسر أو تشقق.

(٩) قلعاً: القلع: قوة المشي مع تقارب الخطى.

(١٠) التكفؤ: التمايل إلى الأمام في المشي. والذريع: السريع.

(١١) الصبب: الموضع المنحدر.

(١٢) أي لا يسارق النظر.

(١٣) في رواية الطبراني: ويختمه بأشداقه، أي يتكلم بملء فيه، وهو من الرجولة.

(١٤) الجافي: المعرض عن الناس، والمهين: أي لا يهين أو يذل أحداً من أصحابه أو غيرهم.

أنه لم يكن يذم ذَوَاقاً[١] ولا يمدحه.

ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعُدِّي الحقُّ لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له[٢]، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها[٣]، وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى[٤].

وإذا غضب أعرض وأشاح[٥]، وإذا فرح غض طرفه[٦]. جل ضحكه التبسم، يَفْتَرُّ عن مِثْلِ حَبِّ الغَمَام[٧].

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته ووجدته قد سأل أباه ـ يعني علياً ﷺ ـ عن مدخله ومخرجه وشكله[٨]، فلم يدع منها شيئاً، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جَزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله ﷻ، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزءاً جزءه بينه وبين الناس، فَيَرُدُّ ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدَّخِرُ عنهم شيئاً[٩].

وكان من سيرته في الجزء الذي بينه وبين الناس إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مساءلتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها

---

(١) الذواق: المأكول والمشروب.

(٢) تعدي الحق: إذا نيل منه أو تعرض للقدح.

(٣) اتصل بها: أي بكفه: يعني أن حديثه يقارن تحريكها، وما بعده تفسير لهذا.

(٤) الراحة والإبهام: سبق شرحهما.

(٥) أشاح: بالغ في الإعراض وجد فيه، أي إذا غضب لم يكن ينتقم ويؤاخذ بل يقنع بالإعراض عمن أغضبه.

(٦) غض الطرف عند الفرح: دليل على نفي البطر والأشر.

(٧) يفتر: أي يكشف عند التبسم عن أسنانه، من غير قهقهة. الغمام: السحاب، وحبه: البَرَد.

(٨) الشكل هنا: السيرة والطريقة.

(٩) أوى: رجع. فيرد ذلك على العامة بالخاصة: «أراد أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه. ومن الخاصة الخلفاء الأربعة.

ثبت الله قدميه يوم القيامة»[١].

لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون رُوّاداً[٢]، ولا يفترقون إلا عن ذَوَاقٍ[٣]، ويَخْرُجُونَ أدِلَّة[٤]، يعني على الخير.

قال: فسألته عن مخرجه، كيف كان يصنع فيه؟ قال: (كان رسول الله ﷺ يَخْزُنُ[٥] لسانَه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا يُنَفِّرهم[٦]، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بِشْرَه وخُلُقَه.

ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسِّن الحسن ويقويه، ويقبِّح القبيح ويوهيه.

معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عَتاد[٧] لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه. [الذين] يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه. فقال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك. يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو

---

(١) قال الألباني، في تحقيقه لمختصر الشمائل للترمذي، ص٢٢. الحاشية: «من قوله: أبلغوني...» إلى هنا له طريق أخرى عن علي، لكن إسناده ضعيف جداً، وكذلك أوردته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» برقم (١٥٩٤).

(٢) رواداً: مفردها: رائد، وهو في الأصل من يتقدم القوم لينظرهم الكلأ ومساقط الماء. والمراد هنا كبار الصحابة.

(٣) الذواق: المأكول والمشروب، وضرب الذواق مثلاً لما ينالون من الخير عنده، أي: لا يتفرقون إلا عن علم وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب، وهذا حمل للفظ على المجاز، وهناك من حمله على الحقيقة.

(٤) أدلة: أي يدلون على الخير، هداة للناس.

(٥) أي: يحبس، أو يتكلم.

(٦) وفي معنى هذا يقول الله تعالى في وصفه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٧) عتاد: أي ما يصلح لكل ما يقع من أمور. [اللسان: مادة «عتد»].

بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس علم وحلم وحياء وأمانة وصبر، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن[1] فيه الحرم ولا تثنى فلتاته[2]، متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال الحسين: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر[3]، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح[4]. يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس[5] منه راجيه، ولا يخيب فيه.

قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته[6]، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم.

يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم[7]، ويقول: «إذا رأيتم طالب حاجة، يطلبها فأرفدوه[8]. ولا يقبل الثناء إلا من مُكَافِئٍ[9]، ولا يقطع عن

---

(١) أي: لا تعاب، من (الأبْن)، وهو: العيب والمراد لا يقدح فيه بحرمة أحد.

(٢) أي: لا تشاع وتذاع.

(٣) أي: طلاقة الوجه وبشاشته مع الناس.

(٤) مشاح: من الشح، وهو البخل.

(٥) أي: لا يجعله آيساً من بره.

(٦) أي: لا يكشف عورة أحد، أو لا يظهر ما يريد الشخص ستره عن الناس.

(٧) أي: يتمنون أن يجيء الغرباء إلى مجلسه ليستفيدوا منه بسبب أستنهم ما لا يستفيدون في غيبتهم، لأنهم كانوا . . .

(٨) أي: أعينوه على طلبه.

(٩) أي: مقتصد في المدح غير متجاوز اللائق به.

أحد حديثه حتى يتجوز[١]، فيقطعه بنهي أو قيام)[٢].

ومن الآثار الجامعة في وصفه ﷺ حديث أم معبد الخزاعية، الذي سبقت الإشارة إليه في أخبار الهجرة إلى المدينة المنورة. فعندما طلب أبو معبد من أم معبد أن تصف له الرسول ﷺ قالت: (رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة أَبْلَجَ[٣] الوجه لم تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ[٤]، ولم تُزْرِ به صُقْلَةٌ[٥]، وَسِيمٌ قَسِيمٌ[٦]، في عينيه دَعَجٌ[٧] وفي أَشْفَارِهِ[٨] وَطَفٌ[٩]، وفي صوته صَهَلٌ[١٠]، وفي عنقه سَطَحٌ[١١]، وفي لحيته كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَنُ[١٢]، إن صمت فعليه الوَقَار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء. أَجْمَلُ الناس وأَبْهَاهُ

---

(١) أي: يجاوز الحق ويتعداه.

(٢) أي: يترك ذلك المجلس.

قال الألباني في تحقيقه مختصر الشمائل للترمذي: (واعلم أن الحديث كان في الأصل مفرقاً في عدة أبواب بسند واحد، فجمعته هنا في سياق واحد، باجتهاد مني، ثم رأيته مطابقاً لرواية يعقوب بن سفيان الفسوي ـ الحافظ ـ، فإنه ساقها مجموعة في سياق واحد، فيما نقله ابن كثير في «البداية»). ثم قال: (وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ الترمذي كتاب «الشمائل» عن سفيان بن وكيع... ودون أن يشير إلى أنه رواه فيه مفرقاً. ثم رأيته عند أبي نعيم أيضاً في سياق واحد). وقد أفرد البيهقي في الدلائل (١/ ٣٠٨ ـ ٣٣٢) باباً خاصاً ذكر منه أخباراً رويت في شمائله وأخلاقه عن طريق الاختصار تشهد لما رواه في حديث هند بن أبي هالة بالصحة. قلت: ومعظم هذه الأخبار من روايات البخاري ومسلم، فلتراجع في مكانها من الدلائل.

(٣) يعني مشرق الوجه، يقال: تبلج الصبح إذا أشرق.

(٤) الثجلة: ضخامة البطن.

(٥) أي: لم يقصر، والصقل والصقلة: الدقة والنحول، والصقلة أيضاً جلدة الخاصرة، تريد أنه ناعم الجسم ضامر الخاصرة، وهو من الأوصاف الحسنة.

(٦) الوسيم: أي جميل، والوسامة الحسن.

(٧) الدعج: شدة سواد العين.

(٨) الأشفار الحواجب.

(٩) الوطف: طول شعر أشفار العين.

(١٠) وفي رواية صحل: ليس بحاد الصوت.

(١١) سطح: أي إشراف وطول.

(١٢) الكثاثة: دقة نبات شعر اللحية، مع استدارة فيها. أزج أقرن: الزج: دقة شعر الحاجبين مع طولها، والقرن أن يتصل ما بينهما بالشعر.

من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب. حُلْوُ المَنْطِقِ، فَصْلٌ[١] لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ[٢]، كأن منطقه خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ[٣]. رَبْعَةٌ[٤]، لا بَأْسَ[٥] من طول، ولا تَقْتَحِمه[٦] عين من قِصَر. غُصْنٌ بين غُصْنَين، فهو أنضرُ الثلاثة مَنْظَراً، وأحسنُهم قَدْراً. له رُفَقَاءُ يَحُفُّون به، إن قال أنصتوا، وإن أمر تبادروا لأمره، مَحْشُودٌ[٧] مَحْفُودٌ[٨]، لا عَابِسٌ ولا مفند[٩]. . .)[١٠].

لم يترك أصحاب النبي ﷺ وﷺ شيئاً عن أوصافه الخَلْقِيةِ والخُلُقيّة إلا ونقلوها إلينا، مهما صغرت أو دقّت. ومثال ذلك ما جاء في اهتمامهم حتى بعدد الشعرات البيضاء في رأسه ولحيته.

قال أنس ﷺ: (ما عددت في رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء)[١١].

وعن سِمَاك بن حرب قال: سمعت جابر بن سَمُرَة ﷺ، وقد سئل عن شيب

---

(١) الفصل هو الكلام البين، والنزر الكلام القليل.

(٢) الهذر: الكلام الكثير.

(٣) يتحدرن: يتساقطن من فمه.

(٤) ربعة: أي وسط وإلى الطول أقرب.

(٥) لا بأس: لا بؤس من طوله، لأنه كان إلى الطول أقرب.

(٦) لا تقتحمه: أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً له، وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته.

(٧) محشود: أي محفوف به.

(٨) محفود: أي مخدوم، والحفدة: الخدمة، ويقال: حفدت الرجل إذا خدمته.

(٩) في رواية البغوي: مفند. وعند ابن إسحاق: معتد: أي غير ظالم.

(١٠) هذا الخبر أخرجه البغوي في شرح السنة، برقم (٣٧٠٤). وفي «الأنوار في شمائل النبي المختار»، له، تحقيق إبراهيم اليعقوبي، الجزء الأول، ص٣٤٠، برقم (٤٥٦)، وابن سعد (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، والحاكم (٣/ ٩ ـ ١١)، وصححه، وأقره الذهبي. وأخرج بعضه ابن هشام في سيرة ابن إسحاق (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٨)، بإسناد حسن لذاته. وله شواهد، والقصة مشهورة جداً. قال ابن كثير في النهاية (٣/ ١٨٨): وقصتها مشهورة ـ أي أم معبد ـ مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

(١١) أحمد (٣/ ١٦٥)، عبد بن حميد (١٢٤٣)، ابن حبان برقم (٦٢٩٣)، البغوي: شرح السنة والأنوار (٢/ ١٥١، رقم ١٧٢)، عبد الرزاق في المصنف، برقم (٢٠١٨٥)، الترمذي: الشمائل، وقال نحل: إسناده صحيح.

رسول الله ﷺ فقال: (كان إذا دَهَنَ رأسه لم يُرَ منه شيبٌ، وإذا لم يَدْهُنْ رُؤِيَ منه)[١].

وفي رواية من الطريق نفسه: قيل لجابر بن سمرة: أكان في رأس رسول الله ﷺ شيب؟ قال: لم يكن في رأس رسول الله ﷺ شيب إلا شَعَرَاتٌ في مفرق رأسه إذا ادَّهَنَ وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ)[٢].

وعن جرير بن عثمان أنه سأل عبد الله بن بُسْر ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ، أكان شيخاً؟ قال: كان في عَنْفَقَتِهِ[٣] شَعَرَاتٌ بِيضٌ)[٤].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: (كان شَيْبُ رسول الله ﷺ نَحْوَاً من عشرين شَعَرَةً)[٥].

وخلاصة القول: إن النبي ﷺ قد اتصف بصفات الكمال: ولا غرو فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه وخاطبه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وقالت عائشة ﷺ: (كان خُلُقُهُ القرآن)[٦].

---

(١) الترمذي: الشمائل، ص٥٥، ح٤٤، وحسن محققه ـ فحل ـ إسناده، وأشار إلى من أخرجه، وهم: أحمد (٥/ ٨٦، ٨٨ و٩٠ و٩٥ و١٠٠ و١٠٣ و١٠٤)، مسلم، برقم (٢٣٤٤)، النسائي (٨/ ١٥٠).

(٢) الترمذي: الشمائل، تحقيق فحل، ص٥٥، البغوي: الأنوار (١/ ١٥١، رقم ١٧٣)، وصححه، وأشار المحقق إلى من أخرجه، وهم: الترمذي في الشمائل، برقم (٤٣)، مسلم برقم (٢٣٤٤)، أحمد (٥/ ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٣)، شرح السنة، برقم (٣٦٥٤)، النسائي (٨/ ١٥٠).

(٣) عنفقته: وسط الشفة السفلى.

(٤) البغوي: الأنوار (١/ ١٥١ ـ ١٥٢: ح١٧٤)، بإسناد صحيح، وذكر المحقق من أخرجه، وهم: البخاري (٣٥٤٥، ٣٥٤٦) في المناقب، باب صفة النبي ﷺ، مسلم، بمعناه في الفضائل، باب شيبة ﷺ، برقم (٢٣٤٢)، أحمد (٤/ ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠)، الحاكم (٢/ ٦٠٧)، وصححه وأقره الذهبي، الطيالسي، برقم (٢٤١٨)، ابن ماجه، برقم (٣٦٢٨)، البغوي: شرح السنة، برقم (٣٦٥٥)، بنفس السند واللفظ، ابن سعد: الطبقات (١/ ٤٣٤).

(٥) البغوي: الأنوار (١/ ١٥٢، رقم ١٧٥)، وأشار المحقق إلى من أخرجه، منهم: البخاري (٣٥٤٧، ٣٥٤٨)، في المناقب، باب صفة النبي ﷺ، وفي اللباس (٥٩٠٠)، باب الجعد، وفي التاريخ الصغير (١/ ٣١) من حديث أنس وآخره: الليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، ابن سعد (١/ ٤٣٢) باللفظ نفسه، ابن ماجه، عن ابن عمر ﷺ، برقم (٣٦٣٠) في اللباس، الترمذي عن أنس، برقم (٣٦٢٧)، البغوي: شرح السنة، برقم (٣٦٥٦)، بالسند واللفظ نفسيهما.

(٦) سبق تخريجه في مبحث: خلقه ﷺ.

وهذه الشمائل التي ذكرناها هي نقطة من بحر، لأنه ما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو الحديث أو الأثر أو الأخبار، إلا وكان الرسول ﷺ يتصف بها، وهو أول العاملين بها، وهي خصال حكمنا الاختصار في أن نجمعها في فصل من كتاب كهذا. وقد حاول الترمذي[١] والبيهقي[٢] وأبو الشيخ[٣] وابن المقري[٤] والفيروزبادي[٥] والمستغفري[٦] وجعفر بن حيان الأصبهاني[٧] والبغوي[٨] وغيرهم أن يفرد كل منهم كتاباً جمع فيه جانباً كبيراً من هذه الشمائل. وحاول ابن القيم[٩] أن يستقصي كل ما ينبغي معرفته عن أحوال النبي ﷺ، فاستوعب الكثير من الشمائل. وجاء من بعده بقرنين الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ) فأفرد الشمائل بنحو ثلاثة مجلدات: السابع والثامن والتاسع، من مجموع أربعة عشرة مجلداً. ومجموع صفحات مجلدات الشمائل لوحدها نحو ألفي صفحة، مع التحقيقات والشروح.

وأخيراً صدرت موسوعة في الشمائل بعنوان: «نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم ﷺ»، موسوعة قيم أخلاق التربية الإسلامية لما أُمِرَ به ونُهِيَ عنه وما أَمَرَ به ونَهَى عنه في الكتاب والسنّة، إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف صالح بن عبد الله بن حُمَيد - إمام وخطيب الحرم المكي -، وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن مَلُّوح - مؤسس دار الوسيلة للنشر والتوزيع - الطبعة

---

(١) انظر كتابه الشمائل. وقد كتب كبار العلماء زيادات عليه، أهمها وأطرأها «كتاب القاضي عياض في كتابه «الشفا في حقوق المصطفى»، شرحه الشهاب الخفاجي وسماه «نسيم الرياض»، وخرج بعض العلماء أحاديثه وآثاره وحققوها.

(٢) في كتابه الأدب: اعتنى به وعلق عليه السعيد المندوة، في ٣٥٠ صفحة.

(٣) أخلاق النبي ﷺ: حقق مرتين.

(٤) النور الساطع (ت٥٤٢هـ).

(٥) سفر السعادة (ت٨١٧هـ).

(٦) شمائل النبي ﷺ (ت٤٣٢هـ).

(٧) أخلاق النبي ﷺ (ت٣٦٩هـ).

(٨) الأنوار في شمائل النبي ﷺ المختار (ت٥١٦هـ).

(٩) زاد المعاد في هدي خير العباد.

الأولى في ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، وحققت النصوص تحقيقاً علمياً متميزاً مفيداً، فجزاهم الله خيراً.

والموسوعة من ١٢ مجلداً، الأخير في الفهارس. والأول معظمه في أحداث السيرة النبوية، جانب الغزوات والسرايا.

الفصل الثلاثون

معجزات الرسول ﷺ

[دلائل نبوته]

قال العلماء المحققون: المعجزة هي الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، الدال على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والواقع على وفق دعوى المُتَحَدِّي بها، مع أمن المعارضة.

وخرج بقيد التحدي: الخارق من غير تحدٍّ، وهو الكرامة للولي. وأن إظلال الغمام وشق الصدر وغيرهما مما وقع لنبينا محمد ﷺ قبل الرسالة، وكلام عيسى عليه الصلاة والسلام في المهد، وما جرى للأنبياء من خوارق قبل الرسالة، فإنها ليست معجزات، وإنما هي كرامات، ظهورها على الأولياء جائز، وتسمى حينئذٍ إرهاصاً، تمهيداً وتأسيساً للنبوة.

وقد أجرى الله ﷻ على يد ولسان نبيه محمد ﷺ معجزات كثيرة، قال البيهقي[1]: إنها تزيد على الألف، وقال النووي[2]: إنها تزيد على الألف ومائتي معجزة أو دليل.

نذكر هنا أشهرها باختصار شديد ليتناسب مع حجم هذا الكتاب:

١ - القرآن الكريم: المعجزة العظمى الباقية:

قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٤، ٣٥].

---

(١) دلائل النبوة (١/ ٦٠).

(٢) مقدمة شرح صحيح مسلم (١/ ٢).

وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

وهكذا تدرج القرآن في التحدي - تحدي العرب - من الكل ثم إلى الجزء القليل وهو عشر سور، ثم إلى الجزء الأدنى أو الأقل وهو سورة واحدة، فعجزوا عن الإتيان بالأقل، على الرغم من أنهم كانوا أهل فصاحة وبلاغة وبيان، شعراً ونثراً. وهكذا المعجزات في حياة الأنبياء تأتي بما هو فوق ما يجيده قوم كل واحد منهم. فأعطى موسى معجزة قلب العصا ثعباناً يَلْقَفُ ما صنعوا من السحر، بقلبهم الحبال ثعابين، ومعجزة إخراج يده من جيبه بيضاء من غير سوء. فقد كان الغالب عليهم السحر، فتحداهم بما هو أعظم منه. وغلب على زمان عيسى عليه الصلاة والسلام الطب، فأعطاه الله معجزة إبراء الأكمه - الأبكم - والأبرص، وإحياء الموتى. وكذلك أعطى إبراهيم ﷺ معجزة إحياء الموتى.

إن معجزات الأنبياء السابقين انقرضت بانقراض عصورهم ومن شاهدها. أما معجزة القرآن فمستمرة إلى يوم القيامة، تحمل في طياتها كل أنواع المغيبات ودلائل الإعجاز والنبوة. ففيه أخبار ما قبله وما بعده، وإعجازات علمية وأدبية بلاغية وغيبية، ولا تنقضي عجائبه كلما درسه العلماء في كل زمان ومكان.

٢ - انشقاق القمر:

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١-٢].

وقال ابن عباس ﷺ: إن بعض أهل مكة، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاصي بن وائل والأسود بن عبد المطلب والنضر بن الحارث، ونظراؤهم، سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فقالوا: إن كنت صادقاً فاشقق لنا القمر فرقتين:

نصفاً على جبل أبي قُبَيْس ونصفاً على جبل قُعَيْقِعَان - [فقال لهم النبي ﷺ: «إن فعلت تؤمنوا؟»، قالوا: نعم - وكانت ليلة بدر - فدعا رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا. فأمسى القمر قد فَلَقَ نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان - ورسول الله ﷺ ينادي: اشهدوا]، اشهدوا. فنظر الكفار، ثم قاموا بأبصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا، ثم مسحوا أعينهم، ثم نظروا؛ فقالوا: سحر محمد أعيننا، فقال بعضهم لبعض: لئن كان محمد سحرنا، ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم؛ فانظروا إلى السُّفَّار، فإن أخبروكم أنهم رأوا مثل ما رأيتم، فقد صدق؛ فقد كانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم أنهم قد رأوه فيكذبونهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝﴾ [القمر: ١-٣][1].

ووقع في بعض الروايات عن أنس[2]: فأراهم انشقاق القمر مرتين. وقال العلماء وشراح الحديث إن المراد: فرقتين[3]. وهذا واضح من الأحاديث التي أوردها الإمام مسلم.

٣ - حبس الشمس له ﷺ:

قال الشامي في السبل: «روى الطبراني بسند حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد، وابن حجر في الفتح وأبو زرعة العراقي في شرح تقريب والده عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ أمر الشمس أن تتأخر ساعة في النهار.[4] والحديثين الواردين في هذا الأمر: الأول: أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حِجْرِ علي ﷺ، فلم يُصَلِّ عليٌّ العصر حتى غربت الشمس، فقال له رسول الله ﷺ: «أصليت العصر يا علي؟»

---

(١) البخاري (٣٨٦٨، ٣٢٥١، ٢٢٥٢، ٣٢٥٣، ٣٤٢٨)، مسلم (٢٨٠٠). وأبو قبيس وقعيقعان: جبلان بمكة. والكلام الذي بين معكوفتين من الدر المنثور للسيوطي (٦/ ١٧٧)، كما قال محقق السبل (٩/ ٥٩٩).

(٢) مسلم (٢٨٠٢). وقد أثبت العلم الحديث هذا الإنشقاق. انظر النت.

(٣) انظر الأقوال عند: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٩/ ٦٠١ - ٦٠٣)، تحت عنوان: تنبيهات. وانظر شرح النووي (١٧/ ١٤٣ وما بعدها).

(٤) سبل الهدى والرشاد (٩/ ٦٠٤)، وله كلام نفيس في الآثار التي تفيد بأن النبي ﷺ ردت له الشمس بعد غروبها ببركة دعائه، وذلك لما فيها من التعارض الظاهري.

قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك، وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس»[١]، فطلعت بعدما غربت، وأشرقت على الجبال، وكان ذلك بالصَّهْبَاء في غزوة خيبر[٢]. والثاني: روى يونس بن بكير، أن النبي ﷺ لما أُسْرِيَ به ليلة الاثنين، وأخبر قومه بالرُّفقة التي وجدهم في طريق الشام، في العير الآتية إليهم، فقالوا له: متى تجيء العير؟ فقال: «يوم الأربعاء». فلما كان ذلك الوقت احتبست العير، وأشرفت قريش ينتظرون، ودنت الشمس للغروب، فحبس الله الشمس ساعة، حتى قدمت العير، بعد أن دعا النبي ﷺ ربه أن يحبسها له[٣].

٤ - في استسقائه ﷺ ربه ﷻ لأمته حين تأخر عنهم المطر:

عن ابن عمر ﷺ قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ على المنبر يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ[٤] اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ[٥]

وعن أنس قال: (أصابَ الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب، أتاه أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه - وما نرى في السماء قَزَعَةً - فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثَارَ سَحَابٌ كأمثال الجبال، ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأيت الماء يَتَحَادَرُ على لحيته، فَمُطِرْنَا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم حَوَالَيْنَا ولا علينا»، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، حتى صارت المدينة مثل الجَوْبَة، وسال الوادي، وادي قَنَاة،

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، ٢/ ٩ بإسنادين صحيحين كما قال ابن بحرق في الحدائق، ص ١٤٠.

(٢) حدائق الأنوار، ص١٤٠.

(٣) قال محقق الحدائق، ص١٤١. ذكره الزبيدي في الإتحاف، ٧/ ١٩٢، وعزاه لابن بكير في زيادة المغازي: ابن إسحاق.

(٥) البخاري (٩١١)، أحمد (٣/ ٩٣)، بإسناد صحيح؛ ابن ماجه (١/ ٣٨٥). يجيش: يفور. ثِمَال: السلجأ والغياث أو المطعم في الشدة.

شهراً، ولم يَجِيء أحد من ناحية إلا حدث بالجَوْدِ)[١].

وذكر الشامي في السبل عشر قصص أخرى بهذا المعنى والخصوص، بعضها مطول وبعضها مختصر؛ فمن المطولة استجابته لطلب وفد بني فزارة الذين أصابتهم سنة، فدعا الله أن يغيثهم، فأغاثهم[٢]. ومنها ما سبق لنا ذكره في أحداث غزوة تبوك. وقال الشامي في ختام هذه القصص: (وفي هذا الباب أحاديث كثيرة وفيما ذكر كفاية)[٣].

٥ - نبع الماء الطهور من بين أصابعه:

إن قصة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن، في مشاهد عظيمة، ووردت عنه من طرق كثيرة يفيد عمومها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، كما قال أبو العباس القرطبي[٤].

وذكر الشامي في سبله ثلاث عشرة رواية في هذا الباب، منها:

أ - قال قتادة وغيره عن أنس: كان رسول الله ﷺ بالزوراء [موضع بالمدينة قرب المسجد] وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوا ماء، فأُتِيَ رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في فتحة الإناء، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضؤوا عن آخرهم. وكانوا زهاء ثلاثمئة[٥].

ب - عن ابن مسعود ﷺ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اطلبوا من معه فَضْلُ ماء» فأُتِيَ بقليل ماء، فصبه في إناء،

---

(١) البخاري (٨٤٥، ٨٩١، وأماكن أخرى)، مسلم (٨٩٧). سنة: أي قحط وجدب. قزعة: أي قطعة من الغيم والسحاب. يتحادر: أي ينزل ويهبط. الجَوْبَة: أي صارت مثل الحفرة المستديرة محاطة بالسحاب.

(٢) قال الشامي في السبل (٩/ ٦١٥): رواه أبو الشيخ والبيهقي بإسناد حسن عن أبي لبابة. وقال المحقق: (أورده ابن كثير في البداية (٦/ ٩١ - ٩٢)؛ وهذا إسناد حسن - قاله ابن كثير).

(٣) السبل (٩/ ٦١٧).

(٤) الشامي: السبل (١٠/ ١٣).

(٥) البخاري (٣٣٨٠)، مسلم (٢٢٧٩).

ثم وضع كَفَّهُ فيه، فجعل الماء يَنْبُعُ من بين أصابعه ﷺ[١].

جـ - عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: عَطِشَ الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه رَكْوَة، فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه، فقالوا: ليس لنا ماء إلا ما في ركوتك هذه، فوضع يده في الرَّكوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه، كأمثال العيون. وقال: لو كنا مئة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مئة[٢].

قال محمد بن عمر بَحْرَق الحضرمي الشافعي في كتابه: «حدائق الأنوار في سيرة النبي المختار ﷺ»[٣]: (قال العلماء: وإنما طلب فضل الماء ليكون من باب تكثير القليل، لا من باب الإيجاد من العدم، لئلا يتوهم أحد أنه الموجد للماء). قلت: وقد أحدث الله المطر من العدم بجاهه في حديث الاستسقاء، وأخرج لموسى الماء من الحجر بمجرد تنفيذ أمر ضربه، وبهذا ينتفي التوهم، فكل أمر الله، والإيجاد من العدم أبلغ في الإعجاز.

ونقل ابن عبد البر عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى... المصري، المعروف بـ «المزني»، أنه قال: «نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحَجَر حيث ضربه موسى بعصاه فتفجرت منه المياه؛ لأن خروج المياه من الحجارة معهود، بخلاف خروجه من بين اللحم والدم»[٤].

والآثار كثيرة كما قلنا في هذا الباب، منها ما رواه الشيخان وغيرهما، ومنه ما رواه أهل السنن والمسانيد والدلائل والخصائص[٥].

٦ - تكثيره ماء الميضأة والقدح:

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان في سفر، فقال لأبي قتادة: «أمعكم ماء؟

---

(١) البخاري (٣٣٨٦).

(٢) البخاري (٣٥٧٦، ٣٩٢١)؛ مسلم (١٨٥٦)، مختصراً. والرَّكوة: إناء من جلد.

(٣) والكتاب باعتناء محمد غسان نصوح عزقول، ص ١٤١.

(٤) السبل (١٠/ ١٤ - ١٥)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٥/ ١٥٢)، أبو نعيم: دلائل النبوة (٢/ ١٤٤)، السيوطي: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ٥٤)؛ ابن حجر: الفتح (٦/ ٦٧٧).

(٥) انظر مثلاً: السبل (١٠/ ١٥ - ٢٦)، خاصة القصة الثالثة من رواية الشيخين البخاري (٤/ ٢٣، ٦/ ٣٧)؛ مسلم (٧/ ٥٩)... إلخ.

قلت: نعم في مِيضَأَةٍ فيها شيء من ماء، قال: «ائت بها»، قال: فأتيته بها، فقال لأصحابه: «تعالوا تسقوا منها فَتَوَضَّئُوا»، وجعل يصب عليهم، فتوضأ القوم، وبقيت بقية جُرْعَةٍ. فقال: «يا أبا قتادة: احفظها فإنها ستكون لها نبأ».

فذكر الحديث إلى أن قال: فقالوا: يا رسول الله: هلكنا عطشاً، انقطعت الأعناق. فقال: «لا هُلْكَ عليكم». ثم قال: «يا أبا قتادة: ائتِ بالميضأة»، فأتيته بها، فقال: احْلُلْ لي خُمْرِي - يعني قَدَحِي - فحللته فأتيته به، فجعل يصب فيه، ويسقي الناس، فازدحم الناس، فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس أحسنوا المِلْءَ، فكلكم سيصدر عن رِيٍّ».

فشرب القوم، وسَقَوا دوابهم وركابهم، وملأوا ما كان معهم من إداوة وقربة ومَزَادَة حتى لم يبق غيري وغيره، فقال: «اشرب يا أبا قتادة»، قال: قلت: اشرب أنت يا رسول الله». قال: «ساقي القوم آخرهم شرباً». فشربت، وشرب بعدي، وبقي في الميضأة نحواً مما كان فيها، وهم يومئذٍ ثلاثمئة[1].

وروي عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن؛ فأصابنا جهد شديد فأُتِيَ بشيء من ماء في إداوة، فأمر بها فصبت في قَدَحٍ، فجعلنا نتطهر حتى تطهرنا جميعاً، وفي لفظ: فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا نُدَغْفِقُهُ دغفقة وكنا أربع عشرة مئة[2].

٧ - تكثيره المياه:

أ - تكثيره ماء عين تبوك: وقد سبق ذكر ذلك في أحداث غزوة تبوك.

ب - تكثيره ماء بئر باليمن.

---

(١) رواه عدة من أهل السنن والدلائل والمسانيد، ذكرهم محقق السبل (١٠/ ٣٠)؛ وعلى رأسهم جميعاً الإمام مسلم في عدة مواضع منها برقم (٦٨١). الميضأة: مطهرة. الجُرْعَة: الاسم من الشرب اليسير، والجَرْعَة: المرة الواحدة من الشرب. يصدر: يرجع، والمزادة: وعاء الزاد.

(٢) قال البيهقي في الدلائل (٤/ ١١٩): رواه مسلم في الصحيح عن أحمد بن يوسف.

وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٦/ ٩٧)، القاضي عياض: الشفا في حقوق المصطفى (١/ ١٨٩)، البيهقي: دلائل النبوة (٤/ ١١٨ - ١١٩). ندغفقه: ندفعه ونصبه صباً كثيراً. إداوة: وعاء، ماعون.

عن زياد بن الحارث الصُّدَائي قال: قلت يا رسول الله، إن بئرنا إذا كان الشتاء وَسِعَنا ماؤها، واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قل ماؤها، فتفرقنا على مياه حولنا، وقد أسلمنا، وكل رجل من حولنا عدو لنا، فادع الله لنا في بئرنا أن يسعنا ماؤها، فنجتمعَ عليه ولا نتفرق، فدعا بسبع حَصَيَاتٍ فَعَرَكَهُنَّ بيده، ودعا فيهن، ثم قال: «اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة، واذكروا اسم الله ﷻ». قال: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها[1].

جـ - تكثيره ماء بئر الحديبية: وقد ذكرنا القصة في مكانها من أحداث «الحديبية»، من رواية البخاري وغيره.

د - تكثيره ماء المزادتين:

عن عمران بن حصين ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فاشتكى إليه الناس العطش، فنزل، ثم دعا علياً، ورجلاً آخر، وفي رواية: وعمران بن حصين، فقال: «اذهبا فَابْتَغِيَا[2] الماء، فإنكما ستجدان امرأة بمكان كذا وكذا، معها بعير عليه مَزَادَتَانِ[3]، فأتيا بها»، فانطلقنا، فلقينا امرأة بين مَزَادتين من ماء على بعيرها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة وَنَفَرُنا خلوفاً. قالا لها: انطلقي إذن، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ. قالت: الذي يقال له الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين، فانطلقي، فجاءا بها إلى النبي ﷺ وحدثاه بالحديث.

قال: فاستنزلوها عن بعيرها. ودعا النبي ﷺ بإناء، فأفرغ فيه من أفواه المزادتين، فمضمض في الماء، وأعاده في أفواه المزادتين، وأوكأ أفواههما، وأطلق العَزَالِيَ[4]، ونودي في الناس: اسقوا واستقوا، فَسَقَى من شاء، واستقى من شاء،

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٥٥)، ودلائل أبي نعيم (٢/ ٤١٣)، وشمائل الرسول لابن كثير (ص١٩٠)، وقال: أصل هذا الحديث في المسند وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه. وأما الحديث بطوله في دلائل البيهقي (٥/ ٣٥٧)، وسننه (١/ ٣٨١، ٣٩٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠/ ٣٠٢، ٣٠٣) وقال: (هذا حديث حسن وقع لي عالياً...، انظر حاشية (٧) لمحقق السبل (١٠/ ٣٥).

(٢) ابتغيا: أي أطلبا.

(٣) المزادة: قربة كبيرة، يزاد فيها جلد من غيرها، وتسمى كذلك السُّطيحة، والمراد بها الرَّاوِيَة. أمس الساعة: أي - البارحة - في مثل هذا الوقت الذي كانت تتحدث فيه معهما. نفرُنا خلوفاً: أي أن جماعتها تخلفوا من أجل طلب الماء. والخلوف: جمع خالف.

(٤) العزالي: جمع عزلى، وهي الفتحة في قعر المزادة، وهي مصبها.

وملأنا كل قربة معنا، وإداوة، وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها، وأيم الله: لقد أُقْلِعَ عنها، إنه ليخيل إلينا أنها أشد مِلْئَةً منها، حين ابتدأ فيها، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لها طعاماً»، فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة، وسَوِيقة، حتى جمعوا لها طعاماً، فجعلوه في ثوب، وحملوه على بعيرها ووضعوا الثوبين بين يديها، وقال لها: «تعلمين ما رزئنا[1] من مائك شيئاً، ولكن الله هو الذي سقانا». الحديث. فأتت أهلها، فقالت: العجبُ لقيني رجلان، فذهبا بي إلى هذا الرجل، الذي يقال له: الصابئ،ففعل كذا، وكذا، فوالله إنه لأسحرُ الناس كلهم، أو إنه لرسول الله حقاً. وفيه أنها أسلمت وقومُها بعد ذلك[2].

٨ - في تكثيره اللبن في القَدَحِ:

عن أبي هريرة ﷺ قال: أصابني جوع شديد، فلما خرج النبي ﷺ من المسجد تبعته، فوجد عند أهله قَدَحَ لبن قد أُهْدِيَ له، فأمرني أن أدعو له أهل الصُّفَّةِ، وكانوا سبعين، فدعوتهم، فأمرني النبي ﷺ أن أُسْقِيَهُمْ منه، فجعلت أعطي الرجل القدح، فيشرب حتى يروى، حتى رووا جميعهم، فقال النبي ﷺ: «بقيت أنا وأنت، فاشرب»، فشربت حتى رويت، فقال: «اشرب»، فشربت، فما زال يقول: «اشرب»، حتى قلت: والذي بعثك بالحق نبياً لا أجد له مَسْلَكاً، فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب[3].

وعن تكثيره اللبن في الضرع أو إيجاده، ذكرنا ذلك في أحداث الهجرة.

٩ - معجزاته في عُكَّةِ أُمِّ سُلَيْمٍ وأُمِّ شَرِيكٍ النَّوسِيَّةِ وأُمِّ مَالِكٍ:

عن أنس، عن أمه أم سُليم ﷺ قال: كانت لنا شاة فَجَمَعْتُ من سمنها في عُكَّةٍ فملأت العكة، ثم بعثت بها مع الجارية، فقالت: يا زُبيبةُ أبلغي هذه العكة رسول الله ﷺ يَأْتَدِمْ بها، فقالت: يا رسول الله، هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم

---

(١) رزئنا: نقصنا.

(٢) البخاري (٣٣٧، ٣٥٧١)، مسلم (٦٨٢، ٣٠١٣)، وغيرهما، مثل: البيهقي: الدلائل (٤/ ٢٧٧)، أحمد (٤/ ٤٣٤، ٤٣٥)، أبو نعيم (٢/ ١٤٦).

(٣) البخاري (٦٤٥٢)، أحمد (٢/ ٥١٥)، البيهقي: الدلائل (٦/ ١٠١، ١٠٢)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٤٨)، أبو نعيم: الدلائل (٢/ ٣١٥)، البيهقي: السنن (٢/ ٤٤٦، ٨/ ٢٤٠).

سُلَيم، قال: «أفرغوا لها عكنتها»، فَفُرِّغَتِ العكةُ، ودفعتها إليها، فانطلقت بها، وجاءت، وأم سُليم ليست في البيت، فعلقت العكة على وَتِدٍ، وجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تَقْطُرُ، فقالت أم سليم: يا ربيبةُ، أليس قد أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: قد فعلت، فإن لم تصدقيني، فانطلقي، فسلي رسول الله ﷺ. فانطلقت أم سليم، ومعها ربيبة، فقالت: يا رسول الله، إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن، قال: «قد فعلت، قد جاءت بها»، فقالت: والذي بعثك بالهدى وبالحق، إنها لممتلئة تقطر سمناً، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سليم، أتعجبين أن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه؟ كلي وأطعمي»، قالت: فجئت إلى البيت فقسمت في قَعْبٍ[1] لنا كذا وكذا، وتركت فيها ما ائتدمنا منه شهراً أو شهرين[2].

وروى أبو هريرة ﷺ قصة لأم شَرِيكٍ، غزية بنت دودان الدوسية، شبيهة بقصة أم سليم[3].

وعن جابر ﷺ قال: إن البَهْزِيَّةَ، أم مالك، كانت تُهْدِي لرسول الله ﷺ في عُكَّةٍ لها سمناً، فيبنا بنوها يسألونها عن إدامٍ وليس عندها شيء، فَعَمَدَتْ إلى العكة، التي كانت تهدي فيها إلى النبي ﷺ، فوجدت فيها سمناً، فما زال يُقِيمُ لها إدامَ بنيها حتى عَصَرَتْهُ، فأتت النبي ﷺ، فقال: «عصرتيها؟»، قالت: نعم، قال: «لو تركتيها ما زال ذلك قائماً»[4].

وروى ابن أبي شيبة عن رجل، عن أم مالك الأنصارية، قال: جاءت أم مالك الأنصارية بعكة سمن إلى رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فعصرها، ثم رفعها إليها، فرجعت، فإذا هي مملوءة، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أنزل فيَّ شيء يا رسول الله؟ قال: «وما ذاك يا أم مالك؟»، قالت: رددت عليَّ هديتي، قال: فدعا بلالاً، فسأله عن ذلك، فقال: والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى

---

(١) القَعْبُ: القدح الضخم، الغَلِيظُ ـ انظر اللسان: مادة «قعب».

(٢) أبو يعلى: المسند (٧/ ٢١٧ ـ ٢١٨) بإسناد ضعيف جداً، لأن فيه ابن زياد البكري، المتهم بالكذب. ذكرنا هذه القصة لشهرتها ولأن الرواية المشابهة لها عن أم شريك أقوى منها ولم تشتهر مثلها. وقصة العكة شاهد من جانب المتن من قصة أم مالك البهزية.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٢٣ ـ ١٢٤)، ونقله ابن كثير في البداية (٦/ ١١٤).

(٤) مسلم (١٥/ ٤٠/ من شرح النووي)، مسلم (٢٢٨٠).

استحييت، فقال رسول الله ﷺ: «هنيئاً لك يا أم مالك، هذه بركة، عجّل الله تعالى لك ثوابها . . .» الحديث[١].

١٠ - تكثيره الشعير:

عن جابر ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شَطْرَ وَسْقِ شعير، فما زال يأكل منه، هو وامرأته، وضيف لهم، حتى كالوه، فأخبر النبي ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم»[٢].

عن عائشة ﷺ قالت: (مات رسول الله ﷺ وما بقي في بيتي إلا شطر من شعير في رفٍ لي، فأكلت منه حتى طال عليّ فكلته ففني)[٣].

١١ - تكثيره التمر:

عن جابر ﷺ أن أباه استشهد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه ديناً، فلما حضره جُذاذ[٤] النخل، أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد علمت أن والدي استشهد يوم أحد وترك عليه ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء، قال: «اذهب فَبَيْدِر[٥] كل تمر على ناحيته»، ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه أغروا بي[٦] تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعونه طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: «ادع أصحابك»، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي، وأنا والله راضٍ أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى إخواني منه بتمرة، فَسَلَّمَ الله البيادر كلها، حتى إني لأنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف (٧/ك، ٣١/ب، ح١٢٢)، أبو نعيم: الدلائل (٣/ ٢٠١) وقال محقق السبل (١٠/ ٥٩، حاشية ١٣): إن ممن رواها مسلم (٧/ ٦٠)، ولم نقف عليه حتى الآن.

(٢) مسلم في الفضائل (١٥/ ٤٠) من شرح النووي، مسلم (٢٢٨١). ورواه غيره.
والوسق: ستون صاعاً أو ثلاثمئة وعشرون رطلاً حجازية وأربعمئة وثمانون رطلاً عراقية.

(٣) البخاري في الرقاق (١٤/ ٥٨، ٥٩) وفي الخمس، مسلم في الزهد (١٨/ ١٠٧) من شرح النووي، أحمد (٦/ ١٠٨) مطولاً، ابن ماجه في الأطعمة مختصراً (٣٣٤٥).

(٤) وقت قطعه، والجذ: القطع.

(٥) فبيدر: ضع كل نوع منه في ناحية.

(٦) أغروا بي: أولعوا بي.

ينقص تمرة واحدة، فقلت: يا رسول الله، ألم ترني أكلت لغريمي تمرة فوفاه الله ﷻ وفضل من التمر كذا وكذا.

فقال: «أين عمر بن الخطاب؟»، فجاء يهرول، فقال: سل جابر بن عبد الله عن غريمه وغيره»، فقال: ما أنا بسائله، قد علمتُ أن الله ﷻ سيوفيه إذا جزت فيه، فكرر عليه الكلمة ثلاث مرات كل ذلك يقول: ما أنا بسائله، وكان لا يراجع بعد المرة الثالثة، فقال: يا جابر، ما فعل غريمك وتمرك؟ قال: قلت وفاه الله ﷻ وفضل لنا من التمر كذا وكذا[1].

وعنه في رواية: أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى، فكلم جابر رسول الله ﷺ أن يشفع إليه، فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له، فأبى، فدخل رسول الله ﷺ فمشى فيها، ثم قال: «يا جابر جذ له فأوفه الذي له»، فجذ بعدما رجع رسول الله ﷺ، فأوفاه ثلاثين وسقاً وفضلت سبعة عشرة وسقاً، فأخبر جابر عمر، فقال: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ[2].

وقد أورد الشامي في السبل (١٠/ ٦٤ - ٧٢) تسع روايات في هذا الباب اكتفينا هنا بذكر الذي ثبت منها في الصحيحين أو أحدهما.

١٢ - تكثيره اللحم:

عن أبي عبيد أنه طبخ للنبي ﷺ قدراً، فقال له: «ناولني ذراعاً»، فناوله الذراع، ثم قال: «ناولني الذراع»، فناوله ذراعاً، ثم قال: «ناولني ذراعاً»، فقلت: يا نبي الله، وكم للشاة من ذراع، فقال: «والذي نفسي بيده لو سكت لأعطيت أذرعاً ما دعوت به»[3].

---

(١) البخاري (٢١٢٧، ٢٣٩٥، ٢٦٠١)؛ وغيره أمثال: البيهقي: الدلائل (٦/ ١٥٠)؛ أبو نعيم: الدلائل (٢/ ٣٢٦، ٣٢٧)، أحمد: المسند (٣/ ٣١٣). وصححه على شرط الشيخين محققو الموسوعة الحديثية (١٤٣٥٩).

(٢) البخاري (٢٣٩٦)، في كتاب الاستقراض.

(٣) الدارمي رقم (٤٥١) بإسناد صحيح، كما قال محقق تهذيب الخصائص: الشيخ عبد الله التلبدي.

وروى قصة الذراع هذه أبو رافع ﷺ أيضاً[١].

وعن علي ﷺ قال: جمع رسول الله ﷺ، أو دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فيهم رهط كلهم يأكل الجَذعة ويشرب الفَرَق، قال: فصنع لهم مداً من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقي الطعام كما هو، كأنه لم يمس، ثم دعا بغُمَرٍ، فشربوا حتى رَوُوا، وبقي الشراب كأنه لم يمس، أو لم يشرب، فقال: «يا بني عبد المطلب، إني بعثت لكم خاصة وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ قال: فلم يقم إليه أحد، قال: فقمت إليه، وكنت أصغر القوم، قال: اجلس. قال: ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي»[٢].

وعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ أُتي بقصعة من ثريد، فوضعت بين يدي القوم فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة يقوم قوم ويجلس آخرون، فقال رجل لسمرة بن جندب: أما كانت تُمَدُّ؟ فقال سمرة: من أي شيء تعجب، ما كانت تُمَدُّ إلا ههنا، وأشار بيده إلى السماء[٣].

وعن جابر ﷺ قال، قلت لامرأتي: إن رسول الله ﷺ يجيئنا اليوم نصف النهار، فدخل، وفرشت له، فنام، فذبحت له عناقاً، فلما استيقظ وضعتها بين يديه، فقال: «ادع أبا بكر»، ثم دعا الذين كانوا معه، فدخلوا، فأكلوا حتى شبعوا وفضل

---

(١) أحمد (٦/ ٣٩٢)، وقال محققو الموسوعة الحديثية ـ مسند الإمام أحمد (٤٥/ ١٧٢/ ح٢١٩٥): «حسن لغيره»، وذكروا شواهده. الهيثمي: المجمع (٨/ ٣١٠) وعزاه إلى الطبراني، وقال محقق تهذيب الخصائص للسيوطي ـ الشيخ التليدي: رواه أحمد والطبراني من طرق، بعضها صحيح.

(٢) أحمد: المسند (١/ ١٥٩)، وقال شاكر: إسناده صحيح. المسند (٢/ ٣٥٢، ح١٣٧١). وقال الألباني في «صحيح السيرة النبوية»: «وإسناده جيد»، وحسن إسناده الدكتور التركي في تحقيقه كتاب البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ١٠٣، حاشية (٣))، وضعف إسناده محققو الموسوعة الحديثية. المسند (٢/ ٤٦٥، ح١٣٧١) لجهالة ربيعة بن ناجذ. والجذعة: التي يضحى بها. والفرق: إناء. والغمر: القدح.

(٣) الدارمي رقم (٥٧)، الترمذي (٣٣٩٤) بتهذيب الشيخ التليدي، الحاكم (٢/ ٢١٨)، وصححه الترمذي والحاكم، وهو كما قالا، كما قال التليدي.

القصعة: الجفنة. ثريد: الطعام من اللحم. تعاقبوها: يعقب بعضهم بعضاً في الجلوس للأكل. غُدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وأطلقت هنا على ما بين الصبح والظهر.

منها لحم كثير[١].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ اشترى شاة من أعرابي في أحد أسفره، فشوي سواد بطنها، فأكل منها مع أصحابه المئة والثلاثين حتى شبعوا وفضل منها[٢].

١٣ - تكثيره طعام أبي طلحة:

عن أنس ﷺ أنه كان شاهداً أبا طلحة حين قال لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟.

قالت: ما عندنا إلا نحو من مُدٍّ من دقيق شعير، قال: فاعجنيه وأصلحيه، عسى أن تدعو رسول الله ﷺ فيأكل عندنا شيء قال: فعجنته وخبزته، فجاء قرصاً. قال: فقال لي ادع لي رسول الله ﷺ. قال أنس: فذهبت، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقلت: يا رسول الله أبو طلحة يدعوك، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟»، فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا»، فانطلق، وانطلقنا بين يديه، حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته. قال: فَضَحَنَا. قلت: إني لم أستطع أن أرد على رسول الله ﷺ أمراً. فتلقاه أبو طلحة، فدهش لمن أقبل مع رسول الله ﷺ، فمشى في جنبه، فقال: يا رسول الله، إنما هو قرص، قال: «إن الله ﷻ سيبارك فيه»..

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الباب قال لهم: «اقعدوا»، ودخل رسول الله ﷺ. فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ﷻ ورسوله أعلم، فدعا رسول الله ﷺ فأتته بالقرص، ودعا بجفنة، فوضعه فيها، وقال: «هل من سمن؟». قال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء. قال: فجاء بها، فجعل رسول الله ﷺ وأبو طلحة يعصرانها حتى خرج شيء فمسح رسول الله ﷺ به سَبَّابَتَهُ، ثم مسح القرص فانتفخ. وقال: «باسم الله فانتفخ، فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يَتَصَيَّعُ[٣]. فقال: «ادع عشرة

---

(١) الحاكم (٤/ ١١١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، السيوطي: الخصائص (٢/ ٥٣).

(٢) البخاري (٥١٦٧)؛ مسلم (٢٠٥٦)؛ وغيرهما.

(٣) يتصيع: يَتَهَيَّج ويضطرب. انظر: اللسان: مادة «صيع».

من أصحابي»، فدعوت له عشرة، قال: فوضع رسول الله ﷺ يده وسط القرص كما هو، وقال: «كلوا باسم الله»، فأكلوا من حوالي القرص حتى شبعوا، فلم يزل يدعو عشرة عشرة، يأكلون من ذلك القرص، حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالي القرص حتى شبعوا، وإن وسط القرص حيث وضع رسول الله ﷺ يده كما هو، وأكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة، وأم سليم، وأنا، حتى شبعنا، وفضلت فضلة أهديناها لجيران لنا»[1].

١٤ - تكثيره حَيْسِ[2] أم سليم:

عن ثابت عن أنس ﷺ قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، قالت لي أمي: يا أنس، إن رسول الله ﷺ أصبح عروساً، ولا أدري أصبح له غداء؟ فهلم تلك العكة، فأتيتها بالعكة، وبتمر فجعلتُ له حيساً. فقالت: يا أنس: اذهب بهذا إلى النبي ﷺ وامرأته، فلما أتيت رسول الله ﷺ بتورٍ من حجارة فيه ذلك الحيس، فقال: «ضعه في ناحية البيت، فادع أبا بكر، وعمر، وعلياً، وعثمان، ونفراً من أصحابه، ثم ادع لي أهل المسجد، ومن رأيت في الطريق». قال: فجعلتُ أتعجب من قلة الطعام ومن كثرة ما يأمرني أن أدعو الناس، فكرهت أن أعصيه، حتى امتلأ البيت والحجرة، فقال: «يا أنس، هل ترى من أحد؟» فقلت: لا يا نبي الله، قال: «هات ذاك التَّوْر، فجئت به فوضعته قدامه، فغمس ثلاثة أصابع في التور»، فجعل التور يربو ويرتفع فجعلوا يتغنون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون، وبقي في التور نحوُ ما جئت به. فقال: ضعه قدام زينب».

قال ثابت: قلت لأنس: كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التور؟. قال لي: حسبت واحداً وسبعين، أو اثنين وسبعين[3].

---

(١) البخاري (٣٥٧٨، ٤١٠٢)، مسلم (٢٠٣٩، ٢٠٤٠)، الدارمي (٤٤)، أحمد (٣/ ١٤٧، ٢١٨، ٢٣١)، أبو يعلى (٧/ ١٧٤ - ١٧٦، ح٤١٥١) و(٧/ ٢٩٨، ح٤٣٣١ و٤١٤٥)، ابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٤).

(٢) الحيس: طعام من أقط وسمن، والأقط الحليب المجفف.

(٣) مسلم (١٤٣٣/ ٩٥)، أبو نعيم برقم (٣٣٠)، البخاري - الجزء الثاني منه، تعليقاً (٥١٦٣) ووصله مسلم (١٤٢٨)، الترمذي في التفسير (٧/ ٣٢)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٤٦).

التور: إناء للشرب، يصنع من صُفْر أو حجارة كالإجانة، وقد يتوضأ منه.

١٥ - تكثيره فضلة أزواد أصحابه ﷺ:

عن أبي هريرة وأبي حبيش الغفاري وأبي عمرة الأنصاري وعمر بن الخطاب وأبي الحسن العبدي ﷺ، قالوا: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فأصاب الناس مخمصة شديدة، فاستأذن الناس رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهورهم، وقالوا: يُبَلِّغْنا الله ﷻ فأذن عمر لهم فأخبر رضي الله تعالى عنه فجاء رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله: ماذا صنعت؟ أمرت الناس أن ينحروا الظهر، فعلى ماذا يركبون؟ قال: «فما ترى يا ابن الخطاب؟»، قال: أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفضل أزوادهم فتجمعه في ثوب، ثم تدعو الله ﷻ فيها بالبركة، فإن الله ﷻ سيبلغنا بدعوتك، فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم، فجعل الناس يأتون بالحَثْيَة[1] من الطعام، وفوق ذلك؛ فكان أعلاهم من جاء بالصاع من التمر، فجعلها رسول الله ﷺ في ثوب، ثم دعا لهم، ثم قال: «ائتوني بأوعيتكم فملأ كل إنسان وعاءه، ولم يبق في الجيش وعاء إلا ملأوه، حتى إن الرجل ليعقد قميصه فيأخذ فيه، وبقي مثله، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله ﷺ، لا يلقى الله عبد مؤمن بها إلا حجبت عنه النار»[2].

وعن ابن عباس ﷺ قال: لما نزل رسول الله ﷺ بسَرَ الظهران [موضع على مرحلة من مكة] في عمرته، بلغ أصحابه أن قريشاً يعانون من العجف، فقال أصحابه: لو نحرنا من ظهورنا فأكلنا من لحمه، وحسَونا من مرقه، وأصبحنا غداً ندخل على قومنا، فقال: «لا تفعلوا، ولكن اجمعوا إليّ من أزوادكم، فجمعوا له؛ وبسطوا الأَنْطاعَ[3] وأكلوا حتى تركوه، وحثا كل واحد منهم في جُرَابِه[4].

---

(١) الحثية: ما رفعت به اليدين، أو ملء الكفين؛ انظر: اللسان، مادة «حثا».

(٢) مسلم (٢٧) و(٢٨)، الحاكم (٢/٦١٨، ٦١٩)، وصححه ووافقه الذهبي، أبو يعلى (١/١٩٩ - ١٠٠، ح ٢٣٠)، البيهقي: الدلائل (٥/٢٢٩ - ٢٣١)، الهيثمي: المجمع (٦/١١٤ - ١٩٥)، وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات، أحمد: ٣/٤١٧ - ٤١٨.

(٣) الأنطاع: مفردها نطع، وهو بساط من أديم.

(٤) أحمد (١/٣٠٥)، وصححه شاكر (٤/٢٧٧، ح٢٧٨٣)، المجمع (٣/٢٧٨)، السيوطي: الخصائص (١/٢٥٨)، البيهقي: الدلائل (٦/١٧٢).

١٦ - تكثيره أطعمة مختلفة:

أ - عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ طلب منه أن يدعو له أصحابه، ففعل، ثم قال: فوضعت بين أيدينا صَحْفَةٌ، أظن أن فيها مداً من شعير، فوضع رسول الله ﷺ يده وقال: «كلوا باسم الله، فأكلنا منها ما شئنا، وكنا ما بين السبعين إلى الثمانين، ثم دفعنا أيدينا، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحفة: «والذي نفسي بيده ما أمسى لآل محمد طعام»، قيل لأبي هريرة: قدر كم كانت حين فرغتم منها؟ قال: مثلها حين وضعت، إلا أن فيها أثر الأصابع»[١].

ب - عن وَاثِلَة بن الأَسْقَع، قال إن أهل الصفة بعثوه إلى النبي ﷺ يشكون الجوع، فالتفت عليه الصلاة والسلام في بيته فقال: «هل من شيء؟»، قالوا: ترى كَسْرَة أو كسرتين، وشيء من لبن، فأتى به، ففته دقيقاً، ثم صب عليه اللبن، ثم حيّله [أي حله] بيده حتى جعله كالثريد، ثم قال: «يا واثلة ادع عشرة من أصحابك»، فَفَعَلْتُ، فقال رسول الله ﷺ: «كلوا باسم الله من حواليها، وأبقوا رأسها، فإن البركة تأتيها من فوقها، وإنها تسد»، فرأيتهم يأكلون، ويتخللون أصابعهم حتى تملأوا شبعاً، ثم ذهبوا، فقال: «جِئ بعشرة»، فقال لهم مثل ذلك، فأكلوا منها حتى شبعوا وحتى انتهوا، ثم قال: «هل بقي أحد؟»، قلت: نعم عشرة، فقال: بهم، فقال لهم مثل ما قال لمن قبلهم، فأكلوا حتى شبعوا وحتى انتهوا، وإن فيها فضلة، فقمت متعجباً لما رأيت»[٢].

جـ - عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: صنعت أمي طعاماً إلى رسول الله ﷺ وقالت: (ادعوه)، فجئت فَسَارَرْتُهُ، فقال لأصحابه «قوموا»، فقام معه خمسون رجلاً، فقال: «ادخلوا عشرة عشرة»، فأكلوا حتى شبعوا، وفضل نحو ما كان[٣].

---

(١) البخاري: الصحيح (٥/ ١٢٣)؛ السيوطي: الخصائص (٢/ ٤٩)، المجمع (٨/ ٣٠٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، ابن أبي شيبة: المصنف (١١/ ٤٧٠).

(٢) الطبراني: المعجم الكبير (٢٢/ ٨٦، ح٢٠٨)، وحسنه الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٠٥)، الحاكم (٤/ ١١٦، ١١٧)، وصححه من طرق آخر، ولم يوافقه الذهبي، وهو صحيح بمجموع الطرق، أبو نعيم: الدلائل (٢/ ١٠٥)، ابن عساكر (١٧/ ٣٥٣)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٤٧).

(٣) قال الشامي في السبل (١٠/ ٩٥) إن الطبراني رواه بإسناد حسن، مسلم (١٤٣)، البخاري (٦/ ٧٤)، ابن ماجه (١٢٣٥)، أحمد (١/ ٣٥٦)، وغيرهم.

د - عن أبي هريرة ﷺ قال: دعاني رسول الله ﷺ ليلة، فقال: «انطلق إلى المنزل، فقل: هلموا إلى الطعام الذي عندكم»، فأعطوني صحفة فيها عصيدة بتمر، فأتيته بها، فقال: «ادع إليّ أهل المسجد، فقلت في نفسي: الويل لما أرى من قلة الطعام، والويل من المعصية». فدعوتهم فاجتمعوا، فوضع النبي ﷺ أصابعه في نواحيها، وقال: «كلوا باسم الله»، فأكلوا حتى شبعوا، وأكلت حتى شبعت، ورفعتها، فإذا هي لهيئتها حين وضعتها إلا أن فيها أثر الأصابع[1].

هـ - عن سلمة بن نفيل السكوني ﷺ قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ قال قائل: يا رسول الله: هل بطعام من السماء؟ وفي لفظ: من الجنة: قال: «نعم»، قال: وبماذا؟ قال في مسخنة [قدر كالتور يسخن فيها الطعام]، قال: فهل كان فيها فضل عنك؟ قال: نعم، قال: فما فَعَلَ به؟ قال: رفع إلى السماء..»[2].

١٧ - تسبيح الطعام والشراب بين يديه:

عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[3].

١٨ - انقياد الشجر له ﷺ، وسلامه عليه:

أ - عن جابر ﷺ قال: ذهب رسول الله ﷺ ليقضي حاجته، فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي متباعدتين، فأخذ بغصن من أغصان أحدهما، فانقادت له كالبعير المخشوش [المجعول في أنفه حلقة فيها الخطام] حتى إذا كانت بالمنصف [النصف - نصف المسافة أو الطريق، وفعل بالأخرى كذلك، فالتأمتا

---

(١) قال الشامي في السبل (١٠/ ٩٧) إن الطبراني روى هذه القصة. بإسناد حسن، الهيثمي: المجمع (ح. ١٠١، ٢٩٦، ٣٠٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، . . .

(٢) قال الشامي في السبل (١٠/ ١٠٦): رواه الإمام أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه وقال الذهبي - في المختصر - إنه من غرائب الصحاح، أحمد (٤/ ١٠٤)، وصحح محققو الموسوعة إسناده، النسائي: المجتبى (٨/ ٢٢٨)، الدارمي: السنن (١/ ٢٩، ٣١) الحاكم (٤/ ٤٤٧) وصححه على شرط الشيخين، السيوطي: الخصائص (٢/ ٥٦)، ابن حبان: الزوائد (٣/ ١٤١).

(٣) البخاري (٣٥٧٩) و(٣٣٨٦)، الترمذي (٣٦٣٣) وقال: حسن صحيح، أبو الشيخ: العظمة (١٢١٢، ١٢١٣) بإسناد صحيح، البيهقي: الدلائل (٦/ ٦٢)، ابن حبان: الإحسان (٦٤٥٩).

بإذن الله تعالى، فلما قضى حاجته افترقتا. وعادت كل واحدة منهما إلى منبتها[١].

ب - عن ابن عباس ﷺ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: بم أعرف أنك رسول الله ﷺ؟، قال: «أرأيت إن دعوتُ هذا العِذْقَ [العرجون بما فيه من الشَّمَارِيخ] من هذه الشجرة تشهد أني رسول الله؟»، قال: نعم. قال: فدعا العذق، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط إلى الأرض بنقز، فأقبل إليه، وهو يسجد ويرفع حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، ثم قال له: «ارجع»، فرجع إلى مكانه. فقال: والله لا أَكْذِبُكَ بشيء تقوله بعدها أبداً، أنا أشهد أنك رسول الله، وآمن.

وفي لفظ عنه، قال: جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ كان يداوي ويعالج، فقال له: يا محمد، إنك تقول أشياء فهل لك أن أداويك، قال: فدعاه رسول الله ﷺ، ثم قال له: «هل لك أن أداويك»، قال: إيه، وعنده نخل وشجر. قال: فدعا رسول الله ﷺ عذقاً منها، فأقبل إليه وهو يسجد...»، الخبر بنحو السياق السابق[٢].

جـ - عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، قال: سألت مسروقاً مَنْ آذَنَ النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن، فقال: حدثني أبوك قال: أذنتْ بهم شجرة»[٣]. أي أعلمته.

د - عن يعلى بن مرة ﷺ قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ، فنزلنا منزلاً، فنام رسول الله ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض، حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ، ذكرتُ ذلك له، فقال: «هي شجرة استأذنت ربها ﷻ في أن تسلم عليّ، فأذن لها»[٤].

---

(١) مسلم (٣٠١٢)، الدارمي في المقدمة برقم (١٦)، قال ابن كثير في البداية (٦/ ١٣١): إسناده جيد.

(٢) البخاري: التاريخ الكبير (٣/ ١/ ٣)، أبو يعلى: المسند (٤/ ٢٣٦، ٢٢٧، ح٢٣٥٠)، وإسناده صحيح، ابن حبان: الموارد (٢١١١) بالإسناد نفسه، البيهقي: الدلائل (٦/ ١٥ - ١٦)، أبو نعيم برقم (٢٩٧). وعن اللفظ الثاني ينظر: أبو يعلى والهيثمي (٩/ ١٠) برجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج، وهو ثقة، الدارمي (٢٤)، الترمذي (٣٣٩٧)، الحاكم (٢/ ٦٢٠)، من طرق بعضها صحيحة كما عند الدارمي ولذلك حسنه الترمذي وصححه هو والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وله شاهد عن ابن عمر، رواه الدارمي (١٦) وابن حبان (٢١١٠)، بسند صحيح.

(٣) البخاري (٥/ ٥٨).

(٤) الحاكم (٢/ ٦١٧)، وصححه وافقه الذهبي، أبو نعيم: الدلائل (٢/ ١٣٨)، البيهقي: الدلائل (٦/ ٢٣)، ابن ماجه (٣٣٩)، الدارمي: المقدمة (٤).

هـ - وعن ابن عمر ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه أعرابي، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أعرابي، أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟»، قال: ما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه السَّمُرَة»، وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تجد الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها، فشهدت الشهادتين، ثم أمرها فرجعت إلى مكانها[1].

و - وسبق أن أوردنا قصة الشجرة التي طلب منه جبريل ﷺ أن يدعوها فدعاها، فجاءته. وإسنادها صحيح - وانظرها عند الشامي في السبل (١٠/١٢٦).

ز - وعندما تعجب ركانة من صرع محمد ﷺ له، قال له النبي ﷺ: «... وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه، إن اتقيت الله واتبعت أمري»، قال ركانة: وما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني»، قال: أُدْعُها، فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يَدَي رسول الله ﷺ، فقال لها: «ارجعي إلى مكانك». فرجعت إلى مكانها[2].

ح - وعن سلمان الفارسي ﷺ في قصة إسلامه، قال: (قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب يا سلمان»، فكاتبت صاحبي - يعني سيده ومالكه - على ثلاثمئة نخلة أُحييها له بالفقير - أي بالحفر والغرس - وأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم»، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيَّةً، [جمعها الوديُّ: فراخ النخل الصغار - الفسائل] والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمس عشرة ودية، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمئة ودية؛ فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان فَفَقِّر - أحفر - لها، فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي. قال: ففقرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، حتى

---

(١) البيهقي: الدلائل (٦/ ١٤-١٥)؛ ابن كثير: (التاريخ (٦٧٧٨/التركي)، وجود سنده، المجمع (٨/ ٢٩٢)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) ابن هشام (٢/ ٣٥)، من حديث ابن إسحاق، بإسناد منقطع يتقوى بتعدد طرقه، فيكون حسناً، كما قال المحققان.

فرغنا، فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة...)[١].

وفي رواية البيهقي: (.... فغرس النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر بن الخطاب، فأطعم النخل من سنته إلا تلك النخلة، فقال النبي ﷺ: «من غرسها؟»، قالوا: عمر بن الخطاب، فغرسها رسول الله ﷺ بيده، فحملت من عامها)[٢].

١٩ - تكثيره الذهب الذي دفعه لسلمان الفارسي ﷺ:

جاء في رواية إسلام سلمان السابقة، قوله: ... فأديت النخل وبقي عليَّ المال. فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدُعيت له، فقال: خذ هذه فأدِّها مما عليك يا سلمان، قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ! فقال: «خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها...)[٣].

٢٠ - تحرك الجبل فرحاً به ﷺ:

عن أنس ﷺ قال: صعد النبي ﷺ أحداً، أو حراء، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه النبي ﷺ برجله وقال: «أثبت، عليك نبي، وصديق، وشهيد»[٤]. وعن أبي هريرة مثله، وزاد: «..... وعلي وطلحة والزبير...»، فقال: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[٥].

---

(١) ابن هشام (١/ ٢٨١)، من حديث ابن إسحاق الطويل، بإسناد حسن لذاته. وقول النبي ﷺ: «كاتب يا سلمان» عند البخاري (معلقاً في كتاب البيوع، باب: شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، وأشار ابن حجر في الفتح (٩/ ٢٨٠) إلى طريق ابن إسحاق الموصولة وطريق آخر عند ابن حبان والحاكم، من حديث ابن إسحاق.

(٢) البيهقي: الدلائل (٢/ ٨٢، ٦/ ٩٧)، الهيثمي: المجمع (٩/ ٣٣٥ و٣٣٦) وعزاه لأحمد والبزار، وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(٣) مصادر الفقرة السابقة نفسها.

(٤) البخاري (٣٤٧٢) و(٣٦٧٥) و(٣٦٩٩)، الترمذي (٢٦٩٧)، أبو داود (٤٦٥١)، أحمد (١/ ٥٩، ١٨٨، ٢/ ٤١٩، ٣/ ١١٢، ٥/ ٣٣١، ٣٤٦).

(٥) مسلم (٢٤١٧)، وفيه أن الجبل حراء، وزاد ثالثاً، وهو ابن أبي وقاص.

وعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده»، ثم يقول: «أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، وَيَغْمِزُ رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى أني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟»[1].

وعن عائشة ﷺ أنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]:

قال: يقول: أنا الجبار، ويمجد الرب نفسه، فرجف برسول الله ﷺ منبره حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ عنه»[2].

وسبق وأن ذكرنا في أحداث فتح مكة معجزة تنكيس الأصنام حين أشار إليها، من رواية البخاري ومسلم وغيرهما. وذكرنا معجزة نفثت الصخرة له حين ضربها، وذلك في أحداث غزوة الخندق - من رواية البخاري وغيره. وذكرنا سلام الأحجار عليه وهو بمكة، من رواية الإمام مسلم وغيره.

٢١ - قصصه المعجزة مع الحيوانات:

أ - انقياد الحيوانات له:

• عن ابن عمر ﷺ قال: جاء قوم من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله، إن لنا بعيراً قد نَدَّ [هائد، رفض الانقياد] في حائط، فجاء إليه رسول الله ﷺ فقال: «تَعَالَ»، فجاء مُطَأْطِئاً رأسه، حتى خَطَمَهُ، وأعطاه أصحابه، فقال له أبو بكر: يا رسول الله كأنه علم أنك نبي، فقال رسول الله ﷺ: «ما بين لابتيها أحدٌ إلا يعلم أني نبي إلا كفرة الإنس والجنّ»[3].

---

(١) مسلم (١٠/ ٣٠٧/ ، مبحث المنافقين، شرح النووي)، أحمد (٢/ ٨٨)، الطبراني: الكبير (١٢/ ٣٨٩، ح٣٧، ١٣٤)، ابن ماجه (٢/ ١٤٢٩، ح٤٢٧٥).

(٢) الحاكم (٢/ ٢٥٢، ٤٣٦) وصححه على شرط الصحيحين.

(٣) أحمد، برقم (١٣٩٢٣)، والفتح الرباني (٢٢/ ٤٦)، وحسن الهيثمي في المجمع إحدى طرق الإمام أحمد والطبراني، كما قال الساعاتي. ثم قال: هذه الطرق التي جاءت هنا بعضها صريح وبعضها حسن ويؤيد بعضها بعضاً.

• وفي رواية: أنه قال لهم: «إنه شكا كثرة العمل، وقلة العَلَف، وأنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في العمل الشاق من صغره»، فقالوا: نعم يا رسول الله[١].

• وفي رواية أنه أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فقال الصحابة: يا رسول الله، هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن نسجد لك، فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفس محمد بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قُرْحَةٌ تفجر بالقيح والصديد ثم استَقْبَلَتْهُ فَلَحَسَتْهُ ما أدت حقه»[٢].

• وقد تعددت طرق وألفاظ هذه القصة كما جاء في الفتح الرباني والسبل المشار إليهما في الحاشية.

• وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ، قال: (دخل رسول الله ﷺ حائطاً، فجاء بعير فسجد له)[٣].

• وأورد الشامي في السبل (١٠/ ١٥٣ - ١٦٢) أربع عشرة قصة في هذا الباب؛ منها الضعيف ومنها القوي، ومعناها واحد! وهي عن جمع من الصحابة ﷺ.

• وذكرنا فيما سبق، في مبحث رحمته بالحيوانات، قصة جمل الفتى الأنصاري الذي اشتكى من مشقة العمل والتجويع، وإسناده حسن.

• ومر في سفر ببعير يستقي عليه الماء، فلما رأى النبي ﷺ جَرْجَرَ، ووضع جِرَانَهُ [أي صَوَّتَ، والجران: باطن العنق]، فقال ﷺ: «إنه يشتكي كثرة العمل وقلة العلف»[٤].

---

(١) أحمد، برقم (١٢١١٥)، عن يعلى بن مرة ﷺ. وانظر لحاشية أعلاه.

(٢) أحمد (٣/ ١٥٨، ١٥٩)، قال ابن كثير في البداية (٦/ ١٤٢): وهذا إسناد جيد وقد روى النسائي بعضه. وقال الشامي في السبل (١٠/ ١٥٣): رواه الإمام أحمد والنسائي بسند جيد. وقال عن رواية مختصرة من حديث عائشة ﷺ عند أحمد وأبي نعيم والطبراني: بسند جيد. السبل (١٠/ ١٥٤). وسائها كأنها قصة أخرى. وحسن الألباني في الإرواء (٧/ ٥٤ - ٥٥) حديث الجمل والنهي عن السجود له.

(٣) البزار: السنن (٢/ ١٧٩، ٣/ ١٥٠)، أبو نعيم (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣)، المجمع (٧١٩)، بإسناد حسن، انظر تحقيق السبل (١٠/ ١٥٥).

(٤) الحاكم (٢/ ٦١٧ - ٦١٨)، وصححه ووافقه الذهبي، البغوي: مصابيح السنة (٤٦٣٨) وحسنه، أحمد (٤/ ١٧٠، ١٧٣) وإسناده ضعيف، أبو نعيم (٢٨٣).

ب - بركته عليه الصلاة والسلام في الحيوانات:

■ ذكرنا في أحداث غزوة ذات الرقاع قصة جمل جابر ﷺ من رواية البخاري ومسلم وغيرهما، باختصار شديد، ونفصل هنا في الجانب المتعلق بهذه المعجزة.

قال جابر ﷺ: غزوت مع رسول الله ﷺ فتلاحق بي [أي أدركني النبي ﷺ] وتحتي ناضح [الجمل الذي يستقى عليه] أُعْيَى ولا يكاد يسير، وأبطأ عليّ حتى ذهب الناس، فجعلت أَرْفُذُهُ حتى يَهُمّني شأنه، فإذا رسول الله ﷺ في آخر الناس، فقال لي: «ما لبعيرك؟»، قلت: عليل أبطأ وأَعْيَى، فمسح في نحره من الماء، ثم ضربه ودعا له، فوثب ثم قال: «اركب باسم الله». قلت: إني أرضى أن يُسَاقَ معنا». قال: «اركب»، فركبت، فوالذي نفسي بيده لقد رأيتني لأكفه عن رسول الله ﷺ إرادة ألا يسبقه، فما ركبت دابة قبله ولا بعده أوسع ولا أوطأ منه، وما زال بين يدي الإبل يسير قدامها، فقال رسول الله ﷺ: «كيف ترى بعيرك؟»، قلت: بخير قد أصابته بركتك[1].

■ بركته ظهور - ركائب - المسلمين في غزوة تبوك. وقد ذكرناه في مكانه من أحداث غزوة تبوك من حديث أحمد والطبراني بإسناد حسن.

■ بركته في فرس جُعَيْل:

عن جعيل الأشجعي ﷺ قال: غزوت مع رسول الله ﷺ وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، فكنت في أخريات الناس، فلحقني رسول الله ﷺ فرفع مِخْفَقَةً، فضربها وقال: «اللهم بارك فيها»، فلقد رأيتني ما أملك رأسها أن أتقدم الناس، ولقد بِعْتُ من بطنها بِاثْنَيْ عَشَرَ ألفاً[2].

■ بركته في فرس أبي طلحة:

---

(١) البخاري (٢٠٩٧)، مسلم (١٤٦٦)، أبو نعيم: الدلائل (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، السيوطي: الخصائص الكبرى (٢/ ٥٨)، البيهقي: الدلائل (٦/ ١٥٢).

(٢) الطبراني: المعجم الكبير (٢/ ٣١٥، برقم ٢١٧٢)، قال في المجمع (٥/ ٢٦٢): ورجاله ثقات، البيهقي: الدلائل (٦/ ١٥٣)، النسائي: السنن الكبرى (٨٨١٨) السيوطي: الخصائص (٢/ ٦٣، ٦٤). وقال الشامي عن هذه الأسانيد (١٠/ ١٨٤): «روى النسائي في الكبرى والطبراني ـ برجال ثقات ـ والبيهقي ـ بسند صحيح عن جعيل...». المخفقة: الدِّرَّة.

عن أنس ﷺ أن أهل المدينة فزعوا مرةً، فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة، كان يَنْطِفُ به أو قِطَافٌ، وفي رواية: يُبَطَّأُ، فلما رجع قال: «وجدنا فرسك بحراً»، فكان بَعْدُ لا يُجَارَى[1].

جـ - شهادة الحيوانات والطيور له بالرسالة:

• شهادة الذئب له بالرسالة:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقْعَى الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليَّ؟، فقال: يا عجبي، ذئب يقعي على ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة.

ثم خرج فقال للراعي: «أخبرهم». فأخبرهم. فقال رسول الله ﷺ: «صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يُكَلِّمُ السباعُ الإنسَ، ويكلمُ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وشِرَاكُ نَعْلِهِ، ويُخْبِرُهُ فَخِذُهُ بما أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»[2].

وفي رواية من حديث أبي هريرة ﷺ عندما كلم الذئب راعي الغنم، فقال الرجل: تالله إنْ رأيت كاليوم ذئباً يتكلم. فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم. وكان الرجل يهودياً، فجاء النبي ﷺ فأسلم وَخَبَّرَهُ فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ[3].

• شهادة الغزالة له بالرسالة واستجارتها به:

(١) البخاري (٦/ ٥٨) و(٥/ ٢٧٠) و(٦/ ١٠٨، ١٠٩)، أحمد (٣/ ١٤٧). يقطف: يقارب خُطاه، مما يدل على كسله. يُبَطَّأُ: يُضَيِّقُ الخُطَا.

(٢) أحمد (٣/ ٨٨)، الحاكم (٤/ ٤٦٧ - ٤٦٨) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. البيهقي: الدلائل (٦/ ٤١، ٤٢)، وصححه، ابن كثير: البداية (٦/ ١٥٠) وصححه على شرط الصحيح، ابن حبان: الإحسان (١٤/ ٤١، ح٦٤٩٤)، بإسناد صحيح على شرط مسلم، السيوطي: الخصائص (٢/ ١٠٣)، وقال: سنده صحيح.

(٣) أحمد (٢/ ٣٠٦)، قال ابن كثير في البداية (٦/ ١٥٠): تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه، السيوطي: الخصائص (٢/ ١٠٣)، وقال: سنده صحيح.

عن أبي سعيد الخدري وأنس وأم سلمة، ولفظ أنس: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض سِكَكِ المدينة، فمررنا بِخِبَاءٍ، وإذا بظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: «يا رسول الله، إني أُخِذْتُ، ولي خِشْفَانِ[1] في البَرِّيَّةِ، وقد انعقد اللبن في أَخْلَافِي[2]، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا هو يَدَعُني فأرجع إلى خِشْفَيَّ في البرية. فقال لها رسول الله ﷺ: «إن تركتك ترجعين؟»، قالت: نعم، وإلا عذبني الله عذاباً أليماً.

وفي لفظ: فاستأذن لي أرضعهما، وأعود إليهم. قال: «وتفعلين؟»، قالت: عذبني الله عذاب العَشَّار[3] إن لم أفعل، فقال: «أين صاحب هذه؟»، فقال القوم: نحن يا رسول الله، قال: «خلوا عنها، حتى تأتي خِشْفَيْهَا تُرْضِعُهُما، وترجع لكم»، فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: «أنا». فأطلقوها، فذهبت، فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها. فمر بهم رسول الله ﷺ فقال: «أين أصحاب هذه؟»، فقالوا: نحن يا رسول الله، فقال: «تبيعونها؟»، فقالوا: هي لك يا رسول الله. قال: «خلوا عنها، وأطلقوها»، فذهبت، وهي تضرب برجلها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

قال زيد بن أرقم: (فأنا والله رأيتها تسبح في البرية، وهي تقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله)[4].

قال الشامي، قال القطب الحيضري - في خصائصه -: هذا الحديث ضعفه بعض الحفاظ، لكن طرقه يتقوى بعضها ببعض.

وقال الشامي: قال الشيخ: لهذا الحديث طرق كثيرة تشهد أن للقصة أصلاً. وقال الحاوي في أماليه - على مختصر ابن الحاجب - بعد أن أورد، من حديث أبي سعيد: حديث غريب. وعلي بن قادم وشيخه، وشيخ شيوخه كوفيون شيعيون فيهم،

---

(١) الخشف: ولد الظبية أو الغزال.

(٢) الأخلاف: الضرعان.

(٣) العشار: صاحب المكوس الذي يأخذ العشر من الأموال.

(٤) البيهقي: الدلائل (٦/ ٣٤، ٣٥)، أبو نعيم: الدلائل (٣٢٠)، وذكر ابن كثير في البداية (٦/ ١٤٨ وما بعدها) والسيوطي في الخصائص (٢/ ٦٠) طرقاً أخرى له، عن أنس وأم سلمة وغيرهما، الطبراني: الكبير (٢٣، ح٧٦٣)، وزهق ابن حجر إسناده في تخريجه أحاديث مختصر المنتهى. والخلاصة أن كل الطرق ضعيفة، ولكن القصة مشهورة في المصادر، وعلى أقل تقدير فإن لها أصلاً.

فقال: وأشدهم ضعفاً عطية، ولو تربع حكمتُ بحسنه»[١].

• في شكوى الحُمَّرَة إليه:

ذكرنا قصتها في المبحث الخاص برحمته ﷺ بالحيوانات. وصححها الألباني في السلسلة الصحيحة كما ذكرنا هناك، وصححها غيره كما في الحاشية (٢)، ص ١٨٠ من ج١٠، السبل: للشامي.

• بدنات يَزْدَلِفْنَ إليه لما أراد نحرهن:

عند عبد الله بن قُرْط ﷺ قال: قرّب لرسول الله ﷺ خمس بدنات أو ست لينحرهن في يوم عيد، فطفقن يَزْدَلِفْنَ إليه بأيتهن يبدأ، أي يُقَرِّبْنَ[٢].

• خشية الوحش الناجن له:

قالت عائشة ﷺ: كان لآل رسول الله ﷺ وحش، وفي لفظ: دَاجِنٌ. فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس أن رسول الله ﷺ قد دخل، رَبَضَ فلم يترمرم ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه[٣].

• شهادة الأسد له بالرسالة:

عن سفينة - مولى رسول الله ﷺ - ﷺ، قال: ركبت سفينة في البحر، فانكسرت، فركبت لوحاً منها، فأخرجني إلى أَجَمَةٍ فيها أسد، إذ أقبل الأسد، فلما رأيته قلت: يا أبا الحارث، أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، فأقبل يُبَطْبِطُ بذنبه حتى ضربني بجنبه كأنما سمع صوتاً أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبي حتى أقامني على

---

(١) الشامي: السبل (١٠/ ١٧٦ - ١٧٧).

(٢) قال الشامي في السبل (١٠/ ١٨٨): رواه أبو داود والنسائي وأبو مسلم الكَجِّيُّ. انظر: أبو داود: السنن (١٧٦٥)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٣٩) من رواية الطبراني وأبي نعيم والحاكم وصححه، الحاكم (٤/ ٢٢١) وصححه وأقره الذهبي، أحمد (٤/ ٣٥٠). وصححه محققو الموسوعة الحديثية (١٩٠٧٥).

(٣) قال الشامي في السبل (١٠/ ١٧٣): رواه أحمد ومسدد وأبو يعلى والبزار والطبراني بإسناد صحيح عن عائشة ﷺ، أحمد (٦/ ١١٣)، أبو يعلى: المسند (٨/ ١٢١، ح٤٦٦٠) برجال الصحيح، قال ابن كثير في الشمائل (٢٨٠) بعد أن أورد طريقي أحمد: وهذا الإسناد على شرط الصحيح ولم يخرجوه، وهو حديث مشهور.

الطريق، ثم هَمْهَمَ ساعةً، فرأيت أنه يُوَدِّعُنِي[١].

إن هذا التصرف من هذا الأسد فيه دلالة على إلهام الله للإيمان برسالة محمد ﷺ.

• إلهام الله ﷻ طائراً ليحميه من الأذى:

عن أبي أمامة ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ بخفيه، فلبس أحدهما، ثم جاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به، فخرجت منه حَيَّةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى يَنْفُضَهُمَا»[٢].

• وهناك شهادات لحيوانات أخرى، تشهد له بالرسالة، أعرضنا عنها لضعفها الشديد، مثل: شهادة الضب[٣]، ومجيء الشاة من البرية إليه لتشهد برسالته[٤].

٢٢ - معجزاته المتمثلة في بعض الأشياء:

• بركاته المعجزة:

إضافة إلى ما سبق ذكره من معجزاته في البركة على الحيوانات وفي تكثير أطعمة مختلفة، وهي تدخل في باب البركة أيضاً، نضيف هنا بعض القصص الأخرى الدالة على بركاته الدالة على ما أكرمه الله به من المعجزات:

أ - تحمل سَفِينَة الأثقال:

سئل سفينة - مولى رسول الله ﷺ عن سبب تسميته «سفينة»، فقال: سماني

---

(١) البيهقي: الدلائل (٦/ ٤٥، ٤٦)، أبو نعيم: الدلائل (٢/ ٥١)، السيوطي: الخصائص الكبرى (٢/ ٦٥)، الحاكم (٢/ ٦١٩، ٣/ ٦٠٦) صححه على شرط الصحيحين، الطبراني: المعجم الكبير (٧/ ٨١، رقم ٦٤٣٢).

(٢) أبو نعيم: الدلائل (١/ ٦٢)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٦٥)، الطبراني: الصغير (٢/ ١٨٠)، ورمز له بالضعف، الهيثمي: المجمع (٥/ ١٤٠) من رواية الطبراني، وقال عنه محقق السبل (١٠/ ١٨٧، حاشية (٨)): (.... فرواته ثقات وهو صحيح إن شاء الله).

(٣) انظر: الشامي: السبل (١٠/ ١٧٨). وحقق هذا الحديث وعلق عليه من جميع طرقه: أبو عمار عبد الله بن ضيف الله العامري بعنوان: «حديث الضب الذي تكلم بين يدي رسول الله ﷺ، رواية أبي القاسم سلمان بن أحمد الطبراني» رسالة صغيرة في ٢٦ صفحة نشر دار الريان.

(٤) الشامي: السبل (١٠/ ١٨١).

رسول الله ﷺ سفينة حين خرج ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فحملوه على ظهري، فقال رسول الله ﷺ: «احمل، فإنما أنت سفينة»، قال: فلو حملت من يومئذ وِقْرَ بعير أو بعيرين أو ثلاثة.... أو سبعة ما ثقل عليَّ[1].

ب - إنبات الشعر:

عن عبد الله بن هلال الأنصاري ﷺ أن أباه ذهب به إلى رسول الله ﷺ طالباً أن يدعو الله لينبت شعره، فمد يده على رأسه ودعا له وبارك له. قال الراوي: فرأيته أبيض الرأس واللحية، ما يستطيع أن يَفْرُقَ رأسه من الكِبَرِ، وكان يصوم النهار ويقوم الليل[2].

جـ - دوام اسوداد مكان مسحه الرأس ببركته:

أورد الشامي في السبل (١٠/ ٢٥٥ - ٢٥٨) عدة قصص في هذا الباب، منها ما رواه البخاري في التاريخ الكبير وأهل الدلائل والسنن وغيرهم، ومثاله:

عن أبي زيد الأنصاري، قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي، وقال: «اللهم جمله». فبلغ بضعاً ومئة سنة، وما في لحيته بياض، ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات[3].

• بركة يده الشريفة وريقه في الأبدان:

سبق ذكر نفله في عين علي ﷺ المصابة بالرمد في أحداث غزوة خيبر ورده عين قتادة ﷺ يوم أحد وإبراء رجل عبد الله بن عتيك ﷺ في سريته لقتل سلام بن أبي الحقيق، وبركة يده عندما مسح ظهور ركائب المسلمين يوم تبوك وجمل جابر ﷺ في غزوة ذات الرقاع. وما يمكن إضافته هنا على الفقرة السابقة:

عن الذيال - حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي أو الأسدي، قال: كان يؤتى

---

(١) أحمد (٥/ ٢٢١)، وحسنه محققو الموسوعة الحديثية (٢١٩٢٥) السيوطي: الخصائص (٢/ ٧٣)، البيهقي: الدلائل (٦/ ٤٧)، الحاكم (٣/ ٦٠٦) وصححه ووافقه الذهبي. والوِقْرُ: الحمل، أو الثقل.

(٢) الهيثمي: المجمع (٩/ ٣٩٩)، وحسن إسناده من رواية الطبراني، وقال الشامي في السبل (١٠/ ٢٥٤) إن الطبراني رواه بسند حسن؛ انظر الطبراني: الكبير (٢٤/ ٢١٩، برقم ٥٣٧).

(٣) الترمذي (٥/ ٥٩٤) وحسنه، البيهقي: الدلائل (٦/ ٢١١)، وقال محقق السبل عن إسناده (١٠/ ٢٥٧): هذا إسناد صحيح موصول، الحاكم (٣/ ٦٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي، على شرط مسلم.

بالإنسان الوارم وجهه إلى رسول الله ﷺ، فَيَتْفُلُ على يديه، ويقول: «باسم الله»، ويضع يده على رأسه موضع كف رسول الله ﷺ ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم[١].

وعن عتبة بن فَرْقَدٍ أن رسول الله ﷺ نَفَثَ في يده، ثم وضعها على ظهره وبطنه وهو متجرد من ثيابه، فَعَبِقَ به طيب ظل معه طوال حياته، وهو أطيب من طيب زوجاته اللائي كن يَتَبَارَيْنَ في صنع الطيب[٢].

وعن محمد بن حاطب عن أمه - أم جميل بنت المُجَلِّلِ أن قِدْرَهَا انْكَفَأَ على ذراع ابنها محمد، فأتت به النبي ﷺ، فجعل يَتْفُلُ على يد ابنها محمد ويقول: «أَذْهِبِ البأسَ رَبَّ الناسِ، أَشْفِ أنت الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا»، فقالت لابنها: فما قمت بك من عنده حتى بَرِئَتْ يَدُكَ[٣].

وعن جابر ﷺ قال: عادني رسول الله ﷺ في بني سلمة، فوجدني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ، فرش منه عليَّ فأفقت[٤].

وذكر الشامي في السبل قصصاً أخرى كثيرة في إبراء المجنون والإغماء[٥]. وغيرها من الأمراض[٦] ورد الشمس لعلي ليصلي العصر، ولتصل عير قريش نهاراً في قصة الإسراء والمعراج. وقد أنكر العلماء رد الشمس كما في تعليق محقق الشمائل

---

(١) أحمد (٥/٦٨) وصحح محقق تهذيب الخصائص إسناده (ص٢٦٦/ برقم ٣١٩)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٨٣، ٨٤)، المجمع (٩/٤٠٨)، البخاري: الكبير (٢: ١: ٣٨)، البيهقي: الدلائل (٦/ ٢١٤ ـ ٢١٥)، قال الشامي في السبل (١٠/٢٥٨): ورواه الإمام أحمد برجال ثقات، وابن سعد، والحسن، ويعقوب بن سفيان، وأبو يعلى وصححه، والضياء في المختارة عن حنظلة.

(٢) ذكرنا القصة باختصار. انظر: الطبراني: الكبير (١٧/ ١٣٣ ـ رقم ٣٢٩)، وفي الأوسط برقم (٣٢٧)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٨٤)، البيهقي: الدلائل (٦/ ٢١٦) وجود الشامي في السبل (١٠/ ٢٦١) إسناد الطبراني، عن أم عاصم ـ زوجة عتبة.

(٣) رواه جمع من أهل الحديث والدلائل على رأسهم البخاري في التاريخ الكبير، والبخاري (٤/ ٥٨، ١٧، ١٨)، مسلم (٢١٩١)، الدعاء، انظر حاشية (٢) لمحقق السبل (١٠/ ٢٣٦)، والدعاء المذكور ثابت في الصحيح، انظر البخاري (٥٧٤٣)، مسلم (٢١٩١).

(٤) البخاري (ح٥٦٥١)، واللفظ له مسلم (ح٢١٩١ وفيه الدعاء فقط).

(٥) السبل (١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩).

(٦) (١٠/ ٢٥٠).

(٩/ ٦١١).

■ معجزاته في الأشياء:

سبق وأن ذكرنا عدة معجزات له عليه الصلاة والسلام في الأشياء الجمادية مثل الجذع الميت والأحجار والذهب والجبال والأصنام والصخور والعصيّ.

نذكر هنا معجزات أخرى له في الجماد أو الأشياء التي توقفت فيها الحياة:

أ - عن أبي قتادة بن النعمان ﷺ قال: خرجت ليلة من الليالي مظلمةً، فقلت: لو أتيتُ رسول الله ﷺ وشهدت معه الصلاة وآنسته بنفسي، وفي لفظ: فقلت: لو أني اغتنمت شهود العَتْمَة مع رسول الله ﷺ، ففعلت، فلما دخلت المسجد برقت السماء، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «يا أبا قتادة، ما هاج عليك؟»، قلت: يا رسول الله: أردت - بأبي أنت وأمي - أن أُؤنِسَكَ، وفي لفظ: فلما انصرف رسول الله ﷺ ومعه عرجون، قال: «خذ هذا العُرجون، فتحصن به، فإنك إذا خرجت أضاء لك عشراً أمامك وعشراً خلفك». وفي لفظ: فقال: «إن الشيطان قد خلفك في أهلك، فاذهب بهذا العرجون، فأمسك به، حتى تأتي بيتك، فخذه من وراء البيت»، ثم قال لي: «إذا دخلت بيتك مثل الحجر الأخشن في أستار بيتك، فإن ذلك الشيطان»، قال: فخرجت، فأضاء لي العرجون مثل الشمعة، فاستضأت البيت، فأتيت به، فوجدتهم قد رقدوا، فنظرت إلى الزاوية، فإذا فيه قُنْفُذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج، وفي لفظ: ثم أضرب مثل الحجر الأخشن حتى خرج من بيتي[1].

ب - وعن أنس ﷺ أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير كانا عند رسول الله ﷺ في ليلة شديدة الظلمة، وعندما عادا أضاءت لهما عصاواهما فمشيا في ضوئهما حتى فارَقهما[2].

---

(١) قال الشامي في السبل (١٠/ ٢٧٧): رواه الطبراني وأحمد والبزار - ورجال أحمد رجال الصحيح، وأبو القاسم - بسند صحيح عن أبي قتادة - انظر: أحمد (٣/ ٦٥)، الطبراني: الكبير (١٩/ ١٣-١٤) و(١٩/ ٥-٦)، ووثق الهيثمي رجاله (٢/ ٤١)، ولكن عمر بن قتادة مقبول كما في التقريب، الهيثمي: كشف الأستار (٣/ ٢٦١، رقم ٧٠٩)، السبل (١٠/ ٢٧٨) حاشية المحقق.

(٢) البخاري (٧/ ١٨٣) وفي الفتح برقم (٣٦٣٩)، الحاكم (٣/ ٢٨٨) وصححه على شرط مسلم، البيهقي: الدلائل (٦/ ٧٧ - ٧٨)، أبو نعيم: الدلائل (٣/ ٢٠٥)، أحمد (٣/ ٢٧٢)، الخصائص (٢/ ٨٠ - ٨١).

جـ - عن حمزة بن عمرو الأسلمي ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فتفرقنا في ليلة ظلماء، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهورهم وما سقط من متاعهم، وإن أصابعي لتنير[1].

د - وعن أبي هريرة ﷺ أن الحسن والحسين كانا يلعبان على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي، فأراد مستأذناً الرسول ﷺ يُلحقهما بأمهما، فقال له: «لا»، قال: فَبرقَتْ برقة، فقال: «الحقا بأمكما»، قال: فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا[2].

٢٣ - في إخباره بأمور غيبية:

ذكرنا خلال تعرضنا لأحداث الغزوات والسرايا بعضاً من هذه المعجزات، مثل الشاة التي سمتها اليهودية في غزوة خيبر، فأخبر الذراعُ الرسول ﷺ بالسم الذي فيها. وما أراده بعض الناس من الفتك به وقتله غيلة، وإخباره بموت النجاشي واستشهاد قادة سرية مؤتة ومقتل عمار على يد الفئة الباغية.

ونضيف هنا معجزات أخرى لم ترتبط بغزوة أو سرية معينة، من ذلك: خبر الشاة التي ذبحت له، وأخذت بغير إذن أهلها:

أ - عن جابر ﷺ أن امرأة استضافته مع أصحابه، فذبحت لهم شاة. وبدأ النبي ﷺ الأكل منها، فلم يسغ أول لقمة، وقال: «هذه أخذت بغير إذن أهلها»، فاعترفت المرأة بأنها أخذتها من جارٍ لها بحجة أن تعاملها معهم لا يحتم الإذن[3]، وأمر الرسول ﷺ بإعطاء هذا اللحم للأسارى[4].

---

(١) البخاري. التاريخ الكبير (٣/ ١/ ٤٦)، البيهقي: الدلائل (٦/ ٧٩)، أبو نعيم: الدلائل (٣/ ٢٠٦)، الطبراني: الكبير (٣/ ١٧٥، رقم ٣٩٩٠، ووثق الهيثمي في المجمع رجاله (٩/ ٤١١)، السيوطي: الخصائص (٢/ ٨١)، وجود الشامي إسناده كما في السبل (١٠/ ٢٨٠).

(٢) الحاكم (٣/ ١٦٧) وصححه، البيهقي: الدلائل (٦/ ٧٦)، أبو نعيم: الدلائل (٣/ ٢٠٧)، السيوطي الخصائص (٢/ ٢٨٠)، أحمد (٢/ ٥١٣)، وحسنه محققو الموسوعة الحديثية (١٠٦٥٩) الطبراني: الكبير (٣/ ٤٥، ح٢٦٥٩، ٢٦٦٠).

(٣) أحمد (٣/ ٣٥١)، وصحح إسناده على شرط مسلم محققو الموسوعة (١٤٧٨٥). الحاكم (٤/ ٢٣٥) وصححه على شرط مسلم، وقال الشامي في السبل (١٠/ ٣١٣) إن رجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) أحمد (٥/ ٢٩٣-٢٩٤)، بإسناد قوي، كما قال محققو الموسوعة الحديثية (٢٢٥٠٩). أبو داود (٣٣٣٢) (٣٣٣٥)، بإسناد صحيح، كما قال الألباني في الإرواء (٣/ ١٩٦).

ب - إخباره بما سحر به:

روي من عدة طرق وعن جمع من الصحابة ﷺ أن لَبِيْدَ بن الأَعْصَم اليهودي سحر النبي ﷺ؛ فأخبره جبريل وميكائيل بما صنع، وحدد أحدهما مكانه قائلاً: «في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ[1]، في بئر ذَرْوَان»، فأتاها رسول الله ﷺ فقال: «هذه البئر الذي أُريتها كأن نخلها رُءوسُ الشياطين، وكأنَّ ماءها نُقَاعَةُ الحِنَّاء، فأمر به فأخرج»[2].

جـ - إخباره عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ - من المؤلفة قلوبهم - بما قاله لأهل الطائف.

عن عروة بن أبي الجعد الأسدي ﷺ أن عيينة استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف لعل الله تعالى أن يهديهم، فأذِنَ له. ولما أتاهم دعاهم إلى التمسك بالتحصن بحصنهم حتى لا يصبحوا عبيداً لمحمد إذا استسلموا. وعندما عاد سأله الرسول ﷺ عن الذي قاله لهم، فقال إنه دعاهم للإسلام، فكذبه النبي ﷺ وأخبره بالذي قاله لهم[3].

د - إخباره بفتح مصر:

روي عن كعب بن مالك وعمرو بن العاص وأبي ذر وأم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمةً ورَحِماً»[4]. وفي رواية: «إن الله سيفتح عليكم مصر، فاستوصوا بقبطها خيراً، فإن لكم منهم صهراً وذمة»[5].

---

(١) المشط والمشاطة: الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند التسريح أو التمشيط. وجف طلعة ذكر: غشاء الطلع. وطلع النخل: أول ما يرى من عذقها - اللسان: مادة طلع (٨/ ٢٣٨).

(٢) البخاري (٣٢٦٨، ٣١٧٥، ٥٧٦٥، ٥٧٦٦، ٦٣٩١)، مسلم (٢١٨٩)، ابن ماجه (٣٥٤٥)، أحمد (٦/ ٥٧).

(٣) قال محقق السيل، عبد العزيز الجزار (١٠/ ٣٣٦)، حاشية (١٢): «دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٣٠٦)، وأخرجه الحاكم وصححه وابن سعد على ما في الخصائص الكبرى (٢/ ١٠٣)... ». أبو نعيم: الدلائل (٢/ ٥٣١).

(٤) الطبراني: الكبير (١٩/ ٦١، ح١١١، ١١٢، ١١٣)، بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٣)، البيهقي: الدلائل (٦/ ٢٢٢)، صححه الشامي في السبل (١٠/ ٣٦٠).

(٥) كنز العمال (٣٤٠٢٢).

وفي رواية: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمةً ورحماً»[١].

هـ - إخباره بحال أُوَيس القرني.. وقد ذكرناه في الشمائل، باب بر الوالدين، وخاصة الأم.

و - إخباره نيل أم ورقة بنت نوفل الشهادة:

عنها ﷺ قالت: لما غزا رسول الله ﷺ بدراً قلت له: يا رسول الله، ائذن لي في الغزو معكم أُمَرِّضُ مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادة، فقال: «قَرِّي في بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة»، فكانت تسمى الشهيدة، وكانت دَبَّرَتْ[٢] غلاماً لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغمّاها بقطيفة لها حتى ماتت، وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس فقال: من كان عنده من هذين علم، أو من رآهما فَلْيَجِئْ بهما، فجيء بهما، فَصُلِبَا، فكانا أول مَصْلُوبٍ بالمدينة[٣].

وفي رواية البيهقي، قال عمر: صدق رسول الله ﷺ، كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة». وكانت قد قرأت القرآن، وأذن لها الرسول ﷺ في اتخاذ مؤذن في دارها.

ز - إخباره بأن أم المؤمنين زينب أول زوجاته لحوقاً به:

عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لحاقاً بي أطولكن يداً»، فكن يتطاولن[٤] أيتهن أطول يداً، فكانت زينب أطول يداً؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق[٥]. فكانت أولهن لحاقاً به في الموت.

ح - إخباره بمقتل الحسين بن علي ﷺ على شط الفرات:

---

(١) مسلم (٢٥٤٣)، أحمد (٥/ ١٧٤)، وغيرهما. وتحققت النبوة كما هو معروف.

(٢) دبَّرت غلاماً وجارية: أي علقت عتقهما على موتها.

(٣) أبو داود (٥٩١)، أحمد (٦/ ٤٠٥)، وضعفه محققو الموسوعة (٢٧٢٨٢). البيهقي: الدلائل (٦/ ٣٨١)، وحسنه الألباني كما في صحيح أبي داود، برقم (٥٥٢)، أبو نعيم: الحلية (٢/ ٦٣)، السيوطي: الخصائص (٢/ ١٣٤)، ابن أبي شيبة: المصنف (١٢/ ٥٢٨).

(٤) يتطاولن: أي كن يرين أن المراد بالطول المعنى الظاهري، والواقع أن مراده خلافه، لأن سودة كانت أطولهن يداً من حيث المقاس الظاهري.

(٥) مسلم/ بشرح النووي (١٦/ ٨).

عن علي ﷺ وهو بشط العراق، قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم، وعيناه تَفِيضَانِ، فقلت: يا نبي الله، أَغْضَبَكَ أحدٌ، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: «بَلْ قَامَ من عندي جبريل قَبْلُ فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات؛ قال: فقال: «هل لك إلى أن أشمك من تربته؟» قال: قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا»[1].

ط - إخباره بأن الحسن بن علي سيكون سبباً في صلح بين المسلمين بعد فتنة:

عن أبي بَكْرَة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[2].

ي - في إخباره بأن المساجد ستزخرف والمباهاة بذلك:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ساء عملُ قوم قطُّ إلا زخرفوا مساجدهم»[3].

وقال ابن عباس ﷺ: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى[4] - وهكذا هو الواقع في زماننا هذا خاصة.

ك - إخباره بزخرفة البيوت - كما هو حادث في زماننا هذا خاصة:

عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون لكم أنماط[5]، يغدو أحدهم في حُلَّة ويرجع في أخرى، ويسترون بيوتهم، كما تستر الكعبة، وأنتم اليوم خير منكم يومئذٍ»[6].

ل - في إخباره بأن محمد بن مسلمة ﷺ لا تضره الفتنة:

---

(١) أحمد (١/ ٨٥) بسند صحيح كما قال شاكر (٢/ ٦٤٨ - ٦٤٩، ح٦٤٨).

(٢) البخاري (٣٧٤٦).

(٣) ابن ماجه: الجامع الصغير (١/ ١٤٦)، عن ابن عمر، ورمز له بالصحة، أحمد بن حنبل: الورع، ص١٠٧، أبو نعيم: الحلية (٤/ ١٥٢)، أبو داود: السنن (١/ ١٠٦).

(٤) ابن حبان: الصحيح (٤/ ٤٩٣، ح١٦١٥)، وقال المحقق: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، أبو يعلى (١/ ١٣٦، ٢/ ١٢٣)، المشكاة (١/ ٢٢٤)، بسند صحيح.

(٥) البخاري (٣٦٣١)، مسلم (٢٠٨٣) عن جابر ﷺ.

(٦) الترمذي (٢٤٧٦)، وقال: هذا حديث حسن.

عن حذيفة ﷺ، قال: ما من أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضرك الفتنة»، قال ثعلبة بن ضبيعة: فأتينا المدينة فإذا فسطاط مضروب وإذا محمد بن مسلمة الأنصاري، فسألته، فقال: لا أستقر بمصر من أمصارهم حتى تنجلي هذه الفتنة عن جماعة المسلمين[١].

م - في إخباره عن اقتتال علي والزبير ﷺ:

عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، قال: (شهدت الزبير خرج يريد علياً، فقال له علي: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتله وأنت ظالم؟»، فقال: لم أذكر، ثم مضى الزبير منصرفاً)[٢].

ن - في إخباره عن مقتل علي ﷺ:

من حديث عمار ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ مخاطباً له وعلياً في غزوة ذات العُشَيْرَة: «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى تبتل منه» - يعني لحيته[٣].

ص - في إخباره بأن عائشة ﷺ سَتَنْبَحُهَا كِلابُ ماءِ الحَوْأَبِ:

عن قيس قال: لما بلغت عائشة بعض ديار بني عامر، نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، قال الزبير: لا بعد تقدمي فيراك الناس فيصلح الله ذات بينهم، قالت: ما أظنني إلا راجعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب»[٤].

ع - في إخباره بحال سهيل بن عمرو ﷺ في فتنة الردة:

---

(١) أبو داود (٤٦٦٣، ٤٦٦٤، ٤٦٦٥)، الحاكم (٣/ ٤٣٤)، من طرق، وصححه ووافقه الذهبي، ووافقهما محقق تهذيب الخصائص (٣٠٩، ح٤١٢).

(٢) الحاكم: المستدرك (٣/ ٣٦٦)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أحمد: المسند (٤/ ٢٦٣)، قال محققو الموسوعة الحديثية - المسند (٣٠/ح١٨٣٢١): «حسن لغيره»، وذكروا تخريجه وطرقه كشواهد لتحسينه.

(٤) أحمد (٦/ ٥٢، ٥٧)، من طريقين كلاهما صحيح كما قال محقق تهذيب خصائص السيوطي (٣٠٩، برقم ٤١٤).

كان سهيل بن عمرو ممن أسره المسلمون يوم بدر، وكان أعلماً - أي مشقوق الشفة السفلى، فقال عمر ﷺ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! أنزع ثنيتيه السفليين، فيلدع لسانه - أي يخرج عند الكلام - فلا يقوم عليك خطيباً بموطن أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل فيمثل الله بي[1]، وإن كنت نبياً»[2]. قال ابن إسحاق[3]: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه».

وروى الحاكم[4] بنحوه، ومن ألفاظه قول الرسول ﷺ لعمر ﷺ: «... دعه، فلعله أن يسرك يوماً»، وقول سفيان: فلما مات النبي ﷺ نفر منه أهل مكة، فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة، فقال: (من كان محمد إلهه، فإن محمداً قد مات، والله حي لا يموت).

وروى ابن سعد[5] بسنده إلى عدي بن الحمراء الخزاعي، قال: (نظرت إلى سهيل بن عمرو يوم جاء نعي النبي ﷺ إلى مكة وقد خطبنا بخطبة أبي بكر التي خطبت بالمدينة كأنه سمعها؛ فلما بلغ ذلك عمر قال: (أشهد أن محمداً رسول الله، وإن ما جاء به حق، هذا هو المقام الذي عنى رسول الله ﷺ حين قال لي: «لعله يقوم مقاماً لا تكرهه».

وقد سبق ذكر أدلة أخرى على إخباره بأمور غيبية مثل إخباره بغدر العرنيين، الذين أرسل على أثرهم سرية كرز بن جابر الفهري ﷺ.

---

(١) ابن أبي شيبة: المغازي (ص٢١٧/ح٢٠٦)، بإسناد متصل مرسل موقوف على عطاء بن السائب التابعي، وفيه عبد الرحيم بن سليمان، وهو ثقة حافظ، ومحمد بن عمرو بن علقمة، صدوق له أوهام، وهذا صدوق اختلط في آخره. ابن هشام (٢/ ٣٥٥)، من حديث ابن إسحاق، قال ابن كثير في البداية (٣/ ٣٤١) عن إسناده: (حديث مرسل، بل معضل).

(٢) هذه الزيادة من حديث ابن إسحاق السابق.

(٣) المصدر والمكان نفساهما.

(٤) المستدرك (٣/ ٩٢)، من طريق سفيان بن عيينة، سكت عنه الحاكم والذهبي.

(٥) نقله عنه السيوطي في الخصائص (٢/ ٢١٨)، ولم نقف عليه في الطبقات، ولم يذكره مهذب الخصائص، مما يدل على ضعفه عنده، وهو كما قال. ولم يرو بإسناد صحيح، ولكنه مشهور عند أئمة المغازي والسير، وبذلك يقبل الاستئناس به.

٢٤ - في إجابة دعائه لأناس أو على أناس بأعيانهم:

أ - دعاؤه لسعد بن أبي وقاص ﷺ:

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال له: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»، قال الراوي: فكان لا يدعو إلا استجيب له[١].

وعن جابر بن سمرة، قال: شكى ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر، فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة، فطيف به في مساجد الكوفة، فلم يقل له إلا خيرا، حتى انتهى إلى مسجد، فقال رجل يدعى أبا سعدة: أما إذا نشدتنا؛ فإن سعداً كان لا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، ولا يَسِيرُ بالسَّرِيَّةِ، ولا يَعْدِلُ في القَضِيَّةِ، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ للفتن، قال ابن عمير: فرأيته شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وقد افتقر، يتعرض للجواري في الطريق ويغمزهن»[٢].

ب - دعاؤه لأنس ﷺ بكثرة المال والعيال:

عن أنس قال: قالت أمي: يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»[٣].

قال أنس: (فوالله إن مالي لكثير، وما أعلم أن أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون اليوم على نحو المئة، ولقد دفنت إلى اليوم مئة من ولدي، لا أقول سِقْطاً، ولا ولد ولد)[٤].

وسبق ذكرنا لأحاديث أخرى في هذا الباب، مثل دعائه للشاب الذي استأذن الرسول ﷺ في الزنا. ذكرناه في نهي الرسول ﷺ عن ارتكاب الفواحش في باب الشمائل؛ وإجابة دعائه على محلّم بن جثامة في أحداث سرية أبي قتادة إلى بطن إضم؛ ودعائه على الرجل الذي رفض أن يأكل بيمينه، ذكرناه في الشمائل، النهي عن الكبر؛ ودعائه في الاستسقاء، ودعائه على كسرى بتمزيق ملكه.

---

(١) الترمذي، رقم (٣٨٣٥).

(٢) البخاري (٢/ ١٩٧، ١٩٨)، مسلم (١/ ٣٣٤).

(٣) البخاري (٦٣٣٤).

(٤) مسلم (٢٤٨١/ ١٤٣).

وقد ذكر الشامي في السبل روايات أخرى في هذا المجال، أعرضنا عنها لما في أسانيدها من مقال[١].

جـ - معجزة من مات ولم تقبله الأرض لسخط الرسول ﷺ:

عن أنس ﷺ: "أن رجلاً كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فكان يملي عليه ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فيقول: أكتب سميعاً بصيراً، فيقول اكتب كيف شئت، ويملي عليه ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فيكتب عليماً حكيماً، فارتد ذلك الرجل ولحق بالمشركين، وقال: أنا أعلم بمحمد، إن كنت لأكتب ما شئت، فمات ذلك الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «إن الأرض لا تقبله»، فدفن فلم تقبله الأرض[٢]. وكان الرجل في الأصل نصرانياً. وكان كلما دفنه قومه وجدوه خارج القبر، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم. فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا، فتكرر اللفظ، فعلموا أن الأمر ليس من الناس، فألقوه[٣].

د - استجابة دعائه على قريش:

روى البخاري[٤] من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن قريشاً عندما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام [وفي رواية ثانية: العظام والميتة، وفي ثالثة: الميتة، وفي رابعة: العظام والجلود، وفي خامسة: الجلود والميتة]، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [الدخان: ١٠-١١]. فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: لمضر؟ إنك لجريء! فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]. فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى جهلتهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝﴾ [الدخان: ١٦]، قال: يوم بدر». وقد كان ما كان يوم بدر كما علمت.

---

(١) انظر: الشامي: السبل (١٠/ ٦٨٦ - ٧٦٠).

(٢) البخاري (٣٦١٧)، مسلم (٢٧٨١).

(٣) البخاري (٣٦١٧)، أحمد (٣/ ٢٢٢)، وعنده أنهم دفنوه ثلاث مرات.

(٤) الفتح (١٨/ ١٩٦ - ١٩٩، ح ٤٨٢١ - ٤٨٢٤).

١٥ - المعجزات المتعلقة بعصمته من الاغتيال:

إن المعجزات في هذا الباب كثيرة تصل إلى نحو الثلاثين، ذكرنا معظمها خلال أحداث الغزوات والسرايا، وحياته في مكة، مثل:

(١) كفاية الله له من المستهزئين الذين آذوه في مكة.

(٢) عصمته من أبي جهل حين أراد فضخ رأسه بحجر وهو يصلي.

(٣) عصمته من أم جميل - العوراء بنت حرب بن أمية - امرأة أبي لهب عندما أرادت أن ترضخه بحجرين - فِهْرَين - كانا بيدها.

(٤) عصمته من المخزوميين الذين تواصوا على قتله غيلة.

(٥) عصمته من دعثور بن الحارث الغطفاني.

(٦) عصمته من غورث بن الحارث المحاربي.

(٧) عصمته من النضر بن الحارث.

(٨) عصمته من سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي حين الهجرة.

(٩) عصمته من يهود بني النضير حين ذهب إليهم في دية الكلابيين.

(١٠) عصمته من يهود بني النضير حين أرادوا الاختلاء به لقتله.

(١١) عصمته من إربد بن قيس بن جزء وعامر بن الطفيل حين تآمرا عليه يريدان اغتياله.

(١٢) عصمته من شيبة بن عثمان قبل إسلامه يوم حنين.

(١٣) عصمته من المنافقين حينما أرادوا اغتياله في طريق العودة من غزوة تبوك.

(١٤) عصمته من مشركي مكة في أحداث الهجرة، حينما وضعوا خطة اغتياله في دار الندوة.

(١٥) عصمته من نصارى الروم الذين كانوا يبحثون عنه لقتله وهو صبي، حين خرج مع عمه في تجارة إلى الشام.

(١٦) عصمته من عقبة بن أبي معيط عندما خنقه محاولاً قتله.

(١٧) عصمته من جماعة من كفار قريش ضربوه محاولين قتله. وتعاقدهم مرة

على قتله، فأخبرته ابنته فاطمة بالمؤامرة.

(١٨) عصمته من عمير بن وهب حين تآمر مع صفوان بن أمية لاغتياله.

(١٩) عصمته من زينب بنت الحارث الخيبرية التي دست له السم يوم خيبر.

(٢٠) عصمته من الأعرابي الفاتك الذي أرسله أبو سفيان لاغتياله.

(٢١) عصمته من شيبة بن عثمان عندما حاول اغتياله ثأراً لأبيه وعمه اللذين قتلا يوم بدر. كان ذلك يوم حنين.

(٢٢) عصمته من المشركين يوم أحد، خاصة من محاولة أبي بن خلف.

أما ما لم نذكره من قبل من خلال أحداث السيرة في الغزوات والسرايا وغيرها من أحداث الفترة المكية، فهو مثل الآتي:

(٢٣) عصمته من فَضَالة بن عُمَير بن المُلَوّح الليثي.

روى ابن هشام بإسناد معلق من زياداته على السيرة أن النبي ﷺ مر به فضالة بن عمير الليثي يوم الفتح وهو عازم على الفتك به، فقال له الرسول ﷺ: «ما كنت تحدث به نفسك»، قال: لا شيء، كنت أذكر الله تعالى. فضحك رسول الله ﷺ، وقال: «استغفر الله لك»، ثم وضع يده على صدره. فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما أجد على ظهر الأرض أَحَبَّ إليَّ منه[1].

(٢٤) عصمته من رجل أراد الفتك به:

عن سلمة بن الأكوع ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ، إذ جاء رجل بفرس له يقودها عَقُوق، ومعها مهرة لها يتبعها، فقال: من أنت؟ فقال: «أنا نبي»، قال: وما نبي؟ قال: «رسول الله». قال: ومتى تقوم الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: «غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله»، قال: فمتى تُمطر؟ قال: «غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله»، قال: فما في بطن فرسي؟ قال: «غيب ولا يعلم الغيب إلا الله»، قال: أرني سيفك، فأعطاه النبي ﷺ سيفه، فهزه الرجل، ثم رده عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا إنك لم

---

(١) ابن هشام: (٤/ ٨٥ ـ ٨٦)، وعنه بعض العلماء، مثل ابن عبد البر في الدرر وابن حجر في الإصابة: ترجمة فضالة بن عمير.

تكن تستطيع ذلك الذي أردت»، قال الرجل: وقد كان[١].

(٢٥) عصمته من رجل استأجره كفار قريش لاغتياله:

عن الحسن البصري ﷺ قال: جعل لرجل أواقي على أن يقتل رسول الله ﷺ، فأطلعه الله على ذلك، فأمر به فصلب، وكان أول من صُلِبَ في الإسلام[٢].

وفي رواية إن الرجل من بني ليث[٣].

وذكر القصة مفصلة الشامي في السبل[٤] من رواية الطبري.

وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

ولم يعصمه الله تعالى من الإنس فقط، بل من الشياطين وإبليس كذلك:

(٢٦) روى الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما، عن أبي التَّيَّاح، قال: قلت لعبد الرحمن بن خُنَيس: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين تلك الليلة بين الجبال والأودية، يريدون رسول الله ﷺ، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ، فجاء جبريل فقال: يا محمد قل، فقال: «ما أقول؟»، قال: قل: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأه في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا

---

(١) الحاكم: (١/ ٧)، وصححه على شرط الشيخين. وقال محقق السبل (١٠/ ٢٩٥): وقد اتفقا جميعاً على الحجة بإياس بن سلمة، عن أبيه، واحتج مسلم بهذا الإسناد بعينه، فحدث عن أحمد بن يوسف بغير حديث، الطبراني: الكبير (٧/ ٢٠، ح٦٢٤٥)، قال في المجمع (٨/ ٢٢٧): ورجاله رجال الصحيح، السيوطي: الخصائص (٢/ ١٠٠). وعقوق: أي حامل.

(٢) ابن أبي شيبة: الأوائل (٨/ ٣٣٠). وهو من مرسل الحسن البصري، ومراسيله قوية، صححها المحدثون. انظر: مقدمة كتاب المراسيل لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، بقلم المحقق: الشيخ عبد العزيز السيروان، ص٤٥، بعنوان: مراسيل بعض الأئمة من التابعين صححها المحدثون.

(٣) ابن أبي شيبة: الأوائل (٨/ ٣٣٠).

(٤) (١٠/ ٨٩٣). وقال المحقق إنه لم يعثر على النص في تاريخ أو تفسير الطبري.

وحملوه، قال: فانطفأت نارهم وهزمهم الله[١].

وروي عن أنس ﷺ قال: لما بعث رسول الله ﷺ، أتاه إبليس يكيده، فانقض عليه جبريل، فدفعه بمنكبه فألقاه بوادي الأردن.

وفي رواية عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ كان ساجداً بمكة فجاءه إبليس، فأراد أن يطأ عنقه، فنفخه جبريل نفخة، فما استقرت قدماه حتى بلغ الأردن[٢].

(٢٧) وعصمه من غلبة رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب، الذي كان أشدَّ قريش، عندما طلب ركانة مصارعته لتكون غلبته له آية يؤمن بها، فصرع النبي ﷺ رُكانة، كما روى ابن إسحاق[٣]. وفي رواية أبي بكر الشافعي - الخطيب البغدادي[٤] - أن ركانة آمن بالرسول ﷺ حين صرعه.

٢٦ - المعجزات العلمية الحديثة، خاصة الطبية:

إن المتأمل في سيرة الرسول ﷺ في ضوء المعارف الحديثة، خاصة الطبية يطلعه الله يوماً بعد يوم على سر من أسرار معجزات رسالة الإسلام، فيطمئن قلبه على صدق نبوة محمد ﷺ. ولو بسطنا القول في هذا الجانب لاحتجنا إلى مئات الصفحات، ولذا نكتفي بأمثلة محدودة وبكلام مختصر عنها، ليتناسب مع منهجنا في اختصار موضوعات السيرة النبوية الكثيرة، وننبه الراغبين في الاستزادة من المعلومات إلى بعض المراجع التي تفصل في كل مسألة من المسائل التي نتطرق لها. فإلى أدلتنا المختارة:

---

(١) أحمد (٢/٤١٩، ٥/٤٣٠، ٤٤٨، ٦/٢٧٧، ٤٠٩)، وإسناده ضعيف كما قال محققو الموسوعة الحديثة. المسند (٢٤/٢٠٠ - ٢٠٣، ح١٥٤٦٠، ١٥٤٦١)؛ مسلم (٢٧٠٨ وفيه الاستعاذة فقط بدون ذكر قصة الشيطان)، الترمذي (٤٣٤٧)، ابن ماجه: السنن (٣٥١٨، ٣٥٤٧). البيهقي: السنن الكبرى (٥/٢٥٣)، وغيرهم.

(٢) أبو نعيم: الدلائل (١/١٩٠، ح١٣٦)، بتحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس. وقالا: أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف.

(٣) روى القصة ابن إسحاق بإسناد منقطع، ابن هشام (٢/٣٥)، ولكن يتقوى بتعدد الطرق، منها طريق ذكره ابن القيم في الفروسية، ص٣٢ - ٣٣، وجود إسناده. وانظر تخريجه عند محققي سيرة ابن هشام، د. همام وتلميذه.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية (٤/٢٥٦)، تحقيق د. عبد الله التركي، وجود ابن كثير إسناده.

١ - التمر:

أ - كان رسول الله ﷺ يأكل التمر، وقال فيه: «بيت لا تمر فيه جياع أهله»[١].

ب - وقال: «إذا كان أحدكم صائماً فليفطر على التمر، فإن لم يجد التمر فعلى الماء، فإن الماء طهور»[٢].

جـ - وقال: «العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم، والكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»[٣].

د - وقال: «من أكل سبع تمرات ما بين لابتيها حتى يصبح، لم يضره ذلك اليوم سم حتى يمسي»[٤].

هـ - وقال: «خير تمراتكم البرني، يذهب الداء ولا داء فيه»[٥].

لقد كشف الطب الحديث عن القيمة الغذائية والعلاجية للتمر، ومن ذلك:

أنه ملين للطبع، مقو للكبد، يزيد في الباه - أي القوة الجنسية - لا سيما مع حب الصنوبر[٦]. وأن المعدة تمتص سكريات الرطب والتمر مباشرة وبسرعة بالغة خلال أقل من ساعة، وذلك لأن سكر العنب والفواكه اللذان يحتويهما التمر آحادي الذرة، فلا يخضعا لأي عملية تبسيط لهما. وهذا مما يتناسب خاصة مع معدة الصائم التي ظلت في راحة لمدة طويلة، فإن أعطيت مواد غذائية صعبة الهضم مباشرة، فسيؤدي ذلك إلى إجهادها، وإصابتها بعسر الهضم والتخمة، وهو ما لا يحدث إذا بدأ الصائم بالتمر، ثم بعد نصف ساعة يتناول بقية الإفطار[٧].

ولعل السم الوارد في الحديث يقصد به المواد السامة في الدم، مثل التسمم

---

(١) مسلم (٢٠٤٦).

(٢) الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته (٧٤٦)، (٦٠٨٥)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) المصدر نفسه (٤١٢٦)، وقال الألباني: صحيح.

(٤) مسلم (٦٠٨٥).

(٥) صحيح الجامع الصغير وزياداته (٣٣٠٣)، وقال الألباني: حسن. والبرني أفضل أنواع التمر.

(٦) د. السيد الجميلي: إعجاز الطب النبوي، دار ابن زيدون، بيروت، ص٧٣.

(٧) د. محمد إياد الشطي: الطب النبوي في ضوء العلم الحديث، دراسة علمية موثقة بالتحاليل المخبرية والأبحاث الفيزيولوجية، ط١، جـ١، دار المعاجم، دمشق، ١٤٠٥هـ، ص١٢٩، ١٣٠.

بالبولة (Urea) وغيرها. ولأن سكاكر التمر مدرة للبول، فبالتالي تساعد في تنظيف الكبد وتنقية الدم من المواد السامة. وهنا يفهم السر في أن الجراحين يستخدمون السيروبات السكرية التي تغذي المريض الذي يخضع لعملية جراحية. ويظل السكر الدواء الوحيد المستخدم في علاج تبلون الدم (Uremia)، أي تسمم الدم بالبيولة.

ومن يتناول التمر باستمرار يحافظ على جهازه الدموي والعصبي أكثر ممن يتناولون اللحوم التي تترك فضلات ومواد سامة تتراكم وتسبب تسمماً بطيئاً[1].

وعندما وقف العلماء عند قوله ﷺ: «... يذهب الداء ولا داء فيه»، وجدوا أن التمور لا تنقل الجراثيم الممرضة، وإذا تعرضت إلى تلوث شديد، فإنها تصبح خالية من جراثيم الهيضة خلال ثلاثة أيام في الظروف الطبيعية[2].

٢ - الثلج:

قال ﷺ: «اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد»[3].

«فالثلج يؤذي المعدة ويغزو غشاءها المخاطي الداخلي، لا سيما عند ضعيفي البنية من الناس، إلا أنه مع ذلك يوقف نمو الميكروبات الضارة بالإنسان إلى حد كبير. ويوقف نمو هذه الجراثيم في درجة حرارة أقل من عشرة مئوية، وثمة أنواع لا تموت إلا في درجة ١٧ تحت الصفر. ولا يحتوي الثلج المتبلور في الغالب على أية جراثيم... وفي هذا الحديث إعجاز طبي لطيف، حيث أنه يوضح لنا علاج الداء بضده، لأن الخطايا من الحرارة والخريف والثلج والماء البارد ضد هذه الحرارة...»[4]!

٣ - الحبة السوداء:

لها العديد من الأسماء، إذ تعرف عند الإيرانيين بـ«سونيز - شينيز - شهنيز»، و«الحبة السوداء» في الشام ومصر، و«الكمون الأسود» في السودان، و«القحطة» في اليمن، و«القرحة» في جنوبي سوريا، وعرفت بالكمون الهندي والكمون الأكحل

(١) المرجع نفسه، ص١٣٠ - ١٣١.
(٢) المرجع نفسه، ص١٣١.
(٣) مسلم (٥٩٨).
(٤) د. الجميلي، إعجاز الطب النبوي، ص٧٦.

والكراوية السوداء أو الشميث والبشمة أو الكرزنا، والشيرط، والشمثر، واسمها العلمي: (Nigella Sativa)[١].

قال عنها الرسول ﷺ: «في الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام»[٢] - والسام: الموت. والمقصود أنها شفاء من كل داء يقبل العلاج، كمثل قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]. وجاء لفظ «كل» في الحديث لبيان الأهمية العلاجية لهذه الحبة، وليس لأنها تستخدم في علاج كل الأمراض، وهذا أسلوب من أساليب اللغة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: ٦٩]، و: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

وقد أثبت الطب الحديث أن من أهم الأمراض التي تدخل الحبة السوداء في علاجها، هي:

١ - أمراض تنفسية، مثل: نزلات البرد، والسعال والربو.

٢ - وأمراض هضمية، مثل:

أ - عسر الهضم، الذي يعتبر عرضاً لأمراض عديدة، أهمها: إجهاد أجهزة الهضم، والإمساك المزمن، والمضغ غير الجيد للطعام، والتخمة، والإفراط في تناول القهوة والشاي والفول (الكحول)، والتهابات الفم والأسنان واللوزات، واضطرابات المعدة الناتجة عن القلق، والأمراض النفسية، وأمراض المعدة والاثني عشر وأمراض الكبد والقلب والكلى.

ب - غازات المعدة والأمعاء.

جـ - ضعف الشهية للطعام، الذي تسببه عدة أمراض باطنية ونفسية.

د - الديدان الشريطية.

هـ - ديدان الإسكاريس.

٣ - الأمراض البولية والتناسلية، مثل: عسر البول والعنة واضطرابات الطمث.

---

(١) انظر: د. الشطي: الطب النبوي، ص١٣٨؛ د. نظمي خليل موسى: نبات الحبة السوداء بين السنة والعلم الحديث، مقال بمجلة الهداية الشهرية البحرينية، عدد ١٨٠، سنة ١٥، صفر ١٤١٣هـ، أغسطس ١٩٩٢م، ص٣٩.

(٢) أحمد: المسند (٢٥١٣٣)، وصححه محققو الموسوعة الحديثية.

٤ - الأمراض الجلدية، مثل: الجرب والقوباء والأكزيما وحب الشباب (العد)[١].

وزاد الدكتور البدري محمد الهادي مطاوع أمراضاً أخرى تدخل الحبة السوداء[٢] في علاجها، منها:

أ - تساقط الشعر.	ب - الصداع.
جـ - البواسير وآلام الأذن.	د - القراع والثعلبة.
هـ - الثآليل.	و - البهاق والبرص.
ز - الكدمات والرضوض.	ح - الروماتيزم.
ط - الكسور.	ي - ارتفاع ضغط الدم.
ك - إذابة الكوليسترول في الدم.	ل - الحمى الشوكية.
م - حصوة المرارة.	ن - أمراض الطحال.
ص - الاستسقاء.	ع - الإسهالات.
ف - أمراض العيون.	س - العقم.
ت - الخمول والكسل.	

وذكر الدكتور الجميلي[٣] إضافة إلى هذا:

أ - إنها تشفي الجرحى.

ب - تدر اللبن.

جـ - تنفع في آثار عقر الكلب الضال.

---

(١) د. الشطي: الطب النبوي، ص١٣٨ - ١٥٠ باختصار.

(٢) الحبة السوداء شفاء من كل داء، كثيرة المنافع، عظيمة الفوائد، مقال بمجلة منار الإسلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، العدد الثامن، السنة الثامنة عشرة، شعبان ١٤١٣هـ، فبراير ١٩٩٣م، ص١١٤ - ١١٩.

(٣) إعجاز الطب النبوي، ص٨٠.

د - تنفع في علاج لسع الهوام.

ومن فوائدها كذلك:

أ - جلاء وصفاء الوجه وجماله.

ب - تنشيط الذهن وسرعة الحفظ[١].

وذكر الأستاذ عبد العليم عبد السميع غزي[٢] العديد من الدراسات الفارماكولوجية والإكلينيكية لبيان تأثيراتها، وأشار إليها مرتبة حسب إجراتها، ابتداء من عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٩٤م. ومن هذه الدراسات التي يمكن إضافتها إلى نتائج الدراسات التي ذكرها الدكتور الشطي وغيره:

أ - دراسات على الجهاز المناعي للإنسان؛ فثبت أثرها كمقوي طبيعي للمناعة.

ب - دراسات في أثرها على مرضى السكر؛ فوجد أنها مع خليط من أعشاب أخرى، تخفض من نسبة السكر في الدم.

جـ - دراسات على أثرها في خفض حمض البوليك الذي يُحدث ارتفاعاً في الدم.

د - دراسات أثبتت فائدتها في علاج التهابات المفاصل وعلاج مرض النقرس[٣].

وذكر الأستاذ مرزوق[٤] كذلك بعض هذه الدراسات العلمية الحديثة عن الأثر العلاجي للحبة السوداء. ثم ذكر مكونات هذه الحبة وكيفية تحضيرها للعلاج.

٤ - الحناء:

عن سلمى ﷺ وكانت تخدم بعض أزواج النبي ﷺ قالت: (ما نال رسول الله ﷺ قَرْحَة ولا نَكْبَة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء)[٥]. وقال: «إنه نافع بإذن الله من

---

(١) د. مطاوع، المرجع السابق، ص١١٩.

(٢) حبة البركة، إعجاز إلهي في خلقه، مقال بمجلة الأزهر، رجب ١٤١٩هـ، نوفمبر ١٩٩٨م، جـ٧، السنة ٧١، ص١٠٩١ - ١٠٩٥.

(٣) غزي، ص١٠٩٣، مرزوق علي إبراهيم، معجزة الشفاء بالحبة السوداء، دار الاعتصام، ص٥٣ - ٥٦، ٥٨، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٣ - ٥٨، ٦٣ - ٧١.

(٥) الترمذي (٢٠٥٥)، وقال محققه - الأرناؤوط -: الحديث حسن بشواهده وقَرْحَة يعني: الجراحة، والجمع: قُرَح.

الصداع»[1]. يعني تغليف رأسه بالحناء عندما يصيبه الصداع. وفي رواية لأحمد عن سلمى قالت: ما سمعت أحداً قَطُّ يشكو إلى رسول الله ﷺ وجعاً في رأسه إلا قال: «احتجم»، ولا وجعاً في رجليه إلا قال: أَخْضِبْهُمَا.

١ - لقد أثبت الطب الحديث أن الحناء مطهر للجروح والقروح.

٢ - وأن به مواداً تستخدم في علاج مرض الصداع، حيث تبين أن أوراق الحناء تحتوي على عنصرين فعالين: أحدهما ينبه القلب وينظم ضرباته والآخر يسبب ارتخاء العضلات، فيؤدي إلى توسيع الأوعية الدموية، وبالتالي انخفاض الضغط الدموي، ولا يخفى ما يسببه ارتفاع التوتر الشرياني من صداع.

٣ - وأنه من أفضل المواد الصباغية، ومن فوائده هنا:

أ - تنقية فروة الرأس من الميكروبات والطفيليات والإفرازات الدهنية الزائدة.
ب - علاج فروة وقشرة الرأس.
جـ - التقليل من إفراز العرق.
د - لا يسبب حساسية مثلما يحدث حين استعمال أصباغ أخرى. ولذا أدخلته شركات التجميل تجارياً في تركيب صبغات الشعر والشامبو[2].

٥ - زيت الزيتون:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ائتدموا بالزيت، وادّهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة»[3].

توصل العلماء إلى أن زيت الزيتون مغذٍّ للأطفال. فحليب المرأة يحوي ٨,٣٪ من الحمض الدسم (حمض الكتان) الذي يوجد بنسبة جيدة في زيت الزيتون، وهو أحد الحموض الدسمة الثلاث الضرورية في بناء جسم الإنسان وهو غير مشبع،

---

* ونَكْبَة يعني: ما يصيب الإنسان من الحوادث، مثل إصابة الحجر الرجل أو الأصبع.

(١) ابن ماجه (٣٥٠٢)، أحمد: المسند (٦/ ٤٦٢)، الموسوعة (٤٥/ح٢٧٦١٧ - ٢٧٦١٨)، بإسناد ضعيف لاضطرابه كما قال المحققون.

(٢) د. الشطي: الطب النبوي، ص١٥١ - ١٥٣.

(٣) ابن ماجه (٣٣١٩)، الحاكم (٤/ ١٣٢)، وصححه، الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته (٩)، وقال الألباني: حديث حسن.

وحليب الأبقار يحوي ١,٦٪، مما دفع اختصاصيي أمراض الأطفال إلى إضافة زيت الزيتون لحليب البقر، لأنه يحوي النسبة ذاتها تقريباً من حمض الكتان التي يحويها حليب الأم، إضافة إلى سهولة هضمه وامتصاصه، ويؤمن بذلك حاجات الطفل الرضيع من المواد الدهنية اللازمة لنمو العظام والدماغ. وغني بالفيتامين «ك» الضروري في النمو.

ويعتبر مصدراً مفضلاً للمواد الدسمة في غذاء الحامل والمرضع. ويفيد كذلك البالغين، لغناه بالفيتامينات، خاصة «ك» و«ج».

وأثبتت الأبحاث قدرته في علاج تصلب الشرايين والوقاية من أمراض الحموضة والقرحة المعدية وقرحة الاثني عشر وعلاجها. ويقلل من نسبة الإصابة بالحصيات المرارية وخفض نسبة السكر في الدم. ويعالج الكثير من الأمراض الالتهابية والكبدية وإنقاص الوزن.

وهو عنصر مغذٍّ كذلك للشيوخ الطاعنين في السن، لسهولة امتصاصه وإثارته الشهية. ولا يسبب زيادة الكولسترول في الدم، وبسبب غنائه بهرمون الأستروجين فإنه يفيد صحة المرأة في سن اليأس.

وفوائده الطبية للادهان كثيرة، منها:

أ - يساعد على نمو الأشعار ويحفظها من التساقط.

ب - يقي من أشعة الشمس.

جـ - يساعد في إزالة تجاعيد الوجه والرقبة.

د - يستخدم كدهون في حالات الخراجات والدمامل والقوباء وتشققات الأيدي والأرجل[1].

٦ - **السنا:**

قال ﷺ: «عليكم بالسَّنا والسَّنُّوت، فإنه لو كان شيء ينفع من الموت كان السنا»[2]. والسنوت: العسل.

---

(١) د. الشطي: الطب النبوي، ص١٥٨ ـ ١٦١.

(٢) الترمذي (٢٠٨٣)، بإسناد منقطع، ابن ماجه (٤٣٦١)، بإسناد متصل، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٨).

لقد استخصلت الأبحاث الطبية الحديثة الكثير من المواد الكيماوية المضادة للجراثيم من السنا والمواد التي تستعمل للتخلص من الفطريات. والاكتشاف الأهم: تأثير السنا المضاد للحميات الراشحة، وصلت نتائجها في بعض الحالات إلى ١٠٠٪.

وثبتت فعاليته كمسهل، يتميز عن غيره في أنه في حالة التوقف عن استخدامه لا يسبب إمساكاً[١].

٧ - التسوك بمساويك شجر الأراك:

قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء»[٢]. وقال في رواية: «... عند كل صلاة»[٣].

ووردت الأحاديث والآثار التي تشير إلى استخدام السواك في مناسبات أخرى، مثل قوله: «عليكم بالسواك فإنه مطيبة للفم مرضاة للرب»[٤].

أثبتت الأبحاث التي ذكرها الدكتور الشطي[٥] أن سواك الأراك يحوي كثيراً من المواد المطهرة والمنظفة والقابضة والمانعة للنزف الدموي والقاتلة للجراثيم. وذكر تفاصيل وأسماء تلك المواد، والرسائل الجامعية التي تخصصت في فوائد السواك بالأراك.

٨ - القُسْط البحري:

قال ﷺ: «عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية: يُسْعَطُ به من العُذْرة، ويُلَدُّ به من ذات الجنب»[٦]. وقال: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة

(١) د. الشطي: الطب النبوي، ص١٦٤.
(٢) الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته (٥٣١٧)، وقال: صحيح.
(٣) المصدر نفسه (٥٣١٥)، وقال الألباني: صحيح.
(٤) المصدر نفسه (٤٠٦٨)، قال الألباني: صحيح.
(٥) الطب النبوي: ص١٦٧ - ١٦٩، ١٧١ - ١٧٢.
(٦) البخاري (٥٦٩٢). يلد: يصب الدواء في إحدى جانبي فم المريض.
ذات الجنب: نوعان: أحدهما: ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن، وثانيهما: ريح محتقن بين الأضلاع. نظر: ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٣).

والقسط البحري»[١]. وقال: «لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة، وعليكم بالقسط»[٢]. والغمز: الضغط بالأصابع؛ والعذرة: التهاب الحلق واللوزات.

أثبت الطب الحديث أن الالتهاب لا يعالج بالضغط، وإنما بالمضادات الحيوية والصادات التي تقضي على العوامل الممرضة الجرثومية. ويظهر الإعجاز في اختيار القسط البحري عندما أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة وجود أقوى المواد المطهرة فيه، وهي مادة الهيلينين، ووجود حقن البنزوا. الذي يقتل الجراثيم ويذيب البلغم، ويستخدم في شرابات السعال[٣].

وثبت أن الضغط على اللوزات الملتهبة يسبب ألماً شديداً، وانتشار الالتهاب إلى المناطق المجاورة، فتتفاقم الحالة[٤].

٩ - الكمأة:

والكمأة: نبات طفيلي صحراوي بلا ساق أو أوراق أو أزهار، ينمو في باطن الأرض، ويكثر في الخريف.

قال ﷺ عنها: «الكمأة من المَنّ، وماؤها شفاء للعين»[٥]. يعني ممنون بها علينا من الله، لأن الإنسان لا يبذل فيها أي جهد، وفشل من حاول استزراعها لتبقى معجزة نبوية إلى قيام الساعة.

أثبت العلم الحديث أن الكمأة غنية بالفيتامين ب٢، الذي يعالج عدة أمراض مثل التهابات الجلد الدهني، ونوع معين من التهاب اللسان، إضافة إلى ما أشار إليه الحديث من علاجها للعين، حيث اتضح خلوها من الصادات الحيوية، وأن ماءها يمنع حدوث التليف التالي لمرض التراخوما، عن طريق التدخل في تكوين الخلايا المولدة للألياف. ولما كان معظم مضاعفات التراخوما هي اضطرابات التليف، لذا فإن ماءها يلعب دوراً أساسياً في منع حدوث مضاعفات التراخوما[٦].

---

(١) البخاري (٥٣٧١).

(٢) المصدر نفسه والمكان نفسه.

(٣) د. الشطي: الطب النبوي، ص١٨١.

(٤) المرجع نفسه والمكان نفسه.

(٥) رواه البخاري (٤٤٧٨)، ومسلم (٢٠٤٩).

(٦) د. الشطي: الطب النبوي، ص١٨٥؛ ومصدره: العوضي: الطب الإسلامي، ص٤١٣ ـ ٤١٧.

١٠ - **العسل:**

مما قاله عنه الرسول ﷺ:

أ - «إن كان في شيء من أدويتكم خير: ففي شرطة محجم، أو شربة من عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي»[١].

ب - «عليكم بالسنا والسنوت فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام»[٢].

لقد أثبت الطب الحديث أن العسل يحتوي على معظم الفيتامينات الضرورية للجسم، أهمها: فيتامين ب١ وب٢ وب٣ وب٥ وب٦ و هـ و أ. ويحتوي على بعض العناصر المعدنية، أهمها ما يساعد الهيموغلوبين على القيام بوظيفته، مثل الحديد والنحاس والمنغنيز.

ويحتوي على المعادن التي تدخل في تركيب كروماتين الخلايا مثل الحديد والفوسفور، ويحتوي على المغنزيوم الذي يدخل في تركيب النسج العظمية والعضلية والدموية. وكذلك الصوديوم الموجود في الدم والسوائل المختلفة والكالسيوم الذي يدخل في تركيب العظام والأسنان والدم؛ والكبريت الذي يدخل في بنية الجلد والشعر والأظافر؛ واليود الضروري لهرمونات الدرق والبوتاسيوم؛ وعدداً من الحموض، أهمها: الفورميك، والسيتريك، وحمض الخل، وحمض اللبن، والكتيك، والبيوتريك، والتانيك، والأكساليك، والطرطريك[٣].

ومن عجائبه أنه يقضي على الجراثيم. فقد أجرى عالم الجراثيم بجامعة كلورادو - الدكتور د.ف. جساكيت - تجربة عليه، فكانت النتائج مذهلة، حيث قضى على كل الجراثيم خلال ساعات[٤].

وأدخل في وصفات علاجية كثيرة لعلاج أمراض الأجهزة الآتية:

التنفسي - الهضمي - العصبي - البولي. واستخدم في علاج الجروح وأمراض الفم والجلد والعين، ومخفض للحرارة.

---

(١) البخاري (٥٣٥٩، ٥٦٩٧، ٥٧٠٢، ٥٧٠٤).

(٢) الترمذي (٢٠٨٣)، ابن ماجه (٤٣٦١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٩٨).

(٣) د. الشطي: الطب النبوي، ص٢٠٤.

(٤) د. الشطي: الطب النبوي، ص٢٠٤.

وقد ذكر الدكتور الشطي[١] أسماء العلماء الذين أجروا أبحاث على العسل، وتوصلوا إلى الوصفات العلاجية للأمراض المذكورة.

وأثبت العلم الحديث أن العسل غذاء ليس فيه فضلات، وسريع التمثل والامتصاص، وغذاء للشيوخ والناقهين، وغذاء يريح الكبد والكليتين، ويحتفظ بقيمته الغذائية مع مرور الزمن، ولا يتعفن[٢].

وعندما وقف العلماء عند حديث الرسول ﷺ الذي فيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: (إن أخي يشتكي بطنه، وفي رواية: ... استطلق بطنه)، فقال النبي ﷺ: «اسقه عسلاً»، فذهب ثم رجع، فقال: (سقيته فلم يغن عنه شيئاً)، فقال مرة أخرى: «اسقه عسلاً»، فرجع مرة ثانية ليقول ما قال في الأولى، والرسول ﷺ يكرر القول الأول، وقال له في المرة الثالثة أو الرابعة: «صدق الله وكذب بطن أخيك»، فسقاه فبرأ كما تقول الرواية. ولفظ مسلم: (إن أخي عَرِب بطنه)[٣]، أي فسد هضمه. واستطلق بطنه: أي أصابه إسهال.

وإشارة النبي ﷺ هنا إلى الآية الكريمة: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

وعندما وقف العلماء عند هذا الحديث الشريف، تساءلوا عن الحكمة في إعطاء دواء ملين لمن أصيب بالإسهال، وجدوا أن أنواعاً من الإسهالات تعطى ملیناً؛ وعرف هذا الإجراء بـ «المداواة المثلية»، ولذا رجحوا أن ذلك الصحابي الذي وصف له الرسول ﷺ العسل علاجاً لإسهاله، كان إسهاله ناتجاً عن تخمة أو عفونة تسبب فيها تكاثر الجراثيم في الأمعاء. وفي كلتا الحالتين يوافقه الطب الحديث على إعطاء مسهل وملين. واختير العسل من دون الملينات الأخرى لخاصيته في معالجة التخمة وعفونة المعدة الناتجة عن الجراثيم[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٠٤ ـ ٢٠٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٣.

(٣) البخاري (٥٣٦٠)، مسلم (٢٢١٧).

(٤) المرجع السابق نفسه، ص٢٠٩ ـ ٢١٠، ومصدر الشطي في هذه المسألة: كتاب الدكتور النسيمي: «الطب النبوي والعلم الحديث». وعن السكاكر في العسل وإعجاز تركيبه. انظر: الشطي: المرجع نفسه، ص٢١١.

١) - العدوى:

أ - روى البخاري[١] ومسلم[٢] عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة[٣]، ولا هَامَة[٤]، ولا صَفَر[٥]، وفرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد».

وعندما علم بأن أحد أفراد وفد ثقيف كان مجذوماً، أرسل إليه قائلاً: «ارجع! فقد بايعناك»[٦].

إن هذا الفعل منه ﷺ مطابق لما يقرره الطب الحديث من أن الجلد يعتبر أهم باب لدخول الفطريات الجذامية من خلال الخدوش أو الجروح فيه[٧].

أثبت الطب الحديث أن الأمراض لا تحدث بطبع فيها، كما كان يعتقد الناس، ولا ينتج بالضرورة عن العدوى مرض، ولكن العدوى تزيد من فرص حدوث المرض بمجالسة المريض، وهذا ما عبر عنه البيان النبوي المذكور[٨].

ب - قال ﷺ: «إذا استطاب أحدكم فلا يستطب بيمينه، وليستنج بشماله»[٩].

وقال: «إذا قضى أحدكم بيده إلى فرجه فليتوضأ»[١٠].

تبرز أهمية هذين الأمرين النبويين: تخصيص اليد اليسرى لقضاء الحاجات المستقذرة أو الملوثة، وتنظيف اليدين، بعد ملامستها للفرج، في القضاء على ما يسمى في الطب الحديث: «العدوى الثانية». ففي مخالفة أمر الرسول ﷺ تتجدد الإصابة المرضية التي كانت في طور الشفاء.

---

(١) برقم (٥٣٨٠).
(٢) برقم (٢٢١٠).
(٣) طيرة: أي تشاؤم.
(٤) هامة: إن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت أو روحه تنقلب هامة طير.
(٥) صفر: دواب أو دود في البطن.
(٦) مسلم (٢٢٣١).
(٧) لشطي: الطب النبوي، ص٢٨١.
(٨) المرجع نفسه، ص٢٧٦.
(٩) الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته (٣٣٢)، وقال الألباني: صحيح.
(١٠) المصدر نفسه (٣٦١)، وقال الألباني: صحيح.

جـ - قال ﷺ: «اتقوا اللَّعانين»[١]، قالوا: وما اللَّعَّانَان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى[٢] في طريق الناس أو في ظلهم»[٣]. وفي رواية: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»[٤].

إن مما تحمله الأوامر الثلاثة في هذين الحديثين أمراً طبياً هاماً؛ فهي تحاول القضاء على الأمراض التي تنتقل عن طريق التبرز في مياه الشرب، أو السقي، أو طرق الناس، أو سكان استظلالهم؛ والأماكن الثلاثة محاضن للجراثيم المعدية، التي تنتقل من إنسان مريض إلى صحيح من هذه المحاضن. وهو ما أثبته الطب الحديث.

د - قال ﷺ: «إذا تنخم أحدكم وهو في المسجد فليغيب نخامته، لا تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه»[٥].

ونخامة المريض بمرض معدٍ من أمراض الجهاز التنفسي خاصة، بؤرة لجراثيم ذلك المرض، وهنا تأتي الحكمة في ضرورة دفنها. ووسائل دفنها ليس فقط في التراب عندما كانت المساجد تفرش بالرمل والحصى، بل في مناديل القماش، التي حلت محلها بصفة كبيرة مناديل الورق في زماننا هذا.

هـ - قال ﷺ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، فإن أراد أن يعود فلينح الإناء، ثم ليعد إن كان يريده»[٦].

إن التنفس في الإناء يسبب انتقال الأمراض التنفسية التي تنتقل بالرذاذ المنطلق من الفم والأنف، فيما إذا تنفس أثناء الشرب؛ وأخطأ منه النفخ على الشرب الساخن لتبريده، وبعض الجراثيم مقاومة للحرارة التي قد تصل إلى ١٢٠ درجة مئوية، فإذا وقعت في الشراب أثناء النفخ فلن تموت.

---

(١) اللعانين: الأمرين الجالبين للَّعن، الحاملين الناس عليه، والداعيين إليه.

(٢) يتخلى: من الخلاء: يتغوط في موضع يمر الناس به.

(٣) مسلم (٢٦٩).

(٤) الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته (١١٢)، وقال الألباني: صحيح. وانظر تخريجه عند: عمرو عبد المنعم سليم: صون الشرع الحنيف ببيان الموضوع والضعيف، ط٢، الفاروق الحديثة ومكتبة الضياء، مصر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص١١٠ - ١١١/ح٥٧، وضعف إسناده وصحح معناه.

(٥) المصدر نفسه (٤٣٩)، وقال الألباني: صحيح.

(٦) المصدر نفسه (٦٢٤)، قال الألباني: حسن.

وقد لاحظ الدكتور عدنان البار في بحث أجراه بعض المختصين في السودان ازدياد انتشار السل المعوي عندهم، وبحثوا عن السبب فوجدوا أن سكان هذه المنطقة اعتادوا تناول شراب ساخن بعد تبريده بالنفخ. ونظراً لأن العصية السُّلِّيَّة مقاومة للحرارة، فإنها سبّبت حدوث السل المعوي[١].

و - قال ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»[٢].

يشير الشطر الثاني من هذا الحديث إلى ما يعرف في الطب الحديث بـ«الحجر الصحي»، وهو ما قرره الرسول ﷺ هنا. يقول الطب الحديث: أن عدداً كبيراً من الناس الموجودين في منطقة الوباء هم في الحقيقة غير مصابين، ولكنهم حاملين له، دون أن تظهر عليهم علامات المرض، وهم يحيون حياة طبيعية، ولكن يحملون خطراً بالغاً بقدراتهم على نقل المرض إلى أناس آخرين[٣]. وأصدق مثال لهذا حالة الشاب السوداني الملقب بـ«العمدة»، وظهر على شاشة الرائي (التلفاز) السوداني، القناة الدولية، برنامج «في الواجهة»، مرتين: الاثنين ٢١/ ١٠/ ٢٠٠٠م، والاثنين ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٢م - تقديم الأستاذ أحمد البلال ومعه وزير الصحة الدكتور أحمد بلال - فهو يحمل ميكروب «الإيدز» - نقص المناعة المكتسب - منذ ثلاث عشرة سنة ويعيش حياة طبيعية، لا يخطر على بال من يراه أنه مصاب بمثل هذا المرض.

ولهذا اقتضت الحكمة والعقل وواجب الدولة تجاه رعاياها أن يرغم الناس على عدم الخروج من منطقة الوباء، فلربما كان فيهم حامل للمرض، وبالتالي ينقله إلى غيره في المنطقة الأخرى التي ينتقل إليها فيهم البلاء. ومتى ما تغيَّر نمط وسلوك الجرثوم الوبائي وأصبح غير قابل للإمراض يرفع الحظر.

ز - قال ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد»[٤]. وقال: «لا يبولن أحدكم في مستحمه»[٥] أي المكان الذي يستحم فيه.

---

(١) د. الشطي: الطب النبوي، ص٢٧٩.

(٢) البخاري (٥٣٩٦).

(٣) د. الشطي: الطب النبوي، ص٢٨٠.

(٤) الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته (٧٥٩٦).

(٥) المصدر نفسه (٧٥٩٧).

تبدو أهمية هذا النهي النبوي إذا علمنا أن العلم الحديث بيّن أن أمراضاً مثل البلهارسيا تخرج عوامتها الممرضة عن طريق البول في الماء الراكد، فإذا وجدت إنساناً يستحم أو يسبح أو يغسل ثيابه أو يشرب منه، اخترقت بشرته، وسببت له المرض؛ وهو مرض خطير قاتل[١].

ح - قال ﷺ، في رواية البخاري[٢]: «لا تُوردوا الممرض على المصح»، وفي رواية مسلم[٣]: «لا يُوْرِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ»، أي لا يورد صاحب الإبل المريضة إبله على إبل غيره الصحيحة.

ويعرف هذا النهي في الطب الحديث بـ«العزل»، أي عزل المريض عن الأصحاء، حتى لا تنتقل العدوى[٤].

ط - قال ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده»[٥].

والعلة هنا خشية أن تكون يد النائم قد لامست شرجه وعلقت تحت أظافره بيوض لديدان أو غيرها، فتنتقل بذلك الأمراض إلى الأغذية والأشربة[٦].

١٢ - أبوال وألبان الإبل:

روى البخاري[٧] ومسلم[٨] وغيرهما في أحداث سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين، في شوال من العام السادس الهجري، كما سبق ذكره، (أن رسول الله ﷺ قال للعرنيين عندما استوخموا أو اجتووا أرض المدينة، وسقمت أجسامهم، فاشتكوا ذلك إلى الرسول ﷺ، قال لهم: «ألا تخرجون مع راعينا في إبله [أي راعي إبل الصدقة] فتصيبون من أبوالها وألبانها»، فقالوا: بلى. فخرجوا، فشربوا من أبوالها

---

(١) وانظر: د. الشطي: الطب النبوي، ص٢٨١.
(٢) برقم (٥٤٣٩).
(٣) برقم (٢٢٢٠).
(٤) د. الشطي: الطب النبوي، ص٢٨٢.
(٥) مسلم (٢٥٧).
(٦) د. الشطي: الطب النبوي، ص٢٨٢.
(٧) برقم (٥٦٨٥).
(٨) برقم (١٦٧١)، واللفظ له.

وألبانها، فصحوا . . .).

لقد كشف عميد كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة السودانية، البروفسور أحمد عبد الله أحمدني، في ندوة نظمتها جامعة الجزيرة، كشف عن تجربة علمية باستخدام بول الإبل لعلاج أمراض الاستسقاء وأورام الكبد، أثبتت نجاحها لعلاج المرضى المصابين بتلك الأمراض.

وتحدث البروفسور أحمداني في الندوة عن تجربة علاجية رائدة أخرى لمعرفة أثر لبن (حليب) الإبل على معدل السكر في الدم، استغرقت سنة كاملة، وأثمرت الدراسة فيما بعد عن انخفاض نسبة السكر في دم المرضى بدرجة ملحوظة.

وشرح في ختام محاضرته الخواص العلاجية لبول وحليب الإبل.

وأوضح أن مرض الاستسقاء ينتج عن نقص في الزلال أو في البوتاسيوم، بول الإبل غني بالاثنين معاً[1].

وفي مقالة علمية نشرت بجريدة الاتحاد[2]، قال الكاتب: إن النتائج الأولية للبحوث التي أجراها بعض الخبراء والعلماء أن تركيب الأحماض الأمينية في حليب الإبل تشبه في تركيبها هرمون الأنسولين الذي يستخدم في علاج مرض السكري.

وأكدت مجموعة من العلماء بقسم علوم الأغذية بكلية الزراعة بجامعة الفاتح بليبيا أن ألبان الإبل هي الأفضل من حيث ثرائها بمكونات الغذاء، ومن حيث سلامتها تماماً، فضلاً عن أنها تحتوي على مواد تقاوم السموم والبكتريا، ونسبة كبيرة من الأجسام المناعية المقاومة للأمراض، خاصة للمولدين حديثاً. وقالوا: يمكن وصف حليب الإبل لمرضى الربو، والسكري، والمدرن، والتهاب الكبد الوبائي، وقرح الجهاز الهضمي، والسرطان، وكشفوا عن أسرار أخرى[3].

١٣ - حديث الذباب:

قال ﷺ: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في

---

(١) انظر: الإنترنت: WWW.bah.com.

(٢) العدد رقم ٩٥١٥، بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠٠١م.

(٣) موقع الخالدي بالإنترنت: WWW.alkhaldi.8k.com.

أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر داء»[١].

لقد بلغت طرق هذا الحديث اثنين وأربعين طريقاً، كما قال الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر[٢]، وهذا مما يدل على اهتمام المحدثين بهذا الحديث.

لقد ذكر خاطر في المبحث الثاني من كتابه، الاكتشافات الطبية الحديثة التي تبرهن على صدق ما أخبر به ﷺ، ودل ذلك على معجزة من معجزاته الكثيرة. فذكر لنا المراجع العلمية التي ذكرها الدكتوران: محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين، في التقرير أو المقال الذي نشرته مجلة «الأزهر»، عدد رجب ١٣٧٨هـ، مجلد ٣٠، بعنوان: «كلمة الطب في حديث الذباب»، وهي:

١ - بويفيلد الألماني، من جامعة هال بألمانيا الشرقية، في بحث له نشره عام ١٨٧١م.

٢ - لانجيرون، أكبر أساتذة علم الفطريات، في بحث له عام ١٩٤٥م.

٣ - آرنشتين وكوك، من بريطانية، عام ١٩٤٧م، في بحوث لهما.

٤ - روليوس، من سويسرا، عام ١٩٥٠م، في بحث له.

٥ - موقتيش، عام ١٩٤٧م، في بحث له.

٦ - بريان وكورتيس وهيمنج وجيتيريس وماكجوان، من بريطانية، في بحوث لهم، عام ١٩٤٨م.

٧ - كوكس وفارمر، من بريطانية، وجرمان وروث واتلنجر وبلاتنر، من سويسرا، في أبحاث لهم، عام ١٩٤٩م.

ولخص الشيخ الدكتور خليل خاطر[٣] من هذا التقرير الحقائق العلمية التالية:

١ - إن الذباب يحمل الجراثيم على أطراف أرجله وطرف خرطومه وأطراف أجنحته وفي برازه.

٢ - إن هذه الجراثيم هي عنصر المرض، خاصة الكوليرا والدوسنتاريا والتيفوئيد؛

---

(١) البخاري (٥٧٨٢)، كتاب الطب، باب: إذا وقع الذباب في الإناء.

(٢) الإصابة في صحة حديث الذبابة، ط١، ١٤٠٥هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الرياض، ص٢٨، حاشية (١)، والفصل الثاني، ص٥٠ وما بعدها، بعنوان: «دراسة أسانيد هذا الحديث».

(٣) المرجع نفسه، ص١٥٧ ـ ١٦٠، ذكرناها باختصار.

وهو ما عبر عنه الحديث بـ «الداء»، والجراثيم هي السبب المادي للمرض.

٣ - الاكتشافات العلمية الحديثة للمضادات الحيوية من الذباب، وهذا كاف في الدلالة على القطع بوجود عنصر «الشفاء» المذكور في الحديث.

٤ - تخرج هذه المضادات الحيوية من فتحات ومفاصل حلقات بطن الذبابة.

٥ - هذا المضاد الحيوي مأخوذ من الفطريات الموجودة ضمن خلايا جسم الذباب، في الطبقة الدهنية، وهي القسم الأخير من الذبابة، بما في ذلك تحت الجناحين.

٦ - تخرج هذه الفطريات الحاملة للمضاد الحيوي بفعل ضغط على الخلية.

٧ - إن هذا المضاد الحيوي الذبابي، يعتبر من أقوى المضادات الحيوية، وهو كاف للقضاء على جراثيم غرام سالب وغرام موجب، بما في ذلك الجراثيم التي يحملها الذباب نفسه.

وكل هذا المذكور مطابق لمنطوق الحديث الشريف، مما يدل على الإعجاز.

وذكر الدكتور خاطر[1] نتائج أبحاث أخرى عديدة في هذا المجال، خاصة:

١ - الأبحاث التسعة التي وصلته من جامعة لندن، والمتعلقة باستخراج السموم من الذباب، وهو ما يوافق الشطر الأول من الحديث.

٢ - المستر تريد، مدير مصلحة الكورنتينات المصرية الأسبق، قبل نحو خمسين عاماً، في بحثه الذي يفيد بأن الذباب إذا سقط على شيء أكل منه، فاستحال في جوفه إلى مادة اسمها: «البكتريوفاج»، وهي تستخدم في قتل الجراثيم، التي تتركها الذبابة بأطرافها. وقالوا: إن الذباب يتقيأ هذه المادة إذا مات باسفكيا الفرق؛ وإن هذه المادة استعملت مصلاً، وعلاجاً للأمراض المتوطنة.

٣ - مجدي كيرلس جرجي، نشر بحثه بمجلة «الأهرام»، عددها الصادر في ٢/ ٧/ ١٩٥٢م، بعنوان: «الحشرات المظلومة». خلاصته: لوحظ أن جروح الجنود الذين تركوا بالميدان لمدة ما، قبل نقلهم إلى المستشفى - في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م - تحتوي على «يرقات» بعض أنواع «الذباب الأزرق». ووجد أن هذه اليرقات تأكل النسيج المتقيح في الجرح، وتقتل «البكتريا» المتسببة

(١) المرجع نفسه، ص١٦٨.

في القيح والصديد، ولذا شفيت جروحهم بسرعة عجيبة، وفي مدة أقل من تلك التي استلزمتها جروح من نقلوا إلى المستشفى فوراً بتأخير. واستخرجت مادة «الألاتوين» من هذه «اليرقات»، واستخدمت صناعياً وتجارياً كسرهم رخيص يباع في الأسواق لعلاج الخراجات والقروح والحروق والأورام.

٤ - ما نشرته مجلة «الميكروبيولوجيا» السويسرية عام ١٩٥١م، وهو ما يشابه مضمون مقال الدكتورين: محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين.

١٤ - النخالة:

قال سلمة بن دينار: سألت سهل بن سعد ﷺ، فقلت: (هل أكل رسول الله ﷺ النقي؟ - أي الطعام والخبز الأبيض منزوع النخالة - فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله...)[1].

إن المعجزة في هذا الحديث هو تأكد الطب منذ عهد قريب من وجود علاقة بين نقص أو غياب النخالة من الطعام، وكذلك الألياف الموجودة في الخضروات والفواكه، وبين مجموعة من أمراض القناة الهضمية التي تصيب الإنسان، ويؤدي بعضها إلى هلاكه، وأهمها:

١ - الإمساك المزمن، الذي من مضاعفاته:

أ - البواسير.

ب - فتق جدار البطن، إذ تنفجر عضلات جدار البطن نتيجة زيادة الضغط داخل البطن عند قضاء الحاجة.

جـ - فتق الحجاب الحاجز: وهو الذي يفصل بين محتويات البطن، من معدة وكبد وأمعاء، وبين محتويات الصدر من قلب ورئتين، ويمر خلاله المريء والأوعية الدموية والأعصاب. فلو زاد الضغط في البطن فإن بعض محتويات البطن مثل المعدة أو الأمعاء تجد طريقها إلى داخل الصدر، محدثة ضيقاً في التنفس واضطرابات في نبضات القلب.

٢ - الردب: وهو ظهور نتوءات كثيرة في الأمعاء الغليظة. والذي يحدث أن

---

(١) البخاري (٥٤١٠، ٥٤١٣)، أحمد: الموسوعة (٣٧/ح٢٢٨١٤)، الترمذي: السنن (٢٣٦٤)، الترمذي: الشمائل (١٤٨)، ابن ماجه (٣٣٣٥)، وغيرهم.

عدم احتواء الطعام على النخالة أو الألياف الناتجة من الخضروات يؤدي إلى صغر حجم نفايات الأكل التي تصل إلى الأمعاء الغليظة والتي تتخلص بطريقة تلقائية، ولما كان حجم هذه النفايات صغيراً فإن الأمعاء تحت هذه الظروف تتقلص بطريقة عنيفة في محاولة لملامسة جدار الأمعاء الداخلي لبقايا الطعام، وهنا يرتفع الضغط ويزداد داخل الأمعاء الغليظة، فيتسبب هذا الضغط المرتفع في بروز الغشاء المبطن للأمعاء الغليظة...

وللردب مضاعفات خطيرة، منها:

أ - الالتهاب الردبي: حيث تقوم هذه النتوءات بتخزين بقايا الطعام الذي يتعفن بفعل الجراثيم المقيمة في تجويف الأمعاء، فيحدث الالتهاب الحاد، والذي يتكرر من حين إلى آخر، محدثاً ألماً مستمراً في البطن وارتفاعاً في حرارة الجسم ونوعكاً عاماً في البدن.

ب - الانتقاب الردبي: ... ونسبة الموت فيه مرتفعة.

جـ - انسداد الأمعاء.

د - النزيف الدموي المعوي.

هـ - الناسور: ويحدث في ٥٪ من كل حالات الردب... يشكو فيه المريض من خروج الريح أو الغائط من قناة مجرى البول. وتشكو المريضة منه من خروج ريح أو براز من المهبل.

وللوقاية من الردب أو علاجه لا بد من وجود النخالة في الطعام.

٣ - سرطان الأمعاء الكبيرة الخبيث: يقتل كل عام خمسين ألف أمريكي، فهو ثاني سرطان يفتك بالأمريكان بعد سرطان الرئة الناتج عن التدخين، ويقتل سنوياً عشرة آلاف إنجليزي (ويلز وانجلترا).

من أجل كل هذا ولأهمية النخالة، أصبحت تباع في محلات الطعام أو الصيدليات في شكل مساحيق أو أقراص[1].

---

(١) نقلاً عن: د. فاروق مساهل: الإعجاز الطبي في الحديث النبوي، النخالة، مقال منشور بمجلة «الوعي الإسلامي»، الكويت، عدد ٢٤٠، ذو الحجة ١٤٠٤هـ، سبتمبر ١٩٨٤م، ص٦٣ - ٦٥، باختصار لبعض الفقرات.

١٥ - الصبر:

عن نبيه بن وهب، قال: (خرجنا مع أبان بن عثمان، حتى إذا كنا بمَلَلٍ اشتكى عمر بن عبيد الله عينيه، فلما كنا بالروحاء اشتد وجعه، فأرسل إلى أبان بن عثمان يسأله، فأرسل إليه أنِ اضْمِدْهُمَا بالصبر، فإن عثمان ﷺ حَدَّثَ عن رسول الله ﷺ في الرجل إذا اشتكى عينيه وهو محرم ضمدها بالصَّبر)[١].

بعد أربعة قرون من قول الرسول ﷺ عن الفائدة الطبية للصبر. قال ابن سينا في كتابه: «القانون في الطب»: إنه ينفع من قروح العين وجربها وأوجاعها، ومن حكة المآق... ويخفف رطوبتها، وله قوة قابضة مجففة للأبدان منومة، والصبر الهندي كثير المنافع، مجفف بلا لذع، وفيه قبض يسير)[٢].

وقال فيه أبو بكر الرازي: وهو أيضاً نافع للعين مجفف للجسد)[٣].

وقال داود الأنطاكي: (والاكتحال به يحد البصر، ويذهب الجرب والحرقة وغلظ الأجفان)[٤].

واعترفت الأبحاث الحديثة من أمريكا بصحة هذه الوصفة الطبية النبوية. فقد نشرت مجلة (Cutis) الأمريكية الشهيرة مقالاً عن الصبر عام ١٩٨٦م جاء فيه: (لقد تبين من خلال الدراسات السريرية الحديثة أن للصبر دوراً في معالجة الالتهابات الجلدية الشعاعية، وسحجات الجلد السطحية، وفي تقرحات قرنية العين، وفي قروح الرجلين)[٥].

وقد اكتشف العلماء وجود أربع مواد كيميائية فعالة في الصبر، وهي:

١ برادي كينيار: وهي مادة تزيل الألم والحكة والاحتقان، ولها فعل مقبض

---

(١) مسلم (١٢٠٤).

(٢) نقلاً عن: د. حسان شمس باشا، عضو الكليات الملكية في بريطانية وعضو الكلية الملكية للأطباء في إيرلندا: «نبات الصبر بين الإعجاز النبوي والطب الحديث»، مقال بمجلة التضامن الإسلامي، مكة، السنة ٤٨، جـ٧، محرم ١٤١٤هـ، يوليو ١٩٩٣م، ص٣٢ - ٣٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

للشرايين، مما يخفف الانتفاخ والاحمرار الحاصل مكان الالتهاب.

وهذا يفسر لنا لماذا تُدخل شركات الأدوية ومستحضرات التجميل مادة الصبر في المستحضرات التي تعالج حرق الشمس.

٢ - لاكتات المغنزيوم: وقد ثبت أن هذه المادة تمنع تشكل الهيستامين (وهو المادة التي تسبب الحكة في الجلد).

وهكذا يخفف الصبر من الحكة والالتهاب. وهذا يفسر لنا فاعلية الصبر في علاج لدغات الحشرات.

٣ - مضاد ابروستانلاندين: وهذه المادة تخفف أيضاً الألم والالتهاب مثلما تفعل حبوب الإسبرين.

وهكذا تعمل هذه المواد الثلاث معاً على تخفيف الألم والالتهاب، وتسكين الحكة والحرقان.

٤ - مادة الأنتراكينون، التي يعزى لها الفعل المسهل للصبر.

وأثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن للصبر تأثيراً مرطباً للجلد، فيلطف الجلد وينعمه.

روت أم سلمة ﵂، قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة، وقد جعلت عليَّ صبراً. فقال: «ماذا يا أم سلمة؟». فقلت: (إنما هو صبر يا رسول الله، ليس فيه طيب). قال: «إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل»[1]. ويشب الوجه: أي يلونه ويحسنه.

ويعزو العلماء ذلك إلى أن الصبر يحبس الماء في الجلد فيرطبه وينعمه. وتجد الآن في الأسواق مركبات مختلفة من كريمات ومستحضرات دوائية، وقد دخل في تركيبها مادة الصبر.

وأثبتت الأبحاث الطبية الحديثة أن الصبر يفيد في علاج التهاب المفاصل الرثواني. وهو مرض مؤلم جداً، قد يؤدي إلى حدوث تشوه في المفاصل، وإعاقة شديدة في حركتها. ويصيب المفاصل الصغيرة في اليدين والقدمين بشكل خاص.

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى (١١/٤٢٤/ح١٥٩٥٤)، النسائي: السنن (٦/٥١٥/ح٣٥٣٩).

وقد نشرت مجلة النقابة الطبية لأمراض الأقدام بحثاً استخدم فيه الصبر موضعياً على مفاصل ملتهبة عند الفئران. وتجرى التجارب حالياً على الإنسان[١].

١٦ عدم الاتكاء أثناء الأكل:

قال ﷺ: «لا آكل متكئاً»[٢].

ثبت علمياً أن سير الطعام عبر المريء، واستقبال المعدة له في حالة انتصاب الجسم جلوساً يساعد على عمليات الهضم في سهولة ويسر بخلاف الأمر عند الاتكاء أو الوقوف أو السير أثناء الأكل[٣].

١٧ - النهي عن إكراه المريض على تناول الطعام:

قال ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب؛ فإن الله ﷻ يطعمهم ويسقيهم»[٤].

ثبت علمياً أن فقدان الشهية يحدث نتيجة الاضطرابات في الأجهزة الحيوية للمريض، ولا سيما المتصلة بجهازه الهضمي، ولذا فالامتناع عن الطعام ضرورة[٥].

١٨ - الختان:

قال ﷺ عن ختان الرجل: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط»[٦].

كشف العلم أن عدم الختان بالنسبة للذكور له مضاعفات منها: أن الإفرازات قد تتجمع خلف القلفة، مما يؤدي إلى الالتهابات المزمنة في الحشفة... وإلى تكوين أنسجة ليفية من شأنها أن تؤدي إلى ضيق فتحة البول، مما يؤدي بالتالي إلى احتباس

---

(١) د. حسان: «ثبات الصبر...» مرجع سبق ذكره، ص٣٣.

(٢) البخاري (٥٠٨٣).

(٣) مجلة العلم والإيمان، عدد ١٧، سنة ١٩٧٧م، ص٢٤.

(٤) الترمذي (٢٠٤٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ابن ماجة (٣٤٤٤)، الحاكم: المستدرك (٤/ ٤٥٥/ح٨٢٥٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد رواته كلهم مقيون، ولم يخرجاه...

(٥) محمد كامل عبد الصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، السنة النبوية، ص٣٣.

(٦) البخاري (٥٥٥٢)، واللفظ له، مسلم (٢٦١)، وعنده أنهن عشر، وعَدَّهُنَّ.

البول. ويندر هذا جداً في المختونين.

ووجد أن سرطان القضيب من أسبابه عدم الختان.

وتكمن الجراثيم في القلفة وتنتهز الفرصة أثناء الاتصال الجنسي، فتدخل للمهبل والرحم والمبيض وتعشعش فيها، مما يؤدي إلى تأخر الحمل، بل إلى العقم أيضاً[١].

وقال ﷺ عن ختان الأنثى: «يا أم عطية: أشمي ولا تنهكي[٢]، فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج»[٣].

إن هذا التوجيه النبوي للخاتنة أم عطية قد أثبت الطب الحديث فائدته الصحية والنفسية للمرأة، وأثبت ضرر الختان الفرعوني (الذي تمارسه بعض المجتمعات في مصر والسودان، بما يعرف بـ الخفاض الفرعوني).

١٩ - الاتصال الجنسي أثناء المحيض:

قال ﷺ عن العلاقة بين الرجل وزوجته أثناء المحيض: «... اصنعوا كل شيء إلا النكاح»[٤].

أثبت العلم الحديث أن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل في أثناء المحيض، ليس إلا إدخالاً للميكروبات في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقوم. كما أن وجود الدم في المهبل والرحم يساعد على نمو تلك الميكروبات وتكاثرها، وانتقال الأذى إلى الرجل إذا جامعها في هذه الحالة. وقد يكون الجماع أثناء المحيض سبباً في سرطان عنق الرحم[٥].

٢٠ - استخدام التراب في غسل سؤر الكلب:

قال ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فَلْيرِقْهُ ثم ليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب»[٦].

---

(١) عبد الصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، ص٣٨.

(٢) أشمي: خذي قليلاً من البظر، ولا تنهكي: لا تبالغي في القطع.

(٣) الطبراني: المعجم الصغير (٢/ ٦٢/ ح١٢٢).

(٤) مسلم (٣٠٢).

(٥) عبد الصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، ص٤٦.

(٦) البخاري (١٧٠)، مسلم (٢٨٠، ٦٤٦، ٦٤٩). وفي لفظة: «... وعفروه الثامنة في التراب».

كشفت الأبحاث العلمية أن الكلب ينقل إلى الإنسان كثيراً من الأمراض، منها: الجرب، وداء الكلب، وهو داء خطير قاتل، ومرض «كسيت إيدانيك»، الذي يتولد بدخول بيوض الدودة المسماة: «تينا أكنياكوكس»؛ وتوجد هذه الدودة بكثرة في أمعاء الكلب، وغيرها من الأمراض.

وقد ثبت أن التراب عامل كبير على إزالة البويضات والجراثيم، وكذلك لأن ذرات التراب تندمج معها فتسهل إزالتها جميعاً... كما قد يحتوي التراب على مواد قاتلة لهذه البويضات[١].

وقام العلماء في العصر الحديث بتحليل تراب المقابر ليعرفوا ما فيه من الجراثيم، وكانوا يتوقعون أن يجدوا فيه كثيراً من الجراثيم الضارة، وذلك لأن كثيراً من البشر يموتون بالأمراض الأثنائية الجرثومية، ولكنهم لم يجدوا في التراب أثراً لتلك الجراثيم الضارة المؤذية... فاستنتجوا من ذلك أن للتراب خاصية قتل الجراثيم الضارة، ولولا ذلك لانتشر خطرها واستفحل أمرها[٢].

٢١ - تحريم أكل لحم الجوارح وكل ذي ناب:

قال ﷺ: «حرم على أمتي كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع»[٣].

أثبت علم التغذية الحديث أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها، لاحتوائها على سميات ومفرزات داخلية تسري في الدماء وتنتقل إلى معدة البشر فتؤثر في أخلاقهم[٤].

٢٢ - خلق الإنسان:

قال ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء»[٥].

---

(١) عبد الصمد: المرجع السابق، ص٥٠ ـ ٥١، وانظر بقية الأمراض فيه.

(٢) عبد الحميد محمود طهماز: الأربعون العلمية، من الإنترنت:
http://www.science 4 islam.com/html/med-30a.html.

(٣) مسلم (٤٩٧٠)، وغيره.

(٤) عبد الصمد، المرجع السابق، ص٨٣ ـ ٨٤، وانظر التفاصيل عنده.

(٥) مسلم (١٤٨٣).

لقد ثبت علمياً أن جزءاً يسيراً جداً من المني هو الذي يخلق الله منه الولد. . . فاللفقة الواحدة من المني تحمل مائتي مليون حيوان منوي أو يزيد، والذي يلقح البويضة هو حيوان منوي واحد فقط[١]، حيث أن هناك اختياراً بعد اختيار لهذه الحيوانات، فلا يصل منها إلا ما أرادته المشيئة الإلهية التي جعلت كل شيء بقدر[٢].

كما أنه ليست كل بويضة تلقحت تصبح جنيناً كاملاً. . . فالأبحاث الحديثة تقول: «إن ٧٨٪ من كل حمل يجهض ويتم إسقاطه، وإن ما يقرب من ٥٠٪ تسقط قبل أن تعلم الأم أنها حامل»[٣].

٢٣ تحريم زواج الإخوة من الرضاع:

قال ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[٤].

أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة وجود أجسام في لبن الأم المرضعة الذي يترتب على تعاطيه تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات؛ وهذه هي الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان، حتى في حيوانات التجارب المولودة حديثاً والتي لم يكتمل نمو جهازها المناعي. فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذي ترضعه، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية.

ولقد وجد أن تكون هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدي إلى أعراض مرضية عند الإخوة في حالة الزواج[٥].

٢٤ - تحريم الخمر:

روى طارق بن سويد الجعفي أنه سأل النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه وكره أن

---

(١) عبد الصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، ص٩٥، ومصدره: د. محمد علي البار: خلق الإنسان بين الطب والقرآن.

(٢) المرجع والمكان نفسهما.

(٣) المرجع نفسه والمكان، ومصدره: مجلة Medicine Digest، يناير ١٩٨١م.

(٤) البخاري (٢٦٤٥)، مسلم (١٤٤٤)، وفي لفظ: «من الولادة».

(٥) عبد الصمد: الإعجاز العلمي في الإسلام، ص١٠٩.

يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال ﷺ: «إنه ليس بدواء ولكنه داء»[١].

لقد أثبت الطب الحديث الآثار الضارة على جسد الإنسان وعقله، ومثاله قول الطبيب «لانسروا»: إن إدمان الغول (الخمر) يحدث ضمور المبيض عند المرأة. وقال الطبيب «برقونه»: شاهدت أثناء تشريح جثث مدمني السكر ضموراً وتصلباً في الخصى، ولم أشاهد الحيوانات المنوية في ٨٦٪ من الحوادث التي شرحتها. وهذا يوضح لنا أسباب العقم والعِنَّة المشاهدين عند كثير من مدمني الخمر.

٢٥ - التدخين:

عن أم سلمة ﵂ قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[٢].

والمسكر كما هو معلوم هو كل ما يذهب العقل من خمر أو مخدرات، والمفتر هو الدخان.

لقد أصبح من المعلوم في الدين والعقل بالضرورة أضرار التدخين على كل أعضاء الجسم. وتبنّت هيئة الصحة العالمية التحذير من أخطاره. وهو بالإحصاء «تجارة الموت الخاسرة»، وهذا عنوان كتاب نشرته الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ.

وأصدر الأستاذ الكبير، المحامي الأمريكي لاري وايت، كتاباً قدم له وزير الصحة الأمريكي، بعنوان: «Merchants of Death»، أي: «تجار الموت»، ويعني بهم تجار التدخين.

ومن الأمثلة على أضرار الدخان الصحية أن هيئة الصحة العالمية نشرت عام ١٩٨٦م تقريراً مفاده: أن التدخين يتسبب في ٩٠٪ من حالات سرطان الرئة، و٩٠٪ من سرطان الحنجرة، و٧٥٪ من حالات الالتهاب الشعبي المزمن، وانتفاخ أنسجة الرئة، والتهاب الجيوب الأنفية وحساسية الأنف، وأمراض الحساسية والربو.

ومن السرطانات التي يلعب دوراً رئيساً فيها: سرطان الفم والشفة واللسان

---

(١) مسلم (١٩٨٤)، وانظر دليلاً آخر في الفقرة التالية.

(٢) أحمد: الموسوعة الحديثية، المسند (٤٤/ح٢٦٦٣٤)، وقال المحققون: حديث صحيح لغيره دون قوله: «ومفتر»، أبو داود (٣٦٨٦).

والحنك واللثة والبلعوم والمريء والبنكرياس والكبد والمثانة والكلى وعنق الرحم والثدي وغيرها.

٣٦ - ماء زمزم:

جاء في خبر إسلام أبي ذر ﷺ، عندما جاء إلى مكة، أنه أقام ثلاثين ما بين يوم وليلة بمكة، ليس له طعام إلا ماء زمزم، فسمن، حتى تكسرت عكن بطنه، وما يجد جوعاً، فلما أخبر النبي ﷺ بذلك قال: «إنها مباركة، إنها طعام وطُعْم»[١] أي تشبع كالطعام.

وقال أيضاً: «ماء زمزم لما شرب له»[٢]. قال النووي[٣]: «معناه أن من شربه لحاجة نالها، وقد جربه العلماء والصالحون لحاجات أخروية ودنيوية فنالوها بحمد الله وفضله». وقال الحكيم الترمذي[٤]: «أن من شربه بأي نية من أبواب الخير والصلاح وفى الله له بذلك...».

ذكر الأستاذ أحمد عبد الله الباتلي[٥] نماذج لأدعية العلماء عند شرب ماء زمزم، وتحقق لهم ما أرادوا من أبواب الخير، منهم الإمام الشافعي وعبد الله بن المبارك وابن خزيمة والخطيب البغدادي وابن حجر والسيوطي.

وقال ابن القيم:[٦] وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى بها الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعاً.

وقال الشيخ عبد الرشيد إبراهيم، التركي الأصل، الروسي الجنسية، صاحب الرحلة المشهورة «عالم الإسلام»، أنه جربه لعلاج أمراض المثانة والعيون، فنجح

---

(١) مسلم (٢٤٧٣)، ورواه غيره.

(٢) أحمد: المسند: الموسوعة الحديثية (٢٣/ح١٤٨٤٩)، وقال المحققون: محتمل للتحسين، ورواه غيره.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٩٣).

(٤) نوادر الأصول، ص٣٤١.

(٥) في مقال له بعنوان: (ماء زمزم.. لما شرب له)، نشر بمجلة الحرس الوطني، السنة ١٥، عدد ١٤٢، ذو الحجة ١٤١٤هـ، مايو - يونيو ١٩٩٤م، ص٣٢.

(٦) نقلاً عن الباتلي، المرجع نفسه، ص٣٣.

فيها بحمد الله تعالى[١].

وقال الباتلي[٢]: «وهناك سيدة مغربية ألفت كتاباً عنوانه: «فلا تنس الله»، ذكرت فيه أنها أصيبت بالسرطان، وقال لها الأطباء: لا علاج لهذا السرطان، فلما سافرت إلى مكة، داومت على شرب ماء زمزم أياماً، ثم قالت: وجدت أن الكريات الحمراء التي كانت تشوه جسدي قد اختفت نهائياً».

ونشرت قصة هذه السيدة - ليلى الحلو - جريدة «المسلمون»، الصادرة في لندن بتاريخ ٦ يوليو عام ١٩٨٥م.

٣٧- (١٧) الصيام:

قال ﷺ: «عليك بالصوم فإنه لا مِثْلَ له» [النسائي: السنن الكبرى (٢١٩٠) - صححه الألباني].

أثر الصيام الإسلامي في الوقاية من الأمراض:

قام الباحثان: رياض البيبي وأحمد القاضي بنشر بحوثهما في هذا الخصوص، خاصة إفرازات الأمعاء للسموم، وتناقص نسبة التخمر الذي يسبب دمامل وبثوراً مستمرة، أخضع الباحثان متطوعين للتجارب من مختلف الأعمار، ومن الجنسين، وهم في حالة الصيام الإسلامية، لمراقبة دقيقة، وفحوص طبية عديدة على مدى أيام متتالية في رمضان، وكانت النتيجة:

١/ تخفيض الانفعالات النفسية على الرغم من الاستثارات المختلفة التي تعرض لها الصائمون.

٢/ كان هناك انخفاض واضح في شُميات الجسم.

٣/ مقارنة مع حالة نفس المجموعة عندما لم يكونوا صائمين، انخفضت الدهون الخفيفة [الضارة بالصحة] في فترة الصيام، مقارنة بها قبل وبعد الصيام.

كما أثبتت العديد من البحوث أن الصيام يقوي جهاز المناعة لدى الصائم، فيقي الجسم من أمراض كثيرة.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع والمكان نفسه.

الصيام الإسلامي وأثره في كبح الرغبة الجنسية :

قال ﷺ : «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».

وجد العلماء المحدثون أن الصيام الإسلامي مثبط للرغبة الجنسية وكابح لها.

الصيام الإسلامي وزيادة الخصوبة :

أجرى الدكتور سمير عباس، والدكتور عبد الله باسلامة، بكلية الطب، جامعة الملك عبد العزيز، بالمملكة العربية السعودية " في عام ١٩٨٦م "، دراسة للنظر في مستوى الخصوبة عند الرجال في الحياة الطبيعية، ومدى تأثير الصيام بالطريقة الإسلامية على ذلك. وكانت النتيجة أن الصيام الإسلامي يزيد الخصوبة عند الرجال.

ولاحظ الباحثان من إحصاءات المستشفى الجامعي بجدة، أن عدد حالات الحمل تصل إلى معدل كبير في شهر شوال، مقارنة بشهور السنة الأخرى.

حصول التوازن بين آليات الهدم والبناء في الجسم أصبح واضحاً لدى علماء الطب، إذ أن إعطاء فرصة للجسم ليتوقف عن البناء وتخزين الطاقة أمر في غاية الأهمية لتجدد الخلايا وذلك بالتخلص من الخلايا الهرمة والإنزيمات المستهلكة.

علاج الصيام لبعض الأمراض :

جاء في بحوث منشورة أن الصيام الإسلامي يعالج عدداً من الأمراض الخطيرة، أهمها :

١/ الأمرض الناتجة عن السمنة : كمرض تصلب الشرايين وضغط الدم، وبعض أمراض القلب.

٢/ يعالج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية مثل : مرض الرينود ومرض برجر.

٣/ يعالج مرض التهاب المفاصل المزمن (الروماتويد).

٤/ يعالج ارتفاع حموضة المعدة، وبالتالي يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب.

٥/ الوقاية من مرض داء الملوك (النقرس).

٦/ يساعد على عدم تكون بعض الحصيات الكلوية.

٧/ تنشيط الذاكرة، كما أكد ذلك بتجربته الخاصة الصحافي "توم برنز"، من مدرسة كولمبيا للصحافة.

[انظر: www.khayam.com/ashab/tab-albadat-malafat/alsum-fouod].

هل يؤثر الصيام الرمضاني المتكرر سلباً على مرضى زرعت لهم كلى؟ :

طرح هذا السؤال مجموعة من الباحثين بقسم طب الكلى وأمراضها وزراعة الكلى، بمستشفى الملك فهد وجامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية، ومدينة الملك عبد العزيز الطبية، بالرياض - السعودية.

وكانت الإجابة بعد الأبحاث التي أجريت أن الصيام لا يؤثر سلباً على المرضى الذين زرعت لهم كلى الزيادة المعلومات أنظر: م.فارس: الإعجاز - ص ٣٤٥ - ٣٥٢].

٢٨- لحم الخنزير:

قال ﷺ: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه» [م (٢٢٦٠)].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: (والنردشير هو النرد، فالنرد أعجمي معرب، وشير معناه حلو- نسبة إلى واضعها أردشير بابك، من ملوك الفرس - ومعنى صبغ يده في لحم الخنزير ودمه في حال أكله منهما، وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما). والنرد: هو مايعرف الآن بلعبة الطاولة.

وعن أبي ثعلبة الخشني، أنه سأل رسول الله ﷺ، قائلاً: (إنا نجاور أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير، ويشربون في آنيتهم الخمر)، فقال رسول الله ﷺ: «إن وجدتم غيرها فكلوا فيها وأشربوا» [د (٣٨٣٩) - صحيح].

فحديثا مسلم وأبي داوود صريحان في حرمة لحم الخنزير، أما ما جاء في تحريمه ضمناً، فعند الإمام أحمد [(١٧٧٥٢) - صحيح؛ والبخاري (٥٤٨٨، ٥٤٩٦)].

لقد وصف القرآن الكريم حيوان الخنزير بأنه رجس: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والرجس: الشيء القذر، والأقذار والنجاسات هي السبب الأكبر في إصابة الإنسان بالأمراض المختلفة، لما فيها من جراثيم وطفيليات؛ فالخنزير ينقل إلى الإنسان كثيراً من الكائنات الدقيقة الخطرة.

يصاب الخنزير بعدد كبير من الأمراض الوبائية لا تقل عن (٤٥٠) مرضاً، ويقوم بدور الوسيط لنقل أكثر من (٧٥) مرضاً وبائياً للإنسان غير الأمراض العادية الأخرى التي يسببها أكل لحمه، مثل: تليف الكبد وعسر الهضم والحساسية الغذائية وتصلب الشرايين وتساقط شعر الرأس وضعف الذاكرة والعقم، وتنشيطه لمرض الربو والروماتيزم وكثرة الأكياس الدهنية، علاوةً على آثاره السيئة على العفة والغيرة في التكوين النفسي.

وينقل الخنزير بمفرده (٢٧) مرضاً إلى الإنسان، وينتقل أكثر من (١٦) مرضاً من الخنزير إلى الإنسان عن طريق تناوله لحمه ومنتجاته؛ وأهم هذه الأمراض، هي: الحويصلات الخنزيرية، والحمى المتموجة، والدردة الكبدية، وداء وايل، وداء المكبسات اللحمية، والتهاب السحايا والمشيمة، وداء اليرقانات الشريطية الجوالة، وداء الدودة الوحيدة المسلحة، وداء المصورات الذيفانية المفوسة، وداء الشعريات الحلزونية، والديدان السوطية، وداء السل، وداء المبيضات الفطرية، والالتهابات المحوية بجراثيم السالمونيلا والشايجالا، وغير ذلك.

كما تنتقل عن طريق المخالطة والتربية أو التعامل مع منتجات الخنزير ومخلفاته عدة أمرض لا تقل عن (٣٢) مرضاً، وأكثر الناس إصابة بها هم عمال الزرائب والجزارات والأطباء البيطريين. وأهم هذه الأمراض، علاوة على بعض الأمراض السابقة: الجمرة الخبيثة، الكَلَب الكاذب، الزحار الزقي، الحمى القلاعية، الحمرة الخنزيرية، الديدان الرئوية الخنزيرية، الجرب الفائر، السعار، داء النوم، الديدان القنفذية، وغير ذلك.

كما تنتقل عدة أمراض لا تقل عن (٢٨) مرضاً، عن طريق تلوث الطعام والشراب بمخلفات الخنزير [أ.د. عبد الله المصلح و د. عبد الجواد الصاوي وآخرون: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ص ٣٠١-٣٠٢].

٢٩- مفاصل الإنسان:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل. فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، وأَمَرَ بمعروف أو نهى عن منكر، عَدَدَ تلك الستين والثلاثمائة السلامى، فإنه يمشي

يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار» .[م (١٠٠٧)].

قال بريدة ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة». قالوا : (فمن الذي يطيق ذلك يارسول الله ؟) قال : «النخامة في المسجد تدفنها، أو الشيء تنحيه عن الطريق، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك» .[حم (٢٢٩٩٨)، صحيح لغيره].

المفصل هو الالتقاء بين أي عظمتين أو عظمة وغضروف أو غضروفين، في أي موضع بجسم الإنسان، مادام بينهما فاصل.

والإعجاز هنا : أثبت الطب الحديث أن عدد المفاصل الموجودة في الجسم البشري (٣٦٠) مفصلاً في زمن يستحيل فيه معرفة هذا العدد بهذه الدقة، حيث أن معظم هذه المفاصل دقيقة، وفي أماكن يصعب تحديدها بالملاحظة المجردة. ولم تحدد المفاصل بدقة إلا بعد تقدم علم التشريح وعلم الأنسجة .[د. المصلح وآخرون : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ٧٥-٧٧].

٣٠- معجزة عجب الذَّنَب :

عن أبي هريرة ﷺ عن ﷺ قال : «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خلق وفيه يركب» .[م (٢٩٥٥)].

وفي لفظ آخر له : «وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» .[م (٢٩٥٥)، واللفظ له، وأخرجه البخاري].

وفي لفظ آخر لأبي هريرة أيضاً : «إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة». قالوا : (أي عظم هو يا رسول الله ؟) قال :«عجب الذنب». [م (٢٩٥٥/١٤٣)].

عجب الذنب والحقيقة العلمية :

إن عجب الذنب في علم الأجنة هو : [الشريط الأولي، الذي يتكون إثر ظهور كافة طبقات الجنين، وخاصة الجهاز العصبي، ثم ينكمش ويندثر هذا الشريط، ويبقى منه أثر داخل الفقرات العصعصية الأخيرة، وهو ما يسمى بعظم العصعصي (عجب الذنب)]. [انظر المصلح : الإعجاز العلمي، ص ٧٠-٧١].

إن من أبرز وجوه الإعجاز في الحديث، أن هذا الشريط الأولي لا يتعرض للفناء مهما تعرض للظروف القاسية، كالنيران الشديدة أو المواد الحارقة مثل حمض الكبريت المركز، أو غيرها، وقد حفظه الله عز وجل دليلاً على صدق نبينا ﷺ؛ فكما خلق منه الانسان في المرة الأولى يعاد تركيبه في المرة الثانية للبعث والنشور والوقوف بين يدي الخالق عز وجل .[نفسه، ص: ٧٤].

٣١ عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً:

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً» [م (١٦٨١) واللفظ له، حم (٨٤٧٧)، (٩٠٢٦)].

إن وجه الإعجاز في هذا الحديث أن العلم الحديث قد أثبت أن جزيرة العرب كانت مروجاً وأنهاراً، وأنها ستعود كما كانت قبل قيام الساعة. وتجد الأدلة مفصلة عند الأستاذ الدكتور المصلح وآخرين في كتاب: [الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ص ١٢٦-١١٢].

٣٢ إعجابه ﷺ بالبطيخ بالرطب:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب. [تر (٤/ ١٨٤٣)؛ د (٣/ ٣٨٣٦) صحيح؛ أبو الشيخ: أخلاق النبي ﷺ وآدابه - تحقيق الضبايطي، ص ٢٢٢، برقم ٦٦٨ - وصححه].

وقالت في لفظ: (إن النبي ﷺ كان يعجبه البطيخ بالرطب) [أبو الشيخ أخلاق النبي ﷺ - تحقيق الضبايطي، برقم (٦٧٣)، وصححه].

وجاء عنها في لفظ: (أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرطب والبطيخ [أبو الشيخ: الأخلاق - الضبايطي، برقم (٦٧٨)، وصححه؛ أحمد (٣/ ١٤٢، ١٤٣) - صحيح].

جاء في صحيفة الانتباهة (السودانية)/ الاثنين ١٢ شعبان ١٤٣٠هـ/ ٣/ ٨/ ٢٠٠٩م، ص ١٦ -الأخيرة بعنوان: البطيخ مضاد جيد للأكسدة-: «أكد الدكتور محمد الحوفي - أستاذ علوم الأغذية بجامعة عين شمس المصرية، أن للبطيخ فوائد عديدة، وتحديدًا احتواءه على كمية من مضادات الأكسدة الحمراء اللون أكثر مما هو موجود في الطماطم، طبقًا لرابطة القلب الأمريكية، حيث تم تصنيفه ضمن قائمة

المنتجات النباتية المفيدة للقلب. فالبطيخ مصدر ممتاز لفيتامين «سي»، حيث أن قطعة البطيخ وزن ١٦٠ جرامًا، وهي ما مقداره كوب بحجم ربع لتر، تحتوي على ٢٥٪ من حاجة الجسم اليومية لهذا الفيتامين. وهو كذلك مصدر جيد جدًا لفيتامين «أ» و«ب» و. وذلك لأن القطعة الواحدة منه تحتوي على ١٠-١١٪ من حاجة الجسم اليومية لكل من هذه الفيتامينات. وهو أيضًا مصدر جيد للبوتاسيوم والمغنسيوم، لاحتواء التقديمة منه على نحو ٧٪ من حاجة الجسم اليومية لهما. ويمتاز البطيخ أيضًا بارتفاع نسبة السوائل به، التي تشكل ٩٢٪ من محتواها. وعليه تصبح الفيتامينات بتركيز عالٍ مع طاقة أو سعرات حرارية أقل، بخلاف الفاكهة الأخرى الحلوة والقليلة الماء.

وجاء على شبكة الإعلام العربية محيط-: (Mohee(.com) أن البطيخ أقوى من الشيخرا والزينكال: (ويفيد خبراء التغذية أن البطيخ علاج مفيد لبعض الأمراض، إلى جانب أنه غذاء مهم لاحتوائه على كمية كبيرة من الحديد والماغنسيوم يمتصها الجسم بسهولة، وهو مفيد في علاج أمراض التهاب الكبد والحويصلة الصفراوية، كما أن له فوائد في علاج الجهاز الهضمي والإمساك والتخلص من السمنة. مشيرين بحسب صحيفة «الجمهورية» المصرية، إلى أن البطيخ على عكس ما هو معروف عنه يحتوي على نسبة قليلة من الأحماض الأمينية، وكثير من الفيتامينات، مثل: ب[1] وب[2] وج. وذلك مفيد في تحسين الوظائف الهضمية. كما يحتوي أيضاً على أملاح: البوتاسيوم والصوديم والكالسيوم؛ كما يفيد في إدرار البول، والوقاية من تكوين الحصى بالكلى والتهاب غشاء القولون من الأمراض الطفيلية، كما أن به نسبة عالية من الألياف تساعد على مقاومة الأمراض السرطانية.

(من جانب آخر أثبتت دراسة علمية أمريكية حديثة أن البطيخ وبذوره وقشره مفيد لحصى الكلى والمثانة، بل ويزيد من إدرار اللبن عند الأمهات المرضعات، وهو ملطف للأنسجة المخاطية؛ أما لب البطيخ فيحتوي على 1.27 بروتين و5.15 كاربوهيدرات و٤٢٪ دهون.

(وتؤكد الدراسة أن البطيخ يحتوي على نسبة عالية من الألياف الكثيفة. وهذا قد يسبب لبعض الأفراد متاعب بالجهاز الهضمي، خاصة للذين لديهم اضطرابات بالقولون أو حساسية الأمعاء، لذلك يفضل أن يتناولوه عن طريق المص وعقب وجبة الطعام، حتى لا يرهق المعدة والأمعاء؛ أما إذا تم تناول البطيخ دون مص فينصح

بعدم أكله مباشرة عقب وجبة الطعام، حتى لا يكون سببًا في عسر الهضم؛ ويفضل تناوله بعد الأكل بفترة زمنية مناسبة.

(يتميز البطيخ الأحمر بتفوق نوع الفياجرا، ويتفوق عليها في الفائدة. هذا ما أكدته دراسة طبية نشرت على موقع (ساينس ديلي) العلمي الإلكتروني، حيث أن الفياجرا مهمتها تنحصر في تنشيط الدورة الدموية في عضو واحد في الجسم بينما البطيخ الأحمر ينشط الدورة الدموية في كل الجسم بدون أية أعراض جانبية. وأشارت الدراسة التي قدمها باحثون في جامعة (إي آند إم (A & M) الأمريكية في تكساس، إلى أن البطيخ الأحمر يحتوي على مكونات تؤدي إلى نفس تأثيرات الفياجرا في توسيع الأوعية الدموية، كما يحتوي البطيخ الأحمر وعدد من الفواكه والخضروات الأخرى على مواد «فيتو» الغذائية، ومنها «لايكوبين» و«بيتاكاروتين» و«سترالين» .. والتي تقود إلى حدوث تفاعلات جيدة داخل الجسم البشري.

(وعثر الباحثون - الذين ظلوا يدرسون لفترة طويلة هذه الفاكهة الحلوة - على ما وصفوه بمواد طبيعية «معزّزة» لصحة الجسم البشري، وقالوا إنهم يعتقدون أن مادة «سترالين» هي التي تمتلك القدرة على توسيع الأوعية الدموية واسترخائها كما تفعل الفياجرا، وعندما يتناول الإنسان البطيخ الأحمر فإن «سترالين» تتحول إلى الحمض الأميني «أرجنين»، والذي «يصنع المعجزات للقلب والدورة الدموية»، ويعزز جهاز المناعة) ويذكر: أن العلماء عثروا أيضًا على تركيزات عالية لمادة «سترلين» في قشرة البطيخ الأحمر، ولأن القشرة لا يتم تناولها مع لب البطيخ فإن الباحثين سيتوجهون لإنتاج نوع مهجن منه يحتوي على تركيز عال لهذه المادة الحيوية.

(وكشفت نتائج دراسة علمية عن أن حمضاً أمينياً يوجد في عصير البطيخ والجوز وغيرها من الأطعمة يلعب دورًا في محاربة البدانة. ووجد باحثون من جامعة تكساس أن نسبة الدهون في جسم فئران التجارب انخفضت بنسبة ٦٠٪ عندما تناولت على مدى ١٢ أسبوعًا أطعمة أضيف لها حمض «أرجينين» الأميني "Acid Amino Arginine". ويعتقد الباحثون أن هذه النتائج يمكن ترجمتها في محاربة بدانة البشر، مؤكدين أن البطيخ غني بمضادات الأكسدة، ومصدر جيد لفيتامين (ج) وفيتامين (أ) في صورة البيتاكاروتين، وبفيتامين (ب١)، و(ب٦) .

(وأكد الدكتور إيملي - عالم التغذية الأمريكي - إلى أن عصير البطيخ يقي من

حمض التيفوئد، كما أنه يفيد المصابين بالروماتيزم، وأفادت دراسة طبية صينية أن قشر البطيخ يتسم بفعالية كبيرة في علاج خمسة أمراض، هي: ارتفاع ضغط الدم المزمن، والتهاب الكلى، واحتباس البول، والاستسقاء، والإمساك المزمن.

(وحسب الدراسة التي أعدها معهد الطب الحيوي ونشرتها مجلة الأبحاث الطبية الصينية المعنية بالشؤون الطبية: فقد تم استخلاص النتيجة بعد أبحاث وتجارب أجريت على مدار ثلاثة أعوام، وشملت نحو تسعة ملايين مريض من المقاطعات الصينية الإحدى والثلاثين.

(وتنصح الدراسة مرضى ارتفاع ضغط الدم بتجفيف قشر البطيخ ثم طحنه حتى يتحول إلى مسحوق يؤخذ منه عشرون جرامًا ويقلب جيدًا في الماء حتى يصل إلى درجة الغليان، ثم يحتسيه المريض يوميًا لمدة لا تقل عن شهر دون توقف.

(أما مرضى التهاب الكلى فتنصحهم الدراسة بتقطيع قشر البطيخ قطعًا صغيرة جدًا ووضعها في الماء وتقليبها على النار حتى تتحول إلى عجينة تحفظ في وعاء زجاجي محكم الإغلاق، ويتناول منه المريض ملعقة واحدة على الريق لمدة لا تقل عن ثلاثة أسابيع.

(وبالنسبة لمرضى الاحتباس البولي، والاستسقاء، والإمساك، فعليهم تقطيع قشر البطيخ قطعًا صغيرة ووضعها في الماء، مع إضافة شرائح رقيقة من البندورة أو بياض بيضة واحدة بعد فصله عن الصفار، وأثناء ذلك يتم تقليبه على النار مدة خمس دقائق، ثم يشرب باردًا يوميًا لمدة خمسة أسابيع).

٣٣- الدباء، [القرع، اليقطين]:

أخرج البخاري بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: (إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، فذهبت مع رسول الله ﷺ، فرأيته يتتبع الدباء من حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء من يومئذ). [بخ (١٩٥٠)]، وفي رواية ثانية: (فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزًا ومرقًا فيه دباء وقديد؛ [بخ (٥٣٧٩)، ٦٥٧-٦٥٨؛ (٣٨٠٣)؛ د (٣٢٨٨)؛ الموطأ (١٠٠٣)؛ الدارمي (١٩٦١)؛ د (٣٢١٣)؛ الشمائل (٢٣٥)].

وفي رواية عن أنس أيضاً ﷺ: أن النبي ﷺ كان يعجبه القرع. [أبو الشيخ: الأخلاق، (٦٥٤/يقوى)؛ حم ٣/ ١٦٠، و٣/ ١٧٤].

وفي رواية عن أنس ﷺ أيضاً: (كان رسول الله ﷺ يحب الدُّباء، فإذا كان عندنا منه شيء آثرناه به). [أبو الشيخ (٦٥٥)/ صحيح لما قبله].

وفي رواية عن أنس ﷺ أيضاً: (كان النبي ﷺ يكثر من أكل الدباء، فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر من أكل الدباء. قال: «إنه يكثر الدماغ ويزيد في العقل» [أبو الشيخ (٦٦٣)/ ضعيف جداً].

يقول أحد الاختصاصيين: ما أحب عليه الصلاة والسلام شيئاً إلا وجدت في ذلك سراً عظيماً. فماذا في اليقطين:

تبلغ نسبة الماء فيه ٩٤,٧٪، ويحتوي على كمية قليلة من السكر والألياف، وتعطي المئة غرام منه ٦٥ حريرة فقط، فهو غذاء جيد لمن أراد إنقاص وزنه؛ وهو فقير جداً بالصوديوم، فهو يناسب المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم، وغني بالبوتاسيوم الذي يلزم الذين يتناولون الحبوب التي تدر البول، كما أنه يحتوي على البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والفوسفور والحديد والكبريت والكلور. وهو غني بالفيتامينات، وفي طليعتها فيتامين (أ). [فارس: الإعجاز ....، ص ٤٨١] و: (س) - بحسب إنعام اللوباني - وهناك أدلة حديثة تشير إلى أن اليقطين يفيد في الوقاية من السرطان. وقد نشرت مجلة الأبحاث البيوكيميائية عام ١٩٨٥م دراسة أجريت في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، أشارت هذه الدراسة إلى أن اليقطين فعلاً واقياً من السرطان الرئوي عند سكان نيوجرسي في الولايات المتحدة [قبسات من الطب النبوي، باختصار] [فارس، نفسه، ص ٤٨١].

وقد اكتشف العلماء الألمان حديثاً أن في القرع مواد ومركبات تعمل على تنشيط الخلايا الدماغية، وتنمي التلافيف المخية المسؤولة عن الاستيعاب والذكاء، مثل مادة: (Encephalic - Stimulant). وهذا مصداقاً للحديث: «إنه يكثر الدماغ ويزيد في العقل»[1].

ويحتوي على عدد من المواد الفعالة، مثل: الكوركوبيتين - البيوتوزيد -

---

(١) وقد أصدر العلماء الألمان مؤخرًا قراراً واجب التنفيذ في جميع المؤسسات المعنية لتعويد الطلاب والناشئين منذ باكورة أعمارهم على الإكثار من تناول القرع في وجبات غذائهم، كما يوصون كل العاملين في ميدان النشاط الذهني من مفكرين وخبراء ومدرسين ودارسين أن يركزوا على العناية بتناول هذه المادة الثمينة في غذائهم.

حامض الترولين واللوسنين والبتروزين. ولبعض هذه المواد تأثير مقو لعضلة القلب ووظائف الكليتين، وتأثير ضد التهاب المجاري البولية، ويزيد من إدرار البول، وإزالة الشعور بالعطش[1].

وقد أعطى تناول القرع المسلوق مع السكر والحليب نتائج عظيمة في معالجة تضخم البروستات[2] عند الشيوخ وكبار السن، كما أن بذور القرع تعمل على زيادة قدرة الإخصاب خصوصاً عند سحقها وخلطها مع بذور الشمام وبذور الخيار. وتفيد في تخليص الجسم من السوائل الزائدة، وتنصح به اللوباني للحمية.

ويحتوي على كميات وافرة من فيتامينات: (أ، ب، ج)، وبروتينات سهلة الهضم والامتصاص، ودهون، وعناصر معدنية كثيرة، مثل: الحديد والكالسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والمنجنيز، وقد سبق ذكر معظم هذه العناصر.

وحسب اللوباني، فهو ملين للمعدة ومسكن للآلام ومريح للصدر. وتحتوي الثمار على مواد تتمتع بقدرة على تخفيف التقلصات، وكذلك طرد الديدان من الجسم، ومواد تتحد مع مستقبلات الكوليسترول في الأمعاء، فتحول دون امتصاصه في الدم، وبذلك يؤدي إلى خفض مستوى الكوليسترول في الدم.

وينشط الكبد، ويمنع اليرقان، ويزيل الصداع والشقيقة، خاصة النوع النفسي، أكلاً أو وضعاً على مكان الألم.

ومهدئ للأعصاب وأمراض النفس، ويزيل الحرارة والحمى، وينفع في أمراض الصدر والسعال، وينشط الكلية، ويكافح أوجاع الأسنان، وملين للطبيعة. وبذره طارد للدود، خاصة الدودة الوحيدة، ويطرد الدودة الشريطية. ويعالج العجز الجنسي والأرق.

وتوصلت دراسة صينية إلى أن تناول اليقطين قد يعطي الفرصة لمرضى السكري من النوع الأول بعد أخذ حقن الأنسولين يومياً، أو التقليل من هذه الحقن بشكل كبير.

---

(١) يفتت الحصى والرمل في الكلى ويزيل التهاباتها.

(٢) لأنه يحول هورمون تستستيرون إلى هورمون أقوى، وهو المؤثر بشكل قوي على البروستاتا ونمو الخلايا فيها، وهذا يمنع تضخمها، كما ترى اختصاصية التغذية إنعام اللوباني.

وأوضحت الدراسة أن لب البقطين يقلل من الخلل في خلايا البنكرياس ويجعلها أكثر قدرة على إنتاج الأنسولين، مؤكدين أن هذه النتائج مهمة للغاية، . . . وما زالت هناك حاجة لإجراء المزيد من الدراسات لمعرفة مدى إمكانية إصلاح الخلل في البنكرياس لدى الإنسان عن طريق لب البقطين.

وينفع كعلاج للحروق والالتهابات.

ومن طرق الاستعمال:

- لطرد الدود: يقشر ٣٠ - ٥٠ جراماً من البذور، وتدق حتى تصبح كالعجينة، ثم تمزج بمقدار من الحليب، وتشرب لمدة ثلاثة أيام، ويؤخذ بعدها مسهل قوي.

لعلاج العجز الجنسي: تؤخذ كميات متعادلة من بذور الفرع والخيار والشمام وتنشر وتدق وتذاب في السكر، وتؤخذ ثلاث ملاعق كل يوم.

٣٤- التلبينة:

أخرج الأئمة: البخاري ومسلم وأحمد والترمذي بأسانيدهم إلى عائشة ﵂ أنها قالت، قال ﷺ: «التلبينة مُجمَّة لفؤاد المريض، تَذْهَبُ ببعض الحُزن»، كذا كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصُبَّت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «. . . الحديث» [بخ ٤٩٩٧؛ م ٤١٠٦، مج ٢٤٣٧، حم ٢٣٣٧١، ٢٤٠٣٦، ٢٣٣٦، ٢٣٣٦٠؛ ت ١٩٦٢].

ومن ألفاظ أحمد (٢٤٣٧): « . . . عليكم بالبغيض النافع: التلبينة»، وقالت: (وكان رسول الله ﷺ إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى ينتهي أحد طرفيه - يعني يبرأ أو يموت).

وفي لفظ لأحمد (٢٤٠٣٦ و٢٣٣٦٠): قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قيل له: إن فلاناً وَجِعٌ لا يطعم الطعام قال: «عليكم بالتلبينة، فحَسُّوه إياها، فوالذي نفسي بيده إنها لتغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم وجهه بالماء من الوسخ» ولفظ الترمذي (١٩٦٢): قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع، ثم أمرهم فحسوا منه، وكان يقول: «إنه ليرقق فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد

السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها.

والتلبينة: حساء الشعير المطبوخ بنخالته، وسميت بذلك لشبهها باللبن الحليب بياضاً ورقة [د. زغلول النجار: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ٢/١٨٩].

ومعنى مجمة: مريحة لفؤاد المريض [نفسه].

يقول د. النجار: (وحساء الشعير قاطع للعطش، مدر البول، سهل الهضم، نافع لحالات السعال وخشونة الحلق، وصعوبة التنفس، ولجلاء ما في المعدة، ولأمراض الكلى والمثانة، ولإطفاء حرارة الجسم بصفة عامة، ولتقوية الأجسام المضادة.

(وقد أثبتت الدراسات الحديثة التي قام بها كل من الدكتور/ ماهر مهران محمد، والمهندسة سحر مصطفى كامل، والمهندس عبدالكريم التاجوري، من كل من وزارة الزراعة المصرية، وكلية الزراعة، جامعة القاهرة، والسيدة زينيا هاوريش من جامعة ألبرتا الكندية أن الشعير يحتوي على عدد من المركبات الكيميائية التي تساعد على خفض نسبة الكوليسترول في الدم من مثل مادة بيتاجلوكان، والفيتامينات (أ) و(ب) و(د)، وأشباه فيتامين (هـ) (Tocotriends)، والمواد الضابطة لضغط الدم والمانعة للاضطراب، من مثل مركبات كل من البوتاسيوم والمغنيسيوم، والكالسيوم والفوسفور، والناتريوم، والحديد، والنحاس، والكوبالت، والزنك، والمضادات للعوامل المؤكسدة في جسم الإنسان، وهذه العوامل، مما يجعله سريع الغضب وشديد الانفعال، ويملأ قلبه بالاكتئاب والحزن، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن لهذه المركبات الكيميائية - منفردة ومجتمعة - تأثيراً إيجابياً على الموصلات بين الخلايا العصبية، مما يعين على التخفيف من حالات الاكتئاب، والميل إلى الرضا وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب، والتعبير الطبي (تخفيف حالات الاكتئاب): ويكاد يكون هذا مطابقاً لما جاء في حديث رسول الله ﷺ من قوله: «يذهب ببعض الحزن».

(وحالات الاكتئاب تشخص اليوم بالخلل الكيميائي في جسم الإنسان، وعلاجه أساساً يكون بالغذاء المعالج لهذا الخلل، من مثل حساء الشعير الغني بالمواد النافعة في مثل هذه الحالات).

٣٥- الحلبة:

قال ﷺ: «لو تعلم أمتي ما في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً» [الهيثمي: المجمع

(٥/ ٤٧، من إخراج الطبراني بسند فيه متروك - الخابري].

قال د. النجار [ص ٩٤]: (وللحلبة فوائد عديدة، منها: أنها مدرة للحليب عند الأمهات المرضعات، وفاتحة للشهية، ومعاونة جيدة في حالات عسر الهضم، ومضادة للالتهابات، ولذلك تستخدم في علاج آلام المفاصل، وفي علاج الجروح المختلفة.

(وللحلبة دور فعال في علاج أمراض البول السكري، فقد ثبت أن جرامين من الحلبة المطحونة يعادلان وحدة واحدة من عقار الأنسولين، وذلك لاحتواء بذور الحلبة على سلاسل البيتيدات المرتبطة بالزنك، والتي يعزى إليها التأثير على نسبة السكر في الدم؛ هذا بالإضافة إلى ما بها من الأحماض الأمينية والكبريتية التي تساعد على تحويل السلاسل البيتيدية في البنكرياس إلى بنسلين فعال، كما أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور عبدالباسط محمد سيد، أستاذ الفيزياء الحيوية الجزيئية والطبية بالمركز القومي للبحوث - الدقي - القاهرة، وذلك في كتابه القيم «التداوي بالأعشاب والطب النبوي»، حيث أكد أن مرضى السكر يعانون نقصاً في الرابطة الكبريتية التي تربط بين السلاسل البيتيدية لتعطي جزيء الأنسولين الفعال؛ ولذلك فإن الكبريت في صورته العضوية في نبات مثل نبات الحلبة يزيد من فاعلية البنكرياس، مما يعين في معالجة أمراض البول السكري.

(وتحتوي بذور الحلبة على ٢٩٪ من المواد البروتينية و٦٪ من الزيوت الثابتة والطيارة، وعلى نسب عالية من فيتامينات ب[1] وب[2]، ومادة النياسين، وحمض البانتوثين، والتريجونيللين، والكولين، والسابونين، ومادة الديوسجنين، والأمينات ثلاثية الميثيل، وهي مواد لها تأثيرها على أعراض الدورة الشهرية عند البالغات، هذا بالإضافة إلى العديد من العناصر من مثل: الحديد، والفوسفور، والأنزيمات، والهرمونات، والمواد الصمغية ...).

وجاء في صحيفة "أخبار اليوم" السودانية، الثلاثاء ٣ شوال ١٤٣٠هـ/ ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٩م، العدد (٥٣٧٨)، الآتي: (أكد الدكتور سعيد شبي، أستاذ الباطنة والكبد بالمركز القومي للبحوث بمصر، أن احتساء مشروب الحلبة بعد تناول كعك العيد يجنب الإنسان الآثار الضارة له، لاحتوائه على مادة "الجلاكتوفتان، التي تخفض مستوى السكر والكوليسترول في الدم).

٣٦- العدس:

جاء في فيض القدير للمناوي (٤/ ٣٤٥) أن ابن السني أخرج فيما رواه عن أبي هريرة مرفوعاً: «أن نبياً من الأنبياء اشتكى إلى الله قساوة قومه، فأوحى الله إليه وهو في مصلاه، أن مر قومك يأكلوا العدس، فإنه يرقق القلب ويدمع العين ويذهب الكبر».

يقول د. النجار في ضوء هذا الحديث الذي ذكره: (وتحتوي حبوب العدس على نسبة عالية من البروتين (٢٤٪)، والكاربوهيدرات (٢٦٪)، والدهون (١,٤٪)، بالإضافة إلى نسب متباينة من مركبات كل من الفوسفور، والمغنيسيوم، والكالسيوم، والناتريوم، والبوتاسيوم، والحديد، والمنجنيز، والزنك، والنحاس، ونسب متباينة كذلك من الفيتامينات: أ، ب١، ب٢، ب٦، ب١٢، ج، د، وأعداد من الهرمونات والأنزيمات المختلفة.

(وحبوب العدس المطبوخة لها قيمة غذائية كبيرة، وتابلها يمثل علاجاً لكثير من الأمراض من مثل فقر الدم، وقشرها يعالج الإمساك، ويعمل على إدرار البول؛ وهو مضاد لكثير من الفطريات، ولذا فإنه يساعد على حفظ الأسنان من التسوس؛ ولصقات وكمادات معجون العدس المسلوق تفيد في علاج الالتهابات، والجروح، ودمامل مختلف القروح).

(والعدس لم يكن شائعاً في جزيرة العرب على عهد رسول الله ﷺ، ولذا يعتبر وصفه له في هذا الحديث الشريف من معجزات الرسول ﷺ).

وجاء ذكره في القرآن: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية: أن معنى الأدنى: الدنيئة. قلت: لماذا لا يكون الأدنى بمعنى الذي في متناول اليد، أو متوفر، أو يكثر وجوده، أو الأرخص سعراً؛ أما المن والسلوى الوارد في الآية ٥٧ من البقرة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: ٥٧]، فنادر الوجود. فالمن: طعام أو شراب متميز، ينزل على

شجر الزنجبيل، والسلوى: طير السمان أو ما يشبهه.

٣٧- التين:

جاء في تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٠) من حديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة؛ قلت: التين؛ لأن فاكهة الجنة بلا عَجَم، كلوا منه فإنه يقطع البواسير وينفع النقرس» [بلا عجم: بلا نواة أو نوى - بلا بذور صلبة].

وفي رواية لأبي ذر ﷺ، قال: أهدي للنبي ﷺ سَلٌّ تين، فقال: «كلوا». وأكل منه، ثم قال: «لو قلت: ...».

قال د. النجار عن ثمرة التين: (... فإنها تعتبر غذاء منشطاً ومريحاً للأعصاب...).

(وقد ثبت بالتحليل الكيميائي الدقيق أن ثمرة التين تحوي كمية كبيرة من الألياف (حوالي ١٨,٥٪)، ونسبة عالية من الكربوهيدرات (في حدود ٥٣٪) بما فيها من السكريات الآحادية والمركبات النشوية، ونسبة من البروتينات (في حدود ٣,٦٪)، وأملاح العديد من العناصر من مثل: البوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيسيوم، والفوسفور، والحديد، والنحاس، والزنك، والكبريت، والصوديوم، والكلور؛ بالإضافة إلى العديد من الفيتامينات، والأنزيمات، والأحماض، والمواد المطهرة، والمواد الهلامية، ونسبة كبيرة من الماء.

(وهناك أنزيم خاص للتين يعرف، باسم أنزيم التين، أو أنزيم فيسين (Ficin)، ثبت أن له دوراً مهماً في عملية هضم الطعام. وقد تمكن اليابانيون من عزل مادة كيميائية أخرى من ثمرة التين، وهي مركب كيميائي من نوع البنزالدهايد (Benzaldehyde)، ثبت أن لها قدرة على مقاومة مسببات الأمراض السرطانية، وقد استعملت تلك المادة بالفعل في علاج بعض الحالات المتقدمة من هذا المرض، وقد شفيت بإذن الله شفاء تاماً.

(وبثمرة التين مجموعة من المركبات النشوية التي ثبت لها دور فعال في حماية الدم من البكتيريا والفيروسات والطفيليات العديدة التي تتسبب في كثير من أمراض الدم، مثل: فيروس الالتهاب الكبدي، وتعرف هذه المركبات النشوية باسم مجموعة

"السورالينز"، وهي موجودة بوفرة في ثمار التين وفي دبسه، وعصائره، وأنواع المربات المصنوعة منه.

(كذلك ثبت للتين فوائد عديدة في علاج حالات البواسير والإمساك المزمن، والنقرس، وأمراض الصدر، واضطراب الحيض، وحالات الصرع، وتقرحات الفم، والتهابات اللثة، واللوزتين والحلق، وفي علاج البهاق، وإزالة الثآليل، واندمال الجروح والتقرحات؛ لأن به مواد قاتلة للجراثيم، ومضادة لكل من البكتيريا والفيروسات والديدان، وبه مواد كذلك تساعد على إدرار اللبن.

(وكون التين يقطع البواسير راجع غالباً إلى احتوائه على مكونات مسهلة، وأخرى قابضة، وأما نفعه في حالة النقرس، فراجع إلى ما يملكه من قدرة على إذابة أملاح حمض البوليك المترسبة في المفاصل، والناتجة عن الإفراط في أكل اللحوم الحمراء، مما يؤدي إلى خلل في تمثيل الأحماض في داخل خلايا الجسم.

(وهنا يعجب الإنسان من حديثه ﷺ عن فوائد التين في علاج البواسير والنقرس في زمن لم يكن لأحد حوله إدراك شيء من ذلك ...). [النجار: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ج٢، ص ١١٥ ١٢٢].

٣٨- الرمان:

قال عليه الصلاة والسلام: «ما من رمانة إلا وفيها حبة من رمان الجنة». [السيوطي: الجامع الكبير (٧١٩/١)].

وعن ابن عباس ﷺ أنه كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها، قيل له: يا ابن عباس، لم تفعل هذا؟ قال: (إنه بلغني أن ليس في الأرض رمانة إلا تلقح بحبة من حب الجنة، فلعلها هذه). [الطبراني: الكبير (١٠٤٦٦)، رجال الصحيح كما قال الهيثمي].

وعن ربيعة بنت عياض الكلابية، قالت: (سمعت علياً ﷺ يقول: كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة). [أحمد ٢٢١٥٣؛ المجمع ٤٨/٥، وقال الهيثمي: رجاله ثقات].

يقول د. النجار بعد إيراد هذا الحديث والأثرين:

(ويستخرج من كل من قلف شجرة الرمان وغلاف ثمرتها صبغة تحتوي على مركبات القانين والبلليترين، وهي بالإضافة إلى فوائدها الصبغية، فإنها كذلك مواد قلوية قابضة تستخدم في دباغة الجلود، وفي تلوين العجائن التي تستخدم في صناعة

الأسنان المستعارة.

(ويبلغ وزن المادة الصالحة للأكل من ثمرة الرمان حوالي ٥٦٪. هذا بالإضافة إلى نسب ضئيلة من الدسم، ونسب متفرقة من أملاح البوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيسيوم، والفوسفور، والحديد، والنحاس والكبريت، والكلور؛ بالإضافة إلى عدد من الفيتامينات - خاصة ج - والأحماض - خاصة حمض البوريك -.

(وقد لاحظ الدارسون أن لكل من ثمرة الرمان وقشرتها خواصٌ تساعد على سهولة هضم الطعام بصفة عامة والدهون بصفة خاصة، كما أن لها فعلاً قابضاً مضاداً لكل من الجراثيم والطفيليات، ولذلك استخدما بكفاءة في معالجة حالات الإسهال، والزحار - الدوسنتاريا -، كما استخدما كمسكنات لآلام المعدة، وكمركبات طاردة للديدان، خاصة نقيع قشرة الرمان بعد غليه وتبريده.

(كذلك فإن لب ثمرة الرمان يهدئ من السعال، ويستخدم كمادة صابغة تتميز بالثبات وعدم تغير اللون.

ومن الفوائد المعروفة لكل من قشرة وشحم ثمرة الرمان استخدامهما بعد تجفيفهما في علاج حالات الزيادة في حموضة المعدة، وما قد ينتج عنها من قرح الجهاز الهضمي، ويستخدمان كذلك في علاج قروح الاضطجاع التي كثيراً ما تصيب قعيدي الفراش؛ وينصح كل من الحوامل والمرضعات بعدم التداوي بنقيع قشر الرمان أو نقيع قلفه.

وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

٣٩- **الحجامة:**

لقد وردت عدة أحاديث في فضل الحجامة، بلغت نحو العشرين، نذكر منها باختصار:

أ/ «إن كان في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لزعة بنار، وما أحب أن أكتوي» [بخ ٦٥٨٣، ٥٠٧٢؛ م ٤٢٢٠٥].

ب/ «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة» والقُسط البحري أي العود الهندي [بخ ٥٢٦٣].

ج/ «خير ما تداويتم به الحجامة» [حم: ١٢٦٠٣].

د/ «إن من خير دوائكم الحجامة» [حم: ١٩٣٤٠].

هـ/ «خير الدواء الحجامة والفصد» [بخ ٦٥٨٣].

و/ إن يكن في شيء شفاء ففي مصة الحجام ومصة العسل» [بخ معلقاً (١٠/ ١١٦)].

ز/ «إن كان دواء يبلغ الداء، فإن الحجامة تبلغه» [الموطأ ٢/ ٩٧٤ - من بلاغات الإمام مالك].

ح/ «الحجامة تنفع من كل داء إلا الهرم، فاحتجموا» [الديلمي: ٢٧٨٢؛ الطبراني: الصغير: ٢٣٦].

ط/ «إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة، لا يَتَبَّغ الدمُ بأحدكم فيقتله» [حكم: ٧٥٩٠].

ي/ «نعم الداء الحجامة، تذهب الدم، وتجلو البصر، وتخفف الصلب» [حكم: ٨٢٥٨].

ك/ «نعم العبد الحجام، يذهب الدم، ويخفف الصلب، ويجلو عن البصر» [تر ١٩٧٨، مج ٣٤٦٩].

ل/ عن ابن عباس ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يحتجم في الأخدعين وبين الكتفين» [حم: ٢١٥٥، ٢٩٨١، ٣٠٧٨ - صحيح].

م/ أن ابن عباس ﷺ قال: احتجم النبي ﷺ وأعطى الحجام أجره» [بخ ١٠/ ١٢٤/ ك. الطب، ب. المحوط؛ م: ١٢٠٢].

وقد وردت عدة أحاديث وآثار في وقت ومكان الحجامة.

ذكر الدكتور يحيى بن ناصر خواجي في بحثه الموسوم ب: "الحجامة في ضوء الحديث النبوي والممارسة الطبية"، والذي قدمه لندوة: «عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية"، في الفترة من ١٥-١٧/ ٣/ ١٤٢٥هـ/ الموافق له ٤-٦/ ٥/ ٢٠٠٤م، ذكر التفسير العلمي المحتمل لتأثير الحجامة، فاستعرض خلاصة النظريات القديمة لتأثيرها، وهي: نظرية القنوات الكهرومغناطيسية)، وهي أن الجسم يحتوي على قنوات تجري فيها الطاقة المغناطيسية، وهي تحدد صحة الإنسان

وعافيته، فكلما كانت تسير هذه الطاقة وبدون عوائق، يكون الإنسان صحيحاً، وإلا فإنه يصبح عرضة للأمراض. فالحجامة تعمل على تصحيح مسار الطاقة وتقويتها في قنوات الطاقة. وهذه النظرية - كما قال - فرعونية، انتقلت إلى آسية. ثم ذكر النظريات الأخرى الشرقية والغربية والإسلامية.

ولخص ميكانيكية عمل الحجامة في الآتي:

أ/ تنشيط النقاط الواقعة على المسارات المغنطيسية للجسم بهدف ما، مثل: مفعول مسكن، أو رفع المقاومة المناعية للجسم، أو معالجة الأخطاء المناعية في الجسم.

ب/ تنشيط الدورة الليمفاوية للجسم الذي يؤدي إلى سرعة تنقية سوائل الجسم.

ج/ تنشيط الدورة الدموية للجسم، فيتغلب على ضعف التروية الدموية في أجزاء الجسم المختلفة، التي تنتج عنها مشاكل في بعض أجزاء الجسم.

ومن فوائد الحجامة التي ذكرها د. خواجي: (ص ٤٣-٤٤):

أ/ امتصاص الأخلاط والسموم التي توجد تجمعات دموية بين الجلد والعضلات (منطقة الفاشية).

ب- تنشيط الدورة الدموية موضعياً.

ج/ تقوية المناعة العامة في الجسم، وذلك بإثارة غدد المناعة.

د/ تسليك العقد والأوردة الليمفاوية المنتشرة في كل أجزاء الجسم، فيمكنها تخليصه أولاً بأول من الأخلاط ورواسب السموم.

هـ/ تنشيط أماكن ردود الفعل بالجسم.

و/ تسليك مسارات الطاقة الحيوية التي تقوم على زيادة حيوية الجسم (اكتشفها الصينيون القدماء).

ز/ العمل على مواءمة الناحية النفسية.

ط/ تنشيط الغدد الصماء، خاصة الغدة النخامية.

ح/ تنشيط مراكز المخ، والحركة، والسمع، والإدراك، والذاكرة.

ظ/ دفع الضغط عن الأعصاب.

ك/ امتصاص الأحماض الزائدة في الجسم.

ل/ تحسين وتنشيط وظائف الجسم، كما أثبتت البحوث العلمية عن الحجامة، وهي:

- زيادة نسبة الكورتيزون في الدم - تحفيز وإثارة المواد المضادة للسموم - تقليل نسبة الكولسترول في الدم - تقليل نسبة البولينا في الدم - زيادة نسبة المورفين الطبيعي في الدم.
- وذكر د. خواجي (ص ٤٤-٤٧) الحالات المرضية التي عولجت بالحجامة، ومصدره: كتاب: «الدواء العجيب» لمحمد أمين شيخو؛ وكتاب: "الطب الصيني التقليدي" لزهيني إهيرالي. ومن هذه الأمراض التي ذكرها:

١/ أمراض الدم: سرطان الدم - الرعاف - التاعور - [عرق لا يرقأ دمه] - خلل عوامل التخثر - إحمرار الدم - فقر الدم - جلطات دموية.

٢- الجهاز الدوري: نقص تروية قلبية - إحتشاء العضلة القلبية - ارتفاع ضغط الدم وهبوطه - الدوالي - آلام الصدر - تصلب الشرايين - ارتفاع توتر شرياني مزمن.

٣- الجهاز التنفسي: الربو - التهاب رئوي - ارتشاح رئوي - السعال المزمن.

٤- الجهاز البولي: التهاب مجرى البول - قصور كلوي - التبول غير الإرادي - تضخم البروستاتا - هبوط المثانة.

٥- الأمراض السرطانية: سرطان الدم - سرطان الثدي - سرطان الرحم - سرطان البروستاتا - سرطان القناة الكبدية الجامعة - كتل سرطانية تحت الجلد.

٦/ الجهاز الهضمي: الإمساك - آلام البطن.

٧/ أمراض الكبد: تليفه - إلتهابه الأنتاني - اليرقان.

٨/ أمراض الطحال: تضخمه.

٩/ الأمراض المعدية: الخراجات الجلدية - الحمى المالطية - تقرحات معدية - الإيدز - الزكام - الرشح - النكاف.

١٠/ الأمراض المناعية: مرض متلازمة بهجت - تحسس الجلد.

١١/ العقم عند الرجال: نتيجة نقص عدد أو زيادة عدد الحيوانات المنوية.

١٢/ أمراض العظام: الروماتيزم - تضييق القناة الشوكية - فتوق نواة لبية في فقرات العمود الفقري - الانزلاق الغضروفي - آلام الظهر - تمزق أربطة المفاصل.

١٣/ سكر الدم وارتفاعه.

١٤/ زيادة الشحوم الثلاثية والكولسترول.

١٥/ الجهاز العصبي: الشلل - احتشاء دماغي نازف - صرع - ضمور الدماغ - الشقيقة - الصداع - ضعف الرؤية - عرق النسا - شلل العصب الوجهي.

١٦/ الوهن العام: اعتلال عضلي - الأرق - تدمع العين بسبب عيب خلقي أو خلل عصبي.

١٧/ عسر الحيض وهبوط الرحم.

قال د. خواجي (ص ٤٦): (وتأكيداً لما سبق فإن هناك بعض الحالات المرضية التي عولجت بالحجامة وتحسنت حالتها، وهي كما يلي: ... ذكر عشر حالات.

ثم ذكر محظورات الحجامة (ص ٤٨) والضوابط اللازم اتخاذها لممارسة الحجامة بالطرق الآمنة (ص ٥٠-٧٠).

ويقول الباحث د. خواجي في آخر عناوين بحثه: "أوجه الإعجاز العلمي والطبي في بعض أبحاث الحجامة":

(بعد الاطلاع على الأبحاث التي تناولت الحجامة كما ورد في كتاب: "الدواء العجيب" لمحمد أمين شيخو، والذي جمعه وحققه عبدالقادر يحيى الشهير بالديراني، والذي أضاف إلى عنوان الكتاب معجزة القرن العشرين الذي شفي منه مرضى القلب القاتل: ومرضى الشلل والناعور [عرق لا يرقأ دمه]، والشقيقة والعقم، والسرطان. والذي قام على أبحاث هذا الكتاب فريق طبي سريري مكون من ثمانية أساتذة طب سريري، وسبعة أساتذة في الطب المخبري ينتمون لجامعة دمشق بسوريا. وقامت وكالات الأنباء العالمية والمحلية والسورية والفضائية والإذاعات الدولية وبعض صحف العالم بالاهتمام البالغ بنشر هذا الفتح الطبي الوقائي والشافي من الأمراض التي عجز عن شفائها الطب الحديث في هذا العصر الحاضر؛ مما دفعني للدراسة هذا الكتاب الذي يحوي خمسمائة صفحة مليئة

بالبحوث السريرية والمخبرية، وعرضه على فئة من المتخصصين في مجال الطب السريري والمخبري لمناقشة بعض الحالات وبعض التحاليل التي ظهر فيها الإعجاز العلمي والطبي كشفاء لبعض الأمراض المستعصية على الطب الحديث، مثل: الشلل النصفي، أو مرض التاعور، والسرطان، وغيرها من الأمراض المزمنة التي في مفهوم الطب الحديث ليس لها علاج. وهنا يتجلى الإعجاز العلمي والطبي في الحجامة، التي حث عليها الرسول ﷺ، ومارسها صائماً ومعتمراً؛ ومن سياق هذه الأحاديث نجزم بأن الحجامة لها فوائد كثيرة، سواء استطاعت الأبحاث والدراسات اكتشافها أم لا، ففوائدها محتمة، فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، علمه من علمه، وجهله من جهله ...).

٤٠- الخل:

قال ﷺ: «نِعْمَ الأُدُمُ، أو الإِدَامُ الخَلُّ» [م ١٠٥١/١٦٤].

وفي لفظ: «نعم الأدم الخل» [م ٢٠٥١/ ١٦٥]، وفي لفظ: «نعم الأدم الخل. نعم الأدم الخل» [م ٢٠٥١/ ١٦٥].

ورواه غير مسلم. جاء في كتاب: «الأربعون العلمية» لعبد الحميد محمود طهماز، أن الخل يحتوي على كمية قليلة من البروتين والنشويات، كما يحتوي على الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والفوسفور والحديد والزنك والكلور.

ويقول الدكتور سيريل سكوت وموريس هانسن في كتابهما عن فوائد خل التفاح، إنه:

١/ يمنع الإسهال، لاحتوائه على مادة قابضة.

٢/ ينشط عملية الهضم والاستقلاب في الجسم.

٣/ يمنع تنخر الأسنان.

٤/ يقتل الطفيليات في الأمعاء.

٥/ يمكن استعماله لتحسين الهضم عند أولئك الذين لديهم نقص في حمض المعدة.

كما يقوم بفعل مطهر للأمعاء، وبعض الناس ينصح باستعماله لغرغرة الفم والحلق، فيطهر الفم من الجراثيم [قبسات من الطب النبوي باختصار، نقلاً عن:

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة [د. م. نابل منير فارس].

٤- نهي النبي ﷺ عن النفخ في الشراب والطعام:

عن أبي المثنى الجهني، قال: (كنت جالسًا عند مروان بن الحكم، فدخل أبو سعيد الخدري ﷺ، فقال له مروان: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النفخ في الشراب؟ قال: نعم. فقال له رجل: إني لا أرتوي بنفس واحد، قال: أمط الإناء عن فيك ثم تنفس، قال: فإن رأيت قذى؟ قال: أهرقه). [الحاكم (٧٢٠٨)، وصححه ووافقه الذهبي].

وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الطعام والشراب. [الألباني: صحيح الجامع للسيوطي].

قال ﷺ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء» [البخاري (١٤٩)].

ماذا يقول الطب الحديث عن هذا الهدي النبوي؟

يقول الطب الحديث: في الإنسان تعيش بكتريا يكون عددها أكثر من عدد خلاياه، ولكنها بفضل الله تعالى ورحمته نافعة للجسم وغير ضارة، بحيث أنها تقوم بعمليات تنشيط التفاعلات اللازمة للهضم.

توجد بعض من هذه البكتريا بالملايين في الفم، ويسمى نوع من هذه البكتريا: (Helicobacter Pylori) لكن تلك البكتريا عند خروجها من الفم تكون ضارة بدرجة كفيلة أن تقتل ذلك الإنسان في بعض الأحيان، وأن تصيبه بمرض خطير في أحيان أخرى.

تقوم تلك البكتريا عندما تخرج من الفم بوساطة النفخ بالتحوصل، ثم يتناول الإنسان ذلك الطعام حيث تتواجد البكتريا فيه بشكل كبير جدًا، وتكون في أتم الاستعداد للدخول إلى داخل الجسم. تخيل كم مرة يقوم الإنسان بالنفخ في ذلك الطعام، وكم هي الكمية من البكتريا المتواجدة فيه!! ثم يقوم الإنسان بتناول ذلك الطعام مع تلك البكتريا المتحوصلة!! تبدأ الرحلة من الفم ومن المرئ إلى أن تصل إلى المعدة، فتقوم تلك البكتريا بالتنشيط وإفراز إنزيم اليوريا "Urease enzyme" الذي يسبب إلتهاب الأغشية المبطنة للمعدة، مسببًا بذلك خرقًا في جدار المعدة، حيث تبدأ المعدة بهضم نفسها وحدوث تآكل بجدار المعدة، مما يؤدي إلى هضم

المعدة لنفسها.

تسبب تلك البكتريا أيضًا ضعفًا في إفراز الأنسولين بالبنكرياس، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر بالدم، وحدوث مرض السكري.

وكما يقول المثل العربي: الوقاية خير من العلاج، و: درهم وقاية خير من قنطار علاج، فإن الوقاية من ذلك كله تتمثل في الحفاظ على نظافة الفم واستعمال السواك أو الفرشاة والمعجون، أو حتى المضمضة كما يحدث عند الوضوء.

الفصل الحادي والثلاثون

الخصائص التي فُضِّلَ بها الرسول النبي محمد ﷺ وأمته

١ - جمع الله ﷻ فيه ما تفرق من كمالات الأنبياء:

وهو ما وقفنا عليه من شمائله الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة.

٢ - أخذ الله ﷻ له العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه:

كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وعندما أتى عمرُ النبيَّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، غضب وقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ[1] فيها يا ابن الخطاب؟... والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[2].

ولهذا جعله الله إماماً للأنبياء يوم الإسراء والمعراج، كما ذكرناه في مكانه من أحداث الإسراء والمعراج، وكما استنبطه العلماء، أمثال ابن كثير[3].

٣ - صاحب الرسالة العامة:

ذكرنا ذلك في مقدمة كلامنا عن إرساله الرسل والكتب، إلى قادة الأمم المعاصرين له. ومثال هذا قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

---

(١) أمتهوكون: أي أمتحيرون أو أواقعون في الأمر بغير روية؟

(٢) أحمد (٣/٣٨٧)، برقم (١٥١٥٦)، وضعفه محققو الموسوعة الحديثية؛ الدارمي (٤٤١)، وحسنه الألباني في المشكاة (١/٦٣).

(٣) التفسير (١/٣٨٦).

وقول الرسول ﷺ: «... كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[١]. وفي رواية: «... كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود»[٢].

٤ - في كتابه الناسخ والمنسوخ:

قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وليس في سائر الكتب مثل ذلك، ولذا كان اليهود ينكرون النسخ، والسر في ذلك كما قال السيوطي: أن سائر الكتب نزلت دفعة واحدة، فلا يتصور أن يجتمع فيها الناسخ والمنسوخ، لأن شرط الناسخ أن يتأخر نزوله عن المنسوخ[٣].

٥ - أكثر الأنبياء تبعاً:

عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة...»[٤]. وفي رواية: «لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا الرجل الواحد»[٥].

٦ - خاتم الأنبياء والمرسلين:

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[٦].

---

(١) البخاري: الفتح (١/٥٥٣)، مسلم (٥٢١).
(٢) مسلم (٥٢١).
(٣) السيوطي: تهذيب الخصائص، ص٣٥٤.
(٤) مسلم (٣/٧٣) النووي.
(٥) مسلم (٣/٧٣) كتاب الإيمان، النووي.
(٦) البخاري (٣٥٣٥)، مسلم (١٩٤).

٧ - حماية كتابه من التحريف والتبديل وجعله من المعجزات:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩].

وقد ذكرنا في باب المعجزات ما في القرآن من معجزات، فمعجزات الأنبياء والرسل انقرضت لوفاتها، أما القرآن فمعجزته باقية. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: إن معجزات القرآن تصل الألف[1].

٨ - جعله الله ﷻ أمنة لأصحابه من العذاب والفتن في حياته:

قال ﷻ في هذا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[2].

وقال: «... رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم؟ ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون؟»[3]. وفي رواية: «... ألم تعدني هذا وأنا فيهم، ألم تعدني هذا ونحن نستغفرك؟»[4].

٩ - إقسام الله ﷻ بحياته، والقسم إنما يقع بالمعظَّم:

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [الحجر: ٧٢] والمعنى: أقسم بحياته وعمره وبقائه في الدنيا[5].

١٠ - يسأل عنه الميت في قبره:

قال عليه الصلاة والسلام: «أما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون، فإذا كان

---

(١) انظر: تهذيب الخصائص، ص٢٥٢، وفيه أقوال أخرى للعلماء في هذه الخاصية المعجزة، ومعروف أن العلماء ما زالوا يكتشفون ما به من معجزات في شتى المجالات، خاصة العلمية.

(٢) مسلم (٢٥٣١).

(٣) أبو داود (١٥٤٤)، وصححه الألباني (١٠٥٥)، النسائي (٣/ ١٣٨، ١٤٩).

(٤) النسائي (٣/ ١٨٣)، أحمد (٦/ ٢٥٩)، وصححه شاكر (٦٤٨٣، ٦٧٦٣).

(٥) ابن الجوزي: الوفا في أحوال المصطفى، ص٣٦٤، السيوطي: تهذيب الخصائص، ص٣٥٦.

الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مَشعوف[١]، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات من عند الله ﷻ، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهوتها وما فيها: فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله»[٢].

١١ - النداء بوصف الرسالة والنبوة: زيادة في التكريم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

١٢ - ونهى الله المؤمنين عن مناداته باسمه، زيادة في التكريم كذلك:

ذكرنا هذا في مبحث وفد بني تميم، وتنزل قول الله ﷻ فيهم: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا...﴾ [النور: ٦٣][٣].

وخاطب كل نبي باسمه، ولم يخاطب نبينا ﷺ بالاسم تعظيماً له، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، وعندما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة، فقال ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢][٤].

١٣ - تولي الله تبرئته عما ينسب إليه أعداؤه، والرد عليهم بنفسه:

من ذلك قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ٢] و﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢]، وغير ذلك[٥].

وقد ذكرنا ذلك في مبحث أساليب المشركين في الصد عن سبيل الله: الأسلوب

---

(١) مشعوف: أي غير مفزع، بمعنى ما قبله.

(٢) أحمد (٦/ ١٣٩، ١٤٠)، برقم (٢٥٠٨٩) صحيح على شرط الشيخين، كما قال محققو الموسوعة الحديثية، وأصله في الصحيحين كما قال محقق التهذيب ص٣٥٨، ح٥٠٩.

(٣) وانظر: ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى، ص٣٥٨.

(٤) ابن الجوزي: الوفا: ٣٦٣.

(٥) الوفا، ص٣٦٤، تهذيب الخصائص الكبرى للسيوطي، ص٣٥٩، بقلم الشيخ التليدي.

الثالث: الاتهامات الباطلة.

١٤ – اختصاصه بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ [الشرح: ١-٤][١].

١٥ – غفران الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢][٢].

١٦ – خصه الله بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والسبع الطوال والمفصل والمئين:

عن ابن عباس أن النبي أتاه ملك، فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»[٤].

١٧ – الفرض على من ناجاه أن يقدم صدقة بين يدي نجواه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢]. وقال محقق التهذيب أن هذا الحكم نسخ عقب مشروعيته، ولم يعمل به سوى الإمام علي[٥].

١٨، ١٩، ٢٠، ٢١ – ذكر ما فضل به عن باقي الأنبياء:

جاء في الحديث: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٢.

(٣) مسلم (١/ ٩١) الآبي.

(٤) الطيالسي (١٩٩٨)، ومن طريق أحمد (٤/ ١٠٧)، برقم (١٦٩٨٩) بإسناد حسن، كما قال محققو الموسوعة الحديثية، وهو صحيح لغيره كما قال محقق التهذيب، ص٣٦٢، ح٥١٧.

(٥) التهذيب، ص٣٦٤.

بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[١]. وسبق ذكر الخاصيتين الأخيرتين.

٢٢ - إن الله تعالى قرن اسمه باسمه في كتابه:

عند ذكر طاعته ومعصيته وفرائضه وأحكامه ووعده، تشريفاً وتعظيماً[٢]. ومثاله:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢].

٢٣ - أعطاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض بيده:

قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي» قال الراوي - أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتشلونها[٣].

٢٤ - ذكره في القرآن بعض أعضائه:

قال تعالى في وجهه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] وقال في عينيه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١].

وقال في لسانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان: ٥٨].

وقال في قلبه: ﴿نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧].

٢٥ - اختصه الله بالإسراء والمعراج[٤]:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا...﴾ [الإسراء: ١].

وذكرنا تفاصيل ذلك في أحداث الفترة المكية.

٢٦ - الرؤية من خلفه كما يرى أمامه:

قال ﷺ: «هل ترون قبلي هاهنا؟ فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم،

---

(١) مسلم (٥٢٣)، وانظر: مغلطاي: الإشارة، ص٤٥٧ - ٤٥٨.

(٢) ابن الجوزي: الوفا، ص٣٦٨، تهذيب الخصائص، ص٣٦٤.

(٣) البخاري (٢٩٧٧)، مسلم (٥٢٣)، وتنتشلونها: أي تستخرجون منها الخيرات من ظاهرها وباطنها.

(٤) ابن الجوزي: الوفا، ص٣٦٧، تهذيب الخصائص، ص١١٠.

إني لأراكم من وراء ظهري»[١].

٢٧ - اختص بصلاة العشاء عن سائر الأنبياء:

عن ابن مسعود أن النبي ﷺ أخر صلاة العشاء يوماً ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة»[٢].

٢٨ - فضله الله تعالى بدرجة الوسيلة والفضيلة يوم القيامة:

والوسيلة: أعلى درجة في الجنة[٣]. والفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلق، ويحتمل أن يكونا بمعنى واحد كما قال ابن حجر[٤].

٢٩، ٣٠ - شرفه الله تعالى بالمقام المحمود والشفاعة يوم القيامة:

ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه المقام الذي يقومه يوم القيامة للشفاعة للناس ليخفف عنهم الله من شدة ذلك اليوم[٥]. وعند ابن حجر أنه المقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي أعطيها الرسول ﷺ دون غيره من الأنبياء والرسل يوم القيامة[٦].

٣١، ٣٢ - اختص بأنه أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة [مسلم]:

وأول من يفيق من الصعقة[٧]، وبأنه سيُكسى في الموقف حلّة من حلل الجنة[٨]، ومقامه عن يمين العرش.

---

(١) البخاري (٤١٨)، مسلم (٤٢٤)، انظر: مقاطاي: الإشارة ص٤٥٨.

(٢) مسلم (٥/ ١٤٠) النووي، البخاري (٥٦٦). وانظر: تهذيب الخصائص، ص٣٧٠.

(٣) ابن كثير: التفسير (٢/ ٥٥) وفي هذا حديث طويل، وممن رواه مسلم في الإيمان (٣/ ٦٥، ٦٩، ٧١) النووي، والترمذي برقم (٢٥٥١) وغيرهم. وانظر البخاري الفتح (٤٧١٩).

(٤) الفتح (٢/ ١١٣).

(٥) الطبري: التفسير (١٥/ ٩٧)، ابن حجر: الفتح (١١/ ٤٣٥).

(٦) الفتح (٣/ ٣٩٨) انظر: تهذيب الخصائص ٣٨٦، ٣٩٤.

(٧) المرجع السابق.

(٨) الترمذي (٣٣٧٩)، وحسنه وصححه.

قال عليه الصلاة والسلام: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى الحلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[١].

وقال: «إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق»[٢].

٣٣ - أول من يقرع باب الجنة:

قال عليه الصلاة والسلام: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[٣].

٣٤ - اختصاصه بأن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه:

عن جابر أنه سمع عمر يقول للناس حين تزوج أم كلثوم بنت علي: ألا تُهنوني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي»[٤].

٣٥ - أول من يمر على الصراط:

قال عليه الصلاة والسلام: «يضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز»[٥].

٣٦ - اختصاصه ﷺ بالكوثر:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا...﴾ [الإسراء: ١].

وعندما أنزلت عليه هذه السورة قال لأصحابه إن الكوثر نهر في الجنة عليه خير

---

(١) المرجع السابق.

(٢) البخاري: الفتح (٧/ ٢٥٤)، مسلم (١٥/ ١٣٠)، النووي، انظر: التهذيب ٣٨٥.

(٣) مسلم (١٩٦)، وانظر: الإشارة للمغلطاي، ص٤٥٧، تهذيب الخصائص، ص٣٨٥.

(٤) المجمع (٤/ ٢٧٦، ٢٧٢) برواية الطبراني برجاله الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، والحاكم (٣/ ١٤٢) عن عمر وصححه، وله طرق وشواهد كما في المجمع (٩/ ١٧٣) برواية الطبراني، وقال: رجاله ثقات والحديث صححه جماعة، انظر حاشية محقق التهذيب، ص٣٩٥، ح٥٧٦.

(٥) البخاري (١٤/ ٢٥٩، ٢٤١)، مسلم (٣/ ٧٣)، تهذيب الخصائص، ص٣٩٥، ح٧٧.

تثير، ترد عليه أمته يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء[١].

٣٧ - واختصه بأن يكون ما بين منبره وبيته روضة من رياض الجنة:

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[٢].

٣٨ - يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفاً، ولم يثبت ذلك لغيره من الأنبياء[٣].

٣٩ - اختصه الله تعالى بالدعوة المستجابة:

قال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة. فتعجّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلةٌ، إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[٤].

٤٠ - اختص في الدنيا بأن جعل الله أمته خير الأمم:

قال عليه الصلاة والسلام: «فضلت على الأنبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلي...»، ذكر منها: «وجعلت أمتي خير الأمم»[٥].

٤١ - تحريم التكني بكنيته، ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء:

عن أبي هريرة ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجمع بين اسمه وكنيته ويسمى محمداً أبا القاسم»[٦].

---

(١) مفهوم الحديث الآتي رواه مسلم (٢٤٧، الوضوء) وأحمد (٣/ ١٠٢)، وغيرهما.

(٢) البخاري (١٨٨٨)، مسلم (١٣٩٠)، وغيرهما؛ انظر: تهذيب الخصائص، ص٣٩٧.

(٣) البخاري (٦٥٤١)، مسلم (٢١٦)، وفي حديث رواه الترمذي (٢٢٥٤) (٢٤٤٨)، أحمد (٥/ ٣٥٠)، (١/ ٢٧١)، ابن ماجه (٤٢٨٦)، وسنده صحيح، كما قال محقق التهذيب، ص٤٠٠، ح٥٩٠.

(٤) البخاري (٦٣٠٤)، مسلم (١٩٩)، واللفظ له.

(٥) الهيثمي: المجمع (٨/ ٢٦٩)، وقال: رواه البزار وإسناده جيد، السيوطي: الخصائص (٢/ ٣٣٦)، وجود إسناده.

(٦) الترمذي (٢٦٤٤)، البخاري: الأدب المفرد (٨٤٤)، وحسنه الترمذي، انظر: تهذيب الخصائص، ص٣١٦، ح٥١٩.

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»[١].

سبق كلامنا عن هذا في مبحث التسمية والختان - أحداث طفولته بمكة.

٤٢ - أحل الله عز وجل له الهدية بخلاف غيره من ولاة الأمور:

ذكرنا لذلك أمثلة في فصل الشمائل والمعجزات.

٤٣ - تحريم الزكاة والصدقة عليه وعلى آله وعلى مواليه وموالي آله:

قال ﷺ: «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»[٢].

٤٤ - وضع الآصار والأغلال عن أمته:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال ﷺ: «... وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج»[٣].

٤٥ - إسلام قرينه:

قال عليه الصلاة والسلام: «ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»[٤].

٤٦ - عدم إنكاره على من تبرك ببوله أو دمه أو عرقه أو أي شيء من آثاره:

يأتي عدم إنكاره على من تبرك ببوله أو دمه في الفقرة رقم ١١٧.

---

(١) البخاري (٦١٨٧، ٦١٩٠)، مسلم (٢١٣١).

(٢) مسلم (٧/ ١٧٩، ١٨١)، شرح النووي.

(٣) أحمد (٥/ ٣٩٣)، برقم (٢٣٣٣٦)، وضعفه محققو الموسوعة الحديثية: وحسن الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٨، ٦٩) إسناده.

(٤) مسلم (١٧/ ١٥٧) النووي، ورقمه (٦٩/٢٨١٤) أحمد (١/ ٣٨٥، ٣٩٧، ٤٠١)، قال محققو الموسوعة الحديثية (٣٦٤٨): صحيح على شرط مسلم، الدارمي (٢٧٣٧): انظر: تهذيب الخصائص ٣٥٧، ج٥٠٨.

أما عن التبرك بآثاره الأخرى فقد ذكرنا قصة التبرك ببقية طعامه عند الحديث عن مقامه في دار أبي أيوب حين مقدمه من مكة إلى المدينة مهاجراً.

أما التبرك بعرقه فقد ورد في حديث أنس ﷺ في قصة أمه، أم سليم ﷺ، والذي جاء من عدة طرق، وخلاصته، قال: دخل علينا النبي ﷺ فَقَالَ عندنا، فعرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تَسْلُتُ العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين؟»، قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب، وفي رواية، وهي الشاهد: قالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا، فقال ﷺ: «أصبت»[1].

٤٧ - اختصاص أمته بيوم الجمعة:

وقال عليه الصلاة والسلام عن هذا اليوم: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلقَ آدم، وفيه أُهبِطَ، وفيه تِيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مُسيخَةٌ [- أي مصغية مستمعة منتظرة قيام الساعة -] يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة، إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله حاجة إلا أعطاه إياها»[2].

٤٨ - لا ينام قلبه:

قالت عائشة ﷺ: يا رسول الله تنام قبل أن توتر!، قال: «تنام عيني، ولا ينام قلبي»[3].

٤٩ - التجاوز لأمته عن حديث النفس والخطأ والنسيان:

قال: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[4].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما

---

(١) مسلم (٢٣٣١، ٢٣٣٢)، تسلت: تمسح. رقَدَ: من القيلولة.

(٢) أبو داود (١٠٤٦)، الترمذي (٤٩١)، وقال: حسن صحيح، النسائي (٣/ ١١٤، ١١٥)، مالك: الموطأ (١/ ١٠٨ - ١١٠). الألباني: صحيح الجامع الصغير (٣٣٢٩)، وبنى صححه الألباني.

(٣) البخاري (٣٥٦٩، ١٣٥٧٠)، مسلم (٧٦٣).

(٤) البخاري (٦٦٦٤)، مسلم (١٢٧).

استكرهوا عليه»[١].

٥٠ - حفظ أمته من الهلاك والاستئصال:

قال عليه الصلاة والسلام: «... وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يُهلكُ بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»[٢].

وفي رواية أنه سأل ربه أن لا يهلك أمته بالغرق، فأعطاه ذلك[٣].

٥١ - لا تجتمع أمته على ضلالة:

قال: «إن الله تعالى قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة»[٤].

٥٢ - ولا يعدم عصر من عصور أمته من جماعة ظاهرة على الحق:

قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[٥].

٥٣ - اختص الله تعالى أمته بأنهم شهداء الله عز وجل في الأرض:

عن أبي هريرة ﷺ قال: مروا بجنازة على النبي ﷺ، فأثنوا عليها خيراً، فقال: «وَجَبَتْ»، ثم مروا عليه بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: «وَجَبَتْ»، فقالوا: يا

---

(١) ابن ماجه (٢٠٤٣)، الحاكم (٢/١٩٨)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٧٢٧)، وغيرهم.

(٢) مسلم (٢٨٨٩).

(٣) مسلم (٢٨٩٠).

(٤) ابن أبي عاصم: السنة (٧٩)، وصححه الألباني بمجموع طرقه، كما في السلسلة الصحيحة (١٣٣١)، وصحيح الجامع الصغير (١٧٨٢).

(٥) البخاري (٣٦٤١)، مسلم (١٩٢٠)، واللفظ له.

رسول الله: قولك الأولى والأخرى وجبت! فقال ﷺ: «الملائكة شهداء الله في السماء وأنتم شهداء الله في الأرض»[١].

٥٤ - خص الله عز وجل أمته بأن جعل صفوفها كصفوف الملائكة:

قال عليه الصلاة والسلام: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة...»[٢].

٥٥ - ميزاه تعالى أمته يوم القيامة بالغُرِّ والتُّحجيلِ من أثر الوضوء:

قال عن الحوض يوم القيامة: «... وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه»، قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا يومئذ، قال: نعم، لكم سيماً [علامة] ليست لأحد من الأمم، تردون عليَّ غُرّاً محجلين من أثر الوضوء»[٣].

٥٦ - أعطى الله تعالى أمته الشهادة على الناس، وجعلهم وسطاً بين الأمم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ الآية»[٤].

وفي رواية: «يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك وأقل. فيقال له: هل بلغت قومك...»[٥]، وبقية الحديث مثل رواية البخاري السابقة.

---

(١) النسائي (٤/ ٥٠)، وأصله في الصحيحين: البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٦٠٤).

(٢) مسلم (٥٢٢).

(٣) مسلم (٢٤٧)، وانظر الرواية الأخرى برقم (٢٤٩) عنده.

(٤) البخاري (٤٤٨٧).

(٥) أحمد (٣/ ٥٨)، برقم (١١٥٥٨)، وقال محققو الموسوعة الحديثية: صحيح على شرط الشيخين، ابن ماجه (٤٢٨٤)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٨٨٩).

٥٧ - أن أمته أول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة:

من حديث طويل قال ﷺ: «... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز»[١]. يعني أول من يمر عليه ويجتازه.

٥٨ - جعل الله عز وجل أمته أكثر أهل الجنة:

قال ﷺ: «... ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض»[٢]. [يعني يوم القيامة].

وقال: «أهل الجنة عشرون ومئة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»[٣].

٥٩ - تقديم أمته في الحساب يوم القيامة على الرغم من أنهم آخر الأمم:

قال ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...»[٤].

وفي رواية: «... نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق»، وفي رواية: «المقضي بينهم»[٥].

٦٠ - أبيح له الوصال في الصوم دون غيره من أفراد أمته:

قال ﷺ: «لا تواصلوا»، قالوا: إنك تواصل. قال: «لست كأحد منكم، إني أُطْعَمُ وأسقى»[٦]، وفي رواية: «... إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقين»[٧].

---

(١) البخاري (٦٥٧٣)، مسلم (١٨٢)، واللفظ له.

(٢) البخاري (٦٥٢٨)، مسلم (٢٢١)، واللفظ له.

(٣) الترمذي (٢٥٤٦)، وحسنه، أحمد (٥/ ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٦١)، برقم (٤٣٢٨) صحيح لغيره كما قال محقق الموسوعة الحديثية، ابن ماجه (٤٢٨٩)، الحاكم (١/ ٨٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٥٢٣).

(٤) البخاري (٨٧٦)، مسلم (٨٥٥).

(٥) مسلم (٨٥٦).

(٦) البخاري (١٩٦١)، مسلم (١١٠٢)، بمعناه.

(٧) البخاري (١٩٦٤)، مسلم (١١٠٥).

٦١ - اختُص بإباحة الزواج له من غير ولي ولا شهود:

جاء في حديث زينب بنت جحش الذي ذكرناه في فصل «أمهات المؤمنين»، أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: «زوجكن أهليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»[١].

٦٢ - أبيح له الزواج بأكثر من أربع نسوة بلا تقييد بعدد:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ...﴾ [الأحزاب: ٥٠].

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما توفي رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء»[٢].

٦٣ - لا ينقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نام حتى نفخ، ثم صلى ولم يتوض[٣].

٦٤ - يقبل شهادة من يشهد له والحكم لنفسه وولده. ويشهد لنفسه وولده:

ويشهد لهذا كله حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ اشترى من أعرابي فرساً، ثم أنكر الأعرابي أنه باعه، وطلب من الرسول ﷺ شاهداً على البيع. ولم يكن أحد قد شهد البيع، وجاء خزيمة وقال للأعرابي: أنا أشهد أنك قد بايعته.. فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين[٤].

٦٥ - القضاء بعلم نفسه:

قالت هند زوجة أبي سفيان: إن أبا سفيان رجل مسيك [- أي شحيح -] فهل عليَّ من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟، قال: «لا حرج عليك»[٥].

---

(١) البخاري (٧٤٢٠).

(٢) البخاري (١٣٨)، مسلم (٦/ ٤٤ - ٤٥) شرح النووي.

(٣) البخاري (١٣٨)، مسلم (٦/ ٤٤ - ٤٥) شرح النووي.

(٤) أبو داود (٣٦٠٧)، النسائي (٨/ ٣٠١ - ٣٠٢)، الحاكم (٢/ ١٧٧)، وصححه وأقره الذهبي، البيهقي: الدلائل (٧/ ٦٦)، وعزاه الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٢٠) إلى الطبراني برجال ثقات.

(٥) البخاري (٧١٦١)، استدل به البيهقي في الخصائص، و نظر خبرها في أحداث الفتح.

١٦ - أبيح له الاصطفاء من الغنيمة قبل القسمة:

ويعرف بسهم الصفي، كما جاء مصرحاً به في سنن أبي داود[١]، والبيهقي[٢]، في حديث وفد عبد القيس[٣].

١٧ - أبيح له دخول مكة بلا إحرام، وإباحة القتال فيها ساعة:

ذكرنا ذلك في أحداث فتح مكة[٤].

١٨ - أبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكه إذا احتاج وعلى المالك البذل:

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾ [الأحزاب: ٦].

١٩ - أن أزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره أبداً:

وفيمن فارقها في حياته أوجه، أصحها التحريم.

واستدلوا في هذا بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٢٠ - وأن أزواجه أمهات المؤمنين:

استدلوا بالآية السابقة: الأحزاب: ٦[٥].

٢١ - إن كذباً عليه ليس ككذب على غيره:

قال ﷺ: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»[٦].

٢٢ - من رآه في المنام فقد رآه حقاً:

قال ﷺ: «ومن رآني في المنام فقد رآني...»[٧].

---

(١) (٢/١٢٨)، ك. الإمارة، ب. ما جاء في سهم الصفي.

(٢) السنن الكبرى (٦/٣٠٣)، ك. قسم الفيء والغنيمة، باب: سهم الصفي.

(٣) وانظر: المغني: لابن قدامة (٩/٢٩٢).

(٤) وانظر: البخاري (٤٢٩٥).

(٥) انظر: الإشارة لمغلطاي، ص٤٥٦، مع حاشية المحقق.

(٦) البخاري (١٢٩١)، مسلم، المقدمة (٤).

(٧) البخاري (١١٠)، مسلم (٢٢٦٦).

٧٣ - وأن الأرض لا تأكل لحمه كسائر الأنبياء:

قال ﷺ: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[١].

٧٤ - من استهان به أو سبه كَفَرَ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وقد روي أن رجلاً قتل أم ولد له كانت تشتم الرسول ﷺ، فينهاها فلا تنتهي، فطعنها بمغول - سيف قصير - فقتلها، فأهدر الرسول ﷺ دمها[٢].

٧٥ - اختصه الله تعالى بالعصمة في الأقوال والأفعال:

قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٢-٣]. فهو معصوم من كل ذنب كبيراً أو صغيراً عمداً أو سهواً[٣].

٧٦ - حرم الله تعالى عليه نزع لأمة الحرب إذا لبسها:

ذكرنا ذلك في قصة غزوة أحد، من قوله: «... ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»[٤] - واللأمة: الدرع.

٧٧ - حرم الله تعالى عليه خائنة الأعين:

يعني الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال

---

(١) أحمد (٤/٨)، وصحح إسناده محققو الموسوعة الحديثية (١٦١٦٢)، أبو داود (١٠٤٧)، النسائي (٣/ ٩١ - ٩٢)، ابن ماجه (١٦٣٦)، وصححه ابن خزيمة والحاكم وله شواهد.

(٢) من حديث رواه: أبو داود: السنن (٤٣٦٩)، النسائي (٧/ ١٠٧ - ١٠٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٦٦).

(٣) [انظر تهذيب الخصائص، ص٤٣٤].

(٤) أحمد (٣/ ٣٥١)، قال محققو الموسوعة الحديثية (١٤٧٨٧): صحيح لغيره، وهذا إسناد على شرط مسلم؛ الدارمي (٢١٦٥)، وصحح ابن حجر إسناده كما في الفتح (١٣/ ٣٥٣)، البخاري معلقاً (٧٠٣٥)، مسلم (٢٢٧٦).

ولا يحرم ذلك على غيره إلا في محظور[١].

وقد ذكرنا مثاله في قصة عبد الله بن أبي السرح حين أهدر الرسول ﷺ دمه فيمن أهدر يوم فتح مكة[٢].

٧٨ - لا يُوَرَّثُ، كسائر الأنبياء، فالأنبياء لا يورثون:

قال ﷺ: «... وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم...»[٣].

وقال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»[٤].

٧٩ - من دعا عليه أو سبه من المؤمنين يكون كفارة له:

ذكرنا ذلك في الشمائل، مبحث رحمته.

٨٠ - تولى الله عز وجل المجادلة عنه، ومثاله:

فلما قالوا: هو شاعر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]. ولما قالوا: كاهن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٢]، ولما قالوا: ضال، قال الله ﷻ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝﴾ [النجم: ٢]، ولما قالوا: مجنون، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝﴾ [القلم: ٢][٥].

٨١ - وأخبر الله سبحانه وتعالى بغفران ذنب نبينا من غير أن يذكر له ذنباً:

فقال ﷻ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. وقد أشار الله

---

(١) الخصائص للسيوطي (٢/ ٤١٥)، من قول الرافعي.

(٢) وانظر: أبو داود (٤٣٥٩)، النسائي (٧/ ١٠٥، ١٠٦)، الحاكم (٣/ ٤٥)، وصححه ووافقه الذهبي، البيهقي: السنن (٧/ ٤٠) وصحح ابن حجر إسناده في التلخيص الحبير (٣/ ١٣٠).

(٣) أبو داود (٣٦٤١)، الترمذي (٢٦٨٢)، ابن ماجه (٢٢٣)، أحمد (٥/ ١٩٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦١٧٣). قال محققو الموسوعة الحديثية (٢١٧١٥): حسن لغيره.

(٤) البخاري (٦٧٣٠)، مسلم (١٧٥٨).

(٥) ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٦٤.

تعالى إلى أحوال الأنبياء، ثم ذكر التوبة عليهم. مثل قوله في حق آدم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]؛ وقوله في حق موسى: ﴿إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص: ٣٣]، ثم قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ [الأعراف: ١٥١]؛ وقوله في حق داود ﷺ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]، ثم قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥]؛ وقوله في حق سليمان ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٤]، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤][1].

٨٢ - واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليلاً:

فقال عليه الصلاة والسلام: «... ولكن صاحبكم خليل الله»[2].

٨٣ - الندم لأمته توبة:

ودليله من حديث ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة»[3].

٨٤ - تقدم نبوته قبل نفخ الروح في آدم ﷺ. ودليل هذا:

- عن ميسرة الفجر ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[4].

- وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟، قال: «وآدم بين الروح والجسد»[5].

- وعن العرباض بن سارية ﷺ أن رسول الله قال: «إني عند الله لخاتم

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٦٥.

(٢) مسلم، برقم ٢٣٨٣؛ ابن ماجه برقم ٩٣؛ أحمد (١/ ٣٧٧، ٣٨٩...).

(٣) أحمد (١/ ٣٧٦، ٤٢٣، ٤٣٣ وسنده صحيح كما قال محققو المسند (الموسوعة)، ٧/ ١٩٣، ح٤١٢٤)، ابن ماجه: السنن برقم (٤٢٥٢) في الزهد، وسنده صحيح وله طرق كما قال محقق تهذيب الخصائص، ص٣٧٢ رقم (٥٣٢).

(٤) أحمد (٥/ ٥٩)، برقم (٢٠٥٩٦)، وإسناده صحيح كما قال محققو الموسوعة الحديثية؛ الحاكم (٢/ ٦٠٨، ٦٩)، البخاري: التاريخ الكبير (٧/ ٤٧)، وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) الترمذي برقم (٣٣٧٧)، وتهذيب التلبدي وقال إن سنده عنده صحيح على شرط مسلم.

النبيين، وإن آدم لَمُنْجَدِل في طينته»[١].

٨٥ - اختصه الله تعالى بالحكم والفتوى في حالة الغضب لأنه مأمون منه:

ذكر هذا النووي في شرح صحيح مسلم عند حديث اللُّقَطَة، فإنه أفتى فيه وقد غضب حتى احمرت وجنتاه[٢].

٨٦ - اختصاصه ﷺ بوجوب صلاة الليل:

ودليله قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: ١، ٢]، وثبت في الصحيح أنه قام الليل حتى تورمت قدماه[٣].

٨٧ - اختصاصه ﷺ بوجوب قضاء دين من مات من المسلمين معسراً:

ومن أدلة هذا قوله ﷺ: «أنا أولى بكل مسلم من نفسه، من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ»[٤]. وفي رواية: «... أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته»[٥].

٨٨ - اختصاصه ﷺ بتحريم أكل ما له ريح كريهة:

وثبت هذا في الصحيح[٦].

٨٩ - اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر:

ومن أدلته قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس: ٦٩].

---

(١) أحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، صححه محققو المسند (الموسوعة الحديثية) بشواهده (٢٨/ ٣٩٥) رقم (١٧١٦٣)، وانظر تخريجه عندهم، وصححه محقق تهذيب الخصائص، ص٢٧ برقم (٣)، وخرجه.

(٢) تهذيب الخصائص، ص٤١٧.

(٣) البخاري، برقم ١١٣٠ و٤٨٣٦ و٦٤٧١، مسلم، برقم ٢٨١٩) وغيرهما.

(٤) مسلم برقم (٨٦٧). وضياعاً هنا بمعنى: «عيالاً».

(٥) البخاري برقم (٢٢٩٨)، مسلم، برقم (١٦١٩)، وغيرهما.

(٦) البخاري، برقم (٧٣٥٦)، مسلم، برقم (٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧).

٩٠ - اختصاصه ﷺ بتحريم المن ليستكثر:

ودليله قوله الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝﴾ [المدثر: ٦].

وقد أجمع المفسرون على أن ذلك خاص بالنبي ﷺ.

٩١ - اختصاصه ﷺ بتحريم مد العين إلى ما متع به الناس:

ودليل هذا قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١][1].

٩٢ - اختصاصه ﷺ بتحريم إمساك كارهته:

ودليله أن ابنة الجون لما دخل عليها النبي ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عزت بعظيم، الحقي بأهلك»[2].

٩٣ - اختصاصه ﷺ بإباحة الصلاة بعد العصر:

ودليل هذا:

أ - عندما سئلت عائشة ﷺ عن السجدتين اللتين كان رسول الله ﷺ يصليهما بعد العصر، قالت: (كان يصليهما قبل العصر، ثم إنه شغل عنهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما، وكان إذا صلى صلاة أثبتها)[3].

ب - وعنها أيضاً قالت: (ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ، يدعهما سراً ولا علانية ركعتان قبل الصبح، وركعتان بعد العصر)[4].

٩٤ - اختصاصه ﷺ بإباحة القتال بمكة المكرمة والقتل بها:

ومن أدلته، عن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه

---

(١) انظر في هذه الفقرات السابقة: تهذيب الخصائص الكبرى، ص٤٠٢ وما بعدها.

(٢) البخاري، برقم ٥٢٥٤.

(٣) مسلم، برقم (٨٣٥)، وعن أم سلمة نحوه مطولاً، كما في البخاري (١٢٣٣)، ولابن حجر في الفتح كلام جيد هنا.

(٤) البخاري برقم (١٢٣٣، ٤٣٧٠)، مسلم برقم (٨٣٥).

المغفر، فلما نزعه جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه»[١].

وعن أبي شريح العدوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم»[٢].

٩٥ - ومن خصائصه أن له النكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء:

ومن أدلته قول الله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

٩٦ - ومن خصائصه ﷺ إباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن:

ومن الأدلة على هذا:

قالت الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ بن عَفْرَاء رضي الله عنها: (جاء النبي ﷺ فدخل عليَّ غداة بُنِيَ عليَّ فجلس على فراشي كمجلسك مني - تعني خالد بن ذكوان -)[٣].

وذكرنا في فصل الشمائل أن الأمة كانت تأخذ بيده ليقضي لها حاجتها في المكان الذي تختاره من سكك المدينة، وقصة دخوله على أم حرام بنت ملحان ونومه عندها وتفليتها رأسه، ولم يكن من محارمها[٤].

٩٧ - ومن خصائصه ﷺ أنه كان يزوج من شاء من النساء بمن شاء من الرجال بغير رضاهن ورضا آبائهن:

ودليل هذا على قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقوله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به

---

(١) البخاري (٤٤٨٦)، مسلم (١٣٥٧)، الترمذي (١٥٥٤)، وغيرهم.

(٢) البخاري (٤٢٩٥)، مسلم (١٣٥٤)، الترمذي (٧١٦).

(٣) البخاري (٥١٤٧).

(٤) البخاري: الفتح (١٢/ ٢٩ - ٣٠، ح٢٨٧٧، ٢٨٧٨)، وانظر: تهذيب الخصائص ص٤٢٣.

في الدنيا والآخرة»[١]. وعندما عرضت امرأة نفسها عليه قال: «ما لي بالنساء حاجة»، فقال رجل: (يا رسول الله: زوجنيها)، فقال: «زوجتكها بما معك من القرآن»[٢].

٩٨ - ومن خصائصه ﷺ تحريم رؤية أشخاص أزواجه ﷺ في الأزر وسؤالهن مشافهة ومعاينة:

ودليله، قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وجوز الرسول ﷺ لهن بإذن ربه الخروج إلى الخلاء لقضاء حاجتهن[٣].

٩٩ - ومن خصائصه ﷺ وجوب جلوس أزواجه من بعده في بيوتهن:

وتحريم خروجهن إلا لحاجة ضرورية أو طبيعية أو شرعية، كالمشي إلى المسجد أو عيادة مريض أو زيارة قريب. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقوله ﷺ لهن في حجة الوداع: «هذه، ثم ظهور الحصر»[٤].

١٠٠ - ومن خصائصه ﷺ أن تطوعه في الصلاة قاعداً كتطوعه قائماً:

ودليله أن عبد الله بن عمر ﷺ قال: (يا رسول الله حدثت أنك قلت: صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة، وأنت تصلي قاعداً!) قال: «أجل، ولكني لست كأحدكم»[٥].

١٠١ - ومن خصائصه ﷺ أن عمله كان له نافلة:

ودليله: عندما سئلت عائشة ﷺ عن وصل صيام الرسول ﷺ قالت: (أتعملون كعمله؛ فإنه قد غفر له ما تقدم وما تأخر، كان عمله له نافلة)[٦].

---

(١) البخاري ....

(٢) البخاري (٥١٤٩)، مسلم (١٤٢٥).

(٣) البخاري (٤٧٩٥).

(٤) أحمد (٥/ ٢١٩)، بإسناد حسن لغيره كما قال محققو المسند في الموسوعة (٣٦/ ٢٤١، ح٢١٩١٠)، والتليدي في تهذيب الخصائص، ص٢٤٧، برقم (٦٣٥)، أبو داود (١٧٢٢)، حسن لشواهده.

(٥) مسلم (٧٣٥).

(٦) أحمد (٥/ ٢٥) بإسناد صححه التليدي في تهذيب الخصائص، ص٤٢٨، رقم ٦٣٧ ومحققو الموسوعة (٤٣/ ٢٢٤، ح٢٦١٥١).

وعندما سئل أبا أمامة عن النافلة قال: (كانت للنبي ﷺ نافلة ولكم فضيلة)[١].

١٠٢ - ومن خصائصه ﷺ أن المصلي يخاطبه بصلاته:

بقوله: (السلام عليك أيها النبي، ولا يخاطب سائر الناس، وأنه يجب عليه إجابته إذا دعاه. ودليله من أحاديث التشهد المشهورة، وأما إجابته، فعن أبي سعيد بن المعلى ﷺ أن النبي ﷺ دعاه وهو يصلي فصلى، ثم أتاه فقال: «ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك»، قال: إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»، ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن»، قال: فكأنه نسيها أو نسي، قلت: يا رسول الله، قلت لي: ألا أعلمك إلخ، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، هي السبع المثاني والقرآن العظيم»[٢].

١٠٣ - ومن خصائصه ﷺ أنه كان لا يجوز لأحد الخروج من مجلسه إلا بإذنه:

ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

١٠٤ - ومن خصائصه ﷺ وجوب محبته ومحبة أهل بيته وأصحابه:

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

ودليله من السنة قول الرسول ﷺ لعمر، عندما قال عمر ﷺ: (يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي)، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر ﷺ: (فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي)، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»[٣]. وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا

---

(١) أحمد (٥/ ٢٥٩) بإسناد حسنه المقليدي، ص٤٢٨، رقم (٦٣٨)، وضعفه محققو الموسوعة الحديثية (٣٦/ ٥٦٣، ح٢٢٢٣). قلت: ويشهد له بالحسن حديث عائشة الذي قبله.

(٢) البخاري (٥٠٠٦).

(٣) البخاري (٦٦٣٢).

يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله»[١] يعني أهل بيته، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة.

١٠٥ - ومن خصائصه ﷺ أن أولاد بناته ينسبون إليه بخلاف بنات غيره:

ودليله قوله في الحسين بن علي ﷺ: «إن ابني هذا سيد»[٢].

١٠٦ - ومن خصائصه ﷺ أن بناته لا يجمعن في الزواج مع بنات أعداء الله:

ودليله قوله ﷺ: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»[٣].

١٠٧ - ومن خصائصه أن رؤياه وحي، وكل ما رآه فهو حق:

وقد ذكرنا أدلة هذا في مبحث إرهاصات النبوة قبيل البعثة.

١٠٨ - ومن خصائصه ﷺ تشريفه بالصلاة عليه:

ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقوله ﷺ: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً»[٤]. وقوله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك ﷻ يقول: إنه لا يصلي عليك من أمتك أحد صلاة إلا صليت عليه بها عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمةً إلا سلمت عليه عشراً، فقلت: «بلى أي رب»[٥]، وقال ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده

---

(١) الترمذي (٣٥٢٤)، وحسنه وصححه، الحاكم (٣/ ٣٣٣)، وسنده حسن كما قال الألباني في التهذيب، ص٤٣٢، برقم ٦٤٣، أحمد (١/ ٢٠٧)، وضعف محققو الموسوعة الحديثية إسناده (٣/ ٢٩٥، ح١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٧).

(٢) البخاري (٣٧٤٦)

(٣) البخاري (٥٢٣٠)، مسلم (٢٤٤٦).

(٤) مسلم (٤٠٨) وغيره.

(٥) أحمد (٤/ ٣٠)، وقال محققو الموسوعة الحديثية (٢٦/ ٢٨٠ - ٢٨١، ح١٦٣٦١) حسن لغيره، النسائي: المجتبى (٣/ ٥٠) والكبرى برقم ١٢١٨، ٩٨٨٨، ابن حبان، رقم ٩١٥، الحاكم (٢/ ٤٢٠) وصححه ووافقه الذهبي.

فلم يصل عليّ»[١].

١٠٩ - ومن خصائصه ﷺ أن أصحابه كلهم عدول بإجماع من يعتد به:

والأدلة على هذا كثيرة من الكتاب والسنة، أفرد لها بعض الكتاب كتباً أو أبحاثاً خاصة.

١١٠ - اختصاصه ﷺ بالصلاة عليه حين موته أفراداً بغير إمام وبغير دعاء الجنازة المعروف:

وقد ذكرنا ذلك في فصل: «الوفاة».

١١١ - اختصاصه ﷺ بدفنه في بيته حيث قبض:

وقد ذكرنا دليله في فصل الوفاة.

١١٢ - إكرامه ﷺ بحياته في قبره واستغفاره لأمته:

وتوكيل ملائكة سياحين في الأرض يبلغونه من سلم عليه.

ودليله قوله ﷺ: «إن لله ملائكة في الأرض سياحين يبلغوني من أمتي السلام»[٢].

١١٣ - كان السواك في حقه ﷺ واجباً:

ومن أدلة هذا قوله ﷺ: «لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه سينزل عليّ به قرآن أو وحي»[٣] وقال: «لقد لزمت السواك حتى تخوفت أن يُدْرِدني»[٤]. وقال: «ما زال

---

(١) أحمد (١/ ٢٠١)، وقال محققو الموسوعة الحديثية (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، ح١٧٣٦): إسناده قوي، الحاكم (١/ ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي، ابن حبان: الموارد (٢٢٨٨)، الترمذي (٣٣٠٨) وصححه، النسائي: الكبرى (٨١٠٠).

(٢) أحمد (١/ ٣٨٧) وقال محققو الموسوعة الحديثية (٦/ ١٨٣، ح٣٦٦٦): (صحيح على شرط مسلم، البزار مع كشف الأستار (٨٤٥) بإسناد صحيح على شرط مسلم، ورواه غيرهما.

(٣) أحمد (١/ ٢٣٧، ٢٨٥) وصحح أحمد شاكر إسناده (٤/ ٣)، وقال محققو الموسوعة الحديثية (٤/ ٤٧) حسن لغيره، الحاكم (١/ ١٥٥) وصححه وأقره الذهبي، وغيرهما.

(٤) البيهقي: السنن الكبرى (٧/ ٤٩) بإسناد صحيح، الطبراني في الأوسط كما قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٩٩)، وقال إن رجاله رجال الصحيح، ويدردني: يذهب بأسناني.

جبريل يوصيني بالسواك حتى خشيت على أضراسي»[١].

١١٤ - كان له ﷺ أن يُقَبِّل وهو صائم بغير كراهة:

ودليله قول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه أملككم لإربه). وفي رواية: (كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه)[٢].

١١٥ - ومن خصائصه ﷺ أن الله عز وجل أعطاه قوة ثلاثين رجلاً:

ودليله عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن تسع نسوة. قال قتادة: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: (كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين)[٣]. وعن أنس أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد[٤].

١١٦ - وكان ﷺ لا يتثاءب، لأن التثاؤب من الشيطان:

ودليله قوله ﷺ: «أن الله يُحبُّ العُطاس ويكره التثاؤب»، فإذا عطس فحمد الله على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال ها ضحك الشيطان»[٥].

١١٧ - وكان بوله ودمه يتبرك بهما:

ودليل التبرك ببوله: عن حكيمة بنت أميمة عن أمها: كان النبي ﷺ يبول في قدح عيدان، ثم يرفع تحت سريره، فبال فيه، ثم جاء فأراده، فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها بركة، كانت تخدم أم حبيبة، جاءت بها من أرض الحبشة: «أين البول الذي كان في القدح؟» قالت: شربته فقال: «لقد احتظرت من النار بحظار»[٦].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٤٩)، بإسناد صحيح.

(٢) مسلم (٢/ ٧٧٧، ح...).

(٣) البخاري (كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد) (١/ ٧٥) واللفظ له.

(٤) مسلم (٣٠٩).

(٥) البخاري (٥٨٧٢).

(٦) الطبراني: الكبير (٢٤/ ١٨٩ و٢٠٥)، البيهقي: السنن (٧/ ٦٧)، وقال في المجمع (٨/ ٢٧١): =

ودليل التبرك بدمه: فعن عبد الله بن الزبير ﷺ أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد»، فلما برزت عن رسول الله ﷺ عمدت إلى الدم فحسوته، فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال: «ما صنعت يا عبد الله؟» قال: جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ على الناس، قال: «فلعلك شربته». قلت: نعم، قال: «ومن أمرك أن تشرب الدم؟ ويلك من الناس، وويل للناس منك»[1].

١١٨ - اختصاصه ﷺ بخمس خمس الفيء والغنيمة:

وباصطفاء ما يختاره من الغنمية قبل القسمة من جارية وغيرها.

١١٩ - اختصاصه ﷺ بالغسل وعليه قميصه حين موته:

والدليل عن عائشة ﷺ قالت: (لما أرادوا أن يغسلوا رسول الله ﷺ قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص دون أيديهم)[2].

١٢٠ - اختصاصه ﷺ بأن لم يوجد له مثلما يخرج من أوساخ البطن عندما أرادوا غسله بعد موته:

ودليل هذا:

عن علي ﷺ قال: (لما غسّل النبي ﷺ ذهب يلتمس منه ما يلتمس من الميت

رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة، وكلاهما ثقة، السيوطي: الخصائص (٢/ ٢٥٤)، وصحح سنده.

(١) الحاكم (٣/ ٥٥٤)، أبو نعيم: الحلية (١/ ٣٣٠)، المجمع (٨/ ٢٧٠) وقال: رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة، ورجال الطبراني رجال ثقات، السيوطي: الخصائص (٢/ ٤٤٠ - ٤٤٢) من عدة طرق، وحسن إسناد البزار والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث ابن الزبير. وانظر شواهده في الخصائص.

(٢) أبو داود: السنن رقم (٣١٤١)، أحمد: المسند (٦/ ٢٦٧)، من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، بأطول من هذا، فلينظر: البيهقي: السنن الكبرى (٣/ ٣٨٧)، ابن حبان رقم (٢١٥٦)، الحاكم: (٣/ ٥٩ - ٦٠) بسند صحيح: ابن إسحاق: بإسناد حسن كما عند ابن هشام (٤/ ٤١٦).

فلم يجده، فقال: بأبي الطيب طبت حياً وطبت ميتاً»[1].

وقد روى بعض العلماء في هذا الباب أحاديث ضعيفة ضعفاً لا ينجبر أو واهية أو موضوعة، أشار بعض العلماء المحققين إلى عللها وأسباب ردها.

وممن أشار إلى بعضها الشيخ عبد الله التليدي، محقق ومهذب كتاب: «تهذيب الخصائص النبوية الكبرى»، للسيوطي، ص١٥، ١٦، وختمها بقوله: «هذا بعض من كثير من الموضوعات في كتاب الخصائص.....».

وقد جرد الشيخ التليدي خصائص السيوطي مما علق به من شوائب، أهمها تجريده من الضعيف الذي لا ينجبر والواهي والموضوع - جزاه الله خيراً - فجاء هذا التهذيب مصدراً صافياً لا غنى عنه لطالب الحقيقة في مجال خصائص النبي ﷺ ومعجزاته.

بعد هذه الجولة في سيرة الرسول ﷺ يجدر بنا أن نشير إلى أن الله ﷻ لم يبعث لنا محمداً ﷺ وينزل عليه هذا القرآن الكريم لنتبرك به فقط مع سنته، أو للعلم بهما، أو إضافة ثقافة إلى ثقافتنا الأرضية، ليس قطعاً هذا هو الهدف، بل الهدف تطبيق ما جاء في الكتاب والسنة في جميع مجالات حياتنا الخاصة والعامة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية. ومن باب الإعذار إلى الله نذكر كل مسلم بما قاله له الله تعالى ونبيه الكريم في هذا الشأن:

١ - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨].

٢ - ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

٣ - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

٤ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

(١) ابن ماجه: السنن برقم (١٤٦٧)، بإسناد صحيح كما قال البوصيري في الزوائد، الحاكم (٣/ ٦٠)، وصححه.

يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

٥ - ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

٦ - ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

٧ - ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

٨ - ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

٩ - ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

١٠ - ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

١١ - ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

١٢ - ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٧-٤٨].

١٣ - ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

١٤ - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

١٥ - ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

١٦ - ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

١٧- ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

ثبت المصادر والمراجع

أ - المصادر

* القرآن الكريم.
* ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
* الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت٢٥٠هـ).
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت ومكة المكرمة، ط٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
* ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ).
- السير والمغازي: تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
* بحرق: محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي (ت٩٣٠هـ).
- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ، المنسوب خطأ إلى ابن الديبع: اعتنى به محمد غسان نبهوح عزقول، دار الحاوي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
* البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ).
- التاريخ الكبير: جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن - الهند، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ودار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الأدب المفرد: حققه وقابله على أصوله سمير بن أمين الزهيري، مستفيداً من تخريجات وتعليقات الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الجامع الصحيح: المكتب الإسلامي، إستانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
* البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ).
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.
* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ).
- أنساب الأشراف: تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، د.ت.
* البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ).
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- السنن الكبرى: دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الدكن - الهند، ط١، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.
- شعب الإيمان: تحقيق البسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، وتحقيق آخر لمحمد السعيد بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.
* الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ).

- سنن الترمذي: أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس، دار مكتبة دار الدعوة، حمص - سورية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- مختصر الشمائل المحمدية: اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية بالأردن ومكتبة المعارف بالرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- شمائل النبي ﷺ: حققه وخرّج أحاديثه الشيخ ماهر ياسين فحل، أشرف عليه وراجعه الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

* ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ).
- زاد المسير في علم التفسير: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الوفا بأحوال المصطفى: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

* ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ).
- الجرح والتعديل: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م، ودائرة الكتب العلمية، بيروت.

* الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت٤٠٥هـ).
- المستدرك على الصحيحين: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د.ت.

* ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ).
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: تصحيح وتعليق الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

* ابن حبيب: أبو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ).
- المحبَّر: رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت. وطبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد، الدكن، سنة ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م.

* ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد الكناني (ت٨٥٢هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة: مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

* ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعد (ت٤٥٦هـ).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م.

* الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ).
- معجم البلدان: دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

* الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت٢١٩هـ).
- مسند الحميدي: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من سلسلة منشورات المجلس العلمي، كراتشي - باكستان، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

* **ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ).**
- **المسند:** المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- **المسند:** تحقيق أحمد محمد شاكر، لم يذكر الناشر، مصر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- **المسند (الموسوعة الحديثية):** تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف الدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- **فضائل الصحابة:** تحقيق وصي الله بن محمد عباس، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
* **ابن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٦هـ).**
- **تاريخ خليفة بن خياط:** تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
* **الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت٢٥٥هـ).**
- **سنن الدارمي:** طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة، د.ت.
* **أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ).**
- **سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي:** أبو سليمان حمد بن محمد بن إبرهيم بن خطاب البستي الخطابي (ت٣٨٨هـ)، إعداد وتعليق عبيد الدعاس، نشر وتوزيع محمد علي السيد، سورية، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- **المراسيل:** تحقيق عبد العزيز السيروان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* **أبو داود: سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت٢٠٤هـ).**
- **مسند الطيالسي:** ترتيب أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، المنيرية بالأزهر، مصر، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
* **الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ).**
- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس:** مؤسسة شعبان، بيروت، د.ت، والمطبعة الوهبية، مصر، رجب ١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م.
* **الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ).**
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** مجلد قسم السيرة ومجلد قسم المغازي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
* **ابن زبالة: محمد بن الحسن بن زبالة (ت١٩٩هـ).**
- **المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، رواية الزبير بن بكار:** تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
* **الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف أبو عبد الله (ت١١٢٢هـ).**
- **شرح المواهب اللدنية للقسطلاني:** أحمد بن محمد بن أبي بكر، شهاب الدين، أبو العباس (٩٣٢هـ)، دار الطباعة الأميرية، مصر، ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م.
- **شرح موطأ الإمام مالك بن أنس:** مطبعة

الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٤م.
* الزركشي: محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ).
- إعلام الساجد بأحكام المساجد: تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
* ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ).
- الطبقات الكبرى: دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
* السمهودي: علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني (ت٩١١هـ).
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.
* السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (٥٨١هـ).
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية: لابن هشام، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
* ابن سيد الناس: محمد بن محمد أبو الفتح اليعمري المصري (ت٧٣٤هـ).
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: دار المعرفة، بيروت، د.ت.
* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ).
- تهذيب الخصائص النبوية الكبرى: هذّبه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الشيخ عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ - ....
* ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت٢٦٢هـ).
- تاريخ المدينة المنورة: تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، دار الأصفهاني، جدة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- كتاب: أخبار المدينة النبوية، ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبدالله الدويش، المجلدات: ٦ ج١، ٦ج٢، ٦ج٣، أشرف على طبعها وتصحيحها عبدالعزيز بن أحمد المشيقح، دار العليان، بريدة، السعودية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
* ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد (ت٢٣٥هـ).
- كتاب المغازي: تحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العمري، دار إشبيليا، السعودية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المصنف في الأحاديث والآثار: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، وله طبعات أخرى.
* أبو الشيخ: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (ت٣٦٩هـ).
- أخلاق النبي ﷺ وآدابه: تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- أخلاق النبي ﷺ وآدابه: دراسة وتحقيق عصام الدين سيد الصبابطي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
* الصالحي: محمد بن يوسف الصالحي (ت٩٤٢هـ).
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

* **الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ).**
- **المعجم الكبير**: تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، إحياء التراث الإسلامي، العراق، ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- **المعجم الكبير**: تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
* **الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (ت٣١٠هـ).**
- **تاريخ الرسل والملوك**: دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، د.ت.
* **طرهوني: الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني.**
- **صحيح السيرة النبوية المسماة: السيرة الذهبية**: دار ابن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.
* **ابن طولون: محمد بن طولون الدمشقي (ت٩٥٣هـ).**
- **إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين**: تحقيق محمود الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
* **ابن أبي عاصم: أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ).**
كتاب السنة، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.
* **ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت٤٦٣هـ).**
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: بهامش الإصابة لابن حجر.
- **الدرر في اختصار المغازي والسير**: تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
* **عبد الرزاق: بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني (ت٢١١هـ).**
- **المصنف**: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
* **أبو عبيد: القاسم بن سلام البغدادي اللغوي (ت٢٢٤هـ).**
الأموال: تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ودار الفكر، القاهرة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
* **عروة: بن الزبير بن العوام (ت٩٣هـ).**
- **المغازي**: برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
* **ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي (ت٥٧١هـ).**
- **تاريخ مدينة دمشق**: قسم السيرة النبوية، تحقيق نشاط غزاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
* **ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري (ت٢٧٦هـ).**
- **المعارف**: تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
* **ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن**

أبي بكر (ت٧٥٢هـ).
- زاد المعاد في هدي خير العباد: تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ).
البداية والنهاية: تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ويطلب من مكتبة الفلاح بالرياض، د.ت.
- البداية والنهاية: تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم: تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه، كتاب الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
* ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ).
- سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
* مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ).
- صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
* المنذري: أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ).
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: تحقيق الشيخ مصطفى محمد عمارة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* النسائي: أبو عبد الرحمن بن شعيب (ت٣٠٣هـ).
- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.
- عمل اليوم والليلة: تحقيق د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
* النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ).
- شرح صحيح مسلم: دار الفكر، بيروت، د.ت.
* أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ).
- دلائل النبوة: تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ).
السيرة النبوية: تحقيق الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
* الهيثمي: أبو بكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت٨٠٧هـ).
- كشف الأستار عن زوائد البزار: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: دار الكتاب، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: تحقيق محمد بن عبد الرزاق حمزة، دار مكتبة الهلال، بيروت، د.ت.
* الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد

النيسابوري (ت٤٦٨هـ).
- أسباب النزول: مطبعة هندية، مصر، ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م.
* الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ).
- كتاب المغازي: تحقيق الدكتور مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
* اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٢هـ).
- تاريخ اليعقوبي: دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
ب - المراجع الحديثة*
آرثر كريستنسن:
- إيران في عهد الساسانيين: ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
* الألباني: محمد ناصر الدين الألباني.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- تخريج أحاديث فقه السيرة: للغزالي، بحاشية فقه السيرة للغزالي.
- حجة النبي ﷺ: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه «فقه السيرة»: مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- صحيح سنن الترمذي: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- صحيح سنن ابن ماجه: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
* الآلوسي: محمود شكري.
- بلوغ الأرب في أحوال العرب: تحقيق بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٤م.
* الباكري: حسين أحمد الباكري.
- مرويات غزوة أحد: رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
* باوزير: أحمد محمد العليمي باوزير.
- مرويات غزوة بدر: رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، مكتبة طيبة، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
* أبو بكر الجزائري:
- هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب: مكتبة لينة، دمنهور، مصر، ط١: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
* البلاذري: عاتق بن غيث.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: دار مكة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
* البوطي: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- فقه السيرة النبوية: دار الفكر، دمشق، ط٧، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
* بوكاي: موريس.
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
* حامد عبد القادر.
- زرادشت الحكيم: نبي قدامى الإيرانيين:

حياته وفلسفته، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها: القاهرة، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
* حسن شحاتة سلطان.
- كونفوشيوس: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها: القاهرة، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
* ابن حُمَيْد: صالح بن عبد الله بن حميد.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة، جدة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
* الحكمي: حافظ بن محمد عبد الله الحكمي.
- مرويات غزوة الحديبية: رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لنحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* الدوم: محسن أحمد الدوم.
- مرويات غزوة فتح مكة: رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
* رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي.
- إظهار الحق: إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
* أبو زهرة: الشيخ محمد أبو زهرة.
- الديانات القديمة: دار الفكر العربي، مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٥٦م.
* زهير سالم.
- عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية: دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
* الساعاتي: أحمد بن عبد الرحمن البنا.
- الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني: دار الشهاب، القاهرة، د.ت.
* السامرائي: عبد الله سلوم.
- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية: رسالة ماجستير منشورة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
* السعود: سليمان بن علي السعود.
- أحاديث الهجرة: رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
* السندي: أكرم حسين علي السندي.
- مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة: رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
* السندي: عبد القادر حبيب الله السندي.
- الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك: رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، مكتبة العلا، الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
* الشامي: صالح أحمد الشامي.
- من معين السيرة: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
* أبو شهبة: محمد محمد.
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
* الشهري: عوض أحمد سلطان الشهري.
- مرويات غزوة خيبر: رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

* الصوري: الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق (مترجم).
- التوراة السامرية: نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

* الصويلي: محمد.
- السيرة النبوية الصحيحة: قراءة جديدة -، مؤسسة الريان، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- القصيمية: دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية، دار طيبة، ط١، الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٨٩م.

* عرجون: محمد الصادق إبراهيم عرجون.
- محمد رسول الله ﷺ - منهج رسالة -: دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

* العمري: الدكتور أكرم ضياء العمري.
- المجتمع المدني في عهد النبوة - الجهاد ضد المشركين -: لم يذكر الناشر ومكان النشر، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- المجتمع المدني في عهد النبوة - خصائصه وتنظيماته الأولى -: المجلس العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

* العودة: الدكتور سليمان فهد العودة.
- السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق - دراسة مقارنة في العهد المكي -: رسالة غير منشورة، قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض للحصول على درجة الدكتوراه، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

* الغزالي: محمد.
- فقه السيرة: عالم المعرفة، ط٧، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م.

* الغضبان: منير محمد.
- المنهج الحركي للسيرة النبوية: مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* عمر: إبراهيم بن محمد عمر.
- مرويات غزوة الخندق: رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

* عون: الدكتور عون الشريف قاسم.
- دبلوماسية محمد ﷺ: رسالة دكتوراه منشورة، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، د.ت.

* قربي: الدكتور إبراهيم بن إبراهيم قربي.
مرويات غزوة حنين: رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الدكتوراه، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مرويات غزوة بني المصطلق: رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، د.ت.

* المباركفوري: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.
- الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

* محمد رواس قلعه جي: الأستاذ الدكتور.
- دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة: دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

* مهدي رزق الله أحمد: الأستاذ الدكتور.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الطبعة الخرطومية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
* الندوي: أبو الحسن علي الحسني.
السيرة النبوية: دار الشروق، جدة، ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مطابع علي بن علي، الدوحة، ط١٠، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
* هارون رشيد محمد إسحاق.
- صحيفة المدينة: دراسة حديثية وتحقيق: رسالة غير منشورة، قدمت لجامعة الملك سعود بالرياض للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
* الهندي: علي بن حسام الدين الهندي.
- كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ملاحظة: المصادر والمراجع التي ورد ذكرها أقل من ثلاث مرات: أو كانت الاستفادة منها قليلة جداً لم نذكرها هنا، واكتفينا بذكرها في حواشي الكتاب. ورموز المصادر الواردة في الفصل الثلاثين: كالآتي:

بخ = صحيح البخاري
م = صحيح مسلم.
د = سنن أبي داود.
تر = سنن الترمذي.
ن = سنن النسائي.
حم = مسند الإمام أحمد ابن حنبل.
حكم = الحاكم: المستدرك على الصحيحين.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
- شكر وتقدير	٥
- الإهداء	٧
* تقديم الطبعة الأولى	٩
* تقديم الطبعة الثانية	١١
* تقديم الطبعة الثالثة	١٣
- مقدمة: في منهج البحث	١٥
- أهداف دراسة السيرة النبوية	١٦
* مصادر السيرة النبوية:	١٨
١ - القرآن الكريم	١٨
٢ - الحديث النبوي الشريف	١٩
٣ - كتب الشمائل	٢١
٤ - كتب دلائل النبوة - المعجزات	٢١
٥ - كتب الخصائص	٢٢
٦ - كتب المغازي والسير	٢٢
٧ - المؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين	٣٠
٨ - كتب التاريخ العام	٣١
٩ - كتب الأدب	٣٣
كلمة أخيرة عن المصادر	٣٥
الجزيرة العربية قبل الإسلام	٣٧
نشأة مكة	٣٧
تعدد بناء الكعبة	٤١
حالة الجزيرة العربية حين بعث محمد ﷺ	٤٧
١ - في الجزيرة العربية	٤٧
أولاً: الحالة السياسية:	٤٧
أ- الملك باليمن	٤٧
ب- الملك بالحيرة	٤٨
جـ- الملك بالشام	٤٩
د- مكة	٤٩
هـ- يثرب	٥٢
ر- الطائف	٥٣
ثانياً: الحالة الدينية عند العرب	٥٣
أشهر الحنفاء: زيد بن عمرو بن نفيل	٥٩
ورقة بن نوفل	٦١
قس بن ساعدة الأيادي	٦١
أمية بن أبي الصلت	٦٢
لبيد بن ربيعة العامري	٦٢
ثالثاً: الحياة الاجتماعية عند العرب	٦٣
٢ - في خارج الجزيرة العربية	٦٧
أ - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل اليهودية	٦٧
أولاً: جوانب من الحياة الدينية	٦٧
ثانياً: جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات اليهودية	٧٢
ب - جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المسيحية	٧٤
أولاً: الحياة الدينية	٧٤
ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات النصرانية	٧٧
جـ- جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المجوسية	٧٨
أولاً: الحياة الدينية	٧٨
ثانياً: الحياة السياسية والاجتماعية	٨١
د - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الصينية:	٨٤
هـ- جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الهندية	٨٥
* الفصل الأول: من المولد إلى البعث	٨٩
المبحث الأول: نسب الرسول ﷺ	٨٩
حكم وفوائد من هذا الاصطفاء	٩٠

المبحث الثاني: الحنان والتسمية ٩٠
المبحث الثالث: اليتم ورعاية الجد ثم العم ٩٢
المبحث الرابع: من إرهاصات النبوة عند
ميلاده ٩٦
المبحث الخامس: رضاعة الرسول ﷺ ... ٩٦
المبحث السادس: حادثة شق الصدر ١٠١
المبحث السابع: رحلته إلى الشام ١٠٣
الحكمة من أقوال أهل الكتاب في صفة
محمد ﷺ ١٠٥
المبحث الثامن: رعيه الغنم في صباه،
والحكم والعبر من ذلك ١١٢
المبحث التاسع: عناية الله له وحفظه من بعض
أمور الجاهلية، والحكم والعبر من ذلك ١١٣
المبحث العاشر: حرب الفجار ١١٥
المبحث الحادي عشر: شهوده حلف
الفضول والحكم والعبر من ذلك ١١٦
المبحث الثاني عشر: ١١٩
أ ـ زواجه من خديجة ١١٩
ب ـ حكم وفوائد من هذا المقطع ١٢٣
المبحث الثالث عشر: ١٢٤
أ ـ مشاركته في بناء الكعبة ووضعه الحجر
الأسود في مكانه ١٢٤
ب ـ حكم وعبر من هذا المقطع ١٢٦
المبحث الرابع عشر: ١٢٦
أ ـ من إرهاصات النبوة عند أهل الكتاب
وكهان العرب عندما قارب زمن بعثة
الرسول ﷺ ١٢٦
ب ـ حكم وعبر من هذا المبحث ١٢٩
المبحث الخامس عشر: التحنث في غار
حراء ١٣٠
المبحث السادس عشر: ١٣٠
أ ـ من إرهاصات النبوة قبيل البعثة ١٣٠
ب ـ العبر والعظات ١٣٢
المبحث السابع عشر: ١٣٢
أ ـ نزول الوحي ١٣٢
ب ـ العبر والعظات والدلائل ١٣٤
المبحث الثامن عشر: ١٣٦
أ ـ فترة انقطاع الوحي ثم تتابعه ١٣٦
ب ـ الحكمة من هذا الانقطاع ١٣٦
المبحث التاسع عشر: مراتب الوحي ١٣٧
المبحث العشرون: مراتب الدعوة ومراحلها ١٣٨
أ ـ مراتب الدعوة ١٣٨
ب ـ مراحل الدعوة خلال حياة الرسول ﷺ ١٣٨
وقفة عند فقه هذه المراحل ١٣٩
المبحث الحادي والعشرون: ١٣٩
أ ـ المرحلة الأولى: الدعوة السرية ١٣٩
ب ـ العبر والعظات في هذا المقطع ١٤٥
المبحث الثاني والعشرون ١٤٦
أ ـ الجهر بالدعوة ١٤٦
ب ـ دروس وعبر من هذا المقطع ١٤٧
المبحث الثالث والعشرون: ١٤٨
أ ـ أساليب المشركين في محاربة الدعوة
الإسلامية ١٤٨
الأسلوب الأول: محاولة التأثير على عمه ١٤٨
الأسلوب الثاني: التهديد بمنازلة
الرسول ﷺ وعمه أبي طالب ١٤٩
الأسلوب الثالث: الاتهامات الباطلة
لصد الناس عنه ١٥٠
الأسلوب الرابع: السخرية والاستهزاء
والضحك والغمز واللمز والتعالي على
المؤمنين ١٥٢
الأسلوب الخامس: التشويش ١٥٥
الأسلوب السادس: طلبهم أن تكون
للرسول ﷺ معجزات أو مزايا ليست عند
البشر العاديين ١٥٥
الأسلوب السابع: المساومات ١٥٧

الأسلوب الثامن: سبب القرآن ومنزله ومن جاء به ١٥٨
الأسلوب التاسع: الاتصال باليهود الإتيان منهم بأسئلة تعجيزية للرسول ﷺ ١٦٠
الأسلوب العاشر: الترغيب ١٦٠
الأسلوب الحادي عشر: الترهيب ١٦١
الأسلوب الثاني عشر: الاعتداء الجسدي ١٦١
الاعتداء الجسدي على الموالي ١٦٧
آل ياسر ١٦٨
بلال ١٦٩
خباب بن الأرت ١٧٠
عامة الموالي المستضعفين ١٧١
ب ـ العبر والعظات ١٧٢
الأسلوب الثالث عشر: ملاحقة المسلمين خارج مكة والتحريض عليهم ١٧٥
الأسلوب الرابع عشر: المقاطعة العامة ١٧٥
الأسلوب الخامس عشر: محاولة قتل الرسول ﷺ، ثم شن الحرب عليه ١٧٥
المبحث الرابع والعشرون: مكان التقاء الرسول ﷺ بالمسلمين ١٧٦
المبحث الخامس والعشرون ١٧٧
أ ـ الهجرة الأولى إلى الحبشة ١٧٧
١ ـ بطلان القصة من جهة النقل (السند) ١٨٠
٢ ـ بطلان القصة من حيث المتن (أو العقل) ١٨٣
أ ـ مخالفة القصة للقرآن الكريم ١٨٣
ب ـ اضطراب روايات القصة ١٨٤
ج ـ اللغة العربية تنكر القصة ١٨٤
د ـ بطلان القصة من حيث الزمان ١٨٦
أ ـ سبب سجود المشركين ١٨٦
ب ـ الهجرة الثانية إلى الحبشة ١٨٧
ج ـ قريش تسعى لإعادة المهاجرين ١٨٧
د ـ حكم وعظات وعبر من هذا المقطع ١٩٠
المبحث السادس والعشرون: إسلام النجاشي ١٩١
المبحث السابع والعشرون: إسلام حمزة وعمر ١٩٤
أ ـ إسلام حمزة بن عبد المطلب ١٩٤
ب ـ إسلام عمر بن الخطاب ١٩٤
ج ـ عظات وعبر وحكم من هذا المقطع ١٩٧
المبحث الثامن والعشرون: ١٩٨
أ ـ المقاطعة العامة ١٩٨
ب ـ عظات وعبر من هذا المقطع ٢٠٢
المبحث التاسع والعشرون: ٢٠٣
أ ـ وفاة أبي طالب ٢٠٣
ب ـ الحكمة من وفاة أبي طالب قبل قيام الدولة الإسلامية ٢٠٤
المبحث الثلاثون: وفاة خديجة ٢٠٥
المبحث الحادي والثلاثون: زواجه من سودة ٢٠٦
المبحث الثاني والثلاثون: ٢٠٧
أ ـ هجرته إلى الطائف ٢٠٧
ب ـ عظات وعبر ٢١١
المبحث الثالث والثلاثون: ٢١٣
أ ـ الإسراء والمعراج ٢١٥
ب ـ دلالات وعظات وعبر ٢٢٢
المبحث الرابع والثلاثون: ٢٢٤
أ ـ عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل ٢٢٤
ب ـ عظات وعبر ٢٢٨
المبحث الخامس والثلاثون: بيعة العقبة الأولى ٢٢٩
المبحث السادس والثلاثون: ٢٣١
أ ـ بيعة العقبة الثانية ٢٣١
ب ـ نتائج وعبر من بيعة العقبة الثانية ٢٣٦
* الفصل الثاني: الهجرة إلى المدينة ٢٣٩
المبحث الأول: أسبابها ٢٣٩
أولاً: الابتلاء والاضطهاد ٢٣٩
ثانياً: وجود حماية للدعوة تمكنها من السير في طريقها ١٤٠
ثالثاً: تكذيب كبار زعماء قريش الرسول ١٤٠
رابعاً: مخافة الفتنة في الدين ١٤٠

خامساً: الإذن للمسلمين بالقتال ٢٤٠
أول المهاجرين ٢٤١
ما وقع للمسلمين في سبيل الهجرة ٢٤٢
هجرة عمر بن الخطاب ٢٤٣
المبحث الثاني: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ٢٤٦
أولاً: تآمر قريش ٢٤٦
ثانياً: الإذن بالهجرة والتخطيط لها ثم
الشروع فيها ٢٤٨
- في الطريق إلى الغار ٢٥٤
- في الغار ٢٥٥
- التوجه إلى المدينة ٢٥٨
- الوصول إلى المدينة المنورة ٢٦٤
الأحكام والدروس المستفادة من أحداث
الهجرة إلى المدينة ومقامه ﷺ في دار
أبي أيوب الأنصاري ٢٦٧
الجزء الثاني
* الفصل الثالث: أسس بناء المجتمع
الإسلامي والدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ٢٧١
المبحث الأول: بناء المسجد ٢٧١
أحكام وحكم في قصة بناء المسجد
النبوي الشريف ٢٧٦
المبحث الثاني: ٢٧٧
أ - المؤاخاة ٢٧٧
ب - حكم وعبر من المؤاخاة ٢٨١
المبحث الثالث: صحيفة المدينة ٢٨٣
أولاً: مضمون الصحيفة ٢٨٣
أ - بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين المؤمنين ٢٨٣
ب - بنود الصحيفة المتعلقة بالمشركين ... ٢٨٤
ج - بنود الصحيفة المتعلقة باليهود ٢٨٤
د - البنود المتعلقة بالقواعد العامة ٢٨٤
ثانياً: مصادر الصحيفة ٢٨٥
ثالثاً: تاريخ كتابة الصحيفة ٢٨٩
رابعاً: الشواهد على فقرات الصحيفة
من كتب السنة والتاريخ ٢٩٠
خامساً: دلالات وأحكام وعبر من صحيفة المدينة .. ٢٩٢
* الفصل الرابع: ٢٩٥
القسم الأول: متفرقات ٢٩٥
المبحث الأول: تسمية يثرب بطيبة
وطابة والمدينة ٢٩٥
المبحث الثاني: بعض المتاعب الصحية
تواجه بعض المهاجرين ٢٩٧
المبحث الثالث: قريش تهدد أمنها
جرين والأنصار ٢٩٨
القسم الثاني من الفصل الرابع: النشاط العسكري
والسياسي قبل غزوة بدر الكبرى ٣٠١
المبحث الأول: الإذن بالقتال ٣٠١
المبحث الثاني: الغزوات والسرايا
والأحلاف والأحداث الهامة قبل
غزوة بدر الكبرى ٣٠٩
أولاً: أهداف الغزوات والسرايا ٣٠٩
ثانياً: الغزوات والسرايا والأحلاف
والأحداث الهامة ٣١٠
١ - سرية سيف البحر بقيادة حمزة ٣١٠
٢ - سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرّار ٣١٢
٣ - غزوة الأبواء (وَدّان) ٣١٢
٤ - سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ ... ٣١٣
٥ - غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى ٣١٤
٦ - غزوة سَفْوان (بدر الأولى - بدر الصغرى) ٣١٤
٧ - غزوة ذي العُشَيْرَة ٣١٤
٨ - سرية نَخْلَة ٣١٥
أحكام وعبر في قصة سرية نخلة ٣١٧
٩ - تحويل القبلة ٣١٨
١٠ - فريضة صيام شهر رمضان ٣١٨
* الفصل الخامس: غزوة بدر الكبرى ... ٣١٩
الملائكة تشهد بدراً ٣٣٤
مصرع الطغاة يوم بدر ٣٣٦
أ - أبو جهل ٣٣٦

ب ـ أمية بن خلف ٣٣٧
ج ـ العاص بن هشام بن المغيرة ٣٣٧
دفن قتلى المشركين في القليب ٣٣٨
الغنائم ٣٣٩
الأسرى ٣٤١
أحكام وحكم من غزوة بدر ٣٤٧
* الفصل السادس: النشاط الجهادي
والأحداث ما بين غزوتي بدر وأحد ٣٥١
المبحث الأول: سرية قتل عصماء بنت مروان ٣٥١
المبحث الثاني: غزوة بني سُلَيم بالكُدْر ٣٥٢
المبحث الثالث: مؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ ٣٥٢
المبحث الرابع: سرية سالم بن عُمَير لقتل
أبي عَفَك ٣٥٣
المبحث الخامس: غزوة بني قَيْنُقاع ٣٥٣
المبحث السادس: غزوة السَّوِيق ٣٥٧
المبحث السابع: غزوة قَرْقَرة الكُدْر ٣٥٧
المبحث الثامن: سرية قتل كَعب بن
الأشرف اليهودي ٣٥٨
المبحث التاسع: غزوة ذي أمر ٣٥٩
المبحث العاشر: غزوة بُحْران ـ أو القُرْع
من بحران ٣٦٠
المبحث الحادي عشر: سرية القَرَدَة ٣٦١
* الفصل السابع: غزوة أحد ٣٦٣
أحكام وحكم وعظات وعبر من غزوة أحد ٣٨٧
* الفصل الثامن: الغزوات والسرايا والأحداث
الأخرى بين غزوتي أحد والمريسيع ٣٩٣
المبحث الأول: غزوة حمراء الأسد ٣٩٣
المبحث الثاني: سرية أبي سَلَمة ٣٩٥
المبحث الثالث: سرية عبد الله بن أُنَيس ٣٩٥
المبحث الرابع: سرية الرَّجيع ٣٩٦
المبحث الخامس: سرية بئر مَعُونَة ٤٠٠
المبحث السادس: حكم وأحكام وعبر ودروس
من سريتي الرجيع وبئر معونة ٤٠٣
المبحث السابع: غزوة بني النضير ٤٠٤
المبحث الثامن: غزوة بدر الموعد ٤١٠
المبحث التاسع: غزوة ذات الرِّقاع ٤١١
المبحث العاشر: غزوة دُومَة الجَنْدَل ٤١٦
* الفصل التاسع: غزوة المُرَيسيع (بني المُصْطَلِق) ٤١٩
* الفصل العاشر: غزوة الخندق (الأحزاب) ٤٣١
الفصل الحادي عشر: غزوة بني قُرَيْظة ٤٤٧
الفصل الثاني عشر: أبرز الغزوات والسرايا والبعوث
والأحداث التي وقعت بين غزوتي بني قريظة
والحديبية ٤٥٣
المبحث الأول: سرية عبد الله بن عَتِيك
لقتل سَلَّام بن أبي الحُقَيق ٤٥٣
المبحث الثاني: سرية محمد بن مَسْلَمَة
إلى القُرْطاء ٤٥٤
المبحث الثالث: غزوة بني لِحْيان وما فيها
من فوائد ٤٥٦
المبحث الرابع: سرية زيد بن حارثة إلى
العِيص وما فيها من حكم ٤٥٨
المبحث الخامس: سرية ابن عوف إلى
دُومَة الجَنْدَل ٤٥٩
المبحث السادس: سرية علي إلى بني عبد الله
ابن سعد بن بكر بفَدَك ٤٦١
المبحث السابع: سرية عبد الله بن رواحة
إلى اليُسَير بن رِزام اليهودي ٤٦٠
المبحث الثامن: سرية كُرْز بن جابر الفهري
إلى العُرَنيين ٤٦١
المبحث التاسع: سرية الضمري لقتل أبي سفيان ٤٦٢
المبحث العاشر: سرية الخَبَط (سِيف البحر) ٤٦٣
الفصل الثالث عشر: صلح الحديبية ٤٦٥
المبحث الأول: أحداث الحديبية ٤٦٥
المبحث الثاني: فقه وحكم ودروس من صلح
الحديبية ٤٧٧
الفصل الرابع عشر: غزوة خيبر ٤٨١

بعض فقه وحكم وعبر ودروس غزوة خيبر ٤٩١
الفصل الخامس عشر: رسائل النبي ﷺ
إلى الزعماء ٤٩٥
المبحث الأول: كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ٤٩٦
المبحث الثاني: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ٤٩٨
المبحث الثالث: كتاب النبي ﷺ إلى قيصر ٤٩٩
المبحث الرابع: كتاب النبي ﷺ إلى المنذر
ابن الحارث بن أبي شمر الغساني ٥٠١
المبحث الخامس عشر: كتاب النبي ﷺ
إلى هوذة بن علي الحنفي ٥٠٢
المبحث السادس: كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ٥٠٢
المبحث السابع: كتاب النبي ﷺ إلى
المنذر بن ساوى العبدي ٥٠٣
المبحث الثامن: كتاب النبي ﷺ إلى جيفر
وعبد ابني الجلندى ٥٠٣
المبحث التاسع: رسائل أخرى متفرقة ٥٠٤
المبحث العاشر: فوائد وحكم وعبر في
هذا المقطع ٥٠٦
الفصل السادس عشر: السرايا بين غزوة
خيبر وعمرة القضاء ٥٠٧
المبحث الأول: سرية عمر بن الخطاب إلى تربة ٥٠٧
المبحث الثاني: سرية أبي بكر الصديق إلى نجد ٥٠٧
المبحث الثالث: سرية بشير بن سعد إلى ناحية فدك ٥٠٨
المبحث الرابع: سرية غالب بن عبد الله
إلى الميفعة ٥٠٨
المبحث الخامس: سرية بشير بن سعد
إلى الجناب ٥٠٩
الفصل السابع عشر: عمرة القضاء ٥١١
الفصل الثامن عشر: السرايا والأحداث بين
عمرة القضاء وسرية مؤتة ٥١٥
المبحث الأول: سرية أبي العوجاء السلمي ٥١٥
المبحث الثاني: إسلام عمرو بن العاص
وخالد بن الوليد ٥١٥
المبحث الثالث: سرية غالب بن عبد الله
إلى الكديد ٥١٧
المبحث الرابع: دروس وعبر من أحداث
هذه السرية ٥١٨
المبحث الخامس: سرية غالب إلى مصاب
أصحاب بشير ٥١٨
المبحث السادس: سرية كعب بن عمير
إلى قضاعة ٥١٩
المبحث السابع: دروس وعبر ٥٢٠
المبحث الثامن: سرية شجاع بن وهب إلى الشي ٥٢٠
المبحث التاسع: سرية زيد بن حارثة إلى مدين ٥٢١
الفصل التاسع عشر: سرية مؤتة ٥٢٣
أحكام وحكم ودروس وعبر من أحداث
هذه السرية ٥٢٩
الفصل العشرون: السرايا بين سرية مؤتة
وغزوة فتح مكة ٥٣١
المبحث الأول: سرية ذات السلاسل ٥٣١
المبحث الثاني: سرية أبي حدرد إلى الغابة ٥٣٣
المبحث الثالث: سرية أبي قتادة إلى بطن إضم ٥٣٤
الفصل الحادي والعشرون: غزوة فتح مكة ٥٣٧
الأحكام والدروس والعظات والعبر المستفادة
من أحداث غزوة الفتح ٥٥٥
سرايا وبعوث الرسول ﷺ أيام فتح مكة ٥٥٩
١ - بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة
من كنانة ٥٥٩
٢ - بعث هشام بن العاص إلى جهة يلملم ٥٦٠
٣ - بعث خالد بن سعيد بن العاص قبل عرنة ٥٦١
الفصل الثاني والعشرون: غزوتا حنين والطائف ٥٦٣
المبحث الأول: غزوة حنين ٥٦٣
المبحث الثاني: غزوة الطائف ٥٧٤
المبحث الثالث: أهم الأحكام المستنبطة
من غزوتي حنين والطائف ٥٨٢
الفصل الثالث والعشرون: السرايا والأحداث

بين غزوتي الطائف وتبوك ٥٨٥
المبحث الأول: سرية الطفيل بن عمرو إلى
ذي الكفين ٥٨٥
المبحث الثاني: إسلام كعب بن زهير ٥٨٥
المبحث الثالث: المصدقون ٥٨٧
المبحث الرابع: سرية عيينة بن حصن إلى
بني العنبر ٥٨٧
المبحث الخامس: سرية قطبة بن عامر إلى ثبالة ٥٨٩
المبحث السادس: سرية عبد الله بن
حذافة السهمي ٥٩٠
المبحث السابع: من فوائد هذا المقطع ٥٩٢
المبحث الثامن: سرية علي إلى الفُلس ٥٩٢
المبحث التاسع: سرية عكاشة إلى الجباب ٥٩٣
الفصل الرابع والعشرون: غزوة تبوك ٥٩٥
الأحكام والدروس المستنبطة من غزوة تبوك ٦١٦
الفصل الخامس والعشرون: الوفود ٦٢٣
أحكام وعبر وفوائد من أخبار الوفود ٦٤٢
الفصل السادس والعشرون: الأحداث والسرايا
والبعوث بين غزوة تبوك والمرض والوفاة ٦٤٥
المبحث الأول: حجة أبي بكر الصديق ٦٤٥
المبحث الثاني: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ٦٤٦
المبحث الثالث: بعث علي وخالد إلى اليمن ٦٤٧
المبحث الرابع: سرية جرير البجلي إلى
ذي الخلصة ٦٤٩
المبحث الخامس: حجة الوداع ٦٥٠
المبحث السادس: أحكام ومبادئ وعبر من
حجة الوداع ٦٥٢
المبحث السابع: سرية أسامة بن زيد إلى الشام ٦٥٤
الفصل السابع والعشرون: المرض والوفاة ٦٥٧
الفصل الثامن والعشرون: أمهات المؤمنين ٦٦٩
الفصل التاسع والعشرون: بعض شمائل
الرسول ﷺ ٦٨٧
الفصل الثلاثون: معجزات الرسول ﷺ ٧٨٥
الفصل الحادي والثلاثون: الخصائص التي
فُضِّل بها الرسول ﷺ وأمته ٨٨١
* ثبت المصادر والمراجع ٩١١
* فهرس المحتويات ٩٢١

المؤلف في سطور

- من مواليد قرية الجابرية - محافظة الدبة - الولاية الشمالية - جمهورية السودان - عام ١٩٤٥م.
- عمل ضمن هيئة التدريس بجامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم الثقافة والدراسات الإسلامية منذ عام ١٩٧٦م إلى عام ٢٠٠٥م.
- تولى رئاسة قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض في الفترة من ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣/ ١٩٨٧م.
- رئيس دائرة السنة والسيرة والشمائل، بمركز بحوث القرآن والسنة - جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية - السودان - متطوعًا.
- متفرغ للبحث العلمي الدعوي والدعوة الإسلامية.

الأعمال البحثية المنشورة:

أولًا: البحوث المنشورة.

١- 'إفريقية والنصرانية' بحث منشور بمجلة «هذه سبيلي»، المعهد العالي للدعوة الإسلامية سابقًا، كلية الدعوة الإعلام حاليًا، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني، ١٣٩٩هـ.

٢- «الأثر الحاضري للإسلام في غربي إفريقية»، بحث منشور بمجلة «المسلمون»، العدد الخمسون ١٤٠٦هـ.

٣- السلطنة السنارية ودورها في الحياة الإسلامية السودانية»، بمجلة «الدارة»، العدد الأول، السنة السادسة عشر، من شوال إلى ذي الحجة، ١٤١٠هـ.

٤- «أساليب المنصرين للوصول إلى أهدافهم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة»، نشر بمجلة «البحوث الإسلامية، الهيئة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد والإفتاء، الرياض ١٤٠٨هـ.

٥- «The Humean rights in islam»، نشر مركز البحوث بكلية التربية، جامعة الملك سعود ١٤٠٨هـ.

٦- «عمارة الكعبة عبر التاريخ»، نشر مركز البحوث بكلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ.

٧- «تاريخ التعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار»، نشر مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن، ضمن موسوعة الحضارة الإسلامية، الجزء الخامس، البحث الأول، ص ٩-٦١، ١٤٠٨هـ.

٨- تحرير مواد تاريخية إسلامية وثقافية بالموسوعة العربية العالمية.

٩- «حركة الشيخ مايا جاخو دياخو الإسلامية الإصلاحية الجهادية، ودورها في الحياة الإسلامية ونشر الإسلام بغربي إفريقية ١٨٥٠-١٨٩٠م»، منشور بمجلة جامعة الملك سعود، المجلد الثاني عشر، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

١٠- الحملات التنصيرية في العالم الإسلامي: السودان ومصر والعراق والجزائر، كنماذج بحث منشور ضمن أوراق عمل مؤتمر: «تعظيم حرمات الإسلام»، تنظيم مجلة البيان وميرة الأعمال الخيرية، الكويت، ١٤٢٨هـ، ص ٢١٩-٢٨٨.

١١- «الشيخ محمد الأمين درامي وحركته الإسلامية الجهادية الإصلاحية بنغمبيا: ١٨٢٥-١٨٨٧م»، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر، العدد ١٢، ١٤٢٩هـ.

١٢- مدى محبة النبي ﷺ، ضمن أبحاث الندوة العلمية: مقام النبوة بين تعظيم المحبين وإساءة المبغضين ..

ثانياً: الكتب المنشورة:

١- أساليب التبشيريين للوصول إلى أهدافهم في البلاد الإسلامية، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢- الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، لأحمد

الحريري، تحقيق، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - دراسة تحليلية.

٤- الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة ..

٥- حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الأستعمار وآثارها الحضارية.

٦- مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات المستشرق البريطاني بودلي في كتابه: الرسول - حياة محمد - دراسة نقدية.

٧- شمائل وخصائص النبي محمد ﷺ.

٨- صفوة السيرة النبوية.

٩- مختصر السيرة النبوية.

١٠- حقوق الإنسان في السيرة والسنة النبوية.

١١- فصول في الثقافة الإسلامية.

١٢- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: باللغتين الإنجليزية والأوردية.

١٣- القيم التربوية في السيرة النبوية.

١٤- أخلاقيات المهن الصحية في الإسلام.

المنح والجوائز:

١- نيل منحة التميز العلمي والتدريسي مرتين من جامعة الملك سعود.

٢- نيل جائزة الشهيد الزبير محمد صالح للإبداع العلمي متفردًا لعام ٢٠٠٨م.

❖ انظر: السيرة الذاتية على الشبكة المنكبوتية.